وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة المستنصرية

كلية التربية

مجلة المستنصرية للعلوم الانسانية

Mustansiriyah Journal of Humanities

مجلة محكمة فصلية تصدر عن كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

تهتم بالبحوث الإنسانية والتربوية

عدد خاص

2024

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 2603 لعام 2022

Print ISSN: 2958-0730 e-ISSN: 2958-0722

E-mail: mjhedu@uomustansiriyah.edu.iq

https://mjh.uomustansiriyah.edu.iq/index.php/mjh/index

مجلة المستنصرية للعلوم الانسانية

مجلة – متخصصة – محكمة

تصدرها كلية التربية / الجامعة المستنصرية

سعر النسخة الواحدة

داخل البلد: (12.500) اثنا عشر ألفا وخمسمئة دينار عراقي

خارج البلد: (60 $) ستون دولاراً

الاشتراك السنوي

داخل البلد: (85000) خمسة وثمانون ألف دينار عراقي

خارج: ($550) خمسمئة وخمسون دولاراً

الاسم:

العنوان:

يكتب الصك باسم مجلة المستنصرية للعلوم الإنسانية / الجامعة المستنصرية

العنوان البريدي: الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

مجلة المستنصرية للعلوم الإنسانية

مكتب بريد الجامعة المستنصرية – ص. ب 46219

كلمة العدد

في هذا العدد الخاص نقدم للقراء الكرام بحوث المؤتمر السابع والعشرين للعلوم الإنسانية والتربوية ، وقد اشتمل على عدد واسع من البحوث المتنوعة بين محاور الدراسات الإنسانية في علوم القرآن واللغة العربية والتأريخ والجغرافية والإرشاد النفسي والتوجيه التربوي والعلوم النفسية والتربوية وهي بحوث جادة تسعى إلى اضافة معرفة حقيقية تسهم في بناء مجتمع معاصر من خلال وضع الحلول اللازمة لقضايا المجتمع ومشاكله المتنوعة ، فمجلتنا تسعى دائماً لأن تكون بحوثها على علاقة وثيقة بالمجتمع ومشاكله وقضاياه الرئيسية ، لذلك فإن هذا المؤتمر جاء متناغماً مع هذا الهدف إذ أقيم تحت شعار ((العلوم الإنسانية ... رؤية علمية نحو مجتمع معاصر)) ، وقد خضعت هذه البحوث إلى تحكيم علمي ولغوي فضلاً عن برنامج الاستلال الالكتروني من قبل لجان خاصة أعدت في الاقسام العلمية لهذا الغرض ، ومن أجل أن تخرج بأبهى حلة في جوانبها المعرفية والثقافية المختلفة .

أ.د. حازم حسن سعدون

مدير التحرير

هيئة التحرير

ت	الاسم الثلاثي	اللقب العلمي	التخصص/ المنصب	الدولة	الصفة
1	د. احمد عبد الستار جابر كاظم	استاذ	الجغرافية	العراق	رئيس التحرير
2	د. حازم حسن سعدون	استاذ	اللغة العربية	العراق	مدير التحرير
3	د. علاء حسين شنيشل	أستاذ مساعد	المعاون العلمي	العراق	عضواً
4	د. سعد محمد علي	استاذ	اللغة العربية	العراق	عضواً
5	د. حيدر شاكر عبيد	استاذ	التاريخ	العراق	عضواً
6	د. دياري صالح مجيد	استاذ	الجغرافية	العراق	عضواً
7	د. عدنان فرحان خميس القاسم	استاذ	علوم القران	العراق	عضواً
8	د. ئاسو صالح سعيد	استاذ	الارشاد النفسي والتوجيه التربوي	العراق	عضواً
9	د. حيدر كريم سكر	استاذ	العلوم التربوية والنفسية	العراق	عضواً
10	د. صفاء حسين محمد علي	استاذ	الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي	العراق	عضواً
11	د. شهلة حسن هادي هادي	استاذ	اللغة العربية	العراق	عضواً
12	د. سحر عبد العزيز السيد سالم	أستاذ	التاريخ	مصر	عضواً
13	د. ناظم أنيس ياسين عيسى	استاذ	الجغرافية	سوريا	عضواً
14	د. عماد عبد اللطيف علي	استاذ	اللغة العربية	قطر	عضواً
15	د. حسين عمر الخزاعي	استاذ	الارشاد النفسي والتوجيه التربوي	الاردن	عضواً
16	د. عبد المنعم احمد الدردير	استاذ	علم النفس التربوي	مصر	عضواً
17	د. عز الدين جلال الدين رضا نجاد	استاذ	علوم القران	ايران	عضواً

ملاك مجلة المستنصرية للعلوم الإنسانية		
ت	الاسم	العمل
1	أ.م. محمد سليم سلمان	تنضيد الاعداد
2	الست هبة محمد حسين	إدارية
3	السيد عدنان عباس علي	البريد
	الفريق الفني المخول بإدارة المواقع	
	م.م علاء محي شلاكه	Google Scholar
4	م. م نعيم ضميد عليوي	Research Gate
5	م. م منى علي عبد	Orcid
6	م. م حنان سعدي محمود	OJS
	موقع الوزارة المجلات العلمية الاكاديمية IASJ	
7	م.م فادي ممتاز يوسف	مسؤول الموقع
	الاستلال الالكتروني	
8	م.د داليا رعد عبد	مسؤولة الاستلال الالكتروني لبحوث المجلة
	لجنة التدقيق	
9	أ.م.د. صباح عبد الهادي	اللغة العربية
10	أ.د. حقي إسماعيل إبراهيم	اللغة العربية
11	أ.م.د. علي اسد موسى	اللغة العربية
12	أ.م.د. حيدر هادي أحمد	اللغة العربية
13	م.د. أحمد هادي شمام	اللغة العربية
14	م. نور خالد محيي الدين	اللغة العربية
15	أ.م.د. بيداء عبد نجم عزام	اللغة العربية
16	م. منى إبراهيم عبيد	اللغة العربية
17	أ. د استبرق رشيد ابراهيم	اللغة الإنكليزية

18	م.د عمر عباس نعيثل	اللغة الإنكليزية
19	أ.م رغد خلف عليوي	اللغة الإنكليزية
20	م.م معتز رياض خليل	اللغة الإنكليزية
21	م.م نبأ طالب هاشم	اللغة الإنكليزية

حول المجلة

- مجلة علمية محكمة فصلية تعني بنشر البحوث النظرية والتطبيقية التي تطور الجانب المعرفي تصدر عن كلية التربية- الجامعة المستنصرية رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 2603 لعام 2022
- تمتلك المجلة الرقم المعياري الورقي 0730-2958
- تمتلك المجلة الرقم المعياري الالكتروني 0722-2958
- معتمدة في موقع المجلات الاكاديمية العراقية في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي https://mjh.uomustansiriyah.edu.iq/index.php/mjh/about/privacy
- معتمدة في الترقيات العلمية بحسب كتاب وزارة التعليم والبحث العلمي – دائرة البحث والتطوير – قسم الشؤون العلمية المرقم (ب ت 4 / 7714) بتاريخ 18 / 9 / 2023 .
- تأسست المجلة عام 1980م باسم (مجلة كلية التربية) لغاية 2022 تم فصلها الى مجلتين (مجلة للأقسام العلمية – فيزياء ورياضيات وعلوم الحاسوب – ومجلة للأقسام العلمية الإنسانية – التاريخ والجغرافية واللغة العربية وعلوم القران والإرشاد النفسي والعلوم النفسية والتربوية) حسب توجيه وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ دائرة البحث والتطوير بالكتاب العدد ب ت 4 2040 في 4/3/ 2022 وكتاب رئاسة الجامعة المستنصرية/ قسم الشؤن العلمية ذي العدد 9429 في 2022/4/24.

❖ معلومات الاتصال

- رئيس هيئة التحرير ahmedabdsatar@uomustansiriyah.edu.iq
- مدير تحرير المجلة dr.muntaha@uomustansiriyah.edu.iq
- ايميل مجلة المستنصرية للعلوم الانسانية E-mail: mjh_edu@uomustansiriyah.edu.iq
- العنوان / العراق – بغداد – شارع فلسطين – ساحة الموال / الجامعة المستنصرية – كلية التربية – الطابق الأول .

مساحة تغطية المجلة

تستقبل المجلة بحوث في التخصصات (الإنسانية) الملائمة والقريبة لأقسام كلية التربية، وباللغة العربية والإنكليزية.

1- اللغة العربية وفروعها
2- التاريخ (القديم والاسلامي والحديث والمعاصر)
3- الجغرافية (الطبيعية والبشرية)، نظم المعلومات الجغرافية (GIS)
4- الدراسات البيئية والمناخية
5- الارشاد النفسي والتوجيه التربوي
6- الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجيا
7- الدراسات النفسية والتربوية
8- القرآن وعلومه
9- طرائق التدريس والمناهج

الرؤية

الارتقاء بين المجلات العلمية المحكمة على مستوى البلد والعالم ونعمل على تحقيق واحدة من طموحات جامعتنا في ان نكون في المستوى الأول في النشر الأكاديمي المحلي والإقليمي والعالمي والدخول في المستوعبات العالمية.

الرسالة

- الارتقاء بالجامعة المستنصرية وتحديدا كلية التربية من خلال النشر العلمي الذي يختلف عن مجلات الجامعة الأخرى لتحقيق هدف من اهداف الجامعة وبذلك نكون قد اسهمنا بخدمة الباحثين والقراء والمجتمع وقدمنا لهم شيء من بحر العلم الواسع ورفعنا تصنيف بلدنا في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

الأهداف:

المجلة حريصة على انتقاء البحوث المتميزة وقبولها للنشر وفقا للمعايير العلمية- مستوعبات العالمية.

الحرص على التطوير الدائم لنشر ما يقدمه الباحثين وأعضاء الهيأة التدريسية من كافة الجامعات داخل البلد وخارجه مما يخلق روح التعاون والاطلاع المتبادل بين الباحثين عراقيين وأجانب.

التبادل العلمي بين مجلتنا ومجلات الجامعات الأخرى من خلال تزويد مكتبات الجامعات والكليات الأخرى بإهداء بنسخه من مجلتنا.

عدم الاكتفاء بقبول بحوث داخل البلد وانما التوسع لاستقبال البحوث من كافة ارجاء الوطن العربي والعالم

الالتزام بقواعد النشر كاملةً من قبل الباحثين وفقا للمعايير العالمية حرصا منا على الموضوعية في نشر بحوث مجلتنا.

مهام ومسؤوليات هيئة التحرير

يمكن ايجاز مهام هيئة التحرير بثلاثة محاور رئيسة :

1- قرارات النشر

هيئة التحرير هي الجهة المسؤولة عن إقرار نشر الأوراق العلمية المقدمة للمجلة، بعد تقييمها وتأمين تلبيتها لشروط وضوابط النشر المعتمدة، دون النظر في الجنس او المعتقد الديني او الاصل العرقي او الجنسية او الفلسفة السياسية. ويعتمد الاعتبار القيمة العلمية والالتزام بمعايير اخلاقيات البحث العلمي وسلامة العمل واللغة وعدم الاقتباس والانتحال. وتلتزم هيئة التحرير بالعمل المتواصل للارتقاء بالرصانة العلمية للمجلة، من خلال اتخاذ قرار نشر الاوراق استنادا إلى أهميتها ووضوحها وإصالتها وتلبيتها لشروط وضوابط النشر المعتمدة التي تعلن للباحثين.

2-الخصوصية

يتقيد رئيس واعضاء هيئة التحرير بعدم الاعلان عن اية معلومة تخص الاوراق المقدمة للمجلة عدا المخول من قبل مؤلفيها والمحررين والاستشاريين والناشر حسب الضرورة.

3- الافصاح وتضارب المصالح

لا يجوز استخدام ما ورد في البحوث غير المنشورة من قبل رئيس واعضاء هيئة التحرير لأغراض البحوث التي تخصهم دون موافقة خطية صريحة من مؤلف البحث.

اخلاقيات النشر

تتبع المجلة مدونة قواعد السلوك وإرشادات أفضل الممارسات لمحرري المجلات، والمبادئ التوجيهية الأخلاقية لمراجعي النظراء.

❖ الباحثون:

ينبغي على الباحثين ضمان أصالة أبحاثهم واستيفائها للمعايير المِهْنيّة والأخلاقيّة العالية ، ويترتّبُ على ذلك ما يلي:

- **الامانة والدقة في توثيق البينات والنتائج دون كذب او تضليل او خداع.**
- **يتمّ ترتيب الباحثين حسب ما جاء بالبحث على ان تكون الاسماء مذكورة بالتسلسل الاول صاحب فكرة حسب وزن إسهام كلّ منهم، ومن واجب الباحث الذي يتولّى مراسلة المجلّة التأكّد من تضمين جميع الباحثين المشاركين، وعدم إدراج أسماء باحثين غير مشاركين في البحث.**
- **على الباحثين الإشارة – بشكل صحيح- إلى الأبحاث التي تمّ الرُّجوع إليها في البحث.**
- **على الباحثين مراجعة أبحاثهم وَفْقاً لمقترحات المقومين، وفي حال عدم موافقة الباحث على الأخذ بالتعديلات المقترحة، فيجب عليه تقديم تبريرٍ منطقيٍّ بذلك.**
- **يخضع البحث الى برنامج الاستلال والتأكد من نسبة الاستلال على ان لا تزيد عن 20%، ويلتزم الباحث بدفع النفقات الماليّة المترتّبة على إجراءات التقويم في حال طلبَ سَحْبَ البحث، أو رغبَ في عدم متابعة إجراءات التقويم، أو تجاهله الأخذ بعين الاعتبار لبعض ملاحظات المقومين من غير ان يرد عليها .**

❖ **التقويم والمقومون:**

تَعُدُّ المجلّة عمليّة تقويم البحث العلميّ من أصحاب الاختصاص مرحلةً رئيسةً من مراحل النّشر العلميّ، كما أنّ من سياسة المجلّة التأكّد من مِهْنيّة عمل المقومين العلميين والتزامهم بقوانين المجلّة الأخلاقيّة، ويترتّبُ على ذلك ما يلي:

1. **يتمُّ إخضاع الأبحاث المقدّمة للنّشر في المجلّة إلى التقويم من ذوي الاختصاص .**
2. **في حال تبيّنَ لإدارة التّحرير توافق البحث المقدّم للنّشر مع سياسات النّشر في المجلّة وسلامة إجراءات البحث العلميّ، يُرسَلُ البحث إلى ثلاث من المقومين من ذوي الاختصاص وحسب طبيعة البحث وراي المقومين، لتقييمه وكتابة تقريرٍ مفصّلٍ حول سلامته وأصالته العلميّة، باستخدام نموذجٍ مخصّصٍ لذلك.**
3. **تتعامل إدارة المجلّة مع أسماء المقومين وتقاريرهم بسرّيّةٍ تامّةٍ، ولا تكشفها إلا لأعضاء هيئة التّحرير، الذين هم أيضًا يتعاملون معها بسرّيّةٍ تامّةٍ.**
4. **تتعاملُ المجلّة مع الأبحاث المقدّمة للنّشر بسرّيّةٍ تامّةٍ في أثناء تقويمها وقبل نشرها.**
5. **في حال وجود تقريرٍ سلبيٍّ من أحد المقومين، يُرْسَلُ البحثُ في نسخته الأصليّة إلى مقوم علمي ثالثٍ للبتّ في صلاحيّته للنّشر, ويعتمد رأي الاغلبية في تحديد القبول او الرفض للبحث,**
6. **يجبُ في المقومين تحرّي الموضوعيّة في الأحكام والنّتائج الصّادرة عن عمليّة التقويم.**
7. **يُفترض في المقومين النّأيُ بأنفسهم عنِ المصالح الشّخصيّة.**
8. **يُفترض في المقومين الانتباه على خُلوّ الأبحاث منَ الانتحال أوِ السّرقة الأدبيّة، كما يجب عليهم الإشارة إلى جميع الأعمال المنشورة التي جرى الانتحال منها في متن البحث المقوم علميا.**
9. **يُفترض في المقومين الالتزام بالوقت المخصّص لعمليّة التقويم، التي لا تزيد عن أسبوعين للبحث الواحد**

❖ معلومات للقراء

نحن نشجع القراء على الاشتراك في خدمة إعلام النشر لهذه المجلة. استخدم رابط التسجيل في أعلى الصفحة الرئيسية للمجلة. سيؤدي هذا التسجيل إلى تلقي القارئ لجدول المحتويات عن طريق البريد الإلكتروني لكل عدد جديد من المجلة. تسمح هذه القائمة أيضًا للمجلة بالمطالبة بمستوى معين من الدعم أو القراء. راجع بيان الخصوصية الخاص بالمجلة، والذي يؤكد للقراء أن الاسم وعنوان البريد الإلكتروني لن يتم استخدامه لأغراض أخرى.

❖ معلومات لأمناء المكتبات

نشجع أمناء المكتبات البحثية على إدراج هذه المجلة ضمن مقتنيات المجلات الورقية والإلكترونية لمكتباتهم. كذلك، قد يكون من الجدير بالذكر أن نظام النشر لهذه المجلة مناسب للمكتبات لاستضافة أعضاء هيئة التدريس بها لاستخدامها مع المجلات التي يشاركون في تحريرها.

❖ ضوابط وشروط النشر

- ان يقدم طلب نشر البحث لرئيس هيئة التحرير (تحريري ام الإلكتروني) يحدد فيه اسم البحث وأسماء المشاركين فيه .
- يقدم تعهد بعدم السرقة او الانتحال او الاقتباس غير الموثق .
- يدخل البحث او المقالة برنامج كشف الاستلال (Turnitin) قبل ارساله للمقيمين وفي حال تجاوز الحد المسموح به يرفض البحث او يعاد لتصحيح الاستلال من قبل الباحث
- أن يكون البحث أصيلًا، وغير منشور أو مقبول للنشر في مجلة أخرى أو في وقائع المؤتمرات بصورة ورقية أو الكترونية.
- أن يتضمن البحث عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وأسم الباحث باللغتين.
- الملخّص باللغتين العربية والإنكليزية من (100 – 150) كلمة فضلاً عن الكلمات المفتاحية (Keywords) بعد الملخّص (لا تقل عن ثلاث ولا تزيد عن خمس).
- أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقًا لنظام (APA).

- **يمكن ان تنشر المجلة مستلات أو فصولًا من رسائل جامعية في حالة أن تكون الرسالة والاطروحة لم تُناقش بعد، أي يمكن النشر قبل المناقشة حصراً ويتعهد الباحث بذلك.**
- **يمكن نشر البحوث المترجمة بعد الحصول على إذن المجلة الأجنبية الناشرة. أو من المؤلف الاصلي نفسه.**
- **رسوم تحكيم البحث (داخل العراق) يدفع الباحث :**

- رسوم الاستلال الالكتروني (10) آلاف دينار عراقي .

- في حال قبول البحث للنشر (100) ألف دينار عراقي اجور النشر.

- **رسوم تحكيم البحث (من خارج العراق) (20) $ وفي حال قبول البحث للنشر يدفع الباحث (100) $ اجور النشر.**
- **ان يكون عدد صفحات البحث (25) صفحة وتحتسب أجور إضافية على عدد الصفحات الاضافية وللمجلة أن تنشر، بحسب سياساتها، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد من الصفحات.**
- **في حال وجود مخططات أو أشكال أو معادلات أو رسوم بيانية أو جداول، ينبغي إرسالها كما هي صيغة البحث.(Word)**
- **تلتزم المجلة تبليغ الباحث بقرارها الأخير؛ قبول النشر/ النشر بعد إجراء تعديلات محددة/ الاعتذار عن عدم النشر، وذلك في غضون شهر تقريباً من استلام البحث.**
- **تلتزم المجلة ميثاقًا أخلاقيًا يشتمل على احترام الخصوصية والسرية والموضوعية والأمانة العلمية وعدم إفصاح المحرّرين والمراجعين وأعضاء هيئة التحرير عن أيّ معلوماتٍ بخصوص البحث كما مشار اليه في أخلاقيات النشر.**
- **يخضع ترتيب نشر البحوث إلى مقتضيات فنية تسلسلية لا علاقة لها بمكانة الباحث.**
- **الزام الباحث بكتابة المصادر في البحث وفق الطريقة القياسية المحددة عالميا وفي اللغتين العربية – والإنكليزية من أجل زيادة نسبة الإقتباس المحلي والعالمي .**

❖ قالب المجلة

- **البحث يكتب بصورة كاملة وفق نظام (word) 2010**

1- عنوان البحث (عربي _ English) حجم الخط B 14

2- اسم الباحث واللقب العلمي (عربي _ English) حجم الخط B12

اعطاء تسلسل للباحثين (1-اسم الباحث الاول , 2- اسم الباحث الثاني، وهكذا)

3- الايميل الرسمي او اي ايميل يستخدمه الباحث حجم الخط 11

4- مكان العمل حجم الخط 11

5- رقم الهاتف حجم الخط 11

- **ملخص: (عربي _ English) عدد الكلمات من (100- 150) كلمة حجم الخط 11**
- **كلمات مفتاحية: (عربي _ English) لا تقل عن 3 ولا تزيد عن 5 حجم الخط 11**
- **نوع الخط بالنسبة للبحوث التي تكتب باللغة العربية simplified Arabic وحجم الخط 11**
- **نوع الخط للبحوث التي تكتب باللغة الانكليزية Times New Roman وحجم الخط 11**
- **العناوين الرئيسة حجم الخط B 14**
- **العناوين الفرعية وداخل متن البحث حجم الخط 12**
- **طريقة اعداد الصفحة محاذاة يمين وشمال واعلى وأسفل 2.5**
- **تكتب المصادر وفق نظام APA**
- **المصادر في نهاية البحث بحجم خط 11**

-المصادر تكتب عربي- English وفق الاحرف الهجائية

-الاشكال والخرائط والجداول تذكر في مواضعها في متن البحث، اما الملاحق فترفق في نهاية البحث.

-الخرائط والاشكال البيانية تقدم ملونه وواضحة.

- الأرقام أينما وردت في البحث تكتب بالعربية (1-2-3-4)

- **إرشادات للمؤلفين:**

- **الكتابة**

- يجب ان يمثل العنوان مضمون البحث بصورة مركزة ومختصرة ومن ضمن تخصصات المجلة .
- المستخلص يحتوي على الهدف والاهمية وطريقة العمل فضلا عن اهم النتائج التي توصل اليها الباحث .
- يختار (3-5) كلمات مفتاحية تدل على موضوع البحث .
- متن البحث يتضمن اهم المحاور الرئيسة التي من خلالها توصل الباحث لنتائج دراسته .
- مناقشة النتائج والبيانات التي توصل لها الباحث معززة بالأدلة والبراهين العلمية والمصادر الموثقة عالميا ومحليا .
- لا تزيد نسبة الاقتباس المسموح به عن 20% من المصادر الموثقة .
- يفضل ان يعتمد المصادر الحديثة والتي لا تزيد عن (5) سنوات ماضية .
- يفضل اعتماد المصادر الموثقة في المجلات العلمية المفهرسة ضمن مستوعبات عالمية.

- الأجور

- يمكن دفع الأجور مباشرة في حسابات الكلية (كلية التربية- الجامعة المستنصرية) العنوان/ العراق – بغداد – شارع فلسطين – ساحة الموال او من خلال صك لحساب المجلة على رقم الحساب المصرفي ...

- الشكاوى

- يمكن للباحث او صاحب المقالة التقدم بشكوى لرئيس هيئة التحرير في حالة تأخر الرد على المقالة (القبول او الرفض) خلال الوقت المحدد او عدم النشر في الوقت والعدد والمجلد المحدد، ايمانا من هيئة التحرير بالحفاظ على حقوق المؤلفين
- يمكن للباحثين او المؤلفين التقديم عن طريق الرابط المباشر

(https://mjh.uomustansiriyah.edu.iq/index.php/mjh/about/privacy)

- او الحضور الى موقع المجلة في بناية كلية التربية- الجامعة المستنصرية – الطابق الأول

محتويات عدد خاص (2) 2024

ت	العنوان	العنوان
	قسم التاريخ	
1.	الداعي الإسماعيلي علي بن الوليد (ت: 612هـ/ 1215م) وأثره الفكري في اليمن م.د. زهراء كاظم لعيبي	1 - 13
2.	سياسة إسبانيا تجاه الأراضي المنخفضة 1559-1648 م.د. أحمد عبود عبدالله	14 - 21
3.	دور المرأة الأندلسية العام في ضوء كتب النوازل م.م. اكرم محي عاكول الموسوي	22 - 32
4.	الإضرابات الزراعية في ولاية كاليفورنيا 1930-1936 م.د. انتصار عبد عون محسن	33 - 48
5.	كريمة المروزية واثرها في الاندلس ((علم الحديث انموذجا)) أ.د. أنعام حسين احمد	49 - 58
6.	سياسة الدولة الموحدية الخارجية من خلال رسائلها (541هـ-633هـ/1147م-1236م) تبارك اياد علي د.عدنان خلف سرهيد	59- 70
7.	التطورات الاجتماعية والاقتصادية في انكلترا بالقرنيين السادس والسابع عشر أ. د. حسن زغير حزيم	71 - 81
8.	الاقليات الدينية في مؤلفات المؤرخ العراقي عبد الرزاق الحسني م.حسون عبود محيبس	82 - 92
9.	الجرائم في ضوء كتب النوازل في المجتمع الاندلسي م.م. حسين عبد الله رضيوي	93 - 102

ت	العنوان	العنوان
10.	العقود في الدولة الفاطمية (دراسة تأريخية) م.د. حكمة لفتة صگر	103 - 113
11.	انهيار الكونفدرالية سقوط ريتشموند ورحلة هروب حكومة جمهورية الولايات الكونفدرالية الامريكية 2 نيسان - 10 ايار 1865 أ.د. حيدر شاكر خميس	114 - 125
12.	نظرة المجتمع العربي الى الحرف والصنائع قبل الاسلام م.م. دوري سليم دوري خليل الدوري	126 - 136
13.	نشاط شركة الهند الشرقية الفرنسية (1664-1769) قراءة: في أهمية التنافس التجاري في السياسة الاستعمارية للدول الكبرى في الشرق أ.د.رنا عبد الجبار حسين الزهيري	137 - 144
14.	احمد زكي الخياط ودوه الاداري والدبلوماسي والسياسي حتى عام 1958 زيدون طه صالح أ.د.اخلاص لفته حريز	145 - 167
15.	قلعة أيوب دراسة في احوالها العامة م.م. زينب كاظم عبد الحسن الفاضلي	168 - 178
16.	قبيلتي الأوس والخزرج وأثرهما في نشر الاسلام في يثرب أ. سحر عبدالله محمد أ.د. نعيم دنيان عبيد	179 - 186
17.	الجيش الاحمر الصيني (1924 - 1949) أ.د.صفاء كريم شكر م.م.انتصار علي حسين عبود	187 - 199
18.	زاهد علي وجهوده في الدراسات الإسماعيلية (1888-1958م) م.د. طه حسين عيسى	200 - 209
19.	صدى أختفاء المهدي بن بركة في الصحف العراقية 1965 أ.د. عبد الجليل مزعل بنيان	210 - 223

ت	العنوان	العنوان
20.	نشأة وتطور التعليم العالي بدولة الكويت جامعة الكويت انموذجاً ا.م.د.عبد السلام متعب عيدان	224 - 249
21.	"نظام الخراج بين الامبراطورية الساسانية والخلافة الراشدة" م.د. عبدالهادي طعمه عفات العتابي	250 - 262
22.	الرحالة المغاربة والأندلسيين في القرنين الخامس والسادس الهجريين عذراء علي حسن أ. د. بثينة جبار زاجي الغزي	263 - 271
23.	العلاقات العراقية – المغربية (الاتفاقية الجوية 1958-1959 أنموذجاً) م.د علاء رحيم كاظم السنيد	272 - 282
24.	رينهرت دوزي وموقفه من قيام الدولة الاموية في الاندلس من خلال كتاب المسلمون في الاندلس علي عبدالله مفتن الركابي ا.د. كريم عاتي لعيبي الخزاعي	283 - 293
25.	الاصول الاخمينية (550 – 331 ق.م) للسلالة الساسانية (226 – 651 م) أ.م.د. علي حسن ثابت	294 - 304
26.	دور الفقيه أبو الوليد الباجي في دعوة التوحيد والتعايش السلمي واستعادة الوحدة الوطنية بعد سقوط بربشتر أ.د عماد تالي مهدي الناصري م.م. صابرين جواد كاظم	305 - 315
27.	العلاقات والامتيازات التجارية بين المدن الإيطالية وبلاد الشام خلال الحروب الصليبية 490-691هـ/1097-1291م (دراسة استشراقية) م.م.غدير سلام عارف الشمري أ.د.سامي حمود الحاج جاسم	316 - 325
28.	الفتوحات الأسلامية للدولة الأموية في عهد الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-714م) ، من خلال ما أورده الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام (ت748هـ/1347م) م.م. فاطمة عامر علي أ.د. رحيم خلف عكلة	326 - 336

ت	العنوان	العنوان
29.	تـجـارة المـلـح في السـودان الغربـي من القرن الخامس الهجري حتى القرن العاشر الهجري م.د. فرح مصطفى قاسم حسن الموسوي	337 -346
30.	الحياة الاجتماعية في الهند في بعض كتب الجغرافيين والمؤرخين أ.م.د. فينوس ميثم علي	347 - 359
31.	سياسة جروفر كليفلاند تجاه كوبا 1885 – 1897 م. م. كرار عبدالسيد مضموم أ. د محمد هاشم خويطر	360 - 368
32.	دولة الرفاهية والرأسمالية الشعبية : دراسة مقارنة بين سياسة كليمنت أتلي ومارغريت تاتشر أ.م.د. كريم عجيل الزاملي	369 - 382
33.	رحلات البحث عن الذهب في بلاد السودان الغربي قبل الاسلام أ.د. كريم عاتي الخزاعي أ.د. اسماعيل حامد اسماعيل	383 - 398
34.	وسائل إرساء الدعوة الإسماعيلية بين فئات المجتمع المصري م.م. لقاء حبيب شويل الشمري أ.د. حكمه لفتة صكر الكناني	399 - 406
35.	اخبار هولاكو وحملاته من خلال كتاب مختصر تاريخ الدول لابن العبري ليث مدلول جبار أ.م. خالدة حمود سلمان الجبوري	407 - 417
36.	الجغرافية الطبيعية لمدينة مقدشو وأوضاعها السياسية مروة حامد حمد أ.د. انعام حسين احمد	418 - 428
37.	الحماية النبوية في الفترة المكية مصطفى عبدالله أحمد أ.م.د. نهاد حميد اللعيبي	429 - 438
38.	الحياة الاجتماعية في الإمارة الشيرازية نور حسن فارس أ.د. كريم عاتي الخزاعي	439 - 454
39.	عفت عنان ودورها الفكري والاجتماعي في تركيا ١٩٠٨-١٩٨٥ م.م. نور عبدالحسن خادم حسين م.م, طارق حامد مجبل	455 - 463

ت	العنوان	العنوان
40.	المتاحف التاريخية ودورها المعرفي في تعزيز الحوار والتواصل الحضاري بين شعوب العالم :المتاحف المتنقلة أنموذجاً أ.م.د.هشام سوادي هاشم السوداني أ.د.ابتهال عادل إبراهيم الطائي	464 – 477
41.	ليديا بيكر ودورها النسوي في بريطانيا 1827–1890 (دراسة تاريخية) أ.م. وفاء خالد خلف	478 – 490
42.	الدكتور صبري فالح الحمدي سيرته الذاتية وتعليمة الأولي والثانوي حتى عام 1968 يوسف حسن راضي الموسوي أ.د. نزار علوان عبد الله	491 – 499

الداعي الإسماعيلي علي بن الوليد (ت: 612هـ/ 1215م) وأثره الفكري في اليمن

م.د. زهراء كاظم لعيبي

zahraakadhim454@gmail.com

جامعة بغداد ، كلية العلوم الإسلامية

ملخص البحث

يهدف البحث إلى التعرف على واحد من الأعلام الذين خدموا الحركة الفكرية الإسماعيلية في اليمن، وأسهموا إسهاماً فاعلاً في تقدمها وأزدهارها، إلا وهو الداعي علي بن محمد بن الوليد المتوفي سنة (612هـ/ 1215م)، وتأتي أهمية الدراسة بوصفها محاولة للكشف عن أثره الفكري بغية رسم صورة تاريخية حقيقية عنه، إذ تضمنت الدراسة التعريف به من حيث ولادته ونشأته وجهوده في الدعوة الإسماعيلية، ودوره في تولي منصب الداعي المطلق فهو خامس الدعاة الطيبين في بلاد اليمن، فأن طبيعة عمله الذي جعله يتولى أمر الدعوة والدعاة في اليمن يعد عنصراً أساسياً في مكانته الفكرية، وتطرقت الدراسة إلى مؤلفاته الفكرية والعقائدية التي وضحت لنا معرفته التامة بأصول المذهب الإسماعيلية وعقائدهم الدينية فضلاً عن التكلم عن الأثر الفكري للداعي مما جعله أحد الدعاة البارزين في الفكر الإسماعيلي الذي تميز بالدقة والنظام.

الكلمات المفتاحية: الداعي، ابن الوليد، الإسماعيلي، الفكر

Ismaili preacher Ali bin al-Walid (d. 612 AH/1215 AD) And its intellectual impact in Yemen

Inst.prof. Zahraa Kazem Laibi

zahraakadhim454@gmail.com

University of Baghdad , College of Islamic Sciences

Abstract

The investigation strives to elucidate the life of a prominent individual who played a crucial role in the intellectual development of the Ismaili movement in Yemen, namely Da'i Ali bin Muhammad bin al-Walid, who passed away in 612 AH / 1215 AD. The significance of this research lies in its endeavor to uncover his intellectual influence in order to present an accurate historical depiction of him. A comprehensive overview of his background, upbringing, contributions to the Ismaili Da'wah, and his leadership as the Da'i al-Mutlaq, the fifth among the Tayyibi Da'is in Yemen, is provided in this study. His pivotal role in overseeing the Da'wah and Da'is in Yemen is deemed crucial to his intellectual eminence. Furthermore, an examination of his intellectual and doctrinal writings illustrates his profound understanding of the Ismaili sect's principles and religious doctrines, along with an analysis of his intellectual legacy, positioning him as a distinguished figure in Ismaili thought distinguished by meticulousness and structure.

Keywords: the preacher, Ibn al-Walid, the Ismaili, thought

المقدمة:

تتناول هذه الدراسة الداعي الإسماعيلي الطيبي علي بن محمد بن الوليد (ت: 612هـ/ 1215م) وأثره الفكري في اليمن، إذ ينتمي هذا إلى الداعي إلى أحدى الدعوات الإسماعيلية التي أنتقلت إلى بلاد اليمن، والتي تعرف بالدعوة الطيبية نسبة للإمام الطيب بن الخليفة الآمر بأحكام الله (ت: 524هـ/ 1129م)، وتأتي أهمية الدراسة عن طريق تسليط الضوء على الداعي الطيبي الإسماعيلي ابن الوليد، وأثره الفكري في الدعوة بكونه خامس داعي مطلق من سلسلة الدعاة المطلقين في اليمن، إذ أصبحت مصنفاته من الركائز التي أستند عليها الفكر الفاطمي الطيبي عن طريق نشر ثقافة المذهب الإسماعيلي، فهو عالماً ومفكراً بعقائد الإسماعيلية وتعاليمها

وأصولها، وعارفاً بتفسيرا أحاديثهم وتأويلها حاله حال الدعاة الذين سبقوه في منصب الدعوة، وقد واكب ابن الوليد على نشر المعتقدات الإسماعيلية، والمصارف الفكرية والدفاع عنها.

يهدف البحث إلى دراسة الداعي ابن الوليد ومعرفة جهوده في الدعوة الإسماعيلية ومابذله في جانب العلم والمعرفة من خلال ذكر مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة والاطلاع على محتوياتها لمعرفة ماتحويه من مواضيع تخص المذهب الإسماعيلي فضلاً عن الوقوف على الجانب الفكري للداعي لما له من أهمية في رفد الحركة العلمية والفكرية للمذهب الإسماعيلي، لذا أشتمل البحث على أربعة فقرات تضمنت الاولى أسمه وجهوده في الدعوة الإسماعيلية، والثانية خصصت لوفاته، والثالثة بينت مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة، أما الرابعة فجعلت لأثره الفكري.

1- أسمه ودوره في الدعوة الإسماعيلية:

هو علي بن محمد بن الوليد الأنف[*] (وهو لقب جده إبراهيم ظغذ لقب بـ(الأنف)، "التقدمة على أضرابه تقدم المارن على الوجه".) (الهمداني والجهيني، 1986م، صفحة 284) العبشمي القرشي، ولد في سنة (522هـ/ 1128م)، إذ ينحدر من اسرة عريقة ومعروفة بإخلاصها للأئمة الفاطميين (الداعي البرهانبوري، 1999، صفحة 83)، فهو ابن عم الداعي علي بن الحسين[*] (ت 554هـ/ 1159م) (كان هذا الداعي من أسره آل الوليد، وقد جعله الداعي ابراهيم بن الحسين الحامدي (ت: 557هـ/ 1161م) مأذوناً له، فكان له معاضداً على امره، قائماً بنشر الدعوة سراً وجهراً، وكانت وفاته في سنة (554هـ/1157م)) (الداعي البرهانبوري، 1999، صفحة 74) (الهمداني والجهيني، 1986م، صفحة 271).

كما أن جده ابراهيم بن ابي سلمة كان من ضمن الوفود الذي أرسلهم الداعي علي الصليحي[*] (هو ابو الحسن، علي بن محمد بن علي الصليحي، أحد من ملكوا اليمن عنوة بالحزم والقوة، ولد في مدينة (قئز) من اعمال حراز، ونشأ في بيت علم وسيادة فقيهاً تواقاً للرياسة، حكم بلاد اليمن في سنة (453هـ/ 1037م) بأعتباره نائباً عن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله) (الحمزي، 1992، الصفحات 76-78) إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله [*] (هو ابو تميم معد بن علي الظاهر لأغراز لدين الله، وكانت مدة خلافته ستين سنة (427هـ- 487هـ/ 1035-1094م)، ولايعلم الاسلام خليفة ولاسلطان تولى هذه المدة غيره) (ابن خلكان، د.ت، صفحة 229)، فلما مثل بين يدي الخليفة تكلم بأسلوب أعجب الحاضرين مما أبان بأنه رجل اديب ومهذب، ثم أذن له بالأنصراف إلى البيت الذي جهز له للأقامة به، فأصيب بمرض وطلب من الخليفة الدعاء له بالشفاء، فأرسل اليه الخليفة وعاء وفيه ماء قرأ عليه كلمات الشفاء، وعندما شربه تعافى، فضل ابراهيم مخلصاً للفاطميين إلى أن توفى (الداعي البرهانبوري، 1999، صفحة 84).

أن عمل الداعي علي بن محمد بن الوليد في الدعوة الإسماعيلية في اليمن بدأ في سنة (584هـ/ 1188م) عندما تولى رتبة المأذون[*] (وهي من مراتب الدعوة الاسماعيلية، وصاحب هذه الرتبة غير مأذون بمفاتحة أحد أو مناقشة أي فرقة أو السفر إلى منطقة أو بلد إلا بإذن داعي الدعاة) (الجلي، 2010م، صفحة 72) للداعي المطلق علي بن حاتم الحامدي[*] (وهو من الدعاة الاسماعيلية في اليمن الذي تولى أمر الدعوة للفترة (596-605هـ/ 1199- 1208م)) (الداعي البرهانبوري، 1999، الصفحات 82-83) إذ كان له مع الداعي حاتم[*] (بن ابراهيم بن الحسين الحامدي الهمداني، قام بالدعوة في اليمن بعد وفاة ابيه، وكان عالماً فقيهاً، كثير الإطلاع والتأليف والأنتاج الأدبي، أما مدة دعوته فكان للفترة (557-596هـ/ 1161-1199م)) (الداعي البرهانبوري، 1999، الصفحات 75-81) (الهمداني والجهيني، 1986م، صفحة 273) وابنه الداعي علي الرتبة السمية واليد الطولى، إذ قال عنه حاتم الحامدي: ((أما شرف النسب فإنه من أشرف أهل الوقت نسباً، وأعلاهم حسباً، وأقدمهم في الدعوة الهادية، وأسبقهم إلى الأفعال المرضية...، وإنهم من أشرف قريش وأعلن العرب من بني عبد مناف بن قصي وأما الطهارة والورع والعبادة والصفة والنسك والولاية والاداب، فلا يقاس أحد به من أهل زمانه، ولذلك أضفت أمر الدعوة الهادية سلام الله على صاحبها في الجزيرة اليمنية إليه)) (الهمداني والجهيني، 1986م، صفحة 284).

وقبل وفاة الداعي علي بن حاتم الحامدي سنة (605هـ/ 1208م) أوصى بأن يتولى منصب الدعوة الإسماعيلية في اليمن الداعي علي بن محمد بن الوليد (العبد الجادر، 2002م، صفحة 71)، فأصبح خامس الدعاة الطيبين في بلاد اليمن وتوابعها ((فأتسقت به أمورها وتحسنت أحوالها)) (الحبشي، 2004م، صفحة 116)، إذ أتخذ مدينة صنعاء (هي أم اليمن وقصرتها وكانت كبيرة، واسمها في الجاهلية أزال وأزال هو والد صنعاء بن ازال بن يقطن، وتعد من أقدم الأرض لأنها أسست على يد سام بن نوح) (المقدسي، 1991م،

صفحة 86) مقراً له، وكان يتنقل بين حصن ذمرمر(*) (يقع في مدينة صنعاء، وكان عامراً مئة سنة إلا انه لحق به الخراب ولم يبقى منه شيء إلا الأطلال) (الأكوع، 1985م، الصفحات 123-124) (ياقوت الحموي، 1979م، صفحة 7) وحصن العروس(*) (وهو من حصون بلاد اليمن، ويطلق على أماكن عديدة منها العروس في بني مطر نقابل حصن كوكبان من جهة الشرق، والعروس أرفع قمة في جبل صبر) (ياقوت الحموي، 1979م، صفحة 112)، وأصبح لأهلها زعيماً ونموذجاً يحتذى به وحصل على دعم السلاطين والزعماء الهمدانيين. (الداعي البرهانبوري، 1999، صفحة 83) (الأعظمي، 1990م، صفحة 232)

كان الداعي علي بن محمد بن الوليد يتمتع بسمعه طيبة وعلم وافر غزير فقد تحسنت أمور الأتباع وأقبلوا عليه من كل حدب وصوب لسماع محاضراته والتزود من علومه، والدراسة عليه (غالب، 1964م، صفحة 408)، إذ ذكر الداعي حاتم بن ابراهيم فضله قائلاً: ((وأما المجد والرياسة، والزهد والسياسة والتخلق بخير الأخلاق والعطاء في سبيل الله، والقيام بأعمال الشريعة، والنهي عن المنكرات الشنيعة، والطهارة والورع والصفة والعبادة والنسك والولاية والأدب والاوصاف المحمودة، فلا يوجد ذلك كله الا فيه، ولا يقاس أحد به، وأعلم أنا إذا طلبنا وجود هذه الخصال، لن توجد بكليتها إلا في الشيخ الحميد علي بن محمد بن الوليد)) (الداعي البرهانبوري، 1999، صفحة 84).

ومن الدعاة الذين عملوا تحت قيادة الداعي ابن الوليد في هذه الفترة الداعي علي بن حنظلة بن ابي سالم المحفوظي الوادعي (ت: 626هـ/ 1228م) (الداعي الطيبي السادس في سلسلة الدعاة المطلقين في بلاد اليمن، تسلم الدعوة بعد وفاة ابن الوليد (612هـ/ 1215م)) (الهمداني والجهيني، 1986م، صفحة 291) (غالب، 1964م، صفحة 379)، والداعي عبدالله بن عبدالله ابي المنصور بن ابي الفتح(*) (وهو الذي أوكل ابن الوليد إليه مهمة تولي أمر الدعوة في بعض مدن اليمن وهي (مخلاف يحصب، وآصاب، ومخلاف جعفر، ومخلاف مدينة الجند واعمالها، وجبل ذخر، ومخلاف المعاقر، ومخلاف أبين، ومخلاف لحج، وتهامة ومايليها)، وأن أكثر هذه المدن كانت تابعة للشيخ محمد بن أحمد الاحوري) (الداعي البرهانبوري، 1999، صفحة 88).

أما الشيخ محمد بن أحمد الأحوري(*) (هو من مدينة صيهاب، كان له دور في الدعوة أيام الداعي حاتم بن إبراهيم وأبنه الداعي علي، وقد أظهر طاعته لهما، إلا أنه خرج عن مسار الدعوة فقرر الداعي علي الحامدي أبعاده إلا أنه توفي قبل تنفيذ قراره، فلما تولى ابن الوليد أمر الدعوة تظاهر الأحوري بالتوبه، وأخفى النفاق، فضفر ابن الوليد له وابقاه على ماكان عليه، ثم بعد ذلك ابعده من رتبه المشايخ فغضب الاحوري وعاد إلى صيهاب مكان استقراره، أظهر انحراف للدعوة، وأدعى أنه الأحق بقيام الدعوة) (الداعي البرهانبوري، 1999، صفحة 85) الذي أبتعد عن مسار الدعوة وأصبح من أعدائها على الرغم من محاولة كبار أهل الدعوة اقناعه بالتراجع عن رأيه عيثاً، إذ قال فيه الداعي علي بن حنظلة: ((أعلمني أيها الضال الجاهل الأحمق بماذا تستحق الرتب في رتبه مولاك الذي لولاه ماعرفت، ولاقيل لك ذلك؟ أفي الورع والعفة، أم في الزهد، أم في احياء كثير من الليالي بالتهجد والقيام، أم في المواضبة على الصلاة، فروضها وسننها ونوافلها، والصيام، أم في حلمه، أم في ذبه عن حمى الدعوة الهادية بسيفه ولسانه، أم أتيت بعشر العشر مما أتى به من الكتب الجامعة للأسرار الدقائق، المحتوية على فنون الحقائق؟... اعلمني بماذا تماثله؟ أم في خصاله المحمودة وشيمه؟)) (الداعي البرهانبوري، 1999، الصفحات 89-90)

وقد ذكر الشيخ علي بن الداعي محمد بن ظاهر الحارثي في رسالة البيان شعراً أورد فيه حجج ومواعظ لمحمد بن أحمد الأحوري قائلاً: (الداعي البرهانبوري، 1999، الصفحات 90-91)

أتكفر أنعمه السابقات	وبرهانه للبرايا جلي
وتزعم انك كفو له	بأي الفنون أبن ذاك لي؟
أفي حلمه والوقار	في عقله الراجح الأكمل؟
أفي جوده والايادي الجسام	وإطعامه الزمن الممحل؟
ولاتك مدعياً رتبه	فإنك عن ذاك صفر خلي

مما سبق يتبين لنا المكانة العظيمة التي نالها الداعي ابن الوليد، وأن مجالس دعوته لم تذهب سدى بل كان لها دور كبير في حث علماء الدعوة واتباعها في الدفاع عن داعيهم، فتلك الأقوال والأبيات الشعرية تبرهن ذلك.

أعتكف الداعي كغيره من الدعاة على الدراسة والتأليف والدفاع عن الدعوة بالقلم واللسان، إذ تعتبر من أنشط الدعاة في بلاد اليمن، استطاع أن يجمع شمل اهل الدعوة في اليمن ويحصن الأتباع بالمعاقل والحصون الجبلية، إذ قام يجمع التراث العلمي الفاطمي الذي كان مبعثراً في جميع انحاء البلاد وحفظه في أماكن خاصة حتى لاتتسرب اليه أيدي الغزاة (هم الجيوش الأيولبية الذين كانوا داخل بلاد اليمن) الذي كانوا يتصارعون في البلاد. (غالب، 1964م، صفحة 408)

تعتبر هذه الحقبة من أصعب الحقب التي مرت على الدعوة الاسماعيلية إذ لم تجد حليفاً قوياً بعد سقوط الدولة الصليحية (الحبشي، 2004م، صفحة 116)، ومع ذلك أستمر كل من الداعي علي بن الوليد ومأذونه الداعي علي بن حنظلة بأمر الدعوة الى النبي محمد (ﷺ) وأهل بيته الطاهرين، وأصبحت الدعوة في عهده لها شأن كبير، إذ استطاع بالحجة والبرهان، أن يرد على كل من يحاول ان يطعن أو يشوه مذهبه، وهذه الميزة الجدلية العلمية التي اشتهر بها بين الدعاة الطيبين (الداعي البرهانبوري، 1999، صفحة 87).

وقد مدح الشاعر القمي[*] (هو ابو عبدالله الحسين بن علي بن محمد، ولد بمدينة زبيد في سنة (530هـ/ 1135م)، من شعراء الدولة الصليحية في اليمن، كان شاعراً للملك المكرم وزوجته أروى الصليحية، كانت وفاته في سنة (581هـ/ 1185م)) (الاصفهاني، 1964م، صفحة 74)هذا الداعي ونسبه قائلاً: (الهمداني والجهيني، 1986م، الصفحات 284-285)

فيا شبه الخليل ندى وتقوى ... لخالقه وحلماً واعتزاماً
فإبراهيم إبراهيم أضحت ... به صنعاء البلد الحراما
فيا نجل الوليد ورثت مجداً ... من الابآء يتسق انتظاماً
فإن يكن الخليل أتاه وحتى ... فقد أصبحت في العليا إماماً

2- وفاته

اتفق العلماء والمؤرخين القدامى منهم والمحدثين على ان الداعي علي بن الوليد توفي في يوم الأحد السابع والعشرين من شهر شعبان سنة (612هـ/ 1215م)، وكان عمره تسعين سنة، أما أيام دعوته فهي ست سنين وتسعه أشهر وثلاثة أيام. (الداعي البرهانبوري، 1999، صفحة 92) (الأعظمي، 1990م، صفحة 232) (ابن الوليد ع.، 1971، صفحة 6)

3- مؤلفاته

صنف العديد من الكتب والرسائل والمقالات التي كان يدافع فيها عن الدعوة ويشرح عقائدها ومعارفها الفكرية (غالب، 1964م، صفحة 408)، وقد أشر إلى ذلك فرهاد دفتري (دفتري، 2016م، صفحة 74) قائلاً: ((وكتب علي، وهو الأشهر علماً بين دعاة الطيبين، كتباً كثيرة تعتبر ضرورية لفهم العقائد الباطنية (الحقائق) للإسماعيلية الطيبية)).

كانت كتاباته على غرر الدعاة السابقين التي تتمثل بوضع الأسس العلمية للدعوة ويقول الشامي (الشامي، 1987م، صفحة 300)عن ذلك: ((وكان الداعي علي بن محمد بن الوليد القرشي قد شارك الدعاة السابقين أمثال الداعي ابراهيم بن الحسين الحامدي والشيخ محمد بن طاهر الحارثي والداعي حاتم بن ابراهيم، فأضطلع بقسط وافر في وضع الأسس للحركة العلمية داخل منظمة الدعوة وبدل على ذلك مؤلفاته العديدة)).

ولم يقتصر الأمر على تأليفه الكتب فحسب، فهو يعتبر من الشعراء البارزين في عصره، إذ لديه ديوان شعري يتميز بالقوافي العذبة والأفكار الأصيلة التي تدل على معرفته بفن الشعر فيقول: (ابن الوليد ع.، تاج العقائد ومعدن الفوائد، 1982م، صفحة 8)

ما العمر أن طال للإنسان أوقصرا ... بنافع في غدٍ أو دافع ضرراً
ولاحياة الفتى تغنى اذا هو لم ... يكن بها قاضياً في دينه وطرا
فأن يمت جاهلاً ماذا أريد به ... فالحقيقة في الدارين قد خسرا
فلينئبه كل ذي نفس تريد لها ... تخلصاً وليجد في امره النظرا
ويتخذ زاده التقوى لمرجعه ... ليحرز النصر في عقباه والظفرا

أما مؤلفاته فهي معظمها جاءت في العقائد الإسماعيلية وهي كالتالي:

أ- المطبوعة:

1. **تاج العقائد ومعدن الفوائد**[*] **(قام المستشرق الروسي أيفانوف بترجمة بعض الفصول من هذا الكتاب الى اللغة الأنكليزية وضمها إلى كتابه):** يتكون هذا الكتاب من مائه مسألة فلسفية، وجعلها ممثولة لأسماء الله الحسنى التسعة والتسعين (ابن الوليد ع.، تاج العقائد ومعدن الفوائد، 1982م، صفحة 5)، وكانت هذه المسائل تناول فيها أسس العقائد الإسماعيلية في بلاد اليمن. (العبد الجادر، 2002م، الصفحات 71-72)

وقد وصف عارف تامر هذا الكتاب بالأعتدال بقوله: ((فالكتاب يعبر عن نفسه ويمثل أصدق تمثيل الاعتدال في العقائد الإسماعيلية وهذا المبدأ سار عليه دعاة العصر الفاطمي)) (ابن الوليد ع.، تاج العقائد ومعدن الفوائد، 1982م، صفحة 6)، وفي موضع أخر قائلاً: ((سيكون هدفاً للخبراء والعلماء بأعتباره يؤلف الاعتدال، ولغته سهله ممتنعه، ويسهل فهمه بالنسبة للمبتدئين)) (ابن الوليد ع.، تاج العقائد ومعدن الفوائد، 1982م، صفحة 7).

وقد حث ابن الوليد (ابن الوليد ع.، تاج العقائد ومعدن الفوائد، 1982م، صفحة 17) في كتابه هذا دعاة المذهب الإسماعيلي وأتباعهم بضرورة الحفظ والالتزام بما جاء به من العقائد الإسماعيلية قائلاً: ((فهذه المعتقدات توجب على الداخل إلى هذا المذهب التزامها وحفظها، ليكون مانبينه في كشف مانريد كشفه على هذه الأصول، فأنها قواعد الدين، ومعارف المحققين، وما وجد خارجاً عن هذه العقيدة، أو بعكسه فأنما هو اختلاف على هذا المذهب، وتشنيع أربابه، وقصد في أذية الاخيار القائمين بأوامر الله وطاعة رسوله، وولي امره في أرضه، وشاهده على خلقه)).

2. **تحفة المرتاد وغصة الأضداد:** وهو عبارة عن رسالة قصيرة جاء بها رد على الفرقة المجيدية وإثبات إمامه الطيب بن الخليفة الأمر بأحكام الله وسلسلة الإمامة، وفيه أيضاً وصفاً لعلم الحقائق (غالب، 1964م، صفحة 409) (السبحاني، د.ت، صفحة 315)، وتتكون من ثلاثة أبواب، أما سبب تسميتها فيشير إلى ذلك ابن الوليد (ابن الوليد ع.، تحفة المرتاد وغصة الاصداد، 2006م، صفحة 173) قائلاً: ((ووسمتها بتحفة المرتاد وغصة الأضداد لكونها تحفة الولي الراغب وغصة الشقي المناصب)).

3. **جلاء العقول وزبدة المحصول:** وهي رسالة تنقسم إلى ثلاثة أبواب تحتوي على ثمانية وعشرين فصلاً، الباب الأول في التوحيد والخلقة الجسمانية وكيفيتها، والباب الثاني في الخلقة النفسانية وكيفية تربيتها، والباب الثالث في تسلسل الولادة الدينية وتأويل بعض الآيات من القرآن يتضمن ذكر الثواب والعقاب. (ابن الوليد ع.، جلاء العقول وزبدة المحصول، 1958م، الصفحات 93-150)

4. **دامغ الباطل وحتف المناضل:** يعطي هذا الكتاب صورة واضحة جلية عن الجدل الديني، والنقاش المذهبي الذي كان يدور على مسرح العالم الإسلامي، إذ يعتبر كتاب (دامغ الباطل) من المصنفات الإسماعيلية النادرة المفقودة الجديرة بالدرس والأهتمام، فهو بالأضافة إلى كونه في الرد على ابي حامد الغزالي (محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، لقبه حجه الإسلام، وهو من فقهاء الشافعية، نشأ في بلاد فارس بمدينة طوس، وكان من أشهر الفلاسفة، توفي في سنة (505هـ/ 1111م)) (ابن خلكان، د.ت، الصفحات 216-218) (الصفدي، 2000م، صفحة 211) في كتابه (فضائح الباطنية) يضم بين دفئيه وجهات نظر وآراء إسماعيلية في الكثير من المواضيع الفقهية والفلسفية (والعرفانية) التي ترتكز عليها الدعوة الإسماعيلية في معتقداتها الدينية (ابن الوليد ع.، دامغ الباطل وحتف المناضل، 1982م، صفحة 15)، ويتألف هذا الكتاب من مجلدين شرح فيهما المؤلف المنطقات العقائد الإسماعيلية في اثني عشر باب. (ابن الوليد ع.، دامغ الباطل وحتف المناضل، 1982م، صفحة 18)

5. **الذخيرة في الحقيقة:** أحتوى هذا الكتاب على (34) فصلاً يتناول فيها المبدأ والمعاد، وأصل الموجودات ونشأة العوالم من العقول والأرواح والأجرام والأجسام، كما تضمن النهايات لكل الأحياء، حساباً وعقاباً، إلى ظهور قائم القيامة حيث يتم الحساب والجزاء (ابن الوليد ع.، 1971، صفحة 5)، فهذا الكتاب شمل مختلف العقائد الإسماعيلية التي تفردوا بها عن جميع المذاهب الإسلامية الأخرى إذ يعتبر من أمهات الكتب في هذا الفن.

6. **رسالة الإيضاح والتبيين في كيفية تسلسل ولادتي الجسم والدين:** وهي جاءت في علم المبدأ والمعاد، وإثبات إمامه الطيب بن الخليفة الآمر بأحكام الله. (ابن الوليد ع.، رسالة الإيضاح والتبيين في كيفية تسلسل ولادتي الجسم والدين، 2006م، الصفحات 149-169)

7. **رسالة في معنى الاسم الأعظم:** وهذه الرسالة كغيرها من الرسائل الإسماعيلية التي جاءت على صورة جوابات على اسئلة المريدين حول مسائل عديدة، وأختصت هذه الرسالة بجواب الداعلي ابن الوليد عن سؤال يبحث به عن الحروف المكنى عنها بالأسم الأعظم (ابن الوليد ع.، رسالة الأسم الأعظم، 2006م، صفحة 183)التي جاءت على شكل رموز. (سوف نتكلم عنها في الصفحات القادمة بشكل مفصل)

8. **مختصر الأصول وزبدة المحصول:** يبحث الداعي ابن الوليد في مؤلفه هذا في اختلاف مقالات الفرق (ويقصد بها الفرق الحشوية وأمثالهم من الجبرية، وكذلك أصحاب الرأي من المعتزلة والزيدية) المختلفة في الإسلام إذ يتضمن أربعة أبواب كل باب منها يتضمن عدة فصول لشرح المقالات وكيف انقسمت فيما جاء به النبي محمد (ﷺ) وكيف أنقسامها على الاختصار جملاً دون الفروع، وفي الرد على معطلي الشرائع من الفلاسفة والزنادقة والملاحدة ومن يجمعهم القول بإبطال ماجاءت به الرسل صلوات الله عليهم والتكذيب لما وعدوا من الثواب وأوعدوا من العقاب. (ابن الوليد ا.، مختصر الأصول وزبدة المحصول، 2020م، صفحة 5)

ب- المخطوطة:

هناك العديد من المؤلفات المخطوطة للداعي ابن الوليد التي لم ترى النور الى الأن منها: (الرسالة المفيدة في إيضاح ملغز القصيدة) وهي شرح قصيدة النفس لابن سينا (هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي، الملقب بالشيخ الرئيس، ولد سنة (370هـ/ 980م) في بخارى، وكان والده من كبار داعة الإسماعيلية، كان ملماً بكل العلوم من أدب وفقه ولغه ومنطق وطبيعيات فضلاً عن الطب، توفي في سنة (428هـ/ 1037م) في همذان) (ابن خلكان، د.ت، صفحة 157) (غالب، 1964م، صفحة 254)، و (رسالة لب المعارف) وهي سبع مسائل مختلفة تناول فيها مسائل عن القائم والشريعة والصورة والعقل الأول، وعن السموات والأرض، وعن الإمام وحدودة وعن النطقاء (الإسماعيلي، 1966م، صفحة 346) (غالب، 1964م، صفحة 410)، وكذلك لديه (الرسالة الموسومة ملهمة الأذهان ومنبهة الوستان) المكونة من اثني عشر فصلاً، و(رسالة لباب الفوائد وصفو العقائد) في المبدأ أو المعاد. (الحبشي، 2004م، صفحة 116)

وكتاب (ضياء الألباب المحتوي على المسائل والجواب) ويشتمل على اثنين وثلاثين مسأله والجواب عنها، ويتضمن الكتاب على بيان التوحيد والإبداع والسابق والتالي ومعرفة الابتداء والانتهاء ودوري الكشف والستر وماشاكلها من مسائل علم الحقائق الخاصة بالدعوة (الهمداني والجهيني، 1986م، صفحة 291).

وكتاب (مجالس النصح والبيان) الذي يتضمن أربعين مجلساً، ويسمى ذلك لأن كل مجلس يبدأ بالنصيحة أولاً ثم البيان الذي هو جوهر الموضوع، ويشمل البدء والانتهاء ومسائل علم الحقيقة الأخرى، والدعاء والمناجيات لله وتفسير آيات من القرآن الكريم (الهمداني والجهيني، 1986م، صفحة 290).

وأيضاً له مجموعة شعرية في ديوانه الذي أحتوى مدائح الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي وأستاذه الشيخ محمد بن طاهر الحارثي، وفيه مديح الأئمة وإمام زمانه الطيب بن الآمر بإحكام الله، وفي أجوبة الكتب المرسلة من أهل الدعوة وفي المراثي وغيرها. (غالب، 1964م، صفحة 409)

وله بحوث ورسائل أخرى مثل (رسالة ملحقة الأذهان)، و (الايضاح والتفسير في معنى يوم النذير)، و (نظام الوجود في ترتيب الحدود)، و (مجالس الناس والبيان). (الأعظمي، 1990م، صفحة 233)

كانت هذه هي مؤلفات الداعي ابن الوليد التي كتبها خلال حياته الطويلة التي قضاها في خدمة العلم والمعرفة، وتمتاز مؤلفاته بالمعرفة التامة بأصول المذهب الذي يعتنقه، ولاتزال هذه المصنفات من أهم الكتب الدينية المحفوظة في خزائن الطائفة الإسماعيلية في اليمن والهند.

4- أثره الفكري:

أحتل الداعي علي بن الوليد مكانه علمية متميزة، وكان له أسلوب دقيق جعله يقف أما أشهر شخصيات زمانه ويرد عليه بالحجج والأدلة.

أن المناقشات الكلامية والجدل كان السلاح الوحيد الذي تشهره الأنظمة والمدارس الفكرية الإسلامية على بعضها البعض، ولاسيما الإسماعيلية التي كانت تتمتع بنظام فكري صال وجال على مسرح العالم الإسلامي حاملاً معه سلاح العلم والفلسفة، وأن الداعي علي

بن الوليد كان قدوة هذا النظام بما يتمتع به من أسلوب حاذق وسرعة البديهية في الرد على خصومهم من أصحاب الفرق الأخرى، وأثبت جدارته في إن يحتل مكانه مرموقة بين العلماء عصره، فكان المثل الأعلى الذي سار على نهجه وخطاه الدعاة الإسماعيليين الذين جاءوا بعده وتولوا أمر الدعوة الإسماعيلية في اليمن.

أن أهم جدل فكري قام الداعي ابن الوليد خوضه في مضمار العقائد الإسماعيلية والدفاع عنها، هو رده على ابو حامد الغزالي وناقش كتابه (فضائح الباطنية) (صنف هذا الكتاب بناء على طلب الخليفة العباسي المستظهر بالله (487-512هـ/ 1094-1118م) فصرح بذلك الغزالي قائلا: "حتى خرجت الأوامر الشريفة المقدسة النبوية المستظهرية بالاشارة إلى الخادم في تصنيف كتاب في الرد على الباطنية على الكشف عن بدعهم وضلالاتهم") (الغزالي، 1964م، الصفحات 12-13) فقرة فقرة، وأجاب على تساؤلات الغزالي بأسلوب دقيق لايخلو من البداعة في الرد العلمي الصحيح، ومن التجرد والنزاهة في إيراد بعض الآيات والنصوص التي يرد فيها على إتهامات الغزالي، فهو يقارع الحجة بالحجة المنطقية الواضحة السهلة الإفحام، مما يدل على غزارة معارفة وطول باعة في مضمار العلوم العقلانية التي تسلط الأنوار الساطعة على الكثير من الحقائق المغمورة بأبعادها الباطنية الفكرية السائقة للعقول، كأنها مرآة صادقة لذوقه الرفيع، وتجاربه الفكرية التي أكسبته خبرة واسعة في مجال المعرفة، والعبقرية البيانية الصادقة، وقد خصص كتابه (دامغ الباطل وحتف المناضل) للرد على الغزالي. (ابن الوليد ع.، دامغ الباطل وحتف المناضل، 1982م، صفحة 15)

وقد حشد الداعي ابن الوليد في مناقشاته ورده على الغزالي الكثير من النظريات المعروفة لدى الإسماعيلية، ودعمها بالآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة المروية عن النبي محمد (ﷺ)، وعن ابنائه من الأئمة الأطهار، مما جسد المعتقدات الإسماعيلية الصحيحة، وأعطى الدليل القاطع على كذب وزيف ماذكره الغزالي، كما أن ماكتبه هو ما أملته عليه الظروف السياسية آنذاك. (ابن الوليد ع.، دامغ الباطل وحتف المناضل، 1982م، الصفحات 29-30)

فأن الإسماعيلية التي تجسدها الخلافة الفاطمية في المغرب ومصر واليمن، كانت رائدة للحركات الباطنية الدينية والسياسية، وبما تملكه من معطيات عقلانية وسياسية وفكرية، لذلك لاتستغرب إذ وجدناها تتحرض إلى الحملات العنيفة التي شنها العباسيون عليها في مختلف الميادين الفكرية والعقائدية والشخصية، معتمدين على شراء الضمائر، وتقديم الهدايا والأموال والمناصب، لكل من يتصدى لإيقاف هذا التيار الفكري الذي أخذ ينشر بسرعة بأنتشار النار في الهشيم، وهذا ماحدث بالضبط عند تحريضهم وطلبهم من الغزالي بتأليف كتاب ضد الإسماعيلية للأنتقاص والطعن بعقائدهم، فأن الغاية المتوخاة من كتابه (فضائح الباطنية) هي إرضاء من بيدهم السلطة، وليس لخدمة العلم والحقيقة.

وقد ذكر ابن الوليد (ابن الوليد ع.، دامغ الباطل وحتف المناضل، 1982م، صفحة 29) ذلك قائلاً: ((أما بعد فأنا وفقنا على كتاب يوسم بالمستظهري منسوب إلى ابي حامد محمد بن محمد الغزالي ضمنه بزعمة ذكر فضايح الباطنية، وفضائل المستظهرية، أورد فيه من الاستهزاء بالحق والطعن على أرباب الصدق، والتعصب للباطل واتباعه، والمعاضدة للشيطان واشياعه، ماتعين علينا به فرض اجابته،... والذب عن اعراض الغرة المصطفاة الطاهرة، والدفاع عن الدعوة الغبراء الزاهرة)).

وقد وصف ابن الوليد الغزالي بأنه مارق وخارج عن الاسلام لأنه قام بنفي الوسائط ويقصد بذلك النبي أو الوصي أو للإمام الذي هو واسطة بين الإنسان وخالقه وقد أشار إلى ذلك قائلاً: ((أنه نشأ أولاً على ملة الإسلام، إذ كل مولود يولد على فطريته كما اخبر بذلك النبي عليه السلام وعلى آله أفضل السلام، ثم مرق عنها الى التفلسف قولاً بنفي الوسائط، من نبي أو وصي أو إمام واعتماداً على مايهواه عقله استغناء به عمن يحل هداه من عقول البشر محل الأنوار السماوية من الابصار التي بحصولها لها يحصل درك حقيقة الأبصار وبعدها أياها تقدم أدراك مبصراتها، لغروب تلك الأنوار فسمي لمروقه عن الإسلام، وميله عن سنن الهدى مارقاً ملحداً)). (ابن الوليد ع.، دامغ الباطل وحتف المناضل، 1982م، صفحة 33)

ولم يقتصر النشاط الدعوتي الفكري لأبن الوليد في الرد على الخصوم فحسب، بل كان كغيره من الدعاة الإسماعيلية يجيب أتباعهم على الكثير من المسائل الدينية، على سبيل المثال لا الحصر أجابته على سؤال يخص أحد الأتباع حول رموز يشير العلم الباطن لدى الإسماعيلية بأنها تعنى أسم الله ﷻ، وقد أشار إلى ذلك قائلاً: ((نبحث عن الحروف المكنى عنها بالأسم الأعظم، وهي () التي وصفها الحكيم بقوله، وهو ثلاث عصي صفقت بعد خاتم على رأسها مثل السنان المقوم، وميم طميس أبتر، ثم سلم إلى كل مأمول وليس بسلم وأربعة مثل الأصابع صفقت، تشير الى الخيرات من غير معصم وهاء و واو نكس الخط رأسه كأنبوب حجام وليس

بمحجم فياء حامل الأسم الذي ليس مثله توق به كل المكاره تسلم، فذلك أسم الله ﷻ إلى كل مخلوق فصيح وأعجم)). (ابن الوليد ع.، رسالة الأسم الأعظم، 2006م، صفحة 183)

فرد ابن الوليد أن هذه الحروف أو الرموز تعبر عن قول: ((الله لا إله إلا هو)) وذلك أن الثلاثة الخطوط المسماة (بالعصي) مع الخاتم السابق عليها ( )، وكان الميم الطميس (م) الأبتر كحرف النفي وهو لا، وكان السلم وحرفان من الأربعة الخطوط ( ) كحروف اله، وكان الخطان الآخران ( ) أحدهما: كالألف والثاني: كلام ألف المركبة من حرفين الكائنة بعد التركيب حرفاً واحداً مجموع ذلك إلا، وكان الهاء والواو ( ) كلمة هو فصح إن ذلك: (الله لا إله إلا هو) فعبرت هذه الحروف عن أسم الله تعالى وتوحيده تأويلاً ومقابلة)). (ابن الوليد ع.، رسالة الأسم الأعظم، 2006م، صفحة 184)

تعتبر (الإمامه) من أهم العقائد عند الشيعة عامة والإسماعيلية خاصة، فهي قطب الدين وأساسه وأصل من أصول الإسلام وإحدى دعائمه، فهي الأساس الذي ترتكز عليه عقائد الشيعة على اختلاف فرقهم فلا دين عندهم لمن لايعتقد امامة الأئمة المنصوص عليهم من أهل البيت (3)، ولايقبل الله عمل مسلم أن لم يعتقد ويؤمن بولايتهم ويطعهم مثل طاعتهم للنبي محمد (ﷺ). (القاضي النعمان، د.ت، صفحة 19)

لذا فأن الإسماعيليون لايجيزون اجتماع إمامين في عصر واحد، وابن الوليد أكد على ذلك قائلا: ((لما كان النبي (ﷺ) قائماً بهداية الخلق وتعليمهم كما سبق له منا القول، ولامشارك له في عصره، بل هو الحاكم في جميع اتباعه بما أمره الله، وجب ان يكون خليفة القائم مقامه في هداية أتباعه وحفظ دينه واحداً في عصره لايشاركه في الحكم بمافوض إليه من أمر الدين مشارك، بل له رتبة الوحدة في ذلك، ولوكان جائز حصول إمامين في عصر واحد مفوض الحكم إلى كل واحد منهما لأمكن اختلافهما فيما يحكمان به في دين الله، وإذ اجاز منهما الأختلاف انسد طريق الرشاد على التابعين لهما فلهذا وجب أن تكون رتبة الإمامة محفوظة بالوحدة والتفرد بالحكم والأمر ليعم الأئتلاف)) (ابن الوليد ع.، دامغ الباطل وحتف المناضل، 1982م، الصفحات 160-161)، لذا فأن حقيقة إن لايكون إمامان في عصر واحد الهدف منها أن لايكون الأمر والحكم في دين الله إلا لإمام واحد وعلى الآخر الرضى والقبول والتسليم بذلك من أجل التقوى ومراعاة دين الله. (ابن الوليد ع.، دامغ الباطل وحتف المناضل، 1982م، صفحة 161)

ونجد أن ابن الوليد يرفع الإمامه إلى منزلة النبوة والوصاية ويجعلها وراثة لها فأن متولي الإمامة هو وارث النبي (ﷺ) بكل صفاته الحسنة، وعلومه، وميزاته التي خص الله بها وجعله يعلو بها عن سائر خلقه، وقد أشار إلى ذلك قائلاً: ((وهما اقرب الأشخاص "الامام والوصي" إلى النبوة في نسبة النفس، والجوهر، والطبيعة، لانهما كان معلمان للهداية، فلما علما أن العالم محتاج إلى التعليم، نصبا شخصية الإمام عنهما في العالم، وأورثاها معاني علومهما، لتكون محفوظة على طالبها، فهو يرث من النبوة الظواهر والأحكام، وجري الامور على ماعمله من النظام، ومن صاحب الوصاية المعاني التي ورثها عن النبوة ليكون الكمال موجود لقاصده ومسلم في شريعته التي جعلها عصمة لمن التجأ اليها، وطهارة لمن التزم قوانينها، وسار على محجتها، فتسلم له دنياه، ويفوز في عقباه بالتجائه إلى من عنده علم النجاة)). (ابن الوليد ع.، تاج العقائد ومعدن الفوائد، 1982م، الصفحات 66-67)

ويرى ان (الوصايه) تنتهي بعد رحيل الوصي الذي وضعه النبي (ﷺ) بعده، واستحالة قيام وصي ثاني غيره، وهذا ما ذكره قائلاً: ((أن الوصي انما يوصيه الرسول على معالم شريعته، واسرار ملته، وعيون هدايته، وحقيقة أقواله، وحفظ أسراره، فإذا قام بها، ومضى إلى دار كرامته، استحال قيام وصي ثانٍ بعده، لأن الشريعة لم تتغير ولاذهبت فتأتي أوامر جديدة تحتاج الى من يوصي يحفظها، والقيام بمعانيها، وضبط أحوالها)). (ابن الوليد ع.، تاج العقائد ومعدن الفوائد، 1982م، صفحة 68)

ويوضح ابن الوليد عقيدته في (التوحيد) ويصفه بأنه تاج العقول الذي يتضمن الأصول والمعارف، ولا يستطيع أحد معرفة أهميته ومنزلته إلا إذ جاء يوم القيامه بعمل صالح (ابن الوليد ع.، 1971، صفحة 22)، فأن الله سبحانه وتعالى هو عالم الغيب سبحانه الذي يستحق أشرف الأسماء وأعلاها، خالق الموجودات التي كلها له عابدة، وعليه معتمدة، والعارف بحقيقة المعرفة، لذا "يشار بالتوحيد اليه، ويوقع أسم الألهية عليه، هو أسيف السابقين... فحقيقة التوحيد منصرفة إليه، إذ ليس من جميع الخلقة من هو عال عليه، له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، فسبحان من أبدعه وأعلاه، ولا إله إلا هو"، (ابن الوليد ع.، 1971، صفحة 23) وأن اول دعوة دعا اليها النبي (ﷺ) هي الشهادة والاقرار بالوحدانية، لأن الأقرار بالوحدانية يتقدم على الاعتراف بالرسالة. (ابن الوليد ع.، تاج العقائد ومعدن الفوائد، 1982م، صفحة 22)

أما (المعجزات التي يأتي بها الرسل) إذكر إن هذه المعجزات في وقت ظهور الشرائع من الرسول حقيقية، وقد قسم المعجزات إلى ثلاثة أقسام هي: ((الأول: خرق العادة في تكوين العالم بظهور مايعجز العقل عن وجوده من الأمور الطبيعية...، والثاني: مايأتي به الشخص المبعوث من النطق المنسوب الى من اظهر له المعجزات، واعجز كافة اهل الدور عن الاتيان بمثله...، والثالث: جمع الفضائل الموجودة في اشخاص العالم فيه حتى لايوجد فوق كماله كمال في وقته، وبروز ماينطق به محرر غير محتاج إلى تعقيب وروية، وعظيم اجتهاده فيما يأمر به، وشدة نفوره عما ينهي عنه)). (ابن الوليد ع.، تاج العقائد ومعدن الفوائد، 1982م، صفحة 97)

كما أن الداعي ابن الوليد جعل (الشريعة مطابقة وموافقة للحكمة) فالفلسفة العقلية والحكمة الشرعية سواء، لأن الله سبحانه وتعالى خلق في عباده حكماء وعقلاء، ويستحيل أن يشرع الله شريعة دون حكيم عاقل، ((ولايبعث برسالته وشرعه إلا حكيماً عاقلاً مدركاً مبيناً لما تحتاجه العقول، ويكلف لها مايسعدها، ويقوي نورها، ويعظم خطرها))، وأن المشرع عندما يضع أحكام شريعته وعباداتها من الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج وغيرها، فهي تكون مضمنة للأمور العقلية والأحكام والمعاني الألهية، فالظاهر منها يكون لظاهر الجسم، والباطن منها هو للعقل والنفس، فإذا حقق المشرع هذه الأمور تكون معتقداته سالمة. (ابن الوليد ع.، تاج العقائد ومعدن الفوائد، 1982م، صفحة 101)

وجعل الداعي (العقل الغريزي آله النفس لتصيد العالم) أي أن العقل الغريزي آله المعرفة، لتصيد النفس المعارف في الدينا والدين، كالسيف الذي هو آله للقتل، ثم لايقتل نفسه، كذلك العقل لايعرف الأشياء، ولكنه آله للمعرفة التي تأتيه بواسطة التعليم والهداية (ابن الوليد ع.، تاج العقائد ومعدن الفوائد، 1982م، صفحة 160)، إذ قوله تعالى: ((مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)) (سورة الأعراف , الاية178) ، فالتوفيق هو فضل من الله فإذا اصحب العقل للنفس عرف الحق، وهذا التوفيق لايكون إلا لأهل الإيمان الذي هو الهدى المؤدي الى النفس بهذه الآله من صاحب الشريعة، أو من يقوم مقامه في الامة لتبليغ ما أمر الله به لنفع البشر، ونيل السعادة. (ابن الوليد ع.، تاج العقائد ومعدن الفوائد، 1982م، صفحة 160)

أما ما يتعلق (بالزكاة) فالداعي ابن الوليد ذكر بأنها واجبه عند كل عام في موعدها على ماهو مذكور ومروي عند الأئمة (3) من آل محمد (ﷺ)، وأن الله قد فرض في مال الأغنياء حق للفقراء فهو يقوم من الصورة الأدمية مقام الدم الذي به تكون الحياة فمتى ماكان الدم متساوي بالجسم يكون هناك أعتدال وأصبحت الصورة في التمام إما إذا زاد وكثر ولم يخرج منه شيء فسدت الصورة كلها، كذلك الحال بالنسبة للزكاة فإذا اكثر المال في الحد الذي تجب فيه الزكاة فيجب اخراجها منه، وإلا ذهب مالكها، وفسد المال. (ابن الوليد ع.، تاج العقائد ومعدن الفوائد، 1982م، صفحة 139)

أما (الآخرة) فهي دار غير هذه الدار الطبيعية، وهي كما وصفها ابن الوليد: ((مقر الأمور الخالصة المصفاة من شوائب كل الأمور المزاجية الظاهرة المحسوسة، وهي التي لايصل اليها، ولايفوز فيها الإ كل من تخلص من نجاسة المعصية بعد الممات، ولايكاد يظفر بسعادتها إلا الذين زكت نفوسهم، ورجحت عقولهم، وسلموا من الأراء الفاسدة، والأخلاق الذميمة، والاهواء الرديئة، والمعتقدات المضلة... الذين خلصوا وحصلوا على التوحيد الخالص)) (ابن الوليد ع.، تاج العقائد ومعدن الفوائد، 1982م، الصفحات 143-144)، الذين عبر عنهم في القرآن الكريم بقوله تعالى: (يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) (سورة البقرة، الاية179) ، (يَا أُولِي الْأَبْصَارِ). (سورة الحشر، الاية2)

وأن (الحساب والحشر والنشر) فذكر ابن الوليد انه لما قامت البراهين على صدق رسالة الأنبياء، وكانوا قد أتفقوا كلهم واعلموا أممهم التي بعثوا لها أن لهم قيامه، وحشر، ونشر، وجزاء، وحساب، على الخير، والشر (ابن الوليد ع.، تاج العقائد ومعدن الفوائد، 1982م، صفحة 144)، وكان خاتم الأنبياء النبي محمد (ﷺ) قد أخبرهم بذلك استناداً إلى قوله تعالى: ((وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى)) (سورة النجم، الاية 31)، وقوله تعالى: ((وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ)) (سورة الانبياء، الاية 47)، وآيات أخرى كثيرة في القرآن الكريم كلها تدل على الحساب في القيامة وأكد على ذلك النبي محمد (ﷺ)، وكذلك الأئمة (3) من آل محمد (ﷺ) التي تدل على وجود الحساب والحشر والنشر. (ابن الوليد ع.، تاج العقائد ومعدن الفوائد، 1982م، صفحة 145)

وما يخص (الجبر والتخير) يرى ابن الوليد ان الإنسان مجبور بتركيبه ورزقه وحركات طبعه وكيانه، ومايحدث له يكون مغيب عن إدراكه حتى يكون مفتقراً إلى الدعاء، والتضرع إلى الله، إذ لو كشفت هذه الأمور له لفسد حاله، إلا أنه مخير غير مجبور فيما يعتقد لنفسه، من علومه ومهنته، ومذاهبه، ومعتقداته ليعرف الفرق بين نفسه من جهة، وجسمه من جهه أخرى، لذا نجد بعض الأمم أصابتهم الحيرة لأنهم لم يفرقوا بين النفس والجسم، فالنفس بسيطة وحكمها عدم الجبر بل مخيراً بها، أما الجسم مركب وحكمه جبراً وليس أختياراً، وقد فضلت النفس على الجسم لأنه بها يكون الأنسان مفكراً لأختياره، إذ أن الله خلق صوراً للأجسام وأجبرها على قبول صورها جبراً، وخلق النفس الناطقة وجعلها لاتقبل صورتها مكرهة عليها. (ابن الوليد ع.، تاج العقائد ومعدن الفوائد، 1982م، صفحة 167)

مما سبق تبين الدور الكبير الذي قام به الداعي ابن الوليد إذ أستطاع أن يفلسف المذهب الإسماعيلية على ضوء أصول المنهج الفكري الذي اعتمد به على العقل من جهة والدلائل الدينية من جهة اخرى، إذ ظل الإسماعيلية في اليمن يحذون حذوه وينهجون نهجه في القرون اللاحقه، إذ كانت فلسفته هذه هي بمثابه الأساس الذي سار عليه الدعاة الإسماعيلية إذ بقي منصب الداعي المطلق محصوراً في ذريته مدة تقرب من ثلاثة قرون. (دفتري، 2016م، صفحة 74)

فأن من خلال مصنفاته وصلت الدعوة في اليمن إلى درجة كبيرة من النشاط العلمي، وتتميز بالقدرة على المعرفة والتحقيق الذي تضمن الجدية والأبتكار، والمعرفة الكاملة بأصول مذهبه (الشامي، 1987م، الصفحات 302-303)، فكان صحيح الجوارح، ويؤلف الكتب، ويخترع الخطب، ويقوم بالعبادة وتعليم أهل الأستفادة. (الداعي البرهانبوري، 1999، صفحة 92)

الخاتمة

أن من أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث أن الداعي ابن الوليد كان في طليعه العلماء الإسماعيلية الذين جاهدوا وعملوا وكرسوا أنفسهم لوضع قواعد فلسفيه كونية عالمية قائمة على دعائم فكريه عقائدية، وأسس علميه متينة، وعلى ركائز ثابته الأركان لاتتزعزع مهما طرأ عليها من أزمات بل في الواقع من الذين ضحوا بكل مايملكون في سبيل نشرها وتحملها فضلاً عن ذلك فهو من أوائل الدعاة الذين خاضوا النقاشات الفكرية والجدلية ضد خصومهم الذين وصفوهم بالآلحاد كالغزالي الذي يعتبر خير مثال على ذلك، لذا فأن الداعي ابن الوليد أدى آجل الخدمات الفكرية في المجال العلمي، بل هو من عمداء مدرسة الدعوة الإسماعيلية الفكرية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، وقد ظهر أثره الفكري في ذريته الذين تولوا أمر الدعوة بعده، لذلك وضع الداعي ابن الوليد في المرتبة الأولى بين المفكرين المسلمين وعلماء فلاسفة الإسماعيليين المشهورين، كما أنه كان له الفضل الأكبر في وصول الدعوة في اليمن إلى درجة كبيرة من النشاط العلمي والفكري من خلال مصنفاته.

المصادر والمراجع

ابن ابن الوليد. (2020م). *مختصر الأصول وزبدة المحصول*. د.م: تموز للطباعة والنشر والتوزيع،.

ابو حامد محمد بن محمد الغزالي. (1964م). *فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية*. القاهرة: دار القومية.

أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيوت القاضي النعمان. (د.ت). *الهمة في آداب أتباع الأئمة*. القاهرة: دار الفكر،.

ابو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي. (1991م). *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*. ليدن: مطبعة بريل.

احمد بن محمد الشامي. (1987م). *تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي (132-656هـ/ 750-1259م)*. بيروت: دار النفائس.

أحمد محمد أحمد الجلي. (2010م). *الباطنية في التاريخ أصولهم وأهم أفكارهم*. د.م: الكتاب الجامعي.

اسماعيل بن علي الأكوع. (1985م). *البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، ط1،،*. صنعاء: مكتبة الجبل الجديد.

العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن ابن خلكان. (د.ت). *وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان،*. بيروت: دار الثقافة.

جعفر السبحاني. (د.ت). *بحوث في الملل والنحل*. قم: مؤسسة الإمام الصادق (ט).

حسين بن فيض الله وحسن سليمان الهمداني والجهيني. (1986م). *الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (من سنة 268هـ الى سنة 626هـ)*. بيروت: دار التنوير.

دفتري. (2016م). *معجم تاريخ الإسماعيلي*. دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية.

شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله ياقوت ياقوت الحموي. (1979م). *معجم البلدان*. بيروت: دار احياء التراث العربي.

صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي. (2000م). *الوافي بالوفيات*. بيروت: دار احياء التراث.

عادل سالم العبد العبد الجادر. (2002م). *الاسماعيليون كشف الاسرار ونقد الأفكار*. الكويت: سلسلة البحوث والأفكار.

عبدالله محمد الحبشي. (2004م). *مصادر الفكر الاسلامي في اليمن*. ابو ظبي: المجمع الثقافي.

علي بن محمد بن الوليد القرشي ابن ابن الوليد. (1958م). *جلاء العقول وزبدة المحصول*. دمشق: مطبعة الجامعة السورية.

علي بن محمد بن الوليد القرشي ابن ابن الوليد. (1971). *الذخيرة في الحقيقة*. بيروت: دار الثقافة.

علي بن محمد بن الوليد القرشي ابن ابن الوليد. (1982م). *تاج العقائد ومعدن الفوائد*. بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.

علي بن محمد بن الوليد القرشي ابن ابن الوليد. (1982م). *دامغ الباطل وحتف المناضل*. بيروت: مؤسسة عز الدين للنشر والطباعة.

علي بن محمد بن الوليد القرشي ابن ابن الوليد. (2006م). *تحفة المرتاد وغصة الاصداد*. دمشق: التكوين للطباعة والنشر والتوزيع.

علي بن محمد بن الوليد القرشي ابن ابن الوليد. (2006م). *رسالة الأسم الأعظم*. دمشق: التكوين للطباعة والنشر والتوزيع،.

علي بن محمد بن الوليد القرشي ابن ابن الوليد. (2006م). *رسالة الإيضاح والتبيين في كيفية تسلسل ولادتي الجسم والدين*. دمشق: التكوين للطباعة والنشر والتوزيع.

عماد الدين أبو عبدالله محمد الاصفهاني. (1964م). *خريدة القصر وجريدة العصر*. دمشق: المطبعة الهاشمية.

عماد الدين إدريس بن علي بن عبدالله الحمزي. (1992). *تاريخ اليمن من كتاب كنز الأخبار في معرفة السير والاخبار*. الكويت: مؤسسة الشراع العربي.

قطب الدين سليمان بي (ت: 1241هـ/ 1829م) الداعي الداعي البرهانبوري. (1999). *منتزع الأخبار في أخبار الدعاة الأخيار*. بيروت: دار الغرب.

مجدوع الإسماعيلي. (1966م). *اسماعيل بن عبد الرسول الاجيني،*. طهران: مكتبة الأسدي.

محمد حسن الأعظمي. (1990م). *عبقرية الفاطميين اضواء على الفكر والتاريخ الفاطميين*. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.

مصطفى غالب. (1964م). *أعلام الإسماعيلية*. بيروت: دار اليقظة العربية.

Sources and references

❖ The Holy Quran

First: Primary sources

❖ Al-Isfahani, Imad Al-Din Abu Abdullah Muhammad (T: 597 AH / 1311 AD).

-Khreeda Al-Qasr and Al-Asr Newspaper, Investigation: Military Faisal, 1sth, Hashemite Press, Damascus, 1964.

❖ Al-Hamzi, Imad Al-Din Idris bin Ali bin Abdullah (T: 714 AH / 1314 AD).

-The history of Yemen from the book of the treasure of news in the knowledge of biography and news, investigation: Abdul Mohsen Al-Mudajj, 1st, Arab Sail Foundation, Kuwait, 1992.

❖ Ibn Khalkan, Al-Abbas Shams Al-Din Ahmad bin Muhammad (T: 681 AH / 1282 AD).

- The deaths of the notables and the news of the sons of the time, investigation: Ihsan Abbas, Dr. I, House of Culture, Beirut, Dr. T.

❖ The Da'i Al-Burhan Buri, Qutb al-Din Suleiman J (T: 1241 AH / 1829 AD).

- News extract in the news of the good preachers, investigation: Samer Farouk Tripoli, 1st, Dar Al-Maghreb, Beirut, 1999.

❖ Safadi, Salah Al-Din Khalil bin Ebek (T: 764 AH / 1362 AD).

-Al-Wafi in deaths, investigation: Ahmed Al-Ernaout and Turki Mustafa, 1st, Heritage Living House, Beirut, 2000 AD.

❖ Al-Ghazali, Abu Hamid Mohammed bin Mohammed (T: 505 AH / 1111 AD).

-The scandals of esotericism and the virtues of Al-Mustathiya, investigation: Abdul Rahman Badawi, Dr. I, National House, Cairo, 1964.

❖ Judge Al-Numan, Abu Hanifa Al-Numan bin Mohammed bin Mansour bin Ahmed bin Hayoun (T: 363 AH / 973 AD).

- The concern in the etiquette of the followers of the imams, investigation: Mohamed Kamel Hussein, 1st d., Dar Al-Fikr, Cairo, Dr. T.

❖ Al-Maqdisi, Abu Abdullah Mohammed bin Ahmed (T: 380 AH / 990 AD),

- The best division in knowing the regions, 3rd ist, Brill Press, Leiden, 1991.

❖ Ibn al-Walid, Ali bin Muhammad bin Al-Walid Al-Qurashi (T: 612 AH / 1215 AD).

-The crown of doctrines and the mineral of benefits, investigation: Arif Tamer, 2nd, Ezz FoundationReligion for Printing and Publishing, Beirut, 1982.

-The masterpiece of the aposite and the twig of the echos, published in the book of four Ismaili books that cannot be viewed except with the permission of those who have the contract and the solution, about correcting them: R. Schner and Taman, 1sth, Training for Printing, Publishing and Distribution, Damascus, 2006

- The evacuation of minds and the butter of the crop, printed within the book of Ismaili elected, investigation: Adel Al-Awa, 1st, Syrian University Press, Damascus, 1958.

- The falsehood and the death of the activist, presenting and achieving: Mustafa Ghaleb, Dr. I, Ezz El-Din Foundation for Publishing and Printing, Beirut, 1982.

- The ammunition in fact, investigation: Mohammed Hassan Al-Azami, Dr. I, House of Culture, Beirut, 1971.

- The message of the greatest name, published in the book of four Ismaili books that may not be viewed except with the permission of those who have the contract and solution, I mean correct them: R. Shutuman, 1st st., Takweeen for printing, publishing and distribution, Damascus, 2006.

- The letter of clarification and clarification on how the births of the body and religion are sequenced, which was published in the book of four Ismaili books that may not be viewed except with the permission of those who have the contract and the solution, about correcting them: R. Shutuman, 1st st., Takweeen for printing, publishing and distribution, Damascus, 2006.

- Assets Summary and Crop Butter, Investigation and Submission: Amr bin Ma'at Yakrib Al-Hamdani, 1st il., July for printing, publishing and distribution, Dr. A.D., 2020.

❖ Yaqout Al-Hamwi, Shihab al-Din Abi Abdullah Yaqout bin Abdullah (T: 626 AH / 1228 AD).

-Dictionary of countries, d. I, Arab Heritage Revival House, Beirut, 1979.

Second: Secondary references

❖ The greatest, Mohammed Hassan.
- The genius of the Fatimids is a light on the Fatimid thought and history, Dr. I, Publications of the House of the Library of Life, Beirut, 1990.
❖ Elbow, Ismail Ben Ali.
- Yemeni countries at Yaqout Al-Hamwi, 1st, New Mountain Library, Sana'a, 1985.
❖ Gali, Ahmed Mohammed Ahmed.
- Esotericism in history is their origins and their most important ideas, 1st, university book, Dr. AD, 2010.
❖ Al-Habshi, Abdullah Mohammed.
- Sources of Islamic Thought in Yemen, 1st I, Cultural Foundation, Abu Dhabi, 2004.
❖ My notebook, Farhad.
- Ismaili History Dictionary, Translation: Saif Al-Din Al-Qusayr, 1st, Dar Al-Saqi in conjunction with the Institute of Ismaili Studies, 2016.
❖ Al-Sabhan, Jafar.
- Research in boredom and bees, 1st, Imam Al-Sadiq Foundation (u), Qom, Dr. T.
❖ Al-Shami, Ahmed bin Mohammed.
- The intellectual history of Yemen in the Abbasid era (132-656 AH / 750-1259 AD), 1st, Dar Al-Nafis, Beirut, 1987 AD.
❖ The jad slave, Adel Salem.
- Ismailis Revealing Secrets and Criticizing Ideas, 1st, Research and Ideas Series, Kuwait, 2002.
❖ Ghalib, Mustafa.
- Flags of Ismailia, Dr. I, Arab Waking House, Beirut, 1964.
❖ Al-Hamdani and Al-Juhaini, Hussein bin Fayd Allah and Hassan Suleiman Mahmoud.
- The Crusaders and the Fatimid movement in Yemen (from 268 AH to the year 626 AH), 3rd, Dar Al-Tanweer, Beirut, 1986 AD.
❖ Majdou Al-Ismaili, Ismail bin Abdul Rasul Al-Ajini.
- Indexing books and letters and for those who are from scholars, imams, borders and virtues, investigation: Aniqa Manzwa, Dr. I, Al-Asadi Library, Tehran, 1966.

سياسة إسبانيا تجاه الأراضي المنخفضة 1559-1648

م.د. أحمد عبود عبدالله

ahmedabood044@gmail.com

جامعة كركوك ، كلية التربية

الملخص

تعد الاراضي المنخفضة مركز مهم بالنسبة لإسبانيا بسب موقعها الجغرافي الواقع شمال فرنسا وغربي ألمانيا , وتشمل الاراضي المنخفضة سبع عشرة مقاطعة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر , وتعد جزء من الامبراطورية الرومانية المقدسة وتخضع لسلطانها المطلق , ولذلك كانوا سكان الاراضي المنخفضة يتعرضون للاضطهاد وخصوصاً في عهد شارل الخامس الذي استغل مواردهم في سد حاجة الامبراطورية , كما اختلفت وسائل الملك فيليب الثاني لتحقيق هذا الهدف وتنوعت , إذ كان كاثوليكيا متعصبا ، لان يرضى بأن يكون تابع للبابوية. ومتمسك بحق الملوك الإلهي وكان صارما في حكمه ، والتجا في كثير من الظروف إلى القوة ، وكانت هذه هي روح العصر, لذلك كان من اهم الاهداف التي يسعى اليها زعماءها هو توحيد حكومات تلك المقاطعات واعلان الاستقلال عن إسبانيا ولكن الخلافات الدينية والسياسية كانت تحول دون ذلك , لكنها نجحت في منتصف القرن السابع عشر بإعلان استقلال المقاطعات السبع الشمالية بأسم الجمهورية الهولندية بموجب صلح وستفاليا عام 1648.

الكلمات المفتاحية : الاراضي المنخفضة , صلح أوغسبورغ , أسرة أورانج , تسوية غنت , اتحاد اوتريخت.

Spain's Policy Toward the Low Countries 1559-1648

Inst.Prof. Ahmed Abood Abdullah Ph.D.

ahmedabood044@gmail.com

Kirkuk University , College of Education

Abstract

The geographical location of the Low Countries, situated to the north of France and west of Germany, rendered them a significant focal point for Spain. During the fifteenth and sixteenth centuries, these territories encompassed seventeen provinces and were integral parts of the Holy Roman Empire, operating under its complete jurisdiction. Consequently, the inhabitants of the Low Countries found themselves facing persecution, particularly during the reign of Charles V, who leveraged their resources to fulfill the empire's requirements. King Philip II employed diverse strategies to achieve this objective, given his staunch Catholic beliefs that precluded subordination to the Papacy. He staunchly upheld the concept of the divine right of kings and maintained a stringent governance style, frequently resorting to coercion in various situations, reflecting the prevailing ethos of the era. As a result, a primary aim of the leaders was to consolidate the governance structures of these provinces and assert autonomy from Spain. Nonetheless, religious and political discord impeded progress towards this goal. Despite the challenges, success was eventually achieved in the mid-seventeenth century when the independence of the seven northern provinces was proclaimed, leading to the establishment of the Dutch Republic through the Peace of Westphalia in 1648.
Keywords: the Low Countries, the Peace of Augsburg, the House of Orange, the Ghent Settlement, the Union of Utrecht.

المقدمة

كانت الاراضي المنخفضة من ضمن الميادين التي اندلع فيها النضال الديني والسياسي في اسبانيا , ونظمت فيها اعظم الثورات التي افضت بعد حروب طاحنه بتكبدها خسائر كبيرة بالأموال والارواح , وكانت الاراضي المنخفضة من ضمن الاراضي التي حصل عليها الملك فيليب الثاني بعد وفاة ابيه شارل الخامس , وكان من اهم الاهداف التي يسعى اليها زعماءها هو توحيد حكومات تلك

المقاطعات ولكن الخلاف الديني والسياسي والعواطف القومية كانت تحول دون ذلك اذ كان سكان المقاطعات الشمالية يدينون بالمذهب البروتستانتي ومعظمهم من الجنس التيتوني ويرغبون بالحكم الديمقراطي بينما كان سكان الجنوب يتبعون الكنيسة الكاثوليكية في روما وينتسبون الى الجنس الكلي ويرغبون في اوتوقراطية الحكم.

قسم البحث إلى مقدمة وثلاث محاور وخاتمة , تناول المحور الاول سياسة إسبانيا الخارجية في عهد الملك فيليب الثاني تجاه الاراضي المنخفضة , وتطرق المحور الثاني الى ظهور الحركات القومية المطالبة بالاستقلال في الاراضي المنخفضة , واستعرض المحور الثالث تحقيق الوحدة الهولندية. كما واعتمد البحث على مجموعة من المصادر المهمة التي تخص قضية الاراضي المنخفضة والسياسة الإسبانية فيها , اما الخاتمة فقد تضمنت أهم الاستنتاجات التي توصل إليها البحث.

أولاً : سياسة إسبانيا الخارجية في عهد الملك فيليب الثاني تجاه الاراضي المنخفضة.

بعد تنازل الامبراطور **شارل الخامس**(*) **Charles V** عن حكم الامبراطورية الرومانية المقدسة بعد صلح أوغسبورغ في 25 ايلول 1555, عاش منعزلا بعد ان قسم أملاكه بين أخيه **فرديناند الأول**(*) **Ferdinand I** , وابنه **فيليب الثاني**(*) **Philip II** ، فاصبح فرديناند الاول إمبراطورا للإمبراطورية الرومانية المقدسة , وأصبحت النمسا , وبوهيميا , والمجر ضمن املاكه ، أما الممتلكات الأخرى فقد كانت من نصيب فيليب الثاني ملك إسبانيا ، وضمت املاكه البرتغال والأراضي المنخفضة **[هولندا وبلجيكيا]** وإمارة برجنديا شرق فرنسا وميلان ونابولي , والعالم الجديد (Phillips & Phillips, 2016, p. 184) , كما عمل فيليب الثاني على تحقيق حلم أبيه شارل الخامس في سيطرة **عائلة آل هابسبورغ** (†) **House of Habsburg** الحاكمة في إسبانيا على أوروبا , إذ كانت عائلة آل هابسبورغ تتمتع بنفوذ واسع كون إسبانيا تمثل اكبر الدول الكاثوليكية في أوروبا واستقر الملك فيليب الثاني نهائيا في اسبانيا بعد عام 1559 ونقل عاصمته إلى مدريد (Dandelet & Marino, 2007, p. 53).

اختلفت وسائل الملك فيليب الثاني لتحقيق هذا الهدف وتنوعت , إذ كان الملك فيليب الثاني كاثوليكيا متعصبا ، لان يرضى بأن يكون مجرد تابع للبابوية. وكان متمسك بحق الملوك الإلهي وكان صارما في حكمه ، والتجا في كثير من الظروف إلى القوة ، وكانت هذه هي روح العصر. وكان تحمسه للدين قائما على أساس من التأييد الذي كانت تقوم به الكنيسة للدولة، ومع ذلك كان الملك فيليب الثاني بحاجة مستمرة إلى المال ، ويرجع ذلك إلى فساد النظم المالية والتبذير في موارد الدولة فإسبانيا رغم قوتها , وعظمتها كانت في الواقع سائرة في طريق الانهيار ، وذلك بسبب السعي وراء الذهب في العالم الجديد , وذلك تسبب في انهيار الزراعة والصناعة وغلاء الأسعار وانتشار الفساد ، وصار الملك لا يستطيع أن يجمع الكثير من المال من إسبانيا نفسها , وعلى الرغم من ثراء رجال

(*) شارل الخامس (1500–1519/1558– 1558) : شارل الخامس أو شارلكان ولد في 24 شباط 1500 في مدينة غينت شمال غرب بلجيكا , وهو الابن الأكبر لفيليب الجميل من زوجته خوانا القشتالية , تولى حكم إسبانيا منذ عام 1518 باسم شارل الأول ، وتولى بعد وفاة جده ماكسمليان الأول عام 1519 عرش الإمبراطورية الرومانية المقدسة باسم شارل الخامس , في عام 1526 تزوج من الأميرة البرتغالية ايزابيلا وولدت له خمسة أطفال وشهد عهده نشوب حرب بينه وبين فرانسوا الأول ملك فرنسا. توفي عام 1558. للمزيد ينظر: (Encyclopedia Britannica, 1910, pp. 899-900).

(**)* فرديناند الأول (1503 – 1555/1564–1564) : عاهل نمساوي من آل هابسبورغ وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة. وهو أول دوقٍ للنمسا في الفترة من 1521 إلى 1564. كما حكم بوهيميا والمجر بين عامي 1526–1564. حكم كأرشيدوقٍ للنمسا تابعاً لأخيه كارل الخامس الإمبراطور الروماني المقدس الذي اعتزل سنة 1556 لصالح كلٍّ من ابنه فيليب ليغدوَ ملكاً لإسبانيا وأخيه فرديناند ليغدوَ إمبراطوراً رومانياً مقدساً. بقي فرديناند إمبراطوراً رسمياً منذ عام 1558 حتى وفاته عام 1564. للمزيد ينظر: (Kamen, 2000, p. 110).

(***) *فيليب الثاني (1527 – 1598/ 1556–1598) : ملك إسبانيا والبرتغال ابطل الإصلاح المضاد للروم الكاثوليك. وصلت الإمبراطورية الإسبانية خلال مدة حكمه إلى أعظم قوتها وامتدادها ونفوذها، على الرغم من فشله في قمع ثورة الاراضي المنخفضة وخسر موقعة الأرمادا امام إنكلترا عام 1588. للمزيد ينظر: (Kamen, 2000, p. 237).

(†) عائلة آل هابسبورغ : تعد من أشهر العائلات الملكية الأوروبية , تولى أفراد هذه العائلة الحكم في الإمبراطورية الرومانية المقدسة ما يقرب من 400 عام , ويعد رودولف الأول Rodolph I , الذي أصبح ملكاً لألمانيا في عام 1273 أحد أوائل حكام آل هابسبورغ الذي وصل إلى مستوى القوة العظمى , واستمرت هذه العائلة في زعامة الإمبراطورية الرومانية المقدسة وأوروبا حتى بداية القرن التاسع عشر. للمزيد ينظر: (Kann, 2017, pp. 3-6).

الدين فهم كانوا معفيين من الضرائب والأمراء لم يكونوا يساهمون في موارد التاج بانتظام , وساعد ذلك على تردي الاوضاع الاقتصادية في اسبانيا بسبب فقدانها لأحسن صناعها وعمالها خلال عمليات طرد العرب ، وفقدانها كثيرا من قوتها التجارية من جراء طرد اليهود ، وفقدانها الكثير من خيرة أبنائها عامة عن طريق أعمال محاكم التفتيش (Elson, 1927, p. 47).

من ناحية ثالثة نجد أن عمليات النهب والسرقة في المستعمرات الاسبانية في العالم الجديد، والسياسة الاسبانية الضيقة هناك أسهمت في إضعاف اسبانيا ، فلم يكن يصل لخزائن الدولة سوى جانب ضئيل من الثروة التي كان يتم جمعها في العالم الجديد. كما نقلت إسبانيا النظام الإقطاعي إلى العالم الجديد وتشددت في منع غير الاسبان من الدخول الى مستعمراتها، وحرمت عليها التجارة مع الدول الأخرى، وفي نفس الوقت لم ترسل إلى هذه المستعمرات ما كانت تحتاج إليه (Phillips & Phillips, 2016, p. 190).

ذلك أدى إلى عرقلة تقدم المستعمرات ، وتشجيع التهريب على نطاق واسع ، وشل الرخاء الاقتصادي في إسبانيا ذاتها , يضاف إلى كل ذلك أن مجهودات اسبانيا لزيادة قوتها السياسية في أوروبا وقيادة حركة الإصلاح الكاثوليكي قد أضعفت إسبانيا , كما كان انشغال الملك فيليب الثاني نفسه في فرنسا ، وفي الأراضي المنخفضة ، وفي البرتغال (محمد، 2015، صفحة 7). كما تزوج من أربع ملكات أوروبيات من دول مختلفة ، فتزوج ماري البرتغالية ، وماري الانكليزية ، واليزابيث الفرنسية ، وآن النمساوية (State, 2008, p. 46), كما اتجه الملك فيليب الثاني إلى الأراضي المنخفضة كمصدر للدخل القابل للازدياد. وكان مركز الأراضي المنخفضة الاقتصادي يوحي بتحقيق الهدف ، فقد صارت هذه الجهات مركزة كبيرة , إذ كانت لها تجارة واسعة فيما وراء البحار وصارت مدينة **أنتويرب Antwerp** , و**أمستردام Amsterdam** من أغنى المدن التجارية في العالم (State, 2008, p. 47).

وعلى الرغم من أن الأراضي المنخفضة كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية المقدسة قبل خضوعها للحكم الاسباني إلا أن سلطة الامبراطور فيها كانت إسمية , وبذلت جهود ترمي إلى إدخال نوع من الوحدة بين هذه الولايات ، وتم إنشاء مجلس عام يجمع بين ممثلي الولايات التي كانت تتكون منها الأراضي المنخفضة، وهذا هو مجلس الولايات. ولكن ذلك لم يغير شيئا من الأوضاع في الولايات , فقد أثار هذا النظام المعارضة في الأراضي المنخفضة , إذ كانت الأراضي المنخفضة يغلب عليها نظام المدن , وكان الاهتمام مركزة في التجارة , وكان نظامها يتبع الولايات المستقلة. وكانت الحرية الدينية منتشرة حيث امتدت حركة الإصلاح الديني اليها (Motley, 2006, pp. 10-11).

وقد أثارت سياسة الملك فيليب الثاني أهل الأراضي المنخفضة , وزاد سخطهم على حكمه , إذ لم يكن الملك فليب الثاني مستعد لمنحهم أية حرية سياسية أو دينية بل كان يرى أن الوسيلة الوحيدة لذلك هي استخدام القوة , وأظهر لهم الاحتقار , وعين أخته **مارغريت هابسبورغ Margaret of Austria** [*] في منصب الحاكم العام. وكانت مارغريت هي الأخرى من طائفة الجزويت وكاثوليكية متعصبة , وقد أثار هذا التعيين النبلاء من أهل البلاد ، ولا سيما وأن مارغريت قد كونت ما يسمى **بالمجلس السري Consulta** ، وهذا فاق نفوذه سلطات مجلس الولايات الذي كان يضم كبار النبلاء (Motley, 2006, p. 15).

فضلا عن التذمر الذي ساد البلاد بسبب وجود القوات الاسبانية داخل الاراضي المنخفضة. كذلك أمر الملك فليب الثاني بإنشاء أربع عشرة أسقفية جديدة فضلا وجود الأسقفيات الأربع من قبل , وبذلك بات أهل البلاد يخشون نمو النفوذ الاسباني ونمو الكنيسة التي يسيطر عليها الملك ، بعد أن لاقت العقائد البروتستنتية نجاحاً رغم المراسيم التي كانت تبيح الاضطهاد. وبذلك صارت اللوثرية والكلفانية قوة سياسية (Phillips & Phillips, 2016, p. 192).

ثانياً : ظهور الحركات القومية المطالبة بالاستقلال في الاراضي المنخفضة.

قامت حركة في الاراضي المنخفضة لمعارضة الملك الاسباني فليب الثاني يتزعمها كبار النبلاء وفي مقدمتهم أسرة أورانج[*] **House of Orange** وكان على رأسهم وليام الاول [*] **William I** الملقب بوليام الصامت او وليام أورانج ، والكونت

(*) مارغريت هابسبورغ (1522 – 1586) : وهي ابنة شارل الخامس إمبراطور الروماني المقدس الغير شرعية واخت الملك فيليب الثاني ، أصبحت دوقة فلورنسا ودوقة بارما كما حكمت الاراضي المنخفضة من عام 1559 الى عام 1567. للمزيد ينظر: (Encyclopedia Britannica, 1910, pp. 703-704).

* (**) أسرة اورانج : أسست في مطلع القرن الثاني عشر , انقسمت بعد وفاة الكونت هنري الثاني عام 1255 إلى فرعين , انحدر من الأول حكام دوقية لكسمبورغ ، وعرف الثاني باسم أورانج ناسّاو وانحدر منه ملوك هولندا , بدأ تاريخ هذه الأسرة في العصور الحديثة في عصر وليام الأول

أجمونت Egmont ، والادميرال **هورن Horn** وكان هدف المعارضة هو طرد الكاردينال **جرانفيلا Granvella** مستشار مارغريت هابسبورغ وعضو المجلس السري الذي فاق نفوذه نفوذ سيدته نفسها (Phillips & Phillips, 2016, p. 192).

وعلى الرغم من استجابة الملك فيليب الثاني لرغبة المعارضة الا ان ذلك لم يغير من الأمر شيئا فالملك لم يكن ينوي في الواقع إجراء أي تغيير في نظام الحكم في الأراضي المنخفضة , إذ امر بتنفيذ المراسيم الخاصة بالهرطقة والآراء الدينية المخالفة لهم , وكل ذلك لم يؤدي إلى القضاء على حركة المعارضة بل على العكس أدت إلى تقويتها ، وظهور جماعة في الأراضي المنخفضة عرفت باسم **الشحاذين Beggars** , ففي نيسان 1566 تقدم حوالي (400) من النبلاء بملتمس إلى مارغريت يطلبون فيه تخفيف النشاط الخاص بمراسيم الهرطقة، واستدعاء مجلس الولايات للاجتماع في فترات منظمة كذلك أشار النبلاء في ملتمسهم إلى خطر قيام الثورة في حالة رفض هذه المطالب كما زادت اهمية حركة الشحاذين وضمت كثيرة من الكاثوليك كما شملت الطبقات الأخرى (Ergang, 1939, p. 292).

ولم يعالج الملك فيليب الثاني الأمور في الأراضي المنخفضة بشيء من الحكمة بل عمل على قمع الحركة بكل وحشية فجدد مراسم الاضطهاد ، وأرسل القائد الاسباني **ألفا Alva** على رأس جيش من المرتزقة الايطاليين والاسبان لسحق الحركة وتنفيذ المراسيم بالقوة , وعلى الرغ من من حالة الهدوء التي كانت موجودة في الاراضي المنخفضة ، إلا أن ألفا تصرف بتهور وصمم على إذلال البلاد بالقوة , إذ بدأ بمحاولة أسر زعماء المعارضة الثلاثة ولكن وليام الأول انسحب إلى أملاكه بمجرد مجيء ألفا . كذلك استاءت مارغريت من موقف أخيها وتخطى ألفا لسلطتها، فغادرت البلاد ، ورغم تحذير مارغريت له من مغبة سياسته فقد أسر ألفا اثنين من زعماء المعارضة وهم أجمونت وهورن، وبعد محاكمة صورية حكم عليهما بالإعدام , وتم اعدامها علنا في بروكسل (State, 2008, p. 49).

بعد سيطرة القائد الاسباني ألفا على الاراضي المنخفضة أنشأ محكمة أسماها **مجلس المتاعب Council of disorders** ، وكان الأهالي يسمونها مجلس الدم ، فأحكامه كانت غالبا أعمالا إجرامية أكثر منها أحكاما قضائية , وقد أثارت هذه الفظائع سكان البلاد , وانضم الكثيرون إلى المعارضين للحكم الاسباني. كذلك أثارت الاضطهادات عطف الدول البروتستنتية على الأراضي المنخفضة ، أما وليام الأول فقد تأكد عقب إعدام هورن وأجمونت أن ذلك هو الوقت المناسب من اجل القضاء على الحكم الاسباني واستقلال هولندا , فجمع جيشا من المرتزقة الألمان و**الهيكنوت**(†) **Huguenot** الفرنسيين وأهالي الأراضي المنخفضة الذين كانوا قد فضلوا المنفى على الاضطهاد ، وهكذا بدأت الثورة الكبرى للأراضي المنخفضة عام 1568 وأحرز القائد الاسباني ألفا انتصاره أول الأمر، وبذلك عجز وليام الأول عن التغلب على عدوه في الميدان ، فلجأ إلى وسائل أخرى تكون إلى حرب العصابات في البر والبحر ، الأمر الذي أدى إلى تكبد الاسبان الخسائر والنفقات الباهظة , وكان ارتباك ألفا المالي من أولى عوامل فشله حتى رفع جيشه راية العصيان لعدم دفع الرواتب (Andeweg & Irwin, 1993, p. 8).

William I (1559–1584) الملقب بـ (الصامت) , وخلفه أبنه الثاني موريس فان ناساو Maurice Van Nassau (1567–1625) , ومن بعده أخوه فيليب غليوم Philip Gillum , ثم الأخ الثالث فريدريك هنري Frederick Henry (1584–1647) , وخلفه أبنه وليام الثاني William II (1626–1650) , وسعوا جميعهم لمحاربة إسبانيا بهدف الاستقلال منها , وقد تقرب ملك إنكلترا شارل الأول Charles I من وليام الثاني وتزوج من أبنته الأميرة ماري ستيوارت Mary Stuart عام 1641 التي أنجبت منه وليام الثالث William III , ومهَّد ذلك لأسرة أورانج الطريق إلى عرش إنكلترا. للمزيد من التفاصيل ينظر : (Broomhall & Gent, 2016).

(*) وليام الاول (1533–1584) : وليام أمير أورانج وهو أول الحكام الوراثيين (1572–1584) للمقاطعات المتحدة في هولندا وزعيم ثورة هولندا ضد الحكم الإسباني والمذهب الكاثوليكي. للمزيد ينظر: (https://www.britannica.com/biography/William-I-stadholder-of-United-Provinces-of-The-Netherlands)

(†) الهيكنوت : بروتستانت فرنسا في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، أختلف في أصل كلمة الهيكنوت وذكر انها كانت مشتقة من كلمة Eidgenossen الألمانية والتي أطلقت عليهم في سويسرا وتعني الحليف او الشريك , وأطلق هذا الاسم على أتباع حركة الإصلاح الديني الفرنسية منذ بداية الحرب الأهلية وقد كونوا في البدء حزباً دينياً ، ثم صاروا يحاربون لأغراض دنيوية وبهذا دخلوا ميدان السياسة ، كانوا اقلية لكنهم مارسوا نفوذا عظيماً منحهم اياه هنري الرابع أول ملوك آل بوربون. للمزيد ينظر: (Acton, 1906, pp. 11-17)

كما عمل وليام الأول علاقات مع زعماء الهيكنوت في فرنسا ، ووضع خطة للهجوم على الأراضي المنخفضة , وانتهز فرصة السخط الذي ساد طبقات التجار في الجنوب والشمال بسبب الضرائب التي فرضها ألفا ، وغزا وليام الأول البلاد من الشرق بينا غزاها الهيكنوت من جهة فرنسا (جار الله، 2015، صفحة 129) , ولكن بعد حدوث تمردات في فرنسا ، ومقتل اغلب زعماء الهيكنوت مما ادى ذلك إلى فشل الخطة , وظهور جماعة عام 1572 كانت تسمى **بشحاذي البحار Sea Beggars** من المهاجرين من الأراضي المنخفضة الذين كانوا قد لجأوا إلى إنكلترا (Claflinma, 1910, p. 112).

قاموا شحاذي البحار بعمليات حربية ضد الجيش الاسباني بسبب امتلاكهم السفن، واستولى الشحاذين على مدينة بريل **Brill** على مصب نهر الميز **Mass** ثم استولوا على مدينة **فليسينجين Vlissingen** جنوب هولندا وبذلك تحكموا في نهر **شلت Scheldt** , وفي غضون عدة اسابيع سقطت مدينة **زيلاند Zeeland**, وتلا ذلك قيام ثورة عارمة في المقاطعات الشمالية , ولم تستطع اسبانيا من بسط نفوذها في تلك الجهات ، وبدأت معارك الحصار في الشمال ، واعترفت بعض الولايات مثل **أوترخت Utrecht** بسلطة وليام الأول (Bindoff, 1964, pp. 247-248).

استدعى ألفا من قبل الملك فليب الثاني فغادر الأراضي المنخفضة عام 1573 وخلفه **دون لويس Don Louis** فحاول وليام الأول الاتفاق مع دون لويس ، ولكنه لم يوفق رغم أن دون لويس قد أظهر الاعتدال ، وأوقف نشاط مجلس الدم , وحاول إنهاء الخلاف بين الأهالي والملك فيليب الثاني , وقدم لهم ثلاث مطالب تتعلق بسحب الجنود الاسبان من الأراضي المنخفضة ، وإعادة نظام الحكم في البلاد إلى ما كان عليه ، والحرية الدينية. ولكن المطالب رفضت ، وبذلك عادت الحرب (Lodge, 1885, p. 110).

كما ان موت دون لويس عام 1576 دون أن يحرز نجاحا حاسما أتي بنتائج على قدر من الأهمية في تاريخ الحركة القومية للأراضي المنخفضة. فقد وجد الجنود الاسبان البلاد بدون حاكم ، ورأوا رواتبهم تنقطع عنهم ، فأعلنوا التمرد، ونهبوا مدينة أنتويرب وتلك هي الحادثة المعروفة باسم **القضية الاسبانية Spanish Fury** وقد سهلت هذه الأحداث على وليام الأول مهمة توحيد المقاطعات الشمالية والجنوبية, وتناسى سكان الشمال والجنوب الاختلافات الدينية، وطفت القضية القومية الكبرى على ما عداها من قضايا (Claflinma, 1910, p. 114).

وهكذا تمت تسوية **غنت Ghent** في تشرين الثاني 1576 وقد ربطت هذه التسوية المقاطعات الجنوبية الكاثوليكية بالمقاطعات الشمالية البروتستنتية في اتحاد سياسي لمواجهة النفوذ الاسباني. وبمقتضى تلك التسوية تعهدت المقاطعات الشمالية البروتستنتية بعدم اتخاذ أي إجراء ضد الكاثوليكية. كذلك تم الاتفاق على الاعتراف بالملك فيليب الثاني حاكما لهم بشرط جلاء الجيش الاسباني وإطلاق الحرية الدينية وتكوين مجلس فدرالي (Price, 1998, p. 16).

خلف دون لويس في حكم الأراضي المنخفضة **دون جون Don John** الذي سلم بالمطالب التي أجمعت عليها البلاد وامتثل لوحدة الشمال والجنوب ، فأكد تسوية غنت ووعد بسحب القوات الإسبانية (Price, 1998, p. 17), ولكن وليام الأول لم يستطع الاحتفاظ بالنصر الذي حققه فالخلافات الدينية عادت إلى الظهور بين الشمال والجنوب , ومع ذلك فقد تجدد النزاع بين الشمال والجنوب ، وفيه استعان نبلاء الجنوب بالنمساويين ، واشترك دون جون في ذلك النزاع، وتمكن من الانتصار في **معركة جمبلو Gembloux** في كانون الثاني 1578 , وهذه معركة مهمة في تاريخ الأراضي المنخفضة فبعدها استقر لكل من هولندا وبلجيكا وجودهما السياسي المنفصل ، وبذلك مهد الطريق إلى عودة الانفصال وعودة المقاطعات إلى سيطرة الحكم الاسباني (Tracy, 2008, p. 160).

ثالثاً : تحقيق الوحدة الهولندية.

أظهرت الظروف لوليام الأول مدى استحالة تحقيق فكرة تكون دولة متحدة من الأراضي المنخفضة ، فنبذ هذه الفكرة جانبا، ولا سيما وأن **دوق بارما Parma** خليفة دون جون ، قد سار على سياسة سلفه موقع الفرقة بين الشمال والجنوب , وركز وليام الأول جهوده في الدفاع عن كلفني الشمال ، وهكذا تكون **اتحاد اوتريخت**(*) **Union of Utrecht** بين الولايات السبعة الشمالية عام 1579

(*) اتحاد اوتريخت : وهو اتحاد تم عقده في 23 كانون الثاني 1579 في مدينة اوتريخت ، وشمل الاتحاد المقاطعات والمدن الملتزمة بمواصلة مقاومة الحكم الإسباني. وهي : زيلاند ، اوتريخت ، جيلديرلاند ، هولندا أوفيريجسيل ، فريزلاند ، وخرونينجن وكلها في الشمال ، وقرروا تأسيس

, وهذا هو أساس تكوين الجمهورية الهولندية. واستمر ذلك الاتحاد يعترف بسلطة الملك فليب الثاني ، ولكن في عام 1581 أعلن الاتحاد الانفصال عن اسبانيا ، ثم كونت هذه الولايات دولة مستقلة تحت حكم وليام الأول عام 1584 (Tracy, 2008, p. 225).

ادى ذلك الانفصال إلى اغتيال وليام الأول في نفس العام 1584 , لكن ذلك لم يؤثر على إنشاء الدولة الجديدة , ومنذ ذلك الوقت لم تعد العمليات الحربية في هذه البلاد حربا بالمعنى المفهوم. وظلت الولايات الشمالية محتفظة باستقلالها، ويرجع ذلك إلى مهارة ومقدرة **موريس Maurice** الذي خلف أبيه وليام الأول وإلى مساعدة ملكة إنكلترا **اليزابيث الأولى**[*] **Elizabeth I**. يضاف إلى ذلك أيضا أن الملك فيليب الثاني قد شغله عن الأراضي المنخفضة مشاكل أخرى. إذ ان الحرب مع إنكلترا وتحطيم الأسطول الاسباني عام 1588 في **موقعة الأرمادا**[*] **Battle of Armada** قد كانت ضربة قاصمة لقوة إسبانيا في البحر (Tracy, 2008, p. 316).

ولم يتمكن دوق بارما من إخضاع الأقاليم الجنوبية تماما للحكم الاسباني. وقد منح الملك فيليب الثاني هذه الجهات لابنته إيزابيلا بمناسبة زواجها من ألبرت النمساوي , ومات الملك فيليب الثاني عام 1598 واسبانيا ما زالت ترفض التنازل عن حقها في أي جزء من الأراضي المنخفضة. وأخيرا عقد الملك **فيليب الثالث**[*] **Philip III** هدنة مع المقاطعات السبع الشمالية عام ١٦٠٩ لمدة ١٢ عاماً , وهذه الهدنة ضمنت في الواقع استقلال هذه المقاطعات وحصلت هولندا على الاعتراف الرسمي بوجودها كدولة أوروبية باسم الجمهورية الهولندية في ١٠ ايار 1648 (Milton, 1998, p. 132).

الخاتمة

توصل البحث الى عدة استنتاجات اهمها :

1. عند تولي الملك فيليب الثاني الحكم في الاراضي المنخفضة كانت فكرة الاتحاد المشترك وضرورة قيام كيان واحد فيها تتسلط على اذهان عدد كبير من المفكرين وسنحت الظروف لهذه الفكرة ان تنمو وتتطور وتصبح ثورة هدفها التخلص من الحكم الأجنبي.
2. ان الملك فيليب الثاني قد عاش في الاراضي المنخفضة فترة طويله الا انه طول هذه الفترة كان همه القضاء على المذهب البروتستانتي فقد كان يعتقد ان توحيد الملك لا يأتي الا بتوحيد الدين.
3. عند تركه الاراضي المنخفضة لم ينصب عليها حاكماً من ابنائها بل عهد الى اخته مارغريت دوقة روما لتحكم فيها.
4. عين موظفي الحكومة كلهم من الاسبان ووضع فيها قوات اسبانيا فساء بذلك حال البلاد واتسم عهده بالبطش مما دعم عوامل الثورة في ذلك العهد .

اتحاد لرابطة اعداد حرب الاستقلال ضد إسبانيا ، وأصبح اتحاد اوتريخت في الواقع أساسًا لدولة منفصلة في الشمال , واصبحت تسمى اقاليم الاراضي المنخفضة المتحدة او الجمهورية الهولندية . للمزيد ينظر: (Brandon, 2015, p. 46)

(*) اليزابيث الأولى (1533-1558/1603-1603): ولدت في 7 أيلول 1533 في مدينة كرين وج بالقرب من لندن, وهي ابنة هنري الثامن من زوجته آن بولين , وقد ورثت العرش بعد وفاة اختها غير الشقيقة ماري الكاثوليكية عام 1558، اتبعت المذهب الانكليكاني وشهدت البلاد في عهدها تطورا تجاريا وصناعياً، وبناء اسطول قوي ، واهتماماً بالنشاط الاستعماري، عرفت بعدائها للكاثوليك فعقدت معاهدة مع اسكتلندا لتقوي مركز البروتستانت ضد الكاثوليك ، واضعفت مركز فرنسا ورفضت طلب ملك إسبانيا فيليب الثاني (1556-1598) الزواج منها عام 1559 وقد دخلت في حرب مع إسبانيا عام 1588. توفيت في 24 أذار 1603. للمزيد ينظر: (Encyclopedia Britannica, 1910, pp. 282-283).

* (**) موقعة الأرمادا : حدثت تلك الموقعة عام 1588 عندما أرسل الملك الإسباني فيليب الثاني الأسطول الإسباني المسمى الأرمادا لغزو الجزر الإنكليزية ، وكانت رغبة فيليب هي إعادة الكاثوليكية الى إنكلترا والقضاء على القرصنة الإنكليزية ضد التجارة الإسبانية ، إذ دارت الموقعة بين الأسطولين الإسباني والإنكليزي وأدى الطقس والخطط العسكرية التي استخدمها الإنكليز في المعركة الى هزيمة الأسطول الإسباني. للمزيد ينظر: (Tallett & Trim, 2010, p. 255) (Wernham, 1968, p. 9).

* (***) فيليب الثالث (1578-1598/1621-1621) : ولد في 14 نيسان 1578 وهو ابن ملك إسبانيا فيليب الثاني , ورث امبراطورية واسعة آخذت في الانحطاط , بعد أن ترك ادارتها لبعض النبلاء المقربين اليه , عرف بانغماسه في متارف البلاط نشبت في عهده حرب الثلاثين عاماً , تميز عهده بسياسة خارجية ناجحة في أوروبا الغربية , إذ واصلت حكومة فيليب سياسة العداء تجاه العثمانيين ، وفي إيطاليا واجهت منافسة جمهورية البندقية ودوقية سافوي كما شهد عهده تصادم للمصالح مع فرنسا. توفي عام 1621. للمزيد ينظر: (Encyclopedia Britannica, 1910, pp. 385-386).

5. بدأ التذمر الحقيقي في الاراضي المنخفضة عندما اتسعت دائرة الحروب التي خاضتها اسبانيا واضطرت الى مطالبة البلاد التابعة لها بالمساهمة بالمال والرجال.

6. كانت اسبانيا رغم قوة جيشها كانت تعاني آنذاك ازمة اقتصادية شديدة نتج عنها عجزها في الانفاق على قواتها حتى ان كثيرا ما مرت الشهور تلو الشهور دون ان تدفع مرتبات الجنود اضافة الى ان حروب الاراضي المنخفضة لم تكن المسألة الوحيدة التي تشغلها بل انها كانت منشغلة في حروب اخرى ضد فرنسا وإنكلترا.

7. استطاع الهولنديون الكالفنيون بصبرهم وثباتهم وصمودهم ان ينجحوا في انتزاع جزء كبير من الاراضي المنخفضة ويؤسسوا فيه حكومة مستقلة سميت بالجمهورية الهولندية.

المراجع

Acton, J. (1906). *The Huguenots and the League.* Lecture: New York.
Andeweg, R. B., & Irwin, G. A. (1993). *Dutch Government and Politics.* New York: Macmillan.
Bindoff, S. T. (1964). *Tudor England.* U.K: Penguin Books.
Brandon, P. (2015). *War Capital, and the Dutch State (1588-1795).* USA: Hotei Publishing.
Broomhall, S., & Gent, J. V. (2016). *Gender , Power and Identity in the Early Modern House of Orange-Nassau.* London.
Claflinma, W. H. (1910). *Holland and Belgium.* Chicago: The H.W. Snow and Son Company.
Dandelet, T. J., & Marino, J. A. (2007). *Spain in Italy- politics, society, and religion 1500-1700.* Boston: Brill Press.
Elson, H. W. (1927). *History of the United States of America.* New York: Macmillan.
Encyclopedia Britannica (Vol. 5). (1910). New York: Madison Avenue.
Ergang, R. (1939). *Europe–From The Renaissance To Waterloo.* Boston: D. C. HEATH AND COMPANY.
https://www.britannica.com/biography/William-I-stadholder-of-United-Provinces-of-The-Netherlands. (n.d.).
Kamen, H. (2000). *Who's Who In Europe 1450-1750.* London: Rutledge.
Kann, R. A. (2017). *The Habsburg Empire : A Very Short Introduction.* California: University of California Press.
Lodge, R. (1885). *A History of Modern Europe.* London: John Murray.
Milton, P. (1998). *Towards A Westphalia for the Middle East.* Oxford: Oxford University Press.
Motley, J. L. (2006). *History of the United Netherlands 1584-1586.* N.D: BiblioBazaar.
Phillips, D. W., & Phillips, C. R. (2016). *A Concise History of Spain.* Cambridge: Cambridge University Press.
Price, J. (1998). *The Dutch Republic in the Seventeenth Century.* New York: Macmillan.
State, P. F. (2008). *A Brief History of the Netherlands.* New York: Facts On File Inc.
Tallett, F., & Trim, D. (2010). *European Warfare 1350–1750.* U.K: Cambridge University Press.
Tracy, J. D. (2008). *The Founding of the Dutch Republic_ War, Finance, and Politics in Holland, 1572-1588.* Oxford: Oxford University Press.
Wernham, R. (1968). *The New Cambridge Modern History : Counter-Reformation and Price Revolution 1559-1610.* London: Cambridge At The University Press.
صالح خضر محمد. (2015). دور الدبلوماسيين البريطانيين المقيمين والملحقين العسكريين والتجاريين في متابعة الأنشطة التهريبية في الخليج العربي 1880- 1914. *مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية*(المجلد 10).
طالب عبد الغني جار الله. (2015). حصار نابليون لعكا دراسة تاريخية. *مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية*(المجلد 10).

References

Acton, J. (1906). *The Huguenots and the League*. Lecture: New York.
Andeweg, R. B., & Irwin, G. A. (1993). *Dutch Government and Politics*. New York: Macmillan.

Bindoff, S. T. (1964). *Tudor England*. U.K: Penguin Books.
Brandon, P. (2015). *War Capital, and the Dutch State (1588-1795)*. USA: Hotei Publishing.
Broomhall, S., & Gent, J. V. (2016). *Gender , Power and Identity in the Early Modern House of Orange-Nassau*. London.
Claflinma, W. H. (1910). *Holland and Belgium*. Chicago: The H.W. Snow and Son Company.
Dandelet, T. J., & Marino, J. A. (2007). *Spain in Italy- politics, society, and religion 1500-1700*. Boston: Brill Press.
Elson, H. W. (1927). *History of the United States of America*. New York: Macmillan.
Encyclopedia Britannica (Vol. 5). (1910). New York: Madison Avenue.
Ergang, R. (1939). *Europe–From The Renaissance To Waterloo*. Boston: D. C. HEATH AND COMPANY.
https://www.britannica.com/biography/*William-I-stadholder-of-United-Provinces-of-The-Netherlands*. (n.d.).
Kamen, H. (2000). *Who's Who In Europe 1450-1750*. London: Rutledge.
Kann, R. A. (2017). *The Habsburg Empire : A Very Short Introduction*. California: University of California Press.
Lodge, R. (1885). *A History of Modern Europe*. London: John Murray.
Milton, P. (1998). *Towards A Westphalia for the Middle East*. Oxford: Oxford University Press.
Motley, J. L. (2006). *History of the United Netherlands 1584-1586*. N.D: BiblioBazaar.
Phillips, D. W., & Phillips, C. R. (2016). *A Concise History of Spain*. Cambridge: Cambridge University Press.
Price, J. (1998). *The Dutch Republic in the Seventeenth Century*. New York: Macmillan.
Saleh Khader Mohammed. (2015). *The role of British resident diplomats, military and commercial attaches in the follow - up of smuggling activities in the Arabian Gulf 1880-1914*. Journal of the University of Kirkuk for Humanitarian Studies (Volume 10).
State, P. F. (2008). *A Brief History of the Netherlands*. New York: Facts On File Inc.
Talib Abdul Ghani Jarallah. (2015). *Napoleon's Siege is a historical study*. Journal of the University of Kirkuk for Humanitarian Studies (Volume 10).
Tallett, F., & Trim, D. (2010). *European Warfare 1350–1750*. U.K: Cambridge University Press.
Tracy, J. D. (2008). *The Founding of the Dutch Republic_ War, Finance, and Politics in Holland, 1572-1588*. Oxford: Oxford University Press.
Wernham, R. (1968). *The New Cambridge Modern History : Counter-Reformation and Price Revolution 1559-1610*. London: Cambridge At The University Press.

دور المرأة الأندلسية العام في ضوء كتب النوازل

م.م. اكرم محي عاكول الموسوي

akram1977@uomustansiriyah.edu.iq

جامعة المستنصرية ، كلية الآداب

المستلخص :

يعدّ دورَ المرأةً في المجتمعَ العربيَ الاسلاميٍ العامةٍ وفي الانڈلس خاْصاً مقومًا أساسيًا في كل المجتمعأت لما لها من اهميةً كبيرةً جدا في تحديدْ مقوماتْ المجتمع وحاجاتهِ المحلية ، وتمتعتِ المرأة الأندلسيّة بمكانة متميزةٍ ورفيعةٍ في مختلفِ عصور المجتمعِ الاندلسي ، وقَد تميزتِ المرأةٍ العربيةَ في الأندَلس بحكم طبيعةَ المجتمَع بنشاطهاً الذي ساعدَ فيه اظهار قابليتهاً في العديد من النواحيَ العامةَ في الحياة ، وكانتَ المرأة في الأندلسَ امتداد للحياة التيٍ كانت سائدة في بلدانٍ الإسلاًم الأخرىَ الا في جزئياتٍ بسيطة في حياتهاً الخاصة ، وشعبَ الأندلس عرفٍ بالغنى والثراءٍ والتعددٍ العرقي والدينيٍ والجغرافيٍ ومتنوعاً ومتعدداً وذاً طابعْ خاص . بحيثْ تميزت الحياة عندهم بالمستوى المادي الرفيع الذي عاشوه بكثرة المساهمةَ في الأوقاف

كلمات مفتاحية: (المرأة ، نوازل ، الفقيه ، القاضي عياض ، الأندلس)

dawr almar'at al'andalusiat aleamu fi daw' kutub alnawazil

Asst.Lect. akaram mihi eakul almusawii

aljamieat almustansiriat , kuliyat aladab

Abstract :

The involvement of women in the broader Arab Islamic society, particularly in Al-Andalus, is widely acknowledged as a pivotal element within all social groups owing to their substantial role in shaping the societal characteristics and meeting local requirements. Within various periods of Andalusian society, women in Al-Andalus held a notable and esteemed position. Arab women residing in Al-Andalus, as a consequence of their societal context, were distinguished by their engagement in activities that highlighted their competencies across various public spheres. Women in Al-Andalus represented a continuity of existence seen in other Islamic regions, with only slight variations in their personal lives. The inhabitants of Al-Andalus were renowned for their prosperity, opulence, and diverse cultural, religious, and geographical backgrounds. Their lifestyle was distinctive, characterized by a high material standard of living, as evidenced by their significant contributions to charitable endowments.**kalimat miftahia**: (almar'at , nuaz , alfaqih , alqadi eiad , al'andalus)

المقدمة :

وعندما جاء الاسلامً رفعً الله من شأن المرأة وانزلً في كتابه العزيز آياتً كثيًرة فجعلها قسيمة الرجل في تكوينً البشريةً والنشأة الانسانية فقد جاًء في محكًم كتابه العزيز قوله : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) (سورة النساء، آية 1) .

يعتبر فقه النوازلٍ من أهم فروع الفقه الإسلاميٍ ، لدوره الكبير في بيان أحكام الشريعة الإسلامية المرتبطة بواقع الحياة في جميع مجالاتها ، فدورِه هو تنزيل أحكام الشريعة على الواقع الحياتي ليصبغه بصبغتها ، ويجريٍ عليه أحكامهاً . اذ كان للمرأة الأندلسية دورا كبيرا في الاعمال الخيري ، كما ذكرتهاً كتبً النوازل والمصادر التاريخية ، اذ أسهمت المرأة الأندلسية مساهمة فعالةً وكبيرة في النشاطِ الانسانيٍ والخيريٍ ، وارتبط ذكر بعضهن اذ كان عدد لا بأس به من النساء الأندلسيات بنشاطهن الخيري ، وقِد ذكرت بعضِ

المصادر عن جوانب كثيرة ومختلفة من ذلك العمل الخيري ومثل على ذلك كان لهن الكثير من التبرعاتِ واعطاء الاحباس للفقراء او على شكل الخيري ، ومنهن من قامت على نشر الدعوة الإسلاميةِ ونشر تعاليمه ، وبناء المساجد وبيوت العبادة والاهتمام بالأيتام ، ومساعدةِ الفقراء وغيرها من الاعمال ، وقد كان لهذه الاعمال أن ظهرت في الأندلس عدادا كثيرة من النساء اللواتي اهتمن بالأعمال الانسانية والخيريِ ، وساهمتِ المرأة الأندلسية مساهمة فعالة في العمل الخيري ، وارتبط ذكر عدد لا بأس به من النساء الأندلسيات بالعمل الخيري ، وتحدثت المصادر عن جوانب مختلفة من ذلك العمل الخيري مثل الوقف الخيري، و نشر الدعوة الإسلامية ، وبناء المساجد ونشر التعليم ، ومساعدة الفقراءِ والأيتام ، وقد نتج عن ذلك أن نبغ في الأندلس عدد كبير من النساء المهتمات بالعمل الخيري ، وكان لهن أثرٍ واضحٍ في الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في الأندلس اذ حظيت المرأة بحرية واسعة ، فكانتِ تتحين الفرص للمطالبة بحقوقها ، لا تسكت على الضيم ، ولا تبالي بلومة لائم طالما ترى أنها صاحبة حق (سهى, بعيون;، 2014، صفحة 83) .

كان للنساءِ الاندلسيات الأثر الواضح للعيان في الحياةِ الاجتماعيةِ والثقافيةِ والاقتصاديةِ في الأندَلسِ . ويؤكدَ المستشرق الغربي ليفي بروفنسال على : أن المرأةِ المسلمةِ الأندُلسية في عصر الخلافَة ، وفي العصورِ التي تلتهَ تحظي بوْضع أكثر تميزاً من وضع أخواتهاَ في المشرق ، فلربما ، أن المرأة الأندلسيةِ كانتِ تتمتعَ بحريةَ بصورة نسبيةَ علي أقل في الطبقةَ الوسطي المتوسطةَ (البمبي, علي عبد الرؤوف، 2002، صفحة ج1 ، 346 . 347) وحظيتِ المرأة بحريةِ واسعةِ ، فكانت تتحينِ الفرص للمطالبةِ بحقوقهاَ ، ولا تقبل السكوت على الظلم ، ولا تباليَ بلومةَ لائم طالماً ترى أنها صاحبةَ حق تمتعتَ الكثير من النساء الأندلسياتَ بثراء فاحشَ ، اذ كان يملكنِ من الأموالَ والضياَع (ابن الآبار، 1985، صفحة ج1 ، 258) وكانت لهن أملاكهنّ الخاصة البعيدةَ كل البعد عن أملاكِ أزوجاهنّ ، وكانت المرأة هي من تدير حسابها الخاصِ (مكي، 1993، صفحة 269) ؛ فوجدناً الكثير في كتب النوازَل الفقهية مسائل تدورِ حول نساءِ يملكا من الأراضي الكثير (الونشريسي، 1983، صفحة ج2 ، 220) ، وكانت تستثمر الارض بالكراء ينظر : (الونشريسي، 1983، صفحة ج8 ، 169) (ابن الحاج، 1985، صفحة 181) ، وهناكِ امثله كثيرة مثل التي عملتَ على شق ساقية في ارض لزوجها عن طريق المساقاِة (ابن الحاج، 1985، صفحة 208) ، ومنهن من كن يتملكنّ الأموال والذهب والعقاراتِ ويتصرفنّ فيها بالصدقة (ابن الحاج، 1985، صفحة 180) ، كما ذكرت بعض الكتب النوازلِ عن نماذج كثيرة من النساءّ اللواتيّ كن يستثمرنَ أموالهنّ في التجارةّ ، وكذلك التي باعتِ قمحاً مقابل الذهب او مقايضة بشيّ اخر (ابن الحاج، 1985، صفحة 149) ، وأخرِى كانت تشاركّ الرجالِ وتدير اعمالها وتستثمر جزءّ من أموالها في تربية الحيواناتِ (ابن الحاج، 1985، صفحة 30) ، اذ حازت الكثير منهنّ على ثروةّ كبيرة ، مثل : زهراء جارية الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ – 330 هـ / ٩١٢ – ٩٤١ م) ، وعند وفاتهاً ، تركت اموالاّ وراءها ثروات طائلةّ جعلت الخليفة يأمرِ بإنشاءّ مدينة كبيرة بهذه الأموالّ ، وتسمي باسمهاً وقام ببناء مدينة الزهراءِ (المقري، 1968، الصفحات ج1 ، ص523 – 524) . اذ كانت السيدةّ صبحِ أم الخليفة هشام المؤيدَ ، وزوجة الخليفة الحكم المستنصر على درجةِ كبيرة من الثراءَ (الضبي، 1967، صفحة 105) (ابن سعيد، 1999، صفحة ج1 ، 199) .

1 . دور المرأة السياسي :

كان للمرأة المسلمةِ ادوارها البارزةِ في كل مفاصل الحياة وهي العامل المهم والحيوي وتقع عليها اعباء الحياة اليومية والمختلفةِ ، ومن اشهر النساء المغرب ذات سلطة واسعة هي زوجة يوسف بن تاشفين زينب النفزاوية ينظر : (الزركلي، 2002، صفحة ط15 ، ج3 ، 65) في شهر شعبان المكرم من سنة (463 هـ / 1070 م) بعد تمامِ عدتها ودخل بها وسرت به وسر بها وأخبرته بأنه يملك المغرب كله فبسطت آماله وأصلحت أحواله واعطته الأموال الغزيرة ، فأركب الرجال الكثير، وجمع له القبائل أموال عظيمةِ ، فجند الأجنادِ وأخذ في جمع الجيوش من البربر والاحتشاد بنفسه وبتدبير زوجه زينب في كل يوم مع امسه ، حتى سلكِ أهل المغرب في قانون الضغط ، ومن هذا يتضح أن لزوجة يوسف ، دور في أخذه زمام الحكمِ بالمغرب فتأتى بملكه ما لم يتأتى (ابن عذاري، 1983، صفحة ج4 ، 22) . كما عرفت بلاد المغرب والاندلس الكثير من الانقلابات والفتن والمؤامرات التي كانت تقودها النساء وابسط مثالِ على ذلك السيدة قمر زوجة علي بن تاشفين (ت : 540 هـ / 1108 م) والتي برزت بالسياسة والأدب وعرفت بجمالها وذكائها أذ استطاعت ان تقضي على منافسة لها امام أمير المسلمينِ علي بن تاشفين بجعل ولاية العهد لابنها سير (522 هـ / 1128 م) بدلِ تاشفين بن علي رغم صغر سنه (دندش، 1991، صفحة 175) . كذلك خاضت المرأة الحرب وتطورت وسائل العلاج والخدماتِ

الطبية واسعاف الجرحى الذين يصابون في الحروب ، فبعد أن كانت النساء يقمن بهذه المهمة فِي عصر الرسول (ﷺ) ، أصبحت معالجة الجرحى من واجبات جماعات متخصصة لهذِا الغرض ، وأنِ كانت المعلومات المتوفرة عن هذه الجماعات قليلة ، ولكنهم بكل تأكيد أخذوا المبادئ الأوليةِ التي كانت معروفة عن الطب من قبائلهم وعرافهم ، كما تقيدوا بالوصايا التي جاء بها الدين الاسلامي عن التطهير والنظافة وغسل الجروح وكيهاً (التكريتي، 1984، صفحة 124) .

وفي نهاية عصر المرابطين أصبح اللصوص يلجئون الى النساء المرابطات للاحتماء بنفوذهن (بوتشيش، 1998، صفحة 192) وازداد نفوذ النساء وصارت لهن السيطرة على الحياة العامة في البلاد يصور ذلك المراكشي بقوله : ((استولى النساء على الأحوال واسندت اليهن الأمور وصارتِ كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على مفسدة وشرير وقاطع سبيل ، وصاحب خمرِ ومخمورِ ، وأمير المسلمين في ذلك كله يتزايدِ تغافله ويقوى ضعفه)) (المراكشي، 2003، صفحة 241) .

أما أشهر النساء الدولة الزيانية اللواتي كان لهن دورا فرديا كبيراً في مرحلة تعرضت لها تلمسان للغزُو الحفصي ، هي أم السلطانً يغمراسن (633 – 681 هـ / 1235– 1282 م) ، ولوجودها بالقرب من السلطة مهد لهاً دورا مهما في الدولة الزيانية ، فقد تدخلت سوط النساء في مفاوضاُت ووساطة بين ولدها والسلطان الحفصي ، ومن النصوص التاريخية نستدل على الاحترامْ والتقدير لمهمتها مما أسفرِ عن عقدها هدنة بين الطرفين (عبد الرحمن، 2014، صفحة 125) . وعندما هاجم السلطان أبو حين المريني (697 – 752 هـ / 1297 – 1351م) ينظر : (البرزلي، 2002، صفحة ج4 ، 313) مدينة تلمسانِ ، كانت النساء تخضن المعارك إلى جانب الرجال خلف الأسوار وتحثهم على المقاومة والصمود ، وكانت في مدينة تلمسان ، كانت النساء تخضن المعارك إلى جانب الرجال خلف الأسوارِ وتحثهم على المقاومة والصمود ، وكانت في نفس الوقت تهجو السلطان بني مرين ، وتكيلِ له الشتائم ، فقال عند ذلك أبو الحسن : الشتم حيلةً المغلوب (ابن مرزوق، صفحة 184)

2 . المرأة والعادات الاجتماعية :

وكذلك شاركت المرأة في بلورة الحضارةِ على يد زوجة الخليفة الأميرة طروب ، وارتقى الذوق الحضاري بدخول المغني زرياب إلى الأندلس ، ذلك أن المذهب المالكي المحافظ ساعد على استقرار الحياة الاجتماعيةِ والاقتصادية ، وزرياب سما بالذوق الأدبي والفني ، وكان للأميرة طروب أثر في حياة المرأة الأندلسيةِ وإسهامها في بناء مرافق الحياة الجديدة . وكان للمرأة حضور كبير في المناسباتِ العائلية الخاصةِ منها والعامة وكان حضورها يدل على البهجة والفرح والسرور وكان لكتب النوازلِ الكثيرِ من هذه المناسبات منها من كان مسموح به ومنها من كان مرفوضِ ، اذ استفتي الفقيه ابن لب في نازلِة عن وليمة عشاء عرس اذ قال : ((وليمة النكاح)) (ابن لب، 2004، صفحة ج2 ، 7) وسئلِ عن إجابةِ الداعي الى وليمة النكاح مع ما تشتمل عليه من الملاهي واصوات النساءِ والطربِ وغيرِ ذلك ، وافتى الفقيه ابن لب في هذه المسألِة بأن : ((الحكم في حضور الوليمةِ والتي تكونِ على ما وصفتم جواز التخلف عنها وقد شرطِوا في توجه الحضور على المدعِو الى وليمة النكاح خلوها من المنكر والباطل)) (ابن لب، 2004، صفحة ج2 ، 7) ، وقد كانتِ العادة في الحفلات الزواجِ هي ان تكون الدعوة عامة لجميع الاهل والأصدقاِء ، وهناك من يطربون البوقِ والطنبور والعود والغناء ابتهاجا بالمناسبة ، وكانت تختلط النساء مع الرجال ، والوليمة : الطعام المتخذ لأجل العرس ، وهو من المطلوبات شرعا ، ولعلِ من جملة فوائده أن اجتماع الناس لذلك مما يقتضي اشتهار النكاح (ابن دقيق، 1994، صفحة 570) . هذا وقد اكدِت كتبِ الحسبة على منع المناكيرِ والشرور ووجوبِ زجرهم ومعاقبتهمِ فالجرسيفي أكد : ((وكذلك يمنع من اجتماع الرجال مع النساء ما امكنِ ، وحيث يمكن ، كالأعراس والمآتم ، ويتأكد الأمر في الشواب منهن)) (الجرسيفي، 1955، صفحة ج3 ، 121) (مسعد ، 2003، صفحة 254) ، ومن السلبيات التي كانت تسقط بها المرأةِ هي عندما كانت تتمتع بالحرية وقد ادى هذا الى بعضهن الخروج عن التقاليد الاسلاميةِ ، ففي العصر المرابطينِ كانت المرأة تخرج من بيتها في المناسبات الحزينة والمفرحة وكانت تخرجِ بداعي زيارة القبُور فتصبح لذلك اماكن مواعيد (حسن، 1980، صفحة 45) .

واستفتيْ الفقيه ابن بشتغُير في نازلة : ((اشتروا طعام بهذه الدنانير ثم فسخ النكاح قبل أكل الطعام)) (ابن بشتغير، 2008، صفحة 351)) ، فقد أشأر بن بشتغير الى المشاكل التي تحدث في حفلاِت العرس قائلا : ((عن المتزوج يعطي دنانير ، وقال : اشتروا منها طعاما واصنعوه ففعلوا ثم وقع الشر بينهِم وتفاسخوا قبل أن يؤكل الطعاًم : أن كان ذلك من قبلهم ضمنوا الدنانير والطعام

لهم ، وأنِ جاء ذلك من قبلهُ فليس الا الطعام ان ادركه)) (ابن بشتغير، 2008، صفحة 351) ، من خلالِ النازلة يتبينِ ان الزوج هو يدفعُ المال الوليمةَ وتوزيعه على المدعوين .

ومن السلوكيات التي طغت على بعض النساء على قلتهن باللجوء إلى أشكال من الممارسات الغيبية ، كالسحر من أجل كسبَ محبة أزواجهن وإيجاد أزواج يحبونهن رغم أنفهم . في هذا الصدِد وردت فتوى من فقهاء المغربِ حول حكم من أشتغل بضرب الحظ وغيرة من أنواع الكهانة كما تتضمن ذاتِ الفتوى ما يفيد شيوعِ ما تعرف بكتاب المحبة والبغض ومعالجة عقدة ربط العروسِ بالسحر (بوتشيش، 1998، صفحة 36) .

3 . المرأة العاملة :

تعد كتب النوازلِ من كتب التي توضح لنا مشاكل ومعالجها وهذه الظاهرة الاجتماعية ، ومن القضايا التي عرضتِ ايامِ وفترة المرابطينِ الانعكاساتِ السلبية للظاهرة على الاسرة والمجتمع خاصة في حضانةِ الاطفال التي خلفتِ مشاكل عديدةِ ، اذ ذكرت كتب النوازلِ أن حضانة الاطفال من مسؤولية الأمِ وهي نقطة الاخلاف بين الرجلِ والمرأة فمثلاً جاء نص ((اسباب قاعدة الحضانة يقدم النساءِ على الرجال بخلاف بجميعِ الولايات يقدم فيها الرجال على النساء ، بسبب ان الحضانة تفتقرِ الى وفور الصبر على الاطفال في كثرةِ البكاء والتضجرِ ومزيد من الشفقة والرقة الباعثة على الرفق بالضعفاء والرفق بهم وكانت النسوةِ اتم من الرجالِ في ذلك كله و قدمن عليهمِ ، وما يليق بهم من اللطف والمعاملات وملابسة القاذورات وتحمل الأوساخ فهذا هو الفرق بينهما)) (القرافي، 2001، صفحة مج3 ، 1006) . وسئل سحنون عن امرأة تنسج ثوباً فيديه زوجها ان الثوب له من الكتان يملكه ، فتقول المرأة زوجته انه لها من مالها الخاص ، ففتيِ سحنون على الزوجِ اليمين فيكونان شريكان بالثوب بقدر ما لكل واحد منهما فيه (ابن أبي زمنين، 1999، صفحة 170) .

واشتهرِت مدينةِ سجلماسة بصناعة الانسجة القطنية والصوفية وان النساء السلجماسيات كن معروفاتِ بصناعة الازر من الصوف كما عرفت بصناعة السكر وصناعة الجلود والاوانيِ الخشبيةِ والصياغة والنجارة والحدادة (الجنحاني، 1978، صفحة 175) . ومن الحرف التي اشتهرت بها النساء التلمسانيات ايضا صناعة الزرابي والخياطة والطرز بخيط الذهب والفضة (حساني، 1986، صفحة ج2 ، 90) . وكذلك اعتمدت المرأة الزيانية على الإنتاج الزراعي والحيواني كموادِ أولية ، لمختلف الحرف كالصوف والحرير والقطن والكتان ، مما أدى لإنتاج وفير للصوفِ الذي امتاز بجودته العالية ونعومته كبيرة (نصيرة، 2013، صفحة 241) .

4 . مشاكل المرأة الأسرية :

عرف المرأةِ الاندلسية بجمالها وكثرة الاعتناء بنفسها وتعليمَها واناقتها وقد ذكرِت كتب الأدب الاندلسي من علماءِها وأدباء الأندلس نخبة متميزةً في جودة الوصفِ للمرأة وبالغة التعبير وصراحةِ عن جماليةِ النساء والغرور والتبرجَ والخروجِ عن المألوف للمنافسة والكبرياء بالأنوثة والشموخ بالجمال ، كما عند الأديبَ الأندلسِي في ذكر الحسن والجمال وما قيل فيهما من تفصيل واجمال بقوله ومما يستحسنَ في المرأة طول أربعة : أطرافها ، وقامتها ، وشعرها ، وعنقها ، كما ان مفاتن المرأة تظهَر في بياض أربعة : لونهاً ، وفرقهاً ، وثغرهاً ، وبياض عينه وسواد أربعة : اهدابهاً ، وحواجبهاً وعينهَا ، وشعرها (أبن عبد ربه، 1979) . وقد كثرت هذه الحالات في المجتمع ، مما أثاَر اهتمام الفقهاءِ على هذه الحالة وحفظ حقوق المرأة ، ومن هنا فأن القاضي عياض اهتم بشؤون المرأة الثيبِ اذ أستفتي في نازلة عن امرأة ارادت النكاح وهي ثيب ولا حاكم في البلدَ وأولياؤها غيب هل ترفعِ أمرها الى فقهاء البلد فيأمروا من يزوجها (القاضي عياض ، 1990، صفحة 36) . كما وأهتم الفقهاء في الاندلسَ بشؤون المرأة وحفظ حقوقها وعدم اهمالهاً ، كونها تمثل نصفَ المجتمع ، ويذكر لنا الفقيهَ ابن بشتغير مسالة حول اثبات حقوق المرأة عندَ الطلاق ، من وخلال نازلة ذكرتَ له : ((الزوج يخير امرأته فتختار الطلاق)) (ابن بشتغير، 2008، صفحة 353) . يتضحَ من خلال هذه النوازل أن المشاكل والخلافات كانت كثيرة ومنتشرة في انحاء البلاد الإسلاميَةَ على نطاق واسع حتى وصل الحال الى أن تكتب في عقد الزواج ، وقد كشفت النوازل الحياةَ الزوجية ومدى الظلم الحيف الذي يقع على المرأة وهذه حادثة تكون من مجموع حوادث وروايات ، حتى أن كتب الوثائق ذكرت شيء من المشاكل ، فقد أشار ابن العطار الى تلك النوازلَ من خلالَ سجلاته ووثائقه لتكون شاهدا لنا ويبدو أنها لا عصر ولا عهد يحددها أو تنَدر الحدوث فيهاً فهي متجذرة ومستمرة في كل الأحوال، اذ أنه أشار الى زواج عبد من امرأة حره ، اذا تزوجِ العبد من حره بأذن سيده وكانت بكرا لا أب لها وقد زوجها الأخ أو الوَلي فلا بد أن تتكلم برضاها بذلك على ما تقوم اذ هو عيب يلزمها وليس الصمت

يعني الموافقَة والرضى ، وتعرف عن نفسها ويسمع الشهود منها ذلك وكذلك يشهدون وعلى العبد نفقتها وكسوتُها من كسبِه (ابن العطار، 1983، صفحة 16) . والى مثل ذلك أشار الفقيه البرزلي في نازلة في أرضٍ تونس توجد أرض احباس ، وكان الشيخ وامام المسجد يوزع غلته في مهور النساءِ من لا يستطيعِ دفعه ، وان قدره ربع دينار (البرزلي، 2002، صفحة ج3 ، 30 . 31) . وقد سئل القابسي في رجل هل يؤدب امرأته ام لا ؟ فأجاب يجوز أدبها وذلك في كتِاب الله (الونشريسي أ.، 1981، صفحة ج2 ، 268) . وتقبل شهادة المرأة في موضعين اثنين هي الاستهلال والولادة كما قال سحنون في شهادة النساء قال : قال مالك : شهادة امرأتين في الإستهلال والولادة جائزة (ابن أبي زمنين، 1999، صفحة 154) . كما تطرقت النوازل ايضاً إلى بعض الشروط التي وضعتها النساء خلال العقد منها : من زوج ابنته وشرط عليه أن يجلبها من مدينة المهدية إلى مدينة قفصة ، فأجاب النكاح جائز والشرط لازم على الأب الاتيأن بها وفي نازلة أخرى : من تزوج ماشطة وشرطت عقد النكاح ألا يمنعها من صنعتها ، فأجاب لا يلزمه الوفاَء بالشرط ، قيل إن كانت صنعتها لا تجوز فواًضح ، وان كانت جائزة فتجري على مسألة إذا اشترطت ألا يخرجها من بلدها ، وظاًهر المدونة عدم اللزوم (الونشريسي ا.، 1983، صفحة ج3 ، 275 . 278)

5 . نشاط المرأة التجاري :

اهتمت الدولة والفقهاء بهذه المنشأة التجارِية الحيوية ، كانت امرأة أو رجلاً وبهذا الصدد أشار القاضي عياض الى أن رجل شهد على نفسه أمامِ اخرين أن الحوانيت التي بجوار مسجد القطانين في سبتة ملك له ، وامرأة قدمت عقد وبه شهود أن الارض التي بنيت عليه الحوانيت ملك لها من الميراث فأفتى القاضي عياض بأن القول قول المرأة (القاضي عياض ، 1990، صفحة 205) ، وكذلك اهتم المؤرخون والمصادر التاريخية وكتب النوازل بالمرأة وهي زوجة التاجر أو عملها في التجاًرة ومنهم القاضي عياض الذي ساهم في حل مشاكل التجار وخلافاتهم العائلية وما يسببه سفرهم للتجارة من خلال نازلة : امرأة تتزوج وهي في عصمة رجل اخر ، ان زوجهاً الأول ذهب بتجارة الى بلد وغاب عن اهلة ثلاث أعوام فعيبت اهله عليه واخذت بشرطهاً وطلقت نفسها بعد اليمين ونقضت عدتها وتزوجت مرة أخرى ثم غاب زوجهاً الثاني بعد ان انجبت منه أولاد , وعلمت مكان زوجهاً الأول التاجر حتى ذهبت اليه ولم تقل له انه طلقته وصارت معه وانجبت أولاد منه ، وافتى القاضي عياض بهذه النازلة قائلا : ((الأولاد لاحقون بابيهم وعلى المرأة ان تكون عالمة فتحدد والله المخلص)) (القاضي عياض ، 1990، صفحة 267)) . والمرأة العربية المسلمة كانت دائما أو غالباً ما تطلب الزواج من رجل يكون كفؤ لها وذكرت كتب النوازل بأن رجلاً من قبيلة عربية قيسية وهو تاجر معروف تزوج من امرأة من البربر أوربة وأهلها من الخطباَء في مدينة تازة ووافقت المرأة بالزواج وعبرته كفؤ لها (الونشريسي أ.، 1981، صفحة ج3 ، 84) . وتميزت المرأة التاًجرة بكرمها وحبها للعمل الخير وكانت تعرف بكثرة التصدق بمالهاً وقد ذكرت كتب النوازل أن النساء كانت تتصدق بثلث أو بنصف مالهاً لوجه الله ، وفي مسالة للفقيه ابن زرب : الزوجة تتصدق بثلث مالها ، ثم تتصدق بثلث مالهاً مرة اخرى فقال الفقيه : أن كان بين الصدقتين عام نفذ ذلك (ابن زرب، 2011، صفحة 155) . ونقل ابن حزم : ((اجماع الامة على قبول المرأة الواحدة في اهداء الزوجة لزوجها ليلة العرس ...)) (القرافي ش.، صفحة ج1 ، 87) .

ولم تختصر التجارة على الرجل وحسب بل ان المرأة مارست التجارة ولكن لم تكن على نطاق واسع ولم تزودنا المصادِر التاريخية عن نساء عملن بالتجارةِ الا القليل ، والفقيه ابن الحاج أشار في نازلة الى عن امرأة ودورِها بالتجارة وقد استفتي في نازلة في رجل هل يحق له ان يمنع امرأته من التجارةِ ، وافتى الفقيه ابن الحاج قائلا : ((لا ولكن له منعها من الخروج ، اذ الرجل ليس لهِ ان يضرب على خزانة قفلا ولا فاتحا)) (ابن الحاج، 1985، صفحة 519) ، ومن خلالِ هذه النازلة يتبين ان المرأة يحق لها العمل بالتجارة لكن تكون مقيدة بالحركة والسفر وغيرهِا . كما واستفتى القاضي عياض في نازلة : ((عن تسمية احد الشريكين دون صاحبه)) (القاضي عياض ، 1990، صفحة 248) ، ان رجل اشترى صوف وقبضة من البائع ، ثم جاء رجل واشترى نصف الصوف ومن ثم شاركه بكل الصوِف ، وبعد مدى باع الشريك نصف الصوف واشترى بثمنه قمحا ولم يعطِ لشريكة الاخر منه وادعى انه اشترى من مالة الخاص وليس بمال الشرِكة وادعى نحن شركاء بالصوف فقط . وافتى القاضي عياض : ان الشريك اذا اشترى القمح من مالةِ الخاص فعلا من غير أموال الشراكة واموال الصوف ، القمح جائز له ، ولكن اذا كان البيع والشراء في مكان الشركة القمح مشترك فيما بينهما وهم شركاءِ بكل شيء (القاضي عياض ، 1990، صفحة 248) . كما ومارست المرأة الغش والتدليسِ في التجارة والسوق أثناء عملها

وكانت منهن من تدلك الصوف في شحم الخنزير ويلينِ ويرطب فيصير كالحرير في ملمسه حتى يباع في ثمن مرتفع ، حتى انها منعت من قبل المحتسبِ من ان تداول عملها (هدية ، 2017، صفحة 102) .

6 . الجواري والعبيد :

عمل الفقهاءِ على الحفاظ على حقوق طبقة العبيد والجواري وتبين لنا ذلك من خلال كتب النوازل واهتمِ القاضي عياض بحل المشاكل والخلافات العبيد واستفتى في نازلة ((في امرأة موسرة أعتقتِ غلاما واتخذته كالولد وملكته كثيرا من مالها)) (القاضي عياض ، 1990، صفحة 88) ، اذ اصبحِ حر ويملك مالا كثيرا ففسد واشتكى منه الناس ولم تتمكن المرأة من منعه ، وافتيِ القاضي عياض : ((فمن الواجب بيعها واخراجها عن ملكه او ملك سيدته التي اباحت له ذلك التصرف فيها حتى ينقطع الضرر عن جيرانه)) (القاضي عياض ، 1990، صفحة 88) ، واستفتىْ القاضي عياض في نازلة : ((عمن قام بعيب في مملوكة باعها القاضي على اليتيم)) (القاضي عياض ، 1990، صفحة 264) ، أن رجل ابتاع مملوكة من قاضي باعها على يتيم وبقتْ عنده اشهر دون عيب وبعد ذلك ظهر عيب بها فباعها على الصفة التي ابتاعها القاضي أي بدونْ عيب وظهر العيب عن المشتري الثاني وجب الرد هل ترد الى القاضي ام اليتيم . وافتىْ القاضي عياض : ((اذا شهد اهل البصر والمعرفة بالعيوب ان الذي ظهر على مرأة مملوكِة مما لا يمكن حدوثه عند المشتري في الأول والثاني وكان مما يجب به الرد ، فأنها ترد على اليتيم لا على القاضي وتكون عدتها عليه)) (القاضي عياض ، 1990، صفحة 264) ، ويتضِح من خلال الخلافات والمشاكل العبيد والجواري التي جاءت في كتب النوازل ان المجتمع المغرِبي والاندلس من المجتمعات التي تكثر به العوائل الثرية وتمتلك نفوذ وعبيد وهذه النوازلِ تعكس صورة حياة المجتمع . وسئل مالك عن من ابتاع جارية على انها عذراء ، فقبضِها وعند العشاء وجدها ليس بعذراء وارجعها وقال البائع انا بعتك جارية عذراء ، فقال مالك ارى أن يراها النساء لفحصا (ابن أبي زمنين، 1999، صفحة 156) . ويعد المجتمع الاندلس من المجتمِعات التي تزخر بالتنوع الفكري وكثرة الاجناس واختلاف الثقافات والاديان ، اذ تزخر كتب التراجم وكتب الأدب الاندلسي بالكثير من أخبار الجواري والغلمان والمغنيين والمغنيات ومجالِس الخمور وقصائد الغزل وكثرة النساء الشاعرات وما تضمن من قصائد الآدب المكشوفِ الذي يخدش الحياء (ابن أبي زمنين، 1999، صفحة 22) . وفي زمن المجاعة تعرضت النساءِ للاسترقاق والاستعباد مفادها أن رجلا باع مملوكة له ثم تبين أنه باع ابنته ، واستنكر الفقهاء هذه الظاهرة بشدة واعتبروا بيع الأب لأولاده زمن المجاعة من الأمور المحرمة شرعاِ (سمية، 2008 / 2009، صفحة 220) .

ومما تقدم يتضِح الدور الكبير والفعال والحرص الزائد على اهتمام الفقهاء بالروابط الأسرية ومتانتها واستمِرارها تحت أي ضغط او مشكله ، فمن خلال مضمون هذه النوازل يتبين جليا انهم كانوا حريصون كل الحرص للحفاظ على تلك الروابط والممتلكات والحقوق الغائب والمرأة على الرغم من أن المشاِكل الكثيرة كانت الطاغية على المجتمع يوصف بأنه مجمعا ذكوريا ولهذا السبب كانت تحصلِ مثل هذه التفصيلات واشكالياتها الاجتماعية الأسرية .

7 . المرأة في الطب :

عاشت المرأة في الأندلسِ والمغرب حياة مليئة بالمراض وتردي الوضع الصحي فهذا ابن الحاج يروي لنا في نوازله احداثاً مهمة وكيف عانت المرأة ظروفاً صعبة ، فقد أصيبت إحداهن بمرض الجذام وادعا الزوج أن هذا المرض قبل الزواج ولكن ابن الحاج طلب من النساء مختصات بكشف على المرأة واظهار الحقيقة ، وبعد الكشف على المرأة اتضح أن المرض حدث بعد عقد زواجها وبعد ولادتهاً المولود الاول (ابن الحاج، 1985، صفحة ج3 ، 451) ، وعانت أخريات من أمراض مختلفة في فروجهن (ابن الحاج، 1985، صفحة ج3 ، 451) ، من داء الرتق وداء الفرج ، ويقصدِ بالرتق (ابن الحاج، 1985، صفحة ج3 ، 448) ، هو من الأمراض التي ترد به المرأة الى اهلها كونه لا يتأتى معه الجمِاع عرفا إما لتعذره أو لعدم طيب النفس معها (الازهري ، 1997، صفحة 211) ، وقد تم تخصيص نسوة ثقات من طرف أولي الأمر كالقضاة مهمتهن الكشف عن النساء إذا كان بهن مرِض أو عيب في أجسادهن وفروجهن (ابن الحاج، 1985، صفحة 497) ، أو للتأكد من إصابتهِن بالرتق من عدمه (ابن الحاج، 1985، صفحة 451) . وقد وردت نازلةِ عن القاضي عياض : شهادة صاحب الكيمياء في صاحب الكيمياء هل ان عمله جائزِ او لا وهل هو مستحيل او لا وهل ينهى عنها طالبها أم لا . وقد أجاب عن ذلك القاضي عياض هي من ممكن الوجود ولا اشكال فيها (القاضي عياض ، 1990، صفحة 53) . وكان للفقيهِ بن بشتغير حلول كثير لكل ما يطرا أو حدث على واقع المجتمع من حيث النزاعات

والمشاكل الاسرية منها ما يتعلق بشؤون المرأة وخصوصياتها العامة ومنها وما اكتشفت أثناءِ الزواج والعيوب ما بعد من خلال نازلة : ((من العيوب التي ترد بها الزوجة)) (ابن بشتغير، 2008، صفحة 368) . ومن النساء التي كانت تشفى عن طريق الصدفة مثال على ذلكِ ، أن امرأة كانت شديدة الحزن والهم وضعيفة المعدة حتى تناولت شيء من العشب اسمه (الراسن) وكان طعمه مر فذهب عنها وجعها وجميع ما كان بها ورجعت صحتها فستعمل الناس التجربة للشفاء (ابن جلجل، 1985، صفحة 151) . وعرفت بعض النساء بمهنة القابلة التي انتشرت في البلاد الاسلامية وهي التي تتلقى الولد عند الولادة وقد كانت تسمى هذه المهنة بصناعةِ التوليد وهي صناعة يعرف العمل على استخراج المولود الآدمي من بطن امه وتختص بها النساء في غالب الأمر ، لما أنهن ظاهرات بعضهن على عورات بعض، وتسمى القائمةِ على ذلك منهن القابلة (ابن زهر، 2006)

8 . المرأة والتعليم :

هتم المجتمع الاندلسي بتعليم المرأة وتأديبها ، كما كان للمرأة رغبة شديدة في الاقبال على التعليم وطلب العلم . واستمرت الاسرة كما في العهود السابقة تتولى مهمة تعليم الفتيات وتبدو ان المرأة في بلاد الاندلس تمكنت من تلقي تعليمها خارج نطاق اسرتها ، وتلقت تعليمها غالبا على يد بعض النساء اللاتي امتلكن قدراً كافيا من التعليم ، فقد كان عادة حكام الاندلس ان يعهدوا ببناتهن ونسائهن لمعلمات لتعهدنهن بالتعليمِ والتهذيب وقراءة الشعر وحفظه ، فقد اعتنى المعتصم بن صمادح (٤٣٣ – ٤٨٤ هـ / ١٠٥١ – ١٠٩١ م) ، حاكم مدينة المرية بتأديب ابنته لما رآه منها من ذكاء حتى نظمت الشعرِ وابدعت فيه (السيوطي، .، صفحة 25) ، كما ساهمت مريم بنت يعقوب الانصاري بتعليمِ نساء الاندلس في عصر الطوائف (الحميدي، 1966، صفحة 412) ، وتولت ولادِة ابنة الخليفة محمد بن عبد الرحمن الملقب المستكفي الذي بويع سنة (٤١٤هـ /١٠٢٣م) تأديبِ احدى رفيقاتها وهي مهجة بنت التياني القرطبي (ابن سعيد ع.، 1964، صفحة ج1 ، 143) .

كما كان معروف على البلاد العربية بتوسعها السياسي العسكري كان لها توسعها الفكري الواسع الذي وصل ابعد نقطة من البلاد وامتزج بالحضاراتِ القديمة ، وكان للمرأة نصيبها من التوسع الثقافي اذ عرفت بعض النساء الاندلسيات بحبهاً للعلم والمعرفة بكل انواعها وكان العصر الذهبي للدولة الاسلامية في الاندلسِ بما حفل به من فتوحات وجهاد واستقرار فهو كذلك في جوانب الحياة الاخرى كانت هناك نهضة فكرية وثقافية واصبحت بلاد الاندلس مقصداً للعلماء وطلاب العلم ويرجف سبب هذا التطور الى حب الأمراء للعلم والمعرفة وتشجيعهم واكرامهم وكذلك نسائهم كانت محبة للعلم اذ عرفت ام الخليفة هشام المؤيد بن المستنصر بالله اللواتي شجعن على العلم والثقافة وكانت لها مكتبةِ كبيرة (ابن أبي زمنين، 1999، صفحة 16)

وقد اتضح من الشواهد التاريخية ان المرأة الأندلسية كانت تتميز بثقافة واسعة ، والقدرة على التعبيرِ باللغة العربية ذلك لأنها نبغت بشكل واسع في هذا المجال ولاسيما الى الآسر العربية ، فقدِ اطلق على حمدة او حمدونِة واختها زينب ابنتا زيادَ النساء اللائي انتمينا الى بن بقي المؤدِب من وادي آش ينظر (الحميري، 1975، صفحة 604 . 605)(العربيات) لقدرتهن على صياغةِ مفردات اللغة العربية (السيوطي، .، صفحة 46 .47) كما كان لابنة فايز القرطبي معرفة باللغة العربية وآدابها ، وقد اخذت هذا العلم عن والدها (الانصاري، 1984، صفحة س8 ، ق2 ، 494) وتميزت الجواري الأندلسيات بمعرفتهن لعلوم اللغة العربية وآدِابها ، فقد برزت في هذا المجال العبادية جارية المعتضِد بن عباد حاكم اشبيلية (ابن بسام، 1979، صفحة 23) (٤٣٣ – ٤٦١ هـ / ١٠٤١– ١٠٦٩ م) ، اذ كانِ لها المِام باللغة العربية وآدابها وكانت اشارق السويداء من اهل بلنِسية قد اخذت عن مولاهِا بعض علوِم اللغة العربية مثل علم النحو وعلم العروض ، وذكر بانها تفوقت كثيراً في علمِ العروض حتى لقبت بالعروضية . وقد توفيت بمدينة دانية في حدودِ سنة (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) . ان تفوق النساء الاندلسيات في عصر الطوائف بعلوم اللغِة العربية ، وقدرتهن على صياغة مفردات هذه اللغة جعلهن يشاركن في كتابة الكتب الطوال ، فقد كانت كاتبة ، تتقن الخط الجميل والقاء المحاضِرة ، افنت حياتها في طلب العلم ونسخ الكتب بخطها الجميل كما كانت العبادية ايضاً كاتبِة ، وتعتبر احِدى (ابن بشكوال، 1966، صفحة 655) ، الجواري المثقفات في قصر المعتضد بن عباد في مدينة إشبيلية (ياقوت الحموي، 1999، صفحة ج1 / ص195) وبرزت المرأة الأندلسية في عصر الطوائف في مجِال الادب بشكل واسِع ، اذ امتلكت بعض النساء الاندلسِيات المقومات الأساسية للنبوغ في هذا المجِال ، فقد وصِفت بعضهن بانه كان لهن اليد العليا في البلاغة ، وبرزت في هذا العصر اشارات عديدة في مختلفِ المدِن الأندلسية تميزن بقوة وجودة اشعارهن .ففي مدينِة قرطبِة برزت الشاعرة ولادة ابنِة الخليفة المستكفي . وقد اقترن اسمها مع الوزير ابو

الوليد احمد بن عبد الله بن زيدون (ت : ٤٦٣هـ /١٠٧٠م) .((ابن خاقان، 1966، صفحة 79 . 93) وصفتها المصادر بانها أديبة شاعرة ، تميزتِ بالفصاحة (السيوطي، .، صفحة 90) (ابن دحية، 1954، صفحة 8) ، وقد كانت واحدة زمانها ، حسنة المحاضرة ، مشكورة المذاكرة . وكانت الشاعرة مهجة بنت التياني شاعرةِ أندلسية من حرائر قرطبة ، كان لها اسِهامات في الحياة الثقافية وصفت بانها من اجمل نسِاء عصرِها (ابن سعيد ع.، 1964، صفحة ج1 ، 143) . وقد اقترن اسمها بولادة ولازمتها رغم الفوارِق الطبقية بين الاثنين (السيوطي، .، صفحة 81) واشتهرت في مدينة إشبيلية شاعرات عديدِات منهن العبادية جارية المعتضد بن عباد ، وقد وصفت بانها أديبة ، شاعرة ، كانت تباري الشعرِاء في شعرهم . اعتماد الرميكية وسميت الرميكية نسبة الى مولاها رميك الذي اشتراها منهِ المعتمد بن عباد وتزوجه (ابن الخطيب، 1956، صفحة 159) ، جارية للمعتمد بن عبادِ المتوفي سنة (٤٨٨ هـ /١٠٩٥ م) ، وقد اشتهرت بقدرتها الأدبية في تنظيم الشعر ، اذ استِطاعت اكمال بيت من الشعر للمعتمد (المقري، 1968، صفحة ج4 ، 211) ، وكان هذِا سبب اعجاب المعتمد به (الريسوني، 1978، صفحة 100) بثينة بنت المعتمد بن عباد ، وهِي ابنة اعتماد الرميكيةِ ، وعرفت بالجمِال وخفِة الرِوح ونظم الشعر ، وقد اثرت الاحداث السياسية على صقل قدرتها الشعرية خاصة عندما وقعت اسيرةِ ، واصبحت جارية لدى احدى تجار إشبيلية ، والذي اهداها لابنه ، وعندما علم الابن بأمر نسبِها تزوجها بعد موافقة أباها اذ سكنت مدينة إشبيلية ووصفت بكونها أديبة وشاعرة ، وقد نالت شهرتها الأدبية بعد سنة (٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م) ، وعمرت طويلا ، لكن بالرغم من ذلكِ استمرت قدرتها الأدبية في تنظيم الشعر رغم بلوغها سن الكبر . لقد نبغت في مدينة مرية شاعرِات عديدات منهن : ام الكرم بنت المعتصم بن صمادح ، تنتسب الى اسرة عريقة في الادبِ ونظم الشعر ، وكان لها ثلاثة اخوة شعراء ، اضافة الى ان صور من إسهامات المرأة الأندلسيةِ في الحياة الثقافية والتي عاشت فيها بتأثير على صقل قدرتهاً (كحالة، 1959، صفحة ج4 ، 238) .

قائمة المصادر والمراجع :

ابراهيم القادري بوتشيش. (1998). *مباحث في تاريخ الاجتماعي للمغرب والاندلس خلال عصر المرابطين*. بيروت: دار الطليعة.

ابن مرزوق. (بلا تاريخ). *المستند الصحيح*.

ابو العباس احمد بن يحيى الونشريسي. (1983). *المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب*. بيروت : دار الغرب الاسلامي.

ابو الفضل عياض اليحصبي السبتي القاضي عياض . (1990). *مذاهب الحكام في نوازل الاحكام*. بيروت: دار الغرب الاسلامي.

ابو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال. (1966). *الصلة*. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

ابو سعيد التغلبي الشاطبي ابن لب. (2004). *نوازل ابن لب*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابو عبد الله التجيبي ابن الحاج. (1985). *نوازل ابن الحاج*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابو عبد الله القضاعي ابن الآبار . (1985). *الحلة السيرة*. القاهرة: دار المعارف.

ابي الحسن علي ابن بسام. (1979). *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*. بيروت: دار الثقافة.

أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي. (1981). المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل أفريقية والأندلس والمغرب. الرباط: وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في المملكة المغربية .

ابي القاسم بن أحمد البلوي البرزلي. (2002). *فتاوى البرزلي جامع مسائل الاحكام لما نزل عن القضايا بالمفتين الحكام*. بيروت: دار الغرب الاسلامي.

ابي عبد الله محمد ابن أبي زمنين. (1999). *منتخب الاحكام*. القاهرة: مؤسسة الريان.

احمد بن سعيد اللورقي المالكي الغرناطي ابن بشتغير . (2008). *نوازل ابن سعيد*. بيروت: دار بن حزم.

أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي الازهري . (1997). *الفواكه الدواني على الرسالة ابن أبي زيد القيرواني* . بيروت: دار الكتب العلمية.

احمد بن محمد الاندلسي أبن عبد ربه. (1979). *العقد الفريد*. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

احمد بن محمد المراكشي ابن عذاري. (1983). *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب* . بيروت: دار الثقافة.

احمد بن يحيى بن عميرة الضبي. (1967). *بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس*. القاهرة: دار الكاتب العربي.

البمبي, عبد الرؤوف علي. (بلا تاريخ). *بغداد* .

البمبي, علي عبد الرؤوف. (2002). *تاريخ اسبانيا الاسلامية النظم والمؤسسات*. القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة.

الحبيب الجنحاني. (1978). *المغرب الاسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية*. الجزائر: الدار التونسية للنشر.

الطاهر ، مكي. (1993). *دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمام*. القاهرة: دار المعارف.

الفتح بن محمد القيسي الاشبيلي ابن خاقان. (1966). *قلائد العقبان في محاسن الاعيان* . تونس: مكتبة العتيقة.

بشير عبد الرحمن. (2014). *المرأة المغربية في نوازل أبي القاسم البرزلي*. الجزائر ، جامعة وهران : مجلة عصور الجديدة ، العدد 11 . 12.

تقي الدين العيد ابن دقيق. (1994). *احكام الاجكام شرح عمدة الأحكام* . القاهرة: مكتبة السنة.

جلال الدين السيوطي. (.). *نزهة الجلساء في اشعار النساء*. القاهرة: مكتبة القرآن.

خير الدين الزركلي. (2002). *الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين* والمستشرقين . بيروت: دار العلم للملايين.

سامية مصطفى محمد مسعد . (2003). *الحياة الاقتصادية والاجتماعية في اقليم غرناطة في عصري* المرابطين والموحدين. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

سليمان بن حسان ابو داود الاندلسي ابن جلجل. (1985). *طبقات الاطباء والحكماء* . بيروت: مؤسسة الرسالة.

سهى, بعيون;. (2014). اسهام المرأة الاندلسية في النشاط العلمي في الاندلسفي عصر ملوك الطوائف 422 . 479 هـ / 1031 . 1086 م. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

سورة النساء. (آية 1).

شهاب الدين التلمساني المقري. (1968). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*. بيروت : دار الصادر.

شهاب الدين ابي العباس أحمد بن ادريس بن عبد الرحمن الصنهاجي القرافي. (بلا تاريخ). *الفروق انوار البروق في انوار الفروق*. القاهرة: دار السلام.

شهاب الدين ابي العباس بن ادريس الصنهاجي القرافي. (2001). *الفوارق انوار البروق في انوار الفروق* . القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر.

عباس راجي التكريتي. (1984). *الاستاذ الطبي في الجيوش العربية الاسلامية*. بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر.

عبد الملك بن أبي العلا ابو مروان ابن زهر. (2006). *التيسير في المداواة والتدبير* . بيروت : دار الكتب العلمية.

عبد الواحد المراكشي. (2003). *المعجب في تلخيص اخبار المغرب* . القاهرة: مطبعة الاستقامة.

عزرودي نصيرة. (2013). *الدولة الزيادية وتفعيلها في تفعيل النشاطالحرفي في المغرب الأوسط* . جامعة قسنطينة: مجلة البحوث الاجتماعية والتاريخية ع4.

عصمت عبد اللطيف دندش. (1991). *اضواء جديدة على المرابطين*. بيروت: دار الغرب الاسلامي.

علي بن موسى بن سعيد ابن سعيد. (1964). *المغرب في حلى المغرب*. القاهرة: دار المعارف.

علي حسن حسن. (1980). *الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس عصر المرابطين والموحدين* . القاهرة: مكتبة الخانجي.

عمر بن عثمان بن العباس الجرسيفي. (1955). *رسالة في آداب الحسبة والمحتسب*. القاهرة: مطبعة معهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية.

عمر رضا كحالة. (1959). *اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام*. دمشق: المطبعة الهاشمية.

لسان الدين بن محمد ابن الخطيب. (1956). *تاريخ اسبانيا الاسلامية* . بيروت: دار المكشوف.

محمد المنتصر الريسوني. (1978). *الشعر النسوي في الأندلس*. بيروت: دار مكتبة الحياة.

محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله الازدي الحميدي. (1966). *جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس* . القاهرة: مطابع سجل العرب.

محمد بن احمد الاموي ابن العطار. (1983). *الوثائق والسجلات*. مدريد: المعهد الاسباني العربي للثقافة.

محمد بن الحسن بن علي ابن دحية. (1954). *المطرب في اشعار أهل المغرب*. الخرطوم: مطبعة مصر.

محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري. (1975). *الروض المعطار في خبر الاقطار*. بيروت: دار العلم.

محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري. (1984). *الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة* . الرباط: مطبعة المعارف الجديدة.

محمد بن يبقى ابو بكر المالكي القرطبي ابن زرب. (2011). *فتاوى القاضي ابن زرب القرطبي*. القاهرة: دار الطائف.

محمود هدية . (2017). *اقتصاد السيج في الغرب الاسلامي في العصر الوسيط* . لندن: مؤسسة هناوي.

مختار حساني. (1986). *الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية للدولة الزيادية (633 . 962 هـ / 1235 . 1554 م) اطروحة دكتوراه*. جامعة الجزائر : معهد الوطني للدراسات التاريخية .

مزدور سمية. (2008 / 2009). المجاعات والأبئة في المغرب الأوسط (588 . 927 هـ / 1192 . 1520 م) رسالة ماجستير . الجزائر : جامعة منتوري.

نور الدين ابو الحسن العنسي ابن سعيد. (1999). *المغرب في حلي المغرب*. القاهرة: دار المعارف.

Bochich. (1998). Investigations into the social history of Morocco and Andalusia during the Almoravid era. Beirut: Dar Al-Tali'ah.

Abu Abbas Ahmed bin Yahya Al-Wansharisi. (1983). The Arabized and comprehensive standard of Morocco based on the fatwas of scholars from Africa, Andalusia, and Morocco. Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Abu Al-Fadl Ayyad Al-Yahsbi Al-Sabti, Judge Ayyad. (1990). The doctrines of the rulers regarding the calamities of rulings. Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Abu Al-Qasim Khalaf bin Abdul Malik Ibn Bashkwal. (1966). Relevance. Cairo: Egyptian House for Authoring and Translation.

Abu Saeed Al-Taghlabi Al-Shatibi Ibn Lubb. (2004). Ibn Lubb's calamities. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Abu Abdullah Al-Tajibi Ibn Al-Hajj. (1985). Calamities of Ibn al-Hajj. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Abu Abdullah Al-Qadha'i Ibn Al-Abar. (1985). Hilla biography. Cairo: Dar Al-Maaref.

Abu Al-Hassan Ali Ibn Bassam. (1979). Ammunition in the virtues of the people of the island. Beirut: House of Culture.

Abu Al-Abbas Ahmed bin Yahya Al-Wansharisi. (1981). The Arabized and comprehensive standard of Morocco for the fatwas of the people of Africa, Andalusia, and Morocco. Rabat: Ministry of Endowments and Islamic Affairs in the Kingdom of Morocco.

Abi Al-Qasim bin Ahmed Al-Balawi Al-Barzali. (2002). Al-Barzali's fatwas compiled on issues of rulings, based on what was revealed about the issues by the ruling muftis. Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Abu Abdullah Muhammad Ibn Abi Zamanin. (1999). Selected rulings. Cairo: Al Rayyan Foundation.

Ahmed bin Saeed Al-Lurqi Al-Maliki Al-Gharnati Ibn Bashtgir. (2008). Ibn Saeed's calamities. Beirut: Dar Bin Hazm.

Ahmed bin Ghoneim bin Salem Al-Nafrawi Al-Maliki Al-Azhari. (1997). Al-Fawakih Al-Dawani on the message, Ibn Abi Zaid Al-Qayrawani. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Ahmed bin Muhammad Al-Andalusi bin Abd Rabbo. (1979). Unique contract. Beirut: Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution.

Ahmed bin Muhammad Al-Marrakshi Ibn Adhari. (1983). Al-Bayan Morocco in the news of Andalusia and Morocco. Beirut: House of Culture.

Ahmed bin Yahya bin Amira Al-Dhabi. (1967). In order to seek the petition in the history of the men of the people of Andalusia. Cairo: Dar Al-Katib Al-Arabi.

Al-Taher, Makki. (1993). Studies on Ibn Hazm and his book Tawq al-Hamam. Cairo: Dar Al-Maaref.
Al-Fath bin Muhammad Al-Qaysi Al-Shabili Ibn Khaqan. (1966). Eagle necklaces in the virtues of notables. Tunisia: Al-Atiqa Library.
Bashir Abdel Rahman. (2014). Moroccan women in the calamities of Abu Al-Qasim Al-Barzali. Algeria, Oran University: New Ages Magazine, Issue 11-12.
Taqi al-Din al-Eid Ibn Daqiq. (1994). Ahkam Al-Ajkam explanation of Umdat Al-Ahkam. Cairo: Sunnah Library.
Jalal al-Din al-Suyuti. (.). Nizhat Al-Jalasa in Women's Poetry. Cairo: Library of the Qur'an.
Khairuddin Al-Zirkli. (2002). Notable People: A dictionary of biographies of the most famous Arab men and women, Arabs, and Orientalists. Beirut: Dar Al-Ilm Lilmalayin.
Al-Bembe, Ali Abdel Raouf. (2002). History of Islamic Spain, systems and institutions. Cairo: Supreme Council of Culture.
Habib Al-Janhani. (1978). Islamic Morocco economic and social life. Algeria: Tunisian Publishing House.

الإضرابات الزراعية في ولاية كاليفورنيا 1930-1936

م.د. انتصار عبد عون محسن

intisar.alsaady1989@uomustansiriyah.edu.iq

كلية التربية، الجامعة المستنصرية

الملخص

تشير الإضرابات الزراعية في كاليفورنيا إلى الاحتجاجات والإضرابات المنظمة التي يقودها عمال المزارع في الولاية. وعادة ما يتم تنظيم الإضرابات للمطالبة بأجور أفضل، وتحسين ظروف العمل، وتوفير حماية أقوى لعمال المزارع. تعد الصناعة الزراعية في كاليفورنيا واحدة من أكبر الصناعات في الولايات المتحدة، اذ توظف مئات الآلاف من العمال. على الرغم من دورهم الحاسم في إمداد البلاد بالغذاء، واجه العديد من عمال المزارع ظروف عمل محفوفة بالمخاطر، وأجور منخفضة.

أصبحت الإضرابات الزراعية، أكثر خطورة مما كانت عليه من أي وقت مضى. صنف أكثر من ثلث تلك الإضرابات على أنها إضرابات ناجحة وتركت بعضها بصمات واضحة على التاريخ الأمريكي، شارك فيها أكثر من 47.500 عامل زراعي. كان في طليعة تنظيم وقيادة الإضرابات الزراعية في كاليفورنيا، منظمات مختلفة، على رأسها الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة الذي يقوده الشيوعيون وقد تمتع الاتحاد بتاريخ طويل في الدفاع عن حقوق عمال المزارع. وهو منظمة عمالية شيوعية للحصول على القيادة والتوجيه اللازمين لتحويل هذا النشاط الذي يبدو غير مكتمل إلى حركة عمالية فعالة.

الكلمات المفتاحية: كاليفورنيا، الزراعة، الاضرابات، الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة

Agricultural strikes in California 1930-1936

Inst. Prof. Intisar Abd Aoun Mohsen(PhD.)

College of Education / Al-Mustansiriya University

Abstract:

Agricultural strikes in California pertain to the orchestrated demonstrations and strikes initiated by agricultural laborers in the region. These protests are typically orchestrated to advocate for enhanced remuneration, better working conditions, and heightened safeguards for farm workers. The agricultural sector in California stands as one of the largest industries in the United States, engaging hundreds of thousands of individuals in its operations. Despite their pivotal role in providing the nation with sustenance, many farm workers have encountered perilous work environments and meager salaries.

The severity of agricultural strikes has escalated significantly. More than a third of these strikes have been deemed successful, leaving a notable imprint on American history, with a participation of over 47,500 farm workers. Numerous entities have been instrumental in spearheading and guiding agricultural strikes in California, chiefly among them being the Industrial Union of Agricultural and Canning Workers, under communist leadership. This organization boasts a lengthy legacy of championing the rights of farm laborers. Functioning as a communist labor entity, it furnished the essential leadership and guidance to elevate this ostensibly disjointed endeavor into a potent labor movement.

Keywords: California, agriculture, strikes, Cannery and Agricultural Workers Industrial Union.

المقدمة:

تشكل الزراعة في ولاية كاليفورنيا عمود الاقتصاد فيها، اذ تعد المهنة الاساسية لأغلب سكان الولاية، لذلك ان اي اضراب سيؤثر في تدهور اقتصادها، الامر الذي فرض على اصحاب القرار فيها ايجاد حلول لمشاكل العمال الزراعيين خوفا من تأثير تلك

الاضرابات على اوضاع الولاية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، من هنا برزت اهمية دراسة تلك الاضرابات ومدى تأثيرها وطرق معالجتها.

امتازت المدة بين عامي (1930–1936) بقيام سلسلة من الإضرابات التي قام بها عمال المزارع والتي لم يكن لها مثيل من حيث اتساعها وعمقها في تأريخ كاليفورنيا بدءًا من عام 1930 الذي تمثل بحدوث اول اضراب عفوي للعمال الزراعيين خلال الأزمة الاقتصادية في 1930 في مزارع الفواكه والخضروات في الطرف الجنوبي من ولاية كاليفورنيا، وبلغت ذروتها بإضراب عام 1936 الذي شارك فيه 13000 عامل وكانت معظم هذه الإضرابات ناجحة، وهو أكبر وأهم إضراب في تاريخ اضرابات عمال المزارع الأمريكية.

اقتضت طبيعة الدراسة أن تُقسم على مقدمة مع ثلاث محاور وخاتمة، ركز المحور الاول على اعطاء لمحة عامة عن اوضاع الزراعة في ولاية كاليفورنيا ، وكُرِس المحور الثاني لدراسة الإضرابات الزراعية في كاليفورنيا، فضلاً عن معرفة أهدافها والدور الذي قامت به لأجل تنظيم عمال المزارع وتلبية حقوقهم، كما استعرض ذلك المحور اضرابي التوت والقطن في عام 1933. في حين تطرق المحور الثالث والاخير الى نتائج الاضرابات الزراعية في كاليفورنيا، فضلاً عن التركيز على دراسة القوانين التي شرعت لتحسين ظروف العمل للعمال الزراعيين.

اولا: لمحة عامة عن اوضاع الزراعة في ولاية كاليفورنيا:

تقع ولاية كاليفورنيا California وهي إحدى ولايات المحيط الهادئ في الولايات المتحدة الامريكية، على الساحل الغربي للولايات المتحدة الامريكية، تحدها شمالاً ولاية أوريغون Oregon ، وشرقاً نيفادا Nevada وأريزونا Arizona وجنوباً ولاية كاليفورنيا السفلى (المكسيك)، وغرباً المحيط الهادئ ويمتاز مناخها بالاعتدال شتاءً وصيف مقبول في المناطق ذات الكثافة السكانية العالية (Gilman & Others, 1907, p. 32). ويتزايد عدد سكانها، وهو الأكبر من أي ولاية في الاتحاد بسرعة كبيرة بحيث تفرض متطلبات هائلة على الموارد الهائلة للدولة (Lindley, 1888, p. 19).

بدأت الزراعة في كاليفورنيا خلال المائة عام الأولى مع وصول قطيع الماشية إلى سان دييغو San Diego في 14 ايار 1769، والذي تم جلبه من المكسيك Mexico . إما في العام التالي أو أوائل عام 1771، فقد تم زرع القمح في الوادي السفلي لنهر سان دييغو بالقرب من مستوطنة سان دييغو (Hutchison C. B., 1946, p. 1).

اعتمدت الزراعة في كاليفورنيا بشكل رئيسي على الوديان الكبرى بالولاية، اذ يمتد الوادي المركزي العظيم (النصف الشمالي هو وادي سكرامنتو Sacramento ، والنصف الجنوبي وادي سان جواكين (San Joaquin) ، لمسافة 430 ميلًا (من ريدينغ Reading إلى بيكرسفيلد Bakersfield) والوديان المهمة الأخرى هي سانتا كلارا Santa Clara بالقرب من سان فرانسيسكو San Francisco ، وساليناس Salinas بالقرب من مونتيري Monterey ، وسان غابرييل San Gabriel وكوتشيلا Coachella بالقرب من لوس أنجلوس Los Angeles ، والوادي الإمبراطوري في أقصى الجزء الجنوبي من الولاية (Dann, 1969, p. 1).

كانت الزراعة التي تم تأسيسها في كاليفورنيا مناسبة لأهداف وأساليب الاحتلال الإسباني. كانت هناك ثلاثة أهداف رئيسية لها: توفير الحاميات العسكرية؛ إطعام السكان الأصليين؛ واستيطان المنطقة الجديدة وتطويرها. ومن الطبيعي أن لحوم البقر والحبوب، وهي المتطلبات الغذائية الأساسية، كانت أول من حظي بالاهتمام فبدأ عصر القمح العظيم في الوديان الداخلية، تم استيراد أصناف جديدة من الفواكه وزرعت اصناف الكروم وانتشرت البساتين على نطاق واسع. تم جلب الماشية المحسنة وتم توجيه الزراعة مع تقديم منح سخية من الدولة لتشجيع ذلك وكانت هناك تجارب واسعة النطاق لتحديد ما يمكن زراعته بنجاح (Hutchison C. B., 1946, p. 1).

عندما تم اكتشاف الذهب في عام 1848 اعتنق أصحاب المزارع قيم الربح والإنتاجية التي أصبحت مرتبطة بالنظام الصناعي المزدهر، واختاروا توظيف قوة عمل قابلة للاستغلال بسهولة من المهاجرين، اذ كان هناك أقل من 10000 شخص من غير السكان الأصليين في كاليفورنيا، ووصل خلال العقد التالي أكثر من 300000 مستوطن، مما أدى إلى زيادة الطلب المحلي على الغذاء وبعد ان أصبحت كاليفورنيا ولاية في 9 ايلول 1850 (Pitt, 1998, p. 1) كانت الزراعة تتألف إلى حد كبير من رعي الماشية وزراعة القمح في مزارع واسعة النطاق، واعتمدوا أكثر على العمالة المأجورة أثناء الحصاد (Martin, 2020, p. 3)، اذ لم يكن النمو

السكاني السريع في مدفوعًا فقط باحتمال الحصول على ثروات مذهلة من المناجم أو أرباح كبيرة من التجارة والصناعة، بل أيضًا من خلال الوعد بثروات أكثر استدامة يتم أخذها من الأرض. كان الشعور المشترك بين القادة المفكرين هو "**مستقبل هذا البلد يكمن في الزراعة**"، وكان الكثير منهم حريصين ليس فقط على تحقيق النجاح المادي، بل أيضًا على المساعدة في استكشاف الإمكانيات وتشكيل المؤسسات التي كانوا واثقين من أنها ستصبح يومًا ما ثروة مشتركة عظيمة سارع الوافدون الجدد ذوو التفكير الزراعي إلى اغتنام الفرص التي أتاحتها سيادة الولايات المتحدة (Hutchison C. B., 1946, p. 33).

زاد عدد سكان كاليفورنيا بين عامي 1848 و1860 بنسبة كبيرة جدًا. ووجدت الدولة نفسها غير مستعدة لتلبية الاحتياجات الغذائية المتزايدة حتى الماشية والأغنام في المزارع الكبرى لم تكن كافية، وكان الاستيراد ضروريًا. كانت تلك فرصة ذهبية حقًا لأولئك الذين يكرسون أنفسهم للزراعة، والواقع أن العديد من القادمين الجدد اتجهوا مباشرة إلى الزراعة، فمع تراجع الإثارة حول الذهب، كانت الرغبة في زراعة الأرض بدلاً من الذهب هي التي حولت أذهان الرجال إلى كاليفورنيا (Hutchison C. B., 1946, p. 33).

سمحت الابتكارات البيولوجية لمزارعي كاليفورنيا بزراعة أنواع الحبوب والفواكه والقطن الأكثر ملاءمة لمناخ البحر الأبيض المتوسط في الولاية. وكانت الآلات الموفرة للعمالة تتعامل مع الحبوب الأولى، ومن ثم محصول القطن في المزارع ذات المساحات الكبيرة، وساعدت العديد من العوامل في تحويل الزراعة في كاليفورنيا من الحبوب إلى الفاكهة وغيرها من السلع ذات القيمة العالية، بما في ذلك تطور نظام النقل في ثمانينيات القرن التاسع عشر، وانخفاض تكاليف رأس المال، والتعلم البيولوجي، والري، وتعاونيات التسويق لبيع سلع كاليفورنيا. وقاموا بتوسيع إنتاج الفاكهة خلف التعريفات الأمريكية التي تحميهم من المنافسة الأجنبية على الرغم من ارتفاع تكاليف النقل من كاليفورنيا إلى أسواق شرق الولايات المتحدة (Martin, 2020, p. 4).

كانت الفاكهة الأولى التي تمت زراعتها تجاريًا وعلى نطاق واسع هي العنب، اذ كانت هناك فرص لتسويق النبيذ أكثر من أي منتجات اخرى. على الرغم من أن الإنتاج التجاري لهذه الفاكهة قد سبقه جان لويس فيجنيس Jean Louis Vignes وآخرون في الجزء الجنوبي من الولاية، إلا أن العقيد أجوستون هاراسثي Agoston Haraszthy يُطلق عليه في كثير من الأحيان لقب "أبو صناعة العنب" في كاليفورنيا، اذ بدأ في زراعة وإدخال أصناف جديدة في سان دييغو في عام 1851، ولكن في عام 1856 استقر في سونوما Sonoma وفي عام 1858 قام بوضع 80 ألف شجرة كروم على بعد ميلين شرق سونوما بتكليف من حاكم ولاية كاليفورنيا (Hutchison C. B., 1946, p. 36).

كانت الحقيقة المذهلة حول طفرة الفاكهة الأولى العنب هذه هي انتشار المزروعات على مستوى الولاية تقريبًا. كان المنتج الرئيسي، بالطبع، هو النبيذ، حيث اقترب الإنتاج عام 1870 من 2,000,000 غالون، جاء أكثر من ربعها من مقاطعة لوس أنجلوس وحوالي السدس من مقاطعة سونوما. على الرغم من أن استيراد أصناف جديدة كان السمة المميزة لصناعة العنب خلال هذه الأيام الأولى، إلا أن معظم المزروعات استمرت لسنوات عديدة في كونها عنب الفرنسيسكان، وعنب ماديرا، الذي يُعتقد عمومًا أن الروس هم من أدخلوه (Hutchison C. B., 1946, p. 37).

واجه الرواد المزارعون في كاليفورنيا العديد من الصعوبات، اذ كان هناك نقص في العمالة ومشكلة عامل المزرعة المتجول؛ تضارب المصالح بين رجال الماشية والمزارعين؛ والشكوك المتعلقة بملكية الأراضي؛ المضاربة واسعة النطاق على الأراضي، عدم وجود أسواق للمنتجات المتزايدة ولاسيما كروم العنب. ولكن على الرغم من هذه الصعوبات وغيرها، مضت المغامرة العظيمة قدمًا بروح عالية لبلد جديد، اذ تم إثبات قدرة تربة كاليفورنيا ومناخها على نجاح زراعة جميع المنتجات في الولاية تقريبًا. وبلغت القيمة الإجمالية للمنتجات الزراعية السنوية ما يقـارب خمسين مليـــــون دولار (Hutchison C. B., 1946, p. 2).

تفوقت ولاية كاليفورنيا كولاية زراعية، واعتمد ذلك على عدة عوامل، اذ يسمح المناخ بزراعة محاصيل مثل الخضروات في كاليفورنيا على مدى فترة أطول من أي مكان آخر، أو خلال غير موسمها، وبالتالي العثور على أسواق جاهزة. هناك أكثر من مليون فدان (2.8 مليون هكتار) من الأراضي الزراعية المروية، المكننة والتخصص منتشران على نطاق واسع، تتخصص العديد من المزارع في إنتاج محصول واحد أو محصولين فقط، وبعضها يعتمد على الآلات بدرجة عالية بحيث تشبه المصانع الموجودة في الحقول (Encyclopedia Americana. Vol.5., 1979, p. 204).

وبما أن رأس المال الصناعي والمالي كان يسيطر على الزراعة في كاليفورنيا، فليس من المستغرب أن يكون نظام المصانع هو السائد في الحقول. وهكذا كان الاعتماد في كاليفورنيا على عامل المزرعة المأجور أكبر من أي ولاية أخرى، وكانت مصانع الحقول تختلف عن مصانع المدن في كونها موسمية للغاية. كان على العمال الانتقال من صاحب عمل إلى صاحب عمل اخر، ومن محصول إلى محصول، ومن منطقة إلى أخرى مع تحول الطلب على العمالة. وتنوعت أوقات الحصاد من حصاد خس ساليناس الذي استمر سبعة أشهر، إلى حصاد المشمش الذي استمر عشرة أيام فقط. كان صاحب العمل يحتاج إلى عدد كبير من العمالة المتاحة لفترات زمنية قصيرة، وهكذا كان على عامل المزرعة أن يستمر في الحركة من أجل البقاء في عمله طوال العام (Dann, 1969, p. 4).

ثانياً : الإضرابات الزراعية في كاليفورنيا:

تعود جذور مشكلة عمال المزارع للعام 1879، وهو العام الذي تغيرت فيه الزراعة في كاليفورنيا من الزراعة الموسعة إلى الإنتاج المكثف للمحاصيل، أصبحت مشكلة المعروض من العمالة حادة مما دعت الحاجة إلى توفير العمالة الرخيصة فكان الحل في استيراد العمال الزراعيين من بلدان ذات مستوى معاشي أدنى كثيراً من المستوى السائد في الولايات المتحدة، وكانت مصادر أهم المجموعات لسد احتياجات العمالة الزراعية، حسب ترتيب ظهور رعاياها في كاليفورنيا، هي الصين، واليابان، والهند، والمكسيك، وجزر الفلبين (Lindley, 1888, p. 19).

ارتفع عدد سكان كاليفورنيا إلى 5 ملايين في عام 1930، مما أدى إلى زيادة الطلب على السلع لإطعام السكان ومن هم خارج الولاية (Martin, 2020, p. 3)، وتركت بقايا موجات الهجرة السابقة بصماتها على المعروض من العمالة الزراعية في كاليفورنيا في العام نفسه. ولكن العمال كانوا في الغالب من المكسيكيين، والفلبينيين، والبيض الأصليين، الذين كانوا يغادرون مدن الكساد بحثاً عن العمل. أفاد التعداد السكاني الأمريكي لعام 1930 أنه من بين حوالي 186000 عامل زراعي في كاليفورنيا في عام 1930، كان 77800 من البيض الأصليين، و41200 من المكسيكيين، و32000 من البيض المولودين في الخارج، و16100 من الفلبينيين، و14600 يابانيين، و2200 صينيين، و1800 من الفلبينيين. أمريكي أفريقي. كانت تلك المزارع الصغيرة أو المتوسطة التي تستخدم العمالة تستأجر البيض فقط (أو اليابانيين فقط في حالة المزارع اليابانية الصغيرة)، بحيث كان المكسيكيون والفلبينيون يشكلون الأغلبية في المزارع الكبيرة التي تشبه المصانع (Dann, 1969, p. 5).

أدى الكساد إلى زيادة كبيرة في عدد عمال المزارع الموسميين، أولا عندما غادر سكان كاليفورنيا المدن بحثا عن عمل، وبعد ذلك عندما تدفق مئات الآلاف من اللاجئين إلى كاليفورنيا. وقد تم تعويض ذلك جزئيًا فقط من خلال الإعادة القسرية لـ 100000 مكسيكي في الثلاثينيات وعودة أعداد كبيرة من الفلبينيين إلى الفلبين. بحلول عام 1935، قُدر أنه كان هناك 300000 عامل زراعي في كاليفورنيا وتدفق أكثر من 1,200,000 شخص إلى كاليفورنيا من ولايات أخرى خلال العقد الماضي. ما يقرب من 27% من ولاية أوكلاهوما Oklahoma ؛ وجاء 25٪ من ولايات تكساس Texas وأركنساس Arkansas وميسوري Missouri . وكانت الولايات الرئيسية الأخرى هي ولايات كانساس Kansas ونبراسكا Nebraska وكولورادو Colorado وأيوا Iowa وداكوتا الجنوبية South Dakota. وأصبح حوالي 143.000 من هؤلاء اللاجئين عمالاً في المزارع؛ وكان من بين هؤلاء 54000 عامل زراعي، و47500 مزارع مستقل، و42000 كانوا يشغلون وظائف غير زراعية قبل الهجرة (Dann, 1969, p. 5).

لم تكن أجور عمال المزارع في كاليفورنيا مرتفعة على الإطلاق، لكن المعدل انخفض بأكثر من 50% من عام 1929 إلى عام 1933. وكان المعدل اليومي (بدون إقامة) في الفترة من 1925 إلى 1929 لعمال المزارع في كاليفورنيا هو 3.50 دولار. وفي عام 1930 انخفض إلى ثلاث دولارات. وفي عام 1931 اصبح الاجر 2.75 دولارًا؛ وفي عام 1932، بلغ 2.40 دولارًا؛ وفي عام 1933 انخفض إلى 1.60 دولارًا في اليوم. أدت موجة الإضرابات الكبرى في 1933–1934 إلى رفع الأجر إلى حوالي دولارين واستمر لبقية الثلاثينيات. وفي عام 1935 قدر متوسط دخل الأسرة لـ 753 عائلة مهاجرة 289 دولارًا، بانخفاض من 381 دولارًا في عام 1930: وأظهرت دراسة أخرى أن العديد من العائلات حصلت على دخل أقل من 100 دولار. ويقارن هذا بميزانيات "الحد الأدنى للكفاف" أو ميزانيات الإغاثة الحكومية التي تتراوح بين 780 دولارًا و850 دولارًا. وفي الثلاثينيات، استفاد المزارعون من فائض العمالة، وخفضوا معدلات الأجور إلى أدنى مستوياتها. تراوحت أسعار الساعة في سان جواكين في عام 1931 بين 20 سنتًا و25

سنتًا؛ وانخفض سعرها إلى 15 سنتًا في عام 1932 وأوائل عام 1933 حتى أجبرتها الإضرابات على الارتفاع قليلاً (Dann, 1969, p. 6).

كانت كاليفورنيا (California) واحدة من مراكز حركة العمال العاطلين (Mikhailov , 1977, p. 228) ، ويقع جزء كبير من المسؤولية عن عدم التنظيم بين العمال الزراعيين على عاتق قادة الاتحاد الامريكي للعمل (American Federation of Labor) (Greene, 1999, p. 19) ، لانهم كانوا عازمون على الاعتراف بشرعية النقابات الراديكالية التي تشكلت في معظم الحالات بالمشاركة النشطة للحزب الشيوعي والقوى اليسارية الأخرى (Mikhailov , 1977, p. 399).

كانت ولاية كاليفورنيا المسرح الرئيسي لحركة الإضراب الزراعي في النصف الأول من ثلاثينات القرن العشرين كونها منطقة استزراع رأسمالي شديد التطور، ففيها أصبحت الشركات الكبيرة التي استأجرت المئات وأحيانًا آلاف العمال خلال موسم الحصاد، أكثر انتشارًا (Bronfenbrenner , 1990, p. 82) لذلك وقع أول عمل عفوي من العمال الزراعيين خلال الأزمة الاقتصادية في كانون الثاني 1930 في مزارع الفواكه والخضروات في الطرف الجنوبي من ولاية كاليفورنيا، شارك فيه حوالي (8000) شخص، مطالبين بزيادة الأجور بنسبة (25%) وتحسين الظروف المعيشية وعدم إقالة هؤلاء الذين شاركوا في الإضراب (Mikhailov , 1977, p. 251).

قوبل الاضراب برد فعل أصحاب العمل على اضراب كاليفورنيا هو إطلاق العنان لعصابات من لجان الأمن الأهلية، بذلك، لم يتمكن العمال من الصمود أمام الجبهة الموحدة لأصحاب العمل والسلطات المحلية، ولكن على الرغم من هزيمتهم، فقد أدى الإضراب دوراً هاماً، لأنه كان بداية للتنظيم النقابي بين البروليتاريا الزراعية الأمريكية، كما ساهم الشيوعيون عن طريق رابطة النقابات العمالية التعليمية بقدر كبير في هذا الجهد، إذ تحت قيادتهم، أنشأ العمال المضربين نقابتهم الخاصة، وهي رابطة إنتاج العمال الزراعيين (the Agricultural Laborers' Production League) ، والتي أعيدت تسميتها فيما بعد بنقابة عمال التعليب (the Cannery Workers Union) (Mikhailov , 1977, p. 251).

انتشرت إضرابات البروليتاريا الزراعية في ولايات أخرى في النصف الأول من ثلاثينات القرن العشرين ، وكانت أضعف بكثير من كاليفورنيا، لكن رغم ذلك، فإن انتشار الإضرابات إلى مناطق جديدة مَثل خطوة نحو الأمام (New Republic, 1934, p. 37) ، ففي مزارع بنجر السكر في كولورادو Colorado ، حدثت أول الأعمال العفوية للعمال في عام 1931، ففي ظل قيادة رابطة إنتاج العمال الزراعيين، تم تنظيم إضراب (18000) عامل بنجر في شهري أيار وحزيران عام 1932، وقد وسع هذا الإضراب نفوذ رابطة العمال الزراعيين بشكل كبير، وإلى جانب كولورادو، كانت هناك إضرابات للعمال الزراعيين في أواسط الثلاثينات من القرن العشرين في مزارع القطن في أريزونا ، ومزارع الفاكهة في واشنطن Washington ، وفي عدد من المناطق الأخرى في الغرب (the Nation, 1934, p. 48) .

كما امتدت الاضرابات الزراعية إلى بعض الولايات الشمالية (أوهايو Ohio ، ميشيغانMichigan ، ماساتشوستس Massachusetts، نيوجيرسي New Jersey) أشهرها الاضرابات التي اندلعت في المزارع الكبيرة لشركة سيبروك ستوك (Seabrook Stock) في نيوجيرسي على أراضيها الشاسعة التي قُدرت مساحتها بـ(5000) فدان، إذ استخدمت الشركة عددًا كبيرًا من العمال، وجزءًا من سكان المدن المجاورة والعمال المهاجرون السود، فضلا عن، ظروف المعيشة والعمل القاسية، وهذا ما حفز العمال على النضال (Mikhailov , 1977, p. 253) .

كانت الإضرابات الزراعية في كاليفورنيا عبارة عن سلسلة من الإضرابات التي قام بها العمال الزراعيين المكسيكيين والفلبينيين في جميع أنحاء وادي سان جواكين في وسط كاليفورنيا (Peterson, 1939, p. 15) (Times L. A., News of the San Joaquin Valley: Cotton Strike Set Tomorrow, 1933)، ففي عام 1933 كان هناك (36) إضراباً قدر عدد المساهمين فيه حوالي (50.000) عامل زراعي في أجزاء مختلفة من ولاية كاليفورنيا ، وكانت تحت قيادة الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة(Cannery and Agricultural Workers' Industrial Union) وهو منظمة عمالية شيوعية والذي ضم أكثر من (8000) عضو في العام نفسه (Daniel, 1995, p. 144) ، اذ نضجت المحاصيل وبدأت أعمال الإضراب بين عمال التوت والقطن والكرز والعنب والخوخ والكمثرى وبنجر السكر والطماطم (Bronfenbrenner , 1990, pp. 79-82) .

بحلول الوقت الذي اندلعت فيه أولى إضرابات في 14 نيسان عام 1933 التي نظمها الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة، كانت خطط الإضراب التفصيلية قد تم وضعها بناءً على بحث دقيق للأجور وظروف العمل وجداول الحصاد لكل محصول. وقد تم تطوير قائمة موحدة من المطالب التي تضمنت زيادات كبيرة في الأجور، والاعتراف بالنقابات، ويوم عمل مدته ثماني ساعات، وإلغاء تعاقدات العمل، والغاء التمييز العنصري، وحرية نقل العمال من وإلى الحقول. تم انتخاب اللجان الزراعية، التي تمثل الطابع المتعدد الأعراق للقوى العاملة، من قبل العمال في اجتماعات جماهيرية في كل منطقة زراعة محلية، على الرغم من هذه الاستعدادات، فقد انهار الاضراب الذي قام به 2000 من جامعي البازلاء المكسيكيين والفلبينيين في غضون أسبوعين فقط رداً على نمط مألوف من العنف والترهيب من قبل المزارعين والسلطات المحلية (Bronfenbrenner , 1990, pp. 79-82).

بدأت تلك الإضرابات في الزراعة في جنوب كاليفورنيا مع إضراب التوت، وانتقلت شمالًا إلى وادي سان جواكين، وبلغت ذروتها في إضراب القطن في تشرين الأول 1933، ثم بدأت مرة أخرى في الوادي الامبراطوري(Imperial Valley) في أوائل عام 1934 (Buhle & Georgakas , 1996, p. 27) ولأهمية اضرابي التوت والقطن سوف نستعرض احداثه ومسبباته.

أ- اضراب التوت عام 1933:

سلط إضراب التوت في مدينة إل مونتي (El Monte) في لوس انجلوس الضوء على العلاقات بين عمال المزارع المكسيكيين والمزارعين اليابانيين وملاك الأراضي البيض والمسؤولين المحليين في مدينة إل مونتي في عام 1933، اذ شهدت كاليفورنيا تدفقًا كبيرًا للمهاجرين اليابانيين من عام 1890 إلى عام 1920. ونتيجة لذلك، سعى بعض المهاجرين إلى ملكية الأراضي وأصبحوا مزارعين. ومع ذلك، قيدت قوانين الأراضي الغريبة في كاليفورنيا حقوق الملكية للمزارعين اليابانيين، مما أجبرهم على استئجار الأراضي من ملاك الأراضي البيض المحليين. وفي عام 1933، كان الاتفاق بين المزارعين اليابانيين وملاك الأراضي البيض يمثل في الواقع انتهاكًا لقانون كاليفورنيا، فقد تم استئجار ما يقارب 80 % من مساحة إل مونتي التي تبلغ مساحتها 600 إلى 700 فدان من قبل المزارعين اليابانيين، وهو الوضع الذي كان مربحًا لكلا الطرفين. ولكن اذا تمكنت السلطات المحلية من إثبات ذلك، سيفقد كل من المستأجرين اليابانيين وأصحاب العقارات البيض ملكية أراضيهم إذا قامت السلطات المحلية بتطبيق القانون. هددت التوترات بين جامعي التوت المكسيكيين والمزارعين اليابانيين وملاك الأراضي البيض والمسؤولين المحليين بلفت الانتباه إلى اتفاقيات الزراعة غير القانونية المربحة المعمول بها في إل مونتي (McWilliams, Report , 1940, p. 21887) (O'Brien , 1991, p. 23). كما كان ملاك الأراضي البيض يشعرون بالقلق من أنه إذا نجح العمال الزراعيون المكسيكيون في الإضراب ضد أصحاب العمل اليابانيين، فإنهم سيضربون ملاك الأراضي البيض بعد ذلك. وهكذا، قام ملاك الأراضي البيض وغرفة تجارة إل مونتي، وغرفة تجارة لوس أنجلوس، وإدارة شرطة لوس أنجلوس، وإدارة شرطة مقاطعة لوس أنجلوس، بدعم المزارعين اليابانيين في الاضراب (Modell, 1977, p. 124).

ان إضراب التوت في إل مونتي والصراعات التي نشأت عنه هي جزء من تراث طويل من النضال في حقول كاليفورنيا منذ دخول العمال الصينيين واليابانيين إلى سوق العمل الزراعي في سبعينيات القرن التاسع عشر، تمكن اصحاب المزارع في كاليفورنيا من الوصول إلى العمال الذين كانوا ضحايا التحيز العنصري والذين كانوا على استعداد أو أجبروا على قبول أجور أقل من تلك التي يحصل عليها المزارعون الآخرون في الولاية (Wollenberg, 1972, pp. 155-157).

في ايار عام 1933، كان أكثر من 1500 عامل مهاجر اغلبهم من المكسيك يستقرون في مخيم هيكس كامب (Hicks Camp)، (وهو مستوطنة عمالية زراعية تقع على مشارف إل مونتي) للمشاركة في موسم حصاد التوت، الذي سيبدأ في ايار ويستمر حتى اب، كانت الأجور الزراعية منخفضة في جميع أنحاء كاليفورنيا وبما أن الأجور كانت تعتمد على نوع التوت الذي يتم قطفه، فقد كان من الصعب حساب أجر السوق الذي يحصل عليه أي عامل فردي (Wollenberg, 1972, p. 158).

واجه العمال المكسيكيين في مخيم هيكس سوق عمل يضم 185 عاملاً لكل 100 وظيفة متاحة. ولم يجد العمال سوى القليل من الدعم بين مشغلي المزارع اليابانيين، لذلك قاد في نهاية ايار 1933 محرضون متطرفين في وادي سان غابرييل (San Gabriel Valley) (الذي يقع على بعد 30 ميلاً شرق لوس أنجلوس)، وكانوا اعضاء في الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة التابع للحزب الشيوعي حملة لتنظيم إضراب لجامعي التوت المكسيكيين في وادي سان غابرييل، وفي الأول من حزيران من العام نفسه دعوا

إلى اجتماع في مخيم هيكس كامب ، كان الاجتماع ناجحًا، اذ حضر أكثر من 500 عاملًا وقامت مجموعة من العمال، المكسيكيين والبيض واليابانيين، بتنظيم وتقديم مطالب إلى جمعية المزارعين اليابانيين للحصول على أجور أعلى تبلغ 35 سنتًا في الساعة والتي من شأنها أن تسمح لهم بالحصول على دخل آمن (Lopez , 1970, p. 103) وتم تشكيل لجنة عمل وسلمت المطالب إلى زعماء المزارعين اليابانيين الذين أداروا عشرات من مزارع التوت بالقرب من إل مونتي وعندما لم تتم تلبية المطالب أعلنت اللجنة الإضراب وأقامت خطوط اعتصام في حقول التوت في جميع أنحاء وادي سان غابرييل بحلول الخامس من حزيران، كان أكثر من 800 عامل قد توقفوا عن العمل وكان حصاد التوت في خطر (Wollenberg, 1972, pp. 158-159).

بدأ إضراب التوت في الاول من حزيران عام 1933 كان هذا جزءًا من أكبر إضراب زراعي في كاليفورنيا عام 1933، نظمه الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة. أثر إضراب التوت على المزارعين والمنتجين اليابانيين المحليين، ضمت لجنة الإضراب 50 عاملاً من المكسيكيين والفلبينيين واليابانيين، واثنين من منظمي الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة بدأ العمال الحملة من خلال نشر المنشورات وتوزيع النشرات وتنظيم اجتماعات يومية لإبقاء الناس على اطلاع على مسيرة الإضراب (Lopez , 1970, p. 103) . وبينما كان أكثر من 500 عامل في هيكس قد صوتوا للإضراب، الا ان الإضراب امتد ليشمل أكثر من عمال إل مونتي فقط، اذ شمل عمالًا من تشينو، وميدينا كورت، ولا بونتي، وانتشر حتى حقول الكرفس في سانتا مونيكا، وبحلول 7 حزيران كان أكثر من 2000 عامل يرفضون العمل. وبعد أسبوع ارتفع العدد إلى 7000 عامل (Wollenberg, 1972, p. 158).

لم تكن الظروف التي أثرت على عمال إل مونتي فريدة من نوعها، بل عكست بدلاً من ذلك عمليات الصناعة الزراعية الأكبر في منطقة لوس أنجلوس والتي سعت إلى استغلال القوى العاملة التي تعاني من الفقر (Wollenberg, 1972, p. 158) والأهم من ذلك، أن بيان الاتحاد العمالي المكسيكي يُظهر أن أفعال وخطاب إضراب إل مونتي لم تكن أشكالًا أجنبية من التحريض، ولكنها قدمت بدلاً من ذلك صورة دقيقة لظروف مجتمع العمال المكسيكي في ذلك الوقت. إلا أن إضراب التوت كان إلى حد كبير حركة محلية للعمال اتخذوا موقفًا جريئًا لحماية مصالحهم ورفاهيتهم (Weber D. A., 1972, p. 326).

شابت قيادة الإضراب الجدل. على الرغم من أن الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة غالبًا ما يُنسب إليه الفضل في التحريض على الإضراب، إلا أن دوره لم يدم طويلاً، نتيجة للضغوط الداخلية والخارجية. بحلول 10 حزيران 1933، تم القبض على عدد كبير من قادة الاتحاد وتم تشكيل لجنة من المنظمات الأخوية والمتبادلة المحلية، والقنصلية المكسيكية المحلية، والمضربين أنفسهم لدعم العمال المكسيكيين المضربين في المنطقة لتكون بديلاً لقيادة الاتحاد وسعت إلى الإطاحة بالاتحاد والتحريض عليها من قبل قنصلية لوس أنجلوس التي أدانت منظمي الاتحاد ووصفتهم بـ "الحمر" الذين لا يقفون لصالح العمال المكسيكيين (Lopez , 1970, p. 105) . وبحلول 13 حزيران عام 1933 ، نجح أرماندو فلوريس، وهو كبير المتحدثين باسم اللجنة ، وريكاردو هيل، نائب القنصل المكسيكي، في الإطاحة بقيادة الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة والسيطرة على الإضراب والتنظيم (Weber D. A., 1972, p. 326). وكان الهدف من ذلك هو إبعاد المضربين عن منظمي النقابات الراديكالية إلى القيادة الأكثر اعتدالًا (Ruiz , 1999, p. 76).

وقع منظمو الإضراب المكسيكيون ومشغلو الأراضي اليابانيون والبيض على اتفاق في 6 تموز ، انتهى إضراب التوت الذي استمر لمدة شهر في 6 تموز 1933، بإعلان العمال النصر حتى لو كانت الزيادة الطفيفة في الأجور تعني أنهم لم يكونوا أفضل حالًا مما كانوا عليه قبل الإضراب (Niiya, 1993, pp. 131-132). ورغم أن العمال حققوا نصراً كبيراً في الحصول على أجر يومي قدره 1.50 دولار، فضلاً عن اتفاقيات إعادة توظيف العمال بطريقة سريعة وحظر الأعمال الانتقامية، فإن العديد من العمال كانوا قد خسروا بالفعل موسماً كاملاً من العمل. واختفى الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة فعليًا بحلول عام 1934 (Lopez , 1970, p. 108).

ومع عدم وجود عمال لقطف الفاكهة خلال موسم الحصاد الحرج، طلب المزارعون اليابانيون الدعم من المنظمات داخل المجتمع الياباني للمساعدة في قطف التوت خلال عطلة نهاية الأسبوع من 30 إلى 31 حزيران، لذلك قام المجتمع الياباني بتنظيم أفراد الأسرة للعمل في الحقول، وتم إعفاء الأطفال من المدرسة من اجل حصاد التوت بأسعار منخفضة (Hoffman , 1973, pp. 72-73).

ومما زاد من تقليص انتصار الإضراب، أعلن مكتب العلاقات الصناعية في 10 تموز أن اتفاقية 6 تموز تنطبق فقط على مزارع الخضروات في الساحل ولن يتم تنفيذها في مزارع التوت في الوادي. وعلى الرغم من الاحتجاج الشديد من قبل النقابات المكسيكية، إلا أن المكتب جادل بأنه لم يكن هناك "اتفاق ملزم" دائم ولم يتم محاسبة المزارعين اليابانيين، فضلا عن ذلك في عام 1933 وفي إجراء انتقامي، اقترحت غرفة التجارة اليابانية، بدعم من البيض، "حرمان الإضرابات العمالية في المزارع المكسيكية من المزيد من مساعدات الإغاثة في المقاطعات إذا ثبت مشاركتها في أي تحريض عمالي... ترحيل العمال الزراعيين" صدرت مثل هذه التهديدات بعد موسم من الإضرابات لم يحصل فيه عدد كبير من العمال على أي دخل لإعالة أسرهم. ولم يكن لدى أكثر من 500 شخص في مخيم هيكس أي وسيلة لإعالة أنفسهم أو أسرهم (Modell, 1977, p. 124) .

من الصعب وصف إضراب إل مونتي بيري بأنه انتصار للعمال، اذ تم تجاهل الانتصارات التي حققتها النقابة بسهولة وبسرعة من قبل المزارعين اليابانيين وأصحاب الأراضي البيض، ولم يكن العديد من العمال في وضع أفضل بعد الإضراب. ومع ذلك، كان الإضراب مؤشرًا واضحًا على طبيعة العمال في الصناعة الزراعية.

ب- إضراب القطن في ولاية كاليفورنيا في تشرين الأول 1933:

تركز النضال الإضرابي والنشاط النقابي في النصف الثاني من ثلاثينيات القرن العشرين في مزارع الخضار والفواكه ولاسيما التوت، وعلى مزارع القطن في كاليفورنيا خاصة، ومزارع البنجر في منطقة جبال روكي(Rocky Mountain)، ومزارع القطن في ولاية أريزونا، ومزارع الفاكهة والخضروات في ولاية نيوجيرسي وولايات أخرى في الشمال والشمال الشرقي، وبعض مزارع الفاكهة الكبيرة في الولايات الجنوبية الشرقية، وخاصة في فلوريدا Florida (Mikhailov , 1977, p. 398).

كان الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة وهو منظمة عمالية شيوعية ينظم في حقول القطن لبعض الوقت، ومع اندلاع الإضرابات، انضم الاتحاد إلى جانب العمال. وبدأ في اتخاذ شكل وهوية مع انتشار الإضرابات في جميع أنحاء الولاية (Ruíz & Korrol, Latinas in the United States: a historical encyclopedia, 1984, p. 117).

بحلول عام 1933، كان قادة الاتحاد قد درسوا الأجور الزراعية وظروف العمل في ولاية كاليفورنيا، وطوروا استراتيجية نقابية، وحاولوا إنشاء اتحاد كونفدرالي إقليمي باستخدام لجان المعسكرات، المكونة من عمال المزارع المنتخبين من قبل زملائهم العمال، أشارت الناشطة في الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة ، كارولاين ديكر(Caroline Decker) (1912-1992)، إلى أنه حتى بدون النقابة "**كانت ستكون هناك إضرابات على أي حال. كانت الإضرابات تندلع في كل مكان. وكانت هذه الإضرابات لتحدث نقابيًا أو لا توجد نقابات**" (Dann, 1969, p. 27).

خلال الازمة الاقتصادية في عام 1929، انخفض الطلب على القطن وخسر العديد من المزارعين لذلك أنقذت حكومة الولايات المتحدة المزارعين في عام 1933، وقدمت لهم الإعانات وكان العمال يأملون في أن يدعمهم المزارعون في عملية الإنقاذ ، لكن هذا لم يحدث، الامر الذي دفعهم إلى الإضراب (Acuna, 2007, p. 237).

وقعت إحدى أكبر إضرابات عمال المزارع في وادي سان جواكين بولاية كاليفورنيا، اذ طالب الآلاف من جامعي القطن المكسيكيين والمكسيكيين الأمريكيين بأجور أعلى وظروف عمل ومعيشة أفضل(U.S. Senate, 1940) ، اذ استخدم مزارعو القطن في وادي سان جواكين تكاليف عمالة منخفضة للغاية (Acuna, 2007, p. 237) فانخفضت أجور جامعي القطن في كاليفورنيا بشكل كبير من 1.50 دولار في عام 1928 إلى 40 سنتًا في عام 1932 (على الرغم من أن المعدل قد يرتفع إلى أعلى) 60 سنتًا مقابل قطف الأرض مرة ثانية أو ثالثة(تم تحديد أجور جامعي القطن في وادي سان جواكين من قبل مكتب العمل الزراعي وهو منظمة لأصحاب العمل) (Barry , 2011, p. 3).

بحلول عام 1933 كان قد حان لتوفير القيادة لحصاد القطن، ومعظمهم من المكسيكيين وكان الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة متشددًا في مطالبه وهدد بإضراب على مستوى وادي سان جواكين إذا لم يتم تلبيتها، تضمنت هذه المطالب معدل أجر قدره 1.00 دولار لكل مائة رطل من القطن الذي يتم قطفه، والاعتراف بـ الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة كوكيل تفاوض جماعي للعمال ، وإلغاء "عقد العمل" (التعاقد مع مجموعة كبيرة من العمال لوظيفة لمرة واحدة أو للعمل الموسمي) تم تقديم هذه المطالب عمليًا في كل إضراب للقطن أعقب ذلك عام 1933 (Barry , 2011, p. 2).

أعلن ممثلو جامعي القطن في وادي سان جواكين في 17 ايلول 1933، أن جامعي القطن قرروا أنهم سيقطفون القطن مقابل دولار واحد، وفي 18 ايلول من العام نفسه، نظمت إضرابات القطن مجموعة من 78 رجلاً وامرأة خلصوا إلى أن الحاصد في المتوسط يستغرق 10 ساعات لجني 300 رطل. عرض اصحاب مزارع القطن 40 سنتًا لكن ذلك لم يكن كافيًا لشراء ما يكفي من الطعام والغاز لذا طالب العمال بدولار وفي 19 ايلول 1933 رفع المزارعون عرضهم على مضض إلى 60 سنتًا، إثر ضغوط جماهيرية، لكن هذا لم يكن كافيًا، فبدأ الإضراب (Acuna, 2007, p. 239) .

بلغت موجة الإضراب ذروتها في 4 تشرين الأول في عدد من الإضرابات ضد مزارعي القطن في وادي سان جواكين بلغ عدد المشاركين حوالي عشرة آلاف من جامعي القطن وقد اختلفت المصادر من حيث عدد المشاركين في إضرابات القطن، اذ ادعت بعض المصادر وجود 18000 عامل (Acuna, 2007, p. 237) وآخرون 12000 عامل فقط (Bronfenbrenner , 1990, p. 82).

بدأ الإضراب باعتصام قام به العمال في مزرعة الغرب لمدة أربع وعشرين ساعة وحمل جميعهم لافتات كتب عليها "**هذه المزرعة تحت الإضراب**" ذكرت صحيفة **لوس أنجلوس تايمز** Los Angeles Times "**أن السبب المنطقي للإضرابات هو مطالبة العمال برفع اجورهم الى دولار واحد**" (Times L. A., News of the San Joaquin Valley: Cotton Strike Set Tomorrow, 1933).

اشترك في إضراب القطن ما يقارب (12.000) من عمال القطن في مدينة بيكرسفيلد في كاليفورنيا، وانتشر بسرعة في منطقة كاليفورنيا الوسطى الواسعة، وشملوا عددًا من المقاطعات في وادي سان جواكين في وسط كاليفورنيا. وبسبب الكساد خُفضت الأسعار التي حصل عليها مزارعي القطن بشكل حاد، وقاموا بتمرير هذه الانخفاضات إلى العمال في شكل أجور منخفضة، اذ فرض انخفاض الأجور الزراعية ضغطًا على العمال، ووجد منظمو رابطة إنتاج العمال الزراعيين أرضًا خصبة بين عمال المزارع الساخطين والمضطهدين تضمنت المطالب الأساسية للمضربين: زيادة الأجور لعمال القطن إلى دولار واحد (بدلا من (60) سنتا التي كانوا يتلقونها)، وتحسين ظروف المعيشة، واعتراف أصحاب العمل بالنقابة (Daniel, 1995, p. 144).

عندما تلقى المزارعون في البداية كلمة عن الإضراب ، حشدوا حربًا شاملة ضدهم، ولحسن حظ العمال، استأجر الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة مساحات مخيمات قريبة من مراكز قطف القطن، وأهمها في كوركوران (Corcoran) ، في كاليفورنيا وكان الوصول إلى الاحتياجات الأساسية مثل الرعاية الصحية أمرًا صعبًا، لقد اضرب ما يقارب من 3800 عامل في مخيم كوركوران ، وكان عدد العمال يفوق عدد سكان المدينة بنحو اثنين إلى واحد (Vandeleur, 1939, p. 60) (Acuna, 2007, p. 239) .

بعد ثلاثة أيام من الاحتجاجات، أصبح مزارعو القطن قلقين من أن محصول القطن لن يتم قطفه في ذروة قيمته، وغضب العمال لان محاصيلهم سوف تتضرر(Times L. A., News of the San Joaquin Valley: Cotton Strike Set Tomorrow, 1933).

رداً على الاضراب، قام اصحاب المزارع والشركات العاملة في شراء وتجهيز القطن، فقد كان القطن ثاني أكثر المحاصيل ربحية في كاليفورنيا وقام اصحاب المزارع بطرد عائلات المضربين من المساكن المملوكة للشركة وتعبئة كل القوى لقمع الإضراب، وبعد يومين تحول الإضراب إلى أعمال عنف و خلال (20) يوماً من الإضراب تسببت المواجهات العنيفة بين المضربين والمزارعين في إصابة المهاجمين، وقُتل ثلاثة وجُرح (42)، وتم إلقاء القبض على أكثر من (100) شخص (Starr, 1996, p. 74).

وفي مقاطعة تولير (Tulare) في ولاية كاليفورنيا اشتبك مسلحون يعملون من قبل المزارعين مع العمال المضربين ومنظمي عمل الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة وتم طرد موظفي الاتحاد قسرا من المقاطعة وطُرد في مقاطعة كيرن حوالي 200 مضرب وعائلاتهم من الأكواخ المملوكة لأصحاب العمل، وألقيت متعلقاتهم على الطريق ، وطُلب منهم الخروج من المقاطعة أو مواجهة المشاكل (Times L. A., 1933). وصلت التوترات إلى ذروتها في 10 تشرين الاول في بيكسلي Bexley بولاية كاليفورنيا عندما حاصر حوالي 30 من أصحاب المزارع اجتماعًا للعمال المضربين وأطلق مربي الماشية النار على المضربين ، مما أسفر عن مقتل ثلاثة وإصابة عدد آخر (Times N. Y., 1933).

بدأ الطرفان في مهاجمة بعضهما البعض (كان العمال مسلحين بأعمدة خشبية، ورجال المزارعين يستخدمون بنادقهم، انطلقت رصاصة وتم قتل العامل المكسيكي بيدرو سوبيا Pedro Sobia بالقرب من مدينة أرفين Irvine في ولاية كاليفورنيا وألقى نائب العمدة قنبلة غاز مسيل للدموع على المجموعة ، وفتح رجال المزارعون النار وأصيب عدد من المضربين (Daniel, 1995, p. 196)

وجاء العمال من المخيمات من جميع أنحاء منطقة بيكرسفيلد لإحياء ذكرى حياته في بيكرسفيلد وتم القبض على منظمي الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة واتهموا بموجب قانون النقابة الجنائية في كاليفورنيا لأنشطتهم في تنظيم العمل كما واجه ثمانية مزارعين تهماً في إطلاق النار، لكن تمت تبرئتهم جميعًا (Acuna, 2007, p. 259)

تم تفويض المزارعين والموظفين الإداريين من قبل سلطات إنفاذ القانون المحلية كانت هجمات أرباب العمل على العمال المضربين السلميين شائعة وشجع المجتمع المحيط من المصرفيين والتجار والوزراء وفتيان الكشافة على الهجمات. وفي بيكسلي، قُتل اثنان من المضربين وهما دولوريس هيرنانديز Dolores Hernandez ودلفينو ديفيلاDelfino Devilla ، وأصيب ثمانية آخرون (Acuna, 2007, p. 245) وفي 10 تشرين الأول، أطلقت قافلة مؤلفة من أربعين مزارعًا مسلحًا النار على مجموعة كبيرة من المضربين العزل وعائلاتهم الذين تجمعوا في وسط المدينة للاحتجاج على اعتقال قادة الإضراب (Bronfenbrenner , 1990, pp. 2-7) (Weber D. , 1996, p. 79).

ازاء المقاومة الشرسة من اصحاب العمل، استخدم المضربين كل الوسائل الممكنة لمقاومة اصحاب العمال وخاضوا معارك ضد كل محاولة لقمع إضرابهم (McWilliams, Factories in the Fields, 1936, p. 193) ورغب العمال الغاضبون في الانخراط في أعمال انتقامية مسلحة ضد المزارعين ، لكن قادة الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة منعوا ذلك، دعم الرأي العام المضربين بقوة لدرجة أن حاكم كاليفورنيا جيمس رولف (James Rolph) (1869–1934) وافق على لقاء قادة النقابات لتلقي مطالبهم وعلى الرغم من رفض رولف إرسال المزيد من رجال الشرطة أو نزع سلاح المزارعين، إلا أنه أعلن أن إدارة الإغاثة في حالات الطوارئ بالولاية ستنفق الأموال الفيدرالية لتقديم المساعدة المالية للعمال المضربين (Daniel, 1995, pp. 201-206).

توقفت إضرابات القطن في نهاية تشرين الأول، عندما قام جامعي القطن بضرب عدد كبير من أرباب العمل في وادي سان جواكين وكان حوالي 80% منهم مكسيكيين (Bronfenbrenner , 1990, p. 79)، كما أدت عمليات القتل في بيكسلي وأرفين إلى إدانة عامة لأفعال اصحاب المزارع، واستطاعت دورية الطرق السريعة في كاليفورنيا في المنطقة من استعادة النظام، وصل وسطاء الإضراب الفيدرالي لمحاولة إنهاء الإضرابات، ووصل مسؤولو الرفاهية الفيدرالية والأشغال العامة ليروا ما يمكنهم فعله لإنهاء المشاكل الاقتصادية التي قد تسبب الإضرابات(Daniel, 1995, pp. 201-206) .

في نهاية الأمر، أُجبر العمال أصحاب العمل على تقديم تنازلات وذلك من خلال اجتماع مع ممثلي الشركات الزراعية الكبرى، بعد اندلاع العنف خلال الاضراب، عيّن حاكم ولاية كاليفورنيا جيمس رولف لجنة لتقصي الحقائق للتحقيق في مقتل العديد من المضربين وعندما اجتمعت اللجنة في مدينة فيساليا (Visalia) في كاليفورنيا في 19 تشرين الأول 1933 (McWilliams, Factories in the Fields, 1936, p. 193) ، أخذت كارولاين ديكر شهادة من المضربين الذين شهدوا حول اعتداءات المزارعين على العمال المضربين، وأعلن الحاكم جيمس رولف أن أجور عمال القطن ينبغي أن ترتفع إلى حد ما من أجل وقف انتشار الراديكالية والشيوعية، وفي 25 تشرين الأول 1933، أخبر أصحاب العمل رسمياً نقابة العمال الزراعيين بأنهم سيوافقون على دفع أجر يقدر بـ (75) سنتًا لكل (100) رطل من القطن، بعد ذلك استجاب العمال واوقفوا الاضراب (Starr, 1996, p. 82).

بدأ جورج ادوارد كريل(George E. Creel) (1876–1953) ، رئيس مجلس العمل الإقليمي لمجلس العمل الوطني(وكالة علاقات العمل الفيدرالية) في التدخل كوسيط في الإضرابات، على الرغم من افتقار كريل إلى أي صلاحيات رسمية، إلا أن شجاعته أثارت إعجاب كل من المزارعين وعمال النقابات وحذر المزارعين من أن إدارة فرانكلين روزفلت ستعلق المساعدة الزراعية الفيدرالية لولاية كاليفورنيا إذا استمر العنف، واقترح تشكيل لجنة لتقصي الحقائق من ثلاثة أعضاء لتسوية الإضراب وقد وافق المزارعون نظرًا لأن كريل قد أكد للمزارعين أن العمال سيعودون إلى العمل بمعدل 60 سنتًا لكل مائة جنيه (Daniel, 1995, p. 207).

قام كل من الحكومة الفيدرالية ومسؤولي الولاية بجهود كبيرة للعودة إلى العمل لإنهاء الإضرابات في 14 تشرين الأول فشلت الجهود عندما اشترط المسؤولون استلام مدفوعات الإغاثة بالعودة إلى العمل ، رفض العمال المضربون قبولها فاستأنفت الدولة المدفوعات في 21 تشرين الأول وافق المزارعون على هذا الحل في 25 تشرين الأول. طلب الاتحاد 80 سنتًا لكل مائة والاعتراف بالنقابة، لكن كريل قال إن مدفوعات الإغاثة سيتم قطعها تمامًا إذا لم يوافق العمال على سعر العمولة، على الرغم من أن العمال كانوا على ما يبدو يؤيدون بأغلبية ساحقة استمرار الإضرابات، وافق قادة CAWIU على حل اللجنة في 26 تشرين الأول ودعوا إلى إنهاء جميع إضرابات القطن الجارية في كاليفورنيا(Times N. T., 1933) (Daniel, 1995, p. 213).

وفي أعقاب الإضراب العام في سان فرانسيسكو عام 1934، وتحت ضغط متزايد من رجال الأعمال، داهمت الشرطة مكتب الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة في سكرامنتو واعتقلت منظمي النقابات. ووجهت اتهامات إلى 15 شخصًا بتهمة انتهاك قانون النقابية. وأدت المحاكمة المطولة إلى إزالة الاتحاد من الحقول بشكل فعال وأُدين ثمانية من منظمي الاتحاد وأُرسلوا إلى السجن. ومع ذلك، فقد وجه الحزب الشيوعي نفسه رصاصة الرحمة على الاتحاد وفي عام 1934 تحول الحزب إلى استراتيجية الجبهة الشعبية وتخلى عن النقابات المنفصلة للعمل داخل المنظمات العمالية القائمة (Ruíz & Korrol, Latinas in the United States: a historical encyclopedia, 1984, p. 117) .

ثالثاً: نتائج الاضرابات الزراعية في كاليفورنيا:

خاضت البروليتاريا الزراعية في العديد من مناطق البلاد صراعا لتحسين ظروف المعيشة والعمل، ومع ذلك، فإن حركة الإضراب لا يزال لديها العديد من الجوانب الضعيفة، اذ لم يكن لديها قيادة مركزية، وكان المشاركون في الإضرابات عمالًا مهاجرين تقريبًا، وهذا أثر هذا على تطور الإضراب في المناطق الزراعية، فضلاً عن ذلك، لم يكن للبروليتاريا الزراعية أي علاقات على الإطلاق مع العمال الحضريين وصغار المزارعين (Mikhailov , 1977, p. 390) .

بالرغم من أن الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة قد شارك في سلسلة من إضرابات عمال المزارع الكبرى منذ إنشائه في عام 1930، إلا أنه بحلول عام 1933 لم يكن لديه الكثير ليظهره على الرغم من الدعم القوي الذي قدمه العمال في بداية كل صراع، فقد اضطر العمال، في إضراب تلو الآخر، بسبب الأساليب القاسية التي اتبعها المزارعون والسلطات المحلية لكسر الإضراب إلى العودة إلى العمل أو الفرار من المنطقة دون تحقيق أي من مطالبهم (Bronfenbrenner , 1990, p. 79).

كان الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة صغيرا. وكان المنظمون الرسميون يتلقون رواتب ضئيلة أو معدومة، ويعتمدون على المتعاطفين في الحصول على الطعام والتبرعات، ويسافرون في سيارات الشحن أو في سيارات متداعية؛ حتى أنهم استقلوا سياراتهم. كان لإضراب القطن عام 1933 ستة منظمين فقط من الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة يغطون وادي سان جواكين الذي يبلغ طوله 200 ميل (Ruíz & Korrol, Latinas in the United States: a historical encyclopedia, 1984, p. 117) .

أسفرت عشرين من الإضرابات التي قادها الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة عن زيادات جزئية في الأجور في حين انتهت أربعة إضرابات فقط الهزيمة الكاملة للاتحاد. أدت الإضرابات المتبقية، بما في ذلك ثلاث إضرابات عفوية، وإضرابين بقيادة الاتحاد الأمريكي للعمل واثنين بقيادة نقابات مستقلة، إلى تحقيق مكاسب جزئية (Bronfenbrenner , 1990, p. 79).

إن الإجراءات التي اتخذها العمال الزراعيين في كاليفورنيا، ساعدت على تحسين موقفهم، ووفقًا لبيانات وزارة العمل، ارتفع متوسط ساعات عملهم كل ساعة من 15 إلى 17 سنتًا في عام 1932 ثُمَ إلى (25) سنتًا في عام 1933. ونتيجة لذلك، أصبحت الأجور الزراعية في كاليفورنيا هي الأعلى في الولايات المتحدة، وفي هذا الصدد، نما دور (رابطة إنتاج العمال الزراعيين) ففي بداية عام 1934، قُدر عدد أعضائها بـ(20) ألفًا، وتوسع، اذ ضمت عشرات الآلاف من العمال غير المنظمين (Mikhailov , 1977, p. 252) . كان إضراب جامعي القطن ، وفقًا للمؤرخ رودولفو أكونيا (Rodolfo Acuna) أكبر إضراب للعمال الزراعيين في كاليفورنيا في ذلك الوقت (Acuna, 2007, p. 237) .

طالب أصحاب المزارع الكبيرة بأن تتخذ السلطات الحكومية تدابير ضد الشيوعيين والاتحاد الذي قادوه، فضلا عن ذلك، قاموا بإنشاء منظمة خاصة لمكافحة الإضرابات، وتم تمويل الأموال اللازمة لها من قبل البنوك وشركات السكك الحديدية والكهرباء، على هذا الأساس شكلت منظمة جديدة لمكافحة الاضرابات في ولاية كاليفورنيا، في أيار 1934 هدفها الرئيس قمع حركة الإضراب للعمال الزراعيين وتدمير نقابتهم، وكان يرأسها رجل أعمال مزارع كبير يمتلك عدة آلاف من الأفدنة من الأراضي الخصبة في وادي سان جواكين، وبحلول منتصف عام 1934، كان لدى المنظمة فروع في جميع أنحاء الولاية (Mikhailov , 1977, p. 252) .

استولى رجال الشرطة والحراس في 20 تموز عام 1934 على جميع مباني نقابة العمال الزراعيين في ساكرامنتو (Sacramento) عاصمة ولاية كاليفورنيا وغيرها من المدن، وصودرت ممتلكات النقابة، وتدمير المطبوعات التي أصدرتها وألقي القبض على (18) ناشطاً نقابياً وحُكم عليهم بالسجن لفترات طويلة، وتم تحطيم النقابة، مما أضعف بشكل كبير حركة الإضراب للبروليتاريا الزراعية في كاليفورنيا (Republic, 1934, p. 20).

اوجدت بنية الزراعة نفسها، لا سيما ظروف العمل، صعوبات هائلة كان من المستحيل تقريبًا تنظيم العمال المشتغلين في نقابة وبصورة دائمة من قبل اثنين وثلاثة الى مزرعة بعيدة عن بعضها البعض. وينطبق هذا إلى حد كبير أيضًا على العمال الموسميين. وكان من الأسهل تشكيل نقابات في المراكز الكبيرة التي تتركز فيها القوى العاملة، مثل وديان كاليفورنيا، ومزارع البنجر في جبال روكي، ومزرعة سيبروك (Seabrook) في نيوجيرسي، والمزارع الجنوبية. في هذه المناطق تم تحقيق أكبر تقدم في تنظيم العمال. لكن هناك امرا معقدًا بسبب حقيقة أن العمال، كقاعدة عامة، كانوا مهاجرين، وكثيرًا ما يغيرون مكان إقامتهم، ونادرا ما يكون لديهم عمل وغير قادرين على دفع حتى مستحقات ضئيلة (Mikhailov , 1977, p. 398) .

وفي عام 1935 ، بدأت مرحلة جديدة في تاريخ البروليتاريا الزراعية، كان أهم معالمها الرغبة في الوحدة التي تظهرها المنظمات المنتشرة في ولايات مختلفة وجهودها لإنشاء مراكز إقليمية واتحاد وطني. بمبادرة من الشيوعيين عُقد مؤتمر في كانون الثاني 1935 ، حضره 53 مندوبا يمثلون نقابة رابطة النقابات العمالية التعليمية والاتحاد الامريكي للعمل، مع مشاركة منظمات مستقلة ومجموعات من العمال الزراعيين غير المنظمين من 20 ولاية. وكانت النتيجة الرئيسة للمؤتمر هي إنشاء لجنة وطنية لوحدة العمال الزراعيين (Mikhailov , 1977, p. 399) .

استبعد قانون العلاقات العمالية الوطنية لعام 1935(The National Labor Relations Act) المعروف بأسم قانون واغنر(Wagner Act) (سمي بهذا الاسم نسبة إلى اسم واضع المشروع عضو مجلس الشيوخ روبرت ف . واغنر) العمال الزراعيين من حقهم في التنظيم والمساومة الجماعية وظهر أن العمل المباشر يمكن أن يحقق اعتراف صاحب العمل بالنقابة اتفق مزارعي العنب في كاليفورنيا على المساومة مع الاتحاد على الرغم من استمرار اهتمامات المزارع في محاولة عرقلة تنظيم العمال ، فقد تم وضع الأساس القانوني للتمثيل لضمان أجور أعلى وتحسين ظروف العمل (History, 1953, p. 280).

أقامت نقابات ولاية كاليفورنيا اتصالات مع منظمة عمال مزارع الفاكهة والخضروات في وادي نهر يوما (Yuma) في ولاية أريزونا والتي كانت ناجحة جدا وقد فازت بعقد جماعي مع معظم أرباب العمل في هذا المجال . كانت أكبر مواجهة في كاليفورنيا إضراباً في منطقة سالیناس، اذ توقف حوالي 5000 من جامعي الخضروات عن العمل دعمتها العديد من النقابات الحضرية (Mikhailov , 1977, p. 402) . استمر إضراب الخس في وادي سالیناس بكاليفورنيا عام 1934 من 27 اب إلى 24 ايلول 1934، بدأ هذا الإضراب لقاطفي الخس والعمال، واستمر إلى حد كبير من قبل اتحاد العمل الفلبيني الذي تم تشكيله مؤخرًا، وجاء لتسليط الضوء على التمييز العرقي والقمع النقابي (McCann, 2020, p. 132) .

أصبحت ولاية كاليفورنيا مركزًا لكفاح العمال الزراعيين الأمريكيين والنشاط النقابي. شملت موجة جديدة من الإضرابات في 1935-1936 بشكل رئيسي النقابات الفلبينية والمكسيكية والعمال الأمريكيين غير المنظمين المولودين في الولايات المتحدة. وكقاعدة عامة، كانت هذه الإضرابات عفوية أكثر من كونها ناشئة في مبادرة الاتحادات العمالية (Mikhailov , 1977, p. 400).

شهد عام 1936 زيادة الإضرابات وفي عضوية نقابات عمال المزارع. وشملت الإضرابات الزراعية في كاليفورنيا وحدها 13000 عامل وكانت معظم هذه الإضرابات ناجحة. أصبحت الأعمال العفوية تحت سيطرة النقابات بشكل متزايد (Daily Worker, 1936).

تم تشكيل اتحاد مؤقت لنقابات عمال الزراعة في جنوب كاليفورنيا. وشمل ذلك منظمات غير حكومية من العمال المكسيكيين والفلبينيين واليابانيين، فضلاً عن مجموعات العمال الأمريكيين المولودين في الولايات المتحدة وكانت نواة الاتحاد (اتحاد العمال المكسيكي)، انضمت المنظمة الجديدة على الفور إلى نضال الإضراب. كان من الصعب جدا على المضربين الإضراب في مزارع الحمضيات في مقاطعة أورانج Orange County والتي شكلت إلى حد معين نقطة غابرة في تاريخ الصراعات الطبقية في ولاية كاليفورنيا الزراعية (Mikhailov , 1977, p. 402) .

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة نستنتج مفاهيم عدة ورؤى جسّدت موضوع (الإضرابات الزراعية في ولاية كاليفورنيا للمدة 1930-1936):

1. ركزت الإضرابات الزراعية في كاليفورنيا تاريخيًا على قضايا مثل الأجور العادلة، والحق في تكوين النقابات، إجبار أرباب العمل على زيادة الأجور أو تقليل ساعات العمل، أو تغيير في منهجهم أو فرض بعض السياسات الخاصة في حرف معينة أو ما شابه ذلك وللحصول على أجور أعلى أو تنازلات أخرى من أرباب عملهم، من خلال وقف العمل في وقت واحد.
2. حظيت الإضرابات باهتمام وسائل الإعلام وأدت إلى تحسينات قصيرة المدى في ظروف العمل وتغييرات طويلة المدى في قوانين العمل.
3. حاولت العديد من المنظمات – من بينها الاتحاد الأمريكي للعمل، والحزب الشيوعي – تشكيل نقابات للعمال لكنها فشلت، عادةً لأنهم كانوا مهتمين بتحقيق أهدافهم الخاصة أكثر من اهتمامهم بتلبية احتياجات عمال المزرعة. وتعلم منظمي الاتحاد الصناعي لعمال التعليب والزراعة من خلال التجربة تركيز نداءاتهم التنظيمية على تحسين أجور عمال المزارع وظروف العمل والمعيشة.
4. أهم ما تميزت به الإضرابات الزراعية في كاليفورنيا، هو الشغب والعنف اللذين لازماها، وتدخل القوات الحكومية لفضها، والتي اضطرت – بسبب شدة النزاع العمالي إلى استخدام الأسلحة النارية ولا تزال الإضرابات الزراعية أداة مهمة لعمال المزارع للدفاع عن ظروف أفضل للعمال في كاليفورنيا.
5. تكونت القوى العاملة في الغالب من العمال المهاجرين وغير المسجلين الذين قد يترددون في المشاركة في الإضرابات بسبب الخوف من الانتقام أو فقدان العمل.
6. عملت الجهود الفيدرالية على تقويض النضال العمالي. وهكذا، واجه عمال المزارع في كاليفورنيا، الذين لم يكن لديهم منظمات حماية أو تشريعات في مجتمع منظم بشكل متزايد، عقودًا أخرى من المعاناة.

قائمة المصادر:

الوثائق:

George M .Peterson.(1939) .*Composition and Characteristics of the Agricultural Population in California* ..California : University of California College of Agriculture.

th Congress76, 3rd session U.S. Senate.(1940) .*Hearings before a Subcommittee of the Committee on Education and Labor* .Washington: U.S. Government Printing Office.

Carey McWilliams .(1940) .*Report of chief, State Division of Immigration and Housing, before the Subcommittee of the United States Senate Committee on Education and Labor at San Francisco, California ,in La Follette Committee, Hearings, pt. 59* .January 25.

Edward Vandeleur .(1939) .*statement in U.S. Congress, Senate, Subcommittee of the Committee on Education and Labor, Hearings on S. Res. 266, Violations of Free Speech and Rights of Labor, 74thCong., 2d sess* .Washington: Government Printing Office.

الكتب:

Pitt, L. (1998). *Decline of the Californios: A Social History of the Spanish Speaking Californians, 1846-1890.* Berkeley: University of California Press.

Encyclopedia Americana. Vol.5. (1979). Canada: Grolier Limited.

Abraham Hoffman) . Vol.12 , No. 1, 1973 .(El Monte Berry Pickers' Strike 1933 .*Western Journal.*

An Outline of American History .(1953) .United States Information Service.

Brian Niiya.(1993) .*Japanese American history: an A-to-Z reference from 1868 to the present* .Los Angeles: Japanese American National Museum.

C .G Gonzales.(1994) .*Mexican Workers and American Dreams: Immigration, Repatriation, and California Farm Labor 1900-1939* .New jersey: Rutgers University Press.

Carey McWilliams.(1936) .*Factories in the Fields* .California: University of California Press.

Carey McWilliams.(1940) .*Report of chief State Division of Immigration and Housing, California* January 25 .(Washington: Government Printing Office.

Charles Wollenberg .Summer, 1972 .(Race and Class in Rural California: The El Monte Berry Strike of 1933 .*California Historical Quarterly*.Vol. 51.
Claude B. Hntchison.(1946) .*California agriculture* .Los Angeles: University of California press.
Cletus E .Daniel.(1995) .*Bitter Harvest* .California: University of California Press.
David J .O'Brien. (1991) .*The Japanese American Experience* .Bloomington: Indiana University Press.
Devra Anne Weber) .no. 2, 1972 .(The Organizing of Mexicano Agricultural Workers: Imperial Valley and Los Angeles, 1928-1934: An Oral History Approach .*Aztal-Chicano Journal of the Social Sciences and Arts*.
Devra Weber. (1996) .*Dark Sweat White Gold: California Farm Workers ,Cotton، and the New Deal* . California: University of California press.
Devra Anne Weber, "The Organizing of Mexicano Agricultural Workers: Imperial Valley and Los Angeles, 1928-1934: An Oral History Approach."Aztal-Chicano Journal of the Social Sciences and Arts. no. 2 (1972), P. 326. (n.d.).
Gilman, D. C., & Others. (1907). *the new international Encyclopedia.* New York: Mead and COMPANY.
Gonzales, C. G. (1994). *Mexican Workers and American Dreams: Immigration, Repatriation, and California Farm Labor 1900-1939.* Rutgers: Rutgers University Press.
Jim Dann.(1969) .*In the Great Depression 1930-1940 COMMUNISTS TRY TO ORGANIZE "FACTORIES IN THE FIELDS .,"*New England: Free Press.
John Modell.(1977) .*The Economics and Politics of Racial Accommodation: The Japanese of Los Angeles 1900-1942* .Urbana: University of Illinois Press.
Julie Greene.(1999) .*Pure and Simple Politics. The American Federation of Labor and Political Activism. 1881-1917* .Cambridge: Cambridge University Press.
Kate Bronfenbrenner. (1990) .*California Farmworkers "Strikes of 1933. Labor Conflict in the United States* .New York: Garland Publishing.
Kevin Starr .(1996) .*Endangered Dreams* .Oxford: Oxford University Press.
Leonard Pitt .(1998) .*Decline of the Californios: A Social History of the Spanish Speaking Californians, 1846-1890* .Berkeley: University of California Press.
Lindley, W. (1888). *California of the south its physical Geography.* New York: Appletion and Company.
Lopez , R. W. (1970). The El Monte Berry Strike of 1933. *Aztal-Chicano Journal of the Social Sciences and Arts*.
Martin, P. L. (2020). *California Agriculture Dimensions and Issues.* California: the Giannini Foundation of Agricultural Economics.
Michael W. McCann .(2020) .*Union by Law, Filipino American Labor Activists, Rights Radicalism and racial capitalism* .Chicago: University of Chicago Press.
Paul Buhle Dan . (1996) .*GeorgakasThe immigrant left in the United States* .Albany: State University of New York Press.
Raymond P. Barry. (2011) .*A Documentary History of Migratory Farm Labor in California* . California: University of California.
Rodolfo Acuna .(2007) .*Corridors of Migration: The Odyssey of Mexican Laborers 1600-1933* . Arizona: University of Arizona Press.
Vicki L. Ruíz ، Virginia Sánchez Korrol.(1984) .*Latinas in the United States: a historical encyclopedia* .Indiana: Indiana University Press.
Vicki Ruiz . (1999) .*From Out of the Shadows: Mexican Women in Twentieth-Century America* .New York: Oxford University Press.
Y .Mikhailov.(1977) .*Recent history of the Labor movement in the United States 1918-1939* .Moscow: Vol.1.The Union of Soviet Socialist Republics.

الصحف:

Los Angeles Times .3 October , 1933.
News of the San Joaquin Valley: Cotton Strike Set Tomorrow .3 October , 1933 .*Los Angeles Times*.
New Republic .14 November , 1934.
the Nation .31 October , 1934.
Daily Worker .13 June, 1936.

Los Angeles Times .3 October , 1933 .News of the San Joaquin Valley: Cotton Strike Set Tomorrow.
New Republic .14 November , 1934.
New The York Times .26 October , 1933 .*California Forces End of the Cotton Strike*.
New York Times .22 October , 1933 .*California Clash Called 'Civil War*.
Times, L. A. (1933, October 9). *Strike War Flares Up*.

قائمة المصادر:

اولا: الوثائق

الكونغرس السادس والسبعون، الدورة الثالثة لمجلس الشيوخ الأمريكي (1940). جلسات استماع أمام لجنة فرعية تابعة للجنة التعليم والعمل. مكتب الطباعة الحكومي. واشنطن.

تقرير ماكويليامز، كاري. (25 يناير 1940). رئيس قسم الهجرة والإسكان بالولاية أمام اللجنة الفرعية التابعة للجنة مجلس الشيوخ الأمريكي للتعليم والعمل في سان فرانسيسكو. العدد 59، كاليفورنيا، لجنة لا فوليت، جلسات الاستماع.

بيترسون، جورج م. (يونيو 1939). "تكوين وخصائص السكان الزراعيين في كاليفورنيا"، كلية الزراعة بجامعة كاليفورنيا. نشرة محطة التجارب الزراعية العدد 630 .

إدوارد ، فانديلور. (1939) الكونغرس الأمريكي، مجلس الشيوخ، اللجنة الفرعية للجنة التعليم والعمل، جلسات استماع. العدد 266. المؤتمر 74، الجلسة الثانية. انتهاكات حرية التعبير وحقوق العمل. مكتب الطباعة الحكومي. واشنطن.

ثانيا- الكتب

أكونا، رودولفو. (2007). *ممرات الهجرة: أوديسي العمال المكسيكيين 1600-1933*. أريزونا: مطبعة جامعة أريزونا.

أوبراين، ديفيد ج.. (1991). *التجربة الأمريكية اليابانية*. بلومنجتون: مطبعة جامعة إنديانا.

باري، ريموند ب.. (2011). *تاريخ وثائقي للعمالة الزراعية المهاجرة في كاليفورنيا*. كاليفورنيا: جامعة كاليفورنيا.

برونفبرينر، كيت (1990). *عمال المزارع في كاليفورنيا "إضرابات عام 1933. الصراع العمالي في الولايات المتحدة*. نيويورك: جارلاند للنشر.

بيت، ل. (1998). *تراجع كاليفورنيا: تاريخ اجتماعي لسكان كاليفورنيا الناطقين بالإسبانية، 1846-1890*. بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا.

الخطوط العريضة للتاريخ الأمريكي. (1953). خدمة معلومات الولايات المتحدة.

دان، بول بوهلي (1996). *جورجاكاس المهاجر الذي بقي في الولايات المتحدة*. ألباني: مطبعة جامعة ولاية نيويورك.

دان، جيم. (1969). *في فترة الكساد الكبير 1930-1940محاولة الشيوعيون تنظيم "المصانع في الحقول"*. نيو إنجلاند: الصحافة الحرة.

دانيال، كليتوس إي. (1995). *الحصاد المرير*. كاليفورنيا: مطبعة جامعة كاليفورنيا.

رويز، فيكي إل. فيرجينيا سانشيز كورول. (1984). *اللاتينيات في الولايات المتحدة: موسوعة تاريخية*. إنديانا: مطبعة جامعة إنديانا.

رويز، فيكي إل.. (1999). *من خارج الظل: المرأة المكسيكية في أمريكا القرن العشرين*. نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد.

ستار، كيفن. (1996). *أحلام مهددة بالانقراض*. أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد.

غونزاليس، سي. جي. (1994). *العمال المكسيكيون والأحلام الأمريكية: الهجرة والعودة إلى الوطن والعمل في مزرعة كاليفورنيا 1900-1939*. روتجرز: مطبعة جامعة روتجرز.

كاري، ماك ويليامز. (1936).*المصانع في الحقول*. كاليفورنيا: مطبعة جامعة كاليفورنيا.

ليندلي، دبليو (1888). *كاليفورنيا في الجنوب جغرافيتها الطبيعية*. نيويورك: أبليتون وشركاه.

مارتن، ب.ل. (2020). *أبعاد وقضايا الزراعة في كاليفورنيا*. كاليفورنيا: مؤسسة جيانيني للاقتصاد الزراعي.

ماكان، مايكل دبليو. (2020). *الاتحاد بموجب القانون، الناشطون العماليون الأمريكيون الفلبينيون، التطرف الحقوقي والرأسمالية العنصرية*. شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو.

موديل، جون. (1977). *اقتصاديات وسياسة التكيف العنصري: اليابانيون في لوس أنجلوس 1900-1942*. أوربانا: مطبعة جامعة إلينوي.

ميخائيلوف، ي.. (1977). *التاريخ الحديث للحركة العمالية في الولايات المتحدة 1918-1939*. موسكو: المجلد الأول. اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية.

نيا، بريان. (1993). *التاريخ الأمريكي الياباني: مرجع من الألف إلى الياء من عام 1868 إلى الوقت الحاضر*. لوس أنجلوس: المتحف الوطني الأمريكي الياباني.

هاتشيسون، كلود ب. (1946). *زراعة كاليفورنيا*. لوس أنجلوس: مطبعة جامعة كاليفورنيا.

ويبر، ديفرا. (1969). *العرق الداكن والذهب الأبيض: عمال مزرعة كاليفورنيا والقطن والصفقة الجديدة*. كاليفورنيا: مطبعة جامعة كاليفورنيا.

ثالثا- البحوث المنشورة

لوبيز، آر دبليو (1970). إضراب إل مونتي بيري عام 1933. *مجلة شيكانو للعلوم الاجتماعية* والفنون. العدد الاول.

هوفمان، أبراهام.(1973). إضراب إل مونت بيري بيكرز عام 1933. *مجلة الغرب*. المجلد 12. العدد الاول.

ولنبرغ، تشارلز.(1972). العرق والطبقة في ريف كاليفورنيا: إضراب إل مونتي بيري عام 1933. *مجلة كاليفورنيا التاريخية الفصلية*. المجلد. 51.

ويبر، ديفرا آني.(1972). تنظيم العمال الزراعيين المكسيكيين الوادي الإمبراطوري ولوس أنجلوس 1928-1934: نهج التاريخ الشفهي. *مجلة أزتال شيكانو للعلوم الاجتماعية والفنون*. العدد الثاني.

رابعا-الموسوعات

جيلمان، وآخرون. (1907). الموسوعة الدولية الجديدة. نيويورك: ميد وشركاه.

الموسوعة الأمريكية. المجلد 5. (1979). كندا: جروليير المحدودة.

خامسا- الصحف

لوس انجلوس تايمز.(3 ، 9 أكتوبر 1933).

الجمهورية الجديدة. (14 نوفمبر 1934).

الأمة. (31 أكتوبر 1934).

العامل اليومي. (13 يونيو 1936).

نيويورك تايمز. (22، 26 أكتوبر 1933).

كريمة المروزية واثرها في الاندلس ((علم الحديث انموذجا))

أ.د. أنعام حسين احمد

dr.anaam@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية، قسم التاريخ

الملخص

يعد علم الحديث من العلوم الشرعية التى اهتم بدراستها المسلمون لكونها المصدر الثاني للتشريع الاسلامي بعد القرآن الكريم ولأهمية هذا العلم الذي ضمن احاديث الرسول محمد صل الله عليه و اله وسلم , نجد ان علماء المسلمين في مشارق الارض ومغاربها عكفوا على دراسته وتدريسيه في حلقات دراسية وحرص طلبة العلم على التعلم و التتلمذ من مشايخ وحفاظ للحديث النبوي الشريف وشدوا الرحلة العلمية لزيارة الحواضر العلمية و البحث عن المشايخ و الشيوخ الاجلاء البارعين في هذا العلم و الذين امتازوا بعلو الاسناد ورواية الاحاديث الصحيحة.

وتعد كتب الصحاح الستة من الكتب التى اهتم بها الدارسون وحفظوها عن ظهر قلب وتدارسوا هذه الكتب مثل ((صحيح البخاري , صحيح مسلم , و سنن الترمذي , سنن ابن ماجة , سنن النسائي)) .

الكلمات الافتتاحية: الحديث , علم , كريمة المروزية , علماء , المغرب

Karima Al-Maruziyah and its impact in Andalusia ((Hadith science as an example

Prof.drInaam Hussein Ahmed

dr.anaam@uomustansiriyah.edu.iq

Al- Mustansiriya University, College of Education, Department of History

Abstract

The field of Hadith studies constitutes a fundamental aspect of Islamic scholarship, attracting significant attention from Muslim scholars due to its position as the secondary source of Islamic jurisprudence subsequent to the Quran. Scholars from both Eastern and Western regions have displayed a strong commitment to the study and dissemination of this discipline, focusing particularly on the recorded teachings of the Prophet Muhammad, peace be upon him, and his companions. Enthusiastic students of knowledge have eagerly absorbed the wisdom imparted by these learned individuals who have dedicated themselves to the preservation and transmission of the revered Hadith literature, embarking on academic pilgrimages to engage with esteemed scholars renowned for their meticulous preservation and transmission of authentic Hadith traditions. The compilation of the six major Hadith collections, collectively known as Al-Sihah Al-Sittah, has garnered considerable scholarly attention, with these works being meticulously committed to memory and extensively analyzed. This distinguished collection comprises renowned works such as "Sahih Al-Bukhari," "Sahih Muslim," "Sunan Al-Tirmidhi," "Sunan Ibn Majah," and "Sunan Al-Nasa'i."

Kye Words : Hadith, science, Karima Al-Marouziyah, scholars,

المـــقدمة

تعد دراسة الشخصيات من المواضيع المهمة في التاريخ , لكون هذه الشخصية ساهمت بشكل واخر واثرت بكل طبقاته واصبحت مثل يحتدى به لاسيما في مجال العلوم الفكرية , ولم يقتصر الامر على الرجال فقط وانما تعدى الامر لبعض النساء اللواتي لعبن دوراً بارزاً في اثراء المعرفة .

ولهذا كان بحثنا هذا ركز على شخصية المحدثة كريمة بنت احمد بنت محمد المروزية المشرقية التى لم تنل نصيب في الدراسة واثرها في بلاد المغرب و الاندلس علماً ان علماء المشرق امثال الخطيب البغدادي , و السمعاني , وابي الغنائم النرسي , و الزيني وغيرهم كانوا من طلابها وقد درسوا عليها وتتلمذوا وسمعوا منها العلوم لاسيما علم الحديث وكانت تشد اليها الرحال للاستماع منها وطلب الاجازة في علم الحديث لما بلغت من علو الاسناد و الاتقان و الجودة و المعارضة و المناولة و القرأة مما جعل علماء المغرب و الاندلس يتوجهوا الى مكة المكرمة مستقرها و الاخذ عنها بعد تأدية فريضة الحج و اذ برعت في رواية صحيح البخاري وكان العلماء يوصون باخذ العلم منها بعبارة ((عليكم بكريمة)) و عبارة ((وهل مثل كريمة)) و المقصود به ما وصلت اليه من براعة في علم الحديث.

قسم البحث الى مبحثين تتضمن فقرات شمل المبحث الاول السيرة الذاتية للمحدثة المشرقية كريمة المروزية من حيث الاسم و الكنى و الالقاب و العلوم و المعارف واقوال العلماء فيها و الوفاة .

بينا شمل المبحث الثاني العلماء المغاربة و الاندلسيون الذين درسوا واخذوا عنها رواية الحديث و ما نقلوه الى بلادهم من مرويات حدثوا بها باسناد عن كريمة المروزية ثم الحق بالخاتمة وقائمة المصادر و المراجع اما عن المصادر فقد كانت بالدرجة الاساس كتب التاريخ العام التى ترجمت لها مثل ابن الاثير , الكامل في التاريخ , وابن كثير البداية و النهاية وابن الجوزي المنتظم وغيرها و المصادر الاخرى هي كتب الطبقات و التراجم الاندلسيه التى ترجمت للذين ارتحلوا اليها واخذوا عنها فجاء البحث بصورة التلاقح الفكري المشرقي – الاندلسي مثل ابن بشكوال , الصلة , ابن الابار , التكملة , ابن عبد الملك , الذيل و التكملة.

وبذلك توضحت للقارئ و الباحث ان الاسلام في تشريعاته لم يفرق بين ذكر وانثى في منزلة العلم و التقوى و العبادة فكان العالم يجد ضالته في العلم و القرأة بالبحث عن السند الجيد و الرواية الصحيحة و لا فرق ان كان الراوي رجلاً او انثى على عكس ما يهتم به بعض المستشرقين بان الاسلام جرد المرأة من حريتها وطلبها للعلم و الارتحال لغاية العلم وهذا ما تضمنه البحث ومن الله التوفيق ان ساهمنا في طرح هذه الفكرة العلمية و الموثقة بالمصادر الاصلية وامهات الكتب الاسلامية

كريمة المروزية واثرها العلمي في الاندلس ((علم الحديث انموذجا))

المبحث الاول :- السيرة الذاتية للمحدثة المشرقية كريمة المروزية :-

اولاً :- اسمها ونسبها :-

اجمعت المصادر التاريخية التى ترجمت لها على ان أسمها كريمة بنت احمد بن محمد بن ابي حاتم **(ابن الاثير، 2006، صفحة 39؛ سبط ابن الجوزي، 2013، صفحة 247)**, المروزية نسبة الى مرو الروذ احدى الولايات التابعة لمرو التى كانت منقسمة لمرو الروذ ومرو الشاهجان **(ابن كثير، 2009، صفحة 123)**, الكشميهنه **(ياقوت الحموي، 1993، صفحة 139)**, وهي من بلاد فارس وكشميهن من اعمال مدينة مرو عاصمة خراسان ,وهي قرية قديمة استولى عليها الخراب **(السمعاني، 1988، الصفحات 630 – 631)** ثم تنقلت مع والدها وهي صغيرة السن حتى استقر بها المقام في مكة المكرمة وظلت هناك الى ان توفاها الله و امها من اولاد السياري, لقبت بالقاب عدة منها ((ام الكرام , الحرة , الزاهدة , الشيخة , الاستاذة , ست الكرام **(سبط ابن الجوزي، 2013، صفحة 247؛ ابن العماد الحنبلي، د 0 ت، صفحة 314)**, اما عن اسرتها فقد ذكر ان لديها أخ وبنت أخ قالت برواية الذهبي ((سمعت بنت أخي كريمة تقول لم تتزوج قط)) **(الذهبي، 1985، صفحة 114)**.

ثانيا – ولادتها وحياتها :-

ولدت ام الكرام في احدى قرى مرو و التى تعرف بقرية كشميهن و التى ذكرها المؤرخون بانها مدينة عظيمة اذ خرج من هذه القرية علماء في الحديث ووصفهم ياقوت قائلاً ((خرج جماعة وافرة من اهل العلم)) **(ياقوت الحموي، 1993، صفحة 139؛ بامخري، د 0 ت، صفحة 496)**, واشار السمعاني بذلك ايضاً قائلاً ((خرج منها جماعة كثيرة من العلماء قديماً وحديثاً)) **(السمعاني، 1988، الصفحات 630-631)** و كانت ولادتها سنة 365 هـ / 976 م , اذا رافقت والدها احمد بن محمد بن ابي حاتم المروزي , في رحلاته العلمية و تتلمذت على يديه وعلى علماء كشميهن امثال الكشميهني ابو الهيثم محمد بن مكي بن محمد بن زراع بن هارون

الكشميهني ت 389هـ / 999م من علماء الحديث بصحيح البخاري **(الذهبي، 1985، الصفحات 273 –274)**, وزاهر بن احمد السرخسي , وقد وصف الكشميهني بكونه محدث ثقة.

وقد تنقلت في رحلاتها في مرو , ثم الى بيت المقدس الى ان استقر بها المقام بمكة المكرمة وعاشت بمجاورة الحرم المكي الى ان توفت ودفنت هناك ولم تتزوج قط وتفرغت للعبادة وللمذاكرة ولرواية الاحاديث الصحيحة عن الرسول الاكرم محمد صل الله عليه و اله وسلم , من كتب الصحاح و التى كانت تحفظها عن ظهر قلب , وتوفت سنة 463هـ / 1071 م **(ابن الاثير، 2006، صفحة 390؛ سبط ابن الجوزي، 2013، صفحة 247؛ ابن كثير، 2009، صفحة 78؛ كحالة، د 0 ت ، صفحة 88)**, بينما جعل الذهبي وفاتها سنة 465هـ / 1073 م عندما ذكر ذلك في حوادث تلك السنة قائلاً ((وفيها توفت الحرة كريمةبنت احمد المروزية راوية الصحيح بمكة ولها مائة سنة **(الذهبي، 1985، صفحة 238؛ بامخري، د 0 ت، صفحة 497؛ الفاسي المكي، 1988، صفحة 438)**كذلك اشار الصفدي لوفاتها سنة 465هـ / 1073م **(الصفدي، د 0 ت، صفحة 254)**.

كانت كريمة المروزية طيلة حياتها همها الشاغل هو الدراسة و الحفظ و المذاكرة لا سيما لعلم الحديث و الالتقاء بكبار علماء الحديث الذين كانوا يجتمعون في موسم الحج , اذ كان العلماء يلتقون هناك ويتذاكرون الدرس من كافة ارجاء العالم الاسلامي فكان لديها مجلس يحضره كبار علماء المشرق و المغرب الذين تلقوا العلم عنها وذلك لما وصلت اليه من علو الاسناد و الرواية الصحيحة لاحاديث النبي محمد صل الله عليه و اله وسلم فاصبحت مقصداً لطلبة العلم الوافدين لمكة المكرمة , ولم تبخل بوقتها في خدمة العلم و الدين وهذا دليل واضح ان الاسلام كرم المرأة وجعلها مساوية لأخيها الرجل بدليل ان الذين درسوا على يدها وتتلمذوا لديها كانوا من اشهر العلماء الذين كانوا لهم باع كبير في علم الحديث وارساء اصوله وقواعده ولم يمنعها عدم الزواج من تحقيق رغبتها في نشر العلم في ظل الاسلام و التسامح الديني .

ثالثاً – علومها ومعارفها :-

اما عن علومها ومعارفها فقد اشارت الكتب التى ترجمت لها انها اهتمت بدراسة العلوم الدينية الشرعية ولا سيما علم الحديث الذي اختصت به واصبحت من اعلام رواته لا سيما صحيح البخاري المسمى ((الجامع الصحيح المختصر من امور رسول الله وسننه و ايامه , والمعروف بصحيح البخاري للأمام ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ت 256هـ / 870م وصف بكونه ((حافظاً , متقناً , ثبتاً , راسخاً بالعلم)) (ابن عطيه، 1983، صفحة 64)وقد أتم علومه ونبغ واستكمل ادوات العلم من حفظ للقران الكريم و جمع 600 الف حديث , كان شيوخه فوق الالف شيخ من علماء الحديث و الفقه وقد اطلق عليه لقب ((أمير المؤمنين في الحديث وعلومه)) **(البخاري، د 0 ت، الصفحات 6 –7)** .

وكان كثير الارتحال و الرحلة في طلب العلم وقد سمع منه الالاف من الطلبة , وله مؤلفات عديدة وقد اثبت في صحيحه 7275 حديثاً و الاحاديث الغير مكررة اربعة الاف حديث ومجموع احاديثه في الصحيح 9082 اذا امضى في جمعه و كتابته اي الصحيح ستة عشر عاماً **(البخاري، د 0 ت، الصفحات 6 – 7)**.

ويقال في معنى لقب امير المؤمنين في الحديث , اي ان جميع المحدثين اصبحوا تحت رايته , قال عنه الذهبي نقلاً عن ابن خزيمة ((ما رأيت تحت اديم السماء اعلم بحديث رسول الله صل الله عليه وسلم , واحفظ له من محمد بن اسماعيل)) **(الذهبي، 1985، صفحة 341؛ البخاري، د 0 ت، صفحة 7)** .

وقد برعت المحدثة كريمة المروزية في حفظ صحيح البخاري عن ظهر قلب , وكانت تعتمد في روايته اي الصحيح للبخاري عن شيخها ابي الهيثم الكشميهني عن ابي عبد الله الفربري عن البخاري **(ابن عطيه، 1983، صفحة 127؛ ابن ماكولا، 1990، صفحة 133)**, وبذلك يشير الذهبي قائلاً ((روت الصحيح , اي صحيح البخاري عن الكشميهني , وكانت تضبط كتابها , وتقابل نسخها , ولهم فهم ونباهة)) **(الذهبي، د 0 ت ، صفحة 254؛ ابن العماد الحنبلي، د 0 ت، صفحة 314؛ السيوطي، 2007، صفحة 378)** و الكشميهني راوي الصحيح للبخاري وهو شيخها .

بينما يشير ابن الاثير بعلو الاسناد في الحديث براويه الصحيح للبخاري قائلا عنها ((و اليها انتهى علو الاسناد الصحيح)) **(ابن الاثير ;، 2006، صفحة 390)** ويشير ابن العماد الحنبلي انها عدت من حفاظ الحديث الموثوق بهم **(ابن العماد الحنبلي، د 0 ت، صفحة 314)** و الذهبي قال عنها في وفاتها بانها ((راويه الصحيح بمكة)) **(الذهبي، 1985، صفحة 238)**.

وكان رأي ابن الجوزي فيها ((عالمة صالحة قرء عليها الائمة كالخطيب البغدادي , وابن عبد المطلب , و السمعاني , وابي طالب الزينبي)) وهؤلاء من اعلام المحدثين في المشرق **(ابن الجوزي، 1992، صفحة 135)**, وقد ذكر السمعاني ابو بكر بن منصور قائلاً ((اني سمعت الوالد يذكر كريمة ويقول : وهل رأى الناس مثل كريمة ؟)) **(الذهبي، 1985، الصفحات 114 –115)**, بينما ذكرها صاحب العقد الثمين ((المجاورة بمكة المكرمة حدثت بصحيح البخاري وكانت عالمة بضبط كتابها **(الفاسي المكي، 1988، صفحة 438)**, واكد الذهبي أنها كانت اذا روت قابلتباصلها , ولها فهم ومعرفة مع الخير و التعبد)) **(الذهبي، 1985، الصفحات 114 – 115)**, وقد روت الصحيح مرات كثيرة وكانت كاتبة فاضلة عالمة **(الصفدي، د 0 ت، صفحة 254)**.

المبحث الثاني : اعلام المغرب و الاندلس الذين درسوا على يد المحدثة كريمة المروزية .

اولاً – مكانة صحيح البخاري لدى اهل المغرب و الاندلس :-

يعد علم الحديث من العلوم الشرعية التى عكف المسلمون على دراستها وذلك كونه المصدر الثاني للتشريع في الشريعة الاسلامية بعد القران الكريم اذ عد الحديث المروي عن الرسول محمد صل الله عليه واله وسلم بمثابة توضيح لإشكالات كثيرة حدثت للمسلمين فعلم الحديث هو ((العلم الذي يعتني بدراسة احاديث الرسول محمد صل الله عليه اله وسلم وبيان الصحيح من المعتل , و الضعيف , والحسن , و الغريب , و المسند , و المرسل)) **(مسلم، 2005، الصفحات 5 – 7)**.

ولذلك حرص المغاربة و الاندلسيون على طلب العلم و الارتحال في ذلك كونه فريضة على المسلمين و الالتقاء بالمشايخ و الاخذ عنهم وفي ذلك يؤكد ابن خلدون على الارتحال وطلب العلم لمهد الحضارة الا وهو المشرق اذ ان اهل المغرب و الاندلس كانوا ينظرون نظرة تقديس للمشرق قائلاً ((فأهل المشرق على الجملة ارسخ في صناعة تعليم العلم , بل وفي سائر الصنائع , حتى انه ليظن كثير من رحالة اهل المغرب الى المشرق في طلب العلم , ان عقولهم على الجملة اكمل من عقول اهل المغرب , وانهم اشد نباهة واعظم كيسا بفطرتهم الاولى , ويولعون به , لما يرون كيسهم في العلوم و الصنائع)) **(ابن خلدون، 2010، صفحة 367)** .

وتعد كتب الاحاديث و الصحاح من اهم الكتب التى تدارسها اهل الاندلس و المغرب , ويعد كتاب صحيح البخاري من اكثر الكتب المتداولة في المغرب و الاندلس وذلك لأهميته لديهم وبذلك اشار ابن خلدون عن مكانة صحيح البخاري لديهم في التدريس و الحفظ و المذاكرة قائلاً ((وجاء محمد بن اسماعيل امام المحدثين في عصره , فوسع نطاق الرواية , فخرج احاديث السنة على ابوابها في مسنده الصحيح بجمع الطرق التى للحجازيين و العراقيين و الشاميين , واعتمد من ما اجمعوا عليه دون ما اختلفوا منه , ..., فأما صحيح البخاري وهو اعلاها رتبة , فاستصعب الناس شرحه, واستغلوا منحاه من اجل ما يحتاج اليه من معرفة الطرق المتعددة ورجالها من اهل الحجاز و الشام و العراق , ومعرفة احوالهم واختلاف الناس فيهم)) **(ابن خلدون، 2010، الصفحات 374 – 375)**.

بدأت همة اهل الاندلس لدراسة كتب الحديث منذو وقت مبكر بدخول الفاتحين الاوائل وما تلأها من عصور وشملت (صحيح البخاري , صحيح مسلم , سنن ابي داود , الترمذي , ابن ماجة , النسائي) **(بالنثيا , انخل جنتالث، 2008، صفحة 444)**.

وقد اختلفت الآراء حول دخول كتاب صحيح البخاري لبلاد الاندلس و المغرب , فبلاد الاندلس بدء بدخول المرتحلين لبلاد الحجاز و التتلمذ على ايدي مشايخ المشرق لاسيما وان التعليم فريضة اقرها الاسلام على كل مسلم ((فان العلم اشرف ما رغب فيه الراغب , وافضل ما طلب وجد فيه الطالب , و انفع ما كسبه و اقتناه الكاسب , لان شرفه يثمر على صاحبه , وفضله على طالبه)) **(الماوردي، 2016، صفحة 32)** .

ولهذا حرص المغاربة و الاندلسيون للتوجه الى مراكز المشرق لطلب العلم لاسيما العلوم الشرعية الدينية وفي ذلك يقول الماوردي نقلاً عن الامام الشافعي ((من تعلم القرآن عظمت قيمته ,ومن تعلم الفقه نبل مقداره , ومن كتب الحديث قويت حجته, ...)) **(الماوردي، 2016، صفحة 36؛ السمعوني الجزائري، 2015، صفحة 16)**.

عرف الاندلسيون صحيح البخاري وادخلوه الاندلس وكان اول من ادخله صعصعة بن سلام الشامي , وابو حفص عمر بن الحسن الهوزني ومحمد بن وضاح و كذلك ابو محمد الاصيلي كانوا من اوائل رواة الصحيح في الاندلس **(الكتاني، د 0 ت ، صفحة 30)**.

ويشير يوسف الكتاني ان ابو محمد الاصيلي الذي استقر بالأندلس كان من اوائل الذين ادخلوا صحيح البخاري للاندلس وروى عنه بعض المغاربة , ثم دخل الصحيح لبلاد المغرب لاسيما وانه اول من سمع الصحيح رواية عن اهل الاندلس برواية المروزي وانه أدخل

اي الجامع الصحيح او ما يعرف بصحيح البخاري بروايتين هما ((النسفي ت 295هـ / 908م و الفربري , 320هـ / 932م م)) **(الكتاني، د 0 ت ، صفحة 31)** .

وكانت اشهر رواية للصحيح هي رواية محمد بن يوسف بن مطر الفربري وهومن الذين سمعت منهم كريمة المروزية وروت عنه وهو كان من اخر الرواة لصحيح البخاري واتقنهم رواية وسماعاً **(الكتاني، د 0 ت ، صفحة 32)**.

ودخول رواية الفربري كانت بستة طرق من الرواة هم ((ابن السكنوهو ابي علي بن السكن سعيد بن عثمان بن سعيد المصري ت 353هـ / 1054م , ا لمروزيوهو ابو زيد المروزي , محمد بن احمد بن عبدالله ت 371هـ/982م الجرجاني وهو ابي احمد الجرجاني محمد بن يوسف ت 373هـ / 984م السرخسي , الكشميهني)) **(الكتاني، د 0 ت ، صفحة 33)**, ويلاحظ ان هؤلاء كانوا شيوخ كريمة المروزية موضوع بحثنا وقد روت عنهم , ولهذا كان لها مقام عالي لدى اهل المغرب و الاندلس , وبذلك يكون دخول صحيح البخاري في القرن الرابع الهجري برواية ابو محمد الاصيلي وابو الحسن القابسي ت 403هـ / 1013م من اعلام مدينة قابس و القيروان .

ونرى من خلال ما ذكرته كتب الطبقات و التراجم ان النساء كانت تجيز رواية الصحيح للرجال وان دل ذلك فانه يدل على بروز المرأة المسلمة وعلو شأنها وطول باعها في الحفظ و الرواية ومابلغته من الاتقان و الدراية حتى وجدنا من خلال بحثنا هذا توجه علماء ومحدثين يطلبون الاجازة من النساء العالمات و الاخذ عنهن و الرواية عنهن مثل كريمة المروزية (الكتاني، د 0 ت ، صفحة 168), حتى ان المغاربة كانوا يقرأون عليها صحيح البخاري وينالون الاجازة منها و بهذا يشير ابي الغنائم النرسي قائلاً ((اخرجت كريمة الي النسخة (الصحيح)فقعدت بحذائها , وكتبت سبعة اوراق وقرأتها , وكنت اريد ان اعارض وحدي , فقالت :- لاحتى تعارض معي , فعارضت معها)) و المعارضة هو القراءة و المطابقة وهو شرط الاجازة **(الذهبي، 1985، الصفحات 114 – 115)**, وكانت تضبط كتابها وحدثت بالصحيح مرات وعلا اسنادها **(الصفدي، د 0 ت، صفحة 254)** .

اهتم المغاربة بدراسة صحيح البخاري واصبح يمثل محل الصدارة وشمل جوانب حياتهم الفكرية و الدينية و السياسية و الاجتماعية وبدوأ بوضع شروح وحواشي وتراجم لرجاله و وبدأ بعضهم بقراته واقراءه و اسماعه و استنساخ نسخه , و التفنن في كتابته وتجميله وتفسيره واصبح يأتي بالمرتبة الثانية بعد القرآن الكريم في العبادة واصبح يختم به في شهر رجب وشعبان ورمضان ويعدون دراسته نوع من البركة و التعبد و التكريم واصبحت الاربطة و الزوايا اماكن لختم صحيح البخاري, **(الكتاني، د 0 ت ، صفحة 544)**.

ثانياً : الطلبة المغاربة و الاندلسيون الذين درسوا على يد المحدثة كريمة المروزية :-

1 – عبد الرحمن بن سهل بن محمد بن ثغري كان حياً 450هـ / 1058 م .

يكنى ابا محمد , ارتحل للمشرق ودخل مصر ثم توجه الى مكة المكرمة و التقى بكريمة المروزية سنة 450هـ / 1058م , حدث عنه ابو محمد الركلي بكتاب الغوامض **(ابن بشكوال، 2003، صفحة 298)**

2 – ابراهيم بن محمد بن سليمان بن فتحون كان حياً سنة 450 هـ / 1058

من اهل اقليش , وقاضيها , يكنى ابا اسحاق و له رحلة للمشرق لتادية الحج ودخل مكة وسمع بها من كريمة المروزية , ثم توجه لمصر وسمع من اهلها , عني بالحديث ونقله وروايته وجمعه وكان خطيبا محسناً , وكانت رحلته سنة 450هـ / 1058 م للمشرق وكان رجلاً فاضلاً **(ابن بشكوال، 2003، الصفحات 89 – 90)**

3 – جماهر بن عبد الرحمن بن جماهر الحجري ت 466 هـ / 1074م

من اهل طليطلة , يكنى ابا بكر , روى عن شيوخ الاندلس ثم رحل الى المشرق لتأدية فريضة الحج سنة 452هـ / 1060م حج ولقى بمكة المكرمة كريمة المروزية واخذ عنها رواية صحيح البخاري , وسعيد بن علي الزنجاني , ثم توجه الى مصر وسمع كتاب الشهاب القضاعي , وسمع من شيوخ عدة ثم رحل الى الاسكندرية وكان حافظاً للفقه على مذهب مالك , عارفاً بالفتوى , وعقد الشروط وعللها , عالما بالنوازل و المسائل , وكان حسن الخلق كثير التواضع وكانت العامة تجله وتعظمه **(ابن بشكوال، 2003، صفحة 119)**

4 –محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن جماهر الحجري ت 488هـ / 1095م

من اهل طليطلة , يكنى ابا بكر , روى عن عمه ابي بكر بن جماهر وغيره من الشيوخ , رحل الى المشرق مع عمه ابي بكر سنة 452هـ / 1060م , وادى الفريضة , وسمع بمكة من ابن ابي معشر الطبري وكريمة المروزية , وسمع بمصر و الاسكندرية , وكان معتنيا بالجمع و الاكثار و الرواية من الشيوخ و توفى بعد عودته بمدينة طليطله **(ابن بشكوال، 2003، الصفحات 439 – 440)**

5 – محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله الازدي الحميدي ت 488 هـ / 1095م

من اهل جزيرة ميورقه **(ابن بشكوال، 2003، صفحة 438)**, وسكن قرطبة بربض الرصافة , يكنى ابا عبد الله , روى عن ابن حزم الظاهري وشهر بصحبته , ارتحل الى المشرق سنة 448هـ / 1095م وادءى فريضة الحج , ودخل مكة المكرمة , و التقى بكريمة المروزية ودرس عليها علوم الحديث , وسمع بأفريقية ومصر و الشام و العراق , ثم استوطن بغداد ودرس على يد شيوخها امثال ابن الخطيب البغدادي , وابي نصر بن ما كولا , ووصف بالنباهة و المعرفة و الاتقان و الورع **(الحميدي، 1997، صفحة 456)**, ومن اثاره العلمية ((جذوة المقتبس في اخبار الاندلس و الجمع بين الصحيحين))

6 – محمد بن احمد بن عبد الله النحوي ت 490هـ / 1097م

من اهل المريه , يكنى ابا عبد الله يعرف بابن اللجالش , رحل الى المشرق واستوطن مكة , واخذ عن ابي المعالي الجويني , وكريمة المروزية , وغيرهما اخذ الناس عنههنالك , كان عالماً بالأصول و النحو متقدماً في معرفتها وله اختصار في كتاب ابي جعفر الطبري في تفسير القرآن له **(ابن بشكوال، 2003، صفحة 441)**

7 – محمد بن سابق الصقلي المتكلم ت 493 هـ / 1100م

يكنى ابا بكر , وهو فقيه عارف اصولي , روى عن كريمة بنت احمد المروزية , والباقي بن فارس , روى عنه ابو الحسن أحمد بن أحمد الازدي **(الضبي، 2006، صفحة 78)**

وقد اشار ابن بشكوال انه روى بمكة عن كريمة بنت احمد المروزية خلال تأديته فريضة الحج حيث التقى بها بعد موسم الحج واخذ عنها الحديث **(ابن بشكوال، 2003، صفحة 469)**, ثم قدم الاندلس واخذ عنه اهل غرناطة وكان من اهل الكلام مائلاً اليه **(ابن بشكوال، 2003، صفحة 469)**

8 – الشيخ الجليل الصالح ابو محمد عبد العزيز بن عبد الوهاب بن ابي غالب القيرواني 0 وهو شيخ فاضل عالي الرواية , قديم السماع و القرأة على العلماء , توجه الى غرناطة سنة 494هـ / 1101 م وتوفى بالمريه 495هـ / 1102م وقد اجاز لاهل الاندلس ومنهم ابن عطيه كتاب الجامع الصحيح لمحمد بن اسماعيل البخاري قائلاً ((اخبرني به عن الأستاذة كريمة بنت احمد بن محمد بن حاتم المروزية , عن ابي الهيثم محمد بن المكي الكشمهني , عن محمد بن يوسف عن البخاري)) **(ابن عطيه، 1983، الصفحات 94 –95)**, ووصفه ابن بشكوال بالقروي نسبة للقيروان وانه روى بمكة عن القاضي ابي الحسن بن صخر فرائده , وكان شيخ جليل وله روايات عالية وجعل وفاته بمدينة غرناطة **(ابن بشكوال، 2003، صفحة 303)**

9 – ابو علي الجياني حسين بن محمد بن احمد الغساني القرطبي ت 498هـ / 1105

اشتهر بالرواية عنها راويه , اذ روى عن كريمة المروزية , صحيح الامام البخاري عنها مكاتبة اي بمعنى اجازة , وهو رئيس المحدثين بقرطبة , وكان من جهابذة المحدثين وكبار العلماء المسندين , وعني بالحديث وكتبه وروايته وضبطه , وكان حسن الخط , جيد الضبط , له بصر باللغة و الاعراب , ومعرفة بالغريب و الشعر و الانساب , وجمع من ذلك كله مالم يجمعه احد في وقته , رحل الناس اليه وعولوا في الرواية عنه , وجلس بالمسجد الجامع بقرطبة وسمع منه اعلام قرطبة وكبارها وفقهاؤها وطلبتها , وصف بكونه ((كان من اكمل من رأيت علماً بالحديث , ومعرفة بطرقه , وحفظا لرجاله , ...)) **(ابن بشكوال، 2003، صفحة 131)**

جمع كتاباً في رجال الصحيحين سماه ((تقيد المهمل وتميز المشكل)) وهو كتاب حسن مفيد اخذ الناس عنه ت 498هـ / 1105م و مولده 427 هـ / 1036م , وله كتاب التعريف بشيوخ البخاري **(ابن بشكوال، 2003، صفحة 131)**

10 – احمد بن محمد بن عبد الرحمن الانصاري الشارقي الواعظ , يكنى ابا العباس ت 500 هـ /1160م نزيل فاس روى الصحيح , كان له رحلة حج وسمع فيها من كريمة المروزية كتاب البخاري , في رحلته التى حج فيها وسمع من القاضي ابا بكر بن صدقة وغيرهم ودخل العراق , وفارس , و الاهواز , ومصر ثم رجع للأندلس , وسكن سبته , وفاس وسمع منه الناس كان يجلس للوعظ وكان رجلاً صالحاً, وكان له كتاب في احكام الصلاة **(ابن بشكوال، 2003، صفحة 75؛ ابن الابار، 2008، الصفحات 25 – 26)**

11 – الشيخ الجليل الفقيه ابو العباس احمد بن عثمان بن مكحول وكان شيخاً فاضلاً , رحل الى المشرق سنة 451هـ / 1059م وحج ولحق هنالك جلة من اهل العلم كتب عنهم , توفى سنة 511هـ / 1117م , وقد كتب الى ابن عطيه بخطه يخبرني بجميع روايته ومنها ((الجامع الصحيح لابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري روايته عن الحرة الزاهدة كريمة بنت احمد بن محمد بن حاتم المروزية , عن اي الهيثم محمد بن المكي بن زراع الكشميهني , عن الفربري , عن البخاري)) **(ابن عطيه، 1983، صفحة 127)**, و سكن المريه , وحج واخذ عن كريمة بنت احمد بن محمد المروزي , وعن ابي عبد الله القضاعي كتاب الشهاب و العدد من تاليفه وكان شيخاً فاضلاً ت 513هـ / 1119م **(ابن بشكوال، 2003، صفحة 76)**ونجد ان سنة الوفاه مختلف فيها فابن عطيه جعلها 511هـ / 1117م بينما ابن بشكوال جعلها 513هـ / 1119 م .

12 – خلف بن ابراهيم بن خلف بن سعيد المقرئ ت 511هـ / 1117م ولد سنة 427هـ / 1036م

يعرف بابن الحصار , خطيب المسجد الجامع بقرطبة , يكنى ابا القاسم , روى عن شيوخ الاندلس , ثم ارتحل الى المشرق لتادية فريضة الحج و ودخل مكة وسمع من ابي معشر الطبري المقرئ , وقرأ عليه القراءات , ولقى بمكة المكرمة كريمة المروزية واخذ عنها صحيح البخاري , ثم ارتحل ودخل مصر وصقلية ثم رجع الى الاندلس وجلس للاقراء و الحديث بالمسجد الجامع بقرطبة وتولى امامة الصلاة به وطال عمره وكانت الرحلة اليه في وقته و الاقراء عليه ووصف بانه ((ثقة صدوقاً , حسن الخطبة , بليغ الموعظة , فصيح اللسان , جميل المنظر و الملبس , وكان خطيب الجمع و الاعياد)) **(ابن بشكوال، 2003، صفحة 157)** .

13 – الفقيه ابو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرووف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطيه الذي رحل الى مكة وادى فريضة الحج 470هـ / 1078م و التقى بشيوخها ودرس على ايديهم ومنهم كريمة المروزية و الذي وصف التقائه بها قائلاً ((حدثتا الحرة الزاهدة كريمة بنت احمد بن محمد بن حاتم المروزية , قالت :- حدثنا ابو الهيثم محمد بن المكي بن زراع الكشمهني قالت :- حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح الغربري , عن ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري)) **(ابن عطيه، 1983، صفحة 64)** .

قال الفقيه القاضي ابو محمد ((قال لي أبي , وكانت قراءتي في اصل كريمة بعينه)) وصفه ابن بشكوال القروي , يكنى ابا القاسم روى بمكة عن القاضي ابي الحسن بن صخر فوائده , وكان شيخ جليل , وله روايات عالية , وسماع قديم , ت 495هـ / 1102م بغرناطة **(ابن بشكوال، 2003، صفحة 64 و 303)**, ويقصد به كتاب ((الجامع الصحيح المختصر من امور رسول الله وسننه وايامه تصنيف الامام ابي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري)) بينما جعل ابن بشكوال رحلته للمشرق و الحج سنة469 هـ وذكر انه اخذ الصحيح للبخاري عن محمد بن معاذ التميمي وكان حافظاً للحديث وطرقه وعلله عارفاً باسماء رجاله ونقلته , كرر صحيح البخاري 700 مرة ,ولد 441هـ / 1049م , ت 518هـ / 1124م (ابن بشكوال، 2003، الصفحات 364 – 365) .

14 – احمد بن عبد الله العطار ت 518 هـ / 1124م

من اهل قرطبة , يكنى ابا العباس , ويعرف بالقونكي , له رحلة حج فيها لقى كريمة المروزية فروى عنها صحيح البخاري ثم عاد الى بلده وحدث به (ابن الابار، 2008، صفحة 30)

15 – عيسى بن محمد بن عبد الله بن عيسى بن مؤمل الزهري الشنتيريني ت 530هـ / 1136م

من اهل شنتيرين **(ابن بشكوال، 2003، الصفحات 350 –351 ؛ ابن الزبير الغرناطي ، 2008، صفحة 181)**, سمع من شيوخ الاندلس امثال ابي الوليد الباجي , و الدلائي , وابي الحجاج بن الاعلم و ثم رحل للمشرق لتادية فريضة الحج , فدخل مكة و التقى بالمحدثة كريمة المروزية , وابي معشر الطبري , واخذ عنهم علوم الحديث ثم رجع لبلاده وكان عندما يحدث باحاديث الرسول (صل الله عليه واله وسلم) يبكي بكاءاً شديداً , وقد اخذ الناس عنه , ثم ارتحل وسكن العدوة المغربية **(ابن الابار، 2008، صفحة 279)**

16 – ابراهيم بن منبه بن عمر بن احمد الغافقي كان حياً سنة 55هـ / 1160 م

من اهل المريه , ونزل مرسيه و سمع ببلده علم القراءات , ثم رحل حاجاً ودخل مكة وسمع من ابي علي بن العرجاء احاديث جعفر بن منظور سنة 526هـ / 1132م

وسمع من ابي الفتح سلطان بن ابراهيم المقدسي , ورجع لبلده وانتقل الى مرسيه وولي الخطبة و القضاء هناك , وكان يحدث واخذ عنهوكان فقيهاً مشاوراً , وكان يحدث صحيح البخاري اخر ذي الحجة سنة 555هـ / 1160م برواية سلطان بن ابراهيم عن كريمة

المروزية وكان يروي باسناد ابا ذر الهروي الذي قال عند موته عنه ((عليكم بكريمة , فانها تحمل كتاب البخاري و من طريق ابي الهيثم الكشميهني)) **(ابن الابار، 2008، الصفحات 106 – 107)**وابي ذر الهروي هو من اشهر المحدثين وثقة ويلاحظ انه بكلامه يؤكد على ما وصلت اليه كريمة المروزية في علو الاسناد في روايته وضبطه واجازته سواء لاهل المشرق او المغرب

17. محمد بن يوسف بن سعادة ت 566هـ / 1171م .

مولى سعيد بن نصر مولى عبد الرحمن الناصر , من اهل مرسيه و ودارسلفه بلنسيه يكنى ابا عبد الله , سمع من ابي علي الصدفي واختص به واكثر عنه واليه صارت دواوينه و اصوله العتاق وامهات كتبه الصحاح لصهر كان بينهما و رحل الى المشرق سنة 520هـ / 1126م ودخل الاسكندرية ولقى ابا الحجاج بن نادر الميورقي وصحبه و سمع منه الفقه وعلم الكلام , ثم توجه لمكة المكرمة وأدى فريضة الحج 521هـ / 1127م ولقى بمكة ابا الحسن رزين بن معاوية العبدري امام المالكية وابا محمد بن صدقة المعروف بابن غزال من اصحاب كريمة المروزية فسمع منهما واخذ عنهما , ثم اكمل رحلته ورجع للاندلس سنة 526هـ / 1132م وقد حصل في رحلته علوم جمة ورواية كثيرة وكان عارفاًبالسنة و الاثار مشاركاً في علم القرأن وتفسيره حافظاً للفروع بصيراً باللغة العربية ذا حظ في علم الكلام مائلاً للتصوف وله مصنفات مثل ((شجرة الوهم المترقية الى ذروة الفهم)) وقد مارس القضاء وكان يسمع الحديث وكان لديه اصول حسن بخط عمه مع الصحيحين بخط الصدفي في سفرين امتازت بصحة الاتقان و الجودة **(ابن الابار، 2008، الصفحات 31 – 32)** .

18. احمد بن الحسن بن ابي الاخطل الطليطلي 0يكنى ابا جعفر , له رحلة لبلاد المشرق لتادية فريضة الحج , فدخل مكة المكرمة , وروى الحديث عن كريمة المروزية , ثم رجع لبلاده وروى عنه اهل طليطلة , وكان من اهل الحفظ للفقه و الذكر للمسائل **(المراكشي، د 0 ت ، صفحة 279)** وحدث بصحيح البخاري عن كريمة المروزية ولم تؤرخ وفاته.

الخاتمة – الاستنتاج

من خلال بحثنا الموسوم ((كريمة المروزية و اثرها في الاندلس ((علم الحديث انموذجاً))وجدنا نتائج تلخص به البحث وهي :-

1 – طلب العلم فريضة باقية الى يوم الدين و ان الله سبحانه وتعالى سهل امر طالب العلم ويجزاه الجزاء الاوفى في الدنيا و الاخرة

2 – مشقة طلب العلم و الارتحال و البحث عن العلماء الاجلاء و الافاضل كان الغاية المنشودة لكل طالب علم ولايهم ان كان رجلاً او امرأة

3– ان التلاقي الفكري بين الامصار الاسلامية خلقت جوا علميا يسوده العلم و الالفة فجعل علماء المشرق يتوجهون لبلاد المغرب وعلماء المغرب يتوجهون للمشرق لكون المشرق هو اصل العلم و الحضارة

4– برزت المرأة المسلمة بالحفاظ على عفتها وطهارتها وحفاظها على نفسها حتى وان لم تتزوج اذا كرست حياتها للعلم و المذاكرة اذ بلغت كريمة المروزية مائة عام من عمرها ولم تتزوج قط برواية كتب الطبقات و التراجم

5– الاسلام بتشريعاته لم يحجر على المرأة ان تكون عالمة فاضلة في علمها وان تجيز الطلبة ولكن كانت تتوخى الدقة في الاجازة و المطابقة .

6– ركز البحث على علماء الاندلس و المغرب الذين درسوا على يدها وتتلمذوا على يدها والذين بلغوا الا 18 عالم , ماعدا علماء المشرق وهم اكثر وتحتاج لهم دراسة منفردة

7 –تبين للباحث ان منزلة كتاب صحيح البخاري تاتي في المرتبة الاولى بين كتب الصحاح المتداولة في الدراسة في بلاد المغرب و الاندلس ليس باعتبار الكتاب لديهم ادق بصحة الاحاديث الشريفة بالاعتماد على الروايات المسندة بعلماء اجلاء ثقة 0

8 – من خلال ما اطلعنا عليه في كتب الطبقات و التراجم وجدنا احيانا اختلاف في سنوات الوفاة فمثلاً الذهبي ناقض نفسه فمثلاً في سير اعلام النبلاء جعل وفاتها سنة 463 هـ وهو الارجح بينما في دول الاسلام جعلها 465هـ ووافقه الصفدي في الوافي نفس السنة اما البقية اكدوا على وفاتها الله يرحمها سنة 463هـ وهو الارجح بين الاقوال

قائمة المصادر و المراجع

ابن الابار . (2008). *التكملة لكتاب الصلة* (المجلد 1). بيروت: دار الكتب العلميه.

ابن الاثير ;. (2006). *الكامل في التاريخ* (المجلد 4). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الاثير . (2006). *الكامل في التاريخ* (المجلد 4). بيروت: دار الكتب العلميه.

ابن الجوزي. (1992). *المنتظم في تاريخ الامم و الملوك*. بيروت: دار الكتب العلميه.

ابن الزبير الغرناطي . (2008). *الصلة* . بيروت .

ابن العماد الحنبلي. (د 0 ت). *شذرات الذهب في اخبار من ذهب*. بيروت: دار الكتب العلميه.

ابن بشكوال. (2003). *الصلة في تاريخ علماء الاندلس* (المجلد 1). بيروت: المكتبة المصرية.

ابن خلدون. (2010). *مقدمة ابن خلدون* (المجلد 1). القاهرة: دار ابن الجوزي.

ابن عطيه. (1983). *فهرس ابن عطيه*. بيروت: دار الغرب الاسلامي.

ابن كثير. (2009). *البداية و النهاية* (المجلد 2). د 0 م: مؤسسة المعارف.

ابن ماكولا. (1990). *الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف و المختلف في الاسماء و الكنى و الانساب* (المجلد 1). بيروت: دار الكتب العلميه.

البخاري. (د 0 ت). *صحيح البخاري*. بيروت: دار صادر .

الحميدي. (1997). *جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس* . بيروت: دار الكتب العلميه .

الذهبي. (1985). *اعلام النبلاء*. بيروت: مؤسسة الاعلمي.

الذهبي. (د 0 ت). *العبر في خبر من غبر*. بيروت : دار الكتب العلميه .

الذهبي. (1985). *دول الاسلام*. بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.

السمعاني. (1988). *الانساب* (المجلد 1). بيروت: دار الكتب العلميه.

السمعوني الجزائري. (2015). *امنية الالمعي ومنية المدعي* (المجلد 2). الجزائر: دار المعرفة.

السيوطي. (2007). *تاريخ الخلفاء* (المجلد 1). القاهرة: مكتبة الرباط.

الصفدي. (د 0 ت). *الوافي بالوفيات*. بيروت: دار احياء التراث.

الضبي. (2006). *بغية الملتمس في اخبار الاندلس*. بيروت .

الفاسي المكي. (1988). *العقد الثمين في تاريخ البلد الامين*. بيروت: دار الكتب العلميه.

الكتاني. (د 0 ت). *مدرسة الامام البخاري في المغرب*. بيروت : دار لسان العرب .

الماوردي. (2016). *ادب الدنيا و الدين* (المجلد 1). القاهرة.

المراكشي. (د 0 ت). *الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة* . المغرب .

بالنثيا , انخل جنتالث . *تاريخ الفكر الاندلسي* .

بالنثيا , انخل جنتالث. (2008). *تاريخ الفكر الاندلسي* (المجلد 1). القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

بامخري. (د 0 ت). *النسبة الى الموضع و البلدان*. د 0 م: مركز الوثائق.

سبط ابن الجوزي. (2013). *مراة الزمان في توارخ الاعيان* (المجلد 1). دمشق: دار الرسالة .

كحالة. (د 0 ت). *اعلام النساء* (المجلد 2). د 0م .

مسلم. (2005). *مختصر صحيح مسلم* (المجلد 1). بيروت: منشورات دار اليوسف.

ياقوت الحموي. (1993). *معجم البلدان*. بيروت: دار صادر .

List of sources and references

Bin Al-Abar. (2008). The sequel to the book Al-Sila (Volume 1). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Ibn Al-Atheer ;. (2006). Complete History (Volume 4). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Ibn Al-Atheer. (2006). Complete History (Volume 4). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Ibn al-Jawzi. (1992). Regular in the history of nations and kings. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Ibn al-Zubayr al-Gharnati. (2008). Relevance. Beirut .
Ibn al-Imad al-Hanbali. (D 0 T). Gold nuggets in the news of gold. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Ibn Bashkwal. (2003). The connection in the history of Andalusian scholars (Volume 1). Beirut: Egyptian Library.
Ibn Khaldun. (2010). Introduction by Ibn Khaldun (Volume 1). Cairo: Dar Ibn al-Jawzi.
Ibn Atiyya. (1983). Index by Ibn Atiyya. Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami.
Ibn Kathir. (2009). The Beginning and the End (Volume 2). D 0 PM: Al Maaref Foundation.
Ibn Makula. (1990). Completeness in removing doubt about the similarities and differences in names, surnames, and genealogies (Volume 1). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Al-Bukhari. (D 0 T). Sahih Bukhari. Beirut: Dar Sader.
Al-Hamidi. (1997). The ember quoted in mentioning the governors of Andalusia. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Golden. (1985). Notifications of nobility. Beirut: Al-Alami Foundation.
Golden. (D 0 T). Lessons in news from the past. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Golden. (1985). Islamic countries. Beirut: Al-Alami Publications Foundation.
Al-Samani. (1988). Genealogy (Volume 1). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Al-Samouni Algerian. (2015). Al-Ma'i's wish and the plaintiff's wish (Volume 2). Algeria: Dar Al-Ma'rifa.
Al-Suyuti. (2007). History of the Caliphs (Volume 1). Cairo: Rabat Library.
Al-Safadi. (D 0 T). Al-Wafi with deaths. Beirut: Heritage Revival House.
To my fox. (2006). In order to seek information from Andalusia news. Beirut .
Al-Fassi Al-Makki. (1988). A precious decade in the history of the honest country. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Al-Kattani. (D 0 T). Imam Bukhari School in Morocco. Beirut: Dar Lisan al-Arab.
Al-Mawardi. (2016). Literature of the world and religion (Volume 1). Cairo.
Marrakchi. (D 0 T). The tail and continuation of my book Al-Mawsul and Al-Sila. Morocco .
Palencia, gental palm tree. History of Andalusian thought.
Palencia, gental palm tree. (2008). History of Andalusian Thought (Volume 1). Cairo: Library of Religious Culture.
Bamakhri. (D 0 T). Relative to location and countries. D 0 PM: Documentation Center.
The tribe of Ibn al-Jawzi. (2013). The Mirror of Time in the History of Notables (Volume 1). Damascus: Dar Al-Resala.
As a case. (D 0 T). Women's Media (Volume 2). D 0 m.
Muslim. (2005). Summary of Sahih Muslim (Volume 1). Beirut: Dar Al-Youssef Publications.
Yaqut Al-Hamawi. (1993). Dictionary of countries. Beirut: Dar Sader.

سياسة الدولة الموحدية الخارجية من خلال رسائلها (541هـ-633هـ/1147م-1236م)

تبارك اياد علي د.عدنان خلف سرهيد

aaauukb45@gmaiI.com

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم التاريخ

ملخص

تناولت هذه الدراسة الأحداث السياسية لدولة الموحدين عن طريق نصوص الرسائل الموحدية من بيعة الخلفاء وعبور الموحدين الى الأندلس والقضاء على دولة المرابطين وصراعاتهم مع حكام الأندلس ابن مردنيش وبنو غانية وكيفية دخولهم في طاعة الدولة الموحدية فضلاً عن جهادهم في الأندلس ضد النصارى.وقد تناولت هذه الدراسة فتح الموحدين للمدن الاندلسية والقضاء على الثورات التي ظهرت في المغرب الاسلامي ضدهم فضلاً عن المعارك السياسية البارزة للدولة الموحدية من معركة الارك ومعركة العقاب من خلال الرسائل الموحدية. وغدت الدولة الموحدية من الدول التي اهتمت بالكتابة والرسائل لتحقيق التواصل وبين الدول المجاورة من اجل تسيير أمور الدولة المختلفة فضلاً عن الداخل ويعد ذلك من المظاهر الحضارية للدولة القوية، ووظفت من اجل هذه المهمة كتاب كبار عاشوا خلال هذه الحقبة من الزمن.

الكلمات المفتاحية : دولة الموحدين ، الرسائل ، معركة الارك .

The foreign policy of the Almohad state through its messages (541 AH - 633 AH / 1147 AD - 1236 AD)

Tabark ayad aIi Dr. Adnan khaIaf Sarheed

AI- Mustansiriya University, CoIIege of Education, Department of History

Abstact

This study dealt with the political events of the Almohad state through the texts of the Almohad letters, from the pledge of allegiance to the caliphs, the crossing of the Almohads into Andalusia, the elimination of the Almoravid state, their conflicts with the rulers of Andalusia, Ibn Mardanish and Banu Ghaniya, and how they entered into obedience to the Almohad state, in addition to their jihad in Andalusia against the Christians. This study dealt with the conquest of the Almohad state. Almohads for the Andalusian cities and eliminating the revolutions that appeared in the Islamic Maghreb against them, in addition to the prominent political battles for the Almohad state, from the Battle of Ark and the Battle of Al-Uqab through Almohad messages. The Almohad state became one of the countries that focused on writing and letters to achieve communication between neighboring countries in order to manage the various affairs of the state as well as internally. This is considered one of the cultural manifestations of a strong state, and for this task it employed great writers who lived during this era of time .

Keywords: AImohad state, Ietters, BattIe of Aek **.**

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل وأشرف الأنبياء والمرسلين محمد رسول الله(ﷺ) واله الطيبين الطاهرين وعلى اصحابه اجمعين.

أما بعد...

تعد فترة تاريخ الدولة الموحدية من العصور التاريخية المهمة في التأريخ الاسلامي عامة والاندلسي خاصة اذ تعد من العصور التي ازدهرت فيها الدولتين المغربية والاندلسية لاسيما في مجال التعاون السياسي والعسكري بينهما بعد ان اصبحت كيان سياسي واحد

يدار من قبل الموحدين في المغرب اذ اصبحت الاندلس هم الموحدين الشاغل لهم، بسبب مواجهتهم للنصارى، والذي توافق مع شعار الموحدين الذي نادى به زعيمهم ابن تومرت الا وهو الجهاد في سبيل الله فكانت الاندلس مصداق لهذه الرغبة الموحدية.

وقد سعت هذه الرسالة على التعرف على الدولة الموحدية في الجوانب السياسية لاسيما انها تعد من الدول القوية التي ظهرت ما بين القرنين (6-8هـ/ 12-14م) في الغرب الاسلامي وصنعت الاحداث البارزة من خلال خلفائها عبر هذه الحقبة من الزمن، لاسيما خلفاء المهدي بن تومرت الاوائل ومنهم عبد المؤمن بن علي وابو يعقوب يوسف والخليفة المنصور والناصر وغيرهم.

وغدت الدولة الموحدية من الدول التي اهتمت بالكتابة والرسائل لتحقيق التواصل وبين الدول المجاورة من اجل تسيير أمور الدولة المختلفة فضلاً عن الداخل ويعد ذلك من المظاهر الحضارية للدولة القوية، ووظفت من اجل هذه المهمة كتاب كبار عاشوا خلال هذه الحقبة من الزمن.

الرسائل السياسية في عهد الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي (525هـ_ 558هـ/1131م_1163م)

1. رسائل وفد اهل الاندلس الى عبد المؤمن لتقديم البيعة (543هـ /1149م)

بعد أن استتب حكم الموحدين في المغرب توجه إليهم أخوتهم الأندلسيين للاتكاء عليهم بعد المرابطين في صد الهجمات الإسبانية عليهم.

وكانت أولى تلك البوادر قيام مفتي الأندلس وفقيها ابو القاسم بن الحاج* (الذهبي، ٢٠٠٨ م، صفحة 72) (571هـ /1175م) بتوجيه وفد أندلسي يحمل رسالة وهدايا عنه للخليفة عبد المؤمن ليقدم البيعة للخليفة وكان ذلك سنة (543هـ /1149م) ويذكر ابن خلدون ذلك فيقول (ابن خلدون، 1865، صفحة 235) "وأرسل محمد بن علي بن الحاج صاحب بطليوس بهداياه فتقبلت ورعيت له".

وكان من عاده الدولة الموحدية استقبال الوفود والإحسان إليهم فيستقبلهم الخليفة ويذكر ابن عذارى (ابو العباس احمد، 1431هـ، صفحة 127/3) ذلك فيقول" امر أمير المؤمنين الوافدين بدخولهم إليه وسلامهم علية...وهو جالس على حصير في الرحبة ... وعلية غفارة زيبيبة، وعلى رأسه عمامة صوف".

"وقد وصلنا أخوكم الشيخ الجليل ابو محمد، وابنكم ابو الحسن وصاحبكم الشيخ الكاتب ابو عبد الله بن زرقون أكرمهم الله بتقواه فأدوا من حق هجرتهم البرة ما قلدوه، ونالوا من خير الزيارة والبيعة ما اعتمدوا؛ ثم انصرفوا مبرورين مسرورين بمال ألقوه من بركة هذا الامر الكريم وجدوه... ولكم عندنا وفقكم الله وأكرمكم من حظوظ التقريب والإيثار" (بروفنسال، 1941، صفحة 3).

2_ رسالة عبد المؤمن الى ابن مردنيش للدخول في طاعة الموحدين سنة (548هـ/1154م)

وبعد عبور الموحدين الى الأندلس وفي سلسله فتوحاتهم لمدن الأندلس اتجهت أنظار الموحدين لشرق الأندلس التي كانت تحت حكم ابن مردنيش اعتقد الخليفة عبد المؤمن بأن ابن مردنيش سيقدم الطاعة مثل الثائرين السابقين فقرر عبد المؤمن في البداية بأرسال رسالة له من مراكش يدعوه فيه الى التوحيد والدخول في طاعة الموحدين (ابن الخطيب، 1977، صفحة 126/2).

وكتبت الرسالة في جمادي الآخرة سنة (548هـ/1154م) جاء في نصها " من أمير المؤمنين أيده الله بنصره وأمده بمعونته ، الى الشيخ أبي عبد الله محمد ابن سعد...رأينا أن نخاطبكم بكتابنا هذا أخذاً بأمر الله تعالى لرسوله في المضاء الى سبيلة ...فأجيبوا – رفعكم الله – داعى الله تسعدوا ، وتمسكوا بأمر المهدي– رضي الله عنه –في اتباع سبيلة تهتدون... فنحن لا نريد لكم ولسائر من نرجو إنابته، ونستدعي قبوله وإجابته، ألا الصلاح الأعم ، والنجاح الأتم وتأملوا – سددكم الله – من كان بتلك الجزيرة – حرسها الله – من أعيانها ، وزعماء شأنها ... وفاز بما يدخره ويعده ، ألا من تمسك بهذه العروة الوثقى ... وتنتقل منه حادث الانتقام اخسر ما تنتقل به... فقد كان منكم في امر هل بلنسية حين إعلانهم بكلمة التوحيد ، وتعلقهم بهذا الأمر السعيد، ثم كان منكم عقب ذلك ما اعتمدتموه في امر أهل لورقه– وفقهم الله– حين ظهر اختصاصهم ، وبان إخلاصهم ؛ وليس لذلك وأمثاله عاقبه تحمد" (القلقشندي، 1922، صفحة 443/6).

ونلتمس من النص اعلاه ان عبد المؤمن يدعوا ابن مردنيش في اتباع امر المهدي ويلفت نظره ان من فاز فقط الاعيان الاندلس الذين دخلوا في طاعة الدولة الموحدية ويبين النص أيضاً أن ابن مردنيش خلال استيلائه على مدينة بلنسية قد نكل بالذين أعلنوا

* ابو القاسم بن الحاج: وهو محمد بن محمد بن خلف بن إبراهيم المعروف بأبن الحاج من أهل العلم والحفظ ومن اهل قرطبة وقاضي الجماعة بها.

الطاعة للموحدين في المدينة وفعل ذلك مع اهل لورقه الذين دخلوا في الطاعة ايضاً ولهذا دعاهم الخليفة الى التوبة والدخول في الطاعة وكانت تلك الرسالة هي اول تواصل او احتكاك مع ابن مردنيش.

الرسائل السياسية في عهد الخليفة الموحدي ابو يعقوب يوسف (558هـ-580هـ/1163م-1185م)

في أثناء مقاتلة الخليفة عبد المؤمن لأبن مردنيش مرض الخليفة وشعر بدنو أجله فتوفي سنة (558هـ /1163م) (الزركشي، 1966، صفحة 13)، واستلم الخلافة من بعده ولده الأمير ابو يعقوب يوسف وقد بايعه جميع أخوته، وذهب الى حضرة مراكش واخذ ينظم الأمور ويعد العدة للجهاد ومن اهم الأحداث في عصره هي:

1 – موقعة الجلاب سنة (560هـ / 1165م)

بعد ان استقر الخليفة الجديد ابو يعقوب يوسف في مراكش وكانت شوكة الخلافة الموحدية قد قويت لذلك قرر الخليفة إكمال الجهاد ضد ابن مردنيش الذي كان في حالة من الضعف أمام تزايد قوة الموحدين ، فقرر الخليفة أن يشن الحرب علية فاصطدمت قواته مع ابن مردنيش في موقعه الجلاب* (ابن ابي زرع، 1972) سنة (560هـ /1165م) وحققت الجيوش الموحدية انتصاراً علية وهزيمته فكتب ابي سعيد اخو الخليفة ابو يعقوب يوسف من الاندلس برسالة النصر الى الخليفة ابو يعقوب يوسف وهو في مراكش جاء في نصها " الى حضرة الامير بمراكش ... والتفت عليهم قبائل الموحدين واحتدمت الحرب وحمي الوطيس ... وثبت الله اقدام الموحدين ، وزلزل الله اقدام الملحدين ...وحزب الله يتقدم غالباً فيصرع ويصدع ، وقتل رجال الشقي ومشاهيره ، والروم اكثر القتلى فيهم فخروا كأنهم اعجاز نخل خاوية... وقف الخاسر خائفاً يترقب وقوف الذليل ...ونقرت الطبول تصك اسماعهم فمكنت الزلازل في جوانبه" (ابن صاحب الصلاة، 1987، صفحة 201)

ونلاحظ من خلال الرسالة اعلاه كيف تمكن الموحدين من فتح هذه البلاد، وتشبية تلك المعركة بمعركة ذي قار في العراق وانتصارهم على الفرس، وكيفية سيطرتهم على مؤنة الاسبان ومعسكرهم.

2 . ثورة غمارة سنة (562هـ /1167م)

وفي أثناء تواجد الأمير يوسف في مراكش حدثت ثورات في أفريقية على الموحدين واضطرابات مما دعت الحاجه الى مواجهه تلك الثورات وقمعها مثل ثورة غمارة (ابن عذارى، صفحة 191/3)* ، واستطاع الأمير ابو يعقوب في إخمادها واقماعها وقتل صاحبها فأرسل في تلك المناسبة رسالة الى الطلبة والشيوخ الموحدين في غرناطة يبشرهم في الانتصار واقماع الثورة في افريقية جاء فيها" استخرنا الله تعالى على قصد بلاد غمارة... فنزنا بالموحدين –اعزهم الله وسط بلادهم... وكنا عند وصولنا الى اوائل بلادهم ،قدمنا اليهم من المكاتبة ما رجونا به هدايتهم ...فلم يعرجوا على نصيحة ... فأجرى الله أولياءه من النصر والتمكين ،على ما عودهم ...فاقتحموا عليهم في مناعتهم ، ودخلوا اليهم في موضع اعتصامهم ، فلم يكن إلا كلا ولا...وتسنى فية من الفتح الميسر ، والنصر المؤزر" (ابن صاحب الصلاة، 1987، صفحة 233).

نلاحظ من الرسالة أعلاه هو ان الامير ابو يعقوب يوسف بعد ان استقر في مراكش وقامت ثورات عديدة ضده في افريقية ومنها ثورة غمارة فأرسل اليهم جند واشياخ الموحدين في البداية وعندما عجزوا عن اخماد هذه الثورات خرج الامير يوسف بنفسه ونجح في اخمادها وهو يذكر في الرسالة بأنه ارسل اليهم الرسائل ليرشدهم وعندما رفضوا قرر اخضاعهم وكتب بتلك الاحداث الى جميع الطلبة والموحدين في الاندلس ليعلمهم بتلك الأحداث في المغرب الإسلامي.

وأرسل ابو حفص أخو الخليفة بهذا الانتصار أي القضاء على الثورات في أفريقية برسالة الى والي غرناطة الشيخ ابو عبد الله محمد بن أبي إبراهيم (ت:569هـ /1174م)* (ابن صاحب الصلاة، 1987، صفحة 217)، وقد كتبها ابو حفص عن نفسه جاء فيها" من عمر ابن أمير المؤمنين، الى الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي إبراهيم... وما زال الموحدون يستزلونهم من هضابهم، ويستخرجوهم من

* موقعه الجلاب: هي معركة حصلت في الأندلس بين أبي سعيد ابن عبد المؤمن وابن مردنيش وحلفائه النصارى وانهزم بها ابن مردنيش.

* ثورة غمارة: هب ثورة قام بها سبع بن منغفاد في أفريقية واستطاع الأمير ابو يعقوب في إخمادها وقتل صاحبها

* ابو عبد الله محمد: وهو أحد الحفاظ في الأندلس من أبناء الجماعة النبهاء ولي على غرناطة في سنة(562هـ/1167م) وتوفي سنة (569هـ /1174م).

شعابهم، حتى اتو عليهم قتلاً وسبياً...فأخذوا الشقي وجاءوا به اسيراً...وفى أثره وكمل امر الله في هذه الجهة" (ابن صاحب الصلاة، 1987، صفحة 244)

3. محاولة العبور الى الاندلس سنة (563هـ -564هـ/ 1168م-1169)

بعد ان تمت البيعة للخليفة الموحدي ابو يعقوب يوسف الذي حكم ما بين (558هـ -580هـ /1163م- 1185م)، قرر أن يضم الأندلس للمغرب بصورة نهائية وكما كان الحال أيام المرابطين، وكان علية أن يتخذ عده إجراءات من اجل السيطرة عليها، فيبدأ أول الأمر بمراسلة والي غرناطة ابو عبد الله بن إبراهيم (562هـ - 569هـ /1167م- 1174م) ليخبره بتعيين اخوه السيد أبا إسحاق** (الكتامي، 1990، صفحة 207) ، وأمره أن يعد العدة هو وولاة المدن الأندلسية الأخرى لمواجهه الإسبان وكذلك إيقاع ابن مردنيش (ابن عذارى، صفحة 199/3) جاء في نص الرسالة " وقد اتفقنا في هذه الايام على ان يتوجه اليها اخونا ابو اسحاق ابراهيم بن سيدنا امير المؤمنين وفقه الله في عسكر مبارك من الموحدين والعرب وفرهم الله ليكون بقرطبة مهدها الله ورجونا من تعاونه مع اخواته الذين بإشبيلية حرسها الله وتعاضدهم جميعاً، وتوازرهم على الجهاد، وحماية البلاد... وهذه كلها مقدمات بين يدي ما ينوي من الغزو الأعم، والجهاد الأتم " (ابن صاحب الصلاة، 1987، صفحة 272).

ويتبين من الرسالة ان الخليفة ابو يعقوب يوسف بعد ان تجددت له البيعة الكاملة قرر ان يتجه بأنظاره الى الاندلس فقرر في البداية ان يرسل اخوه ابا اسحاق والي على قرطبة ويأمره ان ينسق مع بقية ولاه الاندلس ويوصيهم بالتعاضد والتكاتف لمحاربة النصارى والقضاء عليهم وهو يخبر بعزمه على العبور الى الاندلس وان ما هذه الا بداية لمواجهة كبرى مع النصارى.

4- معركة وادي اش سنة (563هـ /1168)

بعد ان أرسل الخليفة ابو يعقوب يوسف برسالته الى والي غرناطة بجعل اخاه السيد ابو اسحاق والي على قرطبة، وعند وصول هذا الكتاب الى والي غرناطة ابو عبد الله بن إبراهيم في نفس السنة اي (563هـ /1168م) تحركت النصارى في الأندلس.

وخرجت خيول النصارى من منطقة وادي اش، واستولوا النصارى على مدينة رنده فسمع والي غرناطة ابو عبدالله بن ابراهيم واشتبك معهم في معركة وادي اش واستطاع القضاء على النصارى، فسمع الخليفة ابو يعقوب يوسف وهو في مراكش عن ذلك النصر وارسل لوالي غرناطة السيد ابو عبدالله بن ابراهيم رسالة يشكره بها على ذلك النصر فجاء في نصها " الاعداء الكفرة الذين كانوا بوادي اش . فتحها الله . من الفتح الذي عرفهم به قدر اغترارهم ومكان جهلهم... منح الله الموحدين في هذه الغزوة المباركة خير كثير ، واثر جميل... وبمثابة من فت اعضاد الكفرة وتوهين امرهم ، واشعارهم الادبار في احوالهم... فأحق الله الحق وبطل الباطل ولو كره المجرمون، فأشكروا الله تعالى على توفيقه" (ابن صاحب الصلاة، 1987، صفحة 275) .

ونرى من النص اعلاه ان والي غرناطة السيد ابو عبد الله بن إبراهيم قد خاطب الخليفة بذلك النصر على النصارى بالقرب من وادي اش ورد الخليفة عليه وهو يشكره ويثنى علية بتلك الانتصارات على النصارى ويشيد بذكر الغنائم الكثيرة التي حصل عليها الموحدين بعد الفوز بتلك المعركة مما ادى الى قوي شوكة الدولة الموحدية وعلوا شأنها.

5-هدنة الموحدين مع مملكتي البرتغال وقشتاله سنة (569هـ /1174م)

في أثناء تواجد الخليفة الموحدي ابو يعقوب يوسف في الاندلس في الفترة بين سنتي (566هـ -571هـ / 1171م -1176م) أحرز عدة انتصارات على النصارى منها القضاء على ابن مردنيش سنة (567هـ /1172م) وضم شرق الاندلس الى حكمه، وايضاً محاولته لفتح مدينة وبذه فضلاً عن انتصاره في معركة قلعه رباح على النصارى وقتل قائدهم وفتح العديد من المدن الاندلسية مما ادى الى ضعف موقف النصارى.

لذلك قررت مملكتي قشتالة والبرتغال بعقد هدنه مع الدولة الموحدية في سنة (569هـ /1174م) ، ويصف ابن عذارى (ابن عذارى، صفحة 231/3) ذلك فيقول " وفي سنة تسع وستين وخمس مئة : كان وصول العلج الطاغي... مع اصحابه الأدلاء الى اشبيلية حضرة الخليفة سامعاً طائعاً ليكون عبداً خديماً ... فقبل منه القول وانزله وامر له بالإحسان والكرامات" فوافق الخليفة ابو يعقوب يوسف على الهدنه والصلح وعقد الهدنه معهم وكتب بذلك برسالة الى مراكش ليخبرهم بتلك الاحداث ونص الرسالة " وقد كان

** ابو إسحاق: وهو ابن الخليفة عبد المؤمن وأخو ابو يعقوب يوسف تولى عدة ولايات في الأندلس توفي سنة(583هـ/1188م).

رباطنا_ وفقكم الله _ بهذه الجزيرة ... تسابقت وتلاحقت وفود الروم لبأس الله راهبين ، وفي اخذ حبل من الله ومن اهل دينة راغبين ، قد بخعوا بالضراعة ، وتدوخوا بالذلة وتيأسوا بالصغار... وكان اولهم في ذلك ملك برتقال ونصارى الغرب باذلين من انفسهم الطوع برد اسارى المسلمين...ولما ظهرت – وفقكم الله – ظواهر المصلحة ، وكثرت دواعي الاصابة... استخرنا الله تعالى على القبول لما ضرع فيه الروم " (البلوي، 1441هـ، صفحة 578).

ومن خلال تلك الرسالة نستطيع ان نستنتج حاجة الموحدين لتلك الهدنة للمصلحة المتعلقة بها من ترميم الجبهة الداخلية، ويظهر فيها تضرع النصارى لقبول تلك الهدنة، وهو ما يشير الى سيطرة الموحدين العسكرية والسياسية ورجحان كفه المسلمين في ذلك الوقت.

6-الجهاد في الاندلس سنة (576هـ /1181م)

اجتاح مرض الطاعون في المغرب الإسلامي سنة (571هـ /1176م) وأودى بحياة الكثير من الموحدين سواء من العامة أو من الأشياخ فتوفي في هذا المرض ابو حفص الهنتاني ابن عبد المؤمن والعديد من الطلبة الموحدين ومرض الخليفة ابو يعقوب يوسف جراء ذلك ، فأستغل النصارى تلك الأحداث ونقضوا الهدنه مع الموحدين وخرجوا مره أخرى على المدن الأندلسية واشتد أذى النصارى في سنة(576هـ /1181م) ووصل الخبر الى الخليفة ابو يعقوب يوسف فقرر جمع عرب أفريقية والجهاد في الأندلس لمقاتله النصارى (ابن عذارى، صفحة 237/3) .

فأرسل الخليفة ابو يعقوب يوسف برسالة وهو في تونس الى قرطبة يخبرهم بتحرك عرب افريقية للجهاد معهم في الاندلس ضد النصارى.

جاء فيها" من امير المؤمنين بن امير المؤمنين... الى الطلبة والموحدين والشيوخ والاعيان والكافة بقرطبة...وقد انتهى اليكم . وفقكم الله . ما سنى في هذه الوجهة الميمونة من الامور الشريفة والفتوح الجليلة...واعلمناكم ايضاً... بما كان من صرف الموحدين ... الى هذه الجهات الساحلية بعد الغزوة المباركة التي اعلى الله بها منار الاسلام والايمان...جمع اشياخ العرب واعيانهم والمشار اليهم من رؤسائهم ووجوههم وكبرائهم من جميع قبائل رياح...وعرفوا ان الغرض فيهم انما هو غزو الروم الذين بجزيرة الاندلس ... وقد اخذوا في الحركة بعون الله على طرق شتى بعضها بالصحاري وبعضها بالسواحل ، كل قبيل منهم اختار اقرب الطرق الى الموضع الذي منه مبدأ انتقاله ، وارفقه بنفسه وأهله وماله " (بروفنسال، 1941، صفحة 149).

والملاحظ على هذا النص يظهر الخليفة الى اهل قرطبة انتصار الموحدين في المغرب وفتح قفصه وبعد هذا الفتح قام الخليفة بجمع عرب افريقية ويخص بذكر عرب قبائل رياح ويرسلهم للجهاد مع الموحدين في الاندلس ضد النصارى وهو يذكر الروح الوطنية لدى العرب وانهم يفدون بأنفسهم مقابل الحفاظ على الاسلام ولهذا سلكت كل قبيلة اقرب طريق لها الى الاندلس من اجل نصره الاسلام فيها والقضاء على النصارى.

2. هجوم البرتغاليون على مدينة شلب سنة(586هـ /1191م)

استغل النصارى في الاندلس انشغال الخليفة يعقوب المنصور في افريقية واخذوا الهجوم على مدينة شلب* (الحميري، 1975، صفحة 342) والدخول اليها وعند سماع الخليفة ابو يعقوب بذلك قرر القدوم الى الاندلس سنة (586هـ /1191م) ويعد هذا هو خروجه الاول الى الاندلس من اجل الجهاد ، فخرج من المغرب بجيش ووصل الى الاندلس وفتح مدينة شلب واخرج النصارى منها بعد حصارها (ابن عذارى، صفحة 305/3) ، فتقدم النصارى بعد ذلك لعقد هدنه مع الخليفة الموحدي يعقوب المنصور فوافق الخليفة على تجديد الهدنه مع صاحب ليون وإبقاء امر الهدنه مع قشتالة قيد النظر وكتب بذلك الى أهل سبته يخبرهم بتوقيع الهدنه مع النصارى (ابن عذارى، صفحة 3310) يقول فيها " من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين... الى الطلبة والموحدين والاعيان والاشياخ والكافة بسبتة ...عزمنا الحركة السعيدة على غزو الكافر بهذه الجزيرة من جميع ارجائه... فاستنفرنا الموحدين... واخوانهم العرب... وبعض القبائل من الرعية ... فبادر كلهم بنيات صادقة... وسارع عظيمهم صاحب قشتالة الى مخاطبتنا مستأذناً في ارسال رسله الينا، ليؤدوا عنه رغبته في التمسك بحبل هذا الامر العظيم وذمته ... فراجعناه بالإذن له في ذلك لنرى رأينا في حربه

* شلب: من بلاد الأندلس وهي مدينة مقابل مدينة باجة لها جبل عظيم ومياه كثيرة وسور حصين.

او هدنته ...وكان ابن عمه ومناهزة في رتبته عند قومه صاحب ليون في مهادنه فرغب في تجديدها ... فأسعفناه برغبته وقوفاً عند شروط المصالحة ووفاء بعهودها" (بروفنسال، 1941، صفحة 218).

وهذه الرسالة تدل على قوه الدولة الموحدية في ذلك الوقت التي جعلت ملك قشتالة يراسل الخليفة الموحدي يعقوب المنصور ويطلب منه الاذن في القدوم له ورغبه صاحب ليون في تجديد الصلح مع المسلمين وموافقه الخليفة الموحدي يعقوب المنصور من اجل مصلحه المسلمين.

3. معركة الارك سنة (591هـ /1195م)

بعد أن رجع الخليفة يعقوب المنصور الى المغرب (ابن عذارى، صفحة 317/3) سنة (587هـ /1192م) واخذ ينظم امور المغرب الإسلامي، كثرت ضغوطات النصارى على الاندلس خلال فترة تواجد الخليفة في المغرب الإسلامي، ولهذا قرر الخليفة يعقوب المنصور العودة الى الاندلس سنة (591هـ /1195م) ومعه جيش من العرب للجهاد ضد النصارى (ابن خلدون، 1865، صفحة 245/6).

اخذ الخليفة يعقوب المنصور بعد العبور الى الاندلس يعد العدة لمواجهه النصارى واخذ يجهز الجيوش ويستعد للهجوم على النصارى القشتاليين وتوالت هذه الأنباء الى النصارى واخذوا يعدون جيوشهم هم الآخرين لمواجهه الموحدين فقام النصارى ببناء حصن الارك* (الحميري، 1975)، وذهب النصارى مع قواتهم الى هذا الحصن وتحصنوا به والتقى الطرفان في مكان يدعى الارك وقاتل المسلمون قتال عنيف وأسفرت النتيجة عن انتصار المسلمين وقتل وفلول النصارى (ابن ابي زرع، 1972، صفحة 226).

ونتيجة ذلك الانتصار الذي حققه الخليفة يعقوب على النصارى في حصن الارك أرسل اهل مراكش رسالة الى الخليفة يعقوب وهو في اشبيلية حول هذا الانتصار قائلاً فيها " الحضرة الامامية العالية المعظمة المكرمة... حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الامام المنصور... فكتب العبيد الثاوون من الحضرة الإمامية ... في الحرم الامن والبلد الامين... الى الربوة ذات القرار المعين كتب الله لها من الفتوح المتوالية... وما افتك بأخيذتهم في الاركو... من اسرى المسلمين، وفقد من الناورد والمعترك من محشورتهم الاغفال ... وانه ، سيدنا... واحمد في سبيله واعدائه اينما كانوا اثركم . الفتح الذي اغرب، وشرق وغرب ... انه لم يسمع فيما سلف بشبهه... وان الله تعالى جلى من الإسلام قوة المريرة ، وابقى كلمته عالية في تلك الجزيرة...وقد أصبحت والحمد لله بسعادة سيدنا ومولانا دار إسلام" (البلوي، 1441هـ، صفحة 571).

وهذه الرسالة دليل على عظمه هذا الفتح والانتصار الكبير الذي حققه المسلمين على النصارى وانه انتصار وفتح لم يسبق له من قبل مثيل وبقي الاسلام نتيجة ذلك الفتح في جزيرة الاندلس وهذا يدل على عظمة وقوة الدولة الموحدية في ذلك الوقت.

الرسائل السياسية في عهد الخليفة الموحدي الناصر (595هـ-611هـ/ 1102م_1215م)

1. فتح ميورقة سنة (599هـ /1203م)

بعد ان توفي الخليفة الموحدي يعقوب المنصور سنة (595هـ /1199م) وتولى من بعدة ولده الناصر بعد اسبوع من وفاته (ابن عذارى، صفحة 343/3) ، قرر هذا الخليفة القضاء على بني غانية بعد ان اشتد اذاهم على افريقية فجهز الخليفة الناصر حملة واعد جيش بحري وبري مجهز بالأسلحة الكاملة وتوجه نحو ميورقة سنة (599هـ /1203م)اذ قاد الخليفة الناصر هذه الحملة بنفسة فوصل الخليفة الناصر مع جيشة الى ميورقة واقتحموها وحدثت معركة بين الطرفين اسفرت عن انتصار الموحدين والقبض على أولاد عبدالله بن غانية والدخول الى المدينة (الحميري، 1975، صفحة 567).

وكتب الخليفة الناصر ذلك الفتح الى اهل الاندلس وجاء في نصها " فقد علمتم ان الله استأصل شر الانام ، ودعاء الابل الصم البكم اهل اللثام، وطهر منهم المغربيين تطهيراً... ولم يبقى منهم الا من كان بجزيرة ميورقة لجؤوا اليها ... فجهزنا اليهم في اثناء حركتها التي عرفنا الله فيها عجائب من السعود ... جيشي من بر وبحر ... فسار الجيشان في سمت... الى ان نزلوا بساحل ميورقة ، وأعلام النصر خافقة ... فلم يكن بين الحلول بالجزيرة والظفر بجهاتها... الا سبع ليال... ثم هجم الموحدون عليهم في عقر دارهم هجوماً ؛ وكانت بين الفريقين حرب... ثم اجلي ذلك عن قتل الشقي واتباعه" (بروفنسال، 1941، صفحة 241) .

* حصن الارك : هو حصن منيع بالقرب من قلعه رباح.

وبناء على رسالة الفتح هذه قام اهل اشبيلية بالرد على الخليفة برسال من انشاء الطلبة الموحدين في اشبيلية جاء فيها" الحضرة الامامية الخلافية المعظمة العلية...حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الامام الناصر لدين الله... وبعد وصول الكتاب الكريم ... يبشر بتنعم الحضرة في ظلال افيائها...ما صنع الله في امرها العزيز في قتل الشقي وتقتيل اشياعه... فهز الارض بهذا النبأ السار طرباً ، وانطق بالإقرار بعزة هذا الامر عجماً من الامم... وانحشر البعيد والقريب ، فلله يومها العجيب" (البلوي، 1441هـ، صفحة 592).

وهذه الرسالة تصف احوال الاندلس وخاصة اشبيلية مما حصل فيها من السرور والبهجة والفرح جراء فتح ميورقة وقتل اتباع بني غانية، وهم يعتبرون هذا الفتح بمثابة رهبة للنصارى وخوفهم من قوة المسلمين.

ويجدر الاشارة ان قشتالة سارعت بعد هذه الانتصارات الموحدية لتجديد طلب الهدنة من الخليفة الموحدي الناصر سنة (600هـ /1204م) ووافق الخليفة بعد ذلك على الهدنة من اجل التفرغ لأفريقية وحل المشاكل والثورات فيها (ابن عذارى، صفحة 352/3).

2. حصار وفتح المهدية سنة (602هـ /1106م)

بعد فتح ميورقة وطرد بنو غانية منها ادرك يحيى بن غانية خطورة هذا الموقف ولهذا التجأ نحو افريقية وكان قد فرض سيطرته على المهدية قبلها فذهب الى تونس من اجل الاستيلاء عليها فدخلها عنوة بعد حصارها (ابن خلدون، 1865، صفحة 195/6)، وعندما سمع الخليفة الموحدي الناصر بتلك الأحداث قرر الخروج من المغرب والذهاب الى افريقية فجهز الجيش كبير معد وجاهز للحرب وقادة بنفسة واتجه نحو افريقية ، فوصلت هذا الانباء الى يحيى بن غانية فقام بأخلاء تونس والاتجاه نحو المهدية (التجاني، 1981، صفحة 355) .

ووصل الموحدون الى تونس ودخلوها وتم استرجاعها ولكن الخليفة الموحدي الناصر قرر بملاحقة يحيى ابن غانية الى الجنوب فذهب الى قفصة ثم الى قابس وبعدها عاد الى المهدية وفرض الحصار عليها ونصب عليها المجنيق عليها وسرح الشيخ ابو محمد عبد الواحد* (الزركلي، 2002، صفحة 176/4) مع جيشه لملاحقة ابن غانية فألتقي به بالقرب من قابس بموقع يعرف برأس تاجرا وانتصر الموحدون عليه واستولوا على غنائم كثيرة من هذا الانتصار (التجاني، 1981، صفحة 354).

وكتب الخليفة الناصر الى ولاته في الاندلس يعلمهم بانتصار الموحدين على الميورقي في رأس تاجرا واستمرار الموحدين في حصار المهدية قائلاً " فلما رأى عدو الله ما هاله فر جريحاً في جريدة من الخيل ، وفاض الموحدون على الكراع والسلاح والاهلين والبنين فيض السيل بالليل ونالت في ذلك ايديهم ورماحهم فوق ما عهده السالف والخالف من العطاء المحسب والنيل، واستنقذوا الطلبة والموحدين الذين كانوا في اسار الشقي بحكم السيف ... اعتلق ببعض من الموحدين بذمام، حتى لم ينج ولات حين نجاة إلا برأس طمره ولجام. فالحمد لله الذي أوهن كنده، وأضعف محاله ... وهذا أفريقية قد خلت من الوسواس، ونقيت من الأدناس" (بروفنسال، 1941، صفحة 348) .

والنص اعلاه يبين ان الخليفة قد فصل القول في هذه المعركة والظروف المحيطة بها، وكيف دارت المعركة ومصير عدوهم وما آلت إليه الحال وشراسة المعركة.

واستمر الخليفة في حصار المهدية وهو يلح بالضرب عليها وينصب المجانيق حتى استطاع فتحها والدخول الى المدينة سنة (602هـ /1106م) (التجاني، 1981، صفحة 358)، فكتب الخليفة الناصر برسالة الى ولاته في الاندلس يخبرهم بفتح مدينة المهدية وطرد الميورقي منها قائلاً " ولما حللنا عرى السفر بأن حللنا حمى المهدية ... لاتزال تقبله افواه المجانيق... فأصبح وقد تلألأت بهذه البشار وجوه الاقطار ، وطارت بمسارها سوانح البراري وسوائح البحار ، فالحمدلله الذي اقر الحق في نصابة ، واسترجعه من ايدي عصابه ... فشنفوا الاسماع بهذه البشائر، واملوا الصدور بما يرويه لكم من احاديثها كل وارد وصادر ، فهو الفتح الذي تفتحت له أبواب السماء ، وعم الامن والخير به بسيطي الأرض والماء ، فشكر الله عليه فرض ، في كل قطر من اقطار الارض" (المغربي، 2020، صفحة 486/2)

وهذا النص يوضح فرح الموحدين وعموم البشائر والسرور نتيجة فتح المهدية وطرد الميورقي منها بعد حصارها.

* ابو محمد عبد الواحد: وهو مؤسس دولة الحفصيين في افريقية ووزير وموضع ثقة الخليفة الناصر تولى ولاية تونس سنة(603هـ/1207م).

3. معركة قلعه شلبطرة سنة (608هـ /1212م)

استغل النصارى انشغال الخليفة الموحدي الناصر في افريقية وكانت مده الهدنه التي عقدت بينهم سنة (600هـ /1204م) المشار اليها سابقاً قد انتهت مدتها ، فكان النصارى يضمرون في داخلهم غضبهم وحقدهم بعد خسارتهم في موقعة الارك سنة (591هـ /1195م) فقاموا بشن الهجوم على اراضي الاندلس وتخريب زراعتها واراضيها حتى دخلوا الى قلعة شلبطرة (ابن عذارى، صفحة 344)*، وعندما وصلت هذه الانباء الى الخليفة الناصر تحرك من مراكش الى الاندلس فعبر الى قلعة شلبطرة ودارت معركة بينه وبين النصارى انهزم فيها النصارى ودخل الموحدون شلبطرة (ابن عذارى، صفحة 374/3).

فكتب الخليفة هذا النصر برسالة الى ولاته في المغرب الاسلامي يخبرهم فيها "السلم الذي كان بين الموحدين وبين صاحب قشتالة حان ان يقضي اجله وحده ، بلغ الينا انها اهمت بأن توقد نار الحرب التي كم احرقها وقده وكان الموحدون بعد قفولهم من الشرق لا يزالون على النية للغزو والجهاد في سبيل الله... وجاؤوا كأمواج البحار في جيوش... وكان المعقل المعروف بشلبطرة قد علقت به حبائل الصلبان... والسرايا الايام تجوس طليطلة واحوازها ، والرعب يملأ اطراف البلاد واحوازها ، والنصرانية قد ضاقت على الرحب ساحتها ، وودت لو يكون في الموت راحتها فألقوا يد الاستسلام ، وذلوا" (ابن عذارى، صفحة 375/3).

الخليفة هنا ينوه على قرب انتهاء مده الهدنه بين الموحدين والنصارى واستغلال النصارى لذلك وهجومهم على الاندلس ،وتصف الرسالة نية المسلمين واستعدادهم للجهاد في سبيل الله في كل وقت وتصف كيفية انتصار المسلمين على النصارى في هذه المعركة .

4. موقعة العقاب سنة (609هـ /1213م)

نتيجة انتصار الموحدون في معركة شلبطرة استشاط النصارى غضباً فقاموا بتجهيز جيش قوي وكبير وقامت جميع مدن اسبانيا بتقديم الدعم للنصارى، وفي الوقت نفسة جهز المسلمون جيش ضخم والتقى الفريقان بموقع يسمى موقع العقاب* (الحميري، 1975، صفحة 416)، فهاجم الجيش النصراني الجيش الموحدي مرات عديدة واستطاع في نهاية الأمر ينتصر على الموحدين بعد ان بعد أن خلفوا خسائر بشرية ومادية كبيرة وذهب الخليفة الناصر مع أصحابه نحو بياسة (ابن ابي زرع، 1972، صفحة 238).

فأرسل الخليفة الناصر رسالة اعتذار الى ولاته يعتذر فيها عن خسارة الموحدين في معركة العقاب ويشرح لهم الظروف التي احاطت بهم قائلاً " فإن صاحب قشتالة لما كان في العام السالف قد ضعف عن الانتصار... رأى ان يضرع لملوك اهل ملته ضراعة الاسيف ... فبث القسيسين والرهبان من برتقال الى القسنطينة العظمى، ينادون ...غوثا غوثا... فجاءه عباد الصليب من كل فج عميق... ونحن ننادي بالسميع المجيب ... واذا كانت وفقكم الله الجيوش موفورة والرايات منشورة، والعزائم باقية وكفايات الله واقية ، فلا تهنوا ،فإنا لا نهن ، وانتظروا الكرة على الكفار، والإمداد عليهم بجند الله الذين هم خير الأنصار ، فما كان الله ليترك المؤمنين حتى يأخذ أعداءهم أخذا وبيلاً ، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً" (ابن عذارى، صفحة 378/3).

ونرى من خلال تلك الرسالة ان الخليفة اراد ان يلمح الى اجتماع النصارى وتكاتفهم من اجل نصرة نصارى الاسبان فاجتمعوا لذلك من البرتغال الى القسنطينة في المشرق وجاءوا بكل المرتزقة للدفاع عن النصارى.

على عكس بقية البلدان الاسلامية التي تعيش حالة من التفكك وعدم التوحد امام النصارى لنصرة الاسلام وهو تأنيب لبقية المسلمين على عدم نصرة الموحدين لجهادهم في الاندلس.

الرسائل السياسية في عهد الخليفة الموحدي عبد الواحد المخلوع (620هـ-621هـ/1224م-1225م)

1. بيعة الخليفة ابو محمد عبد الواحد

بعد وفاة الخيفة المستنصر اختار أشياخ الموحدين من بعده ابو محمد عبد الواحد الذي لقب بالمخلوع لأنه أول خليفة موحدي تم خلعه (السلاوي، صفحة 204/2) ، وتمت المبايعة له في المغرب وارسلت الكتب الى الاندلس لأجل المبايعة فأجاب والي بلنسية السيد ابو زيد عبد الرحمن برسالة تأييد البيعة جاء في نصها " ان خبر هذه البيعة السعيدة قد تعين إعلانه وابداره وفرضها من قبيل ما

* شلبطرة : حصن من حصون الأندلس من عمل قلعة رباح.

* العقاب : في الأندلس بين جيان وقلعة رباح.

يجب في أول الوقت ادؤه... ودعا الناس اليها فأقبلوا مهطعين الى الداعي مسرورين بعقد اسس على التقوى فتكفل الله عز وجل بعصمته من الداعي ... وقام العبد الى هذه البيعة المدخرة الى افضل اوان" (بروفنسال، 1941، صفحة 3).

وتصف هذه الرسالة سرور والي بلنسية السيد ابو زيد عبد الرحمن بخبر هذه البيعة وبهجه اهل بلنسية بذلك الخبر .

الرسائل السياسية في عهد الخليفة الموحدي المأمون (627هـ-630هـ /1230م-1233م)

1. ثورة والي اشبيلية السيد ابو العلا ادريس سنة (624هـ /1227م)

بعد سنة من حركة البياسي اي عام (624هـ . 1227م) قام والي اشبيلية السيد ابا العلا ادريس في الخروج على اخية العادل وخلع طاعته بعد ان ثار على الخليفة العادل بعض امراء الموحدين في الاندلس وانتهت في مقتله بنفس السنة المذكورة واعلن المأمون الطاعة لنفسة وبويع في نفس السنة وتلقب بالخليفة المأمون (المراكشي، محيي الدين ، ٢٠٠٦م، صفحة 390/3) .

وكان اول عمل قام به هو ارسال رسالة عتاب الى أهل حصن اندوجر يعاتب بها اهل اندوجر على تسليمهم الحصن وسقطوها من يد الموحدين اذ كان من شروط تحالف البياسي مع النصارى هو تسليمهم بعض الحصون وكان اندوجر من ضمنها جاء في نصها " الى الجماعة والكافة من اهل فلانة ...لا جرم بأنكم سمعتم بالعدو... فطاشت فلوبكم خوراً... وشممتم ريح الموت ورداً وصدراً ... تباً لشيمكم المنحطة ، وشيمكم الراضية ... أحين ندبتم الى حماية اخوانكم ، والذب عن كلمة ايمانكم نسقتم الاقوال وهي مكذوبه ... أتظهرون العناد تصريحاً ... وتظنون انكم اذا تفرقتم لا نجمع لكم شتاتا ولا ندني منكم نزوحا؛ اين المفر وامر الله يدرككم" (ابن عذارى، صفحة 405/3).

يبين نص الرسالة اعلاه غضب الخليفة المأمون من أهل اندوجر ويوضح خوف أهل اندوجر من النصارى وتسليمهم المنطقة فيعاتب الخليفة المأمون اهل المنطقة على ذلك الفعل، وهي تبين ان الاستسلام للأعداء ليس من شيم الموحدين .

2. ثورة ابن هود في الاندلس سنة (625هـ /1128م)

اتبع الخليفة الموحدي المأمون سياسة تعسفية لكل من عارض بيعته في مراكش وعقد هدنه مع النصارى في حروبه فكان اول خليفة موحدي يستعين بالنصارى فأدى ذلك الى خروج ومعارضه بعض الاشياخ في مراكش وخلعوا بيعته وبايعوا يحيى المعتصم ابن الناصر في مراكش وتلقب بالمعتصم (ابن الخطيب، 1977، صفحة 250).

اثرت هذه المشاكل والاضطرابات الداخلية في الدولة الموحدية على الاندلس فقامت بعض الزعامات الاندلسية في الثورة على الموحدين في الاندلس امثال ابن هود ، الذي استغل الظروف الداخلية للموحدين وقام بالثورة عليهم في مرسيه واعلن تبيعته للعباسيين ليكسب بذلك شرعيته (المراكشي، محيي الدين ، ٢٠٠٦م، صفحة 325).

وكان ثوره ابن هود في الاندلس من جهة وامتداد النصارى من جهة اخرى جعلت والي بلنسية السيد ابو زيد يطلب المساعدة من المأمون فأرسل رسالة له ليخبره بسوء الاوضاع في الاندلس مع بقاء والي بلنسية على طاعة الخليفة جاء في نصها " من بلنسية والاسلام بيمن نقيبته محبور...والعبد على سجيته مستمر، ولحبل خدمته ممر...الا من حض على تعجيل الإسعاد ، والإجازة الى لورقة بالحشود والاجناد... كما ان العبد لو حضر لاختلت هذه البلاد بأسرها ، ولم يبق للدعوة المهدية من يفوه بذكرها ؛ فلما يأس العبد من الامداد معه ... وارسل رسلة واحد بعد اخر يؤكد في طلب المال ، ويعرف بضيق الحال ... وكل من قبل العبد قد ضجروا من طول الانتظار ... بأن الظنة هي التي منعت من وصول المال ، والعبد يجري على سننه المعلوم ، ويصبر على مضض هذه الكلوم" (بروفنسال، 1941، صفحة 374).

تصف الرسالة اعلاه حال الاندلس والثورات فيها وطلب والي بلنسية الامدادات العسكرية والمالية السريعة من الخليفة لمواجهه هذه الاوضاع ويذكر انه ما زال على طاعة الخليفة المأمون ويعجل في الاستغاثة بالخليفة المأمون.

الاستنتاجات:

بعد دراسة موضوع سياسة الدولة الموحدية الخارجية من خلال رسائلها توصلت الى عدة نتائج اهمها:

1- امتازت الدولة الموحدية بالنفوذ السياسي اذ بدأت بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر في المغرب الاسلامي بقيادة المهدي بن تومرت الى ان اصبحت دولة كبيرة وقوية امتد نفوذها الى الاندلس بقيادة خلفائها.

2- استطاع الموحدين مد نفوذهم وعبورهم الى الاندلس وفتح المدن الاندلسية واحده تلو الاخرى لاسيما مدن شرق الاندلس التي كانت تحت قيادة ابن مردنيش بعد صراع طويل معه امتد الى ربع قرن، حسم في انتصار الموحدين ووفاة ابن مردنيش وضم مدن شرق الاندلس الى حكم الموحدين صراع الموحدين مع بنو غانية حكام الجزائر الاندلسية الطويل وانتصار الموحدين عليهم كان له الاثر الواضح في تقوية شوكة الموحدين وتوسيع دولتهم .

3- اهتم الموحدون في الكتابة وانشاء الرسائل فدولة قوية وكبيرة كدولة الموحدين لابد كانت تحتاج الى التواصل والاتصال بين ولاياتها من اجل تسيير امور الدولة.

4- سلطت الدراسة الضوء على مجموعة من نصوص الرسائل السياسية للدولة الموحدية التي كانت بين المغرب والاندلس بعضها كان من الخليفة الى ولاته وبعضها من الوالي الى الخليفة .

5- صراع الموحدين مع بنو غانية حكام الجزائر الأندلسية الطويل وانتصار الموحدين عليهم كان له الاثر الواضح في تقوية شوكة الموحدين وتوسيع دولتهم .

6- انتصار الموحدين على النصارى في الاندلس وقضائهم على الثورات التي ظهرت ضدهم في المغرب الاسلامي جعل منها دولة قوية مستقلة.

المراجع

ابن سعيد المغربي. (2020). *المرقصات والمطربات*. (محمد سعيد المهداوي، المحرر) العراق: دار الفرات للثقافة والاعلام.

ابن عذارى. (بلا تاريخ). *البيان المغرب*.

ابن قطان حسن بن ابراهيم الكتامي (ت650هـ) الكتامي. (1990). *نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان*. (محمود علي مكي، المحرر) لبنان: دار الغرب الاسلامي.

ابو الحسن علي (ت726هـ) ابن ابي زرع. (1972). *الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*. الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة.

ابو العباس احمد (ت821هـ) القلقشندي. (1922). *صبح الاعشى في كتابة الانشا*. القاهرة: دار الكتب المصرية.

ابو العباس احمد. (1431هـ). *البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الاندلس والمغرب*. (بشار عواد، محمود بشار، المحرر) تونس: دار الغرب الاسلامي.

ابو القاسم احمد بن محمد (ت657هـ) البلوي. (1441هـ). *العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل*. (محمد فتاح، المحرر) الرباط: دار الامان للنشر والتوزيع.

ابو عبد الله محمد بن ابراهيم (ت894هـ) الزركشي. (1966). *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية* (المجلد الثانية). (محمد ماضور، المحرر) تونس: المكتبة العتيقة.

ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت776هـ) ابن الخطيب. (1977). *الإحاطة في اخبار غرناطة*. (محمد عبد الله عنان، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.

ابو محمد عبد الله بن محمد التجاني. (1981). *رحلة التجاني*. (حسن حسني، المحرر) تونس: الدار العربية للكتاب.

ابو محمد عبد الملك بن محمد (ت594هـ) ابن صاحب الصلاة. (1987). *المن بالإمامة على المستضعفين بان جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين* (المجلد الثالثة). (عبد الهادي التازي، المحرر) لبنان: دار الغرب الاسلامي.

الزركلي. (2002). *الأعلام* (المجلد 15). بيروت: دار العلم للملايين.

شهاب الدين أبو العباس أحمد خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري (ت ١٣١٥هـ) السلاوي. (بلا تاريخ). *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*. (جعفر الناصري/، المحرر) الدار البيضاء: دار الكتاب.

عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ-1406م) ابن خلدون. (1865). *العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر*. القاهرة: مطبعة بولاق.

عبد الواحد بن علي التميمي محيي الدين (ت ٦٤٧هـ) المراكشي، محيي الدين . (٢٠٠٦م). *المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين*. (صلاح الدين الهواري، المحرر) صيدا-بيروت: المكتبة العصرية.

ليفي بروفنسال. (1941). *مجموعة رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية*. الرباط: معهد العلوم العليا.

محمد بن أحمد بن عثما الذهبي. (٢٠٠٨ م). *المستملح من كتاب التكملة*. (الدكتور بشار عواد معروف، المحرر) بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

محمد عبد المنعم (ت1900) الحميري. (1975). *الروض المعطار في خبر الاقطار*. (احسان عباس، المحرر) بيروت: مكتبة لبنان.

References

Ibn Saeed Al-Maghribi (2020) Female Dancers and Singers. (Muhammad Saeed Al-Mahdawi, editor, Iraq, Dar Al-Furat for Culture and Media.

It emerged against them in the Islamic Maghreb, making it a strong, independent state.

Ibn Adhari, undated. Statement Morocco.

Ibn Qattan Hassan bin Ibrahim Al-Kutami (d. 5650) Al-Kutami. (1990). Mahmoud Ali Makki, the editor, composed Al-Juman to arrange the previous news of the time Lebanon: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Abu Al-Hasan Ali (d. 5726) Ibn Abi Zar' (1972). Al-Anis Al-Mutrib, Roud Al-Qartas, in the news of the kings of Morocco and the history of the city of Fez, Rabat, Dar Al-Mansour for Printing and Paper.

Abu Al-Abbas Ahmad (d. 5821), Al-Qalqashandi. (1922). Sobh Al-A'sha in the Writing of Insha', Cairo: Dar Al-Kutub Al-Misria.

.Abu Abbas Ahmed (51431). Al-Bayan Al-Maghrib fi Brief News of the Kings of Andalusia and Morocco Bashar Awad, Mahmoud Bashar, editor) Tunisia: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Abu Al-Qasim Ahmed bin Muhammad (d. 5657) Al-Balawi. (51441). Great donation in Revealing the cover of the transfer (Mohamed Fattah, editor), Rabat, Dar Al-Aman Publishing And distribution.

Abu Abdullah Muhammad bin Ibrahim (d. 5894) Al-Zarkashi. (1966). History of the Almohad and Hafsid states (Volume Two). (Mohamed Madour, editor) Tunisia: The Antique Library.

Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah (d. 5776), Ibn Al-Khatib. (1977). Briefing In Granada news. (Muhammad Abdullah Anan, editor, Cairo: Al-Khanji Library.

Abu Muhammad Abdullah bin Muhammad Al-Tijani (1981) Al-Tijani's Journey. (Hassan Hosni, editor) Tunisia: Arab Book House.

Abu Muhammad Abd al-Malik ibn Muhammad (d. 5594), Ibn al-Salah .(1987) .Granting Imamate to the oppressed by God making them imams and heirs (Volume Three). (Abdul Hadi Al-Tazi, editor) Lebanon: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Zirkli. (2002). Al-A'lam (Vol. 15). Beirut: Dar Al-Ilm for million.

Shihab al-Din Abu al-Abbas Ahmed Khalid bin Muhammad al-Nasiri al-Dar

Al-Jaafari (d. 1315 AH) Al-Salawi, undated, Al-Iqtisaa fi Al-Akhbar Al-Aqsa Maghreb Countries. (Jaafar Al-Nasiri, editor, Casablanca, Dar Al-Kitab.

) . Abd al-Rahman bin Muhammad (d. 5808-1406 AD) Ibn Khaldun (1865

Lessons, collections of the subject, and news in the days of the Arabs, Persians, Berbers, and those of their contemporaries who had the greatest authority. Cairo Boulaq Press..

Abd al-Wahid bin Ali al-Tamimi Muhyiddin (d.) (647 AH) al-Marrakshi

Lévy-Provençal (1941). A collection of monotheistic messages created by the book The Faithful State. Rabat Institute of Higher Sciences.

Muhammad bin Ahmed bin Othma Al-Dhahabi. (2008) AD. Al-Mustalham from the sequel book. Dr. Bashar Awad Maarouf, editor, Beirut, Lebanon: Dar Al-Gharb Al-Islami Beirut Modern Library.

Muhammad Abdel Moneim (d. 1900) Al-Himyari. (1975). Al-Rawd Al-Matar in Country news. (Ihsan Abbas, editor) Beirut, Lebanon Library.

التطورات الاجتماعية والاقتصادية في انكلترا بالقرنيين السادس والسابع عشر

أ. د. حسن زغير حزيم

hasan1975.edbs@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم التاريخ

الملخص :

استغل النظام الملكي ضعف الطبقة الأراستقراطية (مالكة الأراضي الزراعية الكبيرة) لتقوية سلطته، عن طريق تأسيس الملك هنري السابع محكمة غرفة النجم لمحاكمة النبلاء. اعطت مصادرة الملك هنري الثامن ممتلكات الاديرة دفعة كبيرة في التطور النظام الرأسمالي في انكلترا، إذ شجع الملك مُلاك الأراضي الرأسماليين على حساب الطبقة الأراستقراطية وتقاليدها (النظام الاقطاعي) المرفوض من الملك. ساهمت تلك السياسة في هدم أحد اعمدة النظام القديم القائم على (الملك والكنيسة والطبقة الأراستقراطية).

خلق تحدي الملك للطبقة الأراستقراطية القوة التي دفعت المجتمع والاقتصاد الانكليزي نحو النظام الرأسمالي والثورة البيوريتانية، إذ أخذت تلك الطبقة تستغل أملاكها بأفضل طريقة علمية حديثة إستثمارها رأسمالياً من أجل الربح، مما ساهمة بنشأت النزعة الاقتصادية الحرة مثلما ساهمت في ظهورها الطبقة البورجوازية (الوسطى) بنفس الاهمية .

الكلمات المفتاحية : الطبقة الاستقراطية ، الطبقة البورجوازية ، النظام الاقطاعي ، المجتمع الانكليزي

Social and economic developments in England in the sixteenth and seventeenth centuries

Prof. Hasan Zaghir Hazim

hasan1975.edbs@uomustansiriyah.edu.iq

Al - Mustansiriya University / College Education - Department of History

Abstract:

The monarchy took advantage of the weakness of the aristocracy (owners of large agricultural lands) to strengt

hen its power, by establishing King Henry VII the Court of the Star Chamber to try the nobles. The confiscation of monastic property by King Henry VIII gave a major impetus to the development of the capitalist system. In England, as the king encouraged capitalist landowners at the expense of the aristocracy and its traditions (the feudal system), which was rejected by the king, this policy contributed to the demolition of one of the pillars of the old system based on (the king, the church, and the aristocracy).

The king's challenge to the aristocratic class created the force that pushed English society and economy towards the capitalist system and the Puritan revolution, as that class began to exploit its property in the best modern scientific way, investing it capitalistically for profit, which contributed to the emergence of the free economic tendency, just as the bourgeois (middle) class contributed to its emergence with the same importance.

Keywords: The aristocratic class, the bourgeois class, the feudal system, English society

المقدمة:

ترجع بواعث التطورات الاجتماعية والاقتصادية في انكلترا إلى نهاية حرب الوردتين (1455 – 1485)، التي شكلت كارثة اجتماعية واقتصادية على الطبقة الأراستقراطية (مالكة الأراضي الزراعية الكبيرة(والنظام الاقطاعي في انكلترا. واستغل النظام الملكي تلك الاحداث

لتقوية سلطته، عن طريق تأسيس الملك هنري السابع (1485 – 1509) محكمة غرفة النجم التي اسسها لمحاكمة النبلاء. واعطى مصادرة الملك هنري الثامن (1509 – 1547) ممتلكات الاديرة دفعة كبيرة في التطور النظام الرأسمالي في انكلترا، إذ شجع الملك مّلاك الأراضي الرأسماليين على حساب الطبقة الأراستقراطية وتقاليدها (النظام الاقطاعي) المرفوض من الملك. ساهمت تلك السياسة في هدم أحد اعمدة النظام القديم القائم على (الملك والكنيسة والطبقة الأراستقراطية)، مما اشعلت انتفاضات شعبية نطالب بالإصلاح الاجتماعي والاقتصادي. وقف الملك بالضد منها لانها تهدم سلطته الدكتاتورية .

كان لملكية الأراضي الزراعية أهمية أجتماعية واقتصادية وعسكرية في انكلترا بالقرن السادس عشر، بيد أن أسرة تيودور استطاعت منع الحروب الاقطاعية. الأمر الذي دفع الطبقة الأراستقراطية لتغيير رؤيتها للأراض على انها واجهة اجتماعية وسياسية إلى رؤية عصرية لها بأعتبارها الوسيلة التي تنتج المال. فتغير هدف الانتاج الزراعي لغرض التجارة الرأسمالية. وخلق تحدي الملك للطبقة الأراستقراطية القوة التي دفعت المجتمع والاقتصاد الانكليزي نحو النظام الرأسمالي والثورة البيوريتانية وصولاً للنظام الديمقراطي البرلماني.

تحت ضغط تلك الاحداث تغير مبدأ النشاط الاقتصادي، القائم وفق النظام الاقطاعي ، للوجاهة الاجتماعية. بل أخذ كبار مّلاك الأراضي الزراعية يستغلون أملاكهم بأفضل طريقة علمية حديثة إستثمارها رأسمالياً من أجل الربح. وبدأت الطبقة الأراستقراطية الانكليزية في الريف تعمل وفقاً للمصلحة الذاتية والحرية الاقتصادية ، فقد ساهمت تلك الطبقة في نشأت النزعة الاقتصادية الحرة مثلما ساهمت في ظهورها الطبقة البورجوازية (الوسطى) بنفس الاهمية. مما شجع العديد من الفلاحين الانكليز، الذين يستأجرون الأراضي بالريف لإستغلال الأراضي البور، العائدة للمّلاك او الكنيسة او المشاع او تبادل الاشرطة الضيقة داخل حقول الاقطاعيين، القربية من الأرض التي يستأجرها. وبدأوا بتسييجها لزراعتها بطرق علمية حديثة رأسمالياً .

خرج المّلاك الرأسماليين منتصرين في الصراع القائم مع النظام القديم (الذي يضم صغار وكبار المّلاك الأراضي) الذين يتركون أراضيهم لتربية الاعنام من أجل تجارة الصوف. وكان الفلاحون البسيطون هم الضحايا الرئيسيين بسبب تمسكهم بالعمل وفقاً لعادات النظام الاقطاعي، الذي يعتمد مبدأ العمل التعاوني من أجل الاكتفاء الذاتي، لانهم يعتقدون انه يحميهم من سيل النظام الرأسمالي الجارف. يّعد العناصر الرأسمالية بين طبقة مُلاك الأراضي، بدعم التاج، اللبنة الأولى في بناء مجتمع ديمقراطي وعلماني واقتصاد متطور في انكلترا بالقرن السابع عشر. بيد أن التاج الانكليزي فشل في بناء جهاز بيروقراطي (إداري وقانوني) فعال في الريف، مما منح الطبقة الأراستقراطية السيطرة عليها. وحدت سياسة الملك الانكليزي ضد الطبقة الأراستقراطية العناصر الرأسمالية الراديكالية (التي تطالب بتغيرات شاملة في مختلف النواحي بالقوة) من البيوريتان بالريف والمدن داخل معارضة متماسكة للنظام الملكي في انكلترا. وتّعد فشل السياسة الاقتصادية التي اتبعتها أسرة ستيوارت السبب الرئيس في قيام الحرب الأهلية.

ساعد نمو التجارة الداخلية بالقرن السابع عشر برواج المنتجات الزراعية في المدن، مما شجع الانتاج التجاري والرأسمالي في الريف. وازدادت التأثيرات التجارية في الريف ، مما جعل شريحة كبيرة من الطبقة الأراستقراطية تتكيف معها وتتناغم مع النظام الرأسمالي بالمدن. وكان النبلاء الأرستقراطيون ذات الصلة بالتاج الانكليزي اقل تكيفاً مع التغيرات الرأسمالية، وأن تكيف بعضهم مع تلك التغيرات. فقد خرجت من طبقة الاعيان ممثلون للتحول الرأسمالي بنية المجتمع الزراعي في انكلترا. فيما هبط الاعيان الذين لم يتكيفوا مع تلك التطورات إلى طبقة ادنى. وانهم مثلوا العناصر المتذمرة في الثورة البيوريتانية الراديكالية في انكلترا بالقرن السابع عشر .

هكذا تحت تأثير تطور النظام الرأسمالي كان المجتمع الانكليزي يتفسخ من اعلاه ومن اسفله، مما سمح للعناصر المعارضة للتاج بالانفجار بثورة شعبية بورجوازية راديكالية. كان ابشع عمال الثورة هو قطع رأس الملك شارل الأول، وكان الجيش المصدر المطالب بالقصاص من الملك. وكانت التأثير الشعبي، التي تشكلت من الفلاحين الرأسماليين والبورجوازيين بالمدن والملاك الرأسماليين بالريف والبيورتاين في الجيش، قوي جداً على الثوار. مما جعل كروموبل يجبر البرلمان على اصدار حكم باعدام الملك للتخلص من ذلك الضغط.

المبحث الأول:

التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في انكلترا حتى نهاية القرن السادس عشر

أولاً : الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية في انكلترا حتى القرن الخامس عشر:

كانت انكلترا تُحكم بمجموعة من التقاليد والاعراف الاجتماعية والقوانين المرعية المعترف بها ولم يكن لها دستور مدون. ويرجع تسمية انكلترا إلى عام 1109 وهي مجموعة جزر تُعد بريطانيا الاكبر حجماً والاكثر سكاناً. عرف الشعب الانكليزي النظام البرلماني في عام 1215 بصدور وثيقة المكناكارتا. (Charles , 1962, p. 346)

ينقسم المجتمع الانكليزي ينقسم إلى طبقة عليا وهي الطبقة الارستقراطية التي تمثل ملاك الاراضي الزراعية وكبار رجال الدين وطبقة دنيا وهي تمثل الفلاحين والفقراء. وهناك تباين الطبقتين على اساس القوة والثروة والمكانة الاجتماعية. ساد النظام الاقطاعي في انكلترا بالقرون الوسطى بهيمنته على النظام الاقتصادي الذي حدد العلاقات الانتاجية بين السيد والفلاح. (Hardacre, 1956, p. 5)

نقصد بمصطلح الطبقة : هي جماعة من الاشخاص يمارسون مهنة واحدة محددة تفرض عليها اعمالاً معينة. وعرف كارل ماركس الطبقة الاجتماعية في ضوء العلاقات الانتاج بأنها جماعة من الناس يتشابهون في علاقاتهم بوسائل الانتاج فهم يقومون بنفس الوظيفة في الانتاج. (James, 1930, p. 117)

حدثت تغيرات اجتماعية واقتصادية في المجتمع الانكليزي، إذ تمثل الارض أهمية اقتصادية واجتماعية وعسكرية في القرن الثالث عشر لان اللوردات يقودون اتباعهم في المعارك التي تجري مع اللوردات الاخرين. كان اللورد الذي لديه اتباع كثيرون له اهمية اكبر من ناحية العائد المادي والقوة العسكرية ساهمت النهضة الاوروبية في تطور التجارة الدولية وخاصة تجارة الصوف المعروفة في انكلترا منذ القرن الثاني عشر، كان يصدر إلى مقاطعة فلاندرز والاراضي الهولندية والمدن الإيطالية واسبانيا وفرنسا وسويسرا. (Thirsk, 1954, p. 323)

اصبحت انكلترا اكبر مصدر للصوف للخارج، وكان تأثير ذلك كبير جداً على الريف، إذ ترتب على ازدهار تجارة الصوف في الارياف ترك الملاك الأراضي الزراعية اراضيهم بوراً لتكون مراعي طبيعية وتم دمج تلك الأراضي مع اراضي المشاعة او اراضي التابعة للكنيسة المجاورة لإراضيهم وتم احاطة جميع هذه الأراضي بسياج واحد وتم تسريح الاف الفلاحين من هذه الأراضي حيث كانوا يعملون فيها، مما اضطر هؤلاء إلى الهجرة القسرية إلى المدن القريبة الناشئة، التي بدأت فيها تزدهر الحركة التجارية والصناعة الحرفية وتتاجر مع القارة الاوروبية والعالم الجديد واسيا وافريقيا الأمر الذي وفر ايدي عاملة رخيصة لتلك المجالات. وأحس بتأثير ازدهار تجارة الصوف في المدن الانكليزية التي تنتشر فيها معامل الغزل والنسيج الصوفي، إذ هاجر الفلاحين المسرحين قسراً إلى المدن القريبة الناشئة، التي بدأت فيها تزدهر الصناعة الحرفية وحركة التجارية مع القارة الاوروبية والعالم الجديد واسيا وافريقيا، الأمر الذي وفر ايدي عاملة رخيصة لتلك المجالات. (Zagonin, 1953, p. 681)

احتاج التحول الاقتصادي في انكلترا إلى مرحلة طويلة للتحول للانتاج الرأسمالي في الزراعة، بدات هذه التحولات في القرن الثالث عشر عندما كان الاقطاع مسيطر حدثت ثورات للعبيد مطالبة بالتحرر، مما ساعد الفلاح للتخلص من بعض الالتزامات الاقطاعية وضعفت سلطة الاسياد الاقطاعيين. (Johnson, 1909, p. 21)

اثر انتشار وباء الطاعون في انكلترا في عام 1348 تقلص عدد سكانها إلى النصف ساعد الفلاحين على اداء الالتزامات للحاكم نقداً واخذ الفلاح يزرع المحاصيل التي تدخل في التبادل التجاري الخارجي والمحاصيل الداخلة في الصناعة التي اخذت تزدهر، منها زراعة القطن والكتان والتبغ والكروم.... الخ. (Thirsk, 1961, p. 144)

ساعد ظهور الدولة القومية في انكلترا، اثر انتهاء حرب الوردتين(1455 – 1485) التي قضت على الاسر الاقطاعية، التي مُنعت من جمع الاتباع للحرب في عهد هنري السابع (ملك انكلترا من اسرة ثيودور) مما قضى على الحروب الاقطاعية وساهم اهتمام الاقطاعيين

بممتلكاتهم بتطور الاقتصاد الفردي الرأسمالي بمشاركة الطبقة البرجوازية بأبداء الرأي الاقتصادي الاستشاري للملك. (Tawney, 1965, p. 181)

دعم الملك حركة الاستكشافات الجغرافية والاهتمام ببناء السفن واستخدام النظريات العلمية الحديثة واستغلال الطاقة المائية، مما ساهم في زيادة الانتاج ونمت الثروات لدى كبار التجار. وتحولت العلاقة بين السيد والفلاح إلى علاقة بين المالك والمستأجر واستطاع الفلاح زراعة المحاصيل النقدية التي يستطيع بيعها إلى التجار بالمدن. (Stone, 1965, p. 163)

واخذ الفلاحين، بعد ازدياد الثروة في ايديهم، يغيرون النظام الزراعي واساليب الزراعة المعتمدة في النظام الاقطاعي. اخذ الفلاحون يتبادلون الاشرطة الزراعية التي كانوا يزرعونها فيما بينهم لتكون الأراضي التي تحت مسؤليتهم مترابطة ومحددة ومستقلة. ثم اخذوا باتباع نظام زراعي واحد من اجل ان ينتهي جميع الفلاحين في وقت واحد، حتى يتمكنوا من ترك كل اراضيهم لرعاية الماشية، مما ساهم في زيادة ارباحهم وزيادة ارباح الاسياد (مُلاك الأراضي الزراعية) فاستطاع المزارعين والتجار والفلاحين شراء اراضي هؤلاء الملاك. (Roper, 1953, p. 16)

أخذ التجار والمزارعين يستثمرون اراضيهم بزراعة المحاصيل الاستراتيجية لازدهار التجارة والصناعة وزيادة عدد السكان في المدن بسبب قلة الوفيات وانتقال العديد من الملاك الجدد إليها وتركو مراقبين لهم في اراضيهم بالارياف. وازداد الطلب على المواد الغذائية الزراعية نتيجة لتلك الزيادة، مما شجع هؤلاء الملاك لشراء اراضي زراعية جديدة بالارياف ودفعوا مبالغ كبيرة للمزارعين اللذين فضلوا العمل بالصناعة او التجارة في المدن. (yule, 1958, p. 48)

ثانياً : اثر حركة الإصلاح الديني في انكلترا على الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية:

بدأت حركة الإصلاح الديني في انكلترا في اواخر القرن الرابع عشر، إذ انبعثت الحركة من تعاليم جون ويكليف (عالم اللاهوت واستاذ علم الايادن القديمة في جامعة أكسفورد) التي تطالب في المقام الأول بإصلاح الكنيسة الكاثوليكية. حدثت تغييرات اجتماعية واقتصادية مهمة خلال الربع الأخير من القرن الخامس عشر في الطبقة العليا، إذ لم تعد الأرض وعلاقات الحيازة القائمة عليها هي ذلك الرباط الذي يربط مالك الأرض بالعامل الزراعي (الفلاح و المزارع). ومع بقاء جوانب اخرى من النظام الاقطاعي على قوتها، كان الملك يحاول لفترة طويلة وبقدر متفاوت من النجاح تحويل تلك الترتيبات لمصلحته، إذ كان يعمل داخها لتقوية سلطته. فالغى كافة الامتيازات الخاصة بالنبلاء والاقطاعيين. وفصل الإقطاعي عن جذوره في الأرض، فأصبح متطفلاً، إذ كان يستمد قوته من مناورات وجهاء القوم الأقوياء والحركات المضادة من جانب الملك. (Zagorin, 1959, p. 382)

واثر ظهور الطبقة البرجوازية على الهيكل الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع الاقطاعي البريطاني، إذ ساهم في ظهور النزعة الفردية المطالبة بحرية الاقتصاد. واستطاع الملك هنري السابع مواصلة عمله الناجح في القضاء على الطبقة الارستقراطية لتقوية سلطته، إذ اهتم الملك بتطوير الصناعة والتجارة وتحسين طرق المواصلات وفرض الامن على جميع اراضي مملكته وتوسيع المبادلات التجارية الخارجية، إذ خفض الضرائب المفروضة على تصدير البضائع الانكليزية إلى الخارج. مما ساهم في التوسع بالانتاج الرأسمالي وظهرت الرأسمالية التجارية. وكان لإزدهار التجارة ان تجمعت رؤوس الاموال البرجوازين وتمتع كبار الملاكين الزراعيين دون غيرهم بالجاه والنفوذ الاجتماعي والاقتصادي الأمر الذي دفع كبار الصناعيون والتجار لتوجيه ثرواتهم لشراء الاراضي الزراعية بهدف تحقيق اطماعهم في الحصول المكانة الاجتماعية والسيطرة والنفوذ الاجتماعي والاقتصادي، ذلك ان إمتلاك الاراضي يعطي مكانة مرموقة متميزة بالمجتمع. (Ashton, 1801, p. 36)

كانت انكلترا اول بلد اوروبي تحدث فيه قفزة بالتحول من عصر ما قبل الصناعة إلى العصر الصباعي نتيجة للدور الهام الذي أدته طبقات المجتمع الانكليزي، إذ يُعد التركيز في الريف على مصير النبلاء (الاقطاعيين) والفلاحين، كان التباين بينهما يُعد جلياً وهي ملامح المجتمع الانكليزي. وساعدت الصراعات الاجتماعية التي تفجرت في انكلترا النظام الرأسمالي العلماني ان يشق طريقه ببطء شديد وينمو في وسط التشابك الكبير بين النظام الاقطاعي والتنظيم الكنسي فتعالت المطالبات الشعبية بضرورة تفكيك النظام الاقطاعي

والاستعاضة عنه بسلطه النظام الملكي الاستبدادي نسبياً. وجرى ذلك في اطار صراع دموي مرير كان جزء منه انعكاساً للقلق والمرارة المصاحبين لانهيار نظام حضاري وظهور نظام حضاري جديد. (Hammond, D.T, p. 249)

كانت هناك انتفاضة شعبية كبيرة منتشرة في انكلترا، لم تكن بحاجة إلى تشجيع الملك. لكن شيئاً فشيئاً عارضها الملك باعتبارها تهديداً للنظام الملكي. لم تكن الانتفاضات (رحلة الغفران وديفونشاير وكورنوول ونورفولك) التي قام فيهن الفلاحين خلال الاعوام (1536 – 1549) ضد الملك بل كانت ضد النظام الاقطاعي ودعت لإلغاء الفوارق الطبقية في انكلترا. (Thompson, 1964, p. 222)

اعطى الملك هنري الثامن دفعة اخرى في اتجاه التطور الاجتماعي والاقتصادي، لإعتبارات سياسية ودينية، خاصة في ميدان التجارة والصناعة. قرر الملك مصادرة اراضي الاديرة في عام 1539. وشجع الملك مُلاك الاراضي الجدد ذوي العقلية التجارية على حساب الارستقراطية القديمة وتقاليدها الطاردة من السلطة. (Mingar, D.T, p. 92)

يبدو من الارجح ان الاهمية الاساسية لحكم الملك هنري الثامن هي القضاء على احد أعمدة النظام الاقتصادي القديم (النظام الاقطاعي وهيمنة الكنيسة على الاقتصاد) بدأ الطلب على الصوف يزداد في منتصف القرن السادس عشر، بتأثير زيادة السكان، وازداد كذلك الطلب على المحاصيل الزراعية (القمح والشعير) مما تسبب في رفع اسعارها. (Lipson, 1956, p. 404)

اضطرت الحكومة الانكليزية إلى استيراد الاغنام من اسبانيا، مما ساعد على نمو الحياة التجارية في المدن والريف خلال القرن السادس عشر بشكل اساسي وتغيرت فكرة القرون الوسطى بالحكم على الاعمال الاقتصادية بناءاً على إسهامها في سلامة النظام الاجتماعي، فلم يعد التجار يرون ان الهدف من النشاط الزراعي هو لإيجاد افضل طريقة لدعم السكان، بل أخذوا يفهمونها على أنها افضل طريقة لإستثمار رأس المال في الأراضي الزراعية. وبدأوا معاملة الأرض على انها سلعة يمكن بيعها وشرائها كملكية خاصة رأسمالية حديثة. (Schweinitz, 1964, p. 6)

بدأ سكان الريف يقبلون مبادئ المصلحة الذاتية والحرية الاقتصادية واعتبارهما الاساس الطبيعي للمجتمع الإنساني الجديد. كانت إحدى ابرز علامات النظرة المتغيرة تمثلت بالانتعاش في سوق الأراضي الزراعية في انكلترا في عام 1580 واستمر هذا الانتعاش حوالي نصف قرن تقريباً. وزاد ايجار الأراضي الزراعية السنوي قدرت الزيادة بثلث سعر الذي تباع به الأرض الزراعية. (Hill, 1958, p. 34)

انتشرت العادات الجديدة بين صفوف الطبقات العليا والدنيا على حد سواء، إذ بدأ ابناء المدن بشراء الأراضي الزراعية في الريف وممارستهم الزراعة على أسس تجارية ثم قام هؤلاء الملاك بالتجاوز على اراضي حقول جيرانهم، الذي لا يملكون مراقبين على اراضيهم، وطرد الفلاحين منها وتأجير هذه الأراضي لتجار الصوف مما زادت ايجاراتهم وساعدهم على اضفاء صبغة تجارية على زراعتهم. وكان الملاك الصغار يستثمرون الأراضي الزراعية لتحقيق الربح خاصة لقربها من لندن والموانئ. وقد كيف الفلاحون والمزارعون والملاك الجدد وضعهم واحتياجاتهم مع النظام الاقتصادي الرأسمالي، مما جعل هؤلاء المستثمرون يدفعون مبالغ كبيرة للحصول على هذه الأراضي ويستعملون الاسمدة والتكنيكات الحديثة واساليب الزراعة الحديثة، لكنهم واجهوا الاحتكارات الكبيرة فأضطرهم لبيع اراضيهم والتحول إلى المدن الصناعية للعمل في الصناعة والتجارة. ودفع التاج لتقليل من سطوة تلك الاحتكارات لتخفيف اثارها على الفلاحين وطبقات المجتمع الفقيرة المهاجرة للمدن. (Maitland, 1908, p. 12)

المبحث الثاني

التطورات الاجتماعية والاقتصادية في انكلترا بالقرن السابع عشر:

أولاً : تطور الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية في انكلترا :

كان لظهور النظام الرأسمالي في أوروبا اثر بتطور الاوضاع الإجتماعية والاقتصادية في انكلترا، ساعدت على مساهمة الانكليز في جمع الثروة من طريق العمل في التجارة الخارجية، لم تعد الخلافات السياسية والطائفية تشغل أهتمام الانكليز وازدادت سلطة الملك في البلاد. اسست اسرة تيودور سلطة استبدادية في عهد الملك هنري السابع وقرر الملك هنري الثامن قيادة حركة الإصلاح واستقلال الكنيسة

الانكلكانية الانكليزية. قاد ابنه الملك ادورد السادس، الذي تولى العرش في عام 1547 لغاية عام 1552، حركة الإصلاح الديني. فيما أعادت الملكة ماري اركون (1552 – 1558) تبعية الكنيسة الانكليزية لكنيسة روما مرة اخرى والغت جميع القوانين التي اصدرت قبل توليها العرش. وأرتكبت مجازر طائفية بحق البروتستانت. خلفتها الملكة اليزابيت الأولى العرش، يعد عهدها عهد استقرار ورخاء اقتصادي. ودعم البرلمان الكنيسة الانكلكانية بأصدار قانون السيادة العليا في عام 1534 . (Nef, 1940, p. 88)

بدأت انكلترا تشرع القوانين التي تنظم الشؤون المالية والتجارية وحماية الصناعة الانكليزية بفرض تعريفة كمركية كبيرة على السلع والبضائع المستوردة (السياسة المركنتالية) وشجعت السلطة الملكية الابتكارات الحديثة وتوسيع التجارة الخارجية واصدار القوانين لحماية حقوق العاملين في الصناعة والتجارة. وسعت انكلترا للحصول على المستعمرات، فتحالفت مع هولندا من اجل نهب المستعمرات البرتغالية والاسبانية. وهيمنت انكلترا على الساحل الشرقي لإمريكا الشمالية. واستولت انكلترا على جزيرة جامايكا من إسبانيا . ثم حاربت انكلترا هولندا وحصلت على العديد من مستعمراتها في امريكا واسيا وافريقيا. (Forster, 1960, p. 26)

ساهم ذلك في اتساع السوق الانكليزية وتطور الاقتصاد الانكليزي، إذ هيمنت الشركات الملاحية الانكليزية على تجارة انكلترا مع المستعمرات. فاصبحت انكلترا قادرة على الحصول على المواد الخام والمواد الغذائية من مستعمراتها، مثل السكر والتبغ والكتان والقطن وغيره. وتزود انكلترا تلك المستعمرات بما تحتاجه من المنتجات الانكليزية، مما ساهم في تناقص الانتاج الزراعي تدريجياً في انكلترا. واثر ذلك على المُلاك الصغار وخدم مُلاك الاراضي الكبار، الذين تركوا اراضيهم مراعي طبيعية لرعي الاغنام. (Thompson F. , 1963, p. 21)

ساعد زيادة الطلب على المنتجات الصناعية الانكليزية لتطويرها وتحسين نوعيتها وتقليل اسعارها. وتم استخدام الاختراعات الحديثة في الصناعة بالاعتماد على الطاقة المولدة من حركة الهواء وبخار الماء وتطويرها. وتم تدريب الفنيين للعمل على تلك الآلات وصيانتها. وساعد اكتشاف الفحم الحجري بالقرب من مناجم الحديد بتسهيل عملية صهر الحديد في انكلترا وانتاج المكائن والآلات الحديثة. مما ساعد على حدوث تغييرات اقتصادية واجتماعية ضخمة في انكلترا بالقرن السابع عشر. ادت لزيادة عدد السكان والايدي العاملة الرخيصة بسبب التوسع بحركة التسييج حول الاراضي الزراعية، التي بلغت حوالي 6,5 مليون فدان أي حوالي خُمس الاراضي الزراعية. شجع البرلمان هذه الحركة وأيدها. (Thompson E. , 1952, p. 223)

وأصبحت الزراعة في انكلترا تتصف بـ :

1 – إتجاهها الواضح نحو المزارع الكبيرةالتي تستخدم الآلات والطرق العلمية الحديثة.

2 – تحولت حركة التسييج من رعاية الاغنام من اجل الصوف إلى زراعة الاراضي بالحبوب بأستخدام الآلات والاسمدة والنظريات العلمية الحديثة بالزراعة بسبب نمو صناعة المنسوجات القطنية وتفوقها على المنتجات الصوفية وأزدياد الطلب على القمح بسبب زيادة عدد السكان.

خلق نمو التجارة والزراعة في انكلترا بالقرن السابع عشر زيادة الطلب على المحاصيل الزراعية والتجارية في المدن. مما حرك التأثير التجاري والزراعي على نحو كبير لقيام طبقة الاعيان (كبار مُلاك الاراضي) بالريف والجماعات المتحالفة معها بتكييف المواقف، التي لم يكن أي منها تتميز تميزاً عن تحرك طبقة الاعيان (البورجوازية) بالمدن.(Briggs, 1952, p. 239)

كان الأرستقراطيون ذوو الالقاب النبيلة بعاداتهم المُكلفة اقل من يتحمل حدوث تغيير، وان تكييف بعضهم مع الوضع الجديد. مما ساهم في ظهور طبقة الاعيان (البورجوازية) بالمدن. ونجح اكثر افراد الجماعات المتحالفة مع طبقة الاعيان بالريف بالتكييف مع طبقة الاعيان بالمدن. وكانت الأخيرة على صلات قوية مع الطبقة الاعيان بالريف. فخرجت طبقة الاعيان كطبقة ممثلة رئيسة للمجتمع الانكليزي في الريف والمدن. (Plumb, 1950, p. 132)

3 – استطاع كبار المُلاك بمختلف الوسائل التخلص من صغار المُلاك والمزارعين، بفرض عليهم المشاركة في نفقات اقامة الاسيجة حول أراضي المُلاك. تدخلت اسرة استيوارت للتخفيف من تأثير هذه الاحتكارات على الفلاحين والطبقات الفقيرة بالمدن، بعد أصبح اعدادهم كبيراً

جداً يشكلون تهديداً للنظام الملكي إلى حد وقوع ثورات متعددة. سميت هذه السياسة الملكية بـ سياسة متقطعة الإحسان، فقد قامت عدة انتفاضات في عهد الملك جيمس الأول والملك شارل الأول. (Namier, 1961, p. 27)

وفر التاج الحماية للفلاحين من حركة التسييج عبر محكمة غرفة النجم ومحكمة العليا. ولم يتوانى التاج عن ملء خزائنه بالغرامات في محاولة لتنفيذ سياسة متقطعة الإحسان التي لم يستطع تنفيذها بشكل كامل بسبب عدم أمتلاك التاج لجهاز إداري وقانوني فعال خاص به الذي يمكنه من فرض إرادتهِ على حياة الريف. وعادت السيطرة على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الريف بيد طبقة كبار المُلاك الاراضي. وهم الذين كانت سياسات التاج الوقائية موجهة إليهم. وكانت سياسة أسرة ستيوارت الزراعية فاشلة على نحو واضح وساعدت بتعجيل الحرب الاهلية، وهو الصراع بين الحقوق الفردية والسلطة الملكية الذي كن يرتكز على الإصلاح الديني. ولم تكن الحقوق الفردية تشمل الفلاحين الذين يشكلون غالبية سكان انكلترا بل تشمل حقوق مُلاك الاراضي الكبيرة. (Tate, 1942, p. 74)

ومن اهم الانتفاضات التي قامت في عهد الملك جيمس الأول والملك شارل الأول هي :

1 – رحلة الغفران: هي حركة معادية للملك قام بها المُلاك الصغار بالاشتراك مع الفلاحين.

2 – ديفونشاير : هي مدينة متخلفة اقتصادياً ثارت ضد الملك.

3 – نورفولك: هو تمرد فلاحي صرف طالب بالغاء الفوارق الطبقية وهو موجهة ضد حركة التسييج يسمى المشاركون فيه الدعاة الحقيقيون.(Kuk, 1940, p. 34)

بذل التاج الانكليزي في عهد اسرة استيوارت بعض الجهد لتطوير التجارة والصناعة وفرضت ضرائب عليها. مما دفع العناصر ذات مُلكية رأسمالية وهم (مُلاك الاراضي الصغار والمستأجرين والتجار والصناعيين البورجوازيين) للهجرة برأسماليتهم إلى المستعمرات للعمل بالحرية بالتجارة والصناعة بعيدة عن تأثير التاج الانكليزي. جمع هؤلاء احتكارات كبيرة. هكذا أصبح التاج معادي للقوى الرئيسة المعارضة للملكية الذين يعملون في الصناعة والتجارة في المدن خدمة للمجتمع مما دفع هؤلاء للانضمام للمعارضة المتماسكة ضد التاج. وسعى الملك جيمس الأول في عام 1603، الذي اتبع الحكم الفردي بالاعتماد على نظرية التفويض الالهي وفرض المذهب الانكلكاني في البلاد، للمحافظة على نظامه بالتقرب من صغار المُلاك دون جدوى. بدأ الملك فرض الضرائب دون الرجوع للبرلمان. فنشب صراع بين الجانبين، إذ شكلت التقاليد والاعراف وعي اجتماعي كبير بالحقوق البرلمان الدستورية، حول القضايا المالية والدينية. كانت المسألة الدينية معقدة في انكلترا واسكتلندا، التي التصقت بها لوجود ملك واحد لهما مع احتفاظ كل منهما ببرلمانهما، لوجود المذهب الانكلكاني والبيوريتاني مع وجود المذهب الكاثوليكي والمستقلين عن الكنيسة البروتستانتية الذين يطالبون بإصلاحات دينية عميقة. ورفض الملك ورجال الدين الانكلكان استيعاب المذاهب الاخرى. (Goodvin, 1953, p. 13)

ثانياً : صراع الملك والبرلمان الانكليزي واثره على التطورات الاجتماعية والاقتصادية في انكلترا :

أستاء الانجليز من سياسة الملك الخارجية مع اسبانيا الكاثوليكية. دفع الملك حل البرلمان في عام 1614 وبدأ يفرض ضرائب دون موافقة البرلمان لغاية عام 1621. وتدهورت الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية في عهد ابنه الملك شارل الأول منذ توليه العرش في عام 1625، سعى لتأكيد سلطته المطلقة، لذا فشل في كسب ود الشعب الانكليزي والبرلمان واستمر الصراع بين الملك والبرلمان. وشن الملك عدة حروب خارجية خاسرة ضد اسبانيا واسكتلندا لم يحصل الشعب شيئ فطلب الملك المال من البرلمان، الذي رفض تزويده بها، مما وتر العلاقات بينهما. (Maitland F. w., D.T, p. 25)

فرض الملك الضرائب على التجار والصناع وأصحاب السفن وغيرهم من أبناء الطبقة البورجوازية وسجن كل من رفض دفع الضريبة. مما أستياء الشعب الانكليزي والبرلمان، الذي أجتمع في عام 1628 واعد وثيقة ملتمس الحقوق، وهي تُعد من أهم الدعائم التي تقوم عليها الديمقراطية والحياة الدستورية في بريطانيا. نصت على منع الملك من سجن أي انكليز بشكل تعسفي وعدم فرض أي ضرائب دون موافقة البرلمان وعدم الزام المواطنين على إيواء البحارة والجند. رفض الملك الوثيقة في البداية لكنه قبلها بعد تردد طويل. فأضاف البرلمان شرط جديد يطلب من الملك عزل دوق بكنجهام مستشاره. ساءت العلاقات بين الملك والبرلمان وتم حل البرلمان في عام 1629 وبدأ الملك

بالحكم المطلق لمدة احد عشر سنة كان نتائجها كارثية على الشعب الانجليزي. مما ادى إلى هجرة أعدا كبيرة من البيوريتان إلى هولندا والعالم الجديد ليمارسوا العبادة الدينية بحرية حسب معتقداتهم. (Plumb, 1950, p. 134)

وقام الاسكتلنديين بثورة شعبية في عام 1638 ضد الملك ورجال الدين الانكلكان وشكل الاسكتلنديين جيشاً وغزا الاراضي الانكليزية. فأضطر الملك عقد صلح مهم في عام 1639 بسبب عدم تمكنه من الحصول على الاموال. وقرر في عام 1640 دعوة البرلمان للانعقاد لكنه تم حله بعد ثلاثة أسابيع من عقده لذا سمي البرلمان القصير. وقام الملك بحملة ثانية على اسكتلندا في عام 1640 انتهت بالفشل واحتل الجيش الاسكتلندي الاراضي الانكليزية وطالب بتعويضات مالية للانسحاب منها. فأضطر الملك لدعوة البرلمان للانعقاد وقرر الالتزام باحترام سلطته واجراء تعديلات في نظام الكنيسة الانكليزية ومنح البيوريتان حريات. سمي هذا البرلمان بالبرلمان الطويل الانه لم يحل لغاية عام 1653. وشجع البرلمان الشعب للثورة للمطالبة بالحريات الدينية والدستورية. (Thompson E. , 1964, p. 275)

شرع البرلمان لإزالة مساوئ الحكم الفردي للملك. فأصدر البرلمان قرار ينص على اجتماع كل ثلاث سنوات دون الحاجة لدعوة الملك للبرلمان والغى محكمة غرفة النجم والمحكمة العليا والسلطات القضائية ومنع القرار الملك من جمع الضرائب دون موافقة البرلمان وحرم على الملك حل البرلمان وتعيين وزراء يتمتعون بثقة البرلمان. وقدم البرلمان في كانون الأول عام 1641 للملك. فتوجه الملك مع جيشه في أب عام 1642 للبرلمان لإعتقال اعضائه المعارضين، ولم يجدهم. فأندلعت مواجهة مسلحة بين الملك وانصاره الفرسان والبرلمان وجيشه واغلبهم من البيوريتان. (Namier, 1961, p. 35)

كان هناك تناقض بين أنواع الاقتصاد والبنية الاجتماعية والآراء المتوافقة الموجودة لدى طبقة الاعيان بالمدن والطبقة الارستقراطية المالكة للأراضي في الريف. كان هناك صراع بين اقتصادات مختلف الطبقات التي تتوافق بشكل وثيق مع الخصوصيات الاقليمية أكثر من توافقها مع التقسيمات الاجتماعية، وهناك الكثير من الأعيان ممن كانوا يراحون في مكانهم او ينحدرون إلى الطبقة الدنيا. ويمكن العثور على مُلاك الاراضي الاعيان بالريف يتفاعلون مع التطور الرأسمالي ويحققون مكاسب اكبر من ممتلكاتهم. أما الاعيان الذين كانوا يراوحون بمكانهم فمن الواضح أنهم ليس لديهم الاستعداد للمبادرة لتحسين وضعهم الاجتماعي في ممتلكاتهم، وكانت تنقصهم الصلات الحضرية المفيدة ذات الطابع التجاري. (Plumb, 1950, p. 137)

قدم اعيان المدن المتذمرين جزءاً من العنصر الراديكالي الذي يطالب بالاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية للشعب الانكليزي في الثورة البيوريتانية التي قاده اولفر كروموبل وساندته الطبقة البورجوازية وفئات الطبقة الاجتماعية الدنيا (الفلاحين) وصغار المُلاك والصناعيين ورجال الدين البيوريتان واليهود بالاضافة إلى طبقة الاعيان بالمدن. (Goodvin, 1953, p. 22)

كان المجتمع الإنكليزي، تحت تأثير التجارة وبعض الصناعة كان المجتمع الانكليزي يتفسخ من أعلاه ومن اسفله بطريقة سمحت بقيام النظام الراديكالي واثناء ذلك ظهر على السطح تلك القطاعات من المجتمع، التي لم تكن تحقق مكاسب بسبب الاتجاهات الاقتصادية الجديدة. فقامت بالاعمال الوحشية للقضاء على النظام القديم وافسحت بذلك الطريق لمجموعة من المؤسسات الجديدة بالظهور. وكان أهم الاعمال الوحشية في أنجلترا قطع رأس الملك شارل الأول. وكان الجيش مصدر المطالبة الأساسية بالقصاص من الملك، وكانت التأثيرات الشعبية قوية إلى حداً كبير نبعت من طبقات ما دون طبقة الاعيان. ومن المرجح انها من أرباب الحرف والفلاحين. (Ashton, 1801, p. 40)

نجح اولفر كروموبل وضباطه عند تنفيذ حكم الاعدام بالسيطرة على هؤلاء وتم الحصول على حكم الاعدام من البرلمان بقوة السلاح رغم معارضة 49 نائب أرستقراطي لحكم الاعدام في البرلمان وايده النواب الذين يمثلون المُلاك الاراضي الصغار. واثر اعدام الملك على مستقبل التطورات الاقتصادية والاجتماعية في انكلترا، إذ ارتفع شأن الطبقة البورجوازية المتوسطة وترسخت الملكية الدستورية وابتعد الملوك عن الحكم بنظرية التفويض الالهي وفشل حكم كروموبل الدكتاتوري ذات النظام الجمهوري بسبب عدم امتلاكهِ نظرة إصلاحية شاملة للنظام الاقتصادي والاجتماعي. ولم يظهر الفلاحين والفقراء المدن بمستوى الاحداث بالحرب الاهلية إلا في بعض المواقف القصيرة شديدة الاهمية. (yule, 1958, p. 50)

كانت هناك صلات كثيرة جمعت بين المحدثين والتقليديين في الطبقات الاجتماعية ذاتها، بم في ذلك المخاوف المشتركة من الطبقات الأدنى (الفلاحين والفقراء). وتساعد تلك الروابط على تفسير السبب في كون التحالفات الطبقية غير واضحة المعالم بالمرة في هذه الثورة، رغم بذل الملك شارل الأول ما بوسعه لكسب ود صغار المُلاك دون جدوى، فقد ازاحت الثورة الحاجز الذي يحول دون الوصول إلى مُلاك الاراضي الكبيرة المسيحية المتمثل بتحطيم سلطة الملك. أيدت الطبقة الارستقراطية حق الملك بالحكم، على الرغم من معارضة اسرة استيوارت للطبقة الارستقراطية، إذ لم يؤيد كبار المُلاك الاراضي الثورة كذلك عارضها رجال الدين الكنيسة الانكليكانية وهما يمثلان دعائم النظام الاجتماعي القديم. (Zagorin, 1959, p. 391)

كان قادة المعارضة يعارضون التجاوز على المُلكية الخاصة. والغى البرلمان في عام 1641 محكمة قاعة النجوم وتم تطهير الجيش من العناصر المؤيدة للملك. وشكل النظام الجمهوري شكل جديد يتناسب مع متطلبات التطور الاجتماعي والاقتصادي الجديد، إذ كانت الدعوة للمساواة بين الطبقات المجتمع ومنها حفاريين المناجم من سمات اتباع اولفر كروميل وهو ما يميز انكلترا في القرن السابع عشر. (James, 1930, p. 120) هناك عوامل أخرى مسؤولة عن عدم تطور الثورة البيوريتانية إلى صراع صريح بين الطبقات العليا والسفلى في المجتمع الانكليزي، فقد انطوى الصراع على توليفة من القضايا الاقتصادية والدينية والاجتماعية والدستورية، غير أنه ليس هناك دليل كافٍ وحاسم على بيان مدى توافق تلك القضايا، فما زال الأساس الاجتماعي للثورة البيوريتانية بحاجة إلى تحليل، غير ان الاشارات تدل على تبلور الرأي بشأن تلك القضايا، وبما ان احداث الثورة الجسام لم يستطع رجالها السيطرة عليها ولم يتبئوا بنتائجها بينما كانت عملية الاستقطاب الثوري في حالة تقدم وتأخر، فقد شعرت جميع طبقات الشعب بأنها في مأزق رهيب ولا يمكنها التواصل إلى قرار إلا بشق الأنفس. وأتجهت الولاءات الفردية في اتجاه معاكس للمبادئ التي كان الفرد مدرك لها. (Zagorin, 1959, p. 687)

الاستنتاجات:

كانت انكلترا بلداً زراعياً يتبع النظام الاقطاعي السائد في أوروبا، بيد أن ظهور الطبقة البرجوازية اثر على الهيكل الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع الاقطاعي الانكليزي، فتعالت المطالبات الشعبية بضرورة تفكيك النظام الاقطاعي والاستعاضة عنه بسلطه النظام الملكي الاستبدادي نسبياً. وجرى ذلك في اطار صراع دموي مرير. ساهمت في ظهور النزعة الفردية المطالبة بحرية الاقتصاد. اعطى الملك هنري الثامن دفعة اخرى في اتجاه التطور الاجتماعي والاقتصادي، خاصة في ميدان التجارة والصناعة. قرر الملك مصادرة اراضي الاديرة في عام 1539. وشجع الملك مُلاك الاراضي الجدد ذوي العقلية التجارية على حساب الارستقراطية القديمة وتقاليدها المرفوضة من السلطة. يبدو من الارجح ان الاهمية الاساسية لحكم الملك هنري الثامن هي القضاء على احد أعمدة النظام الاقتصادي القديم (النظام الاقطاعي وهيمنة الكنيسة على الاقتصاد).

بدأ سكان الريف يقبلون مبادئ المصلحة الذاتية والحرية الاقتصادية واعتبارهما الاساس الطبيعي للمجتمع الإنساني الجديد. كانت إحدى ابرز علامات النظرة المتغيرة تمثلت بالانتعاش في سوق الأراضي الزراعية في انكلترا في عام 1580 واستمر هذا الانتعاش حوالي نصف قرن تقريباً. انتشرت العادات الجديدة بين صفوف الطبقات العليا والدنيا على حد سواء، إذ بدأ سكان المدن (البورجوازيين) بشراء الأراضي الزراعية في الريف وممارستهم الزراعة على أسس تجارية. بل أخذ كبار مّلاك الأراضي الزراعية يستغلون أملاكهم بأفضل طريقة علمية حديثة إستثمارها رأسمالياً من أجل الربح. وبدأت الطبقة الأراستقراطية الانكليزية في الريف تعمل وفقاً للمصلحة الذاتية والحرية الاقتصادية ، فقد ساهمت تلك الطبقة في نشأت النزعة الاقتصادية الحرة مثلما ساهمت في ظهورها الطبقة البورجوازية (الوسطى) بنفس الاهمية. وحدت سياسة الملك الانكليزي شارل الأول ضد الطبقة الأراستقراطية العناصر الرأسمالية الراديكالية (التي تطالب بتغيرات شاملة في مختلف النواحي بالقوة) من البيوريتان بالريف والمدن داخل معارضة متماسكة للنظام الملكي في انكلترا. وتُعد فشل السياسة الاقتصادية التي اتبعتها أسرة ستيوارت السبب الرئيس في قيام الحرب الأهلية.

لم تسفر الحرب الأهلية عن نقل أي مُلكية للأراضي من جماعة او طبقة إلى جماعة أو طبقة أخرى، على رغم افتقار البرلمان للمال بشكل مزمن، إذ تولى البرلمان تشغيل املاك التاج بعد مصادرتها. وتم أرجاع ثلاث ارباع الاراضي المصادرة إلى اصحابها السابقين لغاية عام 1661. وكانت نتائج الثورة عميقة ومستمرة في المجال الاجتماعي، فالغاء محكمة غرفة النجوم فقد الفلاحين حمايتهم الأساسية من زحف حركة التسييج. وجرت بعض المحاولات في عهد كروميل خلال حكم كبار الجنرالات للحد من اثارها، غير ان ذلك كان اخر جهد يبذل من هذا النوع، وبالرغم من تأييد صغار المُلاك للثورة فأن الواضح عودة المَلكية في عام 1660 في شكل جديد يتناسب مع متطلبات التطور الاجتماعي والاقتصادي الجديد، حمل معه انصار حركة التسييج للقمة مما كان له اثاره الكامنة على المجتمع الانكليزي.

يصف نقاد الحرب الأهلية بأنها ثورة بورجوازية وهم محُقوق في زعمهم بأن الصراع لم يسفر عن حصول الطبقة البورجوازية على أي سلطة سياسية، فقد ظلت الطبقة الارستقراطية العليا في الريف تسيطر سيطرة قوية على الجهاز السياسي الانكليزي في القرن السابع عشر. ربما ساهمت الثورة الانكليزية في خلق نظام سياسي جديد (نظام ملكي خاضع للبرلمان)، إذ ساهمت الثورة بقيام تغيرات اجتماعية واقتصادية في انكلترا بالقرن السابع عشر. وظلت الاطر الشرعية التي خلفتها الثورة الانكليزية قائمة حتى بداية القرن التاسع عشر. استطاعت تلك الاطر القضاء على سلطة الملك ، الداعم القوي لطبقة الفلاحين الرأسماليين من تعدي الطبقة الأراستقراطية المالكة للأراضي الكبيرة في انكلترا، التي سيطرت بعد الثورة على البرلمان الانكليزي (الحاكم) وتحول الملك الانكليزي إلى ملك فخري مصون غير مسؤول لم يحاول التدخل لمنع الطبقة الأراستقراطية للتوسع في حركة التسييج لإستعادة الأراضي من طبقة الفلاحيين الرأسماليين، مما دفع الأخيرة للهجرة إلى المستعمرات الانكليزية للعمل بحرية دون مضايقة الطبقة الأراستقراطية في انكلترا.

اخذت التطورات الاجتماعية والاقتصادية تتوالى وتطور النظام الرأسمالي، من خلال الاستخدام التام للملكية الخاصة (الأراضي الزراعية والمنشأت ورأس المال الفائض) لهدف الإثراء الخاص (الربح) مما خلق ثروة كبيرة وفائض في رأس المال في المجتمع الانكليزي، مما يزداد معها رفاهيته. واصبحت العلاقة بين كبار مُلاك الاراضي مالكة حركة التسييج بالريف والطبقة البورجوازية بالمدن علاقة وثيقة وحميمية إلى حد كان من الصعب تحديد اين يبدأ احداهما وأين ينتهي الآخر داخل العلاقات الاجتماعية المتشعبة في ذلك الوقت. كانت المدن الدافع الاساسي للنظام الرأسمالي، بيد أن الريف سار معها بالقوة نفسها، وتلقى تحفيز كبير من المدن، مما ساعد على اختفاء النظام القديم (الذي يعتمد على المقايضة وعلى سلطة الملك الدكتاتورية) بالريف.

كانت نتيجة الصراع انتصاراً ضخماً ولم يكن متكاملاً بالنسبة إلى التحالف بين الديمقراطية البرلمانية والرأسمالية. ويتعارض النظامين تعارضاً كبيرة مع مبادئ النظام القديم، وهما سلطة الملك الدكتاتورية التي تعتمد على التفويض الالهي بالحكم والانتاج الاقتصادي من أجل الاكتفاء الذاتي (المقايضة). وبانتصار النظام الديمقراطي والنظام الرأسمالي بالقرن السابع عشر تمت عملية تحديث للمجتمع والاقتصادي الانكليزي بالطرق السلمية .

كما يشير المؤرخون المحدثون أن النظام الارستقراطي بقى كما هو وأصبح المال يشكل الأساس في ذلك الوقت. وأصبح البرلمان نفسه أداة للرأسماليين مُلاك الاراضي الكبار واصهارهم وحلفائهم وكانت الدولة تسعى لتحقيق مصالحهم على نحو ثابت

المصادر

Ashton. (1801). *An Economic History of England, the 18th century.*
Briggs, A. (1952). *The Age of Improvement, History of England* (Vol. 8). London.
Charles , H. (1962). *firthe Cromwell's Army, a History of the English Soldier during the civil wars, the common Conumonwealth and the protectorate , Barnes CC Noble.* London: Ford Lectures Delivered in the University of oxford Hot,.
Forster, R. (1960). *The Nobility of Toulouse in the Eighteenth century.* Baltimore: Johns Hopkins Press.
Goodvin, A. (1953). *The European Nobility in the Eighteenth Century, Studies of the Nobilities of the majore European stutes in the pre-Reform Ena.* London .
Hammond. (D.T). *The Village Labourer 1260-1832 a study in the Government of England.*
Hardacre, P. (1956). *The Royalists during the puritan Revolution, International Scholars Form, a Series of Booky by American Scholars, Hague, Nijhoff.*
Hill, c. (1958). *puritanism and Revdation, Studied in Interpretation of the English Revalution of the 17th century London, Speken & Wartung.*
James, M. (1930). *Margaret James, Social problems and policy during the puritan Revolution,1640 -1660.* Londen: Routledge of Sons.
Johnson, A. (1909). *The Disappearance of the Small Landowner, Ford Lectures.* Oxford: clarendon Press.
Kuk, H. (1940). *English Landawnership (1680 1740), The Economic History Review* (Vol. 10).
Lipson, E. (1956). *the EconomicHistory of England* (Vol. 2). London.
Maitland, F. (1908). *The Constitutiona History of England: A Course of Lectures Deliverd.* cambridge: University Press.
Maitland, F. w. (D.T). *The con sti tutional.*
Mingar. (D.T). *English Landed Society in Eighteenth century.*
Namier, L. (1961). *England in the Age of the American Revolution & New Yourk.* St. Martin's Press.
Nef, J. (1940). *Industry and Government in France and England, watt, The American philosophical Society, Memoirs 42* (Vol. 15).
Plumb, J. (1950). *England in the Eighteenth Century, Harmondsworth, Penguin Books.* Penguin Books.
Roper, H. (1953). *The Gentry (1540-160 The Economic History Review.* London: published for the Economic History Society by cambridge University Press.
Schweinitz, K. (1964). *Industrialization and Democracy, Economic Necessities and political Possibilities.* New york: free press of Glen Coe.
Stone, L. (1965). *The Crisis of the Aristocracy (1558-1641).* oxford: clarendon Press.
Tate, w. (1942). *Menbers of Parliament and the proceedings upon Enclosure Bills, The Economic History Review* (Vol. 12).
Tawney, R. (1965). *The Rise of the Gentry 1552-1640, in car as wilson, Essays in Economic History.* Reprints Edited for the Economic History Societ.
Thirsk, J. (1954). The Restoration Land Settlement. *Jounal of Modern History, 26.*
Thirsk, J. (1961). *Tudor Enclosures in History Evanston.* Northwestern University press.
Thompson, E. (1964). *The Making of the English working class.* Newfort: pantheon Books.
Thompson, F. (1963). *English Landed Society in the Nineteenth century.* London: Routledge Kegan Polly Torontos University of Torontopress.
yule. (1958). *The Independent's in the English civil war.* Cambridge: University Press.
Zagorin, P. (1959). *The Social Interpretation of the English Revdution.* Journal of Economic History.

الاقليات الدينية في مؤلفات المؤرخ العراقي عبد الرزاق الحسني

م.حسون عبود محيبس

hassoon.a.mhebis@aliraqia.edu.iq

الجامعة العراقية ، كلية الآداب ، قسم التاريخ

الملخص:

تميز المؤرخ الحسني في تدوين الاحداث المهمة في تاريخ العراق الحديث لاسيما حقبة العهد الملكي, اثبتت مؤلفاته المتعددة موسوعيته العلمية التي شملت مختلف المواضيع المتنوعة, بينت قدرته على الانتقال من علم الى اخر, معتمدا على الوثائق والتدوين الشفوي, ومتميزا بالأمانة والدقة والواقعية, وبحرفية لا تخلو من صعوبات واخفاقات جزئية, على الرغم من رغبته بإيضاح بعض الجوانب الخفية لمكونات عراقية تمارس طقوسها بسرية وغموض, لهذا استطاع المؤرخ الحسني ان يملئ فراغا ,ويسد نقصا في المكتبة العراقية والعربية.

اصدر المؤرخ الحسني كتبا عن الاديان العراقية القديمة,(اليزيدية,الصابئة,البهائية), باحثا في تاريخ المعتقدات, العبادات, الاصل والتسمية, الطبقات الاجتماعية والدينية, العلماء والاعلام, الكتب المقدسة, مواقفها السياسية من السلطات الحاكمة وبعض الحملات العسكرية ضد اتباع هذه الاديان.

بحث المؤرخ الحسني موضوعات متعددة وكان له قصب السبق في العديد من السياسية والعقائدية, لاسيما في دراسة حقبة مفصلية من تاريخ تأسيس الدولة العراقية الحديثة 1921–1958م, اذ اصدر موسوعة متخصصة بتاريخ الوزارات العراقية والاحزاب السياسية, وتعرض الى الكثير من النقد عندما كتب عن الاقليات الدينية العراقية, لهذا كانت محطة غير موفقة للمؤرخ الحسني وان تميزت بانها قد فتحت الباب لعدد كبير من الباحثين للانطلاق الى دراسة الاديان, محاولة كشف اسرارهم ,زيارة معابدهم, وشخصياتهم الدينية والدنيوية.

كلمات مفتاحية: (عبد الرزاق الحسني). (التدوين). (الوثائق). (الاقليات الدينية).

Religious minorities in the works of the Iraqi historian Abd al-Razzaq al-Hasani

M: Hassoun Abboud Muhaibas

Abstract:

Historian Al-Hasani excelled in recording important events in the modern history of Iraq, especially the era of the royal era. His numerous books demonstrated his scientific encyclopedism, which included various diverse topics. They demonstrated his ability to move from one science to another, relying on documents and oral recording, and distinguished himself by honesty, accuracy, realism, and unparalleled professionalism. Of difficulties and partial failures, despite his desire to clarify some of the hidden aspects of Iraqi components that practice their rituals in secrecy and mystery, this is why the historian Al-Hasani was able to fill a void and fill a deficiency in the Iraqi and Arab library.

Historian Al-Hasani published books on the ancient Iraqi religions (Yazidi, Sabian, Baha'i), researching the history of beliefs, worship, origin and naming, social and religious classes, scholars and media, holy books, their political positions on the ruling authorities, and some military campaigns against the followers of these religions.

Historian Al-Hasani researched multiple topics and was a pioneer in many political and ideological fields, especially in studying a pivotal era in the history of the founding of the modern Iraqi state 1921-1958 AD. He issued a specialized encyclopedia on the history of Iraqi ministries and political parties, and was subjected to a lot of criticism when he wrote about religious minorities. Iraq, so it was

an unsuccessful stop for the historian Al-Hasani, although it was distinguished by the fact that it opened the door for a large number of researchers to start studying religions, trying to uncover their secrets, visit their temples, and their religious and worldly personalities.
Keywords: (Abdul Razzaq Al-Hassani). (blogging). (documents). (Religious minorities)

المقدمة:

اجتهدت المؤرخ الحسني في تدوين الاحداث المهمة في تاريخ العراق الحديث لاسيما حقبة العهد الملكي، فعد موسوعة لا غنى عنها لدى الكثير من الباحثين داخليا وخارجيا باعتباره مصدرا رئيسا للكتابة عن تاريخ العراق، ميز النتاج المعرفي الكبير المؤرخ الحسني عن غيره ، من خلال قدرته على متابعة الحدث وشخصياته ومعرفة ادق التفاصيل حرصا منه على الحقيقة والصدق والامانة العلمية، ليقدمها للمتلقي الذي يعتمد عليها منطلقا للدراسة في ميدان السياسية والاجتماع والاقتصاد والاديان.

بحث المؤرخ الحسني موضوعات متعددة وكان له قصب السبق في العديد من السياسية والعقائدية، لاسيما في دراسة حقبة مفصلية من تاريخ تأسيس الدولة العراقية الحديثة 1921-1958م، اذ اصدر موسوعة متخصصة بتاريخ الوزارات العراقية والاحزاب السياسية، فكانت مؤلفاته مصدرا للباحثين لمعالجة العديد من مفاصل تاريخ العراق الحديث والمعاصر، وتعرض الى الكثير من النقد عندما كتب عن الاقليات الدينية العراقية، لاسيما البهائية والصابئة واليزيدية، التي تميزت بالغموض، الاغلاق على النفس، قلة الطبقة المتعلمة، صعوبة الحصول على مصادر رصينة يعتمد عليها في الكتابة عن العقائد والشعائر والكتب المقدسة، لهذا كانت محطة غير موفقة للمؤرخ الحسني وان تميزت بانها قد فتحت الباب لعدد كبير من الباحثين للانطلاق نحوهم ومحاولة كشف اسرارهم ،زيارة معابدهم، وشخصياتهم الدينية والدنيوية.

المحور الاول : منهجية المؤرخ عبد الرزاق الحسني في كتابة التاريخ

ولد المؤرخ عبد الرزاق الحسني في بغداد(الشورجة) عام 1903 [*]، تعلم القراءة والكتابة في جامع الخفافين على يد الملا احمد، المعروف بالحرص على طلابه في العام 1914،انتقل للدراسة في (مكتب الترقي الجعفري العثماني)، واتقن اللغة التركية والفرنسية، انتقل مع عائلته الى النجف الاشرف سنة 1920م (المطبعي، 1995، صفحة 125) ، نشاء عبد الرزاق الحسني في مجتمع محافظ واسرة علمية، ساهمت في صقل شخصيته الاولى التي تتضح معالمها في ايام التكوين الاولى، فاسرته تنتسب الى بيت السيد عيسى، وهم سادة حسنية، وكان لهم مجلس علم وادب معروف في بغداد سمي باسمهم(مجلس بيت السيد عيسى) (غازي، تشرين الثاني 2022، صفحة 69)،تجاوزت مؤلفاته 30 كتاب وعشرات المقالات في مختلف المجلات والصحف عربية ومحلية (المطبعي، 1995، صفحة 125)،وبسب اشتراكه في حركة مايس 1941سجن في معتقل الفاو والعمارة لمدة(4)سنوات، اطلع خلالها على العديد من الحقائق التي دونها بعد ان تعرف في السجن على عدد من الشخصيات السياسية والحزبية ، فكتب خلالها (تاريخ العراق السياسي) بثلاثة أجزاء،نال بعدها جائزة المجمع العلمي العراقي لأحسن كتاب عام 1949 م [*] .

بأمر من نوري السعيد [*] رئيس الوزراء في العهد الملكي انتقل للعمل في عام 1949-1964 الى ديوان مجلس الوزراء، عمل الحسني مديراً بديوان مجلس الوزراء ،عندها اصبحت الوثائق السرية والحساسة في متناول المؤرخ الحسني، واستطاع ان يكمل ابرز كتبه الرئيسية (تاريخ الوزارات العراقية)، والذي وجد صدى واسعا داخل وخارج العراق وطبع عدة طبعات (ياسين، شباط 2015، صفحة 2) , واصبح مصدرا مهما للباحثين الذين تتناول دراستهم العهد الملكي العراقي 1921-1958، كما تولى الحسني عدة وظائف حكومية ، و تراس مؤتمر المستشرقين الخامس والعشرين في موسكو 1960م (المطبعي، 1995، صفحة 125).

---

* دفتر الجنسية الصادر من مديرية النفوس العامة ابغداد لعام 1927(نسخة مصورة لدى الباحث).

* موقع الناقد العراقي: https://www.alnaked-aliraqi.net/article/52154.php

* نوري السعيد:ولد 1888 في بغداد، شغل العديد من الوظائف في العهد الملكي وابرزها رئاسة الوزراء(14)مرة ،عد رجل الغرب في العالم العربي، وتميز بقدرته على فهم السياسة الغربية والتعامل معها ،قتل في ثورة 14 تموز 1958،عصمت السعيد، نوري السعيد :رجل الدولة والانسان، دار الساقي،بيروت،2003،ص15-35.

تميّزت اعماله المؤرخ الحسني بالأمانة والدّقة، اذ يقوم بنشر مجموعة مقالات في صحف ومجلات في مختلف الاختصاصات، فضلا عن عرضه عددًا من بحوثه على اصحاب العلاقة بشكل مباشر، للاطلاع عليها ، وابداء الآراء وصولاً الى نسخة متقنة ومعززة بالوثائق والشهادات الحية .

استعان المؤرخ الحسني بالعديد من رؤساء الوزارات السابقة، لقراءة بحوث كتابه "تاريخ الوزارات العراقية" ،فهذب بحث الوزارة السعدونية الثانية حكمت سليمان، كونه وزيرا للداخلية فيها، اما جعفر العسكري فقد تكفل بمراجعة بحث "وزارته الثانية" قراءة وتدقيق، واضافة اليه وثائق متعددة، بينما حقق بحث الوزارة "السعدونية الثالثة"، والوزارة "السويدية الاولى "،توفيق السويدي، وراجع ناجي شوكت، وناجي السويدي المبحث الخاص بالوزارة "السعدونية الرابعة"، وحق علي جودة الايوبي بحث "وزارته الاولى"، وحظي بحث وزارة "الهاشمي الثانية"، باهتمام رشيد عالي الكيلاني ،الذي تقلد فيها منصب وزير الداخلية، ووكيل وزارة العدلية (المشوح، 1999، صفحة 98) .

لعل الهدف من عرض المادة العلمية التاريخية على اصحاب القرار في العهد الملكي العراقي، المبتغى الوصول الى اقصى درجات الامانة العلمية والدقة والواقعية، ودور شخصياته في بناء الدولة العراقية الحديثة ، وخفايا الصراع ما بين شخصياته ، والتأثير البريطاني على السّياسة العراقية وتدخلها في العديد من جزئيات القرار العراقي آنذاك.

اضافة الوثائق اهمية بالغة لمؤلفات المؤرخ الحسني ،وكون كاتبها شاهد عيان حي للأحداث من جهة، ، وضمت تفاصيل وإجابات محورية لتفاصيل الأحداث ، منحتها الكثير من المصداقية ، وجذبت الكثير من الباحثين الذين رجعوا اليها باعتبارها المصدر الأقرب للعهد الملكي والتي تُمتن بحوثهم ودراساتهم (غازي، تشرين الثاني 2022، صفحة 76) . وصف رشيد الخيون المؤرخ الحسني بانه يستحق لقب شاهد على التاريخ بجدارة ، فلم يترك رواية في التاريخ الملكي العراقي الا وسجلها في كتاب*.

ساهم عمل المؤرخ عبد الرزاق الحسني في مكتب رئيس الوزراء في حصوله على كم هائل من الوثائق والرسائل التي دعمت عمله في تأليف كتاب (تاريخ الوزارات العراقية) في العهد الملكي، ويروي نوري عبد الحميد ، أنّ الحسني أهدى إلى المركز الوطني لحفظ الوثائق في بغداد "دار الكتب والوثائق" تسعة اجزاء من محاضر لجنة الانتدابات الدائمة في عصبة الامم مكتوب باللغة الانكليزية ، وعندما سأل الحسني عن كيفية الحصول ، رد أنّ نوري السّعيد رئيس الوزراء في العهد الملكي قد اعتاد الشعراء والكتاب الى إهداء نتاجاتهم إليه فيكرمهم "خمسة دنانير" ويضعها في مكتبته ، وفي نهاية كل عام يجري جرد الكتب والوثائق التي لا يهتم بها السعيد يتم حرقها ، لهذا كان الحسني يأخذ العديد من الوثائق والكتب بدلا من إتلافها (الجنابي، 2019، الصفحات 54-55) .

تغلب طريقة التدوين النوعي لدى عبد الرزاق الحسني، فكل ما يجده ويشاهده من احداث يدونها ويراجع ما يكتبه حولها ، وينقحها بعد أنْ يحصل على مصادر إضافية تعزز الاحداث التي سردها ، لذلك سافر الى مدن عراقية وبعض الدول من اجل الحصول على وثائق ومصادر تُمتن وتعضد مؤلفاته . فالمنهج الذي يتبعه الحسني يقوم على مراجعة الاصول التّاريخيّة ومراجعة المراجع والمطابقة مع ما يحصل عليها من وثائق ، وأحيانا يتصل بصانع القرار السياسي او مؤسس حزب لتكوين فكرة متكاملة عن معطيات الاحداث ،فالمؤرخ الحسني يكتب في الصحافة اولاً، ثم يراجع ما كتب بعد الاطلاع على النقد والرسائل التي تصله ردا على مقالاته وبحوثه، من اجل تكامل محتويات مؤلفاته (ياسين، شباط 2015، صفحة 3)، راجع الكثير من الباحثيّن المؤرخ الحسني في حياته للاطلاع على آرائه بشكل مباشر او أجراء مقابلات شخصية معه في موضوعات متعددة من تاريخ العراق الحديث والمعاصر ، ولعل أبرزهم الدكتور نوري عبد الحميد خليل الذي أكد :((ان عبد الرزاق الحسني كان على اطلاع دائم مراحل اعداد اطروحة الدكتوراه)) (خليل، 1980، الصفحات 5-6).

يبدوا ان كثرة طبعات كتب المؤرخ الحسني يعود الى افتقار الساحة الثقافية الى اقلام اكاديمية متخصصة في كتابة تاريخ العراق، فرفد كتبه بالعديد من الوثائق النادرة ونشر اسرار حكومات واحداث رسمت خارطة العراق الحديث والمعاصر سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

يعد الحسني الوثيقة الاهم في كتابة التاريخ، لها بذل جهدا كبيراً وملاً وفيرا للحصول عليها، وترتيب محتوياتها بحسب الزمان والمكان لكل وثيقة، يحللها ويقارن محتواها بما لديه من معلومات بعيدا عن التحيز والمحاباة (غازي، تشرين الثاني 2022، صفحة

* https://almadasupplements.com/view.php?cat=15940

71) ،فالوثيقة لدى الحسني مصدر قوة لما يكتب تعزز مصادره المتعددة وتقوي متنها، لهذا تميّز بقدرات مؤلفاته على اخذ مكانتها في الكثير من الدّراسات والأبحاث الداخلية والخارجية التي تناولت التطورات العراقية في العهد الملكي (المصدر السابق، صفحة 71).

يصف جميل موسى النجار اعتماد المؤرخ الحسني على الوثائق الرسمية العراقية والبريطانية، ومقررات المجلس التأسيسي ومجالس الوزراء والنواب والاعيان ،وتقارير دار الاعتماد البريطانية المرفوعة الى عصبة الامم خلال سنوات الانتداب(1921-1932)،فضلا عن الصحف والمجلات... متماهيا مع "التاريخ المنهجي" الاكاديمي في تأكيد اهمية الوثائق (النجار، تموز 2021، صفحة 266).

احتوى كتابه "تاريخ الوزارات العراقية" على مقررات مجلس الوزراء العراقي المطبوعة، لاسيما بعد حصوله عليها عام 1930،على شكل كراسات صغيرة ، لكل ثلاثة اشهر كراسة مستقلة ، فكانت هذه المقررات من الموجودات الثمينة جدا التي اعانت المؤرخ على انجاز بحث تاريخ الوزارات العراقية الذي نشره في اجزاء متتابعة من مجلة العرفان الصّيداوية ،صدر الجزء الاول من كتابه عام 1933 ، اما الجزء الثاني فصدر عام1935ثم تتابعت اجزاء الكتاب حتى بلغت الاربعة في عام 1940وحالت ظروف الحرب العالمية الثانية من دون السير بالكتاب ، وبعد انتهاء الحرب، استمر في اصدار الكتاب حتى بلغت اجزاؤه العشرة*.

يرى جواد علي ان ابرز مميزات المؤرخ ان يبتعد عن العواطف والانحياز ما امكنه ، اذ يرى أنّ المؤرخ كرجل مختبر يتمتع بالقدرة على تحليل ما يريد من المواد، وله ذكاء خارق يعينه على الاستنباط والاستقراء والنتيجة ، ويطابق ما يحصل عليه من مقابلات ومفارقات واحداث، ليحكم عليها بموضوعية وصدق، وتكون آراؤه منطقية سليمة مطابقة للعقل ، وألّا صار قاصا من القصاص ، ومؤرخا من طراز قديم يرى أنّ التّاريخ حفظ ورواية ،وتسجيل لما يرويه للناس، فهو يسجل كل ما يسمع ويدون كل ما يقرأ (الخفاجي، 2013، صفحة 208) .فالفرق شاسع بين الناقل والناقد.

لم يتبع المؤرخ الحسني منهج تاريخي اكاديمي او يخضع ما يكتبه الى مدرسة فلسفية معينة، فالتزم بتجربته الشخصية التي بقي وفيا لها ،لاسيما بعدما ادرك أنّ التّاريخ "مادة دسمة" تستحق الاهتمام، لهذا لم يتأثر اطلاقا بمنهج أحدا ما ، ولا بشخصية معينة ، ولم يتعرض لضغط معرفي في التدوين بحكم تكوينه الثقافي، فتميز بالواقعية الفطرية في اغلب كتاباته ،فكانت قيمتها العلمية عالية لدى الباحثين، على الرغم من عدم مراعاتها في الغالب للضوابط المنهجية المعروفة لدى الباحثين الجامعيين (المشوح، 1999، صفحة 107) . عرف اسلوب كتابته بأنّها تبتعد عن المبالغة والعبارات المبهمة والمعقدة ، ويبحث عن الدقة والوضوح ، ويستخدم احيانا الشعر للأدلة عن مبتغاه (غازي، تشرين الثاني 2022، صفحة 71).

حصل المؤرخ الحسني على العديد من الجوائز التقديرية، لاسيما بعد نفا العديد من طبعات كتبه (تاريخ الوزارات العراقية)، منح جائزة تقديرية من جامعة السوربون، ووسام المؤرخ العربي، ومنح في عام1952 وسام الرافدين من الدرجة الثّانية، ووسام الرافدين من النوع المدني بمناسبة تتويج الملك فيصل الثاني، كما تراس مؤتمر الاستشراق المنعقد في موسكو 1960، وبمناسبة صدور طبعة 1979 أصدرت الحكومة العراقية أمراً الى المكتبات كافة تحثها على شراء كتاب(تاريخ الوزارات)الذي استقر على عشرة مجلدات (المطبعي، 1995، صفحة 75).

يوصي محمد داود صاحب موسوعة تطوان المغربية المؤرخ :((ان كتابة التاريخ ينبغي ان تختلف باختلاف الاحوال، فالمؤرخ لأجل الأغراض الخاصة وللدعاية له ان يراعي المبدأ الذي ألف لأجله، فيرفع ما يشاء ويضع ما يريد، ويذكر ما يرضاه او يرضيه، ويغفل ما يوافق مبداه ومراده، يشيد بذكر ما يؤيد رايه ومذهبه، ويحط من قيمة كل ما يخالف ذلك ،اما التاريخ الحقيقي الذي يكتب للاعتبار، ويسجل مختلف الحوادث والاخبار ،فينبغي ان يكون كالمرأة او كالألة المصورة التي تبث الاشياء كما هي ،والمؤرخ الادق الكاتب الحر هو الذي يثبت الحوادث كما وقعت، ويصف الاشخاص والاشياء بأوصافها الحقيقة بدون مبالغة ولا بخس، فبذلك يعرف مقام المصلحين، وفضل المحسنين ،وكفاح العاملين)) (نعيمة، جوان 2018، صفحة 3) .

* عبد الرزاق الحسني وتاريخ الوزارات العراقية

https://almadapaper.net/view.php?cat=24978

انجز المؤرخ الحسني اكثر من ثلاثين كتابا، تجاوزت المؤلفات بأجزائها الثمانمائة، لعل اكثرها تداول هو كتاب(تاريخ الوزارات العراقية)،طبع اكثر من سبعة طبعات وعشرة اجزاء، كما انجز كتاب "تاريخ الاحزاب العراقية منذ عام 1908 حتى ثورة 14 تموز عام 1958" (الرماحي).

يعد المؤرخ الحسني رائد المدرسة العراقية والتدوين العراقية الاول في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، لاسيما العهد الملكي1921-1958،وتميزت مؤلفاته باحتوائها على عدد كبير من الوثائق السرية ، ورسائل الوزراء والشخصيات الحكومية، ونصوص المعاهدات وبرامج الاحزاب، مما عزز ثقة الباحث والقارئ بهما، لهذا يصفه البعض بمؤرخ العراق الاول.

المحور الثاني: مؤلفات المؤرخ عبد الرزاق الحسني عن الاديان العراقية القديمة.

اصدر المؤرخ عبد الرزاق الحسني العديد من المؤلفات والمقالات عن الاديان العراقية القديمة، باعتبارها مجالا خصباً للدراسة، الا من بعض كتب الرحالة والمستشرقين ،فكتب عن اليزيدية، والصابئة، والبهائية ،متوسعا في تاريخ النشأة والعقيدة والشخصيات المؤثرة، معتمدا على الكتب المقدسة لديها، وما يقع بين يديه من مصادر متنوعة ،فكانت محاولة جادة لتعريف المجتمع بالمكونات العراقية، وان وضعت بعض الملاحظات هنا وهناك على معلومات خاطئة، الان خطوته تعد انطلاقه حقيقة لغيره من الباحثين للكتابة عن الاديان والمذاهب العراقية.

اليزيديّة :

خلفيته الدينية الصوفية وبما يتلائم مع بيئية وطبيعة ابناء المناطق التي سكنها ، مع بعض الأفكار التي ابتكرها أحفاده بما ينسجم مع طموحاتهم السياسية احيانًا، وقد برزَ بعض الباحثين إدخاله بعض الطقوس الإسلامية بالمحافظة على اليزيديّة ، والصراع بين الأديان والمذاهب آنذاك ، والشيخ عدي يُعد مجدد الدّيانة والمحافظ عليها من الضَّياع وسط المجتمع الإسلاميّ (الجندي، 16 ايلول 2002، صفحة 5).

بذلَ المؤرخ الحسني جهدًا في الدِّفاع عمَّا يكتب ، وكان يبتغي النجاح في موسوعة الأديان ، كما فلح في موسوعة التّاريخ السّياسيّ ، يقول في كتابه :"كنا قد رجونا صديقنا أمير الشيخان تحسين بك*، ان يأمر خاصته بمراجعة كتابنا هذا الذي تكرر طبعه، فتفضل علينا مشكورًا ودفع الكتاب الى هيأة كان يرأسها "بابا شيخ"، فدققه وأدخلت عليه تصويبات هامة جدًا، فكل اختلاف يجده القارئ بين الطبعات السابقة وهذه الطبعة الجديدة ؛ بسبب التصويبات التي اجرتها اللجنة في مواد الكتاب (الحسني، 1974، صفحة الغلاف) ،لقد نشر الحسني أولا كتابًا عنوانه "عبدة الشيطان في العراق" وضم بين محتوياته الكثير من المعلومات غير الصحيحة عن اليزيديّة.

كتب الحسنيّ "اليزيديون في حاضرهم وماضيهم" ، ونوه على الغلاف ما يلي: "تبحث هذه الرّسالة في منشأ الطائفة اليزيديّة وتروي أخبار معتقداتها الدّينيّة ،وتتحدث عن الشيخ عدي بن مسافر الأموي الذي تنتمي إليه ، وعن مرقده ، وصفة هذا المرقد، وتضم بين دفتيها نصوص كُتبهم المقدسة (المصدر نفسه، صفحة 105). بينما يبرر علاقتهم مع الشيطان بالتقرب الى الله ، وهي عبادة تضرع وخشية وعطف ،بخلاف عبادة الله ،فنها عبادة خضوع وشكر وامتنان (المصدر نفسه، صفحة 13) [29]، اختلفت اليزيديّة في تفسير علاقتهم مع الشَّيطان فالباحث "ممو فرحان" يصف فكرة طاووس ملك بأنَّها جوهر فلسفة الدِّيانة اليزيديّة ، كآلهة وليس كإبليس ،كما يتصور أتباع بعض الديانات الاخرى (فرحان، 2013، الصفحات 15-16)[30]، وقد ذكرَ الحسني أنَّ اليزيديّة يعتقدون بمشاركة الشّيطان مع الله في خلق الكون (الحسني، 1974، الصفحات 18-19)، ويفسر اخر طاووس ملك أنَّه مخلوق من نور الله وسره العزيز، هو الوجه الاخر للألوهية بل هو اسم من اسماء الله الحسنى (بروك، 2005، صفحة 9)[32]. 0

* تحسين بك: ولد عام 1933،وأصبح أميرا وهو في سن الثالثة عشرة وقد آثروه على أخوته وفيهم من هو اكبر منه سنا واكثر دراية(ميرزه، خيري، جلال، فاروق) وهو يحتل المرتبة الثالثة بينهم، لكن رغبة جدته ميان خاتون ومكانتها المؤثرة في الوسطين اليزيدي والحكومي لعبت دوراً في توليه المنصب اضافة الى كون أمه(خوخي) من بيت الامارة، على حين أن أمهات أخوته الاربعة من السلالة البسمرية فهو أحق منهم بالأمارة، توفي عام 2019.للمزيد ينظر:حسو هورمي،لمحات من حياة الامير تحسين سعيد علي بك، مطبعة روز هلات ، اربيل ،2017.

وقال الحسنيّ أنَّ الأمير اليزيديّ وكيل الشيخ عدي ، ويَلي الأمير رتبة هو الفقير*[33] وهو نائب الأمير ، يتولى تبليغ الأوامر والارشادات للناس (الحسني، 1974، صفحة 51) . يبدوا أنَّ الأمر التبس على المؤرخ فالأمر الديني يتولاه "بابا شيخ" باعتباره أهم شخصية دينية يزيديّة، بينما الفقراء هم من ضمن طبقة المريد التي تحلت المرتبة الثالثة وأن ساهمت في دعم العديد من الشخصيات المنافسة للأمير سعيد بك وتحسين بك.

وصفَ باحث المؤرخ الحسنيّ بأنَّه غير مؤهل للخوض في تاريخ الأديان والمعتقدات ، لاسيما وهي تحتاج الى تعمق وموضوعية واجادة لغات قديمة احيانًا، لهذا كانت المؤلفات عن الأقليات الدِّينيّة العراقيّة دون مستوى المطلوب مقارنة بالمؤلفات التي غطت العهد الملكي العراقي سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، وتعرضَ لنقد لاذع، وقال عنه رشيد الخيون :" تألق في التاريخ السياسي وتخبط في تاريخ الاديان والعقائد، وفشل في ولوج مجالات تحتاج الى أدوات علمية ودراية تخصصية (المشوح، 1999، صفحة 19).

قدم العديد من المؤرخين العراقيين معلومات غير دقيقة ، واحيانًا مشوهة عن اليزيديّة ،على الرغم من زيارة بعضهم ، واللقاء مع شخصياتهم وقيادتهم ، ومشاهدة طقوسهم ومناسبتهم ،إلَّا أنَّهم فشلوا في الحصول على أسرار وخفايا الأديان وتفكيك بعض اسرارهم بالشكل الصحيح*.

يبدوا أنَّ السبب الأهم في نقص المعلومات الصحيحة عن اليزيديّة هو افتقار اليزيديّة إلى التَّدوين ، والاعتماد على ما يسمى عندهم بعلم الصدور، الذي ينص على حفظ النصوص الدينية ، والأقوال والأدعية عن ظهر قلب وتناقلته الاجيال فيما بينهم ، دون الكتابة خشية وقوع هذه النصوص في أيدي غير أمينة ، قد تعمد الاساءة والتشويه (الجيزاني، 2017، صفحة 15) .

تبين للمؤرخ قصوره المعرفي في كتابه الاول (عبدة الشيطان)، فاستطاع الحصول على مصادر إضافية مهمة ، ومد جسور التعاون مع الشخصيات اليزيديّة المهمة، لا سيما بيت الإمارة وبابا شيخ وأخرى تجيد القراءة والكتابة ، فارتفعت عدد صفحات كتاب (اليزيديون في حاضرهم وماضيهم) إلى "174" صفحة بعد أن كانت الطبعة الاولى تضم "82" صفحة فقط ، وهو دليل على أهمية التأني في الكتابة عن أديان مذاهب مغلقة ، وغير تبشيريّة، وغامضة احيانا، لا تسمح للأتباع بالإجابة عن الاسئلة التي تخص أُصول ومعتقدات دينهم.

الصابئة:

يُعد كتاب "الصّابئة قديما وحديثا" من أبرز كتب المؤرخ الحسني واكثرها جدلًا، وهو كُتيب صغير ، كرس فيه قلمه للحديث عن الدِّيانة وطقوسها وعبادتها ، فضلا عن بعض المهن والعلاقات الاجتماعية بين اتباعها ، وتميّزهم في العديد من الحرف اليدويّة، وبعد سنوات أضافَ إلى الكتاب الاصلي مجموعة من البحوث والمعلومات التي حصل عليها ليغيّر العنوان إلى "الصابئة في حاضرِهم وماضيهم (المشوح، 1999، صفحة 63)".

يسكن الصّابئة المندائيّة جنوب العراق ، لاسيما المناطق القريبة من الأنهار ، لحاجتهم إلى الماء في ممارسة طقوسهم وشعائرهم الدِّينيّة ، فكتب "الصَّابئة قديما وحديثا" عام 1931، فكان وليدًا مثيرًا للجدل فقهيًا وقانونيًا ، اشتمل الكتاب في محتوياته الحديث عن الديانة الصَّابئيّة وأبرز الشَّعائر والطقوس والعبادات فيها، فضلًا عن بعض المحطات عن جوانبهم الاقتصادية والاجتماعية وعددهم في العراق (المصدر نفسه، صفحة 63)[39]، إذ اعترض الصَّابئة على الكثير من محتوياته ،ويعد الكتاب إساءة وتشويها متعمدا بحقهم ، ورُفعت دعوى قضائيَّة من قبل الكنزفرا الشيخ دخيل بن الشيخ عيدان زعيم الصابئة في العراق على المؤرخ الحسني ، إذ جاء في

* الفقراء: رتبه شبه روحية لمتطوع ومتطوعة نذروا أنفسهم لخدمة الدين اليزيدي، والفقير يعني الناسك، أو الزاهد ومنصبها وراثي ينتقل من الأب الى الإبن، وقد فرضت عليه التعاليم اليزيدية أن يكون محل الرحمة والعطف وهو ما دعا المجتمع الى معاملته معاملة حسنة. يلبس الفقير الخرقة وهي قطعة من قماش الصوف المصبوغ بورق الزركوز، وتكم بحلقات من النحاس الاصفر كالصدرية، ويجوز لكل يزيدي أن يعدّ نفسه "فقيرا" شريطة أنْ ينذر نفسه لحياة الزهد والطاعة على أن يصادق رئيس الفقراء على أهليته، عزالدين باقسري، مه ركه ه، الايزيدية، الاصل، التسمية، المفاهيم، الطقوس، المراسيم، النصوص الدينية، مطبعةخه بات، (اربيل:2003)، ص88.

*https://almadasupplements.com/view.php?cat=15940

طيات كتاب الحسني ان الصّابئة عبدة الكواكب والنّجوم ، بينما احتج الصّابئة بالكتاب المقدس "كنزاربا" الكنز العظيم الذي جاء في نصه :" هو الحيُّ العظيم ، البصير القدير العليم ، العزيز الحكيم* " .

وقف الشيخ دخيل ليقرأ كتاب "الكنزاربا" في عام1931أمام هيئة المحكمة في بغداد ، بينما كان الأب "انستاس ماري الكرملي" يترجم اللغة الأرامية الى اللغة العربية ، فاقتنع القضاة بأنَّ المندائيِّين موحدون يعبدون الحي الازلي ، وهم أبعد ما يكون عن عبادة الأجرام والكواكب والنجوم والشهب ، فكانت "بوثات" آيات الكتب الاولى وسيلة إقناع فاعلة ، وهي تضم تسابيح في التوحيد الالهي*.

يبدوا أنَّ المؤرخ الحسني استقى المعلومات دون أنْ يحلل المحتوى أو يقارن مع أقوال أهل الاختصاص من رجالات الأديان العراقيَّة لهذا حدث لغطٌ كثير واعتراض شديد وصلت إلى رفع دعوى قضائيَّة بحق الحسني مما جعلها اخفاقاً معرفيا في رصيده التاريخي الكبير، لاسيما نتاجه الوثائقي في تاريخ العراق.

يبرر المؤرخ الحسني صعوبة الحصول على معلومات وافية عن الصابئة ، بأنَّهم مجتمع مغلق عن الأخرين ، ولا يسمح لغير أتباعه بالمشاركة في الشعائر الدَّينيّة، ولهم لغةٌ خاصة يتخاطبون بها ، كما أنَّها ديانةٌ غير تبشيريّة (الحسني، الصابئون في حاضرهم وماضيهم، 1983، صفحة 12) .

الواضح ما تعرضت له الدَّيانة الصَّابئيَّة من تشويه، يعود إلى باطنية الدّيانة المندائية، وجهل مؤرخيّ العرب باللغة المندائية ، واطلاعهم على بعض الطقوس والشعائر المندائيّة وهي غريبة عليهم ،وتَلقيهم معلومات غير دقيقة من بعض الشَّخصيَّات التي ارتدت من الدَّيانة المندائيَّة ،والذين يبررون خروجهم بأعذار مختلفة، كما أنَّ ظهور الحرانيِّين باسم الصَّابئة وبروزهم في مقر الخلافة العباسيَّة منذ القرن الثالث الهجريّ ، وكونهم من عُبَّاد النجوم والكواكب ، فقد أدى إلى هذا الخلط الكبير فيما يخص حقيقة الدَّيانة للصابئة المندائيَّة، اذ أنكر الحسني وجود الصَّابئة الذين ورد ذكرهم في القران إذ يقول:" وقد انقرضوا وعفت اخبارهم فاصبح من المتعذر علينا بيان معتقدهم" (الحسني، الصابئة قديما وحديثا، 1931، صفحة 22).

أعادة المؤرخ الحسني النظر فيما طرحه في كتابه الاول (الصابئة قديما وحديثا)،فنشرمقال في مجلة العربي الكويتية يقول فيه :" يعتقد الصابئيون المندائيون إنَّ الخالق جلَّ شأنه واحد أزلي أبدي الوجود لانهاية له ، منزه عن عالم المادة والطبيعة ،لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق ، وأنَّه لمْ يلدْ ولمْ يولدْ ، وهو علة وجود الأشياء ومكونها ، ولا يختلف اعتقادهم في الخالق عن اعتقاد المؤمنين به (الحسني، اذار 1968، صفحة 81).

مما لاشك فيه ان الحسني اعتمد على بعض المصادر التي كتبت عن الصَّابئة التي بينت معتقد الصَّابئة :"إنَّ دراسة دين الصَّابئة مهمة جدًا للبحث عن العقائد الدِّينية الاخرى... كما أنَّها ترينا ملتقى التوحيد القديم ، و الوثنيَّة القديمة ، وقد نجد فيها الاصطدام بين هاتين العقيدتين فهي ليس ديانة وثنيَّة ،ولا إيمان لها بالكواكب من جهة، الاخلاص مطلقا فيها من بقايا الوثنيَّة القديمة ، وتعظَّيم الكواكب على صورة من الصورة (حسين، اذار 2019، صفحة 15) .

اختلفت صفحات كتاب الصابئة ما بين الطبعة الاولى "الصابئة قديما وحديثا" التي ضمت 76 صفحة ، اصبحت الطبعة الثانية تضم 201صفحة ، وأوضح فيها :(إنَّ هذه الرسالة في "الصابئة قديما وحديثا" ونتكلم عن معتقداتهم الروحيَّة وفرقهم الدينيّة، وكتبهم المقدسة ، وعن "يحيى بن زكريا" الذين ينتمون إليه ، وتضم بين دفيتها أدق المعلومات وأصدقها عن الطقوس الدينيّة ،وعاداتهم الاجتماعية، واعيادهم القومية ، وعدد نفوسهم وسكناهم ، وصناعاتهم ، والمحرمات عندهم) (الحسني، الصابئة قديما وحديثا، 1931، صفحة الغلاف).

اضافَ المؤرخ الحسني على كتابه الاول مادة متخصصة عن النبي يحيى "ع"، وتوسع في ذكر الكتب المقدسة وتاريخ طبعها ، ودور المستشرقين الذين أشرفوا عليها ، كما اضافَ مبحث عن علماء الصابئة ودورهم العلميّ والإنسانيّ (الحسني، الصابئون في حاضرهم وماضيهم، 1983، الصفحات 93-107) .

---

* كنزاربا الكنز العظيم، للمزيد ينظر كنزاربا الكنز العظيم،مطبعة جعفر العصامي، بغداد،2008، ط4،ص1. وهو كتاب انجز باشراف اللجنة العليا للترجمة المشكلة بموجب قرار مجلس شؤون الطائفة لعام المرقم 28 في 3 تشرين الاول 1997.

*سيار الجميل :الصابئة المندائيون طائفة من الموحدين وليسوا عبدة كواكب ونجوم

http://www.almadapaper.net/ar/ViewPrintedIssue.aspx?PageID=13032&IssueID=1656

تُعد مؤلفات المؤرخ الحسني التي كُتبت عن الصَّابئة على ما فيها من ثغرات، خطوة كبيرة لتعريف المجتمع العراقيّ بالدين الصَّابئيَّ المندائيّ، وطبيعة الشعائر والطُّقوس والعقائد التي يؤمن بها أتباعه، فاستطاع إزالة التَّشويه والشَّكوك والأوهام، التي كانت سائدة آنذاك ، وهذا وأجب المثقف والمؤرخ الموضوعي، الذي عمل على التصحيح، عندما وجدنا الكثير من المعلومات المعدلة في طبعات متلاحقة من كتابه ، فتعززت قدرته على استيعاب ما يصحح ويضاف من قبل أهل الاختصاص.

البابيّون والبهائيّون في حاضرهم وماضيهم :

أطلق المؤرخ عبد الرزاق الحسنيّ كتابه "البابيون في التاريخ" إكمالا لسلسة موضوعات الأديان العراقية التي تكفل بها، لاسيما وأنَّها تمتاز بالتكتم والسِّرية والغموض وجهل أغلب ابناء المجتمع العراقي بالعقائد والشعائر التي تمارس من قبل اتباعها، لهذا اقتصر مؤلفه على التعريف بالبابية ، ثم خصص قسما منفردًا للبهائيّة التي انتشرت في العراق واصبح لها محفلٌ معترفًا به رسميًا.

ضَّم كتاب المؤرخ الحسني "البابيون في التَّاريخ" السَّيرة التَّاريخية لنشوء الحركة البابية، وانتشارها في إيران وأبرز التطورات التي أحدثها ظهورها ، كما شَمل الشَّخصيات التي تزعمت الحركة في مرحلة التَّأسيس الأولى (الحسني، 1984، صفحة 9) .

أوضح المؤرخ الحسني أنَّ البابية ابعد ما تكون من الفرق الإسلاميّة ،وأنْ كانت تعاليمها تضم بعض الإشارات الإسلاميّة (المصدر السابق)، و لعل المؤرخ أراد أنْ يفسر الإعلان عن الدِّين البهائيّ الذي كان وليد البابيّة التي انقرض ذكرها وبقيت أثارها فيه . وبعد الحصول على معلومات جديدة ووثائق مهمة تغير العنوان الى "البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم" تناول فيه بدايات الحركة البابية وتأثرها بالشيخية (عفيف، 2023)، وأهمية أفكار وأراء السيد كاظم الرشتيّ واستقباله للسيد علي محمد الشيرازي* واهتمامه به، وتعريف تفصيّلي بشخصية وولادة وتربية ودراسة السيد علي محمد ، وقدراته العلمية ، وتنقله ما بين إيران وكربلاء ، وأهمية شخصية البشروئيّ للحركة الذي اصبح باب الباب ، وجمع الـ (حروف الحي18) داعية وتوجيه الإرشادات والتّعليمات لنشر دعوته التي تلقت العديد من الاتهامات من قبل العلماء المسلمين (محمد الجابري، المصدر نفسه) .

بين الحسني شكل المواجهات التي تنوعت ما بين الدّينية من خلال المناظرات مع العلماء أو العسكريّة الداميّة في أكثر من بقعة من إيران تعرضت فيها البابية إلى خسائر جسيمة بين اتباعها ، لاسيما بعد القبض على الباب وحجزه في قلعة ماه كوه، يعد مؤتمر بدشت عام 1848م ، نقلة نوعية في توجهات البابية عندما قرر الحضور (81) ما يأتي (الحسني، 1984، صفحة 36) :

1. انقاذ البّاب من السِّجن ونقله الى مكان امن .
2. وضع حد بين مبادئ البابية والدّين الإسلاميّ.

كان دور قرة العين*(55) محوريا في فرض آرائها على الحضور ، على الرغم من الانقسام الكبير الذي سببته تصرفاتها الغريبة ، وتأثير إعدام الباب ورفيقه على الحركة ومحاولتها استغلال الإعدام في نشر مبادئها ، ومحاولة اغتيال الشّاه ناصر الدين* وأثرها على اتباع الحركة ، و موقف الشعب الايراني منها (محمد الجابري، المصدر نفسه، الصفحات 179-180) .

---

* علي محمد الشيرازي:ولد عام 1819،في مدينة شيراز وينتسب للأسرة الحسينية تعلم القراءة والكتابة على يد الشيخ محمد العابد تلميذ الشيخ السيد كاظم الرشتي، انضم لدرس كاظم الرشتي في كربلاء، بداء الاعلان لدعوته بمساعدة باب الباب الملا حسين البشروئي بعد ان اعلن نفسه باب الامام المهدي، تعرض للسجن وحجز في قلعه ماه كوه 1847 ،واعدم في تموز 1848 وكان عمره 31 عاما. للمزيد ينظر: خير الله كاظم محمد الجابري، البابية في ايران 1844-1852 دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة ،الجامعة المستنصرية، كلية التربية الاساسية،2023،ص16 وما بعدها.

* قرة العين:اختلف الاراء في ولادتها بعد اتلاف عائلتها السجلات خوفا من السلطة القاجارية،اسمها زرين تاج(التاج الذهبي)لقبها السيد كاظم الرشتي (قرة العين)فيما لقبها حسين علي بهاء الله بالطاهرة،انضمت للحركة البابية 1843،تجولت في كربلاء والكاظمية واحدثت الكثير من الاقاويل بعد نزعها النقاب،وكانت في مقدمة حضور مؤتمر بدشت لنسخ الشريعة الاسلامية،قتلت 1852،مجموعة مؤلفين، بكاء الطاهرة ورسائل قرة العين،تقديم يوسف افنان ثابت،دار المدى للنشر،دمشق،2008،ص43

* ناصر الدين شاه:ولد عام 1831،اختير وليا للعهد ،توج شاه بعد وفاة ولده،قام بالعديد من الاصلاحات والتغيرات في مراكز القرار،تميز عهده بكثرة الانتفاضات(حركة سالار،الدعوة البابية،فتح هرات،..)اصدر في عهده الميرزا حسن الشيرازي فتوى تحريم التبغ،اغتيل عام 1896 ،علي

يُعد مؤتمر بدشت نقطة مفصلية غاية في الأهمية للحركة البهائيّة ومشروعها السري ، والدور المحوري لقرة العين التي أبرزت كل مفاتنها أمام الحضور بلا حياء، وأعلنت عن نسخ الشَّريعة الإسلاميّة بالتعاليم البَابية ، بمشاركة ثلة من قادة البابية .

كما ذكر الحسني انتقال بهاء الله في القسم الثاني من كتابه إلى بغداد ومشكلة البَيت الذَي سكن فيه على أوضاع العراق السَّياسيّة بعد ذلك، وانتقال مشكلة (بيت بهاء الله) الى عصبة الامم (مصطفى، 2020)[58]، الذّين يؤمنون بالحج لها باعتبارها كعبة البهائية ، ودعم بريطانيا لهم ضد الحكومة العراقيّة والنفي إلى الأستانة وقبرص وبعد ذلك الاستقرار في فلسطين وبناء محفلهم الكبير في حيفا .

واستطاع الحسني الحصول على نص كتاب البَيان العربيّ والأقدس والرّسالة السّلطانيّة ونشرها ملاحق في كتابه (الحسني، اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، 1974، الصفحات 143-208) .

بذل المؤرخ جهدًا كبيرًا في محاولة تغطية كلّ ما يمت بصلة للبَابيّة والبَهائيّة لكنَّه أغفل بعضها ، ولعل ، أبرزها دور الشيخ محمد العابد في توجيه السَّيد علي محمد الشِّيرازيّ ، فالشيخ العابد يُعد أول من نقل إلى ذهن الباب بذرة الشِّيخيّة بما يتناسب مع قدرات الصَّبي علي محُمد ، وكذلك عدم محاولة ترجمة النصَّ الفارسيّ من كتاب البيان ومقارنتها بالنصِّ العربيّ، لاسيما وأنَّ الباب واتباعه هم فرّس ولكلِّ لغة خصائص ومفردات تعطي معاني دالة أكثر من غيرها .

الخاتمة:

يُعد المؤرخ عبد الرزاق الحسني رائدًا عراقيًا في مجال التَّاريخ الحديث وتناول الأديان والمذاهب العراقية لاسيما (اليزيدية ، والصابئة ، والبهائية) ، التي كانت غائبة عن الساحة الثقافية العراقية ، ومتناول القارئ العربيّ ، وتميَز المؤرخ بمنهجية السَّرد والتدوين واستخدام الوثائق والمقابلات بشكل مميَّز، خاض مجال الأديان التي يتطلب دراية باللّغات القديمة ، ومجازفة في الوصول الى أصحاب القرار دينيًا وسياسيًا لهذه الأديان التي عُرف عنها الكتمان والغموض والسِّرية وعدم الثِّقة بالغرباء ، و قلة المتعلمين في اوساطهم بعض الأحيان ، فكتب مقالات في الصحف والمجلات وتلقى ردودًا مختلفة ، واستطاع أن يوظفها في طبعات اخرى ، وصحح العديد من الأحكام التي ضمتها الطبعات الأولى ونشر بعض الكتب المقدسة لهم ، ويُعد المؤرخ الحسني أبرز شخصية قدمت تعريفًا وافيًا للأقليات الدِّينيّة العراقية في العصر الحديث ، بعيدا عن الأحكام المسبقة والتعصب الديني والقومي .

المصادر :

احمد ابراهيم مصطفى. (2020). *مشكلة الدور البهائية في بغداد 1921-1932 دراسة وثائقية*. بغداد: مجلة الدراسات التاريخية (بيت الحكمة).

اسماء سالم عفيف. (2023). *جذور البابية وتطورها من التيار الاصولي الى نسخ الشريعة*. بغداد: مجلة الجامعة العراقية.

ايمان سالم الخفاجي. (2013). *المؤرخ جواد علي*. مجلة جامعة زاخو.

ايهاب حسين علي حسين. (اذار 2019). *لمحات تاريخية في تاريخ الصابئة*. مجلة العلوم الانسانية، جامعة بابل ، كلية الرتبية للعلوم الانسانية.

جميل موسى النجار. (تموز 2021). *الدراسات التاريخية الاكاديمية المعاصرة في العراق مقاربة نقدية في دراسة التاريخ الحديث والمعاصر*. بغداد: مجلة سطور.

حسون عبود الجيزاني. (2017). *اليزيدية في العراق خلال العهد الملكي دراسة تاريخية*. بغداد: دار ومكتبة عدنان.

حميد المطبعي. (1995). *موسوعة اعلام العراقيين في القرن العشرين* (المجلد ج1). بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

خليل الجندي. (16 ايلول 2002). *الشيخ ادي محدد الديانة وليس مؤسسها والايزيدية ليست طائفة اسلامية ، اوراق كردية*. مجلة كردية (الكترونية).

رشيد الرماحي. (بلا تاريخ). *المؤرخ عبدالرزاق الحسني ذكريات 56 سنة من عمره*.

خضير عباس المشايخي،ايران في عهد نار الدين شاه1848-1896،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الاداب،1987،ص79 ومابعدها.

https://almadasupplements.com/view.php?cat=15940.

طيب ابو جمعة نعيمة. (جوان 2018). *مقومات وسبل اعداد مؤرخ جزائري متمكن : قراءة في الواقع والطموح*. مجلة التنمية والمجتمع، جامعة حسيبة بو علي.

عبدالرزاق الحسني. (1931). *الصابئة قديما وحديثا*. مصر: مكتبة الخانجي.

عبدالرزاق الحسني. (1974). *اليزيديون في حاضرهم وماضيهم* (المجلد ط 9). بغداد: مكتبة اليقظة العربية.

عبدالرزاق الحسني. (1983). *الصابئون في حاضرهم وماضيهم*. بغداد: منشورات المكتب العربي لتوزيع المطبوعات.

عبدالرزاق الحسني. (1984). *البابيون والبيهائيون في حاضرهم وماضيهم*.

عبدالرزاق الحسني. (اذار 1968). الكويت: مجلة العربي.

علاء طه ياسين. (شباط 2015). *منهجية المؤرخ عبدالرزاق الحسني في التدوين*. مجلة سر من راى.

فليح حسن علي المشوح. (1999). *عبد الرزاق الحسني مؤرخاً*. اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الكوفة/ كلية الآداب.

محمد الجابري، المصدر نفسه. (بلا تاريخ).

مروة حسين الجنابي. (2019). *الاستاذ الدكتور نوري عبدالحميد العانمي ومنهجيته في كتابه التاريخ*. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الانبار/ كلية التربية للبنات.

ممو عثمان فرحان. (2013). *دراسات ومباحث في فلسفة وماهية الديانه الايزدية*. دهوك.

نوري عبدالحميد خليل. (1980). *التاريخ السياسي للامتياوزات النفط في العراق 1925-1952*. بغداد.

هوشنك بروك. (2005). *الايزيدية والطقوس والرموز*. دهوك: لالش مجلة.

وداد جابر غازي. (تشرين الثاني 2022). *قراءة في رواد المنهج العلمي التاريخي في تدوين الاحداث التي مر بها العهد الملكي (1921-1958)* . مجلة كلية التربية الاساسية.

Sources:

Ahmed Ibrahim Mustafa. (2020). The problem of the Baha'i role in Baghdad 1921-1932, a documentary study. Baghdad: Journal of Historical Studies)House of Wisdom.(

My names are Salem Afif. (2023). The roots of Babism and its development from the fundamentalist movement to the abrogation of Sharia law. Baghdad: Iraqi University Journal.

Iman Salem Al Khafaji. (2013). Historian Jawad Ali. Zakho University Journal.

Ihab Hussein Ali Hussein. (March 2019). Historical glimpses into the history of the Sabians. Journal of Human Sciences, University of Babylon, College of Education for Human Sciences.

Jamil Musa Al-Najjar. (July 2021). Contemporary academic historical studies in Iraq are a critical approach to the study of modern and contemporary history. Baghdad: Lines magazine.

Hassoun Aboud Al-Jizani. (2017). Yazidis in Iraq during the royal era, a historical study. Baghdad: Adnan House and Library.

Hamid Al-Mutabbai. (1995). Encyclopedia of Iraqi Media in the Twentieth Century (Volume Part 1). Baghdad: House of General Cultural Affairs.

Khalil Al-Jundi. (September 16, 2002). Sheikh Adi defined the religion, not its founder, and Yazidi is not an Islamic sect, Kurdish papers. Kurdish magazine (electronic.(

Rasheed Al-Ramahi. (no date). Historian Abdul Razzaq Al-Hasani, memories of 56 years of age. https://almadasupplements.com/view.php?cat=15940.

Ok Abu Juma Naima. (Juan 2018). Ingredients and methods for preparing a competent Algerian historian: a reading of reality and ambition. Journal of Development and Society, Hasiba Bou Ali University.

Abdul Razzaq Al-Hasani. (1931). Sabians, ancient and modern. Egypt: Al-Khanji Library.

Ahmed Ibrahim Mustafa. (2020). The problem of the Baha'i role in Baghdad 1921-1932, a documentary study. Baghdad: Journal of Historical Studies (House of Wisdom.(

My names are Salem Afif. (2023). The roots of Babism and its development from the fundamentalist movement to the abrogation of Sharia law. Baghdad: Iraqi University Journal.

Iman Salem Al Khafaji. (2013). Historian Jawad Ali. Zakho University Journal.

Ihab Hussein Ali Hussein. (March 2019). Historical glimpses into the history of the Sabians. Journal of Human Sciences, University of Babylon, College of Education for Human Sciences.

Jamil Musa Al-Najjar. (July 2021). Contemporary academic historical studies in Iraq are a critical approach to the study of modern and contemporary history. Baghdad: Lines magazine.

Hassoun Aboud Al-Jizani. (2017). Yazidis in Iraq during the royal era, a historical study. Baghdad: Adnan House and Library.

Hamid Al-Mutabbai. (1995). Encyclopedia of Iraqi Media in the Twentieth Century (Volume Part 1). Baghdad: House of General Cultural Affairs.

Khalil Al-Jundi. (September 16, 2002). Sheikh Adi defined the religion, not its founder, and Yazidi is not an Islamic sect, Kurdish papers. Kurdish magazine (electronic.(

Rasheed Al-Ramahi. (no date). Historian Abdul Razzaq Al-Hasani, memories of 56 years of age. https://almadasupplements.com/view.php?cat=15940.

Ok Abu Juma Naima. (Juan 2018). Ingredients and methods for preparing a competent Algerian historian: a reading of reality and ambition. Journal of Development and Society, Hasiba Bou Ali University.

Abdul Razzaq Al-Hasani. (1931). Sabians, ancient and modern. Egypt: Al-Khanji Library.

Abdul Razzaq Al-Hasani. (1974). The Yazidis in their present and past (Volume 9). Baghdad: Arab Vigilance Library.

Abdul Razzaq Al-Hasani. (1983). The Sabians in their present and past. Baghdad: Publications of the Arab Publications Distribution Office.

Abdul Razzaq Al-Hasani. (1984). Babis and Baha'is in their present and past.

Abdul Razzaq Al-Hasani. (March 1968). Kuwait: Al-Arabi Magazine.

Alaa Taha Yassin. (February 2015). Historian Abdul Razzaq Al-Hasani’s methodology in blogging. Secret of Ray magazine.

Falih Hassan Ali Al-Mashouh. (1999). Abdul Razzaq Al-Hassani, historian. Unpublished doctoral thesis, University of Kufa/College of Arts.

Muhammad Al-Jabri, same source. (no date.(

Marwa Hussein Al-Janabi. (2019). Professor Dr. Nouri Abdel Hamid Al-Anami and his methodology in his book History. Unpublished master’s thesis, Anbar University/College of Education for Girls.

Mamo Othman is hilarious. (2013). Studies and investigations into the philosophy and nature of the Yazidi religion. Dohuk.

Nouri Abdel Hamid Khalil. (1980). The political history of oil concessions in Iraq 1925-1952. Baghdad.

Hoshank Brook. (2005). Yazidi rituals and symbols. Dohuk: Lalish magazine.

Widad Jaber Ghazi. (November 2022). A reading of the pioneers of the historical scientific method in recording the events that occurred during the Malbeki era (1921-1958). Journal of the College of Basic Education

الجرائم في ضوء كتب النوازل في المجتمع الاندلسي

م.م. حسين عبد الله رضيوي

husseeinredh@uomustansiriyah.edu.iq

جامعة المستنصرية ، كلية الآداب

الملخص :

كثيرا ما كانت أحداث (القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي) ، تحصيل حاصل لما آلت إليه الأندلس من فوضى سياسية وانقسام البلاد ، حيث أصبح الوضع القائم على الحرب والاقتتال والفتن سببا في التفكك الاجتماعي رغم ما عرفته البلاد من نضج فكري وتطور أدبي وعلمي ملموس ، وهذا ما وصلت إليه أحوال بلاد الأندلس خلال هذا القرن الذي ظهرت فيه كل مظاهر التفسخ والانحلال، والآفات الاجتماعية كانت من بينها موضوع الدراسة أي ظاهرة السرقة واللصوصية والتدمية التي اختلفت أشكالها بين السرقات الخفية وبين قطع الطرق وإخافة السبل وسيلتها السيف والرمح ، كما أنها لم تختص بها فئة معينة من عناصر المجتمع ، حيث وجدت بين شذاذ الآفاق المسلمين وربما بين الجهلة والمثقفين أيضا، كان لها تأثير كبير على كلا المجالين الاقتصادي والاجتماعي .

الكلمات المفتاحية: الأندلس ، الجريمة ، السرقة ، القتل ، افقهاء

smith fi kutub alnawazil fi almujtamae alandilsii

Asst. Lect. Hussein Abdullah Razivi

Al-Mustansiriya University , College of Literature

Abstract :

This research includes one of the social phenomenon which sets its scene in Andalusia due to the outcome of the political situation in the region after the Cordovan sedition which caused serious breaks in the internal situation. Thus, this situation allowed the spread of a lot of social ills which affected the public life both during the Communities and the Marabous era. The most important of these phenomenon are theft and banditry which varied form hidden theft to cutting the ways by means like sword and spear. These phenomenon did not specify a certain class in society. However, it existed between Muslims and Christians and even among the ignorant people and intellectuals, too. It has a significant impact on both economic and social fields.

alkalimat alrayiysiat : al'andalus , aljarimat , aljarimat , alqatl , afuqaha'

المقدمة :

يتناول موضوع الدراسة ظاهرة السرقة وللصوصية خلال عصري الطوائف والمرابطين ، وذألك من خلال التعرف على الأوضاع السياسية خلال فترة الدراسة ودورها في ظهور وانتشار الظاهرة ، فعصر الطوائف عصر الشتات السياسي والجغرافي بعد انفراط عقد الخلافة وانتزاء طوائف أقاليم الاندلس كل حسب ما توفرت لهم من إمكانيات عسكرية ومالية ، وحتى وان ابدى المربطين الحزم في الإصلاح الأمور فذلك لم يمنع من انتشار هذه الظاهرة ،ومن الثابت ايضاً ان اندلاع الفتن والثورات الداخلية واضطراب حالة الامن في المجتمع وخصوصاً أوقات ضعف السلطة يؤدي غالباً الى انتشار حوادث السرقة والنهب والقتل والمشاجرات الدامية ، وتشير النوازل الى حوادث عديدة (تسمى بالتدمية) ، ونظرا لما تشكله هذه المسائل من تهديد على الامن والاستقرار الذي يعد مطلبا حضاريا واجتماعيا وعليه لا نستغرب ونحن نتصفح بعض المصنفات النوازلية أو كتب الاحكام من ان نجد في أبوابها مسائل أفردت لمثل هذه القضايا ، فقد تحدث أبو الوليد الباجي عن احكامها ضمن فصل بيان احكام الديات والجنايات والفرية والسرقة (الباجي، 2006، صفحة 312) وخصها ابن رشد الحفيد بفصل الجنايات ، وهناك بعض الفقهاء ادرجها عنده بباب الجراح في حين عرفت عند بعض الفقهاء بمسائل الدماء والحدود ومهما اختلفت هذه المصنفات في تحديد نوع المسميات وابوابها من مسائل وقضايا إجرامية

فأنها تكاد تتفق حول تعريف للجريمة على انها تلك الأفعال الواقعية سواء على الأشخاص كالقتل والجراح ، او على ماله كالغصب والسرقة ، وهي أفعال تخالف الشرع الإسلامي تستوجب على فاعلها عقوبات محدودة من قصاص و الدية او تعزير .

المبحث الأول

التعدي على النفس

1- القتل غير العمدة (القتل عن طريق الخطأ)

من بين القضايا التي لا تشكل روحاُ إجرامية في المجتمع الاندلسي جرائم القتل الخطأ والاصابة الخطأ لانعدام القصد الجنائي فيها الذي هو أساس العقاب وانما مرادها الى عدم التبصر أو عدم الحذر أو عدم اتخاذ الحيطة اللازمة مما يؤدي الى الحوادث التي تعاقب عليها الشريعة بالنظر الى الفعل المادي ذاته ونتيجة الا بالنظر الى النية الجنائية ، ان حوادث القتل ، عدت اكثر الحوادث وقوعا وتكرارا في المجتمع سواء القتل العمد او عن طريق الخطأ كما هو الحال بالنسبة لرجل رمى بحجر أدى الى وفاة أمراء مجهولة (الونشريسي، د.ت، صفحة 2 / 287) ، تدور هذه القضية حول حادث قتلت فيه امرأة مجهولة الشخصية على اثر حجر رماها به شخص ولا يدرى ما اذ كان قد قصد قتلها عامد أ ام انه أصابها من فبل الخطأ ،وشهد عليه القوم واختلف اذا كإنو ان رماها عمدا وبغير قصد وامر القاضي حبس الرجل شهر ونصف وظل المتهم منكر الى القضية واصبح هناك للوث في الشهادة ،وحكم القاضي ان يقسم خمسين يمينا انه رماها عمداُ (الونشريسي، د.ت، صفحة 2 / 287) ، وقد وردت نازلة الى الفقيه والقاضي عياض عن من ادعى على رجل إسقاط ثناياه عمداً وقال المدعي عليه خطأ وقال رماني ورميته في حجر وارتطم في الأرض ثم رتفعت اليه الى ثناياه وقد سقطت في بطنه من شدة الضربة وجاوبه الفقيه :

ان يكون للذي سقطت ثناياه من الذي أقر بالجناية عليه بعد يمينه انه ما رماه تعمداً على غير وجه اللعب (القاضي عياض، 1997، صفحة 85) ، ومن القضايا المهمة التي عالجتها كتب النوازل قضايا القتل عن طريق العمد ووضع لها الحلول وعند دفع الدية المطلوبة وفق الشرع الإسلامي ، وردت مسألة الى الفقيه الونشريسي عن رجل رمى حجر فأصاب امرأة مجهولة فماتت من ساعتها ، تدور هذه القضية حول حادث قتلت فيه امرأة مجهولة الشخصية على اثر حجر ر ماها به شخص ولا يدري ما ذا كان قد قصد قتلها عامداً ام انه أصابها من قبيل الخطاء ، وشهد عليه القوم وحصل اختلاف في الشهادة اذ كان رماها عمداً او بغير قصد وامر القاضي حبس الرجل شهر ونصف وظل المتهم منكر الى القضية واصبح هناك للوث في الشهادة وحكم القاضي ان يقسم خمسين يميناً انه ما رماها عمداً (الونشريسي، د.ت، صفحة 2 / 289) ، وقد استفتي أبو عبد الله ابن الحاج التجيبي في نازلة جرح رجلاً بنطروح وضمه الى القاضي ابن رشد بقرطبة فأفتى بسجنه ونهض المجروح الى نطروح وزاد على الاجل الذي ضرب له فخاطب الحاكم الذي بنطروح ، وقال له ان لم تشهد ببينة على انه جرحه ولم يرد المجروح ، فحكم فيها ابن رشد بتحليف الجارح المدعى عليه ويخرج من السجن ويخاى سبيله وليس عليه أي دية (ابن الحاج، 2018، صفحة 3 / 663) .

ومن الجرائم التي حدثت في المجتمع الاندلسي وكان لها صدى في افراد المجتمع والتي استفتي فيها الفقيه الونشريسي ان امرأة وجدت مذبوحة وليس معها في المنزل غير زوجها ، سئل بعض الفقهاء عن هذه المسالة ابن فطيس وكان ابن فطيس قد سكن في منزل بعيد هو وزوجته بعيداً عن الناس نحو أربعة أشهر ليس معهما أحد غير زوجته في الدار ، وجدت مقتولة في دارها وجاء الى هذه الدار بعض افراد الشرطة لمعرفة أسباب الجريمة واتضح لهم لا يوجد أثر الى القاتل هل دخل على الدار او تسور عليها فلم يجدو شيئا ، وان زوجها معها في الدار ، وان أهلها طالبو بدمها فأجاب الفقيه : ان يسجن ويكون موثقاً في الكبل مضيقاً عليه في الحبس زمنا طويلاً ، ولم تقم عليه بينة وبقي على حاله فيقسم حينئذ في مقطع الحق خمسين يميناً انه ما قتلها ولا شارك في دمها ثم يسرح من السجن (ابن الحاج، 2018، صفحة 2 / 290) ، كان الى الفقهاء دور في فض الجرائم التي تحتاج الى حكم شرعي دون ان يكون هناك عدوات واحقاد وثارات بين افراد المجتمع ، وردت مسالة الى أبو عبدالله ابن الحاج في الادعاء على رجل بانه قاتل .

قال ابن الحاج : اذا ادعى على رجل في القتل ولم يكن عليه الا دعوى وليس عليه شهود فانه يحبس ، فاذا طال سجنه خلي سبيله بعد ان يحلف خمسين يميناً انه ما قتل الرجل ولا شاهد قتله وانه من قتله براء (ابن الحاج، 2018، صفحة 3 / 666) ، ومن القضايا التي حدثت في المجتمع الاندلسي وكان لبد لها حل وبت في امرها ستفتي بها الونشريسي ان امرأة ادمت على رجل بجرح

فاقمت بعد ذلك تأكل وتشرب نحواً شهر ، ثم ان الجرح الذي ادمت به اكن داخله قيحاً قبل ان يتبين برؤه فدعت الى الحجام وبقر عن الجرح المذكور وفتح الى مكان ثم بعد ذلك ماتت ولم يعرف سبب موتها هل بسبب الجرح القديم او سبب الحجام ، فأجاب : بأن التدمية القديمة صحيحة وان الجارح يؤخذ بدمها بعد القسامة للأولياء وربط الحجام أنما كان لأجل الأذى الذي كان فيه ولم تبرء المرأة والا تشبه المسائل التي نضرو بها لأن كل واحد من تلك الأفعال مستقل بنفسه ويقع الشك ، والمسائلة فعل واحد (الونشريسي، د.ت، صفحة 2 / 293) ، ومن المشاكل التي تحدث في المجتمع الاندلسي المشاكل عن طريق الخطأ وعلى سبيل المثال حادثة في البادية في دار واحدة جمعتهم تلك الدار ، قام احد الرجال بنشر فول على سطح الدار وصعد الى سطح الدار نساء مع الصبيان الى سطح الدار ، فاخذ الصبيان يتناولون الفول وجاء صاحب الفول ورماهم بالحجارة فقامت المرأة تنزل أولادها من على السطح المذكور فزلقت في حال نزولها فوقعت ووقع عليها ولدها الذي ارادت نزوله على بطنها وهي حامل وشكت بذراعها وبظهرها ثم استراحت وبقيت نحو الشهر فأخذها الطلق فأسقطت جنينها واشهر ان السقط إنما كان من اجل وقعتها ووقعة ولدها عليها وان صاحب الفول هو المسبب في ذلك فهل على صاحب الفول شيء ام لا ؟ ، فأجاب : اذ كان حامل الحجارة يرميها حتى يسرعوا في النزول وان السقط كان من سبب ذلك النزول ، لزم صاحب الفول غرة عبد أو وليدة يأخذها مريد السقط ، واذا لم يكن النزول النزول فعلا ، وان كان السقط لا من سبب النزول فلا شيء على صاحب الفول وبالله التوفيق (الونشريسي، د.ت، صفحة 2 / 294) .

ومن القضايا التي كانت في الماض والحاضر موجودة حتى هذه الفترة من الزمن هي ضرب المعلم الى الطالب ، والتي يجب ان يكون لها الحلول ، وقد استفتي الفقيه الونشريسي عن هكذا قضية ضرب المعلم احدهم فقتله ، عن معلم صبيان ضرب احدهم فمات ، فهل يقاد منه ، وهل للضرب محل لا يقوده كالأرجل والضهر ام لا ؟ وكيف لو ضربه على العمامة فمات ؟ او صاب السوط عينه ففقاها ، هل يقتص منه ام لا ؟ فأجاب : فان قدر موته فلا قود، فتحسن الدية على العاقلة وان أصاب عينه فعليه ديتها (الونشريسي، د.ت، صفحة 2 / 267) ، ومن القضايا التعنيف الموجودة في المجتمع ضرب الطالب من قبل الأستاذ فقد استفتي الفقيه الونشريسي في مسألة (اذا جاوز المعلم الحد في ضرب الصبي فعليه القصاص) ، فأجاب : هذا معلوم فيه جهل لأني قدمت لا يضرب الصبي وهو غضبان وضرب الصبي انما هو بالدرة الرطبة المأمونة كي لا يؤثر اثر سوء ويجتنب ضرب الرأس والوجه ، ولو ضرب صبيا ففقا عينه او كسر يده ، فان ضربه بالدرة على الأدب واصابه بعودها فالدية على العاقلة إذ فعل مالا يجوز له ، فاذا مات الصبي فالدية على العاقلة بقسامة وعليه الكفارة وان ضربه باللوح او بعصى فقتله فعليه القصاص لأنه لم يؤددن له ان يضربه بعصى ولا لوح (الونشريسي، د.ت، صفحة 2 / 269) .

ومن الأمور التي كانت تحصل في المجتمع الاندلسي هي المشاجرات والتي كانت تعرف بـ(النائرة) في الأماكن العامة والأسواق والازقة والرباض ويذكر ان شجار حصل بين أهل قلشانة بين طرفين احدهما كان محمد بن عبد الحميد وبنو عمه ، والطرف الثاني يعرفون بأولاد مرق الأرض وقعت بينهم جراحات ، وقع جرح بأحمد بن كامل في مقدمة حاجبه من الجانب الأيمن ، فسئل عن ضاربه فقال عبد الكريم المعروف بابن مرق الأرض ، ثم بعد عام انتقض عليه الجرح فشهد أبو المجروح انه عاين عظما خرج منه فصار منقلة ثم بعد أعوام توفي المجروح قتيلا ، فقام اخوة المجروح بالقصاص من الذي جرح اخوهم وانه كان سبب ذلك الشجار ، واستظهر ايضاً بعقد مشهود وبخط داود اخبر عبد الحميد انه لما كانت النائرة وتحامل أولاد عمي وهم جماعة عبد الحميد لا شهود ولا غيرهم في النائرة المذكورة واعتذر عبد الحميد ببعض ما اعتذر فيه الجارح المذكور ، فأجاب : اذا ثبت ان عبد الحميد الشاهد هو المثير للشر وانه حامل للعدة فشهادته مردودة ، ويقتص مستحق الميراث بالشجة من عبد الكريم او يترك ، فينبغي استعمال القاضي نظره فان ثبت عدالة الشاهد واستمرارها حكم بشهادته وان لم يثبات وقويت التهمة أوقفت شهادته ولو يقضي بها (الونشريسي، د.ت، صفحة 2 / 269) .

ومن القضايا التي كانت تحصل في المجتمع الاندلسي وفي الأسواق خاصة حصلت نائرة بين رجل وجزار وسبب ذلك اختلف الرجل مع الجزار على شيء فالقي الجزار يده في سكين كانت في يد الجزار فاجتذبها ثلاثة أصابع من الرجل استفتي ابن بشتغير في ذلك الامر : فأجاب ان لم تكن للرجل بينة حلف الجزار ثم قال : يسجن الجزار ، لأن هذا يمكن ان يكزن من افعالهم (أبن بشتغير، 2008، صفحة 307) .

2- القتل العمد :

اولت المنظومة الفقهية الاندلسية أهمية بالغة للمظاهر السلوكية الواجب اتباعها في المجتمع ، وفقا لما أقره الشرع من قواعد واحكام تضبط شبكة العلائق والتفاعلات الاجتماعية بين الفرد الاندلسي ومجتمعه ، ومنها تجنب اية سلوكيات قد تحدث ضررا على الاخرين سواء في انفسهم او أموالهم حتى في املاكهم ،ولاريب اذن ان تحظى مسألة الجناية وقضايا الاعتداء على النفس والمال بحيز كبير ضمن الكتب الفقهية التي اسهب في تعريفها ، وذكر مسائلها واركانها كما طرحت بشكل تفصيلي المسؤولية الجنائية في الشريعة الإسلامية (بلهواري، د.ت) ، ونظرا لما تشكله هذه المسائل من تهديد على الامن والاستقرار الذي يعد مطلبا أخلاقيا إنسانيا بقدر ما اضحى حضاريا واجتماعيا هاما ، وعليه لا نستغرب ونحن نتصفح بعض المصنفات النوازلية او كتب الاحكام من ان نجد أبوابها مسائل افردت لمثل هذه القضايا ، ومهما اختلفت هذه المصنفات في تحديد نوع المسميلت وابوابها من مسائل وقضيا جنائية او جراميه فأنها تكاد تتفق حول تعريف موجود للجناية على انها تلك الأفعال الواقعية سواء على الأشخاص كالقتل والجرح ، او على ماله كالغصب والسرقة ، وهي أفعال تخالف الشرع الإسلامي تستوجب على فاعلها عقوبات محددة من قصاص او الدية او التعزير، ومن القضايا الاجرامية التي وقعت خلال عصر الطوائف والمرابطين كان هناك القتل العمد وقد ذكر ابن سهل هذه الجرائم في عدة مواضع ، وقعت اثنين منها بالربض الشرقي بقرطبة خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري – الحادي عشر ميلادي على عهد ابن جهور (أبن سهل ، 1995، صفحة 1 / 702 . 710) ، وان أسباب هذه الجرائم مجهولة الدوافع وليس لأمر الغريب بالنظر الى طبيعة النص الفقهي الذي كثير ما كان به الغموض وللبس بالنسبة للقضايا الإجرامية والتي بتستر السائل عن قولها ولارتباطها بالجانب الفقهي القانوني والتشريعي ، ولا نستبعد ان هذه الجرائم تعود الى أسباب خلافات اسرية او الى وجود نزاعات الزوجين ، ويكون للدافع الاخلاقي في كثير من الأحيان دور هام في حدوثها أيضا (ابن سهل ، ص 701) ، وهناك سبب اخر الى هذه الجرائم هو الدور المادي والميراث (ابن الحاج، 2018، صفحة 98) .

وقد وردت مسألة الى ابن رشد الجد حول مسائل للتدمية منها حول رجل دمى على اخر مما أدى الى وفاته (أبن رشد، د.ت، صفحة 2 / 1068) ، بالإضافة الى حادثة وقعت بإشبيلية المتعلقة بقيام رجل بالتدمية على رجل اخر ، ونجد ضمن هذه المسائل نازلة بخصوص جريمة قتل حدثت في الحصون الشرقية العتيقة سنة (510هـ / 1116م) راح ضحيتها رجل من اعيانها بحيث وجد في داره مقتولا مجرد من ثيابه بعد تقيده وخنقه ، وقد تبين بعد التحري والتقصي حول مقتله ودراسة حيثيات المسألة أن الجاني الذي اقدم على فعل ذلك فتى كان يؤنسه في المبيت معه بايعاز من صهره وجماعة من أهل الشر ، وعلى ما يبدو ان دوافعها واسبابها تعود الى السرقة (أبن رشد، د.ت، صفحة 2 / 772) .

ومن الأمور التي كانت سائدة في المجتمع الاندلسي في قضايا القتل العمد المطالبة بدم المقتول عند القاضي او الفقيه واقامت القصاص من الجاني قد وردت نازلة الى القاضي الفقيه أبو عبدالله ابن الحاج : نزلت بغافق رجل قتل ببينة وله ام واخ للاب وابن عم للصلب واخوات صغار ، فأجاب : انه لا ينظر في هذا للأخوات ولا يقدم عليهن في الدم ولا يحتاج الى ذلك ، وتخرج المسألة على نو للام من الولاية في الدم العمد شيء لا في عفو ولا في قيام إلا ان يصير ذلك مالاً يرث فيه ، لأني لا أجدها من ولاته ولا من قومه ، وقد افتى بوجوب القتل للأخ وابن العم وكان ذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من ربيع الأول سنة (516هـ / 1122 م) فقتله قبل صلاة الجمعة (ابن الحاج، 2018، صفحة 3 / 660) .

وقد حدثت تدمية في كورة اجيان عن رجل احدث تدمية على رجل اخر وقد بعث قاضي اجيان الى الفقيه ابن رشد في هذه المسألة انه أصيب رجل عمد في جروح على سبيل العمد وان الذي فيه القصاص يدعى عبد الرحمن المعروف بابن العربي من ساكني قرية كانبش السفلى من قرى اجيان وثبتة التدمية عليه عند موت المدمى من جراحه المذكورة من الورثة وان اخوه وابوه احق في القسامة ، وقد انكر عبد الرحمن انه القاتل وارسل الى قريته للتأكد من انه من اهل القرية وثبت انه من اهل القرية ونه انكر ذلك ، جوب ابن رشد في ذلك ان يقسم والد المقتول خمسين يمينا واخوه كذألك خمسين يمينا انه هو القاتل في يوم الجمعة قبل العصر ان الجرح الذي أصاب ابنه من قبل عبد الرحمن وتوفي على اثر ذلك ، يحق لهم قتل من قتل ابنه بالسيف على احكام الشرع (أبن رشد، د.ت، صفحة 2 / 1212) .

وكان القضات والفقهاء كثيراً ما يولون الاحداث التي تحصل في المجتمع الاندلسي باهتمام ودقة اكثر من باقي القضايا الأخرى اذ فيها القصاص من المذنب حسب الشرع الإسلامي ويذكر ان رجل دخل في نائرة (مشاجرة) مع رجل اخر على مسرح فضربه بسكين فسقطه ميتا بمعاينة شهود ، وشهدوا انه قتله على الفور وله ورثة وهم اخوان شقيقان وام واخت وإن احق الناس بالقيام بدمه اخواه وتلو كلهم من يخصم من القاتل وثبت ذلك ، وبعد شهادات الشهود ان القتل كان عمد ، يجب في ذلك القسامة للأخوين وكان ذلك سنة 519هـ ، وان على الأخوين أداء خمسين يمينا (ابن الحاج، 2018، صفحة 3 / 662) .

وكثيرا ما كان يرمى رجل بدم رجل اخر ولا توجد بينة على ذلك ويذكر ان رجل رمى رجلاً بدمه ثم مات والمطلوب غائب فأراد الاولياء ان يقتسموا بأمر القاضي ، ويشهد لهم على الدم فقال : لا يقسم حتى يحضر وتعرف حجته (أبن بشتغير، 2008، صفحة 311) ، وفيمن دمى على رجل فشهد من الشهود التدمية جماعة انه دمى قبل ذلك رجل اخر سماه سئل الفقيه ابن رشد عن هذه المسألة في مدينة اشبيلية ان رجل تهم في قتل رجل ثم انكر ذلك واتهم رجل اخر في القتل وأعترف انه اتهم هذا الرجل بالباطل وقد حكم ابن رشد في هذه المسألة ان الذي للطخ في الدم والشبهة حتى أهله يتمنون له الموت من طول حبسه فأن طال حبسه ولم تظهر براءته استحلف خمسين يمينا واخلي سبيله (أبن رشد، د.ت، صفحة 1 / 577) .

وكثير ما نرى ان بعض القضايا كانت من غير دليل في المجتمع وتقوم على الضن والشبه وقد وردت مسألة الى أبو عبد الله ابن الحاج في الادعاء على رجل بأنه قتل قال ابن الحاج : أذا ادعى على رجل بالقتل ولم يكن الا على دعوى فقط فانه يحبس ،فاذا طال سجنه خلي سبيله بعد ان يحلف خمسين يمينا انه ما قتل الرجل ولا عان على قتله ولا امر بقتلة ولا شارك في قتله ، ولا شاهد قتله وانه من قتله لبري (ابن الحاج، 2018، صفحة 3 / 666) ، ومن فئات المجتمع العبيد فقد كانت تحدث بعض المشاكل لهم فقد اتهم عبد في قتا رجل وثبت انه جرحه ثم برئ أولياء الدم يريدون القسم في اليمين وجاوب ابن الحاج عن ذلك : ان يضرب مائة ويخلى وقد ثبت جرحه وعلى سيده يفديه بدية المقتول او يضرب العبد مائة ولا يحبس وقيل يحلف العبد خمسين يميناً ويضربه مائة (ابن الحاج، 2018، صفحة 3 / 665) .

وقد وردت نازلة الى الفقيه الونشريسي في من قتل رجلا وقتله اخر فأجاب : عمن قتل رجلا له أولياء واولاد صغار فعد عليه رجل فقتله ، لأولياء الأول قتل القاتل الا ان يرضيهم أولياء الثاني فيصير الطلب لهم من العفو او القتل او الصلح ، ومن كان أولاده صغار نظر لهم وليهم ان كان ، او السلطان ، وله العفو على اخذ الدية (الونشريسي، د.ت، صفحة 2 / 276) ، وقد وردت نازلة الى الفقيه أبو عبد الله ابن الحاج في من امر رجلاً بقتل رجل فقتله ، وقتل دون الامر قال القاضي ابن الحاج : هذا بخلاف القاضي يأمر بقتل رجل ظلما فانه يقتل هو والمأمور (ابن الحاج، 2018، صفحة 3 / 669) .

وكثير ما كان تحصل خلافات بين افراد المجتمع فيمن هو ولي الدم في حالات القسامة بين افراد الاسرة وقد استفتي الفقيه القاضي ابن الحاج التجيبي فيمن هو أولى بولاية المقتول عند استواء الأولياء في المقتول رجالاً ونساء ، اذا استوى الاولياء في المقتول فمن قام منهم بالدم فهو الولي إلا ان يجتمعوا على العفو إذا استووا في العقد وان اختلفوا فالأقرب أولى بالقيام بالدم او العفو من الا بعد وان كان بقسامة فليس للنساء شيء (ابن الحاج، 2018، صفحة 3 / 659) ، وردت مسألة في القسامة الى أبو عبد الله ابن الحاج في القسامة وكانت يوم الجمعة الثاني عشر من جماد الاخر من سنة (516 هـ) وذلك في رجل دمى على رجل عمداً او شهد على المدمى والمدمى عليه ، وثبت موت المدمى وتخلف اولاداً صغار ثلاثة اكبرهم سنا ابن أربعة أعوام وثبت ان للمدمى اخا كبيراً وابن اخ كلاهم للاب وافتى ابن الحاج انا وغيري من المفتين أن للأخ الكبير ولا بن الأخ ان يقسموا ويقتلوا ، ولا يلتفت في ذلك الى الصغار ، لاسيما وهم لم يقاربوا البلوغ فأنفذت القسامة في اليوم المذكور .

المبحث الثاني

التعدي على المال

1- السرقة الصغرى :

أذ كانت حوادث السرقة ذات أهمية من حيث ترددها في كتب النوازل وشيوعها في المجتمع الاندلسي والظاهر انها سميت السرقة الصغرة وتميز لها عن سرقة الكبرى التي تعني الحرابة ، ذلك ان الفرق بينهما يمكن في ان السرقة الصغرى هي اخذ المال بغير علم المجني عليه ، أي خفية ودون مغالبة على عكس الحرابة التي تكون برضا المجني عليه ولكن على أساس المغالبة (عبد القادر ،

د.ت، صفحة 515 . 516) ، ويتضح لنا من خلال المعطيات التاريخية الواردة لدى ابن عذاري حجم معاناة سكان قرطبة من للصوص الذين كانوا أكثر ضراوة في السرقة في خبر السارق الذي سرق بيت مال السلمين في قرطبة (ابن عذاري، د.ت، صفحة 2 / 221) (ابي العباس احمد بن محمد المراكشي ، ت:712هـ ، البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الاندلس والمغرب ، تحقيق / بشار عواد ، دار الغرب الاسمي ، بيروت ، ج2، ص221) ، ويذكر المقري صفاتهم " شطارتهم وكثرة شرهم واعيائهم في أمور التلصص " (المقري، 1900، صفحة 1 / 219) ، ويعد السارق البازي الاشهب الذي كان مسلطا على اهل البادية من احواز إشبيلية في عهد الطوائف اكثرهم شهر في هذا المجال ، اذ عرف عنه التألق فيما اعتبر من فنون السرقة ، كما اشتهر بامتلاكه لكل غريبة فيها ، لم يسبقه إليها احد اللصوص الى درجة انه سرق وهو مصلوب ، وذكر المقري انه انتظم فيما بعد ضمن حرس احواز اشبيلية بعد ان عفا عنه ملكها المعتمد ابن عباد (المقري، 1900، صفحة 4 / 128) ، وهو يكشف لنا عن واقع الحال الذي آلت اليه السياسة العسكرية ابان عصر الطوائف اين انخرطت ضمنها بعض العناصر المنحدرة من للصوص وقطاع الطرق ممن اضحى معول عليهم في تدبير الامارة ومباشرة الأمور الحربية ، وفي نهاية العصر المرابطين اصبح للصوص يلجؤون الى النساء المرابطيات للاحتماء بنفوذهن (بوتشيش، 1979، صفحة 192) .

ويصور المراكشي ذألك بقوله " استولى النساء على الأحوال واسندت اليهن الأمور ، كذألك استعملت السلطة المرابطية بعض قطاع الطرق في حرب الموحدين وكان علي بن يوسف بن تاشفين قد استخدم رجلا يعرف بالفلكي الاندلسي كان فاتكا شهما قاطع طريق وعفا عنه وسد به مراكش (مؤلف مجهول، 1963، صفحة 113) .

وقد وردت مسألة الى أبو عبد الله ابن الحاج " انه جاء ليه لصوص واعترفوا انهم سرقوا دار احد المؤمنين وانهم ندموا على فعلتهم " (ابن الحاج، 2018، صفحة 2 / 286) ، وأجاب ابن الحاج : رغم اقرارهم بالذنب والسرقة يجب ان يقام عليهم الحد حتى لو كان مقدار السرقة ربع دينار (ابن الحاج، 2018، صفحة 2 / 286) ، وقد وصفهم ابن عبدون " ممن له شعر طويل او يحلق ويؤدب ويجبر على ذلك ، فان ذلك علامة اهل الشر والدعرة " (أبن عبدون، 1955، صفحة 1 / 55) .

وقد استفتي الفقيه الونشريسي قال ابن عرفة بقتل بني عامر وغبرهم من قطاع الطرق (الونشريسي، د.ت، صفحة 2 / 435) ، اهتم ابن الحاج في قضايا السرقة في المجتمع الاندلسي وذلك اذ وضع شروط إقامة الحد السرقة وهي ان يكون السارق بالغاً سواء كان حراً او عبداً مسلما او كافراً ذكراً او انثى (ابن الحاج، 2018، صفحة 3 / 571) ، نعكس موقف بعض الفقهاء مما كان يباع في الأسواق الاندلسية عامة من منتوجات وسلع ، وما وصلت اليه اعمال السرقة واللصوصية من انتشار واسع ، حتى ان احد المحتسبين ذهب للقول " بان اكثر ما يباع فيها من المسروقات " (أبن عبدون، 1955، صفحة 1 / 31) ، وكان الفقيه ابن ميقل (ت : 436هـ / 1044 م) الذي سكن قرطبة منذ صباه وخرج اليها بعد الفتنة سكن مرسيه انه " لم يأكل لحما الطير او حوت او صيد ولا لبس خفا إلا من جلود ميورقة " (أبن بشكوال، د.ت، صفحة 2 / 770) .

اقترنت اعمال اللصوصية أحيانا بفترات المجاعة ونقص الغذاء فما من شك انه كلما داهمت ازمة المجاعة المجتمع الاندلسي ، كما وقع في سنة (487هـ / 1094 م) انعدمت فيها الاقوات (ابن عذاري، د.ت، صفحة 4 / 38) ، وشدت على اثرها الجوع المجتمع الاندلسي بتلك الفئات نتيجة الحروب والتغيرات المناخية ،ان يسارع هؤلاء الى السرقة او للانضمام الى اللصوص وقطاع الطرق وهو ما ذكره ابن عذاري " فكانوا مع استيلاء الجوع يغارون على من قرب منهم ويغدرون على من مر بهم من رفاق المسلمين وطالبي المعاش " (ابن عذاري، د.ت، صفحة 4 / 38) ، وقد ذكرت كتب النوازل والاحكام إشارات حول سرقة الطعام وغصبه في هذه المرحلة التاريخية (أبن رشد، د.ت، صفحة 2 / 1168) ، كانت طبيعة الأحوال الاقتصادية كان لها دور في انتشار السرقة وفق ما أشار اليه ابن خلدون حينما ربط وجود هذه الظاهرة وطبيعة الأحوال الاقتصادية من جهة زيادة نفقات الدولة من جهة أخرى وذكر ان زيادة النفقات تجبر على السرقة وللصوصية في ظل زيادة النفقات على الفرد في المجتمع الاندلسي (ابن خلدون، 2004، صفحة 435) .

وقد عمد الاندلسيون الى إقامة اسوار جديدة او ترميم القديمة منها التي كانت احدى الحلول الى الحد من السرقة وقد وردت مسالة الى ابن الحاج في هذا الامر اذ ذهب بعض الجيران الى التحصين على انفسهم بإصلاح الدروب واقامتها (أبن بشتغير، 2008، صفحة 435) ، كان من الطبيعي امام اتساع دائرة اللصوصية واستفحال خطرها في المجتمع الاندلسي ان تتشدد الإجراءات الأمنية

بشأنها ، حتى انها افضت الى وجود خطة الطواف بالليل التي عرفت آنذاك باسم الدرابين (المقري، 1900، صفحة 1 / 223) ، والظاهر انها لم تكن ذات فعالية تسمح لها بالحد منها او تكفل منع انتشارها ، وذلك ما اكد عليه ابن عبدون عند توجيه الى المحتسب ودوره في مراقبة الحرس والعرفاء بضرورة تكثيف دورياتهم الليلية " لان السراق والذعرة يرتقبون مشي الحراس وينطلقون بعد ذلك لطلب الشر والفجور " (أبن عبدون، 1955، صفحة 57) ، وقد اهتمت السلطة المرابطية في الجهاز الإداري التابع لها بضرورة تعقبهم ، اذ جاء في احدى الرسائل الديوانية التي كتبها ابن خاقان على لسان احد الامراء المرابطين الموجهة الى صاحب الشرطة " بأن يذكى العيون على الجناة وينفي عنهم لذيذ السناة ، ويفحص عن مكانهم حتى يغص بالروع نفس امنهم ، فلا يستقر لهم موضع " (المقري ش.، 1940، صفحة 5 / 102) .

وقد وردت نازلة الى الفقيه البرزلي في رجل اتهم بسرقة فجحد وقال ،انه لا دينار له ولا درهم ، ثم بعد ذلك بيسير قامت عليه بينة بانه صرف دينار ، فأجاب : ما شهد به على نفسه ضعيف لكن اتهم وهو من اهل الريب يشدد عليه القاضي بالسجن والضرب ان راه لعله يظهر ما تهم به (البرزلي، 2002، صفحة 6 / 156) ، استفتي الفقيه البرزلي في رجلين سرقا دار قال موسى انا هو كنا على سطح الدار هو يناولني الثياب من سطح الدار يرميها خارج الدار ثم حملنا الثياب انا وهو ، وجاوب : اقرارهما يوجب عليهم الحد حتى ولو كان مقدار ربع دينار (البرزلي، 2002، صفحة 6 / 157) .

2- السرقة الكبرى (الحرابة)

يظهر ان اعمال السرقة ازدادت استفحالا في المجتمع الاندلسي الى درجة أضحت فيها هذه اكثر خطورة ، بل اكثر تهديد للطرق والمسالك حينما اتخذت طابع الحرابة ، وان كانت هذه الظاهرة لا تتردد بشكل كبير في النوازل الفترة مقارنة بحوادث الغصب والسرقة الصغرى ، غير ان هذا الامر بلغ حقيقة وجودها في المجتمع وفق ما اشارت اليه المسالك والسبل خلال عصر الطوائف ، من خلال ما ذكره المؤرخ ابن الخطيب قائلا : " كثر التعدي في الطرق ، والدوابر في السبيل ، والفتك بالرفاق " (ابن الخطيب، 1956، صفحة 249) ، وملاحظ ان ابن الخطيب اصطلح على هؤلاء الأشخاص المنقطعين لمزاولتها لقب الدوابر او الدوائر ، وهو المصطلح الذي اطلقه اهل الاندلس عامة أولئك " الصعاليك الذين يشورون في الحصون ، فينقطعون الطرقات ولا يعطون طاعة " (ابن الخطيب، 1956، صفحة 209) ، اما كتب الاحكام والفتاوى ، فتكاد تجمع على استعمال مصطلح المحاربين او الحرابة للدلالة على التجاوزات التي كان يقوم بها للصوص من السرقة ، والقتل وقطع الطرق في الأماكن البعيدة عن صولة السلطان الذي لم تكن له مقدرة على مراقبتهم او حمايتها ، ويعرفهم ابن رشد الحفيد بقوله : " ان المحارب كل من اشهر السلاح ، وقطع السبيل خارج المصر " غير انه اختلف فيمن حارب داخل لمصر او خارجه (ابن رشد ، د.ت، صفحة 4 / 415) ، كما يجمعون على ان القطع يتضمن جميع المنقولات التي يجوز بيعها واخذ العوض عليها (الباجي ا.، 1913، صفحة 7 / 171) .

وفي المال وقع اختلاف في تحديد القطع ، فقيل ربع دينار فاكثر وقيل أحيانا أخرى ثلاثة دراهم ، وذكر بعض المؤرخين إشارات ما يعضد قول ابن الخطيب عن هؤلاء الدوائر ، ففي أولية الدولة العبادية بإشبيلية ثار من ناحية الغرب بحصن مارتلة احد الثوار فعمل على قطع السبيل ، واخافة الطرق وقتل من وجد من المسلمين واستفحل امره الى درجة انتهت بها الاستيلاء على اشبيلية غير ان نهايته كانت على يد قاضيها محمد بن عباد (ت : 433هـ / 1041م) الذي قبض عليه وقام بصلبه (العذري، د.ت، صفحة 107) ، مما يعكس واقع الحال الذي باتت تشكل فيه هذه الظاهرة ما يشبه حركة سياسية منظمة من انساق فكرية صيغت من طرف زعمائها في شكل اخلاق الفتوة والشطار .

وكان هناك سنة (492 هـ / 1098 م) ، سعيد بن محمد بن ريفل الثأر بحصن شقوره اذ كان يجمع الضرائب في تلك الناحية ليضمها فيما بعد الى بيت المال ، وذكر هذه القضية عند الفقيه الونشريسي " نما وكسب من وراء ذألك المال الكثير ، وحصل على أصولا ورباعا ، ولم يعلم له قبل قيامه في هذا الحصن المذكور مالا ولا حالا " (الونشريسي، د.ت، صفحة 9 / 539) ، ومن الغير المستبعد ان يكون العبيد الابقين قد شكلوا رافد هاما امد هذه الحركة بعناصر منتسبة اليها جائحة الى الحرية وراغبة عن الخضوع للممالك (الجمعاطي ، 2010، صفحة 118) ، وأشار ابن الأحمر الى ذألك الامر ان السفر قد انقطع لكثرة النهب ولوجود قطاع الطرق كذألك (أبن الاحمر، 1974، صفحة 31) ، وممن تعرض لهم اللصوص فسلبوهم أموالهم الفقيه محمد بن عبد الله الصقلي التاجر (ت : 518 هـ / 1124م) الذي كان الى غرناطة فسلب في طريقه إليها من لدن اللصوص (الاوسي، 1984، صفحة 8 /

312) ، وكان استقرار هؤلاء اللصوص في الأماكن الخالية او التمركز في المحاور التجارية والا سيما زمن الصيف ، ومن العلامات التي تميزهم عن غيرهم شعورهم الطويلة التي كانت تزيدهم هيبة وحملهم للخناجر والرماح بغية تخويف الناس (أبن عبدون، 1955، صفحة 1 / 55) ، بالرغم من ان اثبات هذه الجريمة كان يتم بالإقرار والشهادة معا وبعقود وتثبت ان فلان كان محاربا وانه قتل واخذ أموال الناس (الونشريسي، د.ت، صفحة 2 / 323) ، غير ان شهادة المسلوبين على الذين سلبوهم كانت أحيانا كافية لإثبات جريمتهم تلك وبالحكم عليهم برد ما اقتطعوا من أموال الناس (ابن رشد ، د.ت، صفحة 4 / 224) ، ومهما اختلفت الاحكام الشرعية بخصوص أولئك المحاربين فانه لا يخفى علينا ان هذه الظاهرة عرفت انتشار واسعا في المجتمع الاندلسي افضى الى تشعب الاحكام الشرعية والقانونية الخاصة بها .

قائمة المصادر والمراجع :

ابراهيم القادري بوتشيش. (1979). مباحث في تاريخ الاجتماعي للمغرب والاندلس خلال عصر المرابطين . بيروت: دار الطليعة.

ابن عبد الملك الانصاري المراكشي (ت : 703 هـ) الاوسي. (1984). الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة. (تحقيق ، محمد بن شريفة، المحرر) بيروت: دار الثقافة.

أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت : 578 هـ) أبن بشكوال. (د.ت). الصلة في تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم. (تحقيق ، ابراهيم الابياري، المحرر) بيروت: دار الكتاب اللبناني.

أبو الوليد اسماعيل أبن الاحمر. (1974). بيوتات فاس الكبرى. الرباط: دار المنصور للطباعة والوارقة.

ابو الوليد بن سليمان بن خلف التجيبي (ت : 474 هـ) الباجي . (1913). كتاب المنتقى وشرح موطأ الامام مالك . مصر : دار الهجر .

ابو الوليد سليمان بن خلفبن سعد أيوب التجيبي الباجي. (2006). فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام. (تحقيق ، محمد أبو الجفان، المحرر) السعودية: دار بن حزم.

أبو عبد الله محمد بن أحمد التجيبي (ت : 529 هـ) ابن الحاج. (2018). نوازل أبن الحاج. (تحقيق ، أحمد شعيب اليوسفي، المحرر) المغرب: مطبعة تطوان.

ابي العباس أحمد بن يحيى (ت : 914 هـ) الونشريسي. (د.ت). المعيار المعرب والجامع المغرب عن الفتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب. (تحقيق ، محمد حجي، المحرر) المملكة المغربية: نشر وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية.

ابي العباس أحمد بن محمد (ت : 712 هـ) ابن عذاري. (د.ت). البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الاندلس والمغرب. (تحقيق ، بشار عواد، المحرر) بيروت: دار الغرب الاسلامي.

ابي القاسم بن أحمد البلوي (ت : 841 هـ) البرزلي. (2002). فتاوى البرزلي جامع مسائل الاحكام لما نزل من قضايا بالمفتين والحكام. (تحقيق ، محمد حبيب الهيلة، المحرر) بيروت: دار الغرب الاسلامي.

أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت : 520 هـ) أبن رشد. (د.ت). تاريخ علماء الاندلس. (المختار بن طاهر، المحرر) بيروت: دار الغرب الاسلامي.

أبي لاصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الاسدي (ت : 486 هـ) أبن سهل . (1995). الاعلام بنوازل الاحكام المعروف بالاحكام الكبرى. (تحقيق ، نورة محمد عبد العزيز، المحرر) د.م: د.ن.

أحمد بن سعيد اللورقي المالكي (ت : 516 هـ) أبن بشتغير. (2008). نوازل أحمد بن سعيد بن بشتغير. (تحقيق ، قطب الريسوني، المحرر) بيروت: دار بن حزم.

أحمد بن عمر ابن الدلائي (ت : 478 هـ) العذري. (د.ت). نصوص عن الاندلس (المجلد تحقيق ، عبد العزيز الاهوائي). مدريد: معهد الدراسات الاسلامية.

شهاب الدين أحمد بن محمد (ت : 992 هـ) المقري. (1940). ازهار الرياض في اخبار عياض. (تحقيق ، محمد السقا، المحرر) القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة.

شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت : 1041 هـ) المقري. (1900). نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب. (احسان عباس، المحرر) بيروت: دار صادر.

عبد الرحمن ولي الدين الاشبيلي (808 هـ) ابن خلدون. (2004). المقدمة. (تحقيق ، عبد الله محمد درويش، المحرر) دمشق: دار البلخي.

عبد السلام الجمعاطي . (2010). النقل والمواصلات بالاندلس خلال عصري الخلافة والطوائف (316 . 483 هـ) . الرباط: منشورات دار الامان.

عودة عبد القادر . (د.ت). التشريع الجنائي الاسلامي مقارنا بالقانون الوضعي . بيروت: دار الكتاب العربي.

فاطمة بلهواري. (د.ت). الجناية في المجتمع الغرب الاسلامي من خلال كتب النوازل . دبي: مجلة آفاق الثقافة والتراث ، العدد 86.

لسان الدين السلماني (ت : 776 هـ) ابن الخطيب. (1956). اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الاسلام. (تحقيق ، ليفي بروفنسال، المحرر) بيروت: دار المكشوف.

محمد بن أبي محمد (ت : 525 هـ) أبن عبدون. (1955). ثلاث رسالة اندلسية في ادأب الحسبة والمحتسب (المجلد تحقيق ، ليفي بروفسنال). القاهرة: المعهد الفرنسي.

محمد بن أحمد بن محمد الحفيد (ت : 595 هـ) ابن رشد . (د.ت). بداية المجتهد. (تحقيق ، محمد صبحي حسن، المحرر) القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

موسى بن عياض اليحصبي (ت : 544 هـ) القاضي عياض. (1997). مذاهب الحكام في نوازل الاحكام. (تحقيق ، محمد بن شريفة، المحرر) بيروت: دار الغرب الاسلامية.

مؤلف مجهول. (1963). الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية. (تحقيق ، سهيل زكار، المحرر) الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة.

Bochich. (1998). Investigations into the social history of Morocco and Andalusia during the Almoravid era. Beirut: Dar Al-Tali'ah.

Abu Abbas Ahmed bin Yahya Al-Wansharisi. (1983). The Arabized and comprehensive standard of Morocco based on the fatwas of scholars from Africa, Andalusia, and Morocco. Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Abu Al-Fadl Ayyad Al-Yahsbi Al-Sabti, Judge Ayyad. (1990). The doctrines of the rulers regarding the calamities of rulings. Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Abu Al-Qasim Khalaf bin Abdul Malik Ibn Bashkwal. (1966). Relevance. Cairo: Egyptian House for Authoring and Translation.

Abu Saeed Al-Taghlabi Al-Shatibi Ibn Lubb. (2004). Ibn Lubb's calamities. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Abu Abdullah Al-Tajibi Ibn Al-Hajj. (1985). Calamities of Ibn al-Hajj. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Abu Abdullah Al-Qadha'i Ibn Al-Abar. (1985). Hilla biography. Cairo: Dar Al-Maaref.

Abu Al-Hassan Ali Ibn Bassam. (1979). Ammunition in the virtues of the people of the island. Beirut: House of Culture.

Abu Al-Abbas Ahmed bin Yahya Al-Wansharisi. (1981). The Arabized and comprehensive standard of Morocco for the fatwas of the people of Africa, Andalusia, and Morocco. Rabat: Ministry of Endowments and Islamic Affairs in the Kingdom of Morocco.

Abi Al-Qasim bin Ahmed Al-Balawi Al-Barzali. (2002). Al-Barzali's fatwas compiled on issues of rulings, based on what was revealed about the issues by the ruling muftis. Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Abu Abdullah Muhammad Ibn Abi Zamanin. (1999). Selected rulings. Cairo: Al Rayyan Foundation.

Ahmed bin Saeed Al-Lurqi Al-Maliki Al-Gharnati Ibn Bashtgir. (2008). Ibn Saeed's calamities. Beirut: Dar Bin Hazm.
Ahmed bin Ghoneim bin Salem Al-Nafrawi Al-Maliki Al-Azhari. (1997). Al-Fawakih Al-Dawani on the message, Ibn Abi Zaid Al-Qayrawani. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Ahmed bin Muhammad Al-Andalusi bin Abd Rabbo. (1979). Unique contract. Beirut: Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution.
Ahmed bin Muhammad Al-Marrakshi Ibn Adhari. (1983). Al-Bayan Morocco in the news of Andalusia and Morocco. Beirut: House of Culture.
Ahmed bin Yahya bin Amira Al-Dhabi. (1967). In order to seek the petition in the history of the men of the people of Andalusia. Cairo: Dar Al-Katib Al-Arabi.
Al-Taher, Makki. (1993). Studies on Ibn Hazm and his book Tawq al-Hamam. Cairo: Dar Al-Maaref.
Al-Fath bin Muhammad Al-Qaysi Al-Shabili Ibn Khaqan. (1966). Eagle necklaces in the virtues of notables. Tunisia: Al-Atiqa Library.
Bashir Abdel Rahman. (2014). Moroccan women in the calamities of Abu Al-Qasim Al-Barzali. Algeria, Oran University: New Ages Magazine, Issue 11-12.
Taqi al-Din al-Eid Ibn Daqiq. (1994). Ahkam Al-Ajkam explanation of Umdat Al-Ahkam. Cairo: Sunnah Library.
Jalal al-Din al-Suyuti. (.). Nizhat Al-Jalasa in Women’s Poetry. Cairo: Library of the Qur’an.
Khairuddin Al-Zirkli. (2002). Notable People: A dictionary of biographies of the most famous Arab men and women, Arabs, and Orientalists. Beirut: Dar Al-Ilm Lilmalayin.
Al-Bembe, Ali Abdel Raouf. (2002). History of Islamic Spain, systems and institutions. Cairo: Supreme Council of Culture.
Habib Al-Janhani. (1978). Islamic Morocco economic and social life. Algeria: Tunisian Publishing House.

العقود في الدولة الفاطمية
(دراسة تأريخية)

م.د. حكمة لفتة صگر

hkmetalkinany@uomustans:riyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم التاريخ

الملخص:-

تناولنا في بحثنا هذا العقود في الدولة الفاطمية، اذ ان موضوع العقود من المواضيع المهمة والتي استخدمها الانسان على مر العصور للحاجة الماسة لها، فالتوثيق زيادة على انه سنة شرعية أمرالله بها في كتابه الكريم فأن له أهمية كبيرة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع، وخاصة في المعاملات المالية التي تتم بين الافراد والجماعات والدول.

أهتمت الدولة الفاطمية اهتماماً كبيراً بالعقود اذ خصصت الكتبة والمتخصصين، فقد كانت العقود في الدولة الفاطمية مختلفة اقتصادية تجارية زراعية واجتماعية.

هدفنا في هذا البحث أظهار العقود والمواثيق التي كانت سائدة في الدولة الفاطمية وكيفية كتابتها وتدوينها، واعتمدنا في انجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع التي اغنت البحث واخرجته بهذا الشكل وهي كتاب (المنهاج في علم خراج مصر) للمخزومي (ت: 585هـ/ 1189م) وكتاب (الكامل في التاريخ) لابن الاثير (ت: 630هـ / 1232م) وكتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) للنويري (ت: 732هـ / 1331م) وكتاب (دراسات في العلاقة بين المدن الإيطالية) لصابر محمود دياب وكتاب (التجار الأجانب في مصر في العصر الفاطمي) لاحمد السيد محمد وكتاب (التطور التاريخي لعقود الزواج في الإسلام) لاحمد الشامي وغيرها من المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: (الفاطمية – العقود – تاريخية)

Contracts in the Fatimid state
(Historical Study)

Summary:-

In our research, we dealt with contracts in the Fatimid state, as the subject of contracts is one of the important topics that man has used throughout the ages due to the urgent need for them. Finance that takes place between individuals, groups and countries.

The Fatimid state paid great attention to contracts by allocating scribes and specialists. The contracts in the Fatimid state were different, economic, commercial, agricultural and social.

Our goal in this research is to show the contracts and covenants that were prevalent in the Fatimid state and how to write and codify them. In carrying out this research, we relied on a group of sources and references that enriched the research and produced it in this way, which is the book (The Curriculum in the Knowledge of the Abscesses of Egypt) by Al-Makhzoumi (T: 585 AH / 1189 AD). And the book (Al-Kamil in History) by Ibn Al-Atheer (d.: 630 AH / 1232 AD) and the book (Nihaayat al-Arb fi Fonun al-Adab) by Al-Nuwayri (d.: 732 AH / 1331 AD) and the book (Studies in the Relationship between Italian Cities) by Saber Mahmoud Diab and the book (Foreign Traders in Egypt in The Fatimid era) by Ahmad al-Sayyid Muhammad and the book (The Historical Development of Marriage Contracts in Islam) by Ahmad al-Shami and other sources and references.

Keywords:(historical-contracts–Fatimid)

المقدمة:-

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين و أصحابه المنتجبين.

ان موضوع العقود من المواضيع المهمة والتي استخدمها الانسان على مر العصور للحاجة الماسة لها، وقد تطورت كثيراً وطرأ عليها الكثير من المتغيرات مما اقتضى وضع قوانين وضعية لضبط المعاملات، اذ ان القوانين الوضعية من صنع البشر وهم غير منزهين عن الخطأ، لذا لا بد من لمس الأدلة في أحكام ما استجد من هذه المعاملات او تكييف القديم منها، فالتوثيق زيادة على انه سنة شرعية أمر الله بها في قولها تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ) فأن ان له أهمية كبرى في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع، وخاصة في المعاملات المالية التي تتم بين الافراد والجماعات، وحتى الدول والهيئات والشركات.

أهتمت الدولة الأسلامية بالعقود وتوثيقها منذ وقت مبكر لما جاء في القران الكريم والاحاديث النبوية الشريفة لوضع حد للخلافات والمنازعات والملابسات التي تقع بعد الاتفاق بزمن معين، والتي تحدث بين فئات المجتمع الإسلامي، لذلك أعتمدوا ووثقوا عقودهم، وقد اهتمت الدولة الفاطمية اهتماماً كبيراً بالعقود أذ خصصت الكتبة والمتخصصين، فقد كانت العقود في الدولة الفاطمية مختلفة منها اقتصادية تجارية زراعية ودينية واجتماعية.

ان أهمية التوثيق زاد من ثقة المتعاقدين لدفع الريبة والشك بينهم، وهدفنا في هذا البحث أظهار العقود والمواثيق التي كانت سائدة في الدولة الفاطمية وكيفية كتابتها وتدوينها.

اما المصادر التي تم الاعتماد عليها في إنجاز هذا البحث هو كتاب (المنهاج في علم خراج مصر) للمخزومي (ت: 585هـ/ 1189م) وكتاب (الكامل في التاريخ) لابن الاثير (ت: 630هـ / 1232م) وكتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) للنويري (ت: 732هـ / 1331م) كتاب (صبح الاعشى في صناعة الانشا) للقلقشندي (ت: 821هـ/ 1418م) وكتاب المقفى الكبير للمقريزي (ت: 845هـ/ 1441م)، ومن المراجع التي تم الاعتماد عليها في هذا البحث كتاب (دراسات في العلاقات بين المدن الإيطالية) لصابر محمد دياب وكتاب(التجار الأجانب في مصر في العصر الفاطمي) لاحمد السيد محمد وكتاب (التطور التاريخي لعقود الزواج في الإسلام) لاحمد الشامي وكتاب (تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق) لمحمد سرور جمال الدين وغيرها من المصادر والمراجع التي أغنت البحث وأخرجته بهذا الشكل.

وآخر دعونا الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين أبي القاسم محمد وآله الطيبين وصحبه المنتجبين.

العقود في الدولة الفاطمية

العقد لغاً: هو الجمع بين أطراف الشيء وتقويتها، يقال: عقد طرفي الحبل اذا وصل أحدهما بالاخر بعقدة تمسكها فأحكم وصلها (ابن منظور، 1984، صفحة 296).

العقد اصطلاحاً: هو ما يعقده العاقد على أمر يفعله هة او ما يعقد على غيره فعله على وجه إلزامه إياه فسمي البيع والنكاح وسائر المفاوضات عقوداً لأن كل واحد من طرفي العقد ألزم نفسه الوفاء به، وسمي اليمين على المستقبل عقداً لأن الحالف ألزم نفسه الوفاء بما حلف عليه من الفعل او الترك، وكذا كل ما شرط الانسان على نفسه في شيء يفعله في المستقبل فهو عقد وكذلك النذور وما جرى مجرى ذلك (محمد، 1993م، صفحة 21).

أنواع العقود

1- عقود شفوية:

الأصل في العقود ان تكون شفوية، فالايجاب والقبول يقعان بالالفاظ، وهذا هو الأصل عند جميع الفقهاء، وهو المعمول به في العصور الأولى قبل ظهور الكتابة، واذا تم العقد شفوياً فقد أصبح عقداً ملزماً لطرفيه، ولا يملك أحد الطرفين فسحة الا عند انتهاء مدته ان كان محدداً بمدة لأن الوفاء بالعقود مطلب شرعي وأخلاقي فالعقد لا يشترط لصحته الكتابة او التسجيل، وهذا ما كان عليه

السلف الصالح قديماً حيث كانت كلمة الرجل عقداً فيجب الوفاء بمقتضى العقد الشفوي المتفق عليه بين الطرفين والالتزام بما يترتب عليه في حق المتعاقدين (عبد السلام، صفحة 316).

2 – العقود المكتوبة:

ان ما يزيد العقد توثيقاً بكتابته وتدوين بنوده وشروطه وهذا هو العقد المكتوب (عبد السلام، صفحة 316).

ومن أبرز وسائل التوثيق المعاصرة هي الكتابة وأقل منها الشهادة او البينة او الرهن والتوثيق بالكتابة في نظر القانون أقوى طرق الأثبات (السهنوي، 1956م، صفحة 89).

والتوثيق بالكتابة عرفه الانسان منذ فجر التاريخ، فقد عرف المصريون القدامى إجراءات نقل الملكية من شخص الى اخر سواء أكانت عقاراً ام منقولاً، ووضعوا لها مصلحة خاصة تقوم باحصاء الأراضي وتسجيل التصرفات التي ترد اليها، غير انهم لم يفرقوا بين المنقول والعقار، وجعلوا العلانية هي حجة التصرف في جميع المعاملات، كي يطلع الناس على تنقل الأموال ولكي تتمكن السلطة من فرض ضرائبها، والذي ارغمهم على مسح الأراضي وتحديد خرائطها هو فيضان النيل، وما كان يترتب عليه من طمس المعالم والحدود بين الملكيات.

وقد عرف العرب قبل الإسلام توثيق اهم العهود ومن ابرزها: حلف الفضول الذي حضره الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) قبل البعثة، ومعاهدة مقاطعة بني هاشم التي علقت في الكعبة الى ان أكلتها الأرضة ومزقها حمزة بن عبد المطلب عم الرسول (عبد السلام، صفحة 316) محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، ثم جاء الإسلام فأقر التوثيق بالكتابة.

العقود في القران والسنة

أمر الله بالكتابة والتوثيق والإستشهاد في معاملات الناس وعقودهم، كما في آية المداينة وهي أطول آية في القران الكريم، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ.... وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ) (سورة البقرة الآية 282).

وهي آية عظيمة في الاحكام، مبينة جمالاً من الحلال والحرام، وهي أصل في مسائل البيوع، وحقيقة الدين وهي كل معاملة كان أحد العوضين فيها نقداً والآخر في الذمة نسيئه، ويقاس على الدين جميع العقود المالية، لأنها لا تقل أهمية عن الدين بل ان بعضها قد يفوق الدين أهمية كشراء العقارات والسيارات والأراضي والشركات وبيعها او الرهونات او التعهد بعمل ما وغير ذلك من معاملات تتغير بتغير الزمان والمكان.

يقول ابن العربي في قوله تعالى (فاكتبوه) يريد ان يكون صكاً ليتذكر به عند أجله لما يتوقع من الغفلة في المدة التي بين المعاملة وبين حلول الأجل، والنسيان موكل بالإنسان، والشيطان ربما حمل على الانكار والعوارض من موت وغيره تطرأ فشرع الكتاب والإستشهاد (عبدالله، 2003م، صفحة 247).

وما يؤكد مشروعية كتابة العقود وتوثيقها: ما جاء في الحديث عن ابن عمر عنهما ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم قال: "ما حق امرئ مسلم يبيت ليلتين، وله شيء يريد أن يوصي فيه الا ووصيته مكتوبة عند رأسه" (الطوسي، 2000م، صفحة 100).

أنواع العقود في الدولة الفاطمية:

اولاً: العقود التجارية

أدت الدولة الفاطمية دوراً مهماً في مجال التجارة وخاصة مع التجار الأجانب الذين جاءوا على مصر الفاطمية من كل مكان، مما يؤكد أنتعاش التجارة الخارجية عندهم، وأيضاً التعامل الحسن الذي شعر به هؤلاء التجار كان دافع لهم بالقدوم إليها لبيع بضاعتهم وفي نفس الوقت للتبضع من مصر، هذا التطور الذي حدث جعل من الطرفين ان يعقدوا صفقات تجارية محددة وفق بنود وشروط لحماية الطرفين من أي سوء فهم يقع، ومن هذه العقود التي أبرمت مع التجار الأجانب هي:

عقدت جمهورية أمالفي[1] (الادريسي، 1971م، صفحة 758) علاقات تجارية في وقت مبكر مع الدولة الفاطمية ترجع الى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وبالتحديد عام 363هـ/ 973م حيث عقدت اتفاق تجاري بين طائفة كبيرة من تجار أمالفي وبين

مصر، اذ كان اهتمام تجار أمالفي موجهاً في الغالب الى نقل المنسوجات الحريرية لتغذية سوق روما من انتاج المنسوجات المصرية (دياب، صفحة 195).

وقد نصت هذه المعاهدة على وجوب نفاذها بمجرد عودة أحد المتعاقدين الأمالفين وكان موجود بمصر الى إمالفي، كما نصت هذه المعاهدة على السماح للتجار الأمالفين بالأقامة في فندق مع بضاعتهم في القسطاط في مبنى مخصص يعرف بـ (دار مانك)، كما نصت ايضاً على ان تسمح لهم الحكومة الفاطمية بالإقامة في فندق خاص بهم في الإسكندرية (زيادة، 2007م، صفحة 86).

وقد استمر العمل بهذه المعاهدة حتى عام 386 هـ/ 996م ثم عطلت وذلك لان بعض تجار أمالفي كانوا عملاء للدولة البيزنطية التي كانت تسعى جاهدة للقضاء على قوة الفاطميين البحرية بعد أن صارت تهددها وتشاطرها للسيطرة على الحوض الشرقي للبحر المتوسط، ففي الوقت الذي كانت تستعد فيه الدولة الفاطمية للقيام بحملة بحرية على الدولة البيزنطية اشترك التجار الأمالفين في أشعال النار بسفن الاسطول الفاطمي الراسية في ميناء المقس، وقد تسبب هذا الحريق في اتلاف العدد الحربية، وحرق كثير من سفن الاسطول الفاطمي (المقريزي، 1991م، صفحة 310).

وقد نتج عن هذه الحادثة ان سقط عدد كبير من الامالفين قتلى نتيجة الثورة العارمة التي قام بها المصريون انتقاماً لهذا الحادث المدبر من بيزنطة بمساعدة بعض تجار أمالفي، ولكن سرعان ما عادت العلاقة الودية مرة أخرى بين أمالفي والدولة الفاطمية وذلك حرصا من تجار أمالفي على الاحتفاظ بالمكاسب التجارية التي يحصلون عليها من وراء الدولة الفاطمية (القلقشندي، 1991م، صفحة 310).

وفي النصف الأخير من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي عقد مندوب جنوة[2] (الحميري، 1984م، صفحة 173) معاهدة تجارية مع الدولة الفاطمية عام 455هـ/ 1063م وكان ابرز ما نصت عليه هو حماية رعايا جنوة اثناء اقامتهم بأراضي الدولة الفاطمية (المقريزي، 1998م، صفحة 214).

وفي عام 530هـ/ 1136م عقد روجر بن تنكرد صاحب صقلية معاهدة تجارية مع الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (524 – 544هـ/ 1130م) وكان من ابرز نصوصها تخفيض الرسوم لتجار صقلية على السلع التجارية في الإسكندرية الى المستوى الذي كانوا يدفعونه من قبل، ولكن صقلية لم تلتزم بهذه المعاهدة اذ هاجمت المدن الساحلية في مصر سنة 550هـ/ 1155م حيث هاجموا دمياط في ستين مركبا، ثم نزلوا على تنيس ورشيد والإسكندرية واكثروا فيها النهب والسلب (المقريزي، 1991م، الصفحات 310-312).

وفي عام 549هـ/ 1154م عقدت رانيري بوتاشو سفير بيزا[3] (مصطفى و واخرون، 20004م، صفحة 55) مع الدولة الفاطمية معاهدة تتضمن عدة نصوص منها ان بيزا سوف لا يربطها مع الصليبيين او غيرهم من الاوربيين أي اتفاق من شأنه إنزال الضرر سواء عن طريق البر او البحر بأراضي الخليفة، او الحاق الأذى بأحد من رعاياه، كما وعد السفير بعدم اشتراك البيزيين منفردين او متحالفين في حرب ما ضد الجيوش الفاطمية وبأن تجارهم سوف لا يجلبون معهم احد من الصليبيين الموجودين في الشام كما وافق السفير على ان يكون للخليفة الحق في القبض على جميع البيزين الموجودين في بلاده ومصادرة أموالهم وبضاعتهم اذ قام احد رعايا بيزا باعتداء جديد على الأراضي المصرية، ومن جهة أخرى تعهدت الدولة الفاطمية في هذه المعاهدة بتقديم جميع الخدمات والتسهيلات اللازمة للتجار البيزيين، وان الدولة الفاطمية سوف تعاملهم احسن معاملة وسوف لا يضار هؤلاء التجار في اشخاصهم او أموالهم او بضاعتهم فهم دائما يتمتعون اكثر من غيرهم بالحب والتقدير حتى انهم قد أعفوا منذ وقت طويل من عدد أخر من الضرائب واصبحوا يدفعون ضرائب أقل مما يدفعه غيرهم من التجار المسلمين (المقريزي أ.، 1991م، الصفحات 310-312).

وقد جاءت هذه المعاهدة على أثر حادثة عام 548هـ/ 1153م اذ اعتدي جماعة من التجار البيزيين على التجار المصريين الذين كانوا معهم في أحد السفن، فقتلوا رجاله وسبوا نساءهم، ونهبوا بضاعتهم وأموالهم، ولهذا أمر الخليفة الظافر بالله الفاطمي (544 – 549هـ/ 1154 – 1160م) بالقبض على التجار البيزيين الموجودين في مصر والاستيلاء على ما معهم من بضائع وأموال (المقريزي أ.، 1991م، الصفحات 310-312)، وعندما أسندت الوزارة في مصر الى طلائع بن رزيك سارعت حكومة بيزا الى ارسال وفد لتقديم التهنئة له (جمال الدين، 1964م، صفحة 156).

واستقبل الوزير طلائع سفراء بيزا أحسن استقبال، وبلغت حفاوته بهم أن اطلق سراح تسعة من الاسرى البيزيين، وقدم لهم هدايا جليلة، وأظهر لهم رغبته في الإبقاء على العلاقات الطيبة مع جمهورية بيزا، فجاء في الخطابين اللذين ارسلهما الى حكومة بيزا

في(20 مارس 1155م)، وفي (2 فبراير 1156م) أن مصر لا تزال تعترف بالامتيازات التي منحتها للبيزيين بمقتضى المعاهدة السابقة، وان اعمال الصليبين سوف لا تؤثر على العلاقات بين البلدين، ما دامت بيزا تحافظ على الوعود التي قدمتها سفارتها الأولى (المقريزي أ.، 1991م، صفحة 328).

على أن حكومة بيزا لم تكن مخلصة في تقربها للفاطميين، فقد تجلى إيثارها لمصالحها الخاصة حيث اشتركت سنة 562هـ/ 1167م في الحملة التي تزعمها عموري الأول ملك بيت المقدس للهجوم على الاسكدرية، وكافأها عموري بمنحها إمتيازات ضخمة في مدينة عكا، ولكن لما أتضح أن الصليبين لن يتيسر لهم البقاء في مصر، وأنهم في سبيل الاتفاق مع الدولة الفاطمية للجلاء عن البلاد سارعت للوساطة بينهم وأفادها هذا العمل، اذ منحها الخليفة العاضد الفاطمي (555 – 567هـ/ 1160 –1171م) إمتيازات تجارية، حيث سمح لهم الخليفة ببيع بضائعهم اولاً في الإسكندرية فيالمزاد قبل غييرهم من التجار، لكنها ما لبثت ان عادت لإيثار مصالحها الخاصة بالاشتراك مع الصليبين (566هـ – 1170م) في الهجوم على دمياط (جمال الدين، 1964م، صفحة 157).

ورغم كل هذا فإن التبادل التجاري تعرض لبعض المشاكل التي اعترضت تطبيق هذه المعاهدات ويمكن ان نوجز أهم المشاكل التي اعترضت تطبيق تلك المعاهدات بما يلي:

اولاً: في أحيان كثيرة كان يحدث تراجع في الصفقة من قبل التاجر الفاطمي والتاجر الأجنبي بسبب عدم تمكين الكارمي من تصريف بضاعته وحرصه على عدم بقائها كراس مال عاطل، لذلك يفضل التراجع عن الصفقة ورد البيع الى من اشترى منه مقابل استرداد الثمن (زيادة، 2007م، صفحة 89)، وهنا تدخلت الدولة الفاطمية واتخذت قراراً بانه لا يجوز التراجع عن الصفقة دون موافقة كلا من الطرفين مثلما حدث بين أحد التجار الفاطميين واحد تجار بيزا عام 458هـ/ 1069م في عهد الخليفة المستنصر بالله (427 – 487هـ/ 1035 – 1094م).

ثانياً: ان سعر التوابل بالنقد كان اكبر من سعر التوابل بالمقايضة لأي الطرفين، لذلك كان يحدث في بعض الأحيان ان يرفض الكارمي استلام البضاعة المقايض عليها ويطلب الثمن نقداً على أساس السعر المرتفع لسلعته دون السلعة الأخرى بغرض الانتفاع بفرق السعر، وهنا تدخلت أيضا الدولة الفاطمية مثلما حدث سنة 489هـ/ 1109م بين أحد التجار الفاطميين وأحد تجار البندقية ووضعت الدولة الفاطمية تدابير بعدم حدوث مثل ذلك بين التجار من وطنيين واجانب (المخزومي، 1986م، صفحة 46).

ثالثا: كان التاجر الفاطمي يمتنع احياناً عن استلام البضائع بعد الاتفاق على شرائها من التاجر الأجنبي بل كان يفضل بقائها تحت مسؤوليته لفترة طويلة خوفاً من ضياعها قبل نقلها من دائرة الجمارك الى مخازنه نظراً لما كان يحدث خلال هذه الفترة من سرقات في مخازن الجمارك، لذا كان التاجر الكارمي يخشى على بضاعته، وذلك على العكس من التاجر الأجنبي الذي كانت بضاعته تعد بمثابة أمانة لدى سلطات الجمرك، ولذلك قامت الدولة الفاطمية بالإسراع ببيع البضائع وتفريغ المراكب في كل يوم وإخراج السلع خارج الجمارك لتصبح تحت مسؤولية التجار الفاطميين (المخزومي، 1986م، صفحة 46).

رابعا: كثيراً ما كان يقع الخلاف بين التاجر الفاطمي والأجنبي حول السلع المباعة من حيث نوعها وجودتها الى غير ذلك من المواصفات الخاصة بالسلع المعروفة لدى التجار ولحل هذه المشكلة أعطت الدولة الفاطمية الحق للتاجر بفحص البضاعة قبل طرحها في الحلقة مع كتابة اسم تجار الروم والمبيع لهم وأسماء بائعيه وأصنافه وأوزانه وأسعاره (عاشور، 1986م، صفحة 291).

خامساً: كان يحدث أحيانا ان يبتاع تاجر اجنبي توابل وسلعا ويقوم أيضا بسداد ثمنها ثم يتركها أمانة لدى التاجر الذي ابتاعها منه على الذمة فيقوم الأخير بالتصف فيها وبيعها ثانية لتاجر أخر ولحل هذه المشكلة فقد ألزمت الدولة الفاطمية التجار بكتابة عقد بيع بصدور البيع وقبض العربون وأيضا بكتابة عقد يثبت استلام التجار الأجانب أثمان بضائعهم (زيادة، 2007م، صفحة 91).

ثانيا: موثقوا العقود

تواجد الموثقون بكثرة في أماكن تجمع التجار الأجانب وبشكل خاص لدى أبحار السفن التجارية، وبشكل عام كان الموثق يقوم بنسخ العقد التجاري من نسختين لتقديمها الى طرفي العقد، بينما يتم الاحتفاظ بالعقد الأصلي في أرشيف المدينة (الطحاوي، 1998م، صفحة 129)، وقد اشتهرت المدن التجارية الايطالية بوجود العديد من موثقي العقود في موانيها من اجل صياغة عقود التجارة البحرية مع بيزنطة والموانئ الصليبية بالشام وموانئ مصر وشمال افريقية (زيادة، 2007م، صفحة 65).

وقد سمحت الدولة الفاطمية للتجار الايطاليين باصطحاب موثقي العقود الايطاليين الذين تميزوا بمزايا خاصة فكانوا بارعين في استخدام لاتينية العصور الوسطى ولغات أخرى، مع التركيز على الاشتقاقات اللغوية التجارية والقانونية وتلقي الكثير منهم دروساً خاصة بعملهم في الجامعات الاوربية، وخاصة جامعة بولونيا[4] (جوزيف، 1984م، صفحة 138).

ثالثاً: عقود الضمان

اتبع الفاطميون في جباية الضرائب المقررة على الأراضي الزراعية نظام العقود والالتزام وهو نظام تتبعه الحكومات المتأخرة لتضمن الحصول على أموالها، ولم يستحدثه الفاطميون اذ كان موجوداً في مصر منذ الفتح العربي، وخلاصة هذا النظام ان يتعهد شخص بجباية الضرائب في قرية او عدة قرى او كور ويتم هذا العمل بطريق المزايدة، وقد شرح المقريزي هذا النظام فقال "ان متولي خراج مصر في جامع عمرو بن العاص من الفسطاط في الوقت الذي تتهيأ فيه قبالة الأراضي وقد اجتمع الناس من القرى والمدن فيقوم رجل ينادي على البلاد عقد صفقات وكتاب الخراج بين يدي متولي الخراج يكتبون ما انتهى اليه مبالغ السكور والصفقات على من يتقبلها من الناس وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها بالأربع سنين لأجل الظمأ والاستبحار وغير ذلك فاذا انقضى هذا الامر خرج كل من كا تقبل ارض وضمها الى ناحية فيتولى زراعتها وإصلاح جسورها وسائر وجوه أعمالها بنفسه وأهله ومن يحصل ما عليه من الخراج في إبانة على أقساط ويحسب له من مبلغ قبالته وضمانه لتلك الأراضي ما ينفقه على عمارة جسورها وسد ترعها وحفر خلجها بضرابة مقدرة في ديوان الخراج" (المقريزي، 1998م، صفحة 82).

وكان المتزايدون من مختلف طبقات الشعب واستمر الحال كذلك زمنا فلما حدثت الأزمة الكبرى في عهد الخليفة المستنصر بالله قضت على ما كان للكثير من الفلاحين والملاك من ثروات وانسحب كثيرون منهم من هذه العملية المالية ولهذا بدأ الاجناد والأمراء وغيرهم من كبار الموظفين أصحاب الرواتب لثابتة يطغون على غيرهم في الالتزام بمساحات واسعة من الأراضي، كما ان الوزير المأمون البطائحي اطال المدة من اربع سنين الى ثلاثين سنة، وبهذا حدث انقلاب في نظام الالتزام من حيث نوع الملتزمين ومدة الالتزام (البروادي، 1984م، صفحة 321).

لم يقف الفاطميون عند اتباع نظام الالتزام بشأن الضرائب العقارية بل انهم طبقوه على كافة أنواع الإيرادات كما نعلم من أقوال المؤرخين المختلفين، ففي النصف من شعبان سنة 363هـ/ 973م ضمن الأحباس محمد بن القاضي بن الطاهر محمد بن احمد بمليون ونصف درهم، وكان يتقدم البعض لعقد ضمان مدينة ما كما نستدل على ذلك مما ذكره أبو صالح الأرمني عن المعلم زوين انه كان ضامن القاهرة في عهد الخليفة الحافظ، وقال الكاتب نفسه في موضع اخر انه حينما توجه ابن قنبر واتباعه ناحية قليوب حتم عليه الضامن ان يدفع الجزية مرة ثانية وحرض عليه الوالي، وفي أيام الخليفة المعز لدين الله (341 – 365هـ/ 952 – 975م) ضمن علي بن عمر بن العداس كورة بوحسير (البابرتي، 1898م، صفحة 110).

وكانوا أيضا يضمنون أموال الدولة كلها ويبدو ان الخليفة العزيز بالله (365 – 386هـ، 975 – 996م) كان أول من سن هذه السياسة اذ لم يستوزر أحدا بعد موت يعقوب بن كلس بل ضمنت أموال الدولة بجماعة من المستخدمين، وقد أوضح ابن منجب الصيرفي هذا العمل وأورد تفاصيل كثيرة حيث قال انه بعد موت الوزير يعقوب بن كلس ضمن أبو الحسن مال الدولة والنفقات (ويقصد الإيرادات والمصروفات) وبعد انقضاء السنة حوسب على دخلها وخرجها فوجد انه فسخ ضياعا معقودة وحلها وولى عليها فاتضح المال.... فحوسب والواقع انه ما أنفق ولا اختزن ولكن خانه الضمان، وقد اعتقل وظل في الاعتقال خمسة وسبعين يوماً، ورد الخليفة الأموال الى ابي الفضل جعفر بن الفرات سنة 382هـ/ 992م ثم صرفه في شعبان وتولاها منهم موسى بن شهلول وعيسى بن نسطورس ويحيى واسحاق بن المنسي سنة 383هـ/ 993م، وأمر الخليفة العزيز بالله العمال بالامتثال لما يأمر به أبو الفضل بن فرات (النويري، صفحة 49).

وذكر ابن مماتي أنن توليه أحد الدواوين كان على ثلاثة أوجه: بالأمان او بالبذل او بالضمان وفي الحالة الأخيرة اذا تأخر من مال الضمان شيء لزم الضامن القيام به فان بقى له في ذمة المعاملين مال كان للسلطان أن يقبل الحوالة عليهم بعد اعترافهم او لا يقبل وله أن يطالبه بما في ذمته ويعود هو أي متولي الديوان بالضمان بالطلب كان الباقي عنده (البروادي، 1984م، صفحة 323).

وكانت الدولة الفاطمية وخاصة في الأوقات التي تصاب الإيرادات فيها بعجز لا تحترم عقود الضمان وكثيرا ما تعرض الضامن لأن يلغى ضمانه اذا تقدم غيره متعهداً بدفع مبلغ اكثر.

ويظهر ان رجال الدولة كانوا يستفيدون من العمل بمما يقدم إليهم من الهدايا والرشاوي والا فالدولة تقدم على عمل كهذا وتنكث بعهودها وتحط من كرامتها الا اذا كان فساد الذمم قد استولى على أولي الأمر منها. ويبدوا ان هذا الداء كان قد استفحل فأمر الوزير المأون البطائحي في خلافة الأمر بالله بوضع حداً لهذه السياسة الفاسدة وحرم انتزاع الضمان من يد صاحبه مادام مراعياً لشروطه ولم تنته المدة المبينة في عقده بعد.

وقد اصدر الوزير المأمون البطائحي منشوراً له أهميته اذ يلقى ضوء كبير على فساد الإدارة المالية في العهد الفاطمي الثاني وهو عصر الضعف والانحلال، وقد جاء المنشور "ولما انتهى الى حضرتنا ما يعتمد في الدواوين ويقتصده جماعة من المتصرفين والمستخدمين من تضمين الأبواب والرباع والبساتين والحمامات والقياسر والمساكين وغير ذلك من الضمانات للراغبين فيها ممن تستمر معاملته ولا تتكر طريقته فما هو الا ان يحضر من يزيد عليه في ضمانه جتى قد نقضى عليه حكم الضمان وقبض ما يبذل من الزيادة من كان قبضت يد الضامن الأول عن التصرف ومكن الضامن الثاني التصرف من غير رعاية المعتمد على الضامن الأول ولا تحرز في فسخه الذي لا يبيحه الشرع ولا يتأول انكرنا من ذلك على معتمد به وذمنا من قصدنا عليه ومرتكبيه اذا كان للحق مجانبا وعن مذهب الصواب ذاهبا وعرضنا ذلك بالمواقف المقدسة المطهرة ضاعف الله أنوارها وأعلى ابدا منازلها واستخرجنا الأوامر المطاعة في كتب هذا المنشور الى سائر الأعمال بانه أي احد من الناس ضمن ضماناً من باب او ريع او بستان او ناحية او كفى وكان لأقساط ضمانه مؤدياً ولما يلزمه من ذلك مبديا وللحق متبعاً فان ضمانه باق في يده لا تقبل زيادة عليه مدة ضمانه على العقد المعقود عملاً بالواجب والنظام المحمود، الى ان تنقضي مدة الضمان ويزول حكمها ويذهب وضعها ورسمها حملا على قضية الواجب وسنتها....، فمن ضمن ضمانا ولم يقم بما يجب عليه فيه وأصر على الموافقة والمغالطة التي لا يعتمدها الا كل ذميم الطباع سفيه فذلك الذي فسخ حكم ضمانه بنقضه الشروط المشروطة عليه وحكمه حكم من اذا زيد وأخرج من يده لأنه الذي بدأ بالفسخ وأوجد السبيل إليه" (المقريزي، 1998م، صفحة 84).

والحق ان المأمون كان من الوزراء المصلحين الذين حاولوا تطهير الإدارة المالية من المساوئ، ولكن لم يمض وقت طويل بعد موته حتى عاد الحال الى ما كان عليه ان لم يكن قد ساء، فقد فرض الوزير الصالح طلائع بن رزيك الأموال على من يعينهم من الأمراء والموظفين، وجعل ولاية الأعمال سلعة ذات سعر محدود، وهؤلاء الولاة كانا يتبعون سياسته مع مرؤوسهم حتى يحصلوا على ما دفعوه على الأقل، ونعلم من المقريزي انه كان يتأخر من مبلغ الخراج في كل سنة، وفي جهات الضمان والمتقبلين مال يقال له البواقي، وكانت الحكومة تشدد في طلبه مرة كما يفعل يعقوب بن كلس وغسلوج بن الحسن في خلافة المعز لدين الله وكانت تنزل عنه مرة أخرى ويظهر ان سداد جانب من الضرائب كان امراً عادياً مألوفا، وكان تهاون الإدارة المالية عاملاً من عوامل تراكم هذه البواقي، وقد نزلت الدولة الفاطمية الى سنة 516هـ/ 1121م في وزارة المأمون البطائحي عن مبالغ طائلة قدرت بنحو 2720767 دينارا، 6700 درهم و 231، 3,810 أردبا فضلاً عن المحاصيل والسلع الأخرى، وكان يبدوا ان ضخامة هذه البواقي إحدى نتائج الازمة الاقتصادية العنيفة 457 – 464هـ/ 1064 – 1071م (المقيزي، 1967م، الصفحات 97-98).

رابعا: عقود الزواج

الزواج سنة من سنن الله في الخلق والتكوين، وهو آية من آيات الله لقوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (سورة الروم الآية 21).

تتعددت الاراء في تعريف عقود الزواج وان كان اكثرها قبولاً انه عقد يراد به حل استمتاع كل من الزوجين بالآخر على الوجه الذي فرضه الشرع (الشامي، 1983م، صفحة 210).

وصيغ عقود الزواج قد تكون واحدة، فهي عادة تبدأ بالبسملة ثم بعض الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي تبين الحكمة من مشروعية الزواج وتحث عليه، وقد تقتصر إفتتاحية العقد على البسملة فقط وذلك في العقود الخاصة بعامة الشعب.

ويلي البسملة اسم الزوج ثم اسم الزوجة واسم والد الزوجة او وليها ويبين في العقد حالة العروس ان كانت بكراً او ثيباً وقيمة الصداق، معجل أي ما يدفع ساعة العقد، والمؤجل منه، والذي يحدد في العقد ايضاً كيفية سداده ويكون غالباً مقسطاً ونادراً ما يدفع دفعة واحدة (الشامي، 1983م، صفحة 207).

ويتضمن العقد بعد ذلك الصيغة وهي الايجاب والقبول والصيغة هي التي تنص على أن الوالد او الوالي زوج ابنته للزوج المذكر زواجاً صحيحاً شرعياً على كتاب الله وسنة رسوله بايجاب وقبول (حمودة، 1995م، صفحة 6). واختتم العقد بالفقرات الختامية التنفيذية الدالة على إتمام العقد وحكم القاضي بصحته وتنفيذه، ثم تضمنت الصيغة تاريخ العقد والذي يعد أهم علامة من علامات الصحو والاثبات في الوثائق بأنواعها ومنها عقود الزواج (حمودة، 1995م، صفحة 9).

ويتضمن الهامش السفلي للعقد توقيعات الشهود، والتي هي من شروط صحة الزواج، وعدد الشهود الذي يشهدون على عقد الزواج لا حد له، فهو لا يقل عن شاهدين ولكنه يصل أحيانا الى أربعين شاهداً (الشامي، 1983م، الصفحات 217-218).

وبذلك يكون عقد الزواج قد استكمل أركانه وشروطه الشرعية، وبالتالي يكون العقد صحيحاً نافذ المفعول، سواء كتب في ورقة رسمية او لم يكتب لأن صحة عقود الزواج لا تتوقف شرعاً على كتابتها((سعاد، 1960م، صفحة 36).

وعن عقود الزواج في العصر الفاطمي، فأن ما يلفت النظر هو احتواء العقد على مقدمة تعرف بخطبة النكاح التي كانت ولا تزال تشكل جزءاً من مراسيم الزواج، اذ يلقيها من يتولى كتابة العقد، وتحتوي على البسملة والحمد والتشهد وبعض الايات القرآنية والاحاديث النبوية التي تحث على الزاج وتبين أهميته، كانت تختلف في الطول والقصر حسب مكانة صاحب العقدن فهي تطول للملوك والامراء والاكابر وتقصر لمن دونهم (القلقشندي، 1991م، صفحة 300).

وتأتي الصيغة القانونية للعقد من حيث أداء الصداق وقيمة المقدم والمؤخر منه، ثم اسم العريس والعروسة كاملين، وبيان حال العروس اذا كانت ثيباً او بكراً (جوهمان، 1994م، صفحة 67)، ويذكر في العقد وهو من شروطه ان تكون العروس بالغاً، ولعل بعض العقود كانت تكتب دون التأكد من هذا الشرط، مما يجعل بعض الشهود يرى أنه لا بد من فسخ العقد، وقد حدث ذلك في عهد الخليفة العزيز بالله ورفعت إليه هذه الشكوى، ولما تأكد من صحة ما جاء به الشاهد أمر بفسخ العقد، وتحتوي عقود الزواج على ذكر ولي ووكيل الزوجة أبيها او أخيها او أحد اقربائها، فمن تعاليم الإسلام ليس للمرأة ان تزوج نفسها ولا غيرها وانما الذي يزوجها وليها، كذلك يحتوي العقد اسممن تولى عقد الزواج بالإضافة الى تاريخ العقد بالليوم والشهر والسنة (ابن الاثير، 1934م، صفحة 203).

وغالباً ما ينص عقد الزواج على أمور تشترطها الزوجة على زوجها اثناء حياتهما المشتركة، ومن هذه الشروط التي وردت في الوثائق البردية نجد أن الزوجة تلزم الزوج في حالة اقترانه بزوجة او أكثر غيرها ان تكون لها اليد العليا في شؤون الدار ولها الأمر والتدبير (سلطان، 1985، صفحة 190)، كما تشترط احدى الزوجات على زوجها في حال اتخاذه لجارية يكون امرها بيدها "ان شاءت عتقت وان شاءت بيعت فعتقها وبيعها جائز ولازم له" (جوهمان، 1994م، صفحة 87)، فبيع او عتق الجارية لازم عليه اذا طلبت منه الزوجة ذلك وان يكون للزوجة حق طلاق أي امراة يتزوجها الزوج بعدها، كما كانت هناك شروط أخرى لصالح الزوجة مثل اشتراطها على زوجها الا يمنعها من زيارة أهلها ولا يمنع أهلها من زيارتها، وان يتقي الله ويحسن عشرتها ويعاملها بالمعروف كما أمر الله عز وجل وسنة نبيه، ووجوب طاعة الزوجة لزوجها، وتضمنت هذه الوصايا الايات القرآنية التي تحث على ذلك، كذلك يدون في العقد أسماء الشهود عليه الذين يتراوح عددهم بين شاهدين الى ثلاثين شاهداً (جوهمان، 1994م، صفحة 103).

وكان نص العقد في العصر الفاطمي غالباً ما يحتوي على الدعاء للخليفة وآبائه الطاهرين، نلاحظ هذا الأمر في عقد زواج مؤرخ في 15 جمادى الأولى من سنة 419هـ/ 1028م في عهد الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله، وكان الخليفة في بعض الأحيان يسجل بعض العبارات بخطه في عقد قران أبناء كبار رجال الدولة والامراء، مثال ذلك ما كتبه الخليفة الحاكم بأمر الله في سجل زواج ابنتي الحسين بن جوهر سنة 403هـ/ 1012م "يعقد هذا النكاح بمشيئة الله وعونه، والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل" (المقيزي، 1967م، صفحة 98).

وغالباً ما يحتوي العقد الدعاء للعروسين بالتوفيق والألفة، وكانت عقود الزواج تدون على قطع من القماش او قطعة من نسيج القطن، فكانت تغمس القطعة بمادة نشوية لسد مسامها حتى تصبح صالحة للكتابة عليها، وقد ذكر المقريزي ان كتاب ابن حسين بن جوهر كتب على ثوب مصمت (المقيزي، 1967م، صفحة 98).

الخاتمة:-

بعد أتمام بحثنا الموسوم (العقود في الدولة الفاطمية دراسة تاريخية) توصلنا الى النتائج التالية:

1. ان العقود مصطلح ظهر في وقت مبكر من حياة الانسان بصورة عامة، وخاصة في الدولة الإسلامية، حيث ذكر في عدة مواطن في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ووجه المسلمون الى العمل فيه.
2. اهتمت الدولة الفاطمية اهتماماً كبيراً في العقود لوضع حد بين المتخاصمين وإظهار الحق وابعاد الباطل.
3. بلغت العقود التجارية في الدولة الفاطمية أوجها مع الدول الأخرى ةالتجار الأجانب، اذ كانت العقود هي أهم الوثائق والعهود بينهم.
4. اهتمام الدولة الفاطمية بالعقود وصدق النوايا جعل التجار الأجانب يأتون من كل البلدان القريبة والبعيدة، لشعورهم بالأمان والحماية وصدق التعامل.
5. اظهرت العقود في الزراعة في جانب الضامن للأرض الثقة بين المتعاقدين مما أدى الاستقرار والاسترخاء لذلك زادت خزينة الدولة بعد ان منحت الدولة الفاطمية العقود اربع سنوات وقد تصل الى ثلاثين عاماً بعد الثقة بين المتعاقدين.
6. على الرغم من ان عقود الزواج هي ثابتة ومحددة في الدولة الإسلامية منذ وقت مبكر الا ان الاختلاف يكون في الشروط التي توضع بين الزوجين وتحديد العقد المعلن والغائب.
7. تبين لنا أن الدولة الفاطمية اهتمت بالعقود لأنها دولة دينية إسلامية مطبقة لشرع الله ولا تتهاون في قضية التلاعب في العقود في مختلف الجوانب، كما حرصت على تثبيت كل شيء بين المتعاقدين.

الهوامش:

(1) مدينة إيطالية تقع على خليج ساليرنو جنوب شرق مدينة نابول. الادريسي، أبو عبد الله محمد بن حمد بن عبد الله بن ادريس الشريف، (ت: 560هـ/ 1164م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1971)، ص 758.

(2) مدينة من مدن الروم، حيث تشتهر هذه المدينة بكثرة المزارع والقرى، وأهلها من التجار المياسير الذين اشتهروا بسفرهم براً وبحراً لغرض التجارة ولهم في ذلك اسطول ومعرفة بالحيل الحربية. الحميري، محمد بن عبد المنعم، (ت: 900هـ/ 1494م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، (بيروت: مكتبة لبنان، 1984م)، ص 173.

(3) تقع هذه المدينة على ضفتي نهر ارنو، اشتهرت هذه المدينة القديمة بجرس برجها الرخامي. مصطفى، احمد واخرون، الموسوعة الجغرافية، (القاهرة: دارالعلوم، 2004م)، ج4، ص 55.

(4) تميزت جامعة بولونيا في الجنوب الإيطالي بدراستهاالقانونية منذ عام 1158م. جوزيف، نسيم يوسف، نشأة الجامعات في العصور الوسطى، (الإسكندرية: د.مط، 1984)، ص 138.

المراجع

أبو العباس تقي الدين احمد بن علي المقريزي. (1991م). *المقفى الكبير*. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

أبو عبدالله محمد بن حمد بن عبدالله بن ادريس الشريف الادريسي. (1971م). *نزهة المشتاق في اختراق الافاق*. بيروت: دار الكتب العلمية.

احمد السيد محمد زيادة. (2007م). *التجار الأجانب في مصر في العصر الفاطمي*. مصر: جامعة الزقازيق.

احمد الشامي. (1983م). *التطور التاريخي لعقود الزواج في الاسلام*. مصر: مركز الدراسات البردية جامعة عين شمس.

احمد بن عبد الوهاب النويري. (بلا تاريخ). *نهاية الأرب في فنون الأدب*. السعودية: دار الكتب الملكية.

أحمد بن علي القلقشندي. (1991م). *صبح الاعشى في صناعة الانشا*. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

احمد مصطفى، و واخرون. (20004م). *الموسوعة الجغرافية*. القاهرة: دار العلوم.

أدولف جوهمان. (1994م). *أوراق البردي العربية*. القاهرة: دار الكتب المصرية.

المقريزي. (1998م). *الخطط المقريزية*. بيروت: دار الكتب.
المقيزي. (1967م). *اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا* (المجلد 2). القاهرة: د. مط.
جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور. (1984). *لسان العرب*. ايران: نشر ادب الحوزة.
حاتم الطحاوي. (1998م). *العلاقات التجارية بين بينزنطة والمدن الايطالية*. القاهرة: عين للدراسات والبحوث.
راشد البروادي. (1984م). *حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين*. مصر: مطبعة السعادة.
سعيد عبد الفتاح عاشور. (1986م). *مصر معبراً للثقافة الإسلامية في حوض البحر المتوسط في القرن 4هـ/10م*. القاهرة: د. مط.
سورة البقرة الآية 282. (بلا تاريخ).
سورة الروم الآية 21. (بلا تاريخ).
شادية عبد الفتاح عبد السلام. (بلا تاريخ). *التوثيق وأثره على صحة العقود*. السعودية: د. ت.
صابر محمد دياب. (بلا تاريخ). *دراسات في العلاقات بين المدن الإيطالية*.
عباس حسني محمد. (1993م). *العقد في الفقه الإسلامي* (المجلد 1). القاهرة: د. مط.
عبد الرزاق السهنوي. (1956م). *الوسيط في شرح القانون المدني* (المجلد 1). مصر: دار النشر للجامعات المصرية.
عبد المنعم سلطان. (1985). *المجتمع المصري في العهد الفاطمي*. القاهرة: دار المعارف.
عز الدين أبو الحسن علي بن ابي الكرم ابن الاثير. (1934م). *الكامل في التاريخ*. مصر: د. مط.
علي بن ابي عمر المخزومي. (1986م). *المنهاج في علم خراج مصر*. القاهرة: المعهد العلي الفرنسي للاثار الشرقية.
ماهر سعاد. (1960م). *عقود الزواج على المنسوجات الأثرية*. القاهرة: د. مط.
محمد بن عبد المنعم الحميري. (1984م). *الروض المعطار في خبر الأقطار*. بيروت: مكتبة لبنان.
محمد بن محمود البابرتي. (1898م). *شرح العناية على الهداية*. د. مط.
محمد بن مسلم الطوسي. (2000م). *كتاب الاربعين* (المجلد 1). بيروت: دار ابن حزم.
محمد سرور جمال الدين. (1964م). *تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق*. مصر: دار الفكر العربي.
محمد عباس حمودة. (1995م). *الوثائق العثمانية في مصر*. القاهرة: د. مط.
محمد عبدالله. (2003م). *احكام القران*. بيروت: دار الكتب العلمية.
نسيم يوسف جوزيف. (1984م). *نشأة الجامعات في العصور الوسطى*. الإسكندرية: د. مط.

References

Abu al -Abbas Taqi al -Din Ahmad bin Ali al -Maqrizi. (1991 AD). The great rhyme. Beirut: The Islamic West House.
Abu Abdullah Muhammad bin Hamad bin Abdullah bin Idris Al -Sharif Al -Idrisi. (1971 AD). An excitement to penetrate the horizons. Beirut: Scientific Books House.
Ahmed Al -Sayed Mohamed Ziada. (2007 AD). Foreign merchants in Egypt in the Fatimid era. Egypt: Zagazig University.
Ahmed Al -Shami. (1983 AD). The historical development of marriage contracts in Islam. Egypt: The Center for Play Studies, Ain Shams University.
Ahmed bin Abdul Wahhab Al -Nuwairi. (Without history). The end of the four in the arts of literature. Saudi Arabia: Royal Books House.
Ahmed bin Ali Al -Qalqashandi. (1991 AD). Al -Ashi in the manufacture of Al -Nashi. Beirut: The Islamic West House.
Ahmed Mustafa, and others. (20004 AD). Geographical encyclopedia. Cairo: Dar Al Uloom.
Adolf Johman. (1994 AD). Arabic papyrus. Cairo: The Egyptian Books House.
Al -Maqrizi. (1998 AD). Al -Maqrizi plans. Beirut: Dar Al -Kutub.
Al -Muqizi. (1967 AD). The tap was preached to the news of the background imams (volume 2). Cairo: d. Fast.

Jamal Al -Din Muhammad bin Makram Ibn Manzoor. (1984). Arabes Tong. Iran: published the literature of the estate.
Hatem Al -Tahawi. (1998 AD). Commercial relations between Benzles and Italian cities. Cairo: Eye of Studies and Research.
Rashid Al -Bawadi. (1984 AD). Egypt's economic situation during the Fatimid era. Egypt: Happiness Press.
Saeed Abdel -Fattah Ashour. (1986 AD). Egypt is a crossing of Islamic culture in the Mediterranean basin in the 4th century AH/10 CE. Cairo: d. Fast.
Surat Al -Baqarah verse 282. (Without Date).
Surat Al -Rum verse 21. (Without Date).
Shadia Abdel -Fattah Abdel Salam. (Without history). Documentation and its impact on the health of the contracts. Saudi Arabia: d. T.
Saber Mohamed Diab. (Without history). Studies in relations between Italian cities.
Abbas Hosni Muhammad. (1993 AD). The contract in Islamic jurisprudence (volume 1). Cairo: d. Fast.
Abdul Razzaq Al -Sahnawi. (1956 AD). Mediator in explaining the civil law (Volume 1). Egypt: Publishing House for Egyptian Universities.
Abdel Moneim Sultan. (1985). Egyptian society in the Fatimid era. Cairo: Dar Al -Maaref.
Ezz Al -Din Abu Al -Hassan Ali bin Abi Al -Karam Ibn Al -Atheer. (1934 AD). Complete in history. Egypt: d. Fast.
Ali bin Abi Omar Al -Makhzoumi. (1986 AD). The curriculum in the flag of Egypt's abscess. Cairo: The French High Institute for Eastern Varies.
Maher Souad. (1960 AD). Marriage contracts on archaeological textiles. Cairo: d. Fast.
Muhammad bin Abdul Moneim Al -Humairi. (1984 AD). Rawd Almttar countries in the news. Beirut: Lebanon Library.
Mohammed bin Mahmoud Al -Babrati. (1898 AD). Explanation of care for guidance. Dr.. Fast.
Muhammad bin Muslim Al -Tusi. (2000 AD). The forty book (Volume 1). Beirut: Dar Ibn Hazm.
Muhammad Sorour Jamal Al -Din. (1964 AD). History of Islamic civilization in the East. Egypt: Dar Al -Fikr Al -Arabi.
Muhammad Abbas Hammouda. (1995 AD). Ottoman documents in Egypt. Cairo: d. Fast.
Mohammed Abdullah. (2003 AD). The provisions of the Qur’an. Beirut: Scientific Books House.
Naseem Youssef Joseph. (1984 AD). The emergence of universities in the Middle Ages. Alexandria: d. Fast.

انهيار الكونفدرالية سقوط ريتشموند ورحلة هروب حكومة جمهورية الولايات الكونفدرالية الامريكية 2 نيسان – 10 ايار 1865

أ.د. حيدر شاكر خميس

Haydarkhamees2017@gmail.com

الجامعة المستنصرية، كلية التربية، قسم التاريخ

ملخص

كان يوم سقوط ريتشموند من اهم الايام في التاريخ الامريكي ، فقد اثبت الارتباك الذي رافق الاداء الحكومي في يوم سقوط ريتشموند ضعف الاستعدادات والتدابير الكافية لحدث كان متوقعا ، وافتقار الحكومة الكونفدرالية الى الحكمة السياسية الكافية للتعامل مع ذلك الحدث، وادت سنوات الحرب الاربع الصعبة الى تحول جزء غير قليل من الموقف الشعبي الداعم للكونفدرالية الى رفضها والسخط منها، و جسد تماسك الحكومة الكونفدرالية وبقاء رئيسها واعضائها جنبا الى جنب لمدة اكثر من شهر بعد سقوط العاصمة، على الرغم من المتاعب التي واجهوها ، في رحلة ملحمية عبر أربع ولايات ، دليلا لا يقبل الشك على ايمانهم بقضيتهم وولائهم لأرضهم واحساسهم بالمسؤولية تجاه ناخبيهم.

الكلمات المفتاحية: ريتشموند ، الحرب الاهلية الامريكية ، الكونفدرالية

Collapse of the Confederacy
The fall of Richmond and the flight of the government of the Republic of the Confederate States of America April 2 - May 10, 1865

Prof.Haidar Shaker Khamees (Ph.D)
Al-Mustansiriya University, College of Education, Department of History

ABCTRACT

The day of the fall of Richmond was one of the most important days in American history. The four difficult years of war led to the transformation of a significant portion of the popular position in support of the Confederation into rejection and dissatisfaction with it, and the cohesion of the Confederate government was embodied in the fact that its president and members remained side by side for more than a month after the fall of the capital, despite the troubles they faced, on a journey An epic journey across four states, an indisputable proof of their belief in their cause, their loyalty to their land, and their sense of responsibility towards their voters.

Keywords: Richmond , American Civil War ,Confederacy

توطئة تاريخية:

مع حلول منتصف القرن التاسع عشر، كانت الولايات المتحدة الامريكية تشهد دلالات واضحة على وجود انقسام بين شمالها وجنوبها حول نظام العبودية ، فبينما تمسكت به الولايات الجنوبية بوصفه يشكل الهيكل الرئيس للنظام الاقتصادي والاجتماعي فيها، انتقدته الولايات الشمالية بشدة ووصفته بانه عمل غير انساني ، حتى تبلورت هذه المعارضة لتوحد جهودها في عام 1854 بتأسيس " الحزب الجمهوري" الذي اخذ على عاتقه الحد من انتشار العبودية الى الولايات الجديدة. (Wise, 1899, p. 59)

وما ان أتى موعد الانتخابات الرئاسية لعام 1860 حتى كانت البلاد منقسمة على نفسها حول قضية العبودية، فكان فوز مرشح الحزب الجمهوري ابراهام لنكولن Abraham Lincoln بتلك الانتخابات التي جرت في 6 تشرين الثاني 1860 بمثابة الشرارة التي اشعلت البلاد واضافت المزيد من التوتر الى الجو السياسي العام وادت بالتالي الى قيام سبع ولايات جنوبية بإعلان انفصالها عن الاتحاد بشكل متتال في اواخر عام 1860 واوائل عام 1861، وهي كارولينا الجنوبية South Carolina في 20كانون الأول1860، ومسيسيبي Mississippi في 9 كانون الثاني 1861، وفلوريدا Florida في 10 كانون الثاني، وألاباما Alabama في 11 كانون

الثاني، وجورجيا Georgia في 19 كانون الثاني، ولويزيانا Louisiana في 26 كانون الثاني، وتكساس Texas في 1 شباط ، واعلانها في مؤتمرها الذي عقدته في بلدة مونتغمري Montgomery بولاية الاباما في المدة بين 4-9 شباط 1861 عن الاتحاد فيما بينها باسم" الولايات الكونفدرالية الامريكية Confederate States of America"، وصياغة دستور مؤقت واختيار جيفرسون ديفز Jefferson Davis رئيسا مؤقتا لها ، واوضح دستورها ان الايدلوجية السياسية للاتحاد الجديد مبنية على الدفاع عن حقوق الولايات التي تأتي في مقدمتها العبودية، ولم تمض مدة طويلة على اعلان هذا الاتحاد الجديد حتى اندلعت الحرب بينه وبين الولايات المتحدة الامريكية في 13 نيسان 1861. (Wilson, 1955, p. 289)

كانت الحرب في العامين الاوليين 1861-1862سجالا بين الطرفين مع تفوقا غير حاسما للكونفدراليين ، غير ان هذا التفوق لم يدم طويلا ، اذ حدثت نقطة التحول الحاسمة لصالح الاتحاديين بعد الانتصار في معركتي غيتبسبرغ Gettysburg وفيكسبورغ Vicksburg في يومي 3 و 4 تموز عام 1863 ، واستطاعت الاستيلاء على عدة مناطق حيوية في الولايات الكونفدرالية ، حتى توجت تلك الانتصارات بالاستيلاء على مدينة اتلانتا Atlanta في جورجيا في 2 ايلول عام 1864، وكان ذلك ايذانا باقتراب هزيمة الكونفدرالية. (Wilson, 1955, p. 292)

اولا: اهمية ريتشموند الاستراتيجية والرمزية

تأسست مدينة ريتشموند في عام 1737 ، وتقع على خط انحدار نهر جيمس ، 44 ميل (71 كم) غرب ويليامزبرج ، 66 ميل (106 كم) شرق شارلوتسفيل ، 91 ميل (146 كم) شرق لينشبورج و 92 ميل (148 كم) جنوب واشنطن العاصمة ، وأصبحت عاصمة لولاية فيرجينيا في عام1780 ، بدلا من ويليامزبرغ، وخلال مرحلة حرب الاستقلال الامريكية 1775-1783. (Lankford, 2002, p. 88)

كانت ريتشموند تمتلك اهمية استراتيجية كبرى كونها تقع في رأس الملاحة على نهر جيمس وعلى بعد اقل من مائة ميل فقط من العاصمة الاتحادية واشنطن ، كما كانت رمزًا وهدفًا نفسيًا رئيسيًا لقوات الاتحاد منذ بداية الحرب الأهلية في عام 1861، ولكن كانت هناك أسباب أكثر إقناعًا لماذا أصبحت ريتشموند هدفًا عسكريًا ، ففضلا عن كونها المركز السياسي للكونفدرالية الجنوبية ، كانت مركزًا طبيًا وتصنيعيًا ، ومستودع الإمداد الأساسي للقوات العاملة على الحدود الشمالية الشرقية للكونفدرالية ، وعاصمة لولاية فرجينيا ، وفي الاحصاء العام للسكان لعام 1860 جاءت ريتشموند في المرتبة الخامسة العشرين في الكثافة السكانية لمدن الولايات المتحدة الامريكية وبلغ عدد سكانها 37,910 نسمة ، ثم اصبحت بعد انضمامها للكونفدرالية ثالث اكبر المدن فيها ، لكن قدرتها الصناعية كانت كبيرة تساوي تقريبًا قدرة الولايات الكونفدرالية السبع الأصلية مجتمعة، وكانت شركة (Tredegar Iron Works) في ريتشموند هي المصنع الوحيد في الجنوب القادر على تصنيع الذخائر الثقيلة، و كانت ريتشموند مركزا للنقل ، والمحطة النهائية لخمسة خطوط رئيسية للسكك الحديدية ، وممر مهم الى خليج تشيسابيك والمحيط الاطلسي *، وفضلا عن ذلك منح تراث ولاية فرجينيا السياسي مكانة هائلة لريتشموند بوصفها عاصمة لها. (Wise, 1899, p. 70)

منذ اعلان انفصال فرجينيا عن الاتحاد وانضمامها للكونفدرالية في 17 نيسان 1861 بدأت الدعوات تتعالى من اجل اتخاذ ريتشموند عاصمة للكونفدرالية ، وبدأت تلك الدعوات باقتراح من قبل نائب الرئيس الكسندر ستيفنز، الذي زار فرجينيا قبل انفصالها في منتصف نيسان 1861 ، ووعد المجلس التشريعي فيها باتخاذها عاصمة للولايات الكونفدرالية في حال انضمامها للأخيرة ، وعارض الرئيس جيفرسون ديفيس المقترح في البداية ، معتقدًا أن العاصمة يجب أن تكون في أعماق الجنوب كي يزيد ذلك من صعوبة سقوطها ، حيث كانت مشاعر الانفصال أكثر حدة، ولم ينال هذا الاقتراح النصيب الكافي من المناقشات في الكونغرس ، اذ سرعان ما تمت الموافقة عليه وذلك لانشغال الكونغرس باندلاع الحرب ، وفي 21 ايار 1861 قرر الكونغرس بالإجماع نقل العاصمة الكونفدرالية من مونتغومري في ولاية الاباما الى ريتشموند في ولاية فرجينيا ، وفي 29 من الشهر ذاته تم تنفيذ القرار فعليا وعقدت الحكومة اول اجتماع لها فيها، وتوفرت المبررات الكافية لاتخاذ القرار ، وابرزها تشجيع الولايات الوسطى المؤيدة للعبودية وهي ديلاوير وميسوري وماريلاند وكنتاكي على الانضمام للولايات الكونفدرالية ، وجعل من ولاية فرجينيا بمثابة خط الصد الاول للولايات الواقعة في عمق الجنوب ، فضلا عن انها شكلت خطوة تحمل الكثير من ملامح التحدي واستعراض القوة في اختيار مدينة

* ينظر الملحق رقم (1)

قريبة جغرافيا على الولايات المتحدة، وهي السياسة التي عملت بها حكومة الرئيس جيفرسون ديفز في الاشهر الاولى لتشكيلها. (Lankford, 2002, p. 63)

ثانيا : سقوط ريتشموند ودخول القوات الاتحادية:

كانت الحرب في العامين الاوليين 1861–1862سجالا بين الطرفين مع تفوقا غير حاسما للكونفدراليين ، غير ان هذا التفوق لم يدم طويلا ، اذ حدثت نقطة التحول الحاسمة لصالح الاتحاديين بعد الانتصار في معركتي غيتبسبرغ Gettysburg وفيكسبورغ Vicksburg في يومي الثالث والرابع من تموز عام 1863 ، واستطاعت الاستيلاء على عدة مناطق حيوية في الولايات الكونفدرالية ، حتى توجت تلك الانتصارات بالاستيلاء على مدينة اتلانتا Atlanta في جورجيا في 2 ايلول عام 1864، وكان ذلك ايذانا باقتراب هزيمة الكونفدرالية . (Wilson, 1955, p. 293)

منذ اتخاذها عاصمة للولايات الكونفدرالية في 29 ايار 1861 كانت ريتشموند هدفا رئيسا لقوات الولايات المتحدة الامريكية ، فقامت بسبع حملات عسكرية على المدينة لم تحقق هدفها ، على الرغم من ان بعضها وصل الى مشارف المدينة واصبحت على مرمى البصر كما حصل في حملة شبه جزيرة فرجينيا اوائل عام 1862، ومع استلام اللواء يولسيس غرانت القيادة في 9 اذار 1864 والانتصارات الكبيرة التي حققها في الجبهة الغربية ، بدأ العمل بجد لاستغلال تقهقر الجيش الكونفدرالي وتحقيق هذا الهدف ، اذ كان يعتقد ان اسقاط ريتشموند سيكون كافيا لحسم الحرب وانهيار الحكومة الكونفدرالية، ومع منتصف عام 1864 بدأ اللواء غرانت يطبق بحصاره على المدينة، وعند حلول عام 1865 ، برزت ظاهرة النقص الحاد في المؤن التي كان يعاني منها الجيش الكونفدرالي ، وتكررت نداءات قائد الجيش اللواء روبرت ادوارد لي لمعالجة الموقف لكن من دون جدوى ، كما اصبحت مشكلة هروب الجند من ارض المعركة خارج السيطرة ، حتى وصل الامر الى اختفاء ثلث عديد المقاتلين. (Bell, 1946, p. 112)

على الرغم من تدهور اوضاع خصمه ، الا ان اللواء غرانت اختار تجنب مهاجمة ريتشموند مباشرة ، والسيطرة على بطرسبرغ التي تبعد 20 ميلا جنوب ريتشموند وتأتي معظم امدادتها منها ، مما دعا روبرت لي الى تحصين بطرسبرغ بمجموعة من الخنادق تقف ورائها قوات اقل بكثير من قوات غرانت ، وكان يؤمن بان الهزيمة قادمة ، فاقترح على الرئيس ديفز في 25 اذار 1865 التضحية بريتشموند والالتحاق بجيش اللواء جوزيف جونستون Joseph Johnston البالغ 20 الف مقاتل الذي يرابط في ولاية كارولينا الشمالية ، الا ان هذا الاقتراح لم يلق اذان صاغية. (Wilson, 1955, p. 300)

بدأت قوات كبيرة من جيش الولايات المتحدة بقيادة اللواء فيليب شيردان Philip Sheridan بمهاجمة بطرسبرغ في 1 نيسان 1865 وبعد ظهر ذلك اليوم نجحت في كسر الطوق الدفاعي الكونفدرالي والاستيلاء على فايف فوركس Five Forks وهي تقاطع رئيسي يقع على بعد 25 ميلا غرب بطرسبرغ، وفيها السكة الحديدية التي تشكل اخر طرق الامداد الى ريتشموند ، وهو ما ادى الى جعل الطريق سالكا اليها ، وعلى ذلك سار اللواء روبرت لي بجيشه غربا نحو لينشبورغ ، وبعث برقية سرية مستعجلة الى الرئيس ديفز تحثه على اخلاء ريتشموند ومغادرتها خلال ساعات قبل وصول العدو لها. (Davis, 1881, p. 657)

وصلت البرقية الى الرئيس جيفرسون ديفز في صباح يوم 2 نيسان وهو يحضر احتفالا دينيا في كنيسة القديس بولص الاسقفية في وسط العاصمة ، وما ان استلمها حتى غادر الكنيسة بشكل سريع ومضطرب، ليعقد اجتماع طارئ مع حاكم ولاية فرجينيا وعمدة مدينة ريتشموند ابلغهم فيها بقرار الاخلاء ، اعقبه اجتماع طارئ اخر في مكتبه مع مجلس الوزراء تم فيه إبلاغ الوزراء باتخاذ الخطوات الاخيرة اللازمة لمغادرة المدينة ، وضرورة الاسراع في تدمير جميع المواد والوثائق التي لا يمكنهم حملها وتعبئة خزينة المال والسندات والوثائق الضرورية وارسالها الى محطة قطار دانفيل ، مع الابقاء فقط على وزير الحربية جون بريكنريدج في المدينة للأشراف على تدمير سكة حديد مانشستر Manchester وجسر نهر جيمس لمحاولة تأخير القوات الاتحادية عن مطاردة المغادرين . (Harrison, 1883, p. 130)

سرعان ما انتقل فحوى البرقية بين السكان بواسطة الخدم العاملين في قصر الرئيس ، وعلى الرغم من ان البعض في بداية الامر لم يتعامل معها بجدية وعدها اشاعة عابرة ، الا ان بعد ذلك بقليل بدت مظاهر الاخلاء واضحة في المدينة، وابرزها قيام عربات كثيرة بإخراج ارشيف الحكومة الى الشوارع تمهيدا لنقله جنوبا الى دانفيل Danville ، ولم يمض وقت طويل من ذلك اليوم حتى قرر الكثير من السكان اخلاء المدينة والهروب مع الحكومة ، فكانت الشوارع مليئة بالحشود المتحمسة مع حمولاتها الضخمة التي تسرع

الى طرق النقل المختلفة ، وبالتالي سادت الفوضى عندما تكدست العربات والحمولات في معظم شوارع المدينة. (Wise, 1899, p. 440)

مع حلول الظلام اجتمع المجلس البلدي لريتشموند وامر بإتلاف جميع المشروبات الكحولية للحفاظ على الامن العام وتجنب المزيد من المشاكل التي تنتج ممن يتناولها ، فضلا عن حرمان جنود الاتحاد من تناولها وبالتالي يدفعهم ذلك الى تدمير المدينة ، وكانت الاستجابة لهذا الامر سريعة عندما ملأت المشروبات الكحولية المسكوبة شوارع ريتشموند، وانتشرت رائحتها في كل اجواء المدينة ، وفي منتصف الليل هرب الحراس المسؤولين عن سجن الولاية من مواقعهم ، واصبح السجناء احرار طلقاء يجوبون شوارع المدينة مما احدث حالة ذعر كبيرة لدى السكان الذين امضوا ليلة ليلاء في ذلك اليوم. (Ryan, 2001, p. 56)

بعد ذلك حدث المشهد الاكثر فظاعة ، عندما امر عمدة المدينة جوزيف مايو بتدمير مستودعات الاسلحة الاربعة الرئيسية في المدينة ، وعلى الرغم من معارضة السكان لهذا الامر الا ان مايو كان مصرا على تنفيذه ، وعندما بزغت خيوط الفجر الاولى كانت الانفجارات تهز ارجاء المدينة ، ثم ما لبثت ان بدأت الحرائق تنتشر في جزء كبير من المدينة. (Lankford, 2002, p. 63)

التهمت الحرائق قلب المدينة بالكامل *، اذ شملت الجزء التجاري من المدينة ابتداءً من مستودع شوكو Shockoe إلى المخزن رقم 77 في الشارع الرئيسي ، جنوبا الى منتصف الطريق بين الشارع الرابع عشر والخامس عشر ، وامتدت إلى النهر عبر شارع كاري وجميع الشوارع المتوسطة، غربا الى مستودع ماين Mine في الشارع التاسع ، وصولا إلى نهر جيمس ، شمالا من مستودع ماين مرورا بالشارعين الثالث عشر والرابع عشر حتى مصرف ولاية فرجينيا في الشارع الثامن. (Ryan, 2001, p. 58)

كانت من أبرز المباني المدمرة مصرف ريتشموند ، ومصرف التجار ، ومصرف الكومنولث ، ومصرف فيرجينيا ، ومصرف المزارعين ، وجميع بيوت المصارف ، والفندق الأمريكي ، والفندق الكولومبي في الشارع الثاني عشر ، ومكتب الإرسال ومصرف التجارة في زاوية الشارع الثالث عشر ، وكل تلك الكتلة من المباني المعروفة باسم بيلفين بلوك Belvin's Block ، ومعمل المحركات والآلات ، ومبنى إدارة مكتب البريد الكونفدرالي ، ومبنى محكمة الولاية ، والمبنى القديم في ساحة الكابيتول عند مدخل شارع فرانكلين ، والمعهد الميكانيكي ، وجميع المباني في تلك الساحة حتى الشارع الثامن ، والترسانة الكونفدرالية ، والمختبر العسكري في الشارع السابع . (Lankford, 2002, p. 63)

كانت النار تنتشر بسرعة مرعبة ومعها تتحرك حشود اللصوص وسط دخانها الكثيف، وعلى الرغم من ذلك اندفعت اعداد كبيرة من السكان نحو المخازن التجارية للأغذية واقتحموها ليجدوها مليئة بالأغذية والادوية والمشروبات الكحولية مما جعل السخط الشعبي يتزايد على التجار المضاربين، واصبحت الشوارع مكتظة بالأثاث والمواد الغذائية ، اذ اصبح كل شيء متاحا امام الحشود البشرية التي كانت مشغولة بنهب ونقل البضائع. (Wise, 1899, p. 440)

بحلول الساعة السادسة من صباح 3 نيسان تقدم عمدة المدينة جوزيف مايو الى القوة المحاصرة للمدينة بقيادة اللواء غودفري ويتزل Godfrey Weitzel واعلن له عن استسلام ريتشموند من خلال رسالة سلمها له تنص على " الى القائد العام لجيش الولايات المتحدة الامريكية ، اعلن لك عن استسلام ريتشموند ، واطلب منك ان يتم السيطرة عليها باحترام ونظام وتحافظ على سلامة النساء والاطفال والممتلكات العامة. (Ryan, 2001, p. 60)

دخلت اولى قطعات جيش الولايات المتحدة الى ريتشموند في الساعة 6:55 وكانت من سلاح فرسان ماساتشوستس الرابع بقيادة الرائد اثيرتون هوغ ستيفنز Stephens Atherton Haugh ومساعده الرائد ايمونس ي. غرافس Emmons E.Graves ومعهم اربعون من الفرسان وتوجهوا مباشرة نحو مبنى الكابيتول وقاموا بإنزال علم الكونفدرالية من فوقه ورفع علم الولايات المتحدة الامريكية بدلا عنه، وبمرور الوقت بدأت القوات الاتحادية تتدفق تباعا الى المدينة ، حتى غصت الشوارع بإلاف منهم ، وكان ابرز ما يلاحظ هو مجموعة الفرسان السود الذين استقبلوا بحفاوة كبيرة من نظرائهم العبيد المحليين وكانوا يحتفلون بترديد انشودة " جسد جون براون تحت الثرى ، وروحه تسير دوما نحو الامام". (Lankford, 2002, p. 65)

وصل اللواء غودفري ويتزل على رأس قوات كبيرة الى مبنى الكابيتول في الساعة الثامنة من صباح 3 نيسان ، و في الثامنة والربع جرت مراسيم استسلام شكلية في القاعة الرئيسية للمبنى بينه وبين عمدة المدينة جوزيف مايو، ثم ارسل في اليوم التالي برقية

* ينظر الملحق رقم (2).

الى وزارة الحربية الامريكية نصت على " استولينا على ريتشموند في الساعة 8:15 من صباح الامس، لقد صادرنا العديد من الأسلحة وغادر العدو بسرعة كبيرة، المدينة مشتعلة في موقعين، أنا أعمل بكل جهد ممكن للسيطرة عليها ، اما عن المشاعر فقد استقبلنا الناس بعبارات الفرح والحماس. (Ryan, 2001, p. 68)

وفي الساعة الواحدة ظهرا من يوم 3 نيسان تم تعيين اللواء جورج فوستر شيبلي George Foster Shepley حاكما عسكريا على ريتشموند ، وكان اول قرار يصدره هو أمراً يحمي المواطنين من الإهانة والنهب من قبل الجنود الاتحاديين ، وتضمن أيضًا فقرة حساسة تمنع الجنود من القيام اهانة العلم الكونفدرالي او السخرية منه لما فيها من اثارة لسخط السكان المحليين. (Wise, 1899, p. 441)

ثالثا : رحلة هروب الحكومة الكونفدرالية

غادر الرئيس ديفز ومجلس وزرائه واسرهم (باستثناء وزير الحربية جون بريكينريدج) العاصمة ريتشموند في الساعة الحادية عشر من مساء 2 نيسان ، في قطار متجه الى دانفيل التي تقع جنوب ولاية فرجينيا قريبة على الحدود مع ولاية كارولينا الشمالية وتبعد 140 ميلا جنوب غرب ريتشموند ، ووصلها القطار في الساعة الثالثة من ظهر يوم 3 نيسان، وتمت استضافة الحكومة الكونفدرالية في المنزل الفخم لوليم ساوثيرلين William T.Sutherlin الذي كان يستخدم مستودع تموين للمدينة ، وكتب فيه ديفز في 4 نيسان بيانا حماسيا موجه لشعب الولايات الكونفدرالية ، بدأه بإبلاغ شعبه أن اللواء روبرت لي قرر مغادرة ريتشموند والانتقال جنوبًا لإطالة المعركة لأطول فترة ممكنة ، وطمأنهم : " سيكون من غير الحكمة ، حتى لو كان من الممكن ، إخفاء الضرر الأخلاقي والمادي الكبير لقضيتنا التي يجب أن تنجم عن احتلال العدو لريتشموند، ومن غير الحكمة بنفس القدر ، أن نتخلى عن قضيتنا الوطنية المقدسة، وأن نسمح لطاقاتنا بأن تتعثر ، أو أن تصبح جهودنا مسترخية تحت الانتكاسات مهما كانت كارثية ". (Richardson, 1904, p. 566)

واوضح ديفز فيه ان الاستيلاء على ريتشموند جعل من الوضع العسكري اسهل لشن حرب عصابات على العدو ، وبالتالي لم يعد هناك سبب للخوف من النتيجة النهائية للحرب ، "ان مسالة حراسة المدن ضرورية ومهمة، ولكنها ليست حيوية لدفاعنا ، مع جيش حر قادر للانتقال من نقطة إلى أخرى وضرب مفارز وحاميات العدو التي تعمل داخل بلادنا ، حيث تكون الإمدادات أكثر سهولة ، وحيث سيتم إبعاد العدو بعيدًا عن قاعدته الخاصة وتنقطع عنه جميع عوامل النجاح في حالة الرجوع للخلف ، لا يوجد شيء مطلوب الآن لجعل انتصارنا مؤكدًا سوى عزمنا الذي لا يقاوم، فلنكن نحن كذلك ، ونحن أحرار دوما، ومن يجرؤ في ضوء الماضي على الشك في هدفنا في المستقبل" (Bradley, 2001, p. 28)، ولم تغب الثقافة الدينية البروتستانتية التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر عندما اختتم البيان بالقول "دعونا لا نتأسف يا أبناء بلدي ، ولكن بالاعتماد على الرحمة التي لا تفشل وحماية ورعاية ربنا ، دعونا نواجه العدو بتحدي جديد ، بقلوب لا تُقهر ولن تُقهر". (Richardson, 1904, p. 568)

اثناء اقامة الحكومة الكونفدرالية في دانفيل ، تلقت ضربة عسكرية قاصمة في 9 نيسان ، عندما استسلم اللواء روبرت لي الذي تشكل قواته الجزء الرئيسي من الجيش الكونفدرالي وقوامها 27000 مقاتل الى قوات اللواء يولسيس غرانت بالقرب من ابوماتوكس Appomattox ، وتوقيع اتفاقية الاستسلام بين الطرفين في مبنى محكمة البلدة ، وكان هذا الاستسلام يشكل من الناحية النظرية هزيمة الكونفدرالية ونهاية الحرب (Bradley, 2001, p. 29).، على الرغم من ان الرئيس ديفز كان يرى غير ذلك*.

وصل خبر الاستسلام الى الحكومة الكونفدرالية في مساء يوم 10 نيسان ، واصبحت مسألة بقائها في دانفيل مستحيلة ، فكان عليها أن تتحرك منها بسرعة ، اذ ان عدم وجود جيش نشط في ولاية فرجينيا يجعلها مكشوفة امام قوات اللواء غرانت ، ولم يكن امامها خيار سوى أن تتحرك جنوبًا نحو جيش جوزيف جونستون في ولاية كارولينا الشمالية ، وعلى ذلك قررت مغادرة المدينة في

* ذكرت زوجة وليم ساوثيرلين لصحيفة ريتشموند ديسباتش في 11 كانون الاول 1889 ، انها بعد استسلام اللواء روبرت لي في ابوتوماكس سألت ديفز هل ان هذا الاستسلام هو نهاية الحرب؟ فأجابها بقوله: "بأي حال من الأحوال، سنقاتل إلى نهر المسيسيبي". (Ballard, 1986, p. 76)

الساعة العاشرة ليلا من دون هدف محدد حتى اوصلها خط السكة الحديدية الوحيد المتاح امامها الى مقاطعة غيلفورد Guilford في غرينزبورو Greensboro في ولاية كارولينا الشمالية ليتوقفوا فيها لمناقشة خطوتهم التالية. (Ryan, 2001, p. 77)

وصل ديفز وبقية اعضاء حكومته (باستثناء جون بريكنريدج ايضا) الى غرينزبورو في صباح يوم 11 نيسان ، بعد ان حالفهم الحظ في عبور جسرا لطريق سكة حديد بيدمونت Piedmont قبل دقائق من تدميره من قبل القوات الاتحادية ، وعندما وصلوا الى المدينة وجدوا استقبالا باردا من سكانها الساخطين على ما وصفوه بالإدارة السيئة للحرب ، ولم يكن معظمهم متحمسا لإلقاء التحية على الضيوف ، وسرعان ما تفرق اعضاء الحكومة للراحة ، اذ مكث الرئيس ديفز في ضيافة ابن شقيق زوجته الاولى العقيد جون تايلور وود John Taylor Wood ، بينما ذهب وزير الخزانة المريض جورج ترينهولم George Trenholm للراحة في بيت الحاكم السابق لولاية كارولينا الشمالية والمتعاطف مع الكونفدرالية جون موتلي مورهيد John Motley Morehead ، فيما اضطر بقية وزرائه ومساعدوه لشراء عربة خشبية كبيرة لكنها قديمة ومتداعية ، واستخدامها مقرا لهم ، اطلقوا عليها تندرا " عربة مجلس الوزراء" ، تحتوي على غرفة اجتماعات واربعة غرف للنوم ، وكان اول قرار اتخذه الرئيس ديفز بعد الوصول الى غرينزبورو هو استدعاء اللواء جوزيف جونستون للتباحث معه في شؤون الحرب. (Reagan, 1906, p. 199)

عقد الرئيس ديفز في غرينزبورو اجتماعا لمجلس الوزراء للتشاور مع اللواء جونستون في الطابق الثاني من بيت العقيد وود ، جرى في الساعة الثامنة من مساء يوم 12 نيسان ، بحضور جميع الوزراء باستثناء بريكنريدج وترينهولم ، وحاول ديفز تكثيف الجهود لتوحيد القوات الكونفدرالية القليلة المتبقية في الجبهات ومواصلة القتال، الا ان جونستون بدا غير متحمسا لذلك، ورد على ذلك بقوله "ان من اعظم الجرائم البشرية خوض حرب لا توجد لك أية فرصة لتحقيق النصر فيها ". (Davis, 1881, p. 666)

ازاء هذا الموقف من اللواء جونستون، عقد الرئيس ديفز اجتماعا ثانيا في الساعة العاشرة من صباح يوم 13 نيسان ، بحضور وزير الحربية بريكنريدج الذي وصل الى المدينة في وقت متأخر من الليلة السابقة ، واقترح الاخير في هذا الاجتماع استسلام بقية القطعات الاخرى وانهاء الحرب ، موجها كلام للرئيس بالقول :" لقد كانت هذه ملحمة رائعة، بأسم الرب ، دعها لا تنتهي بمهزلة " (Harrison, 1883, p. 133)، الا ان هذه الاقتراح قوبل بالرفض من قبل الرئيس ديفز ووزير الخارجية جودا بنيامين ، وازاء ذلك حاول الرئيس في هذا الاجتماع التراجع عن طلبه مواصلة القتال واقناع اللواء جونستون بالسعي لإجراء معاهدة سلام مع الاتحاد ، وعبر الاخير عن موقفه مجددا بجملة واحدة مقتضبة هي " منذ ان استسلم اللواء روبرت لي تعد الحرب قد انتهت"، وهو تلميح واضح بان العدو ليس مضطرا لعقد أي معاهدة في هذه الظروف العسكرية التي تشهد تفوقا ساحقا له ، ونال هذا الراي تأييد جميع الوزراء. (Ballard, 1986, p. 79)

لم يدم هذا الوضع طويلا ، اذ سرعان ما غادر الرئيس ديفز منزل العقيد وود في صباح اليوم التالي لينضم الى عربة وزرائه ، خشية اقتحامه وحرقه من قبل الحشود الغاضبة على الحكومة ، سيما بعد ان بدأت اجواء العداء والكراهية لها بالازدياد، وبذلك بدا ان ليس امام الحكومة الكونفدرالية من خيار سوى مغادرة غرينزبورو . (Hanna, 1959, p. 123)

هناك روايتين مختلفتين في دقة تاريخ مغادرة الرئيس ديفز وحكومته لغرينزبورو ، الاولى لسكرتير الرئيس الخاص بيرتون نورفيل هاريسون Burton Norvell Harrison الذي يذكر انهم غادروها بعد ظهر يوم 14 نيسان بواسطة العربات التي اشتروها ، حتى انهم وجدوا صعوبة في الحصول على عربة لوزير الخارجية جودا بنيامين الذي كان لا يجيد ركوب الخيل ، واستقروا ليلة 14-15 نيسان في بستان صنوبر يبعد اربعة اميال شرق ليكسنغتون Lexington التي تبعد اميالا قليلة عن غرينسبورو ، ثم امضوا الليلة التالية التي صادفت يوم عيد الفصح في كنيسة سانت لوك St. Luke الاسقفية في سالزبوري Salisbury، ثم كانت محطتهم في الليلة التالية في كونكورد Concord، حيث عرض عليهم القاضي المتعاطف مع الكونفدرالية فيكتور سي . باريننجر Victor C. Barringer الاقامة في منزله في شارع نورث يونيون North Union ، ثم وصلوا الى تشارلوت Charlotte في 18 نيسان .،(Harrison, 1883, p. 137)

اما الرواية الثانية فهي لوزير البحرية ستيفن مالوري Stephen Mallory ، الذي يذكر في مذكراته التي نشرت بعد ما يقارب ربع قرن من ذلك ، ان رجال الحكومة غادروا غرينزبورو في يوم 16 نيسان وتوقفوا في ليكسنغتون في ليلة 16 -17 نيسان ، ثم وصلوا الى تشارلوت في 18 نيسان. (Mallory, 1872, p. 98)

ويمكن القول هنا ان حقائق عدة تجعل رواية اقرب الى الحقيقة ، تأتي في مقدمتها طول المسافة بين غرينزبوري وتشارلوت التي تجعل من غير الممكن قطعها بواسطة الخيول في غضون يومين فقط ، فضلا عن ان دقة وصف هاريسون للرحلة والمتاعب التي واجهوها تجعل كفة روايته هي الارجح.

على اية حال ، وصل الفريق الحكومي الى تشارلوت في 18 نيسان ، باستثناء بريكنريدج الذي رافق اللواء جونستون لإجراء مباحثات مع اللواء وليم تيكمسه شيرمان William Tecumseh Sherman الذي يقود القوات الاتحادية المرابطة على مشارف كارولينا الشمالية، وفور توقفه في الشارع الرابع علم بان رئيس الولايات المتحدة الامريكية ابراهام لنكولن قد تم اغتياله قبل اربعة ايام في واشنطن* وبدا ديفز متأثرا للخبر لسببين كما كان يعتقد ، الاول خسارة خصم جدير بالاحترام ، والثاني هو تسلم نائبه اندرو جونسون Andrew Johnson للرئاسة الذي اعتقد انه يشكل خطرا كارثيا على الجنوب. (Ryan, 2001, p. 78)

اتخذت الحكومة الكونفدرالية من فرع تشارلوت التابع لمصرف كارولينا الشمالية مقرا لها، وفور وصوله استدعى الرئيس ديفيز حاكم ولاية كارولينا الشمالية زيبلون ب. فانس، الذي كان حضوره ضروريًا لأن القوات المرابطة داخل حدود نورث ولايته كانت الأمل الأخير للكونفدرالية ، وكان استيلاء قوات الاتحاد على بلدة رالي Raleigh في 13 نيسان يشكل خطر حقيقيا على الولاية. . (Barrett, 1907, p. 75)

عقدت الحكومة في فرع المصرف اولى اجتماعاتها في 19 نيسان بحضور جميع الوزراء لمناقشة الخطوة التالية بعد تشارلوت ، باستثناء ترينهولم الذي كان لا يزال مريضا ويرقد في منزل صديقه المزارع الثري ومالك العشرات من العبيد وليم فيفر William Phifer في الشارع الحادي عشر الذي يطلق عليه شارع نورث تريون North Tryon. (Hardy, 2012, p. 55)

واثناء زيارة اعضاء الحكومة لترينهولم ، شهد منزل وليم فيفر اخر اجتماعات الحكومة بكامل اعضائها وذلك في الساعة العاشرة من مساء يوم 23 نيسان ، وتمت فيه مناقشة نتائج المباحثات التي جرت بين جونستون وشيرمان، وابرز ما شهده الاجتماع هو طلب الرئيس ديفز من كل اعضاء الحكومة ابداء آرائهم كتابة فيها واعادتها عند الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي، وجاءت وجهات نظرهم متطابقة تقريبا فيما يتعلق بشروط الاستسلام ، ، وكان معظم الوزراء يطلبون من ديفز الهروب الى كارولينا الجنوبية ثم الى فلوريدا ثم خارج البلاد الى كوبا، بل ان المعارض الوحيد للاستسلام مع ديفز وهو وزير الخارجية جودا بنيامين اصبح مؤيدا للاستسلام وانهاء الحرب ، وعلى ذلك تم ارسال الموافقة الى اللواء جونستون على اجراء مفاوضات عقد معاهدة وقف الحرب. (Hanna, 1959, p. 55)

في اليوم ذاته، 24 نيسان، جاء اشعارا من اللواء شيرمان بان الشروط التي اقترحتها الحكومة الكونفدرالية لم توافق عليها حكومة واشنطن وعدتها سخية جدا * ، وان الاخيرة تؤكد على ان يكون الاستسلام من دون قيد او شرط، مشابها لاستسلام اللواء روبرت لي في ابوماتوكس ، وعلى ذلك فهو يمنح قوات جونستون مهلة امدها 48 ساعة فقط سيضطر بعدها الى مهاجمتهم. (Barrett, 1907, p. 77)

بعد ظهر يوم 26 نيسان استسلمت قوات اللواء جونسون لقوات اللواء شيرمان في منطقة زراعية صغيرة تعرف بـ بينت بلاس Bennett Place ، ثم تبعتها جميع القوات الكونفدرالية المتبقية لا تزال نشطة في كارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية وجورجيا

---

* اغتيل الرئيس ابراهام لنكولن في 14 نيسان 1865 اثناء مشاهدته مسرحية" ابن عمنا الامريكي" في مسرح فورد بالعاصمة واشنطن من قبل الممثل المسرحي جون ويلكس بوث John Welks Both (1838-1865) بدافع الثأر والانتقام من هزيمة الكونفدرالية في الحرب، واستطاعت القوات الاتحادية تتبعه وقتله في مزرعة ريفية في ولاية مين في 26 نيسان 1865 . للتفاصيل ينظر : (Ryan, 2001, p. 77)

* احدثت المفاوضات التي اجراها شيرمان مع جونستون سخط حكومي وشعبي واسع في الولايات المتحدة ، الى الحد الذي وصف فيه وزير الحربية ادوين ستانتون شيرمان بانه " خائن" ، وانه يقحم نفسه في امور سياسية وليست عسكرية ضمن اختصاصه ، وعلى الرغم من ذلك لم يتراجع شيرمان عن تساهله مع قوات جونستون ، فبعد الاستسلام منح حصصًا غذائية لمدة عشرة أيام للجنود الكونفدراليين الجائعين ، فضلا عن الخيول والبغال لهم "لتأمين المحاصيل، كما أمر بتوزيع دقيق الذرة والدقيق على المدنيين في جميع أنحاء الجنوب، وكان هذا عملاً من الكرم لم ينسه جونستون أبدًا ، اذ كتب إلى شيرمان لاحقا " ايها الفارس النبيل ، لقد كنت صائبا فيما اعتبرته سابقًا مصيبة حياتي ، وهي وجوب مواجهتك في الميدان". ينظر: (Bradley, 2001, p. 139)

وفلوريدا فكانت أكبر عملية استسلام في الحرب ، اذ بلغ مجموعها 89270 جنديًا، مما جعل الرئيس ديفز بعد علمه بالاستسلام يتهم جونستون بارتكاب خيانة لا تغتفر ، بقبوله استسلام قوات لم تُهزم بشكل صريح في ارض المعركة. (Hardy, 2012, p. 55)

تزامنا مع استسلام اللواء جونستون غادرت رحلة الرئيس ديفز وحاشيته تشارلوت على ظهور الخيل ، بعد ان تسببت القوات الاتحادية بأضرار جسيمة في السكك الحديدية ، يرافقهم الحرس الرئاسي الذي تألف من خمسة ألوية من سلاح الفرسان الكونفدرالي ، كانت معنوياتهم مشكوك فيها في أفضل الأحوال . (Bradley, 2001, p. 140)

كانت الرحلة منقوصة من المدعي العام جورج ديفز الذي انسحب في يوم 24 نيسان وذهب الى عائلته في مقاطعة نيو هانوفر New Hanover في ولاية كارولينا الشمالية ، ومن وزير الخزانة ترينهولم الذي ضل راقدا في منزل وليم فيفر في تشارلوت (Harrison, 1883, p. 139) ، مع ان بعض المصادر التي صدرت في السنوات التي اعقبت نهاية الحرب الاهلية ذكرت ان ترينهولم حاول الذهاب مع الرحلة لكنه لم يستطع ذلك. *

دخلت الرحلة حدود ولاية كارولينا الجنوبية لتقضي ليلة 27–28 نيسان في فورت ميلFort Mill وليلة 28–29 نيسان في يوركفيل Yorkville وليلة 29–30 نيسان في يونيون Union، وليلة 30 نيسان– 1 ايار في كوكيسبوري Cokesbury، واخيرا وصلت الرحلة في فجر يوم 2 ايار الى ابفيل Abbeville ، وذهب الرئيس ديفز في ضيافة صديقه الشخصي ارميستد بيرت Armistead Burt ، بينما ذهب الوزراء الاربعة في ضيافة احد شخصيات المدينة البارزة وهو توماس تشيلس بيرين Thomas Chiles Perrin . (Bradley, 2001, p. 142)

قام ديفز بتشكيل ما اسماه "مجلس الحرب" الذي تالف من خمسة ضباط معظمهم كانوا قادة الوية حرسه الرئاسي للتباحث معهم حول شؤون الحرب، وكان يحاول دفعهم لمواصلة القتال ، الا انه فوجئ بانهم متفقين على ان اي اطالة لأمد الحرب تعد امرا مستحيلا . (Bradley, 2001, p. 144)

ايقن الرئيس ديفز ان الهزيمة باتت وشيكة عندما سئل احدهم وهو باسيل دوك Basil Duke عما اذا كان جنوده سيقاتلون ، اجابه " سيخاطرون باي شيء من اجلك" ، وعندما كرر عليه السؤال مع التأكيد بقوله " هل سيقاتلون من اجل الكونفدرالية " ، اجابه " معذرة يا سيدي ، انهم يعتقدون ان الحرب قد انتهت" (Harrison, 1883, p. 145) وبعد هذه اللحظة ايقن الرئيس ان كل شيء قد انتهى وبدأ بالانهيار معنويا ، بينما بدأ وزرائه بإحراق كل الوثائق السرية التي بحوزتهم قبل الاستعداد لمغادرة ابفيل*.

غادرت الرحلة ابفيل على ظهور الخيل في الساعة الحادية عشرة من مساء يوم 2 ايار ، وتخلى الرئيس ديفز عن فرسان الحرس الرئاسي في معبر نهر سافانا تاركا معهم وزير الحربية بريكنريدج ، واتجه الى بلدة واشنطنWashington في ولاية جورجيا بواسطة جسر عائم ، ووصلها في الساعة العاشرة من صباح يوم 3 ايار، وفي صباح اليوم التالي 4 ايار اجتمع مع وزرائه وبعض الضباط في مبنى مصرف المدينة ، تم التباحث فيه حول مستقبل الحكومة ، وحاول الضباط اقناع ديفز بالهروب الى خارج البلاد،

---

* يذكر مدير البريد جون ريغان أن ترينهولم رافق الرحلة نحو عشرين ميلاً وربما وصل معها إلى فورت ميل ، لكنه كان مجبرًا بسبب تردي حالته الصحية للعودة إلى الوراء، ويؤكد آخرون هذه الحقيقة مصرين على ان ترينهولم وصل إلى نهر" كاتاوبا Catawba، ومنهم كورديليا وايت فيفر Cordelia White Pheiffer ، وهي حفيدة وليم فيفر ، التي ذكرت في 29 نيسان 1919 ، إن ترينهولم ذهب بالفعل إلى فورت ميل ومنها الى وينسبورو ، لكن من الصعب الاعتماد على هذه المعلومات لأنها وردت في وقت لاحق وبعد مدة طويلة ، فضلا عن اجماع معظم المذكرات الشخصية للمسؤولين الكونفدراليين على قرار ديفز اعفاء ترينهولم من منصبه في 26 نيسان ، وهو يوم مغادرة الحكومة لتشارلوت، مما يقلل من مصداقية رواية تحرك ترينهولم مع الرحلة . ينظر:(Reagan, 1906, p. 166) ؛ (Hanna, 1959, p. 211).

* ذكرت هانا كلارك بيرينHannah Clarke Perrin (1836–1918) ، ابنة توماس تشيلس بيرين التي كانت تبلغ من العمر في عام 1865 تسعة وعشرين عامًا ، في مذكراتها عن إقامة الحكومة الكونفدرالية في منزل والدها، أن وزير الخارجية جودا بنيامين بدأ في مساء 2 ايار بحرق وثائق الكونفدرالية السرية ، وأشار إلى ختم الحكومة المصنوع من الفضة الصلبة وكان يحتفظ به في صندوق صغير وضعه على الطاولة بانه لا يعرف ماذا يفعل به ، لأنه لا يستطيع حرقه وهو غير راغب في حصول الاتحاديين عليه ، فاقترح الأب أن يرميها في نهر سافانا الذي كان ينوي عبوره في الصباح ، وقال أنه سيفعل ذلك ، لكنه لم يفعل ذلك لان الختم الان موجودا في متحف الكونفدرالية في ريتشموند. ينظر: (Ballard, 1986, p. 108)

الا انه عاد من جديد ليرفض ذلك وكان مصرا على الذهاب الى ميسيسبي او تكساس ، حيث لاتزال بعض القوات الكونفدرالية نشطة هناك من اجل تجميعها ومواصلة القتال. (Chandler, 1989, p. 88)

كان عقد الحكومة الكونفدرالية قد بدا بالانفراط في ابيفيل ، فوزير الحربية بريكنريدج بعد التحاقه بالحكومة في واشنطن في 3 ايار سرعان ما تركها ليغادر متخفيا الى فلوريدا ومنها الى كوبا ، بينما طلب وزير الخارجية جودا بنيامين من ديفز المغادرة مؤقتا الى جزر البهاما لإرسال تعليمات الى عملاء اجانب ثم يعود للالتحاق به في تكساس، لكنه بكل تأكيد لم يكن لديه اية نية في العودة ، فعندما ودعه مدير البريد جون ريغان John Reagan وسأله عن حقيقة وجهته، اجابه بنيامين " ارغب في الذهاب الى ابعد مكان في العالم ، حتى لو كان الصين" (Reagan, 1906, p. 86)، وسلم وزير البحرية ستيفن مالوري استقالته الى ديفز ليغادر الى عائلته في لاجرانج La Grange في ولاية جورجيا.(Chandler, 1989, p. 90)

في هذه الاثناء تلقى ديفز خبرا سيئا جديدا ، عندما وصله خبر استسلام ثالث الجيوش الرئيسية للكونفدرالية للقوات الاتحادية ، وهو الجيش المرابط لحماية شرق لويزيانا ومسيسيبي وألاباما. بقيادة اللواء ريتشارد تايلور Richard Taylor في فجر يوم 4 ايار في جنوب سيترونيل Citronelle بولاية الاباما. (Chandler, 1989, p. 92)

هكذا ، اكتمل استسلام القطعات الرئيسية الثلاث لجيش الكونفدرالية ، ولم يتبق مع الرئيس ديفز من اعضاء حكومته سوى مدير البريد جون ريغان ، وعلى ذلك اقتنع اخيرا بالرضوخ للواقع الذي فرضته عليه الظروف ، وان لا امل بعد في مواصلة القتال، فعقد اخر اجتماع له في الساعة العاشرة من صباح 5 ايار بحضور اربعة عشر ضابط عسكري من بينهم اعضاء مجلس الحرب الخمسة ، واعلن فيه قراره بحل الحكومة الكونفدرالية. (Wise, 1899, p. 444)

بعد نهاية الاجتماع مباشرة غادر ديفز وسكرتيره الخاص بيرتون هاريسون ومدير البريد جون ريغان ومجموعة الضباط الاربعة عشرة لذين رغبوا في مرافقته متجها الى ولاية فلوريدا ، وفي يوم 7 ايار انضمت عائلته اليه، وقضى ليلة 7–8 ايار في ساندرسفيل Sandersville والليلة التالية 8–9 ايار بالقرب مقاطعة ويلكوكسWilcox ، واستمر في السير صباحا حتى عبر نهر اوكمولجي Ocmulgee بواسطة قارب ، ووصل ليخيم ليلة 9– 10 ايار على بعد ميل ونصف من ايرونفيل Irwinville التي تبعد 30 ميلا عن ابيفيل و70 ميلا جنوب بلدة ماكون في ولاية جورجيا* (Hardy, 2012, p. 99).

في اثناء ذلك وجه الرئيس اندرو جونسون والرأي العام في الولايات المتحدة اتهامات لديفز بالضلوع في حادثة اغتيال الرئيس السابق ابراهام لنكولن، ووضع جائزة مقدارها 100 الف دولار لمن يعثر عليه ، ولذلك نشطت القوات الاتحادية في تفتيش ولايتي كارولينا الشمالية وجورجيا بحثا عنه ، وبعد بزوغ فجر يوم 10 ايار هاجمت قوة اتحادية مؤلفة من 140 فارس من فوج فرسان ميشغان الرابع، بقيادة العقيد بنيامين دودلي بريتشارد Benjamin Dudley Pritchard منطقة المخيم ، وتم القاء القبض على الرئيس ديفز والمجموعة التي معه من دون مقاومة. (Cooper, 2000, p. 223)

بعد لحظات حدث اطلاق نار عندما هاجمت قوة من فوج فرسان ويسكونسن الاول الذي يقوده العقيد هنري هارندن Henry Harnden المكان بحثا عن ديفز ، وظن رجال العقيد بريتشارد انهم قوة دعم كونفدرالية فاندلع اشتباك بين الطرفين لمدة خمس دقائق اصيب فيه ثمانية جنود من فوج ويسكونسن الاول بجروح ، بينما خسر فوج ميشيغان الرابع قتيلين وجرح آخر، وروجت القوات الاتحادية لرواية مفادها ان في وقت اطلاق النار سرعان ما لاحظ احد مساعدي بريتشارد وهو العريف جورج مونجر George Munger ، أن امرأتين تبتعدان بسرعة وبشكل مريب عن المخيم مع اقتراب الفوج منه ، وعندما اقترب منهما شاهد ان احداهما ترتدي حذاء رجل ، لذا أوقفهما وطلب منهما إزالة المعاطف، وعند الكشف عن الوجهين تبين انهما جيفرسون ديفيس وزوجته ، يرتديان معاطف نسائية لمحاولة التمويه والهروب من القبض عليهم . (Wise, 1899, p. 449)

استغل الاعلام المعادي لديفز هذه الحادثة للتنكيل به ، فظهرت الكثير من الرسوم الكاريكاتيرية في الصحف الاتحادية ، وانتشرت قصائد السخرية في الولايات الشمالية خلال الأسابيع والأشهر التي تلتها ، وكانت اشهر القصائد التي لاقت رواجا كبيرا في الولايات الشمالية بعد القاء القبض على ديفز هي التي كتب كلماتها هنري تاكر Henry Tucker ولحنها جورج كوبر George Cooper (Cooper, 2000, p. 238) .

كان جيف ديفيس بطلاً جريئًا ، لقد سمعت عنه ، انا أعرف

Jeff Davis was a hero bold, You've heard of him, I know

حاول أن يجعل نفسه ملكًا حيث تهب النسمات الجنوبية

He tried to make himself a king where southern breezes blow

لكن "العم سام" وضع الشباب ورفعه من رقبته القوية

But "Uncle Sam" he laid the youth across his mighty knee

وضربه بشكل جيد وهذه هي نهاية جيفى ديفز الشجاع

And spanked him well and that's the end of brave old Jeffy D

بررت زوجته تلك الحادثة بانها هي وضعت معطفها المقاوم للماء على كتفيه وامرت العبد جيمس هنري جونز James Henry Jones ان يضع شال ثقيل على رأسه بسبب سوء شعوره بالبرد ووقاية لهُ من الطقس العاصف الممطر في ذلك اليوم*، وهو ما يبدو الاقرب للحقيقة نظرا لشخصية ديفز القوية وسيرته العسكرية التي تجعل لجوئه الى هذا التصرف امر مستبعد ، اذ ان في ثقافة المجتمع الجنوبي التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر ، كان ارتداء رجل لزي المرأة يعد امرا مهينا في افضل الأحوال ، اما القيام بذلك بسبب الخوف فيعد امرا بعيدا عن الرجولة والفروسية ، وعلى الرغم من أن السنوات اللاحقة كشفت ان الرواية ليست دقيقة ، إلا أنها جذبت جمهورًا شماليًا مقتنعًا بالفعل بأن الزعيم الجنوبي كان خائنًا ولصًا ، وبالتالي استعد لرؤيته جبانًا أيضًا، ويبدو انها كانت تمهيدا لإذلال الجنوب بعد هزيمته من خلال الاساءة الى سمعة الرجل الاول فيه (Cooper, 2000, p. 239)

الخاتمة:

– كان التفوق العددي في الموارد البشرية والاقتصادية والقدرات الصناعية الذي ينصب في مصلحة الولايات المتحدة، والحصار البحري الذي فرضته الاخيرة على الكونفدرالية ، فضلا عن الازمات الداخلية التي عانت منها الاخيرة ، قد جعل من هزيمتها امرا حتميا ، اذ ان منذ منتصف عام 1864 بدت الولايات المتحدة كأنها تقاتل الكونفدرالية بيد واحدة تاركة الاخرى خلف ظهرها، وكل ما كان باستطاعة الحكومة الكونفدرالية عسكريا هو تأخير سقوط ريتشموند وليس منعه.

– اثبت الارتباك الذي رافق الاداء الحكومي في يوم سقوط ريتشموند ضعف الاستعدادات والتدابير الكافية لحدث كان متوقعا، وافتقار الحكومة الكونفدرالية الى الحكمة السياسية الكافية للتعامل مع ذلك الحدث.

– ادت سنوات الحرب الاربع الصعبة الى تحول جزء غير قليل من الموقف الشعبي الداعم للكونفدرالية الى رفضها والسخط منها، وانعكس ذلك بوضوح في تعامل سكان بلدة غرينزبورو في ولاية كارولينا الشمالية مع موكب الحكومة الكونفدرالية.

– جسد تماسك الحكومة الكونفدرالية وبقاء رئيسها واعضائها جنبا الى جنب لمدة اكثر من شهر بعد سقوط العاصمة ، على الرغم من المتاعب التي واجهوها ، في رحلة ملحمية عبر أربع ولايات عن طريق السكك الحديدية و الخيول والعربات والقوارب، دليلا لا يقبل الشك على ايمانهم بقضيتهم وولائهم لأرضهم واحساسهم بالمسؤولية تجاه ناخبيهم.

* ورد هذا التبرير في رسالة كتبتها فارينا ديفز الى صديق ديفز الشخصي ومدير البريد في حكومة الولايات المتحدة مونتغومري بلير في 5 حزيران 1865. ينظر: (Wise, 1899, p. 450)

ملحق رقم (1)

خريطة ريتشموند في بداية عام 1865

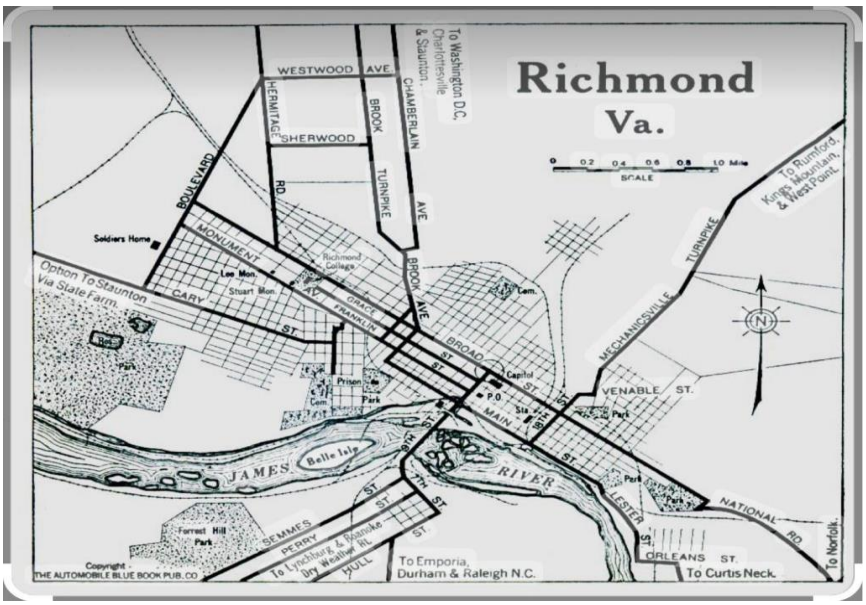

ملحق رقم (2)

خريطة توضح منطقة حريق ريتشموند في 2 نيسان 1865

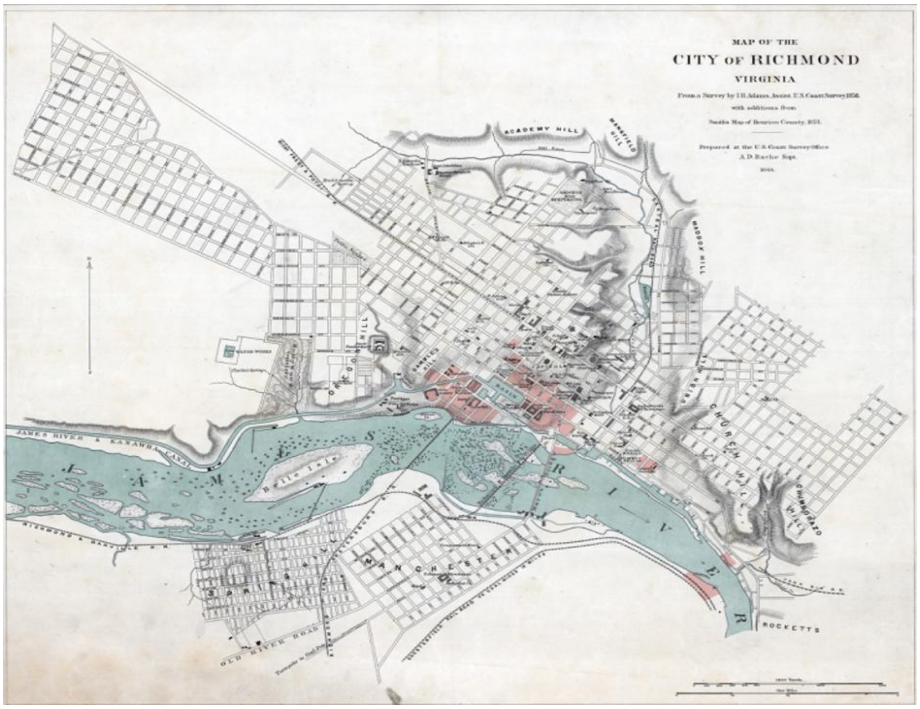

ملحق رقم (3)

خريطة رحلة هروب الحكومة الكونفدرالية 2 نيسان –10 ايار 1865

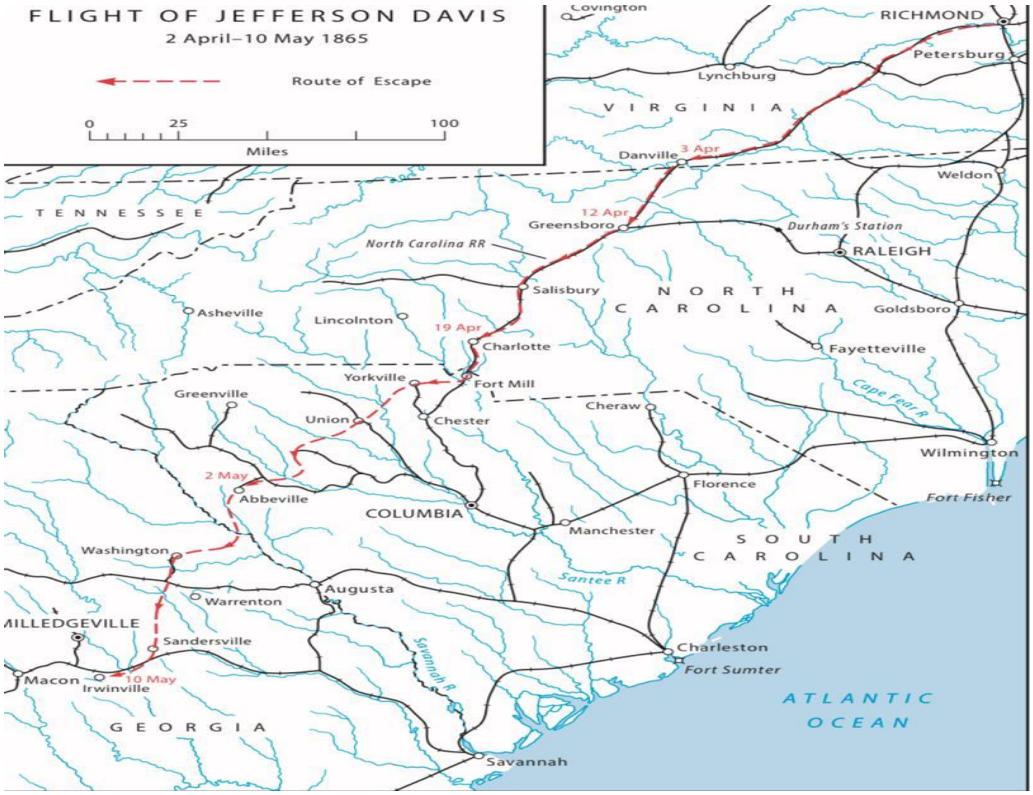

قائمة المصادر

Ballard, B. M. (1986). A Long Shadow: Jefferson Davis and the Final Days of the Confederacy. Georgia.
Barrett, J. G. (1907). The Civil War in North Carolina, North Carolina. NewYork.
Bell, A. H. (1946). The Beleaguered City: Richmond 1861-1865. New York.
Bradley, M. L. (2001). The U.S. Army Campaigns of the Civil War: the Civil War ends 1865. Washington D.C.
Chandler, R. (1989). The Last Days of the Confederacy in Northeast Georgia. New York.
Cooper, W. J. (2000). Jefferson Davis, American. New York.
Davis, J. (1881). Rise and fall of the confederate government. New York.
Hanna, A. J. (1959). Flight Into Oblivion. New York.
Hardy, M. C. (2012). Civil War Charlotte: The Last Capital of the Confederacy. Charleston.
Harrison, B. N. (1883). The capture of Jefferson Davis. New York.
Lankford, N. (2002). Richmond Burning: The Last Days of the Confederate Capital. New York.
Mallory, S. R. (1872). Last days of the confederate government . Louisiana.
Reagan, J. H. (1906). Memoirs: With Special Reference to Secession and the Civil War. New York.
Richardson, J. D. (1904). Transcribed from Messages and Papers of the Confederacy. New York.
Ryan, D. D. (2001). Four Days in 1865: The Fall of Richmond . New York.
Wilson, S. (1955). ,The History of United States. New York.
Wise, S. (1899). The end of an era. Boston.

نظرة المجتمع العربي الى الحرف والصنائع قبل الاسلام

م.م. دوري سليم دوري خليل الدوري

doorialdoori@uomosul.edu.iq
جامعة الموصل، كلية التربية الأساسية، قسم التاريخ

ملخص البحث

إن لتاريخ العرب قبل الاسلام اهمية كبيرة في دراسة تاريخ العرب عامة ولاسيما التاريخ الاسلامي فهو اساسه وركيزته التي يقوم عليها إذ لا يمكن تفسير كثير من الظواهر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية في التاريخ الاسلامي الا بالعودة الى اصولها القديمة في تاريخ ما قبل الإسلام، إذ لكثير من العادات والتقاليد والظواهر السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية أساس قديم ولكن تطور بمرور الزمن وإن اختلفت المسميات او الافعال إن الطبيعة الجغرافية والمناطقية لشبه الجزيرة العربية كان له تأثير في تحديد اشكال العلاقات الاقتصادية بين السكان ونوعية الاعمال التي يمارسونها لكسب عيشهم.

تضمن البحث مقدمة التي جاء فيها أهميتهُ والمنهج الذي ابتعهُ الباحث في الكتابة وتدوين المعلومات مع ذكر اهم المصادر والمراجع التي ارتكز عليها البحث ، ثم التمهيد الذي جاء فيه صورة موجزة عن الصناعات والحرف واقسام المجتمع العربي من خلال الناحية الاقتصادية والاجتماعية مع ذكر عوامل تطور الحرفة والصناعة كما جاء فيه توضيح الحرفة والصناعة والمهنة ثم التفصيل بنظرة أو موقف المجتمع العربي الى كل شكل من اشكال النشاط الاقتصادي والذي كان كالاتي :

المحور الأول : نظرة المجتمع العربي الى مهنة الزراعة .

المحور الثاني: نظرة المجتمع العربي الى الصناعات.

المحور الثالث: نظرة المجتمع العربي الى التجارة.

واخير ذكر نتائج البحث التي توصل اليها الباحث.

الكلمات المفتاحية: نظرة، الحرف ،الصنائع، المجتمع العربي، قبل الاسلام

Arab society’s view of crafts and crafts before Islam

Asst. Lect. Doori Saleem Doori Khalil

University of Mosul, College of Basic Education, Department of History, Master's degree in Islamic history, Arabs before Islam.

Summary

The history of the Arabs before Islam is of great importance in studying the history of the Arabs in general, especially Islamic history, as it is its foundation and pillar upon which it is based, as many economic, social, political and cultural phenomena in Islamic history cannot be explained except by returning to their ancient origins in pre-Islamic history, as many customs Traditions and political, religious, economic and cultural phenomena are an ancient foundation, but they have evolved over time, even if the names or actions differ. The geographical and regional nature of the Arabian Peninsula had an impact in determining the forms of economic relations between the population and the type of work they practice to earn their living.

The research included an introduction that stated its importance and the approach that the researcher followed in writing and recording information, mentioning the most important sources and references on which the research was based, then the introduction, which contained a brief picture of the industries, crafts, and sections of Arab society through the economic and social aspects, mentioning the factors for the development of the craft and industry as well. It clarified the craft,

industry, and profession, then detailed the view or position of Arab society toward each form of economic activity, which was as follows:
The first axis: Arab society's view of the agricultural profession.
The second axis: Arab society's view of industries.
The third axis: Arab society's view of trade.
Finally, he mentioned the research results reached by the researcher.
Keywords: outlook, crafts, crafts, Arab society, before Islam

المقدمة:

تنوعت الموارد الاقتصادية للمجتمع العربي قبل الإسلام وكانت الصنائع والحرف احد اهم أوجه النشاط الاقتصادي الذي زاوله واعتمد عليه واثر هذا النشاط على حياة المجتمعات منذ قديم الزمان والى يومنا هذا ، إن أهمية البحث تكمن في التعرف على الطبيعة الجغرافية والمناخية التي كان لها تأثير في تحديد اشكال العلاقة بين السكان ونوعية الاعمال التي يمارسونها مع الإشارة الى عوامل تطور الحرفة والصناعة عندهم وكيف أن المجتمع العربي كان له موقف او نظرة سلبية او إيجابية تجاه كل حرفة من هذه الحرف (الزراعة والصناعة والتجارة) وماهي الأسباب التي دفعتهم الى هذه النظرة .

اتبع الباحث المنهج التحليلي عند جمع المعلومات من المصادر والمراجع التي دونت المعلومات التي كتبت في تلك الفترة عن طريق ايجاز الآراء او الأسباب الخاصة بكل حرفة او صناعة واشارة الى أيها اقرب الى الصحة والدقة ،تم الاعتماد على مصادر قيمة لاعداد هذا البحث وابرزها رسائل الجاحظ ، وكتاب الحيوان للجاحظ ،عمرو بن بحر (255هـ/822) وتاريخ الرسل والملوك الطبري،ابي جعفر بن محمد ، (310هـ/822) ولسان العرب لابن منظور ،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (711هـ/ 1311م) والمقدمة لابن خلدون ،عبدالرحمن بن محمد 808هـ- /1406م) .

وتم الاستفادة أيضا من المراجع الثانوية في مقدمتها كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،وتاريخ العرب قبل الإسلام ،للمؤرخ جواد علي، وكتاب الصنائع والمهن في نجد والحجاز في صدر الإسلام والعصر الاموي للكاتب احمد عصمان سليمان العمري ، وكتاب العرب في العصور القديمة للأستاذ لطفي عبدالوهاب يحيى.

تمهيد:

كانت الصناعات والحرف منذ القدم ولا تزال تؤدي دوراً كبير في حياة الانسان واقتصاده لتوفير اسباب الحياة المعاشية وتمثل الصناعة اهم مظاهر التطور الحضاري لأي مجتمع من المجتمعات على مر العصور وانها وسيلة رئيسة للارتفاع بمستوى المعيشة ولها دور لرفع قيم المواد الاولية ولسد حاجات ومتطلبات الانسان المختلفة وتهدف الصناعة الى تحويل المجتمع من مجتمع رعوي بدائي الى مجتمع صناعي كما هو الحال بالنسبة للزراعة وبالتأكيد تؤدي الى الاستقرار وبناء مجتمع جديد متطور (العمري، 2012م، صفحة 28).

ويذكر بن خلدون قائلاً (اعلم أن الصناعة هي ملكة في امر عملي فكري وبكونه عملياً هو جسماني محسوس والاحوال الجسمانية المحسوسة نقلها بالمباشرة لان المباشرة في الاحوال الجسمانية المحسوسة اتم فائدة) (خلدون، 1981م، صفحة 317).

لقد شكلت الصناعة مورداً اخر لسكان الجزيرة العربية قبل الاسلام وفي هذه المرحلة فأن الصناعة قد تطورت وظهرت صناعات جديدة تفوق ما كان قائماً وادخلت بعض الإضافات على وسائلها وطرقها لزيادة الانتاج وتحسين نوعيه مما يعني إن الحرفة تجاوزت العمل الصناعي المنزلي وأصبحت تلبي حاجات التبادل وفي هذه الحالة يكون انفصال الحرف اليدوية على الزراعة ظاهرة متقدمة تعبر عن مرحلة جديدة من مراحل التطور المجتمعي ويعد هذا الانتقال شكلا من اشكال التخصص في العمل الإنتاجي (دلو، 2007م، الصفحات 101-102).

إن الطبيعة الجغرافية والمناخية لشبه الجزيرة العربية كان لها تأثير في تحديد اشكال العلاقات الاقتصادية بين السكان ونوعية الاعمال التي يمارسونها لكسب عيشهم حيث قسمت الى ثلاث فئات :

الفئة الأولى: سكنت المناطق الجافة حيث سادت الحياة البدوية الغير مستقرة معتمدة على الترحال طلبا للماء والكلأ وهي لا تنتج الا ما هو بأمس الحاجة اليه.

الفئة الثانية: تركزت في المناطق الزراعية حيث تتوفر الارض الصالحة للزراعة وموارد المياه حيث كانت مستقرة نوعا ما في ارضها ومتحضرة حيث كانت الفئة المجتمعية فيها تعتمد على الزراعة وتربية الماشية مع استخدام بعض الحرف المتلائمة مع هذا الاستقرار.

الفئة الثالثة: حيث تجاوزت الفئة الاولى ولم تدرك الثانية حيث كانت بين الترحال والاستقرار وهذه الفئة تمركزت في منطقة الواحات فكانت نصف مستقرة ونصف مرتحلة (الحاج، 1992م، صفحة 75).

تطور الحرفة والصناعة عند عرب شبه الجزيرة العربية بشكل خاص بفعل عدة عوامل:

1. نمو القطاع الزراعي والمعروف أن بين الصناعة والزراعة علاقة تبادلية ومتكاملة إذ تقدم الزراعة الخامات اللازمة للقطاع الصناعي التي لا غنى عنها للصناعة ويقدم القطاع الصناعي في المقابل الأدوات والآلات اللازمة التي تحتاجها لنموها وتطورها وهذا ما حصل فعلاً في مجتمع الجزيرة العربية قبل الإسلام (معطي، 2003م، صفحة 141).
2. وجود الخامات والمواد الاولية التي تتوزع في اراضي اليمن والحجاز والساحل الشرقي والمقصود به الساحل المطل على الخليج العربي والمحيط الهندي ووجود الثروة الحيوانية التي قامت على جلودها واصوافها ووبرها والبانها صناعات متنوعة وفق ظروف بيئة وحاجات السكان. (يحيى، 1979م، صفحة 334).
3. زراعة بعض النبات التي تستخرج منها مواد تدخل في بعض الصناعات كالدباغ والنسيج والعطور والزيوت والخمور (معطي، 2003م، صفحة 142)
4. وجود ايد عاملة ذات خبرة اكتسبت مهارات معينة ولاسيما الموالي والعبيد الذين كانوا يعملون في المناجم (الهمداني، 1987م، صفحة 89)، واستخدامهم في اعمال الحرف والزراعة في جزيرة العرب لتعالي العرب (علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، 1970م، صفحة 507/7)، حيث ذكر الجاحظ (ان العرب لم يكونوا تجاراً باستثناء قريش ولا صناعاً) (الجاحظ، 1964م، صفحة 69/1).
5. بروز حركات تجارية عمادها الاسواق المحلية والموسمية العامة (معطي، 2003م، صفحة 142).
6. كما أن الصناعة لا تقوم الا في مكان تتوفر فيه امكانيتها من استقرار وامن لوجود حاجة اليها مع توفر المواد الاولية والمواد الخام اللازمة لها ومعنى هذا وجود مكان حضري، اما البداوة فحاجتها الى الانتاج قليلة لأن حياتهم بسيطة تتناسب مع بساطة ذلك المجتمع البدوي ومع درجة بداوته ولذا تفاوتت مستويات الصناعة البدوية بتفاوت مستوى البداوة وبتفاوت درجة حاجتها الى الأشياء (علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، 1970م، الصفحات 506/7-507) وأشار بن خلدون إلى ذلك قائلاً (فاذا تحدثت المدينة و تزايدت فيها الاعمال و وفت بالضروري وزادت عليه صرف الزائد حينذاك الى الكماليات... ، وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتألق فيها واستجادة ما يطلب منها حيث تتوفر دواعي الترف والثروة)) (خلدون، 1981م، صفحة 318) .

المدلول اللغوي والاصطلاحي للحرفة والصناعة والمهنة:

الحرفة لغة : هو تنمية المال ، يقال جاء فلان بالإحراف إذ اجاء بالمال الكثير ويحرف لعياله يكسب من هنا وهنا (الجوهري، 1987م، صفحة 1342/4) والحرفة اسم من الاحتراف وهو الاكتساب يقال يحرف لعياله ويحترف ويقرش ويقترش بمعنى يكتسب ، اما المحارف جمع حريف وهو المعدوم أو المحروم بفتح الراء وهو المحروم واذا طلب فلا يرزق او يكون لا يسعى في الكسب وفي حديث عمر بن الخطاب (ﷺ) حرفه احدهم اشد علي من عيلته أي اغناء الفقير وكفاية امره إيسر من صلاح الفاسد (منظور، د.ت، صفحة 41/9).

الحرفة اصطلاحاً : هي الطعمة والصناعة التي يرتزق منها وهي جهة الكسب وكل ما اشتغل الانسان به أي امر كان فأنه عند العرب يسمى (صنعة) و(حرفة) يقولون صنعة فلان أن يعمل كذا وكذا فلان يعمل كذا (علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، 1970م، صفحة 505/7).

وقيل أن حرفة الصانع هي اخص لأنها تحتاج في حصولها الى المزاولة والصنع اخص من الفعل (الكوفي، 1998م، صفحة 855/1) .

اما الصناعة: هي حرفة الصانع وعمله الصنعة واصطنع عنده صنيعة واصطنعة لنفسه فهو صنيعته (الرازي، 2006م، الصفحات 261-262) .

والصناعة من وجهة نظر علم الاقتصاد الحديث بأنها هي عملية تحويل المواد الاولية الخام الفائضة عن الحاجة الى سلع اخرى مقيدة تستهلك في الاسواق المحلية او تصدر إلى الخارج وعماد الصانع على يديه يستعملها في صنع الاشياء كما يعتمد على ذكائه في تحول الأشياء الى اخرى اهم منها او الى شئ اخر يريد او يطلب منه وهو بالطبع اهم العناصر المنتجة اللازمة في الحياة الاقتصادية فهو محور الانتاج وتقاس على قدر انتاج الامم غناها ومقدار تقدمها وتكون منزلتها بين الشعوب (علي، 1970م، صفحة 505/7).

والمهنة هي الخدمة (الزمخشري، 1979م، صفحة 394/3) والمهنة هو العمل وامتهنه امتهانا وقيل للخادم ماهن والجمع مهان و مهنة (العسكري، 1992م، صفحة 523/1) واطلق على الأشخاص الذين يقومون بالعمل الصناعي او الذين يعملون في الانتاج الصناعي باسم ارباب جمع رب بمعنى صاحب العمل (الباشا، 1965م، صفحة 31) او سيد العمل او مالكه ورب كل شيء مالكه و مستحقه و قيل صاحبه ويقال فلان رب هذا الشيء مالكه (منظور، د.ت، صفحة 399/1) وهناك ارباب السيوف وارباب الوظائف الصناعية الأخرى (الباشا، 1965م، صفحة 33).

موقف العرب من الحرف والصناعات قبل الإسلام:

كان لدى العرب في العصر الجاهلي بعض الاعراف والعادات التي سار عليها او التي اثرت عليهم في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية ومنها احتقارهم لبعض الحرف وابتعادهم عنها وقبولهم لبعض الحرف الاخرى فقد كانوا لا يأنفون من الرعي ولا من التجارة اما الزراعة فقد كانت محترمة الى حد ما عند الحضر اما البادية فكانوا يحتقرون الزراعة ويأنفون منها اما الصناعة فتختلف نظرتهم نحوها فمنها ماهو مقبول عندهم ويمتهنها الكثير منهم كالغزل والنسيج الذي ينتشر عند الحاضرة والبادية دون اي احتقار لمن يعمل ذلك عندهم (العمري، 2012م، صفحة 42).

ونظرا لتعدد اوجه النشاط الاقتصادي عند مجتمع الجزيرة العربية فقد اختصت كل منطقة بنوع معين من أوجه النشاط تبعاً للمكان الجغرافي والاحوال المناخية والتركيبة الاجتماعية، وسأفصل نظرة المجتمع من الحرف والصنائع كلا على حدا:

المحور الأول: نظرة المجتمع العربي الى مهنة الزراعة:

كانت الزراعة ولاتزال تعد احد اوجه النشاط الاقتصادي الرئيسي لمجتمع الجزيرة العربية في المناطق التي توافرت فيها ظروف مناخية وجغرافية جيدة حتى أن بعض المناطق الإنتاج المحلي الى تصدير بعض منها الى المناطق المجاورة او الى الخارج واشتهرت مناطق عديدة من شبه الجزيرة العربية بالزراعة وبأنواع متعددة منها (الفواكه والخضروات وزراعة أشجار النخيل) مثل يثرب والطائف التي كانت تمون مدن الحجاز بما تحتاجه ،كما عرف عن مناطق اليمن المختلفة بزراعة الطيوب والتوابل والبخور ودخولها كعنصر مهم في تجارتها وحتى في الحياة الدينية ولعبها دورا مهما سواء في الحروب الداخلية مثل حرب البسوس وحملة اليوس جالوس في اليمن التي كان هدفها السيطرة على اليمن والتحكم بمواردها الاقتصادية والسيطرة على الطريق التجاري الذي كان يمر عبر اليمن.

وعلى الرغم من ذلك فأنه كان هنالك تصور لدى بعض المؤرخين أن الزراعة مهنة متدنية وموردا غير مهم ، مستشهدين بذلك بقول الاعشى الكبير لوصفه بني اياد وحالهم واعتمادهم على الزراعة بقوله :

خُرِبَت بُيوتُ نَبيطَةٍ فَكَأَنَّما ... لَم تَلقَ بَعدَكَ عامِراً مُتَعَهِّدا
لَسنا كَمَن جَعَلَت إِيادٌ دارَها ... تَكريتَ تَمنَعُ حَبَّها أَن يُحصَدا
قَوماً يُعالِجُ قُمَّلاً أَبناؤُهُم ... وَسَلاسِلاً أُجُداً وَباباً مُؤصَدا

(الكبير، 1940م، صفحة 231)

ويذكر ايضا أن الغزو والغارات اكرم وافضل وسيلة للحياة :

جَعَل الْآلَهُ فِي مَالَنَا ... رزقاً تَضَمَّنَه لَنَا لَن يُنَفِّذَا
مِثْل الْهِضَاب جَزْأَرَة لسيوفنا ... فَإِذَا تُرَاع فَإِنَّهَا لَن تطردا

(الكبير، 1940م، صفحة 231)

وهنا ينبغي الإشارة الى أمرين مهمين حول وصف الاعشى الكبير لبني اياد:

الأمر الأول : إن مناسبة القصيدة التي ذكرها الاعشى الكبير كانت عندما طلب كسرى منهم رهائن ،عندما اغار الحارث بن وعلة على بعض السواد، فهاجم الاعشى قبيلة اياد التي يضطرها موقعها في اطراف الجزيرة الى ممالاة الفرس فينفيهم عن العرب ويشبههم بالأنباط لأنهم يعتمدون في حياتهم على الزراعة وهذا يصور احتقار الاعراب (البدو) لأصحاب الزراعة والصناعة ،لأن مثلهم الأول أن يكون الرجل فارسا ومقاتلا وباقي الحرف تقوم على الاستقرار واصحابها يتجنبون الحروب والغزوات ما استطاعوا (الكبير، 1940م، صفحة 229).

الأمر الثاني: سبب تشبيه بني اياد بالأنباط ،حيث وضح المؤرخ جواد علي اهم الآراء حول اصلهم ومنها ذكره أن الاخباريين ذكروا أن اصل الانباط جيل من العجم ينزلون البطائح بين العراقيين وسموا بذلك لكثرة النبط عندهم وأن العرب تنفر منهم ،وإذا أراد احد الاستهانة بأحد قال له يانبطي ولذلك تفهم بعض الكتاب أن الاعشى نفا بني اياد عن العرب وشبههم بالأنباط فهم يقصدون بقايا الشعوب القديمة خاصة النازلين في البطائح منهم ترسبات الاراميين في العراق والشام وذلك قبيل الإسلام وفي الإسلام وكانوا يتكلمون بلهجات عربية ولكن برطانة اعجمية وبلكنة غريبة ظاهرة (علي، 2011م، الصفحات 10/3-11).

من خلال ماتقدم يمكن القول أن بعض المؤرخين العرب اعتمدوا على وصف الاعشى وآرائهم حول الانباط أن الزراعة مهنة متدنية وأن العرب كرهوا هذه المهنة وعلى الأرجح أن الذين كرهوا هذه المهنة واعتبروها مهنة متدنية ونظروا اليها نظرة تتسم بالكراهية هم البدو (الياس، 2008م، صفحة 47)

وردت بعض الإشارات في المصادر العربية الى كره بعض المجتمعات للزراعة كما حصل مع بني حنيفة حيث كانت من القبائل التي عملت بالزراعة قبل الاسلام لأن مواطنهم خصبة واراضيهم صالحة للزراعة (الجاحظ، 1940م، صفحة 380/4) وهم اصحاب نخل وزروع (حزم، 2012م، صفحة 309)وكانت القبائل الأخرى تنظر اليهم نظرة فيها احتقار مشوب بقدر من الحسد ليسر حالها ورخاء عيشهم (الجاحظ، 1940م، صفحة 380/4) وذكر المؤرخون أن قول الشاعر جرير بن عطية للصلتان العبدي هو تعبير عن هذه النظرة حيث قال:

أَقُولُ وَلَمْ أَمْلِك سَوَابِق عِبْرَة مَتَى كَانَ حُكْمُ اللَّهِ فِي كرّب النَّخْل

(الزبيدي، د.ت، صفحة 132/4)

فاجابة الصلتان العبدي:

أعيّرتنا بِالنَّخْل إنْ كَانَ مَلَكْنَا لود أَبُوك الْكَلْبَ لَوْ كَانَ ذَا نَخْل

(الجحمي، د.ت، صفحة 405/2)

وفسر المؤرخون هذه الابيات بأكثر من تفسير ومنهم من قال أن جرير يعير الصلتان العبدي بأنه هو وابوه من اصحاب النخل (الجاحظ، 1940م، صفحة 264/1)، في حين ذكر النيسابوري في كتابه مجمع الامثال مثل (متى كان حكم الله في كرب نخل) وهذا المثل لجرير قال للصلتان العبدي لأنه من بلاد عبد قيس بلاد نخل ويضرب هذا المثل فيمن يضع نفسه حيث لا يستأهل (النيسابوري، د.ت، صفحة 382/2) بينما ذكر ابن منظور في كتابه لسان العرب أن جرير قال ذلك لما بلغه الصلتان العبدي فضل الفرزدق عليه في النسيب وفضل جريرا على الفرزدق في شعره (منظور، د.ت، صفحة 317/1) .

من خلال ماتقدم ذكره يمكن القول أن نظرة بني حنيفة هي نظرة حسد وليس كراهية وانزالهم منزلة متدنية حيث وضح ذلك الجاحظ في كتابه الحيوان في باب كثر (كثرة الشعر وقلته في بعض قبائل العرب) حيث ذكر ((وبنوا حنيفة مع كثرة عددهم وشدة بأسهم وكثرة وقائعهم وحسد العرب لهم على دارهم وتخومهم وسط اعدائهم حتى كأنهم وحدهم يعدلون بكرا كلها ومع ذلك لم نر قبيلة قط اقل شعرا منهم))، (الجاحظ، 1940م، صفحة 380/4).

وربما هذه النظرة كانت منتشرة في جميع اجزاء الجزيرة العربية حيث كان ينظر الى فلاحة الأرض بأنه عملاً وضيعا او اقل درجة من بالتجارة التي تعد عملا نبيلاً (دوبلانهول، 2008م، صفحة 50) ، وتوارثتها المجتمعات العربية واستمرت حتى في بدايات الاسلام الاولى حتى أن بعض الصحابة كرهوا تعاطي العمل في الارض حتى بعد الفتح تاركين ذلك لأهل الذمة (علي، 1970م، صفحة 26/7) .

واشار الجاحظ الى ذلك بأن العرب لم يكونوا اصحاب فلاحة فيكونوا مهنة ولا اصحاب زروع لخوفهم من صغار الجزية والشاهد الثاني روي عن ابن امامة الباهلي (الجاحظ، 1964م، الصفحات 1/69-70)انه قال اذا رأى سكة وشيئا من آلة الحرث فقال سمعت النبي (ﷺ) : لايدخل هذا البيت قوم الا ادخله الذل (القسطلاني، 1996م، صفحة 302/5) .

ويمكن ايجاز الاسباب التي دعت بعض عناصر المجتمع وخاصة (البدو) الى كره الزراعة الى عدة اسباب وهي:

1. نشأت كراهية الزراعة في عدم توفر الماء والارض لأكثر الناس فصاروا يكرهونها اما الذين ملكوها فلم يزدرؤها ولم يغضوا من شأنها والاعرابي لا يملك شيئا فصار يكره كل شيء لا يملكه ولا يقدر عليه من زراعة وحرف ومن قيود اجتماعية وهى تنظيم ومن كل ما يخالف مألوف في عرف وتقاليد (علي، 1970م، صفحة 27/7).

2. إن الزراعة وخاصة زراعة الحبوب دخلت بعض اقسام شبه الجزيرة العربية من مناطق اخرى وتعد مهنة دخيلة حين ظل الرعي هو المورد الاساسي والعمل به هو المهنة الاصلية واعتبرت هذه المهنة من اصلا ارامي ويبدو هذا السبب ضعيف جدا نظرا لوسعة الاراضي التي كانت تزرع في اليمن او مناطق أخرى من الجزيرة العربية وتشير الاثار والنقوش جميعها التي عثر عليها في شبه الجزيرة العربية الى انها كانت موردا اصليا من موارد الانتاج ليس فيه جمال لأن يتعالى عليه احد او يحط من شأنه او شأن المشتغلين به (يحيى، 1979م، الصفحات 295-296).

3. كره البدو الزراعة لما فيها من مساوئ اذ يلزمهم أن يدفعوا لشيخ القبيلة حقوقاً لأرضهم التي استأجرها منه وكان ذلك فوق طاقتهم حيث كان رؤساء القبائل يستعملون العبيد والاجراء على كراء الاراضي واستغلالها اما هم فقد خلقوا سادة لذا اصبح البدوي يكره الزراعة لما فيها من استعباد له (اغا، 2006م، صفحة 50).

4. لم يستطيع رؤساء القبائل وبعض المقربين لهم في العصر الجاهلي من اصحاب الاقطاعات من زرع مساحات واسعة بالحبوب والخضار او النخيل لعدم توفر المياه وقلة سقوط الامطار (اغا، 2006م، صفحة 50).

5. كره زعماء بعض القبائل الصغيرة من زراعة ما يكون فى اقطاعات لعدم توفر الحماية للمزارعين وقلة الامن والعبث بحقوقهم وعدم تقديم المساعدة المطلوبة لهم وكان من الصعب ظهور مزارع كبيرة ذات انتاج وفير يقوم بدور التصدير (اغا، 2006م، صفحة 50) .

يتبين مما تقدم ان البدو كرهوا الزراعة لأنهم رأوا فيها تقييداً لحريتهم والارتباط مع الارض ومع العوامل الطبيعية من حيث وفرة الامطار وجودة التربة فاذا توفرت الامطار سوف يكون انتاجهم وفير وإذا لم تتوفر الامطار سوف يكون عليه موسم قحط وجفاف وكان عليهم تسويق منتوجاتهم بأنفسهم فضلاً عن العوامل الطبيعية فأنها تحتاج الى عدة عوامل اخرى ربما لم تكن متوفرة للبدوي مثل رأس المال واليد العاملة.

المحور الثاني : نظرة المجتمع العربي الى الصناعات:

إن المهن والصنائع كانت عند العرب من المثالب فلا تحترم الا مهنة الغزو والتجارة وخدمة الكعبة (الكلبي، 2009م، صفحة 29) وليس المقصود بالغزو كمهنة رئيسة كما هو المتعارف في توضيح المهنة انما كمورد اقتصادي او ربما نشاط اقتصادي اضافي الى ممارستهم مهنة الرعي وتربية الابل حيث تقدم توضيح ذلك عند التكلم عن النظرة الى الزراعة وتوضيح شعر الاعشى الكبير، وعبر عن هذه النظرة الى الصناعات شعراؤهم كما فعل الشاعر امية بن خلف عندما عير حسان بن ثابت الانصاري (ﷺ) بحرفة الحدادة ليس لأنه عمل بالحدادة بل لأنه يمني الاصل اذ عرف اهل اليمن بالحرفة والعمل في شتى الصنائع ((السنجري، 2012م، صفحة 42) حيث يقول :

يمَانِيّاً يَظَلُّ يَشُدُّ كِيراً وينفُخُ دَائِباً لهَبَ الشوَّاظِ

(الحموي، 2008م، صفحة 509/4)

والشاهد الاخر قول عمر بن كلثوم يهجو النعمان بن المنذر بأن اخواله كانوا حدادين وصواغين:

لَحَا اللهُ أَدْنَانَا إِلَى اللُّؤْمِ زُلْفَةً وَأَعْجَزَنَا خَالًا وَأَلْأَمَنَا أَبَا

وَأَجْدَرَنَا أَنْ يَنْفُخَ الْكِيرَ خَالُهُ يَصُوغُ الْقُرُوطَ وَالشُّنُوفَ بِيَثْرِبَا

(الاصفهاني، د.ت، صفحة 61/11)

رجح المؤرخون كره بعض اقسام المجتمع العربي الى الحرف والصنائع بثلاثة اراء موجزة:

- **الراي الاول :** وتمثل بالمؤرخ جواد علي بقوله (اما الذي ازدرؤها و كرهوها فهم الذين لم تتوفر لهم الاسباب التي تغريهم على الاشتغال بالحرف والصناعات ولم تتوفر لديهم المواد الاولية ولا الظروف المساعدة على قيام الحرف لذلك كره من يكره شيئا لا يملكه ولا يناله او لأن يده لا تصل اليه ولو ملكه لغير حكمة من غير شك (علي، 1970م، صفحة 279/4).
- **الراي الثاني :** حيث فسر كره الفئة الاولى من المجتمع التي تقدم ذكرها (البدو) بسب كون هذه الصناعة من حرف العبيد والخدم والاعاجم المستضعفين من الناس وبسبب كون هذه الصناعة تتطلب الاستقرار والخضوع للسلطة والتحلق للمشتري وكلها امور تتناقص مع نظرة تلك الفئة (ياسين، 1988م، الصفحات 46-47).
- **الراي الثالث :** كشفه المؤرخ واضح صمد اذ يعزو كراهية البدو العمل الى ((كون العربي كان يرى فيها تقييدا لحريته وحداً من حركته وقيل انهم اذا ارادوا تحقير انسان وسبه بكلمة تكون مجمع السباب قالوا له يا ابن الصنائع وكانوا يعيرون اليمنين (الصمد، 1981م، صفحة 15) بأنهم كانوا بين دابغ جلد وناسج برد (الحموي، 2008م، صفحة 510/4).

ويبدو راي الدكتور جواد علي هو الاقرب الى الصحة او الدقة و أن هذه النظرة توارثتها الاجيال والمجتمعات من جيل الى اخر حيث لا يزال هناك اشخاص منفردين او مجتمع بأكمله ينظر الى مهنة أو حرفة معينة نظرة دونية اونظرة ازدراء او احتقار ربما لأن الحرفة تأتي بمردود اقتصادي اعلى من المهنة او الوظيفة التي يملكها او يزاولها خاصة اذا كان ذلك الشخص من فئة غير معروفة في المجتمع او انه جاء بها من خارج البلاد، وقد يكون سبب اجتماعي وهنا يكمن في أن بعض الاشخاص يأنفون من مزاولة تلك المهنة بذريعة أن ابائهم او اجدادهم كانوا شيوخ او اصحاب نفوذ معين في فترة زمنية معينة وقد يمتد الامر الى أن المجتمع يرفضهم من ان يزوجوا بناتهم لهم بذريعة انه ليس من مقامهم او أن مهنتهم غير مقبولة عندهم.

وهذا الموقف كان حاضراً في صدر الإسلام وأن العرب تعالوا على الصناعة وأن الموالي هم الذين كانوا يعملون فيها حتى يذكر أن زياد بن ابيه استشار الاحنف بن قيس بقتل الموالي فرفض الاحنف ذلك وقال: (فهم يقيمون اسواق المسلمين أفنجعل العرب يقيمون اسواقهم قصابين وقصارين وحجامين) (عساكر، 1998م، صفحة 320/24) وفي اثناء حروب المهلب بن ابي صفرة مع الخوارج (الازارقة) عندما ارسل الجواسيس الى جيش العدو جائته الاخبار بأنهم من الموالي وهم حشوة الناس (رذالهم) ما بين قصاب وصباغ وداعر وحداد (المبرد، 1997م، صفحة 226/3).

والشاهد الاخر لتعالي العرب عن الحرف والصنائع وانها استمرت الى بدايات الاسلام الاولى أن حمزة بن عبد المطلب (ﷺ) وهو يقاتل في معركة أحد شاهد رجلا مشركا يعرفه فقال له حمزة (هلم الي يا ابن مقطعة البظور) (هشام، 2010م، صفحة 736) هذا دليل بأنه كان ينتقص منه ومن مهنة والدته وانه ليس بمقامة ووصفه بهذا الوصف او الكنية.

إن المجتمع العربي كانت تختلف وجهة نظره أو موقفه من حرفة الى اخرى وحرفة اهون او افضل من حرفة اخرى حيث كان يحتقر بالدرجة الاولى من يمتهنون الحدادة ويسمونه القين فكلمة القين تعني العبد التي ترتبط بالحدادة دائما (الزبيدي، د.ت، صفحة 29/36) مما يدل على احتقارهم للحدادين حتى انزلوهم منزلة العبيد او الارقاء فكانوا يشكلون طبقة وضيعة في المجتمعات الجاهلية فلا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم بل يأنفون من مخالطتهم والتحدث اليهم وبالتالي ابتعد اشراف العرب عن الصناعات وسيطر عليها الموالي او الوافدون الاجانب مما جعل هذه الحرفة حكراً عليهم واكسبهم اموالا وفيرة وكان بعض العرب نتيجة لذلك يجلبون الرقيق الصناع ويستغلونهم في العمل لدى الناس لكي يجمعوا الأموال (العمري، 2012م، صفحة 43).

بالإضافة الى ما تقدم فأن البدو هم اكثر فئة مجتمعية انتقصت من الحرف وخاصة الحدادة فعلى سبيل المثال لم يجد جرير ما يهجو به الفرزدق افضل من وصفه ابن حداد:

إِذَا عُدْتُ اَلْأَيَّامُ آخَرِينَ دِرَامَا وَتَجْزِيكَ يَا اِبْن اَلْعَيْلَة أَيَّامِ دَارِمْ

(جرير، 1986م، صفحة 463)

كذلك هجا الاشهب بن رميلة الفرزدق:

يا عجباً هل يركبُ القَينُ الفَرَس وعَرَقُ القينِ على الخيل نَجَس

وإنّما أداتُــه إذا جَلَــس الكلبتانِ والعَلاةُ والقَبَس (الاصفهاني، د.ت، صفحة 43/19)

إن الاعتبارات العملية ومتطلبات الحياة الواقعية املت بوجود بعض الحرف البسيطة بين البدو انفسهم لأن العمران البدوي لا تحتاج من الصنائع الا البسيط وخاصة المستعمل من الضروريات من نجار وحداد او خياط واذا وجدت هذه فلا توجد كاملة ولا متجازءة وأنما يوجد منها بمقدار الضرورة اذ هي كلها وسائل الى غيرها وليست مقصورة لذاتها (خلدون، 1981م، صفحة 401).

إن عامل الجغرافية (وجود معدن ما) سبب اخر لكره بعض الفئات المجتمعية للحرفة والصنائع كما حصل مع بني اسد عندما احترفوا الحدادة حتى سمو بالقين وسمي الحداد هالكي لأن أول من عمل بالحديد الهالك بن عمر بن اسدين خزيمة ولذلك قيل لبني اسد القيون حيث وجد معدن الحديد في موقع هذه القبيلة (بني سليم) قد حدا بهذه القبيلة الى محاولة استخراج المعادن (قتيبة، 1988م، صفحة 56).

ولكن هذ لايعني أن المجتمع العربي قبل الاسلام ولا سيما سكان المدن والقرى لم يكن لهم نشاطا صناعي انما كان لهم انجازات صناعية بمختلف نواحيها ، وكان هناك ايضا محلات صناعية وعمال صناعين لهم ادواتهم للقيام بهذه الامور الصناعية المتنوعة الكثيرة من حدادة ونجارة وخياطة ونسيج ونحت واذا كان من المحتمل ان العرب الشماليين قبل الاسلام كانوا يجلبون بعض حاجياتهم مصنوعة جاهزة من البلاد التي كانت ارقى منها حضارة وصناعة التي كانوا يصلون اليها في بعض رحلاتهم التجارية فالمتبادر الى الذهن ان ذلك يقتصر على ما يمكن لصناعهم المحليين اجادته وعلى ادوات الترف الكمالية الدقيقة الصنع وحاجتها من زخارف وزينة ونسيج وانية وسلاح (دروزة، 1961م، صفحة 184/5).

المحور الثالث: نظرة المجتمع العربي الى التجارة :

إن التجارة تعد من اهم اسباب معايش المجتمع العربي قبل الإسلام حيث كانت العرب تتمادح بكسب المال (الالوسي، 2008م، صفحة 379/3) وتكاد تكون التجارة الحرفة الوحيدة التي لم ينظر اليها وإلى المشتغل بها نظرة استهجان وازدراء و انتقاص بل تعد عندهم من اشرف الحرف قدرا و منزلة نظرا الى التاجر نظرة تقدير وإجلال وانها حرفة اخرى مثل باقي الحرف فيها الخدع واللعب على الناس ما في حرفة اخرى وفيها عمل وجهد على نحو ماهو في الزراعة او الصناعة ولكنها نظرة وإجتهاد الى الحياة وظروف طبيعية جعلت العرب تجاراً في الغالب فشرفوا التجارة على غيرها و الحرف وقدموا عليها في المنازل والدرجات وبقيت على هذه المنزلة والدرجة في الإسلام (علي، 1970م، الصفحات 227/7-228) .

لم تكن هذه النظرة على درجة واحدة حيث كانت هناك بعض المجتمعات لايجدون في حرفة التجارة شرفاً مؤثلا بل كانوا يعتبرون بعض القبائل ولاسيما قريش بكونها قبيلة تجار لا يعرفون الحروب ولا يخوضونها ويتوقونها خوفاً على تجارتهم وانها شغلتهم عن امور الحرب وممارستها ولعل احتقار التجارة من قبل بعض فئات المجتمع العربي وخاصة الفئة التي اعتمدت في موردها الاقتصادي على الترحال ورعي الماشية (كالبدو) هو طبع لازم بهم يعيش من سيفه ورمحه وليس غريباً آن يأتي زعيم طي فيعير قريشاً بالتجارة ويجد انهم ليسوا اهلا للحرب (الرشيد، 1984م، صفحة 220).

والشاهد الاخر هو رواية الطبري في حديثه عن فتوحات سعد بن ابي وقاص (ﷺ) في بلاد فارس ان الياس بن قبيصة الطائي (اخر حكام المناذرة) كان على مرابطة كسرى سأل عن سعد بن ابي وقاص فقيل له: رجل من قريش ، قال اما اذا كان قريشاً فليس بشيء والله لاجاهدنة القتال انما قريش عبيد من غلب والله ما يمنعون صغيرا ولا يخرجون فى بلادهم الاغفير (الطبري، 1960م، صفحة 572/3).

ويقول الشاعر في مكة قصيدة تحتج بها اليمانية على قريش ومضر :

وَلَا مَرْتَع لِلْعَيْنِ أَوْ مُتَقَنَّصْ وَلَكِنَّ تَجَرَّاً ، وَالتِّجَارَةُ تُحَقِّرُ

(الجاحظ، 1964م، صفحة 185/1)

والمثال الاخر هو محاورة معاوية بن ابي سفيان قال له زيد بن صوجان كم تكثر بالامرة قريش، فمازالت العرب تأكل من قوائم سيوفها وقريش تجار (العربي، 1970م، صفحة 91).

ربما كان للعامل الديني أثر او ساعد على سلوك بعض المجتمعات العربية قبل الاسلام وكرههم للحرب وهذا ما كان عند قريش حيث ذكر الجاحظ سبب ترك قريش للغزو الى انهم اهل خمس قتال وكانوا ديانين ولذلك تركوا الغزو لما فيه من الغصب واستحلال

الاموال واستحسان الغصوب على تركوا الغزو ولم تبقى مكسبة سوى التجارة فضربوا في البلاد الى قيصر الروم والى النجاشي بالحبشة والى المقوقس بمصر وصاروا بأجمعهم تجاراً خلطاء (الجاحظ، 1970م، صفحة 472)

ويعزي بعض المؤرخين حول كره بعض المجتمعات حرفة التجارة كونها تتعلق بعامل اخلاقي او بشيء من السلوك الاخلاقي المتعلق بالفرد المتمرس لها حيث يذكر بن خلدون (أن خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف والملوك) (خلدون، 1981م، صفحة 314) .

واضاف ايضاً ان التجار في غالب احوالهم يعانون البيع والشراء ولابد فيه من المكايسة ضرورة فأن أقصر عليها اقتصرت به على خلقها و هي يعني خلق المكايسة بعيدة عن المروءة التي تتخلق بها الملوك والاشراف واما من استرذل خلقه بما يتبع ذلك اهل الطبقة السفلى منهم من المماحكة و الغش والخلابة وتعاهد الايمان الكاذبة على الإثمان ردآ و قبولاً فأجدر بذلك الخلق ان يكون في غاية المذلة وقد يوجد فهم من يسلم من هذا الخلق ويتماشى لشرف نفسه وكرم جلاله الا انه من النادر بين الوجود (خلدون، 1981م، صفحة 314).

واشار اليها المتنبي الذي يعد بحق امتداد لذلك العربي في جاهليته فيقول راثيا ام سيف الدولة الحمداني:

وَلَا مِنْ فِي جِنَازَتِهَا تُجَّار يَكُون وَدَاعُهَا نَفْضَ اَلنِّعَالِ

(المتنبي، 1963م، صفحة 131)

إن النظرة السلبية تجاه هذه الحرفة من قبل بعض فئات المجتمع العربي لا يعني انه لم يمارسها بل كانت حرفة رئيسة لبعضهم وبعض الاحيان تكون حرفة رئيسية لقبيلة بأجمعها كما حصل مع(قبيلة قريش في مكة) كانت هي الحرفة الوحيدة التي تزاولها هذه القبيلة ولا تزاول أي حرفة اخرى دفعتها عوامل عدة للقيام بهذه الحرفة منها الموقع الجغرافي والمكانة المقدسة (الكعبة) مع وجود العامل المناخي حيث كانت قليلة الامطار وبالتالي لا تصلح للزراعة، والعامل الاجتماعي الذي تمثل بسيطرة قريش على الزعامة حيث كانت التجارة اهم أسباب معايشهم لاسيما سكنة الحجاز ونجد وما شابهها في الاقطار المقحطة والبلاد القليلة الخصب وكانت العرب تتمادح بكسب المال ولا سيما قريش كان لها في السنة اربع رحلات كما هو مذكور في سورة قريش قال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ((لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴿1﴾ إِلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿2﴾فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴿3﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴿4﴾) (القران الكريم ، سورة قريش).

وهو الايلاف وكانوا اربع اخوة وذكر فيهم الشاعر :

يَا أَيُّهَا اَلرَّجُلُ اَلْمُحَوِّلُ رَحْلَهُ هَلَّا نَزَلْتَ بَال عَبْدِ مَنَافْ
اَلْآخِذُونَ اَلْعَهْدَ مِنْ آفَاقِهَا وَالرَّاحِلُونَ لِرِحْلَةِ اَلْإِيلَافْ
وَالرَّائُشُونْ وَلَيْسَ يُوجَدُ رَائِشْ وَالْقَائِلُونَ هَلُمَّ لِلْأَضْيَافِ
وَإنما لِطُولِ غَنِيّهُمْ بِفَقِيرِهِمْ حَتَّى يَصِيرَ فَقِيرَهُمْ كَالْكَافِي

(الالوسي، 2008م، الصفحات 3/379-380)

وذكر الالوسي في كتابه بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب أن اهل اليمن وعمان والبحرين وهجر زاولوا حرفة التجارة وكانت كثيرة ومعايشهم وافرة لما في بلادهم الخصب والرخاء والمعادن الجيدة واهل نجد دون غيرهم في الثروة والتجارة لما أن الغالب على ارضهم الرمال وكانت بلادهم دون بلاد العرب في رفاهية العيش ورواج التجارة وكانوا يجتمعون في الاسواق (كل سوق له موسم من السنة) هذا يدل أن الحرفة كانت سائدة في معظم مناطق الجزيرة العربية وانها كانت متطورة وكانت لها اسواق ومواسم خاصة وتسميات خاصة فيما يتعلق بأحوال السوق والعملات المتداولة هذا يبطل الادعاءات التي كانت تشر الى ان حرفة التجارة كانت غير مرحب بها او كان ينظر اليها نظرة سلبية، نعم قد تكون بعض عناصر المجتمع قد نظرت اليها نظرة غير جيدة أو دونية لكون هذه المجتمعات قد لا تملك مقومات التجارة او ليس لديها ما يمكنها ذلك وقد يكون الكثير من سكان مناطق اليمن قد برعوا في التجارة وانهم اصبحوا ذو نفوذ سياسي في اليمن من اصحاب السلطة (الالوسي، 2008م، الصفحات 3/381-380).

نتائج البحث

توصل الباحث الى مجموعة من الاستنتاجات يمكن تلخيصها بما يلي:

1. شكلت الحرف والصنائع موردا اقتصادية مهما لسكان شبه الجزيرة العربية وقد وصلت الى مرحلة متطورة بفعل عوامل عديدة .
2. اختلف موقف المجتمع العربي بعناصره الثلاثة من حرفة الى أخرى.
3. بعض فئات المجتمع العربي كرهت هذه الحرف لعدم توافر عوامل قيام هذه الحرف سواء الارض واليد العاملة او رأس المال او الخبرة اللازمة للقيام بهذه الحرف.
4. إن النظرة الى الزراعة بأنها مهنة متدنية توارثها العرب في الاسلام المبكر.
5. احتقرت بعض فئات المجتمع الصنائع والحرف وترى انها من اختصاص العبيد والمستضعفين وابتعد اشراف العرب عنها.
6. لم يكن احتقار العرب للزراعة والصناعة فقط انما كانت هناك بعض القبائل العربية تحتقر التجارة وتعد قبيلة قريش من التجار قد شغلتهم التجارة عن الغزو.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابراهيم الحاج. (1992م). الواقعية السياسية،نموذج تطبيقي:الجزيرة العربية قبل الاسلام. بيروت: دار الفكر اللبناني.

ابو البقاء ايوب بن موسى الكوفي. (1998م). الكليات تح: عدنان درويش ومحمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابو الفضل احمد بن محمد النيسابوري. (د.ت). مجمع الامثال ،تح: محمد محي الدين عبدالحميد . دار المعرفة: بيروت.

ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور. (د.ت). لسان العرب. بيروت: دار احياء.

ابو بكر محمد بن عبدالله بن العربي. (1970م). العواصم من القواصم ،تح: محب الدين الخطيب. لبنان.

ابو هلال العسكري. (1992م). الفروق اللغوية، تح: مؤسسة النشر الاسلامية بجامعة المدرسين بقم. قم: مؤسسة النشر الاسلامية.

ابي الفرج الحسن بن عبدالله بن علي الاصفهاني. (د.ت). الاغاني،تح: سمير جابر. بيروت: دار الفكر.

ابي القاسم علي بن الحسن بن عساكر. (1998م). تاريخ دمشق الكبير ،تح: علي شيري. بيروت: دار الفكر العربي.

ابي جعفر بن محمد الطبري. (1960م). تاريخ الرسل والملوك ،تح: محمد ابو الفضل ابراهيم. مصر: دار المعارف.

ابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة. (1988م). ادب الكاتب تح: علي فاعور. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابي محمد علي بن احمد بن سعيد ابن حزم. (2012م). جمهرة انساب العرب،تح:عبدالمنعم خليل ابراهيم. بيروت: دار الكتب العلمية.

احمد عصمان سليمان العمري. (2012م). الصنائع والمهن في نجد والحجاز في صدر الاسلام والعصر الاموي. بيروت: الدار العربية للموسوعات.

احمد ميسر السنجري. (2012م). نشاط المرأة الاقتصادي في صدر الاسلام والدولة الاموية. الموصل: دار ابن الاثير.

اسماعيل بن حماد الجوهري. (1987م). الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)تح :احمد عبدالغفور. بيروت: دار العلم للملايين.

الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني. (1987م). الجوهرتين العقيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء تح:حمد الجاسر. الرياض: دار اليمامة.

الصبح المنبي عن حيثية المتنبي. (1963م). الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ،تح: مصطفا السقا. مصر: دار المعارف.

برهان الدين دلو. (2007م). جزيرة العرب قبل الاسلام. بيروت: دار الفارابي.

جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري. (1979م). الفائق في غريب الحديث ،تح: علي محمد البجاوي ومحمود أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار الفكر.

جواد علي. (1970م). المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام. بغداد: دار العلم للملايين.

جواد علي. (2011م). تاريخ العرب قبل الاسلام. القاهرة: شركة الامل للطباعة والنشر.

حسن الباشا. (1965م). الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية. القاهرة: دار النهضة العربية.
ديوان الاعشى الكبير. (1940م). ديوان الاعشى الكبير. بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب.
ديوان جرير. (1986م). ديوان جرير. بيروت: ديوان بيروت.
شهاب الدين أبي العباس احمد بن محمد الشافعي القسطلاني. (1996م). ارشاد الساري قي شرح صحيح البخاري ،تح: محمد عبدالعزيز الخالدي. بيروت: دار الكتب العلمية.
شهاب الدين ابي عبدالله بن ياقوت الحموي. (2008م). معجم البلدان ،تقديم: محمد عبدالرحمن المرعشي. بيروت: دار احياء التراث العربي.
عبدالرحمن بن محمد بن خلدون. (1981م). المقدمة. بيروت: دار العودة.
عبدالملك بن هشام. (2010م). السيرة النبوية ،تح:رضوان جامع رضوان. القاهرة: مؤسسة المختار.
عبدالوهاب خضر الياس. (2008م). النظرة الى الزراعة وتطورها في صدر الاسلام. مجلة التربية والعلم، صفحة 47.
علي محمد معطي. (2003م). تاريخ العرب الاقتصادي قبل الاسلام. لبنان: دار المنهل.
عمرو بن بحر الجاحظ. (1940م). الحيوان ،تح: محمد عبدالسلام هارون. مصر: مطبعة مصطفى البابي.
عمرو بن بحر الجاحظ. (1964م). رسائل الجاحظ ،تح: محمد عبدالسلام هارون. القاهرة: مطبعة الخانجي.
عمرو بن بحر الجاحظ. (1970م). البلدان ،تح: صالح احمد العلي. بغداد: مطبعة الحكومة.
كزافييه دوبلانهول. (2008م). تاريخ ارض الاسلام ،ترجمة معاوية سعدوني. تونس: دار الغرب الاسلامي.
لطفي عبدالوهاب يحيى. (1979م). العرب في العصور القديمة. د.م: دار المعرفة الجامعية.
محمد بن ابي بكر الرازي. (2006م). مختار الصحاح. حلب: دار الرضوان.
محمد بن سلام الجحمي. (د.ت). طبقات فحول الشعراء ،تح : محمود محمد شاكر. جدة: الدار المدني.
محمد بن محمد بن عبدالرزاق الزبيدي. (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس ،تح: مجموعة محققين. دار الهداية: الكويت.
محمد بن يزيد المبرد. (1997م). الكامل في اللغة والادب ،تح: محمد ابوالفضل ابراهيم. بيروت: دار الفكر العربي.
محمد عزة دروزة. (1961م). تاريخ الجنس البشري في مختلف الاطوار والادوار والاقطار. بيروت: المكتبة العصرية.
محمود شكري الالوسي. (2008م). بلوغ الارب في معرفة احوال العرب،تح: محمد بهجت الاثري. بيروت: دار الكتب العلمية.
ناصر بن سعيد الرشيد. (1984م). تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي. المملكة العربية السعودية: مطابع جامعة الملك سعود.
نجمان ياسين. (1988م). تطور الاوضاع الاقتصادية في عصر الراسالة والخلافة الراشدة. الموصل: بيت الموصل للنشر والتوزيع.
هشام بن محمد بن السائب بن الكلبي. (2009م). مثالب العرب والعجم، تح : محمد حسن الحاج وومسلم الدجيلي. بيروت: دار الاندلس.
واضح الصمد. (1981م). الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي. بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع.
يحيى مسعود اغا. (2006م). الاقطاع الاسلامي في العصر النبوي. الرياض: 2006.

نشاط شركة الهند الشرقية الفرنسية (1664-1769)
قراءة: في أهمية التنافس التجاري في السياسة الاستعمارية للدول الكبرى في الشرق

أ.د.رنا عبد الجبار حسين الزهيري

dr.rana_alzuhairi@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية

الملخص

تأتي أهمية البحث من كونه يسلط الضوء على حقبة تاريخية مهمة من تاريخ الاستعمار الفرنسي في الشرق ، سعياً منها للوصول الى منافسة القوى الاوربية، فمنذ مطلع القرن السادس عشر بدأت بعض الدول الاوربية المهتمة في الاستكشافات الجغرافية تكثف نشاطها الاستعماري بهدف فتح اسواق جديدة وربطها باقتصادها، والاستحواذ على تجارة التوابل وخيرات الشرق، كانت فرنسا احدى تلك القوى الاوربية الاستعمارية التي أهتمت ببناء امبراطوريتها سعياً منها للوصول الى منافسة تلك القوى، فكانت الشركات التجارية من الوسائل الحوية التي تسهم في مد النفوذ الاستعماري، وعلى هذا الاساس أسهم التواجد الفرنسي الطموح في الشرق الى تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية لاحتكار تجارة التوابل ومنتجات الشرق والسيطرة على مناطق جديدة في الشرق، ودخولها في تنافس مع شركات الهند الشرقية الانكليزية والهولندية المتواجدة في تلك البقاع لتكون بداية مرحلة اخرى من مرحل التنافس الاستعماري في الشرق، أنشأت الشركة مراكز تجارية في الهند والعراق وبلاد فارس لعبت الشركة دوراً مهماً في تشكيل الامبراطورية الفرنسية، مع ذلك تم حل الشركة في عام 1769 بسبب الصعوبات المالية التي واجهتها.

الكلمات المفتاحية : شركة ، الهند الشرقية ، الاستعمار

Activity of the French East India Company (1664-1769)
Read: On the importance of commercial competition in the colonial policy of the major countries in the East

Prof.Dr.Rana AbulJabar H.AL.Zuhairi

Abstract

The importance of the study comes from the fact that it sheds light on an important historical era in the history of French colonization of a vital part of the Asian continent, seeking to compete with European powers. Since the beginning of the sixteenth century, some European countries interested in geographical exploration began to intensify their colonial activity with the aim of opening new markets and linking them to their economy. And it controlled the spice trade and the goods of the East. France was one of those European colonial powers that was interested in building its empire in an effort to compete with those powers. Commercial companies were one of the vital means that contributed to extending colonial influence, and on this basis, the ambitious French presence in the East contributed to the establishment of the French East India Company to monopolize the trade in spices and products of the East and control new regions in the East, and enter into competition with the British powers present in those areas. Which contributed to the demise of the French East India Company in the East.

Keywords: India, French East India Company, Colonialism

المقدمة

تفاعلت عوامل عدة في التأثير على توجيه السياسة الفرنسية الاستعمارية نحو الشرق منها مايتعلق بالتغييرات الاقتصادية التي شهدتها اوربا بشكل عام وفرنسا بشكل خاص بعد انتهاء مشاكلها الداخلية المتمثلة بـ الظروف الجيوسياسية والحواجز الكمركية في عهد الـ البوربون ، اذ سطع نجمها في مضمار الدول الاستعمارية، لاسيما بعد انتهاجها السياسة التوسعية نحو الشرق والغرب في عهد

لويس الرابع عشر(1643-1715) . ان بروز هذه المنطلقات التي وجهت الانظار الفرنسية نحو التسابق من أجل التوسع والاستحواذ على موارد العالم ومنطقة الشرق من أجل السيطرة على تجارة التوابل وخيراته، تطلب من السلطات الفرنسية الرسمية تقديم الدعم المادي للمبشرين والمستكشفين والتجار من اجل تحقيق الاهداف الاستعمارية الفرنسية في الشرق والتغلغل الى داخل القارة الاسيوية، ففي ستينيات القرن السابع عشر اعلن وزير المالية السير كولبير عن المخطط الذي يجعل فرنسا في المركز الاول في جميع المجالات مستغل ثروة فرنسا وقوتها لتنافس الدول الاوربية في الحصول على الامتيازات التجارية والاقليمية، عن طريق تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية التي خولتها الحكومة الفرنسية كل الصلاحيات للسيطرة على تجارة الشرق وساندتها بالقوة العسكرية والادارية والتي مكنتها من تأسيس محطات التجارية وخوض غمار المنافسة مع القوى الاوربية ، لاسيما انكلترا وهولندا اللتان سبقتا فرنسا في تأسيس شركتي الهند الشرقية الإنكليزية والهولندية (في عامي 1600 -1602 على التوالي)، اذ كانت تلك الشركات في سباق محموم فيما بينهما للسيطرة على مناطق النفوذ الى أن تم اقصاء شركة الهند الشرقية الفرنسية وأفول نجمها.

وللكشف عن تلك الامور تم اتباع المنهج التاريخي والوصفي للكشف عن أهم الاحداث التاريخية لمتابعتها والتعرف عن أهدافها لاهمية تلك الفترة التي ارتبطت اظهار حدة الصراع الدائر بين القوى الاوربية حول ترسيخ النفوذ السياسي والتجاري. قسمت الدراسة الى مقدمة وثلاث محاور وخاتمة.

المحور الاول: منطلقات السياسة الفرنسية الاستعمارية نحو الشرق

1- تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية

خلال القرن السادس عشر شهد الشرق اهتماماً ملحوظاً من الدول الاوربية ، لا سيما فرنسا التي بدأت تعمل للاشتراك في استعمارها، ومنذ وقت مبكر حاولت مراراً الحصول على موافقة لتأسيس شركة تجارية في الهند، اذ تعود جذور المحاولة الفرنسية الأولى لتأسيس شركة استعمارية الى عهد الملك هنري الرابع Henri IV(1553-1610)، اذ لم يكن أقل حماساً من الملوك الاوربيين في نطاقة الجغرافي كالبرتغال و انكلترا وهولندا في تطلعاتهم الى الشرق، وعلى أثر ذلك بدأ بتجهيز اول اسطول فرنسي للتوجهة الى الشرق لمنافسة القوى الاوربية في تجارة التوابل، إلا أن هذه الشركة لم يحالفها النجاح، وتكررت المحاولة الاخرى في عهد الملك لويس الثالث عشر Louise XIII (1601-1643) اذ قدم بعض تجار مدينة روين الفرنسية منهم جان جاك موريسون وايركييل دي كان الى الملك طلب القيام برحلة الى الهند وان يدفعون له جانباً من الارباح تم تشكيل شركة للمتاجرة مع الشرق في عام 1611 اطلق عليها اسم شركة مونتمورنسي للهند الشرقية Compagnie de Montmorency Pour Les Indes تخليداً لاسم اميرال البحرية الفرنسية هنري مونتمورنسي ، لم يقتصر نشاط شركة التجاري على مناطق ساحل المحيط الهندي فقط بل اتخاذ فارس محطة للانطلاق نحو الشرق (هاو، 1957، صفحة 70)، كانت لهم علاقات تجارية مع البصرة سبقت الانكليز والهولنديين اذ انها تعود الى عشرينات القرن السابع عشر عندما قدم اليها رهبان فرقة (الكراملة) عام 1623 من بلاد فارس، والذين كانا يتمتعان بحماية الحكومة الفرنسية، فقد اصدر الملك لويس الرابع عشر (1638-1715) قراراً بتعين رئيس البعثة التبشيرية الكرملية بتي دولا كرواPetit de la Crorx قنصلاً فرنسيا في البصرة بهدف حماية الطائفة الكرملية ، فضلاً عن توطيد النفوذ الفرنسي والحفاظ على المصالح التجارية في البصرة. (لونكريك، 1968، ص3) الا أن ذلك لم يستمر طويلاً بسبب الخلافات التي نشبت بين القبائل العربية في البصرة التي اثرت على التجارة بسبب عزوف التجار الفرنسيين عن استمرار تجارتهم هذا من جانب ومن جانب اخر انشغال الفرنسيين في حروبهم في اوربا تسبب في عدم الاهتمام بالشرق. (غنيم، 1984، صفحة 53)

وعلى الرغم من فشل هذه الشركة في الاستمرار في عـــملها (Mukherjee, 1958, p. 112) الا أن هذا الامر لم يثن الحكومة الفرنسية عن مواصلة نشاطهم في الشرق، فقد بادر وزير المالية جان- بابتست كولبير Jean Baptiste Colbert (1619-1665/1683-1668) في عهد الملك لويس الرابع عشر الشروع بتأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية اذ كان لدى كولبير ثقة كبيرة في الشركة كوسيلة لتسهيل التجارة عبر البحار. وعلى هذا الاساس بذل جهد لتوفير تمويل لتأسيس الشركة، فقد واجهته صعوبات في الحصول على الدعم المالي من التجار الفرنسيين وعلى أثر ذلك اقنع فرانسوا شاربنتيية من رواد الاكادمية الفرنسية بكتابة اعلان شديد اللهجة حول فوائد الانضمام الى الشركة، متسائلاً عن سبب شراء الفرنسيين للذهب والفلفل والقرفة والقطن من التجار الاجانب من خلال توضيحه لفوائد الانضمام الى الشركة، فضلاً عن ذلك كتب لويس الرابع عشر الى 119 مدينة فرنسية طلب من التجار

التجمع ومناقشة المساهمة في تأسيس الشركة الا أن العديد من التجار رفضوا المساهمة، واصبح الملك لويس الرابع عشر يملك معظم اسهم الشركة، اصدر ميثاقها عام 1664 لغرض التجارة في نصف الكرة الشرقي (Edwardes, 1961, p. 53) ،التي نتجت عن دمج الشركات السابقة، تم تعيين كان دي فاي اول مدير عام للشركة والتحق معه مديران من اهم مؤسستين تجاريتين في فرنسا في ذلك الوقت بهدف توطيد النفوذ الفرنسي في الشرق وإبراز أهمية فرنسا البحرية وتعزيز الاقتصاد الفرنسي عبر المكاسب التي تحصل عليها الشركة، فقد تعرضت الشركة في سنواتها الاولى الى منافسة مستمرة مع شركة الهند الشرقية الهولندية1 ، قامت الشركة الفرنسية ببعثات استكشافية باهضة الثمن غالباً ما تعرضت للمضايقات وحتى المصادرة من قبل الهولنديين الا انها تمكنت من الازدهار خلال سنوات عقدها الاول. (غنيم، 1984، صفحة 53)

2- تأسيس المحطات التجارية الفرنسية في الهند

كثفت شركة الهند الشرقية الفرنسية جهودها لتاسيس المحطات التجارية ففي عام 1667 ارسلت بعثة استكشافية بقيادة فرانسوا كارون برفقة تاجر فارسي اسمه ماركارا التي وصلت الى سورات عام 1668 تمكن الفرنسيون من تأسيس أول محطة تجارية في سورات كان الهدف الأساسي منها توطيد نفوذهم في جزيرة سيلان، وفي عام 1669 تم تأسيس محطة فرنسية اخرى في ماتشيليبتنام، واستمروا ببعثاتهم ومحاولاتهم لتاسيس المحطات التجارية وأرسلوا عام 1670 أسطولاً ضخماً لتحقيق هدفهم إلا أنهم صطدموا بالقوات الهولندية وتم طردهم من تلك المحطات. . (Edwardes, 1961, p. 181)

لم يتوقف التقدم الفرنسي، فقد تمكن الضابط الفرنسي بيلانغر دي لاسبياي في عام 1673 من الاقامة في قرية بوندشيري Pondicherry الواقعة جنوب المحيط الهندي، والتي تقع بالقرب من المستوطنة الإنكليزية في مدراس، كما تمكنوا من السيطرة على موقع قرب كلكتا عام 1674 من نائب البنغال. (Marshall, 1962, p. 88)

فيما يخص بونديشيري فقد تمكن الفرنسيون من توطيد اقدامهم وتأسيس محطة تجارية عام 1674 تحت ادارة الحاكم العام فرانسوا مارتن الذي بذل جهد لتنفيذ مشاريعه الطموحة فقد تمكن من تحويل بوندشيري من قرية صيد صغيرة الى ميناء مزدهر الا أنهم سرعان ما تعرضوا الى منافسة من قبل الهولنديين الذين حصلوا على دعم الإنكليز لهم، وكان لهذا التنافس الأثر السيئ على النفوذ الفرنسي في المنطقة ،لاسيما أن القوات الهولندية سيطرت على بوندشيري عام 1693 وبالرغم من ارجاعها للفرنسيين بموجب معاهدة ريسويك Ryswick الموقعة بين الجانبين عام 1697 على اثرها قام الفرنسيون بإنشاء التحصينات في بوندشيري ، إلا أن النفوذ الفرنسي في المناطق الأخرى كان في حالة تدهور وأصبحت هذه الجزيرة قاعدة للنشاط الفرنسي في النصف الأول من القرن الثامن عشر، ونجح حاكمها لابوردنيه من ضم أحدى الجزر المجاورة لها، أطلق عليها الفرنسيون جزيرة بوربون وقاموا ببناء أسطول قوي فيها للتصدي للسيطرة البحرية البريطانية في المحيط الهندي. (قاسم، 1985، صفحة 175)

حاول الفرنسيون اعادة العلاقاتهم مع بلاد فارس فقد ارسلت فرنسا بعثة الى بلاد فارس عام 1705 بهدف تعزيز التجارة الفرنسية في خضم المنافسة القوية المحتدمة بين الانكليز والهولنديين هناك وذلك عن طريق منطقة الخليج العربي. (هاو، 1957، صفحة 362)

المحور الثاني: التنافس البريطاني- الفرنسي في الهند

تعد فرنسا آخر القوى الأوربية الكبرى التي نزلت إلى ميدان التنافس التجاري في الشرق كانت بريطانيا وفرنسا في بداية القرن الثامن عشر اقوى الدول الاستعمارية في العالم وفي المحيط الهندي، لذا بدأ التنافس يزداد بينهما من أجل الهيمنة على القوى السياسية والسيطرة على الممرات البحرية والموانئ المهمة لاسيما وأن بريطانيا قد وصلت للهند وأسست شركة الهند الشرقية الانكليزية

1 تأسست شركة الهند الشرقية الهولندية عام 1602 من قبل الحكومة الهولندية للتجارة مع جزر الهند الشرقية وأنشأت هذه الشركة في المد ما بين (1650-1670) وكالة تجارية لها في منطقة الكاب (رأس الرجاء الصالح) واستولت على جزيرة سيلان وساحل مالبار (الساحل الغربي للهند) بعد أن طردت البرتغاليين في المدة ما بين (1658-1663) وعندما واجهت الشركة التنافس البريطاني المتزايد خرجت من الهند عام 1789. للمزيد من التفاصيل أنظر: (Watson, 1976, p. 325)

[2] The English East India Company عام 1600 قبل الفرنسيين الذين اسسوا شركتهم التجارية في ستينات القرن السابع عشر، اذ كانت شركة الهند الشرقية البريطانية شركة خاصة (أهلية) في حين كانت شركة الهند الشرقية الفرنسية تحت سيطرة الحكومة الفرنسية المباشرة ولهذا فأنها أكثر تعرضاً للمسائل السياسية التي تواجه الحكومة الفرنسية (Wolpert, 1982, p. 77)، وقد تمكنت هذه الشركة من بسط نفوذها وتعزيز مكانتها باحتلال جزيرة موريشيوس وهي مكسب مميز جداً بالنسبة للفرنسيين لتعزيز قوتهم البحرية في الشرق، وبهذا أصبحوا أعداء لدودين للبريطانيين في الهند . (Mukherjee, 1958, p. 115)

ازداد التنافس البريطاني الفرنسي في الهند أثر تفكك الامبراطورية المغولية بعد وفاة الامبراطور اورنكزيب عام 1707 بسبب أشتداد النزاع بين القوى المحلية، فقد استغلت بريطانيا وفرنسا هذا الوضع لتحقيق إطماعهما في الهند (Edwardes, 1961, p. 181) مستغلتين حال الصراع على السلطة الذي نشأ بين الأمراء الهنود المتمثلين بـ ثلاث قوى هي قوات نظام [3] في حيدر أباد وحاكم كارناتك المسلم وقوات ماراثا الهندوسية عن طريق دعمهم لبعض الحكام الهنود المتنافسين على السلطة، وعلى اثر ذلك أصبح لهم نفوذ سياسي كبير في المنطقة ؛ فقد تعرض المسلمون المسيطرون على كارناتك، في جنوب القارة الهندية الى هجوم من قبل قوات ماراثا، مما أدى الى هزيمة وقتل حاكم كارناتك دوست علي Dost Ali الذي حكم للمدة مابين(1732-1740)، واضطراب الأوضاع خلال المدة(1740-1763)، وتدخل الشركتين البريطانية والفرنسية في الصراع، فقد اصطبغ هذا الصراع بطابع علاقة الدولتين في أوربا سلماً وحرباً (Hill, 1977, p. 133)، مما أثر على أهم المراكز التجارية لبريطانيا وفرنسا في مدراس وبوندشيري على ساحل كارناتك، فضلا عن قلعة سانت ديفيد البريطانية جنوب بوندشيري . (Watson, 1976, p. 99)

كان الحاكم العام الفرنسي في الهند جوزيف- فرانسوا دوبليكس (*)Joseph-Francois Dupleix (1697- 1731/1764 -1754) يطمح لاخضاع مساحات واسعة من الهند لنفوذ فرنسا ومن اجل ذلك قام جوزيف علاقات طيبة مع الامراء المحليين، كما اهتم بتأسيس جيش محلي في فترة صراعه مع بريطانيا في الهند ، اثار طموح دوبليكس مخاوف البريطانيين والتي اسهمت في اشتعال الصراع بين الجانبين والى قيام العديد من حروب بينهما ادى التنافس بين الشركتين التجاريتين في الهند الى الاحتدام بلتوازي مع علاقة بلديهما في اوربا سلماً وحرباً ومن ابرزها قيام حرب الوراثة النمساوية(1740-1748). (Harris, 1963, p. 55)

أدى إعلان الحرب بين بريطانيا وفرنسا عام 1744 في أوربا إلى وضع الشركتين البريطانية والفرنسية في حال حرب في الهند من الناحية الرسمية، وسعت إدارة الشركة الفرنسية في الهند الى تهدئة الأوضاع مع البريطانيين، لذلك قدمت طلباً إلى شركة الهند الشرقية البريطانية حثتها فيه على المحافظة على الحياد، إلا أن الشركة البريطانية رفضت المقترح الفرنسي لأنها كانت تسعى لاستمرار عملياتها المناوئة ضد الشركة الفرنسية واستولى البريطانيون على سفينة فرنسية في الساحل الجنوبي الشرقي للهند(Smellie,1962 P .(P.59-60

كان الفرنسيون في ذلك الوقت لا يمتلكون أسطولاً في المياه الهندية إلاّ أنهم كانوا يسيطرون على جزر موريشيوس، وهذا ما جعل المواجهة مع البريطانيين متوقعة، لاسيما بعد أن وصلت مجموعة من السفن الفرنسية من موريشيوس، وعلى أثر ذلك نشبت حرب كارناتك الأولى The first Carnatic war (1746-1748)، إذ قام الفرنسيون بقيادة الحاكم العام الفرنسي في الهند دوبليكس بمحاصرة واجتياح مدراس والاستيلاء على الكثير من مراكز البريطانيين عند الشواطئ الشرقية ، وأمام هذا الاجتياح الفرنسي فإن البريطانيين طلبوا من حاكم كارناتك المدعو محمد أنوار الدين Muhammad Anwaruddin(1672 -1749/ 1744-1749) الدفاع عن مدراس وطلب حاكم كارناتك من الحاكم العام الفرنسي دوبليكس رفع الحصار عن المدينة، إلاّ أن الأخير لم يستجب للطلب مما اضطر الحاكم إلى إرسال قوات لمحاربة القوات الفرنسية وعلى الرغم من كثرة عدد جيش الحاكم إلا أن الجيش الفرنسي كان أفضل من ناحية المعدات، اذ كانت القوات الأوربية متفوقة على القوات الهندية المحلية والتي كانت منظمة بشكل غير جيد، فضلا عن عدم امتلاكها للاسلحة الجيدة وكانت معداتها رديئة وقياداتها ضعيفة. (الساداتي، (د.ت)، صفحة 280) لذلك أحرز الفرنسيون نصراً على جيش الحاكم إلا أن ذلك التفوق لم يستمر، بسبب مغادرة الجنرال الفرنسي توماس ارثر لالي(*) Thomas Arthur

---

* شركة تجارية تأسست بموجب الميثاق الملكي الذي منحته الملكة اليزابث الاولى في 31 كانون الاول 1600 لتجار لندن للمتاجرة مع جزر الهند الشرقية.

* نظام Nizam: لقب حاكم حيدر آباد في الهند للمدة(1713-1950). أنظر: (البعلبكي، 2009، صفحة 779)

Lally (1702-1766) للهند ووصول القائد البريطاني كريفين Griffin(1719-1797) للهند في نهاية عام(1747) الذي شجع القوات البريطانية على ضرورة مواجهة القوات الفرنسية، التي زاد عددها مطلع عام (1748) اثر وصول قوات إضافية الى مدراس، مما دفعه إلى أعداد حملة بقيادة الأدميرال ادورد بوسكاوين Admiral Edward Boscawen(1711-1761) لمحاصرة بوندشيري واسترجاع مدراس، إلا أن ذلك لم يتحقق، مما دفع بوسكاوين الى التقهقر الى قلعة سانت-ديفيد، للاستعداد للقيام بحملة للاستيلاء على بوندتشيري. (Chhabra, 1971, p. 128.)

قبل أن تنتهي الحرب بين الشركتين في الهند انتهت الحرب في أوربا بمعاهدة اكس لا شابيل [4] Aix – la – Chapell التي عقدت عام 1748، وبموجبها تعهد البريطانيون والفرنسيون بإيقاف الأعمال العدائية في الهند، على ان يقوم الفرنسيون بإرجاع مدراس إلى البريطانيين، مقابل تنازل البريطانيين عن لويسبرك Louisbourg في أمريكا الشمالية الى فرنسا إلاّ أن البريطانيين بعد ذلك لم يوقفوا الحرب نهائياً مع الفرنسيين في الهند، واستمرت الشركتان في حالة حرب متقطعة، على الرغم من أن أوربا كانت تعيش في حال سلام؛ فقد تدخل أصحاب الشركات الأوربية في سياسة الهند والشؤون المحلية وتوظيفها لخدمة مصالحهم في المنطقة. (Chhabra, 1971, p. 129)

استغل الفرنسيون نشوب حرب كارناتك الثانية[5] The Second Carnatic war(1749-1754) تحالف دوبليكس مع الحكام المحليون وباحتدام الصراع انتصر الحلف الذي أيدته فرنسا (Marshall, 1962, p. 188) ؛ وعلى أثر ذلك اصبح دوبليكس حاكماً على كل المقاطعات المغولية جنوب نهر كريشنا، الامر الذي اثار البريطانيين وفي العام نفسه أرسلت الحكومة البريطانية قوات ملكية الى الهند لإسناد الجيش التابع للشركة(Plumb, 1950, P.173.) ، بالمقابل مارست الحكومة الفرنسية ضغوطاً على الشركة الفرنسية؛ لأنها تخشى توجيه البريطانيين ضربة للمصالح الفرنسية في أمريكا الشمالية؛ لذا قررت بأن لا تحارب البريطانيين في الهند، إذ تم استدعاء دوبليكس الى فرنسا. (Wolpert, 1982, p. 177)

بهذا تكون الشركة البريطانية قد أحرزت نصراً آخر بالتخلص من دوبليكس فبعدما استدعاه لويس الخامس عشر(1715-1774/1723) إلى العاصمة الفرنسية خلا الجو للبريطانيين ، وتم عقد معاهدة بين الشركتين (1754) والتي بموجبها تم الاتفاق على المحافظة على مبدأ توازن القوى في الهند ، وعدم التدخل في الخلافات بين الحكام الهنود (Frazer, 1958, P.248.) التي وافق على شروطها الحاكم العام الفرنسي شارل جوديهو Charles Godehou (1754-1755) الذي حل محل دوبليكس في الهند ، فضلا عن موافقة البريطانيين عليها، إلا أنه في حقيقة الأمر أصبح للشركة البريطانية اليد العليا في الهند. (Mukherjee, 1958, p. 163)

المحور الثالث: اقصاء شركة الهند الشرقية الفرنسية

استمرت بنود معاهدة 1754 سارية المفعول بين الجانبين حتى اندلاع حرب السنوات السبع Seven-Year War (1756-1763) والتي نشبت بين مجموعتين من القوى الاوربية، مثلت فرنسا والنمسا وسكسونيا وروسيا والسويد المجموعة الاولى، بينما كانت بريطانيا وبروسيا وهانوفر المجموعة الثانية ، اذ كان السبب المباشر لها المنافسة الاستعمارية بين بريطانيا وفرنسا في العالم الجديد،

---

[*] معاهدة اكس لا شابيل: أنهت حرب الوراثة النمساوية وقعت في 18 تشرين الأول 1748 فرضت بريطانيا وفرنسا المعاهدة على الأطراف المتنازعة، بموجبها انسحبت فرنسا من هولندا واستعادت فرنسا جزيرة بريتون Breton (في المحيط الأطلسي) بينما تخلت عن مدراس لبريطانيا. (Marshall, 1962, p. 66)

[5] حرب كارناتك الثانية: من الحروب الأهلية التي حدثت في جنوب الهند بسبب الصراع على السلطة في كارناتك والدكن أثر تسلم محمد علي خانMuhammed Ali Khan(1717-1795/1749-1795) حكم كارناتك بعد والده أنوار الدين، فقد ثارت عليه جماعة دوست علي الحاكم السابق بقيادة جندا صاحبChanda Sahib صهر دوست علي، المطالب بحكم كارناتك استمر للمدة مابين(1749-1752)، فضلاً عن ذلك فقد عانت مقاطعة الدكن من صراعات بين الأسر المحلية؛ لوفاة حاكمها عساف شاه الذي حول مقاطعة الدكن الى مملكة مستقلة تقريبا، إذ خلفه ابنه ناصر جنك Nasir Jang (1712-1748/1750-1750)، ونازعه عليها ابن أخيه المدعو مظفر جنك Muzffar Jang الذي ادعى أنه عين حاكماً لمقاطعة الدكن بأمر من إمبراطور المغول، فقد تحالف الأخير مع القوات الفرنسية وتمكن من الوصول للحكم للمدة(1750-1751). أنظر: (Marshall, 1962, p. 362)

وقد حدثت المواجهات بين الأطراف المتحاربة في مناطق عدة أهمها أوربا وشمال أمريكا والهند، إذ أدت تلك الحرب إلى تدهور العلاقات بين البلدين وعكست تأثيرها في الهند، ولاسيما عندما وصلت أحداثها إلى الهند في نهاية عام (1756) (Wolpert, 1982, p. 178)، وقد أدت الحرب الى حدوث أعمال عدائية بين بريطانيا وفرنسا في الهند، اذ عمل الحاكم البريطاني روبرت كلايف Robert Clive (1725-1774)على التصدي للفرنسيين وطردهم من اغلب المناطق الهندية، وعليه فقد أصبح النفوذ البريطاني هو السائد في البنغال عام1757 بسبب استيلاء الشركة البريطانية على المستوطنة الفرنسية جانديرناجوري في البنغال قرب كلكتا، لاسيما أن الماركيز كاستيلناو دي- بوسي* Marquis Castelnau De-Bussy (1718-1785) قائد القوات الفرنسية في الدكن كان في المناطق الشمالية، وعند معرفته بهذه الأحداث بدأ بالهجوم على القواعد العسكرية البريطانية التي تقع في سيراكس Cerracks, وقد استغلت الحكومة الفرنسية تفوقها في السنة الأولى من حرب السنوات السبع؛ لذلك قررت ضرب النفوذ البريطاني في الهند بارسال تعزيزات إلى الشركة الفرنسية بقيادة الجنرال لالي. لم يقتصر التنافس بين الجانبين البريطاني والفرنسي على الهند بل امتد الى قارة افريقيا واصبح المحيط الهندي منطقة سباق مصالح بحرية حاد بين القوتين، فقد اصبحت مناطق تواجدهم في فارس والبصرة التي طلب فيها القناصل الفرنسيون من حكومتهم تعزيز نفوذهم وذلك عن طريق زيادة السفن الحربية في الخليج العربي المتجهة للبصرة وهذا ما لاقى اعتراض شديد من قبل البريطانيين، كمل شمل ذلك الهند التي باتت كلتا الشركتان المدعومتان من حكومتيهما تقيم مناطق عسكرية بفعل سعيهما لتأسيس قوات عسكرية خاضعة لحكومتيهما بحجة حماية مصالح بلديهما وقد أصبحت حالة الصراع ملازمة لتواجدهما أينما حلو، وعلى أثر ذلك بدأت حرب كارناتك الثالثة The Third Carnatic war (1757-1763) وحقق الفرنسيون في البداية نجاحاً ساحقاً، فقد استولوا على قلعة سانت ديفيد من البريطانيين, وبوصول القوات الفرنسية بقيادة الجنرال لالي إلى الهند تم تهديد جميع المستوطنات البريطانية في المنطقة، إذ قرر لالي بكل حكمة القضاء على النفوذ البريطاني في كارناتك بإخضاع مدراس, غير أن هذا لم يتحقق لتعرض الشركة الفرنسية الى أزمة مالية ، فضلاً عن فقدان القوات الفرنسية الى التنسيق بين القوات البرية والبحرية التي كانت تحت قيادة داج Dache، وفي ذلك الوقت تعرض داج الى هزيمة أمام الأسطول البريطاني (Mukherjee, 1958, p. 127) ، لذلك كرس لالي جهوده لحل الأزمة المالية، فأعلن في 18 تموز 1758 أن حاكم ولاية جانداناجار Chandannagar الواقعة غرب البنغال كان مديناً للشركة الفرنسية بمبلغ قدره (700) الف روبية منذ عهد دوبليكس، وعلى الرغم من محاصرة حاكم جانداناجار من قبل القوات الفرنسية، إلا أن لالي لم يتمكن من الحصول على ذلك المبلغ بسبب نقص ذخائر الجيش الفرنسي وفقدان الثقة بين لالي وإتباعه, وفي 3 آب من العام نفسه غادر الأسطول الفرنسي المياه الهندية لتعرضه الى خسائر على يد الأسطول البريطاني، وبعد ذلك غادر الأسطول البريطاني ساحل مدراس على الرغم من استغلال لالي للموقف واستمراره بغزو المناطق التي يسكنها البريطانيون (Chhabra,1971, p. 245.) ، ففي 14 كانون الأول 1758 فرض حصار على مدراس لكن لم يستمر طويلاً، وفي 16 شباط 1759 تمكن الأسطول البريطاني من الانتصار على القوات الفرنسية ورفع الحصار عن مدراس، وبهذا خسر لالي السيطرة على كارناتك(Harris, 1963 , P.161)واستغل البريطانيون الموقف وقاموا بتثبيت نفوذهم في بلاط حيدر آباد وفي هذه الأثناء تعرض الأسطول الفرنسي الى هزيمة قاسية أمام البريطانيين، أدت إلى مغادرة قائد الأسطول الفرنسي داج الهند الى الأبد، تاركاً البريطانيين سادة على البحار بلا منازع . (Mukherjee, 1958, p. 128)

حاصر البريطانيون بوندشيري في آيار 1760 ، وسعى الفرنسيون للتقرب من حاكم ميسور، إذ كانوا يأملون استعادة مواقعهم بالتحالف معه، ولكن الجيش الذي أرسله حاكم ميسور لمساعدة الفرنسيين لم ينقذ الموقف، وفي 16 كانون الثاني 1761 استسلمت بوندشيري بلا شروط، بعد الهزيمة في معركة واندواش Battel of Wandiwash قرب قلعة واندواش التي كان الفرنسيون يحاصرونها ما أدى الى دمار الشركة الفرنسية وأسر القائد الفرنسي بوسي الذي حكم عليه بالاعدام(Mowat,, 1960, P.511) ، وبعد مدة قصيرة تمكن البريطانيون من السيطرة على المستوطنات الفرنسية على ساحل مالبار، وبذلك لم يترك البريطانيون للفرنسيين أي نفوذ في الهند(Chhabra,1973,P.151.)، وقد أدت السياسة التي اقرها وليم بت الأب William Pitt (1708-1778) بتوليه

* الماركيز كاستيلناو دي-بوسي: ضابط في الجيش الفرنسي برتبة عميد، شارك بالكثير من الحروب الفرنسية-البريطانية في الهند، تولى منصب الحاكم العام الفرنسي في الهند للمدة(1783-1785). أنظر: (Abboud, 1987, p. 71)

إدارة الجيش دوراً مهماً في تفوق النفوذ البريطاني على نظيرة الفرنسي في الهند، فقد أدى حصار الموانئ الفرنسية والسيطرة البريطانية على البحار إلى منع وصول الإمدادات إلى الشركة الفرنسية في الهند وتحقيق التفوق العسكري .

انتهت حرب السبع سنوات بين فرنسا وبريطانيا بصلح باريس عام 1763، وبموجبه استردت فرنسا مراكزها التجارية في الهند ولكن بشرط أن لا يكون لها أي نفوذ عسكري في المنطقة، وكانت من نتائج حرب السنوات السبع تفوق النفوذ البريطاني على النفوذ الفرنسي في مناطق عدة في العالم، فضلا عن تنازل فرنسا إلى بريطانيا عن كندا وعن جزر الهند الغربية. (عمر، 1989، صفحة 283)

أما في الهند فقد استولى البريطانيون على بوندشيري ، وقد كلفت الحرب بريطانيا الكثير من الأموال أي إنها عرضتها إلى خسائر مالية كبيرة، إلا أن حسم نتيجة الحرب لصالح البريطانيين جعلها متفوقة على منافسيها الأوربيين وأصبحت الشركة في مركز الصدارة في النشاط التجاري العالمي للمتاجرة مع دول الشرق فقد أهتم الملك جورج الثالث George III (1738-1820/1760-1820) باحكام السيطرة البريطانية على الهند . (Hinton, 1958, p. 88)

ومن الملاحظ أن شؤون الهند أخذت اهتماماً كبيراً من الحكومة البريطانية التي حرصت على إقامة علاقات جيدة مع إدارة شركة الهند الشرقية لضمان المصالح البريطانية السياسية والاقتصادية هناك، لاسيما أن الحكومة البريطانية كانت تعد الشركة ابرز أداة لتنفيذ السياسة الامبريالية البريطانية في الهند، بينما لم تقدم الحكومة الفرنسية الدعم اللازم لشركة الهند الشرقية الفرنسية لأجل تعزيز وجودها في الهند، فقدت فرنسا بعد الحرب نفوذها على الأمراء المحليين؛ كما أدى الانتصار الذي حققته بريطانيا على فرنسا في الحرب الى تغيرات كبيرة في وظائف الشركة وفي علاقتها مع الحكومة.

وهذا صب في خدمة المصالح البريطانية في المنطقة. وبانتهاء حرب السنوات السبع أصبحت بريطانيا القوة الأوربية الوحيدة الحرة في الاستثمار في الهند والخليج العربي فقد خسرت شركة الهند الشرقية الفرنسية الكثير من الاموال بسبب الحروب التي دارت في الهند على مدى عشرين عاماً للمدة ماين(1744-1763)، وتنازلت عن معظم ممتلكاتها في الهند ما عدا بعض المراكز والجزر القليلة في المحيط الهندي، لم تتمكن الشركة من الحفاظ على نفسها مالياً، بلغ الامر بالحكومة الفرنسية اصدر الملك لويس السادس عشر مرسوماً بحل شركة الهند الشرقية الفرنسية عام 1769، هذا لا يعني تخلي فرنسا عن مطامعها الاستعمارية واستسلامها للاحتكار البريطاني لثروات الشرق وقد اتضح هذا الامر في اعقاب الثورة الفرنسية 1789 التي أنهت الحكم الملكي ووضعت اسس الحكم الجمهوري في فرنسا الذي اسهم باستئناف النشاط الفرنسي في الشرق.

الخاتمة:

- أن توجهات السياسة الفرنسية الخارجية واهتمامها بالشرق كانت انعكاساً للتطورات الاقتصادية والسياسية في اوربا.
- مهدت المعلومات التي قدمها المستكشفون الاوربيون حول العالم الى تعبيد الطريق امام السياسيين والاداريين وفتحت لهم الافاق امام بلورة فكرة الاستعمار.
- تعد فرنسا اخر القوى الاوربية التي نزلت ميدان التنافس التجاري مع الشركات الاوربية في الهند.
- لم يكن تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية بمعزل عن الاهداف الاساسية للتوجه الاستعماري للتجار في الشرق بل كان تأسيس الشركة قاسم مشترك وهدفاً اساسياً لمخططي السياسة الاقتصادية الفرنسية وزير المالية جان- بابتست كولبير و للملك لويس الرابع عشر.
- ادى النشاط التجاري للشركة الى حدوث منافسة مع الدول الاوربية التي كانت لها مصالح تجارية في الشرق.
- قاد اعلان الحرب بين بريطانيا وفرنسا في اوربا الى اشراك الشركتين البريطانية والفرنسية في حال حرب في الهند من الناحية الرسمية.
- لم يثني فشل شركة الهند الشرقية الفرنسية وانسحابها من الهند تخلي الحكومة الفرنسية عن أهدافها الاستعمارية.

قائمة المصادر

المصادر العربية :

البعلبكي، منير . (2009). المورد الحديث. بيروت

الساداتي ، احمد محمود ((د.ت)). *تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم(الدولة المغولية)*. القاهرة .

عمر ، عبد العزيز عمر. (1989). التاريخ الاوربي والامريكي الحديث. القاهرة.

غنيم ، عادل حسن. (1984). تاريخ الهند الحديث. القاهرة.

قاسم ، جمال زكريا (1985). الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوربي الأول1507- 1840. القاهرة.

هاو ، سونيا ي. (1957). في طلب التوابل. القاهرة.

المصادر الاجنبية :

Chhabra, G. (1971). *An Advanced Study in the History of Modern India(1707-1813).* . Delhi.
Abboud, C. (1987). *Chronique de la France et des Francais.* Paris.
C.Hinton, H. (1958). *Major Governments of Asia.* New York.
Edwardes, M. (1961). *Asia in the European Age1498-1955.* New York.
Harris, R. (1963). *England in The Eighteenth Centur.* London.
Hill, C. (1977). *British Economic and Social History(1700-1975).* London.
Marshall, D. (1962). *Eighteenth Century England.* England.
Mukherjee, R. (1958). *The Rise and fall of the east India Company.* Veb Deutscher Verlag Der Wissenschaften.
Watson, O. (1976). *Longman Modern English Dictionary.* London.
Wolpert, S. (1982). *A New History of India.* London.

احمد زكي الخياط ودوه الاداري والدبلوماسي والسياسي حتى عام 1958

زيدون طه صالح أ.د.اخلاص لفته حريز
Zidontaha77@gmail.com eklhas79@uomustansiriyah.edu.iq
الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم التاريخ

الملخص:

يعد احمد زكي الخياط المولود في مدينة بغداد واحداً من رجال الادارة المرموقين والدبلوماسيين في العراق في النصف الاول من القرن الماضي، ووكيل لنقابة المحامين لمرتين. نشأ في عائلة حرصت على تعلم ابنائها وكان لأسرته أثر كبير في تكوينه الفكري وبناء شخصيته التي كانت حافلة بالعديد من المنجزات الادارية والعلمية والثقافية.

شغل احمد زكي الخياط وظائف ادارية ، ولحاجة المملكة العراقية الى موظفين، فأن خريج مدرسة الحقوق سرعان ما يعين في تلك الوظائف. وقد تطورت مناصبه من مدير ناحية الى قائمقام الهندية، ثم القرنة، وبعدها متصرف الوية (الكوت، والعمارة، كربلاء، الحلة، ثم الكوت)، وقد اثبت مقدرة ادارية متميزة في عمله الاداري. كذلك تولى مناصب دبلوماسية في المحمرة وبومبي الهند والقدس. وعلى الرغم من انه فارق الحياة في سبعينيات القرن العشرين. الا أنه قدم جهوداً ادارية وفكرية ، ومارس المحاماة وتقاعد منها عام 1969، وتوفي عام 1974.

الكلمات المفتاحية: دبلوماسي، اداري، محامي، متصرف

Ahmed Zaki Al-Khayyat and his administrative، diplomatic and political role until 1958

Prof. Ekhlas Lafta Harez Zaidoun Taha Saleh

Abstract

Ahmed Zaki Al-Khayyat، born in Baghdad، is considered one of the distinguished administration men and diplomats in Iraq in the first half of the last century، and a two-time representative of the Bar Association. He grew up in a family that was keen on educating its children، and his family had a great influence on his intellectual formation and the building of his personality، which was filled with many administrative، scientific and cultural achievements،

Ahmed Zaki Al-Khayyat held administrative positions، and due to the Kingdom of Iraq's need for employees، a law school graduate was quickly appointed to those positions. His positions developed from district director to mayor of Hindiya، then Qurna، and then governor of the districts (Kut، Amara، Karbala، Hilla، then Kut)، and he demonstrated distinguished administrative ability in his administrative work. He also held diplomatic posts in Mohammerah، Pompeii، India، and Jerusalem. Although he died in the seventies of the twentieth century. However، he made administrative and intellectual efforts، practiced law، retired from it in 1969، and died in 1974.

Keywords: diplomat، administrator، lawyer، administrator

المقدمة:

تعد دراسة الشخصيات من الدراسات التي تعطي الفرد دوره في صناعة التاريخ وقد شهد تاريخ العراق المعاصر عددا كبيرا من هذه الشخصيات البارزة التي كان لها أثرها في احداثه على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والاكاديمي. ومن هذه الشخصيات ظهرت شخصية احمد زكي الخياط الذي برز نشاطه الاداري والدبلوماسي والسياسي، فكان واحدا من أبرز الاداريين في العراق، اذ تميز عن اقرانه بالدقة والأمانة العلمية في نقل المعلومات جعلته في مقدمة المترجمين ، فضلا عن أَثرِهِ الإداري ، إذ تميز منذ البداية في ادائه الوظيفي ولاسيما في مجال التربية والتعليم وفي مرحلة مهمة وحيوية في تاريخ العراق المعاصر.

اما منهجية في هذا البحث فقد اتبعت المنهج الوصفي للأحداث ، ومنهج التسلسل الزمني للأحداث التاريخية.

اقتضت ضرورة البحث تقسيمه على محاور عدة ، تناولت نشأته وولادته ونتاجهِ العلمي وكذلك الوظائف الادارية والمناصب الدبلوماسية ودوره في مجلس النواب العراقي التي شغلها احمد زكي الخياط أثناء عمله الاداري والدبلوماسي والسياسي في العراق حتى عام 1958.

اولاً:- البدايات والتكوين:

هو احمد زكي بن مهدي بن احمد بن جمعة بن عطا الله، ينتمي الى عشيرة البياتي من فرع البو أحمد فخذ البو جادر* ولد في الرابع عشر من كانون الثاني 1900 (القزويني، 2022، الصفحات 5-7)في بغداد وتحديداً في محلة صبابيغ الآل، التي تتجلى أهميتها في كونها جزءً من تأريخ بغداد الزاخر بكثرة ما انجبت من شخصيات وطنية، كما كان لها دور فاعل ومؤثر في الميادين السياسية آنذاك على الصعيدين الرسمي والشعبي (الصفار، 2002، الصفحات 14-30).

نشأ احمد زكي في بغداد وبين أزقتها في ظل عائلة حرصت على تعلم ابنائها، وكان للتربية البيئية التي ترعرع فيها أثرٌ كبير في تكوينه الفكري وبناء شخصيته، وانعكست تلك الصفات في سلوكه فيما بعد، وأسهمت بشكل أو آخر في بناء شخصيته. فضلاً عن ذلك، ان البناء الاسري المتمثل بالقيم الاجتماعية الراسخة يعد نواة لتشكيل جيل المستقبل، ومن هذا المنطلق كان لعائلته، متمثلة بالأب الذي يتميز بصفات خاصة الاثر الكبير في تكوين شخصية أحمد زكي الخياط (زكي، 2016، الصفحات 3-4).

تلقى احمد زكي الخياط مبادئ القراءة والكتابة على الطريقة التقليدية التي كانت سائدة في أواخر القرن التاسع عشر في العراق؛ إذ كان الأطفال يتلقون فيها تلك المبادئ في مدارس أولية تعرف بـ (الكتاتيب) على يد الملالي (لغة العرب، 1926، صفحة 191).

وبعد ان انهى احمد زكي امتحانات الصف الابتدائي المنتهي من المدرسة الجعفرية بحضور نهاد بك مدير مدرسة الإعدادي الملكي وهي بمثابة المدارس الثانوية، حيث كانت تشمل الدراستين الرشدية والإعدادية، اعجبه مستوى الطلاب في الصف المذكور وقرر ان يضم الى مدرسته من يرغب منهم، ووقع الاختيار على اربعة هم احمد زكي الخياط، رؤوف البحراني، وصادق البصام، وعبد الغني الخاصكي، وهكذا انتقل احمد زكي الى الصف الرابع من مدرسة الاعدادي الملكي، كان محيط المدرسة يختلف اختلافا تاما عن المحيط الذي كان فيه المدرسة الجعفرية، حيث تقع مدرسة الاعداد الملكي في دارين كبيرين متصلين ببعضهما. كان مجموع تلاميذ المدرسة بجميع صفوفها ما يقارب الف طالب، اما الصف الذي كان فيه احمد زكي يحتوي على 90 طالب منهم ابراهيم عاكف الالوسي، وسلمان الشيخ داوود، وسامي خونده وغيرهم (زكي، 2016، الصفحات 23-24).

قرر أحمد زكي في تموز 1921 اكمال دراسته، واقترح على صادق البصام، ان يكملوا دراستهم في مدرسة الحقوق للعام الدراسي 1921-1922، بعد ان فاتهما فرصة الالتحاق بها في عام 1920، وبالفعل تم تسجيلهم في الصف الأول، وفي عام 1922 انتقلت المدرسة الى بناية المدرسة الحميدية في شارع السراي بجوار امانة العاصمة، وكان بالوقت نفسه ملزماً بالبقاء في وظيفته، لذلك اتفق مع زملائه في المدرسة جعفر حمندي، وصالح جبر، للحضور عنده في الدائرة للمطالعة ومراجعة الدروس والمذاكرة والمطالعة سوياً (زكي، 2016، صفحة 118)

اجتاز احمد زكي مع زملائه امتحان درس الصكوك الجزائية وهو اخر موضوع من موضوعات الصف المنتهي في يوم الثلاثاء الرابع عشر من تموز 1925، واقيم الحفل السنوي المركزي في الخامس عشر من كانون الثاني 1926 لخريجي كلية الحقوق للعام الدراسي 1924-1925؛ برعاية عبد المحسن السعدون رئيس الوزراء وبحضور رئيس الكلية رؤوف الجادرجي ومجموعة من الشخصيات والجمهور (زكي، 2016، صفحة 143) تخرج أحمد زكي الخياط من كلية الحقوق في التاسع والعشرين من كانون الثاني (العالم المصور جريدة، 1926)1926.

كان من صفاته وابرز ملامح شخصيته انه اسمر البشرة، وجهه مدور، وبأن " **له قوة في عينيه الضيقتين عذوبة وصرامة وفي حاجبيه المشرفين على غاري العينين نبوغ وكثافة وفي جبهته الجلواء سمة وطول، وفي خلقة شدة وقد استوى بياض رأسه وسواده او كاد ولكن الرجل مازال فتيا جليدا وخفيفا سريعا**". كان شخصيته معتدل القامة كالجندي عندما يكون واقفاً، وكان يلوح بيمينه عندما يتكلم كأنه يخطب وكان كلامة واضحاً ونطقه بطيئاً وصوته رقيقاً. ووصف بأنه طويل البال واسع الصدر عظيم الحلم

* مقابلة شخصية اجراها الباحث مع الطبيب هاشم صادق الخياط, العراق, البصرة, بتاريخ 2022/9/10.

يتقبل كل رأي ولا يظن بالثناء على مستحقة والتشجيع على من هو أهل له، جم المروءة، واسع الخلق منبسط اليد بالمعروف، رقيق القالب عطوف جدا صحيح الادراك، نافذ البصيرة حصيف الرأي دائم التفكير (الساعة جريدة، 1945).

ثانياً: دوره في نادي الإصلاح العراقي:

بدأ النشاط الحزبي لـ (أحمد زكي الخياط) عندما أتفق مع مجموعة من المحامين*، من أجل تأسيس نادي اجتماعي ثقافي لتهذيب ابناء الشعب وتوعيتهم في اتباع النظام وحب العمل والاقبال على التعلم في المدارس لارتشاف العلوم والمعارف منها، والقضاء على الجهل والتخلف، وعلى هذا الاساس، اجتمع مجموعة من المثقفين والسياسيين في دار جعفر الشبيبي في الاول من كانون الثاني 1924، للمباحثة والمداولة النهائية في تنفيذ فكرة تأسيس نادي الإصلاح العراقي في مطلع تموز عام 1924، وتم اعداد نظام داخلي وتقديمه مع طلب إلى وزارة الداخلية لذلك الغرض، فصدرت الاجازة بتأسيسه (زكي، 2016، صفحة 129).

افتتح الملك فيصل الاول نادي الاصلاح العراقي في التاسع من شباط 1924 (الجبوري ع.، صفحة 135)، وحضر حفل الافتتاح معظم اعيان البلد والوزراء، والأدباء والشعراء والشباب المثقفين وغيرهم والقيت الخطب الجميلة العديدة بتلك المناسبة. وكان من المقرر ان يلقي عبد الحسين الأزري قصيدة الافتتاح، الا ان مرضه حال دون حضوره الاحتفال، وقد ارتأى المؤسسون ان يلقي احمد زكي الخياط كلمة الافتتاحية بدلاً عن القصيدة، وقد تقدم الى المنصة والقى الافتتاحية، اذ كان يمتلك لباقة في اللسان وقد نالت كلمته استحسان الحضور (زكي، 2016، صفحة 130).

أسندت رئاسة النادي الى جعفر ابو التمن، وابرز اعضاءه محمد جعفر الشبيبي، ورؤوف البحراني، وجعفر حمندي، وأحمد زكي الخياط، ومحمد باقر الشبيبي، وعبد الحسين الازري وآخرون غيرهم (د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة 311/1204، صفحة 3)، واتخذ للنادي مقراً في دار تقع في محلة القاطر خانة (الجبوري ع.، صفحة 135).

دعا النادي في منهاجه الى عدم التدخل في الشؤون السياسية، والتركيز على اصلاح الحياة الاجتماعية ونشر الآداب والعلوم وتنمية ونشر اللغة العربية الفصحى (د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة 311/1204، صفحة 1)، وبث المبادئ الاسلامية عن طريق القاء المحاضرات والدروس العلمية، وتشجيع النادي على فتح فروع أخرى في المدن العراقية. وفعلاً فتح النادي له فرعاً في النجف عام 1926 (د.ك.و، ملفات وزارة الداخلية – الديوان) والبصرة. اما شروط القبول في النادي فيقبل كل من كان عربياً متصفاً بالأخلاق العالية يحسن القراءة والكتابة ولا يقل عمر عن 18 عاماً (مذكرات رؤوف البحراني، صفحة 178).

اصدر النادي في شهر ايلول مجلة اجتماعية شهرية باسم "الإصلاح" (الجبوري ع.، صفحة 135)، وعهد الى عبد الحسين الازري مسؤولية أدارتها وتحريرها. اهتمت المجلة بالمواضيع الأدبية والثقافية كالاهتمام باللغة العربية وآدابها ونشر القصائد الشعرية، واهتمت ايضاً بالقضايا العلمية وبالعلماء المسلمين ونشر سيرهم، ومن ابرز كتاب تلك المجلة هبة الدين الشهرستاني، ومحمد رضا الشبيبي، ورفائيل بطي وغيرهم (د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة 311/1204، صفحة 1).

وعلى الرغم من ان اهداف النادي ثقافية وغير سياسية، الا انه لم يستطع ان يتجاهل مشاكل الامة، فقد عارض اعضاء النادي ومعهم احمد زكي الخياط المعاهدة العراقية–البريطانية لعام 1922 معارضة شديدة قبل افتتاح المجلس التأسيسي، وعقد اعضائه اجتماعاً مع اعضاء من المعهد العربي في مقر النادي ليمثلوا حزب الشباب، الذي ارسل وفدا لمقابلة الملك حسين ملك الحجاز في عمان للاحتجاج على المعاهدة. وشكل وفداً تألف من احمد زكي الخياط ومحمد جعفر الشبيبي، وجعفر حمندي ورؤوف البحراني لمقابلة اللجنة الأممية التي ارسلتها عصبة الامم حول مشكلة الموصل، وقد ذهب الوفد في السادس عشر من كانون الثاني 1925 الى مقر إقامة اللجنة الاممية لتوضيح رأي النادي في وجوب إبقاء الموصل ضمن حدود العراق، وتثبيت الحدود على هذا الاساس، وطلبوا من وفد عصبة الامم تسجيل رأي نادي الاصلاح الذي طرح لهم حول موضوع الحدود بين العراق وتركيا (مذكرات رؤوف البحراني، صفحة 179).

* وهم: رؤوف البحراني، داود السعدي، عبد الهادي ظاهر، عبد العزيز ماجد، قاسم العلوي، محمود خالص، علي محمود الشيخ علي، شفيق نوري، خليل زكي للمزيد ينظر: (الحسني ع.، 1980، صفحة 66)

ثالثاً: بواكير نشاطه الاداري حتى عام 1929 :

صدرت الإرادة الملكية بتعيين احمد زكي الخياط مديرا لناحية الكوفة في العشرين من اذار 1926 (جريدة الاستقلال، 1926)، ومنح سلطة جزائية من الدرجة الثالثة في السابع والعشرين من نيسان عام 1926 ولغاية السابع والعشرين من أيلول عام1926 *.

شخص احمد زكي اهم المشاكل في الكوفة وعمل على معالجتها منها: سداد الفرات على الجانبين، وحراسة البلدة ليلا من السرقات التي عانى منها الناس آنذاك، كذلك الاهتمام بشؤون المعارف والنظافة والصحة الى جانب تعديل الطرق وتسويتها (زكي، 2016، صفحة 147).

اولى احمد زكي عناية خاصة لتشجيع المعارف في الناحية، والاخذ بيد معلمي مدرستي الكوفة لتعويد الطلاب على اتقان درس الانشاء والخطابة باللغة الفصحى، والاعمال الكشافية والرياضة البدنية، مما أدخل النشاط الى اذهان التلاميذ وانعشهم، فصاروا يتنافسون فيما بينهم، وكان ابرز تلاميذ آنذاك كاظم شبر. وقام بقطع دابر السرقات والاعتداء على المواطنين بتبديل ملتزم الحراسة بواحد اخر وجعله تحت مراقبته الشخصية. وتذوق احمد زكي العمل الشاق والمتعب في الكوفة، اذ كان يذهب على ظهور الخيل الى الصحراء لتعداد الاغنام، عندما كانت تظهر الغنامة الى المراعي في الصحراء، وكان يقضي الليالي في الاماكن الخالية من البشر التي تتجول فيها الذئاب العاوية. وكان خلال ذلك دائما يستذكر بيت الشعر المشهور الذي يمثل العزلة والانفراد في البادية. واستمر احمد زكي في منصبه هذا الى ان جاء عبد الحسين الجلبي وزير المعارف بزيارة الى الكوفة وخلالها قام بزيارة الدائرة التي يعمل احمد زكي وفاتحه بشأن نقل خدماته الى منصب سكرتارية وزاره المعارف الذي اصبح شاغرا فشكره (زكي، 2016، صفحة 148).

وبالفعل صدرت الإرادة الملكية بنقل احمد زكي سكرتيراً لوزارة المعارف في تشرين الاول عام 1926 (جريدة الاستقلال، 1926). وخلال اشغاله هذا المنصب حدثت قضية النصولي، واعتراض الاهالي على المعلومات التاريخية التي تلقن لتلاميذ المدارس، اذ احتج الاهالي لدى وزير المعارف عبد المهدي المنتفكي، وشخصيات اخرى مثل محمد الصدر ومحمد رضا الشبيبي وغيرهما، مما اضطر وزير المعارف الى اتخاذ بعض الاجراءات الانضباطية بشأن انيس زكريا النصولي، ولكن تلك الاجراءات قد سببت رد فعل لدى مدرسي المدرسة الثانوية المركزية الذين لم يتورعوا عن تحريض الطلاب بمختلف الشعارات للاحتجاج على ما اقدمت عليه وزارة المعارف. اشتدت المظاهرات واصبحت في وضع لا يمكن السيطرة عليه، وطلب وزير المعارف من احمد زكي الخروج اليهم، والتحدث اليهم بما يناسب الموقف لتهدئة الأمور، وبالفعل خرج احمد زكي الى المتظاهرين قائلاً: ***" اخواني، انكم تلاميذ مدارس والحمد لله، فهل ترضون أن تنسب لكم الفوضى؟ أما انا فلا ارتضي لكم ذلك. ان المبنى ضيق لا يتسع للجميع وانكم تريدون مقابلة الوزير، فأرى ان تنتخبوا من بينكم وفداً يمثلكم للمقابلة*** (زكي، 2016، صفحة 157).

وافقوا على ذلك وانتخبوا من بيهم وفداً لمقابلة الوزير تألف من فائق السامرائي، وعبد الرزاق الظاهر، ومحمد حسن سلمان، اخذهم احمد زكي الى ساطع الحصري واستمع الى مطالبهم ومن بعدها انصرفوا وقد استطاع من تهدئتهم وبعد ذلك ذهب الى الوزير وطلبت منه ان يخرج لهم لتهدئتهم وبالفعل وعدهم خيرا (زكي، 2016، صفحة 155).. لكن الامور زادت سوءا عندما كان الطلاب على وشك مغادرة الشارع منصرفين الى منازلهم واذا بمدير دائرة الاطفاء في بغداد انذاك (مستر فيشر) يقدم من جهتي شارع الرشيد بنقالة ماء تستعمل لاطفاء الحرائق فيرشق فيها جموع الطلاب بماء من خراطيم السيارة وكان الماء ساخنا فثار الطلاب وهاجموه وانتزعوا منه نقالة الماء. و بعد مرور بضعة ايام اوعز وزير المعارف بتأليف لجنة للتحقيق في اسباب المظاهرات، فكانت النتيجة طرد بعض التلاميذ لمدة مؤقتة، وفصل بعض المدرسين من العمل، مع توجيه عقوبة الانذار الى مدير الثانوية المركزية يوسف عز الدين الناصري للإهمال في ضبط شؤون المدرسة. بعد ذلك قدم وزير المعارف استقالته من الوزارة وبقي منصب الوزير يدار وكالة، وبسبب الحالة السياسية المتوترة تولى هذا المنصب خمسة وزراء خلال مدة سبعة اشهر فقط (زكي، 2016، صفحة 159).. كان اخر الوزراء الخمسة هو ياسين الهاشمي الذي تولى وزارة المعارف بالوكالة، ولم يكن احمد زكي على معرفة به أو صلة، وقد تفاجئ بتصرفات ياسين الهاشمي الاستفزازية اتجاه، عندما قدم له احدى عشر اضبارة كان قد انجزها، وتم طبع كتبها، وعند تقديم احمد زكي هذه الاضابير لتوقيع، وقع عليها الوزير دون الاطلاع على محتواها، ثم سأل احمد

* نقابة المحاميين, إضبارة المحامي أحمد زكي الخياط , رقم الاضبارة آ 467, كتاب الاستشهاد الى النقابة المرقم ذ/1435/113 في 1966/4/10، ص43.

زكي "أهذا هو كل شغلك؟" انه قليل فأجابه احمد زكي نعم ما تم تدقيقه في بضعة ايام فقط، فضلا عن ذلك ان هذا ما يرد للوزارة من اعمال، وعملي من عمل الوزير، فقال له ياسين الهاشمي انت جريء فرد عليه قد اكون جريئا ولكن في بيان الحقيقة (كزار، 2015)، بعد ذلك غادر الغرفة مسرعا لكي لا تزداد الامور سوءا فيما بينهم. وبعد عدة ايام عند ذهابه الى مكتبه في الثالث من اب 1927 وجد ظرفا مختوم في رسالة رسمية موضوعه على مكتبه فيها امر وزاري بتوقيع ياسين الهاشمي بنقل احمد زكي سكرتير وزاره المعارف الى مديرية المدرسة الثانوية في العمارة براتبه الحالي. لم يأسف احمد زكي لما حصل لكن حز في نفسه ان تنغمر في الصراع الذي أضر بالبلد شخصيات القت الظروف بيدها مقاليد الحل والعقد مندفعة بدون الالتفات الى ما يزري بها من نتائج (زكي، 2016، الصفحات 155-160).

زار احمد زكي في داره في العشرين من اب 1927 علي الشيخلي حاجب وزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني وزير الداخلية يبلغه رغبة الوزير بمقابلته، فذهب في الثاني والعشرين من اب 1927 الى وزارة الداخلية، فهم احمد زكي اثناء الكلام ان المقصود من ذلك تلافي ما حدث له في وزارة المعارف، ثم اخبره رشيد عالي الكيلاني بأنه يفتخر بتعيينه قائممقام لاحد الأقضية المهمة فاعتبر ان هذه الكلمة ترضية له فتقبل منه ذلك شاكراً وهكذا تم نقله الى وزارة الداخلية في الخامس والعشرين من اب1927 (زكي، 2016، صفحة 160).

كان اهم واجبات احمد زكي في ادارة الهندية ينحصر في تنظيم الري لغرض الإنتاج الزراعي، واعداد المراعي، الى جانب استتباب الأمن، وتقديم الخدمات الاجتماعية من رعاية مؤسسات التربية والتعليم، ومؤسسات الصحة، وإعداد الطرق العامة وتنظيم شؤون البلديات والاسكان، من تأسيس مراكز إسالة الماء المصفى، والتنوير الكهربائي، وتشييد الدور، الى جانب حفظ السداد والأمن (زكي، 2016، صفحة 163).

انجز احمد زكي خلال مدة عمله في الهندية امور عدة منها: دفن مستنقع كبير كان محيطاً ببلدة الكفل، ودفن مستنقع كبير كان محيطاً ببلدة طويريج، اسس مستوصف صحي في الكفل، وبجواره دار للموظف الصحي، واسس كراج عام للسيارات في الكفل، وشيد محل لذبح الاغنام في طويريج في آخر البلدة، وشيد سراي حكومة بمركز ناحية ابو غرق لسكن الموظفين، وشيد ثلاثة دور للموظفين في مركز ناحية الرجيبة. وشجع احمد زكي مديري مدارس القضاء والنواحي التابعة له على ضرورة الاهتمام بالرياضة البدنية وأعمال الكشافة، فضلا عن ذلك قام بفتح صف مسائي لمحو الامية في مدرسة الهندية سجَّلَ فيه عدد كبير من الناس من مختلف الأعمار، وضعه برعايته الشخصية، فاستفاد منه الكثير وتعلموا القراءة والكتابة، وكان احمد زكي يحضر لاختبارهم بين مدة واخرى ويقدم لهم الهدايا التشجيعية البسيطة للناجحين منهم. كذلك جهز حملة في اذار 1929 لغرس الأشجار على أكتاف السواقي والأنهار اشترك فيها التلاميذ والمعلمون والموظفون وهو معهم، فتمكنوا من غرس الألوف من أشجار الغرب والصفصاف السلطاني والكالبتوس وغيرها، فكان ذلك من مهرجانات الربيع في الهندية. كذلك لاحظ احمد زكي ان المزارعين كانوا يرزحون آنذاك تحت وطأة الفائض الفاحش الذي يدفعونه للمرابين من التجار وغيرهم الذين كانوا يسلفونهم بما يحتاجونه من أموال، لذلك اقترح بتأسيس مصرف زراعي للقيام بعمليات التسليف لانقاذ المزارعين من ذلك الاستغلال البشع، وفي خوض عمله هذا تفاجئ بقرار الحكومة بنقله الى قضاء القرنة، وسلم قضاء الهندية في الحادي عشر من اب 1929 الى علي البازركان القائم مقام الجديد. بعد مغادرة أحمد زكي قضاء الهندية حضر عنده في بغداد في الثالث عشر من اب 1929 كثير من سادات الهندية ومشايخها الذين لم يستطيعوا توديعه عند مغادرته الهندية فشكرهم على ثقتهم ومحبتهم. كذلك شكر جمع غفير من المودعين الذين أصروا على مرافقته بسياراتهم حتى مركز المحاويل على طريق الحلة-بغداد (زكي، 2016، الصفحات 164-168).

وصدرت الارادة الملكية بنقل أحمد زكي الخياط من قضاء الهندية الى قضاء القرنة ومنحهُ سلطة جزائية من الدرجة الثالثة (العراق (جريدة)، 1929) (النهضة العراقية (جريدة)، 1929). أستلم احمد زكي القضاء بشكل رسمي في الثامن والعشرين من اب 1929 (زكي، 2016، صفحة 169). وبعد مباشرته بالعمل قام بجولة تفقدية لواقع الاهوار بالزورق والمشاحيف تارة وعلى اليابسة بالسيارة تارة اخرى، في مختلف مناطق القرنة وتم تسجيل ملاحظات على واقعها المتردي من حيث قلة الخدمات وانعدامها فضلاً عن انتشار المرض والجهل وتفشي الامية بينهم (زكي، 2016، صفحة 169).

قدم احمد زكي الخياط جهود كبيرة في حفظ الامن وفض المشاكل والمنازعات العشائرية بطرق سلمية، منها ان المناطق في ساحل دجلة الايمن وهو بداخل حدود بلدية لقرنة وتسكنه عدة عشائر منها عشائر بني مالك وقد حدثت بينهم وبين العشائر المجاورة منازعات على نظام السقي والاراضي (زكي، 2016، صفحة 170).

رابعاً:- المناصب التي شغلها احمد زكي الخياط 1930-1946

1- نائب قنصل العراق في المحمرة 1930

تحسنت العلاقات السياسية بالتدريج بين العراق وايران عام 1930، وعلى الرغم من وجود مفوضية ايرانية في بغداد وقنصليات في البصرة وبغداد والكاظمية وكربلاء، فلم يكن للعراق في إيران سوى ممثلية سياسية واحدة في طهران تولى اداراتها رستم حيدر أواخر عام 1929. وبعد مفاوضات بين البلدين لأول مرة في تاريخيهما الحديث، تم الاتفاق على تبادل البعثات الدبلوماسية والقنصلية بين البلدين بشرط المقابلة بالمثل بين العراق وايران فيما يخص رعايا البلدين، وتنفيذا لتلك الاتفاقية تقرر تأسيس قنصلية للعراق في المحمرة قبل تأسيس اي قنصلية اخرى في ايران (زكي، 2016، صفحة 177). وتشمل أعمالها جميع أقليم الاهواز بمدنه الثلاث الناصرية، وعبادان، والمحمرةً (البصري، 2015، صفحة 43).

سافر احمد زكي الخياط في صباح يوم الأحد السادس عشر من شباط1930، في القطار المتوجه من بغداد الى البصرة وصادف أثناء السفر ياسين الخضيري، الذي كان ذاهباً لمواجهة عبد العزيز ال سعود بشأن قضية خاصة به. تم وصولهم للبصرة في اليوم التالي وتم نزولهم في قصر عبد الوهاب الخضري في البراضعية، وبقي يومين في البصرة التقى خلالها بشخصيات رسمية وغير رسمية لبحث اوضاع المحمرة، امثال رؤوف الكبيسي متصرف البصرة، وحسام الدين جمعة مدير شرطة اللواء، وخان بهادر محمد احمد المحامي، واغا حسن بديع قنصل ايران في البصرة، وسليمان الشواف المحامي. وغادر البصرة في التاسع عشر من شباط 1930 عن طريق التنومة بالسيارة. دخل الى المحمرة ونزل في فندق المحمرة، وكان أول من زاره هناك مشير نجل الحاج رئيس الذي كان مستشار أمير المحمرة الشيخ خزعل قبل تنحيته عام 1925 (زكي، 2016، الصفحات 178-179)..

كان أول عمل قام به احمد زكي الخياط في المحمرة، زيارة حاكم المحمرة الاداري ناصر اردلان فرحب به وتم التفاهم بينهما على طريقة العمل في المحمرة. وفي اليوم التالي اعاد له الحاكم الزيارة في الفندق. بعد ذلك زار احمد زكي الخياط الدكتور لنكن نائب القنصل البريطاني، الذي كان القنصل الوحيد الذي مضى عليه سبعة عشر عاماً، واعاد له الزيارة ايضاً وتم التحدث بينهما بشأن القنصلية، اذ كان القنصل البريطاني هو الذي يقوم برعاية مصالح الجالية العراقية في الاهواز. وتم تأجير دار للقنصلية في المحمرة وتم تأثيثها من العراق ونقلها عن طريق زورق الى المحمرة، اذ كان لا يوجد في المحمرة ما يمكن الاستفادة منه للقنصلية من اثاث وغيره سوى التيار الكهربائي. وكان قرب العراق من المحمرة قد خفف عنه كثيراً من عناء التأسيس، الذي يتم لأول مرة في تلك البلاد مما يستوجب ان يكون مما يليق باسم العراق المشرق. وتم افتتاح القنصلية في الحادي والعشرين من اذار 1930، فكان احتفالاً كبيراً حضره شخصيات من الشرقيين والغربيين منهم: حاكم المحمرة، ورؤساء الدوائر، ومدير البنك الملي واعوانه الخمسة عشر، والدكتور لنكن نائب القنصل البريطاني، وشخصيات كثيرة عراقية وعربية ساكنين في تلك المنطقة (زكي، 2016، الصفحات 179-181).

كان من اهم الاعمال التي يقوم بها احمد زكي الخياط حماية افراد الجالية العراقية من شرطة المحمرة، لأن مدير شرطة المحمرة انذاك كان من اكراد كرمنشاه، وكان مبعث تعب للقنصلية، اذ كان لا يمضي يوم دون ان يقوم بالاعتداء على حرية افراد الجالية العراقية، ولم يخلص منهم المواطنين المستطرقين الذين يذهبون لزيارة العتبات المقدسة في ايران. وكان اذا ما اراد ان يتخلص من احد من هؤلاء يركبه الزورق ويعبر به شط العرب فيلقيه على الجانب الأيمن اي الجانب العراقي. وقد شكى احمد زكي الخياط الى والي ناصرية العجم من مدير الشرطة وتصرفاته، بانه ينفي الناس من المحمرة الى البصرة سواء كانوا عراقيين او غير عراقيين لماذا ينفيهم الى العراق؟ وهو ليس منفى لايران. واذا كانوا المنفيون عراقيين فان هناك قنصلية تمثل مصالحهم فالواجب مراجعة القنصلية العراقية، وان عدم مراجعته للقنصلية معناه ان يتغافل وجودها وهذا عمل استفزازي للقنصلية يخالف احكام الاتفاق القائم بين البلدين، تفهم الوالي واظهر اهتماما بالموضوع، فزجر مدير الشرطة وردعه، وبعد ذلك صار يحاول التقرب من القنصلية، فتم الاستراحة منه لبعض الوقت (زكي، 2016، صفحة 182).

تلقى احمد زكي الخياط طلبا من وزارة المعارف العراقية في أواسط شهر شباط عام 1931، لتسهيل سفر فرقة الكشافة في بغداد وكانوا قاصدين زيارة معامل شركة النفط في المحمرة، وقد اتخذ احمد زكي الخياط كافة التدابير لنجاح وتسهيل مهمة تلك السفرة لاسيما وإن وجودها في منطقة عمله، مما يدعم اسم العراق ويعززه فيها، وبالفعل تمت الترتيبات مع شركة النفط الإيرانية لأعداد زورقين كبيرين لنقل فرقة الكشافة من ميناء البصرة الى عبادان اولاً ثم الى المحمرة، وقد تم ايفاد ملاحظ القنصلية محمد حمدي الجوخدار للعبور الى البصرة لاستقبال الوفد والسفر معهم عند قدومهم . وصلت فرقة الكشافة معهم الدكتور متي عقراوي في الثامن والعشرين من شباط 1931، واستقبلهم احمد زكي الخياط ومعه ممثل عن شركة النفط، فتجولوا في معامل النفط وشاهدوا فيها كيفية صنع صفائح النفط من طبقات الصفيح بواسطة الات تقطعها وتلحمها ثم تطليها، والات اخرى تعبئ النفط فيها وتختمها فتكون جاهزة للتصدير الأسواق، ثم زاروا نادي الشركة في عبادان فأخذوا بنظامه وتنسيقه، ثم اخذوا قسطاً من الراحة في القنصلية العراقية وتناولوا حلوى " منَّ السّما" وانشدوا الاناشيد العراقية، وتم توديعهم قبيل المساء من اليوم نفسه عائدين الى البصرة (زكي، 2016، الصفحات 185-186).

وبمناسبة الاحتفال بأعياد الميلاد الملكي تم منح عدة اوسمة لعدد من الشخصيات لتلك المناسبة ومنهم احمد زكي الخياط، وقد صدرت الارادة الملكية بمنحه وسام الرافدين من النوع المدني ومن الدرجة الخامسة في السادس عشر من ايار 1931 (العالم العربي (جريدة)، 1931). وافتتحت بناية جديدة لدائرة الميناء في البصرة في يوم الاحد الموافق الثامن من شباط 1931، وقد جرى الافتتاح برعاية الملك فيصل الأول، وكان حاضراً عبدالله الدملوجي وزير الخارجية العراقية وبعض الوزراء الآخرين. وكان احمد زكي الخياط مشغولا في مهامه في المحمرة، فلم يحضر الاحتفال في البصرة، وفي يوم التالي تم الاتصال به هاتفياً من قبل عبد الله الدملوجي في المحمرة يعلمه برغبة الملك فيصل بمقابلته، وبالفعل حضر الى البصرة لمقابلة الملك. الذي كان يطلع على التقارير التي ترد من المؤسسات العراقية في الخارج الى وزارة الخارجية، وقد علم احمد زكي ان الملك ممتن من اعماله في الأهواز، وأوعز اليهم بأرسال كتاب شكر تثميناً لجهوده في حماية الجالية العراقية ورعايتها (زكي، 2016، صفحة 186)

وعند العشاء حضر عند محطة القطار لتوديع الملك وكان عدد المودعين يتجاوز الثلاثمائــة، خلال ذلك نادى رئيس التشريفات تحسين قدري من باب الصالون بصوت عالي على أحمد زكي الخياط لمقابلة الملك فيصل الاول وبالفعل تمت المقابلة وتحدث له الاخير قائلاً: "أنك نجحت في مهمتك في الأهواز وسنعيدك الى الإدارة في وزارة الداخلية" (زكي، 2016، صفحة 186)، فشكر الملك وانسحب وفي يوم الثالث والعشرين من حزيران 1931 تم استلام بلاغ تعيين أحمد زكي الخياط متصرفاً للواء الكوت (نقابة المحامين، 1966، صفحة 43).

يلاحظ مما تقدم، ان احمد زكي الخياط ادى نشاطاً ملحوظاً في عمله الدبلوماسي على الرغم قصر مدة عمله هناك. اذ نجح في تشكيل كياناً متميزاً للجالية العراقية في المحمرة في ظل ظروف ادارية معقدة.

2- احمد زكي متصرفاً

صدرت الارادة الملكية بتعيينه متصرفاً للواء الكوت في الثاني والعشرين من حزيران1931 (العالم العربي (جريدة)، 1931). وباشر بوظيفته الجديدة في الرابع من تموز 1931، وأخذ يتجول في نواحي اللواء ووحداته للاطلاع على احواله وما يحتاج اليه من ضروريات للإصلاح، لكونه ينقصه الكثير من الخدمات، وبعد دراسته لاحتياجات اللواء ومشاكله قام بأعمال عدة منها: وجد مدينة الكوت عبارة عن قرية كبيرة مهملة قرر أنتشالها مما هي فيه من خلال توسيع حدود بلديتها شمالاً وجنوباً تماشياً مع التطور الذي كان ينتظرها بعد تشييد سدة الكوت على نهر دجلة، أما من جهة الشمال فقد جعل اقصى حد للبلدة يجاور نقطة تشييد الجسر السد الجديد، وبذلك يكون القطاع الذي سيضاف الى مساحة بلدة الكوت محصورا بين نهر دجلة، والطريق العام بين (بغداد-الكوت)، وكانت مياه الفيضان تغمر ذلك القطاع، لذلك قام احمد زكي بتشييد سدة تبدأ من دار المتصرفية وتنتهي عند موقع جسر السد، بلغ طولها أكثر من كيلومتر واحد، وبعد أنجازها اصبحت تلك السدة متنزها للسكان، وبذلك استطاع احمد زكي الخياط ان يقضي على ذلك القطاع من العزلة التي كان يعاني منها، وبالوقت نفسه، قضى على اللصوص الذين اتخذوا من البساتين هناك مأوى لهم اثناء موسم التمور لسرقة الحاصلات والتراشق فيما بينهم عصر كل يوم. اما جهة الجنوب، فقد وسع حدود البلدة الى أبعد من اقصى

العمران آنذاك، على ان يمتد القسم من الكورنيش الجنوبي الى حد ناحية ام حلانة في الشرق (زكي، 2016، الصفحات 190-192).

استمر احمد زكي بالاعمال الادارية والخدمية في لواء الكوت، اذ قام بتأسيس جهاز جديد لكهرباء الكوت، وشرع بتأسيس مشروع أسالة ماء للشرب، وتنظيم حدائق البلدة، مع تشييد ساحة للعب التنس، وتم إستبدال معبر الصويرة اليدوي بمعبر بخاري ذي حافلتين، مما جعل العبور متوافراً في كل وقت وبسرعة، مع شق طريق مستقيم من المعبر الى طريق بغداد –كوت، كذلك قام بتوسيع حدود بلدية العزيزية شمالاً وجنوباً، وتنظيم مساكنها مع تأسيس حديقة في وسط الطريق العام الذي يخترق القرية مع تسويتها بسياج لطيف وغرسة بالأشجار، وتم نصب معبر بخاري في بلدة النعمانية وتشييد طريق فرعي متفرع من الطريق العام الرابط بين بغداد– كوت، وربط الكوت عبر طريق بري من الجانب الأيمن مع بلدة الهاشمية ضمن لواء الحلة (د.ك.و، 1932/4/20).

اما الخدمات الصحية التي قدمها احمد زكي في لواء الكوت، عندما ظهرت في البصرة إصابات بمرض الهيضة، ولما كانت هناك مواصلات برية ونهرية في البصرة والكوت، فقد قرر وضع الحجر الصحي على القادمين من البصرة والعمارة الى الكوت، ولاسيما البواخر النهرية التي تكون عنابرها عادة مأوى للجرذان والفئران حاملات المرض (زكي، 2016، صفحة 194).

وفي صدرت الارادة الملكية بنقل احمد زكي الخياط متصرف لواء الكوت الى متصرفية لواء العمارة (العالم العربي(جريدة)، 1932). غادر احمد زكي الخياط بغداد في الثلاثين من نيسان 1932، متوجها الى لواء العمارة فوصلها ظهراً ، وباشر عمله في اليوم نفسه (نقابة المحامين، 1966)، وكانت له فيها ذكريات طفولته لاتنسى. وكانت أوضاع العمارة شاذه لا تشبه اي لواء من الالوية الاخرى في العراق، اذ كان القادم اليها يصطدم بالنفوذ البريطاني الطاغي على كل الامور. ومن الجدير بالذكر، ان لواء العمارة كان يعاني من مشكلات عدة منها، النفوذ المتركز لدى شيوخ العشائر في هذا اللواء وكان المفتش البريطاني هو الكل في الكل ومع أن مقره كان في البصرة إلاَّ إنَّ منطقة عمله تشمل البصرة والعمارة، وكانت فيها مشكلات المنازعات العشائرية حول الاراضي، واعتداءات المخافر الأيرانية على آبار المياه والينابيع في الاراضي العراقية الحدودية. ومن مظاهر الشذوذ التي وجدها احمد زكي الخياط ان غرفة المتصرف ليس فيها جهاز تليفون، وانما التلفون موجود في غرفة المفتش الإداري البريطاني المجاورة لغرفة المتصرف، وعند ورود اتصال تلفوني الى المتصرف يستدعيه فراش المفتش البريطاني للرد على النداء. وإذا اراد المتصرف ان يتكلم بالتلفون فيرسل في طلب فراش المفتش البريطاني ليفتح له غرفة المفتش، والذي يكون اما في المقهى او يتأخر لساعات بحجة وجود اوراق مهمة داخل الغرفة، وكثيرا ما كان المتصرف يتأخر في مكالماته بسبب غياب فراش المفتش البريطاني. ووجد ان المتصرف اذا اصدر قراراً في أحدى القضايا، فقراره يستأنف من الطرف الخاسر لدى المفتش الإداري البريطاني، كذلك وجد هناك عشرات الألوف من الدنانير بقايا ضرائب متراكمة بذمة المكلفين من شيوخ العشائر الذين لم يشأ أحد منهم أن يحضر للحساب والدفع وعند استدعائه يشو امره الى المفتش الاداري الذي كان يتدخل للحيلولة دون تنفيذ قانون الجباية، وكان كثير ممن لهم قضايا يراجعون بشأنها المفتش الإداري مباشرة، فيطلب الاخير من الشعبة الاضبارة ويصدر قراره دون ان يطلع عليه المتصرف (زكي، 2016، الصفحات 200-201).

وفقاً لما سبق، كان على احمد زكي اتخاذ اجراءات لتلك الامور، وبالفعل اتخذ اجراءات عدة منها: قام بطرد فراش المفتش الاداري البريطاني، وأوعز الى هندسة البرق والتليفون بنقل التلفون من غرفة المفتش الى غرفة المتصرف، فتم النقل على الفور (د.ك.و، ملفات وزارة الداخلية – الديوان) .

كان للمتصرف احمد زكي دور كبير في حل قضايا المنازعات العشائرية، اذ استطاع قضية النزاع بين فالح الصيهود ومحمد العريبي في 27 ايار 1932، بشأن حدود أراضي الشلب من جهه (تل الدبن) على ساحل هور الحويزة ضمن لواء العمارة الذي أستمر مدة طويلة عجزت الحكومة من حله (النداواني، 1961، الصفحات 123-126). واستطاع ايضاً حسم نزاع الأراضي القائم بين قمندار الفهد من شيوخ بني لام، وبين السادة البخات في الثامن من اب 1932، بشأن أراضي السعدية في الجانب الايمن من نهر دجلة، والتي كانت في حالة متأزمة منذ أمد بعيد. كذلك تم في العشرين من اب 1932، حسم النزاع القائم بين الشيخ حسن بن بدر الرميض شيخ البو صالح في لواء الناصرية، وبين حمدان السكر شيخ عشيرة (العيسى والبزون) في لواء العمارة بشأن حدود أرض واسعة تزرع الشلب تقع على حدود الاهوار، وقد اقتضى ذلك عقد اجتماع برئاسة احمد زكي وعضوية علي البازركان وكيل

متصرف الناصرية وآخرين. وفي الثاني عشر من تشرين الثاني 1932 تم حسم النزاع بين حمدان السكر والشيخ شواي الفهد رئيس عشائر آل أزيرج بشأن حدود الاراضي التي تزرع الشلب تقع في بزايز المجر الصغير قرب الاهوار (زكي، 2016، صفحة 203).

قام احمد زكي الخياط بالاعمال العمرانية والخدمية في متصرفية لواء العمارة، اذ تم تشييد مخفر للشرطة في نقطة الفكة على الطريق الجبلي الواصل بين العراق وايران في حدودهما. وتم تشييد مخفر للشرطة في مدخل مدينة العمارة في محلة الدبيسات في الجانب الايسر من نهر قضاء الكحلاء، اذ كانت تلك المطقة تضم الكثير من العصابات وقطاع الطرق. وتم انشاء قاعة للمحاضرات وفيها مسرح للتمثيل في مدرسة الذكور الابتدائية في العمارة على نفقة المتبرعين من الاهالي. مدرسة أبتدائية للبنات في مدينة العمارة. وانشأ مدرسة أبتدائية للبنات في قلعة صالح (زكي، 2016، الصفحات 205-206).، كذلك امر باعادة بناء مدرسة المجر الكبير عام 1932 بعد زيارته لها (الكعبي، 2013، صفحة 67)، اذ تم ازالتها وبنؤها من الطابوق، ومد مشروع إسالة الماء الى المناطق والمحلات البعيدة ضمن حدود البلدية وإستبدال التالف والمتهالك منها من الانابيب الناقلة للماء. كذلك قام بتمديد وتوسيع خطوط الانارة بالكهرباء الى المحلات البعيدة التي كانت تضاء بالفوانيس. فضلاً عن ذلك، استطاع تأسيس مستوصفات عدة عام 1932 منها: مستوصف يختص بتداوي الأمراض الزهرية المنتشرة والمتفشية في العمارة، وتأسيس مستوصف في ناحية كميت وتزويده بمضمد واحد مع الأدوية، ومستوصف بناحية المشرح وتزويد بمضمد واحد مع ادوية، ومستوصف بناحية مسيعدة وتزويد بمضمد واحد مع ادوية (زكي، 2016، الصفحات 205-206)، وانشاء مستوصف سيار وعين له طبيباً يتجول على جميع العشائر ويعالج المرضى.

شجع احمد زكي على الاعمال الثقافية والفكرية، اذ وافق في التاسع والعشرين من نيسان 1932، على صدور جريدة "الكحلاء" وهي علمية إخبارية انتقادية تابعة الى مسؤول تحريرها احمد فائق وكان مديرها عبد الحميد مدحت المحامي، وتصدر مرة كل اسبوع. وحول الموضوع نفسه، ساعد احمد زكي على تأسيس فرع لجمعية الهداية الاسلامية في لواء العمارة، بعد ان قدم سليم أفندي المفتي طلباً في الرابع عشر من تشرين الاول 1932، أوضح فيه رغبة أهالي لواء العمارة بتأسيس فرع لجمعية الهداية الاسلامية، وقد بين ان مركز تلك الجمعية في بغداد ولها نظام خاص مصادق عليه من قبل وزارة الداخلية (د.ك.و، 1932/10/14). واستطاع احمد زكي بعد جهود كبيرة ومراسلات طويلة مع وزارة الداخلية الحصول على موافقتها بتأسيس جمعية الهداية الأسلامية في لواء العمارة، وارسل كتاباً في الثالث عشر من حزيران 1933 الى سليم افندي رئيس فرع جمعية الهداية الاسلامية في العمارة ابلغه بالموافقة على تأسيس فرع الجمعية في العمارة، وطلب منه اسماء القائمين بأمور إدارة مجلس تلك الجمعية (د.ك.و،، 1932/6/13).

في الواقع، احس احمد زكي بالتعب في لواء العمارة، وكان يتمنى نقله الى احد الألوية في شمالي العراق، ليتسنى له دراسة الشمال درساً وافياً، ولكن سياسة وزارة الداخلية في موضوع تنقلات المتصرفين كانت تسير في ذلك العهد على طريقة اخرى، ومع ذلك فقد حصل على وعدٍ بأن يتم نقله الى لواء كركوك، إلاَّ انَّه كان متيقاً بعدم الايفاء بالوعود لاسباب عدة، لذلك وافق على نقله الى لواء كربلاء. ذهب احمد زكي الخياط صبيحة يوم الرابع والعشرين من تموز 1933 الى وزارة الداخلية، فألتقى هناك بمتصرف لواء كربلاء السابق محمود أديب في غرفة نشأت السنوي مدير الداخلية العام، وقد سبق للمتصرف أحمد زكي الخياط أن تسلم من محمود أديب قضاء القرنة عام 1928، وقد دار حديث بينهما وسأله احمد زكي عن أحوال متصرفية لواء كربلاء، وعن مشاريع اللواء، وميزانية بلديات اللواء فلم يفز منه الاَّ ببعض الكلمات وبلغه انه سيذهب ويرى بعينه ما يريد، وأنه لا يتذكر ميزانية لواء كربلاء وانه تذكر فقط حذف اثنا عشر وظيفة من وظائف الكناسين في اللواء (زكي، 2016، صفحة 212).

عين احمد زكي متصرفاً للواء كربلاء للمدة من (الاول من اب 1933-الحادي والعشرين من تشرين الاول 1934) (نقابة المحامين، 1966، صفحة 32)، وعند مباشرته بمهام عمله، لم يستلم أية تقرير عن حالة اللواء، على الرغم من انه يحتوى على مدن عدة تعد من اقدم المدن العراقية هي النجف وكربلاء والكوفة وعين التمر، وقد وجدهُ مهملاً من جميع النواحي وكان ذلك يتطلب منه بذل جهوداً كبيرة لإعادة الحياة والنظام اليه. وكان اول عمل قام به هو تطهير مجرى البازول هو المجرى الذي تم حفرة عام 1928 لتصريف مياه النزيز المحيطة بكربلاء الى هور أبي دبس في منخفض الرزازة، والعمل الثاني بعد البازول هو مشروع تصفية مياه الشرب التي كانت تغذى بها المدينة من نهر الحسينية، من مشروع صغير للإسالة كانت البلدية تملك نصفه مع السيد مرتضى كليدار حضرة العباس (ع) صاحب النصف الآخر. اذا قام احمد زكي بالكشف على مجراه فوجد ان المضخات تسحب مياه وسخة وملوثة

بالجراثيم فأستحال لون الماء الى شيء من السواد. ولمعالجة هذا الوضع، أصرَّ احمد زكي على إنقاذ السكان من هذا الوضع المزري، فذهب الى بغداد وعاد في اليوم نفسه الى كربلاء ومعه مهندس من شركة بيت لنج، للكشف وإعداد مشروع التصفية. وقد ايقن ان مفاتحة الجهات الرسمية تتطلب وقتاً طويلاً، لذلك اخذ على عاتقه وتعاقد مع الشركة مباشرة عند كاتب العدل على تأسيس مشروع تصفية للمياه بثلاثة مخازن كبيرة سعة كل منها خمسة وسبعون ألف غالون، وقد أنجز ذلك المشروع خلال بضعة أشهر وبكلفة مالية مناسبة جدا، وتم افتتاح المشروع والاحتفال به في أول أيام عيد الفطر الموافق السادس عشر من كانون الثاني 1934 (زكي، 2016، صفحة 216).

قدم احمد زكي خدمات صحية للواء كربلاء، اذ اعتنى بتوفير اطباء لمستشفى كربلاء، وتم تأهيل المستشفى بثلاثين سريراً للمرضى، فضلاً عن تجهيز المستشفى من طعام وفراش وكافة المستلزمات الاخرى (د.ك.و، 1933/12/20، صفحة 7).

ان الاصلاحات وتقديم خدمات افضل كانت تحتاج الى مبالغ مالية، لذلك سعى احمد زكي لزيادة مخصصات اللواء، اذ ارسل كتاباً الى وزارة الداخلية طلب فيه زيادة مخصصات اضافية الى مقدمة الفصل (45) الرواتب من ميزانية عام 1933-1934 (835،20) ديناراً (د.ك.و،، 1934/5/7). وقوبلت تلك اصلاحات بمعارضة شديدة اذ انه خرج عن المألوف والروتين في الصرف واعترضت وزارة الداخلية على ذلك، فكان جوابه أنه على استعداد كامل في الوقوف امام مجلس الانضباط بشأن هذا الموضوع، وبعد اللقاء مع وزير الداخلية انتهى الموضوع لصالح احمد زكي (زكي، 2016، صفحة 217).

تمتع أحمد زكي الخياط في لواء كربلاء بحنكة ودراية في الامور الادارية، الا ان هناك عدة انتقادات في اداءه الاداري منها الاسراف والتبذير في الاموال في هذا اللواء، اذ قدم احد اعضاء بلدية كربلاء اخبارية عن بعض مخالفات المتصرف احمد زكي الخياط (د.ك.و، 1934، صفحة 1)، اذ تضمنت الاخبارية بأن رئاسة بلدية كربلاء قد رفعت الرسوم البريدية بالمزايدة موجب شرائها من اللواء، ولكن بعد انقطاع الرغبات أحيلت بعهدة الشخص المدعو شهاب بن احمد بعد أن بدل رئيس البلدية خليل جلبي الأسترابادي الشروط بشروط اخرى، وجعل فيها الرسوم مضاعفة، وبما ان تلك المعاملة مع كونها مخالفة للقانون قد اضرت بحقوق الاهالي، لذلك راجع بصددهم الحكومة المحلية فقرر المجلس البلدي فسخ الاحالة وعرضت القضية على وزارة الداخلية، وقبل ان يصدر امر من الوزارة بذلك اعاده رئيس البلدية الى التأمينات وابطل صك الالتزام المسجل في دائرة كاتب عدل كربلاء، وبالوقت نفسه سمح للملتزم بجباية الرسوم ولايزال مستمرا على جباية الرسوم المذكورة، في حين انه لم يبق لدى البلدية اي تأمينات كانت، كما ان الملتزم لم يدفع اي قسط من الاقساط المستحقة عليه من شهر نيسان 1934 لغاية شهر تموز من العام نفسه، في الوقت الذي جمع فيه الرسوم خلال تلك المدة وادخلها في جيبه الخاص، وأن الكلام يدور على الالسن والأحاديث في المجتمعات والمقاهي بأن رئيس البلدية ارتكب تلك الجريمة وتجرء على ضياع حق البلدية وغدر الاهالي، فضلاً عن انه تقاضى من الملتزم شهاب خمسة وأربعين ديناراً وذلك بعد لحق علم المتصرف احمد زكي بك انه شريك في هذا العمل (د.ك.و، 1934، الصفحات 1-2).

ومن المخالفات الاخرى، ان رئيس البلدية أوعز الى أحد اعضاء البلدية الحاجي حسن الجواهري بهدم قسماً ضئيلاً جداً من جدار الدار العائدة الى البلدية والتي يسكنها احمد زكي الخياط بداعي أنها مائلة الى الانهدام فأتخذ من ذلك سبيلا لقيد مبلغ لا يستهان به يصرف على البلدية بأسم التعميرات في حين انه لم يكن هناك اي جدار منقض وليس هناك أي تعميرات غير أن المبلغ المذكور دفع الى سائق احمد زكي الخياط عن راتبه لاشهر بواسطة الحاجي حسن. وقيد مبلغ أكثر من سبعين ديناراً مصرف كان ذلك على البلدية عن تعميرات دار المتصرف ايضا مع ان الدار جديدة ولا تحتاج الى اي مصرف كان، وذلك ثابت لدى الخاص والعام وان ما صرف تبذيراً واسرافاً لا يتجاوز العشرة دنانير والقسم الباقي بين المتصرف احمد زكي ورئيس البلدية بمعرفة الحاجي حسن الجواهري الذي تسلم بتلك القضية الذي هو فعلاً ملتزم بدائرة البلدية. وعين علي أفندي كاتب لجنة الكهرباء الذي يتقاضى لراتباً معيناً من دائرة الكهرباء مختاراً لمحلة العباسية في حين انه من موظفين البلدية وليس له ملك في كربلاء، وأنه غير مسجل في نفوسها ايضاً وتبريراً لعمله هذا اجرى انتخاب مزور لم يحضر به سوى الأشخاص الذي اوعز لهم بالحضور وأستوثق منهم ما يريد في تلك المماطلة لمنافسة الشخصية، اذ ان رئيس البلدية الموما اليه هو يقيم بأعمال رئاسة لجنة أدارة الكهرباء الذي يستخدم علي أفندي كاتباً فيها (د.ك.و، 1934، صفحة 1).

وفي ضوء تلك الاتهامات، طلب وزير الداخلية من المفتش الاداري المختص التحقق من صحة تلك الاخبارية واعلامه بنتائج التحقيق (د.ك.و، 1934). وفقاً لذلك، ارسل رئيس المفتشين الإداريين كتاباً، الى وزير الداخلية تضمن نتائج التحقيق، وقد ظهرت بان الاساءات التي وردت في الاخبارية هي امور واردة وواقعية لا يمكن اهمالها وقد جرت كلها بصورة لا تعارض الاصول الرسمية الامر الذي يتطلب استعمال الحكمة والدراية الكافية في متابعة التحقيق، اذ لا يمكن اشعار الحقيقية بمجرد مراجعة السجلات والقيود الرسمية في تلك القضية، كما في المخالفات الاعتيادية الاخرى. وهذا ولما كان هذا التحقيق التمهيدي قد ايد وجود التلاعبات في اموال البلدية من الاخرين واتخاذ ما يلزم من التدابير لتعمق في التحقيقات والتوصل الى الحقيقة بصورة سليمة وادانة المسؤولين عن الاساءات الواقعة. لذلك من الضروري ايفاد احد مختص بالبلديات لمواصلة التحقيق باسرع ما يمكن من الوقت (زكي، 2016، صفحة 238).

3- قنصلاً عاماً في بومبي الهند عام 1934

بقيت الامور الخارجية للعراق بيد دار الاعتماد البريطانية في بغداد، وما لبثت ان أصبحت في نهاية مرحلة الانتداب تضطلع بتلك المسؤولية الى جانب السفارة البريطانية، الا ان دخول العراق عصبة الامم دفع الى ضرورة تنشيط وظيفة وزارة الخارجية بما ينسجم والحالة الجديدة التي اصبح العراق عليها، ومن بينها اقامة علاقات مباشرة مع الدول الأجنبية. وبالنظر لتمدد المصالح العراقية في الهند البريطانية، فضلا عن وجود رعايا عراقيين فيها، فقد كان رأي وزارة الخارجية العراقية في هذا الاتجاه واضحاً، اذ فاتح مجلس الوزراء رئاسة الديوان الملكي في التاسع من تشرين الاول 1934، بشأن تعيين احمد زكي الخياط قنصلاً للعراق في بومبي (د.ك.و، 1934، صفحة 448). وبالفعل صدرت الارادة الملكية في الحادي والعشرين من تشرين الأول 1934، بتعيين أحمد زكي الخياط قنصلاً عاما للعراق في بومبي، نظراً لنشاطه واخلاصه في عمله تم اختياره للقيام بتلك المهمة. وتم اعطائه جميع الحقوق والامتيازات اللازمة للمنصب المذكور، فضلاً عن اعطاءه السلطة التامة لحماية ومساعدة رعايا العراق المقيمين في بومبي، وطلب الملك غازي من ملك بريطانيا بالاعتراف بالصفة المذكورة وان يسدي له جميع المساعدات التي قد يحتاج اليها للقيام بالواجبات الملقاة على عاتقه بالحرية التامة (د.ك.و، 1935، صفحة 446).

فاتحت وزارة الخارجية العراقية السفارة البريطانية في بغداد في الثالث عشر من كانون 1935 بشأن ابداء السفارة ما في وسعها لتسهيل مهمة احمد زكي الخياط لدى حكومة الهند، وبالمقابل تعهدت الحكومة العراقية بالموافقة على عدم الاخلال بالقاعدة المتبعة الآن وهي استثناء الاشخاص الذين يحملون جوازات حج من استحصال سمة الدخول العراقية وذلك خلال موسم الحج القادم فقط. وسيتم اعادة النظر في تلك القضية في موسم الحج العام القادم على ان يكون ذلك قبل ابتداء موسم الحج بثلاثة أشهر على اقل تقدير (د.ك.و، 1935، صفحة 446).

غادر احمد زكي الخياط بغداد متوجها الى البصرة في يوم عاصف وشديد الغبرة وكان برفقته خليل كنه سكرتير القنصلية، وقد وصلوها صباح اليوم التالي وكان في استقبالهم جمع غفير من الاصدقاء من ضمنهم الدكتور إبراهيم عاكف الألوسي. وقد استقل الوفد احدث باخرة تعمل على الخط البحري بين البصرة وبومباي ، وهي الباخرة(إيس،إيس، فاسنا) وقد استغرقت الرحلة أسبوع تقريباً الى وصادف الوفد اثناء السفر عدة شخصيات منها طبيب من مسلمي الهند وكان يتقن لغة (الاوردو) وهي لغة تتكون من كلمات عربية وفارسية وتربط بينها مصطلحات هندية وقد اهدى الى احمد زكي الخياط كتاب لتعلم تلك اللغة (زكي، 2016، صفحة 239).

وصل الوفد مدينة كراجي بعد سفر طال خمسة أيام ونزل من الباخرة وبرفقته خليل كنه، واخذوا يتجولون في المدينة بواسطة عربة الكاري كانوا قد استأجروها، وقد زاروا حدائق المهاتما غاندي والحدائق الاخرى للنزهة والتفرج. وفي مساء اليوم نفسه عاد الوفد الى الباخرة وأقلعت صباحا باكراً من ميناء كراجي الذي يشبه ميناء البصرة بمناخه ونخيله، وعند الوصول الى مدينة بومباي نزلوا في فندق (تاج محل) الشهير. وكان أول زائر للقنصلية العراقية من القارة الهندية الدكتور(ميجر بي ماستر) وهو من محبي العراق والعراقيين وهو عضو غرفة تجارة بومبي، وقنصل فخري لمملكة رومانيا، وهو قد علم بمجيئهم عن طريق الصحف الهندية، وهو يعلم بأنهم لا يعرفون أحداً في تلك المدينة. لذلك قام باخذهم بجولة في المدينة وأثناء مرورهم وجد احمد زكي الخياط في شوارع بومبي خمسة وعشرين قنصلية، واثناء مروره من طريق الساحل شاهد عدة أعلام مرفوعات على عدد كبير من بنايات القنصليات. فعزم على أستأجر دار في ذلك الحي الساحلي ليرفرف عليه علم العراق أيضاً. وبالفعل، وجد احمد زكي الخياط داراً فخمة ذات حديقة واسعة تقع

بين شارعين رئيسيين ينتهي عندهما خط الترمواي، مما يجعل وصول المراجعين ميسوراً وبدون نفقات تذكر (زكي، 2016، الصفحات 242-243).

على اية حال، تم افتتاح القنصلية العراقية في بومبي في الاول من آذار 1935 الذي يصادف أول ايام عيد الأضحى، وشهد استجسان الرأي العام الهندي المسلم، واقيم احتفال كبير بتلك المناسبة حضره عدد من الشخصيات الهندية المسلمة ذات الموقع المؤثر في وسط الحركة الإسلامية الوطنية في الهند برئاسة ابو يوسف الأصفهاني، اذ ابدى ترحيبـــه وسروره بافتتاح القنصليـــة (العقلي، 2003، صفحة 17)، كذلك حضر عدد كبير من الجالية العراقية في المدينة، وجمع غفير من الشباب العرب، يتقدمهم يوسف الفوزان الذي كان هو ووالده خير عون لهم في ذلك البلد. وكان لتأسيس القنصلية وافتتاحها، وقع كبير لدى الجاليات العراقية والعربية ولاسيما مدارس الهند وكلياتها، ولدى التجار المحليين، وذلك لأنها اول قنصلية عربية تأسس في الهند. وبعد انجاز مراسيم الافتتاح اقام لهم عميد السلك القنصلي الدكتور كليمانز (P.P.Klemans) قنصل عام تشيكوسلوفاكيا، مأدبة تعارف على شرف قنصلية العراق في بومبي، حضرها عدة شخصيات من شعوب عدة وقناصل الدول الاجنبية كافة، باشر العميد بالتعريف بين القنصل العراقي والقناصل الزملاء وكان مسروراً كون احمد زكي الخياط يتقن عدة لغات، حينما كان يتحدث مع القنصلين الايراني والافغاني باللغة الإيرانية، ترك ذلك انطباعاً حسناً لدى جماعة السلك القنصلي على احمد زكي الخياط (زكي، 2016، الصفحات 242-243).

شعر احمد زكي الخياط بأهمية التعامل مع مسلمي الهند بوصفهم يمثلون رأيا هاماً في بلدهم. ويمكن ان يقوموا بدور دعاية للعراق وللعائلة الحاكمة، وهو ما حصل فعلا، فعقدت في تلك المدة اجتماعات شعبية عدة بحضور عدد من كبار رجال الدين المسلمين الهنود، حيث ألقيت الخطب الارتجالية التي تشيد بالعراق ملكاً وشعباً. ومما زاد في حماسه الجمهور هو المكانة المقدسة التي حظيت بها العائلة الهاشمية الحاكمة في العراق في نظر المسلمين في الهند، وذلك بحسب تقارير القنصلية العراقية في بومبي (د.ك.و، 1935).

وبينما كان احمد زكي الخياط يترقب الاوضاع السياسية في العراق، وتشكيل حكومة جديدة برئاسة ياسين الهاشمي، وما اعقبها من تطورات، وصلته رسالة من والده ابلغه فيها انه زار بيت ياسين الهاشمي بمناسبة عيد الاضحى، وابلغه الاخير بأن احمد زكي سيعود قريباً الى بغداد. في الثامن والعشرين من نيسان 1935 وصلته برقية من محمد زكي البصري وزير العدلية تؤكد اخبار والده، وبعد يومين وبالتحديد في الثلاثين من نيسان 1935 وردته برقية من وزارة الخارجية تطلب منه الحضور الى بغداد. فبدأ الاستعداد في الحال للسفر وتصفية اموره وتسليم القنصلية الى سكرتيرها خليل كنه، وركب الباخرة (فاسنا)، ووصل في الخامس عشر من شهر آيار عام 1935 البصرة عائداً من الهند، وكانت الاوضاع غير مستقرة في الديوانية، وأنتشار خطر حركات العشائر فأضطر الى استقلال سيارة خاصة الى بغداد عن طريق العمارة – الكوت، وما ان وصل بغداد حتى تهيأ فوراً لاستلام متصرفية الحلة في ظرف سياسي متوتر (زكي، 2016، الصفحات 246-247).

4- متصرفاً للواء الحلة عام 1935

صدرت الاراده الملكية بنقل أحمد زكي الخياط متصرفا للواء الحلة في العشرين من ايار 1935 (العراق(جريدة)، 1935) (الونداوي، 2012، صفحة 113) ، براتب قدره (60) ديناراً، وقد منح سلطة عشائرية غير محدودة ((جريدة), " الوقائع العراقية"، 1935/7/25).

باشر احمد زكي الخياط مهام عمله في الخامس والعشرين من حزيران 1935، وكانت حالة لواء الحلة مضطربة آنذاك، اذ كان بعض العشائر كالجبور وألبو سلطان وبني حسن ينون القيام بحركات لمساندة حركات عشائر الرميثة الذين قاموا بها في الخامس من ايار 1935. لذلك، كان أول أعماله الحرص على استتباب الامن في اللواء، فقام بتهدئة العشائر وابعادهم عن القيام باي حركات، واعتقل بعض من رجالها لتحقيق استتباب الامن، وبالفعل استطاع ان ينشر الامن في اللواء دون ان يكبد الحكومة خسارة في المال او الانفس (الحلي، 1965، الصفحات 184-185).

لم تصد تلك الامور احمد زكي عن القيام بالاصلاحات العمرانية والثقافية والبلدية في لواء الحلة، فقد أولى تلك النواحي عناية فائقة، وحرص على تقديم افضل الخدمات للواء الحلة، وكان يحتاج للقيام بتلك الاعمال اضافة مبالغ مالية؛ لذلك ارسل كتاباً الى وزارة الداخلية يطلب صرف مبلغ اضافي لايقل عن الخمسين ديناراً (د.ك.و،، 1925)؛ لان الخمسين ديناراً المضافة الى المادة

الأولى من الفصل 54 من ميزانية الإدارة العامة لا تكفي الصرفيات المختصرة على تلك المادة، وقد تم ارسال القائمة في الكتابين المرقم 6091 في الثامن والعشرين من ايار 1935 وهي اكثر من خمسين ديناراً. تمت الموافقة على طلبه، وعلى هذا الاساس، قام بأعمال عدة، اذ تم تشييد بناية سراي الحلة الذي ضم العديد من دوائر المتصرفية والضريبة والبريد والمحكمة بعد ان قررت الحكومة ان تجمع دوائرها في بناية مستقلة في اللواء، وتقرر تبليط الشارع الرئيسي المار بتلك البناية التي عدَّت مفخرة من مفاخر الفن المعماري الحديث. أفتحت بناية سراي الحلة التي ضمت دوائر المتصرفية والبريد والضريبة والخزينة والمحكمة رسمياً في الثامن من أيلول 1935 بمناسبة ذكرى زيارة الملك غازي (حمورابي(جريدة)، 1935).

استمر احمد زكي بالاعمال العمرانية في اللواء، اذ قام بفتح شارع صفي الدين الحلي في اليوم نفسه الذي يبدأ من الساحة امام المدرسة الشرقية وينتهي بالفلكة في نهاية شارع الديوانية (الحلي، 1965، صفحة 185)، والى جانب ذلك، اعدَّ قطعاً كبيرة من اراضي جديدة لتشييد دور السكن على ضفاف النهر، هذا الى جانب تعريض وتنسيق اصل الشارع الوحيد الذي يخترق الحلة وتنظيمه، وإعطاء المخازن المشيدة عليه حديثاً بالايجار لأصحاب المكتبات ومحلات بيع القرطاسية فقط، بعد ان كانت جبهة الشارع خرائب مخجلة (زكي، 2016، صفحة 248). وكذلك قام بفتح شارع النهر الذي يبدأ من المسلخ القديم وينتهي بطريق النبي ايوب. ومن ضمن الاعمال الخدمية التي كلف بها احمد زكي انشاء جسر جديد على الفرات في قطاع العباسيات، ومع ان هذا القطاع يعود للواء الديوانية، ولأنه يجاور ناحية الكفل العائدة للواء الحلة، فقد ارتأت وزارة النقل والمواصلات ان تعهد له بالإشراف على تشييد الجسر للاسراع في انجازه، ذلك لانها تورطت باعطاء موعداً للملك غازي بافتتاح هذا الجسر. وبالفعل تم انجاز هذا الجسر بالوقت المناسب بجهود احمد زكي، وافتتحه الملك غازي في الأول من تشرين الأول عام 1936 بحضور وفد وحشد كبير من الشعب من بينهم رشيد عالي الكيلاني وزير الداخلية (زكي، 2016، صفحة 252). وقام ايضا بانشاء الحدائق العامة داخل الحلة، وكان يخرج بنفسه يشرف عليها ويبدي الملاحظات ويوصي موظفي البلدية بما يراه مناسباً (الحلي، 1965، صفحة 185).

وشرع احمد زكي بتشييد مشروع اسالة الماء اذ كان مركز اللواء محروماً من هذا المشروع الحيوي، فكان الناس يستقون من النهر (الشط) مباشرة، ماء عكراً مليئاً بالجراثيم والأوساخ، وبعد بذل جهود كبيرة تم تأسيس هذا المشروع في جانب الكبير من الحلة، وأصبح ملكاً للبلدية (زكي، 2016، صفحة 245). ومنع احمد زكي الاستسقاء من النهر في العاشر من تموز 1935، الاَّ أنَّ ارتفاع سعر القربة الى (8) فلوس ادى الى رفع المنع (حمورابي (جريدة)، 1935) ومن الجدير بالذكر، ان احمد زكي كان يخشى على الناس من الامراض بسبب تلوث مياة النهر، إذ كانت عادة النساء الذهاب الى النهر لغسل حضائن الاطفال الملوثة بأنواع القاذورات، كذلك قيامهن بغسل الاواني المستخدمة في الطبخ وهي نحاسية صدئة وبالتالي تلوث مياة النهر. كذلك اصدر امراً بجمع القصابين المنتشرين في المحلات في سوق خاص بهم، لمراقبتهم صحياً ولحسر القاذورات في مكان واحد وعدم انتشار الذباب (تاج الدين، 2012، صفحة 246).

من جانب آخر، وجه احمد زكي اهتمام كبير بنشر الثقافة في لواء الحلة، فرأى احسن وسيلة لنشرها بين مختلف الطبقات هي المكتبات العامة، لذلك سعى لانشاء بناية المكتبة العامة في الاول من شباط 1936، وتشييد بناية خاصة بها مقابل شط الحلة على نفقة وزارة المعارف، وطلب تزويدها بأنواع الكتب العلمية والأدبية ومختلف الصحف والمجلات، كما اهدى اليها كتباً من مكتبته الخاصة، وعينَّ باقر سماكة مأموراً عليها (تاج الدين، 2012، صفحة 259). وساهم في انشاء مطبعة أهلية في الحلة لسد حاجة االمدارس وكذلك التجار من المطبوعات، ومنح الصحفي المعروف عبد الحميد حسن إمتياز اصدار جريدة بأسم "حمورابي"، وتم تأسيس مجلة نصف شهرية باسم مجلة "الخمائل"، كذلك منح اصدار مجلة "الحكمة" للشاعر رؤوف الجبوري (زكي، 2016، صفحة 253).

وحول الموضوع نفسه، شيدَّ احمد زكي ثلاث بنايات للمدارس، الاولى مدرسة الفيحاء الابتدائية للبنين الواقعة في محلة قريطعة في الجانب الصغير من لواء الحلة، فكان يحضر بنفسه للاشراف على بنائها ويبقى هناك الساعات الطوال يراقب سير البناء (الحلي، 1965، صفحة 185). والثانية في مقاطعة (القص) على ارض بستان صغير تبرعت بها عائلة معلم، والثالثة في ناحية المدحتية بقضاء الهاشمية تبرع بارضها وبجزء من تكلفة بنائها عبد المحسن الجريان. كذلك وضع مشروعا لمحو الامية في جميع أنحاء وأقضية اللواء، وكان احمد زكي في بعض الاحيان يقوم بتدريسهم تشجيعا للمعلمين والطلاب الذين كانوا خليطاً من مختلف الأعمار،

وقد أدى ذلك الى نتائج جيدة (زكي، 2016، صفحة 253). اذ بلغ عدد مراكز مكافحة الامية في الحلة خلال العام الدراسي 1936-1937 نحو (12) مركزاً وقدر عدد المتعلمين نحو (725) متعلماً (الجبوري هـ.، 2009، صفحة 36).

وحول الموضوع نفسه، بذل أحمد زكي الخياط جهوداً في تأسيس فرع لجمعية الهلال الاحمر العراقية في الحلة عام 1935، دعا اللواء أحمد زكي بك الخياط رهطاً كبيرا من وجوه واشراف الحلة وتجارها واعيانها ورؤساء الدوائر فيها الى اجتماع، عقد في بناية نادي الموظفين في الساعة الخامسة والنصف من يوم الاحد لتأسيس فرع لجمعية الهلال الاحمر في الحلة، بوشر بإجراء انتخاب اعضاء فرع الجمعية في الحلة ففاز فيها كل من أحمد زكي بك الخياط رئيسا للفرع، وكامل حسين المفتي نائبا للرئيس، ومحسن بك خورشيد رئيس البلدية سكرتيرا، وجعفر القزويني عضواً، وسليم بك آمر المستودع عضواً، وعبد الحليم الماشطة عضوا (حمورابي (جريدة)، 1935/8/31) (جابر، 2007، صفحة 485).

ومن الاهداف التي جاءت في النظام الاساسي للجمعية، إسعاف جرحى الحرب وتقديم الخدمات الطبية لأبناء المجتمع الحلي، الذين يصابون بحوادث فجائية وإكساء الأطفال الفقراء وفتح دورات لتعليم مبادئ الإسعافات الأولية ودعم المؤسسات الخيرية (حمورابي (جريدة)، 1935/5/31). ومن الانشطة التي قامت بها الجمعية في الحلة، توزيع الاعانات المالية للعائلات الفقيرة التي ليس لها معيل، ومساعدة الطلبة الفقراء على تحصيل التعليم بمختلف أنواعه من خلال توفير اللوازم المدرسية والملابس لهؤلاء الفقراء، ومعالجة المرضى الفقراء وتجهيزهم بالدواء مجاناً.

من جانب آخر، لاحظ احمد زكي الخياط أن طلاب المدارس يجوبون الشوارع العامة على غير هدى، واضحى في حيرة من امرهم، فلا هم يبقون في بيوت أهلهم، ولا يستطيعون الجلوس في المقاهي العامة لأن التقاليد لاتجيز لهم ذلك. وقد شاهد مجموعة من الشباب يتجمهرون على احد ابواب المباني المشيدة على الساحل بصور تلفت الأنظار، وتبين عند التدقيق ان ذلك المحل قد اتخذه مبعوث التبشير الأمريكي، مع شخص اخر من ماردين، يعرضون فيه على الشاشة بواسطة الفانوس السحري كتابات وأحاديث مقتطفة من الأنجيل، فأنتبه احمد زكي لتلك الظاهرة، ووجد أن هناك ضرورة ماسة لتأسيس منتدى ثقافي لطلاب المدارس وتلاميذها، وتزويدهم بكتب نافعة للمطالعة، وصالات خاصة للمارسة الالعاب لقضاء اوقات فراغهم، فتم تشييد بناية لطيفة مطلة على ساحل الفرات بالقرب من سراي، فصارت مأوى لمئات الطلاب وحفظهم من كثير من المخاطر والشرور (زكي، 2016، الصفحات 251-252).

من جانب آخر، أكد الملك غازي على تعميم لبس السدارة التي أصبحت شعاراً للعراقيين آنذاك، وحول هذا الموضوع، لاحظ احمد زكي ان الموظفين يلبسون السدارة داخل دوائرهم فقط في حين يرتدون الطربوش في خارجها، لذلك اتبع أحمد زكي الخياط أساليب تشجيعية لارتداء السدارة في الحلة، اذ تبرع ببعض السدائر الى أشراف الحلة ووجهائها وقد نجح في ترغيب الناس بلبسها، اذ إنَّ اصحاب الصنائع والحرف أقبلوا على ارتدائها بكثرة، وبذلك سبقت الحلة باقي ألألوية في ارتداء السدارة (حمورابي (جريدة)، 1936)،. ومن الجدير بالذكر، موقف اليهود في الحلة من السدارة، فقد حرص اليهود العراقيون على لبس السدارة في السنوات الأولى من أنتشار لبس السدارة، وقد احتفظوا بالطربوش مدة من الزمن الى ان عدلوا عن ذلك تدريجياً، ولاسيما بعد حوادث فلسطين عام 1929 فأتخذوا السدارة وهجروا الطربوش (تاج الدين، 2012، صفحة 253).

ومن الجدير بالذكر، قد حدثت مظاهرات في الحلة تؤيد الانقلاب، وقد تعجب احمد زكي اذ قبل اسابيع قد استقبلوا ياسين الهاشمي، وبعد وصول المظاهرات الى سراي الحكومة خرج اليهم احمد زكي من شرفة السراي مستفهما عما يريده المتظاهرون، مع ان ادارة اللواء ساهرة على القيام بعدة مشاريع في سبيل راحتهم واستقرارهم، فما كان منهم الا أن انصرفوا إلى اعمالهم، واتصل الملك غازي في تلك الليلة 29-30 تشرين الاول 1936 يساله عن حالة اللواء، فطمأنه احمد زكي عن الاوضاع هناك. وفي التاسع عشر من تشرين الثاني وجد احمد زكي الاصلح في ترك العمل لدى الحكومة، فارسل استقالته الى حكمت سليمان رئيس الوزراء، وتم ابلاغة في الخامس والعشرين من تشرين الثاني بان استقالته رفضت، وان حكمت سليمان يريد لقائه، وفي السابع والعشرين من تشرين الثاني 1936 غادر احمد زكي الحلة ان اتخاذ التدابير اللازمة لضبط الامن فيها، وفي صباح السبت الثامن والعشرين من تشرين الثاني 1936 التقى احمد زكي بحكمت سليمان في ديوان وزارة الداخلية، ودار حديث بيهم بشأن استقالته وان الظروف بحاجة الى موظفين مجدين لتمشية امور الناس، وطلب منه الا يخذله في مثل هذه الظروف ورجاه ان يعود في اليوم نفسه الى عمله في الحلة،

وفي اليوم التالي غادر احمد زكي بغداد عائداً الى عمله في الحلة، وبعد عدة اسابيع من عودته إلى الحلة، ابلغته وزارة الداخلية بنقله الى لواء الكوت (زكي، 2016، صفحة 268).

5- مدير عام للبريد والبرق 1937-1941

عُينَّ أحمد زكي الخياط في الرابع عشر من تموز عام 1937 مديراً عاماً للبرق والبريد العامة بقرار صادر من مجلس الوزراء. وباشر مهام عمله في صباح يوم الخميس الخامس عشر من تموز 1937 (الزمان(جريدة)، 1937)[1]. وخلال توليه هذا المنصب، جرت تغييرات سياسية مهمة، اذ استقالت وزارة حكمت سليمان في السابع عشر من اب 1937، وذلك بعد مقتل بكر صدقي ومحمد علي جواد . كان من أوائل اهتماماته هو التوسع في أنشاء شبكة إتصال تلفوني في خارج العراق مع اكبر عدد من دول العالم، وكذلك ربط مدن العراق بشبكات تلفون مع بعضها، لذلك قرر القيام بسفرات الى ألوية العراق من الشمال الى الجنوب للوقوف على حالة الدائرة في تلك الألوية، وزيارة أغلب دوائر البريد والبرق ومحطات الأتصال اللاسلكي، ولابد من الاشارة هنا الى أهمية الاتصال السلكي واللاسلكي حيث له أهمية عظيمة في تقريب المسافات البعيدة والتي تسهل التعاملات التجارية بين الناس فضلاً عن، أنها من أهم الوسائل في نشر المعرفة والثقافة بين المجتمعات. وبعد جهود كبيرة ومضنية تمكن أحمد زكي الخياط من اكمال تأسيس الخط التلفوني الرابط بين مدينتي بغداد ولندن، وأفتتحت بصورة علنية ورسمية لاول مرة في تاريخ العراق، في الساعة الثانية عشر والنصف ظهراً من يوم الاربعاء الموافق الاول من أيلول 1937، وقد اتصل احمد زكي اول اتصال من خلال هذا الاتصال باللغة الانكليزية مع وزير البرق في لندن (زكي، 2016، الصفحات 275-277).

سعى احمد زكي الى انشاء مشروع التلفون الأوتماتيكي في بغداد، لذلك تعاقد عام 1940 مع شركة بريطانية واستقدم لهذا الغرض اربع مهندسين من بريطانيا للمباشرة بتنفيذ المشروع، وبعد وصولهم الى بغداد شرعوا بحفر الشوارع والطرق لمد القابلوات (الكيبلات) وقد إشترط أحمد زكي تدريب عدد من العمال العراقيين أثناء نصب البدالة، وتم استيراد مختلف الالات والأدوات اللازمة لذلك، وتم انشاء بدالة في محلة السنك، وقد أشاد المهندس البريطاني بذكاء الاعمال العراقيين، على الرغم من عدم معرفتهم باللغة الأنكليزية الاَّ انهم سريعا مايتعلمون الاعمال الدقيقة التي يتدربون عليها بسرعة (الزمان(جريدة)، 1940) (فرحان، 2003، صفحة 150). والى جانب ذلك، تم نصب بدلات فرعية في جانبي بغداد مع اجراء توسيع عدد من البدالات خارج بغداد. وخلال مدة ادارته تم نصب اكثر من خمسة الآف تلفون في بغداد والمدن الاخرى (زكي، 2016، الصفحات 279-280).

من جانب آخر، اسس احمد زكي دوائر جديدة منها: دائره التلفونات المركزية وقد كانت مستقلة في عملها وفتحتت لأول مرة وكان عملها مقتصراً على مدينة بغداد. ودائرة البريد والبرق في شارع الكفاح. ودائرة البريد والبرق قرب الجندي المجهول في شارع السعدون ببغداد. ودائرة البريد والبرق في المطار المدني في بغداد. ودائرة البرق والبريد في سلمان باك. ودائرة البرق والبريد في مدينة تلكيف .دائرة البرق والريد في الرستمية. كذلك تم تشييد بنايات جديدة لامور ضرورية منها العناية بتجميل بنايات البرق والبريد، وذلك لان تلك البنايات معرضة لمراجعتها من قبل السكان والمقيمين الاجانب على حد سواء طيلة أيام السنة، فقد تم تشييد بدالة التلفون الاوتماتيكية وهي جزء من مخططات كاملة في بغداد بالاشتراك مع دائرة الاشغال العامة وقد خطط أن تكون عل طراز دائرة البريد والبرق العامة في القدس، وأنشاء بناية بدالة الاعظمية ببغداد وهي بدالة الشمال وبجانبها دائرة للبرق والبريد، وبناية بدالة البريد والبرق في الكاظمية، وبناية البرق والبريد في جبل بيرمام (صلاح الدين) مع إضافة دار للموظف (زكي، 2016، صفحة 280).

عقدت أول جلسات المؤتمر في التاسع والعشرين من كانون الثاني 1938 ثم تلتها جلسات عدة. وتم حضور معظم ممثلي دول العالم ماعدا دولة افغانستان، وقد مثلت فيها عدة وزارات منها وزارة البحرية ووزارة الطيران والسكك والحديد والشرطة والجيش وغيرها، من وزارات الدعاية ثم شرع المجلس بتثبيت حق التصويت للوفود، فتقرر قبول العراق ووبلغاريا وإيستوانيا، وكان للعراق دور كبير في اقناع المؤتمر بقبول سوريا ولبنان ومنحهما حق التصويت. وفي الختام تم توقيع الوفود على مقررات المؤتمر المتعلقة بشؤون البرق والتليفون وتم الاتفاق مع محطة الاذاعة في القاهرة على التعاون المشترك مع العراق (زكي، 2016، الصفحات 285-286).

سعى احمد زكي الخياط في تنظيم المواصلات البريدية في منطقة الاولوية والاقضية والنواحي والقرى وتوسيعها على نحو يحقق انجاز مصالح الحكومة والاهلين معاً، فضلاً عن ذلك، قام بتشييد العديد من أبنية دوائر البريد، وقد بلغ عدد الدوائر التي تم تشيدها

26 دائرة وعلى الطراز الحديث، واجمالا بلغ عدد دوائر البريد والبرق في نهاية اذار 1939 (158) دائرة (جمهورية العراق العامة ، مديرية البريد والبرق، 1940) .

وحين اندلعت الحرب العالمية الثانية في ايلول 1939، واخذت ابعادها تزداد اتساعاً وخطورة، كان لا بد وان تحدث تأثيرات مباشرة على الصعد كافة ولاسيما تلك الانشطة التي اكثر تماساً بالمتغيرات السياسية والعسكرية والاقتصادية ومن بينها الانشطة البريدية التي ترتبط في جانب مهم منها بطرق والمواصلات العالمية التي غدت خاضعة للحركات العسكرية (حمزة، 1990، صفحة 132).

وفي هذا الاطار، فأن حركة البريد في العراق واجهت خلال سنوات الحرب، مدة عصيبة في مجال تقديم خدماتها. اذ ان معظم شركات الطيران الاوربية التي تمر طائراتها عبر العراق وتزوره قد توقفت رحلاتها حتى عام 1945. ولذلك اصدر احمد زكي الخياط في الثالث من ايلول 1939، قراراً ذكر فيه ايقاف المراسلات الى الدول المنظمة الى مشروع البريد الجوي الامبراطوري بالبريد الجوي ويتم ارسالها بالبريد الاعتيادي. (د.ك.و،، 1940/3/25، صفحة 16).

استطاع احمد زكي الخياط من عقد اتفاقيات بريدية عديدة لتسهيل نقل البريد بين العراق ودول اوروبا عبر خطوط مواصلات اقل خطورة، فقد تم التوصل في ايلول 1940الى اتفاق لنقل البريد بين العراق والولايات المتحدة الامريكية، اذ يرسل البريد من بغداد الى هوكونك مباشرة بواسطة شركة جوية بريطانية ومن هناك الى سان فرنسيسكو عن طريق مصلحة جوية تأسست بعد الحرب بين الولايات المتحدة وسنغافورة، وقامت تركيا ايضا بعد ان اجرت مفاوضات مع الجهات العراقية المعنية بارسال بريدها الى تلك الاماكن عبر العراق، كذلك عقد اتفاق بين دائرتي بريد بغداد ولندن في ايلول 1940، نص على نقل البريد بواسطة البواخر عن طريق الهند وان كان يستغرق اكثر من ثمانية اسابيع. واخذت سورية كذلك ارسال بريدها الى الخارج عبر العراق ابتداء من تشرين الاول 1940، بعد ازدياد المخاطر في خطوط المواصلات البريدية في البحر المتوسط (حمزة، 1990، الصفحات 136-137). وبسبب مؤازرة احمد زكي الخياط قوات يونس السبعاوي بتنظيم مواصلاتها التلفونية اثناء مدة الاصطدام في قطاع أبي غريب قرر جميل المدفعي في حزيران 1941 نقله لرئاسة اللجنة الأولى لتسوية حقوق الاراضي في كركوك بعد عمل متواصل دام اربع اعوام (زكي، 2016، صفحة 306). الا انه فضل العمل في مهنة المحاماة لمدة ما يقارب ثلاث أعوام ثم عاد بعدها للعمل الاداري بمنصب مديراً للدعاية العامة في اب 1944 (زكي، 2016، صفحة 310).

6- مديراً للدعاية العامة.

طلب رئيس الوزراء حمدي الباجه جي من احمد زكي الخياط الحضور الى ديوان مجلس الوزراء، فأستجاب لذلك، وكان في مخيلته ان لدى حمدي الباجه جي بعض قضايا في المحاكم يريد ان يعهد اليه بها، وبعد لقائه علم منه بان لدى الحكومة الرغبة في تكليفه بمنصب مدير الدعاية العامة، تردد احمد زكي بقبول تلك الوظيفة، بسبب ظروف الحرب العالمية الاولى، ووجود تيارات سياسية عدة تتنافس فيما بينها على السلطة، بالمقابل انه لا يستطيع ان يبقى مكتوف اليدين اثناء العمل حائرا بين تلك التيارات ومقتضيات الصالح العام؛ لكن حمدي الباجة جي استطاع اقناعه ووعده ان يترك له الحرية في العمل في خدمة البلد اثناء ظروف الحرب، وبان وزير الداخلية مصطفى العمري سيكون مسرورا بالعمل معه في تلك الدائرة، وهكذا عاد احمد زكي الخياط للعمل في الحكومة (زكي، 2016، صفحة 311). وصدرت الارادة الملكية بتعيينه مديراً للدعاية العامة في الخامس من اب 1944 (الدولة، صفحة 11) (الرأي العام (جريدة)، 7 اب 1944).

حصل ترحيب بمناسبة تعين احمد زكي في تلك الوظيفة وكتبت احدى الصحف العراقية بان الجهة التي اختارت احمد زكي الخياط لمنصب مديرية الدعاية العامة، قد احسنت الاختيار وجاء هذا التعيين في محله وتأمل الصحافة العراقية في عهده ان تجد مجالا اوسع من حرية النشر ومعالجة الشؤون الداخلية بما فيه خير للبلاد (زكي، 2016، صفحة 311).

اما بالجانب الداخلي، فقد حاول احمد زكي إخراج الاذاعة من عزلتها ومساهمتها في جميع المناسبات الوطنية والقومية والدينية، وذلك بتقديمها تسهيلات كبيرة من اجهزتها ومذيعها للمساهمة في كل ذلك، ونقل مما يلقى في تلك الاحتفالات واذاعته. اذ ساهمت مديرية الدعاية العامة في الاحتفال لأول مرة بيوم المرأة في السادس من ايار 1945، واعداد منهج خاص به اسهمت فيه المربيات والمثقفات العراقيات، وكذلك في يوم الجيش في السادس من كانون الثاني، بإصدار اعداد خاصة لعدة صحف يومية كتب فيها كثير

من الكتاب المعروفين مع إعداد منهج خاص بتلك المناسبة في دار الإذاعة لأول مرة. والاهتمام الشعب العراقي بالاغاني الشعبية في ذلك الوقت، حاول احمد زكي جاهداً احياء تلك الاغاني، فكانت تذاع من دار الاذاعة في بغداد في كثير من المناسبات والأوقات. وانطلاقاً من فكرة احياء الاغاني الشعبية، لذلك عين المغني البغدادي رشيد القندرجي خبيراً بشؤون المقام البغدادي في الإذاعة براتب شهري، فضلاً عن تأسيس صف تدريبي خاص بتعليم ضبط اصول المقام البغدادي، وعهد لرشيد البغدادي بادارته، والتحق بهذا الصف خمسة عشر تلميذاً من هواة المقام البغدادي، وبقي الصف قائماً حتى وفاة رشيد القندرجي في الثاني والعشرين من كانون الثاني 1945 (زكي، 2016، صفحة 317).

من جانب اخر، اهتمت مديرية الدعاية العامة بالإذاعات الدينية من خلال تضمين برامجها الاذاعية بفقرات وبرامج دينية ممتازة. اذ شعرت مديرية الدعاية العامة بخلو مناهجها من الاذاعات الدينية الممتازة فوجهت كتباً الى عدد من رجال الدين رجت اليهم سد هذا الفراغ وذلك في القاء اذاعات دينية مفيدة، وقد لقيت تلك المحاولة تقديرا كبيرا من الاوساط وينتظر ان تكون لها النتائج المطلوبة (المصدر نفسه، صفحة 98). ومن الاعمال الادارية والثقافية التي حرص عليها احمد زكي الخياط أثناء تسنمه الدعاية العامة في العراق الاهتمام بالمهرجانات الثقافية والتذكير بماضي العراق المشرق ومنها ما نشرته صحيفة الساعة بعنوان "احتفالية الاذاعة بذكرى وفاة امير المؤمنين علية السلام" اذ اعلنت مديرية الدعاية العامة بمناسبة استشهاد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) القاء بعض الخطب المتقدمة اليها بهذه المناسبة التي ستلقى من دار الاذاعة اللاسلكية العراقية (الساعى (جريدة)، 8 ايلول 1944).

ومن ضمن الاعمال الثقافية التي قام بها احمد زكي الخياط هي احياء المناسبات الخاصة ومنها الاحتفاء برفات المصلح جمال الدين الافغاني، اذ اتصل الوزير المفوض لمملكة افغانستان في بغداد به وابلغه بان حكومته قررت نقل رفات جمال الدين الافغاني من استانبول وايداعه الى مثواه الاخير في موطنه الافغان، ويكون نقل الرفات عبر العراق بقطار الشرق السريع، وطلب منه ان يتداول ما يقتضي من تكريم للرفات في بغداد، فرحب احمد زكي الخياط بذلك لما له من ذكريات طيبة في بغداد، فاجرى المعاملات الرسمية وتقرر الاحتفاء به رسمياً وشعبياً، والف لجنة برئاسته للاحتفاء به اثناء مروره عبر العراق، واعد منهاجا لذلك، وطلب من ادارة ولواء الموصل ان تقوم بما يقتضي من تكريم اثناء مروره بالموصل وكذلك في البصرة، وقد احتشدت اهالي بغداد في يوم الثالث عشر من كانون الاول 1944 في محطة القطار لاستقبال نعش للاستقبال، وسار موكب التشيع بالرغم من تساقط الامطار بغزارة الى جامع الحضرة القادرية، حيث بات هناك ليلة محفوفاً بالحرس، وقراء القرآن الكريم، وفي صباح اليوم التالي جرى احتفال مهيب تحت القبة القادرية، والقيت الخطب والكلمات من الادباء والمثقفين وممثلي الوزارات العراقية، فكانت قصيدة (الروح العلى) للشاعر محمد مهدي الجواهري من روائع ذلك الاحتفال، والكاتب المصري ابراهيم عبد القادر المازني، الذي كان ضيفاً على العراق في تلك الايام (زكي، 2016، الصفحات 320-321)، الى جانب كلمة للأستاذ طه الراوي (الساعة(جريدة)، 15 كانون الاول 1944).

ومن انجازات احمد زكي الخياط في مديرية الدعاية العامة، أصدار مجلة "منبر الأثير" عام 1944. كان طابعها ليس للدعاية بل لخدمة الثقافة العامة مع إرضاء اصحاب الأذواق الرفيعة في الأدب والفن، فكان لها شأن كبير بين جميع طبقات الشعب. كذلك إصدار مجلة "عالم الغد" التي كان يصدرها نخبة من الشباب المثقف، فكانت في مستواها ومحتواها ارقى المجلات العربية. كذلك رعت مديرية الدعاية العامة إصدار مجلة "المضمار" الرياضية بالاتفاق مع الرياضي الشهير صبري الخطاط، وقد ادت هذه المجلة دوراً فعالاً في عالم الرياضة والرياضيين في بغداد، صدر العدد الاول منها في شباط 1946 (زكي، 2016، صفحة 326).

خامساً- دوره في مجلس النواب العراقي:

بعد صدور قرار حل المجلس النيابي عام 1947 وإجراء انتخابات جديدة، صارت لدى احمد زكي الخياط الرغبة في ترشيح نفسه في إحدى المناطق الانتخابية، ورشح نفسه من دائرة قضاء الهندية، كمرشح مستقل عن الاحزاب كافة، وقد ازره اصدقاءه الذين خدموا معه في تلك الدائرة الانتخابية لاعوام عدة، وكانوا يثقون به (زكي، 2016، الصفحات 347-348) ، وقد فاز احمد زكي الخياط عضواً في مجلس النواب العراقي في الدورة الانتخابية الحادية عشرة عن لواء الحلة، وبدأت الدورة في السابع عشر من اذار 1947 وانحلت بإرادة ملكية في الثاني والعشرين من شباط 1948، وفي الجلسة الاولى للمجلس ترأس الجلسة النائب الاكبر سناً احمد حالت نائب الكوت، وبعد خطاب الملك أدّى احمد زكي الخياط وجميع النواب يمين الاخلاص وهو "اقسم بالله وشرفي أني اخلص للملك فيصل الاول واحافظ على القانون الاساسي واخدم الامة والوطن احسن القيام بواجباتي النيابية"، ثم شرع بانتخاب رئيس المجلس وفاز

عبد العزيز القصاب (132) صوتاً من مجموع (135) صوتاً (محاضر مجلس النواب العراقي، 1947، الصفحات 1-2)، وفي الجلسة المنعقدة في الثامن عشر من اذار 1947 أنتخب عضواً في اللجنة الاقتصادية في مجلس النواب العراقي واستمر فيها حتى نهاية الدورة الانتخابية (محاضر مجلس النواب العراقي، 1947، صفحة 5).

1-مواقفه وارؤه من أبرز القضايا السياسية والفكرية.

ظل موضوع المعاهدة العراقية البريطانية هاجساً قوياً بالنسبة لمجلس النواب، فعندما كان يثار هذا الموضوع، يتصدى له النواب بقوة ومنهم احمد زكي الخياط، فعندما عرض صالح جبر منهاج وزارته (التاسع والعشرين من أذار 1947 – السابع والعشرين من كانون الثاني 1948) (الحسني ع.، 1980، صفحة 164) على مجلس النواب، علق احمد زكي الخياط على الشؤون الخارجية. إذ طالب بتعديل المعاهدة ومؤازرة الوزارة ومساندتها، لينال الشعب ما يصبو اليه وهو "استكمال سيادة الشعب" (محاضر مجلس النواب العراقي، 17 نيسان 1947، صفحة 147).

ولما كانت قضية فلسطين، الشغل الشاغل، للعديد من ساسة العراق، من ضمنهم أحمد زكي الخياط، فهي بالنسبة لهم قضية العرب الأولى، لذا استحقت كل الاهتمام، سواء كان هذا الاهتمام، مادياً أم معنوياً. اذ دعا احمد زكي في الجلسة نفسها الى حمل السلاح من أجل تحرير فلسطين، إذ ذكر بهذا الشأن ما نصه: " أنا ارجو من الحكومة أن تسير بنا قدما في قضية فلسطين حتى ولو أدى بنا ذلك الى حمل السلاح. اقول هذا لان الموضوع قد قارب النهاية ولم يبق علينا الا الاستعداد وكذلك ارجو من الحكومة ان لا تلتفت او تهتم كثيرا بتلك التهويلات التي سمعتها من بعض أعضاء مجلس الامة اثناء الجلسة المشتركة حيث اشادوا بقوة الصهيونية لجيشها. نعم اني اقدر قيمة المادة في الحرب ولكنني الفت نظر هؤلاء الى ان قيمة الأيمان فوق قوة المادة التي بهرتهم فالشعوب تصمد بأيمانها امام أعظم القوى المادية" (محاضر مجلس النواب العراقي، 17 نيسان 1947، صفحة 146).

من جانب آخر، علق احمد زكي الخياط على الفقرة الاولى من الشؤون الداخلية التي نصت على العمل على ضمان الوحدة العراقية وتعزيز مقوماته المادية والروحية تعزيزاً اكيدا من شأنه ان يجعل الفرد العراقي يصرف النظر عن عنصره او دينه يشعر شعوراً تاما بانه متساو مع غيره من افراد الشعب العراقي والواجبات ومكافحة النزاعات التي تحول دون تحقيق تلك الغاية، بانها فقرة "العدل الاجتماعي" التي طالب بها الشعب وارادها مجلس الامة، وانها في الحقيقة فقرة يسر لها المخلصون من ابناء البلد (محاضر مجلس النواب العراقي، 17 نيسان 1947، صفحة 146).اما ما يخص الفقرة الثانية (مكافحة المبادئ الهدامة والدعاية الضارة للحيلولة دون تسرب شرورها ومفاسدها بين طبقات الشعب تنفيذاً لأحكام القوانين)، اذ أنتقد احمد زكي الخياط، اهمال الحكومات المتتالية لشؤون الشعب العراقي، وان تشريع هذا القانون لمكافحة تلك الامور لا يكفي، وانما هو جزء من العمل، ويجب ان يؤيد التشريع عمل مادي يقنع الفرد العراقي بان هناك حكومة تهتم وتعطف عليه حتى يستطيع ان يكافح "المبادئ الهدامة" بنفسه ومع نفسه (محاضر مجلس النواب العراقي، 17 نيسان 1947، صفحة 146).

وفي المجال نفسه، بذل أحمد زكي الخياط كل ما بوسعه لإصلاح مؤسسات الدولة، والنهوض بمستوى موظفيها، فعند مناقشة مجلس النواب منهاج الوزارة بالنسبة للفقرة الثالثة التي نصت على (إصلاح الجهاز الحكومي إصلاحاً يكفل ضمان الأمن والعدل في المجتمع من جهة وضمان الاستقرار والطمأنينة في نفوس الموظفين من جهة أخرى، ليكون أداة صالحة للخدمة)، انتقد احمد زكي الجهاز الاداري، وفقدان الشعور بالواجب لدى كثير من الموظفين وخاصة رؤساء الدوائر، فرئيس الدائرة يأتي متأخراً ويبدأ شرب القهوة ومطالعة الجرائد، ومن ثم يأتيه "المعاميل اليومية" ويتحدث معهم حتى الساعة الثانية عشرة في حين ان القضايا مكدسة واصحاب المصالح ينتظرون على الباب حسم قضاياهم، ننقل نصاً ما قاله احمد زكي الخياط في مجلس النواب بهذا الخصوص: "الدوائر عبارة عن مقاهي رسمية تقم فيها المرطبات والموظف مأمور تشريفات وهناك من الدوائر ما تحاك فيها الدسائس واذا اراد فخامة رئيس الوزراء فأنا مستعد لبيان ذلك بالأسماء وهذه امور مؤسفة جدا" (محاضر مجلس النواب العراقي، 17 نيسان 1947، صفحة 146).

2-مواقفه وارؤه من أبرز القضايا الاجتماعية والاقتصادية:

اهتم أحمد زكي الخياط بالقضايا الخدمية خصوصاً، وحرصا منه على التخفيف من كاهل الاهالي بسبب صعوبة العيش وقلة الخدمات، فعند مناقشة منهاج الوزارة، ومن ضمنها موضوع الاوضاع الصحية، اكد احمد زكي الخياط في الجلسة المنعقدة في السابع عشر من نيسان 1947، ان لدية احصائية حول عد الاطباء في العراق وتردي واقع المستشفيات، ننقل نصاً ما قاله بهذا الخصوص:

" ان دائرة الاشغال مع الاسف بنتيجة امتحان 25 سنة اخذت صفرا يبلغ 25 ضعفاً عن الصفر الاعتيادي وفشلت في كل شئ اتذكر قضية مستشفى البصرة فإن المغفور له جلالة الملك فيصل كان قد اعترض على تصدع جدرانه كما اكد على ان لدية احصائية بعدد الاطباء الذين يحتاجهم العراق وكم طبيب عندنا الآن وبعد كم جيل سوف نتمكن من تهيئة العدد المطلوب لنا من الاطباء " (محاضر مجلس النواب العراقي، 17 نيسان 1947، صفحة 149).

من جانب آخر، اقترح احمد زكي لمكافحة البطالة في العراق بتوزيع الاراضي الاميرية الموجودة، لتكون من اهم الامور لمكافحة البطالة فيما اذا وزعت حسب الملكية الصغيرة. قائلاً بهذا الخصوص:" توجد عندنا الآن سبعة ملايين مشارة من الاراضي الاميرية التي تمت تسويتها ولكنها خالية تذروها الرياح فلماذا لا تعطونها الى المتقاعدين والبطالين من ابناء البلد؟ (محاضر مجلس النواب العراقي، 17 نيسان 1947، صفحة 149).

علق احمد زكي فيما يخص البلديات بانها لا تنحصر بالكنس ولاتنظيف والماء والكهرباء وتخطيط المدن فقط. أوضح بان انها اسست ليتمتع الشعب بحقوقه الاولية كانتخاب المجالس ورؤوسائها، وانتقد امر اناطة امر رئاسة البلديات الى الموظفين وحرمان الشعب من حق الانتخاب. لذلك رجا رئيس الوزراء بتغيير هذا الوضع، وان يكون تعيين امين العاصمة عن طريق الانتخاب قائلاً بهذا الخصوص:"لئلا يحتمي وراء حصانة التوظف ويجلس فوق كرسيه العاجي والمدينة عبارة عن مستنقع مستور" (محاضر مجلس النواب العراقي، 17 نيسان 1947، صفحة 147)

اما بالنسبة الأوقاف والشؤون الدينية، فقد حرص النائب أحمد زكي الخياط على ان تنهض دائرة الأوقاف بمسؤولياتها الوطنية والدينية، وطالب بضرورة متابعة الاوقاف وفصلها عن رئاسة الوزراء والحاقها ادارياً بوزارة العدلية، لان الرئيس الوزراء لديه واجبات اخرى اهم منها، وأوضح بان واقع الاوقاف سيء جدا نذكر ما قاله في هذا المجال : "يجب علينا ان نلحق هذه الدائرة بوزارة العدلية لانها ليست بأهم من المحاكم الشرعية ولا ادري لماذا تكون هذه الدائرة مربوطة برئاسة الوزراء، فأما البحث عن الاوقاف فأنا والله اشعر بخجل اذا اريد ان اتكلم عن الاوقاف وكنت اتجول بحكم وظيفتي وارى وضع الاوقاف انه وضع مخجل لا يطاق" (محاضر مجلس النواب العراقي، 17 نيسان 1947، صفحة 149).

وعلى الرغم من أن احمد زكي الخياط، قد أشاد بمنهاج وزارة صالح جبر، ولم يكن له اعتراض على مفاوضات الحكومة على موضوع الأرصدة الإسترلينية، اذ كان على اساس الفقرة الاولى من منهاج الوزارة. إلا أنه كانت له ملاحظات على موضوع اعادة النظر في الضرائب، ولاسيما ضريبة الدخل بانها غير عادلة، وانه لا يتماشى مع الزمن متسائلاً هل يكتفي اجد بالاعفاءات الحالية وهل يجوز ان تبقى الاعفاءات محدد بـ (150 و250) دينار فاية عائلة تستطيع ان تعيش بتلك المبالغ سنوياً؟، واشار ان تلك المبالغ فرضت بوقت "الخير"، لذلك طلب من وزير المالية معالجة الموضوع، اذ ان الكثير من العوائل تعيش على عشرة دنانير ولكنها تصبح ستة دنانير بعد الاستقطاعات، وطلب في الوقت نفسه اعادة النظر في قوانين الخدمة المدنية والتقاعد والضباط وموظفي الدولة وفق امرين الاول بان يعطى الموظف جميع حقوقه حتى يرى نفسه غير مغبون، والثاني يجب ان يحاسب الموظف عن واجباته (محاضر مجلس النواب العراقي، 17 نيسان 1947، صفحة 147).

المصادر

البصري، حميد. (2015). العلاقات العراقية – الايرانية في ظل وزارة حكمت سليمان. *مجلة " دراسات تربوية"* .

البلاد (جريدة) (الإصدار 1448). (7 تموز 1940).

تاج الدين، عامر. (2012). *الحلة لمحات اجتماعية وادارية وفنية 1858-1958* (المجلد ط1). بغداد: دار الشؤون الثقافية.

جابر، عامر. (2007). *تاريخ الاحزاب والجمعيات السياسية في الحلة 1908-1958*. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

الجبوري، عبدالجبار. (بلا تاريخ). الاحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي 1908-1958.

الجبوري، هديل. (2009). *الحياة الثقافية في الحلة 1958-1968 دراسة تاريخية*. العراق- بابل: رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الرتبية ، جابعة بابل.

جريدة الاستقلال. (24 ايلول, 1926).

جريدة الاستقلال. (28 ايلول, 1926).

جمهورية العراق العامة ، مديرية البريد والبرق. (1940). *تقرير عن ادارة البريد والبرق والتلفون للسنة المنتهية 31*. بغداد: مطبعة الحكومة.

الحسني، عبد الرزاق. (1980). *تاريخ الأحزاب السياسية العراقية* (المجلد 1). بيروت.

الحسني، عبدالرزاق. (1980). *تاريخ الوزارات العراقية*. بيروت.

الحكومة العراقية، سجل كبار موظفي الدولة. (بلا تاريخ). *وزارة الداخلية*.

الحلي، يوسف. (1965). *تاريخ الحلي، القسم الاول في الحياة السياسية*. النجف: منشورات المكتبة الحيدرية.

حمزة، علي. (1990). *تطور الخدمات البريدية في العراق 1921-1945 دراسة تاريخية*. بغداد: رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب – جامعة بغداد.

حمورابي (جريدة) (الإصدار 9). (1935/5/31). الحلة.

حمورابي (جريدة) (الإصدار 9). (1935/8/31). الحلة.

حمورابي (جريدة). (18 تموز , 1935).

حمورابي (جريدة). (20 اذار , 1936).

حمورابي(جريدة). (7 ايلول, 1935).

د.ك.و. (1934). *ملفات البلاط الملكي ملفة 311/763*.

د.ك.و. (12 كانون الثاني, 1930). ملفات البلاط الملكي رقم الملف 311/735.

د.ك.و. (13 كانون الثاني, 1935). رقم الملفة 311/763.

د.ك.و. (13 كانون الثاني, 1935). ملفات البلاط الملكي ملفة 311/763.

د.ك.و. (14 اب, 1934). ملفات وزارة الداخلية – الديوان ملفة 32050/7970.

د.ك.و. (14 اب, 1934). ملفات وزارة الداخلية– الديوان رقم الملفة 32050/7970.

د.ك.و. (14 اب, 1934). ملفات وزارة الداخلية– الديون ملفة 32050/7970.

د.ك.و. (1932/10/14). *ملفات وزارة الداخلية رقم الملفة 32050/10505*.

د.ك.و. (1932/10/15). *ملفات وزارة الداخلية*. جمعية الهلال الاسلامية رقم الملفة 32050/10505.

د.ك.و. (16 اب 1937). *مؤتمر البريد والبرق رقم الملف 311/978*.

د.ك.و. (18 حزيران, 1935). ملفات البلاط الملكي ملفة 311/763.

د.ك.و. (19 اب, 1934). ملفات وزارة الداخلية – الديوان ملفة 32050/7970.

د.ك.و. (1945-1948). *اخبار مجلس الامة ومحاضرها ملفة رقم 32032/115*. وزارة الداخلية، مديرية الدعاية العامة.

د.ك.و. (1945-1948). *اخبار مجلس الامة ومحاضرها ملفة رقم 32032/115*. ملفات وزارة الداخلية، مديرية الدعاية العامة.

د.ك.و. (20 اذار , 1935). ملفات البلاط الملكي و ملفة 311/763.

د.ك.و. (1933/12/20). *ملفات وزارة الداخلية – الديوان ملفة 32050/9055*.

د.ك.و. (1932/4/20). *ملفات وزارة الداخلية*.

د.ك.و. (27 كانون الاول 1937). *مؤتمر البريد والبرق رقم الملف 311/978*.

الدجيلي، حسن. (1999). *ايران والعراق خلال خمسة قرون*. بيروت: دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع.

الرأي العام (جريدة) (الإصدار 1076). (7 اب 1944).

زكي، احمد. (2016). *اشخاص واحداث* (المجلد ط1). بغداد: المكتبة العصرية.

الزمان(جريدة). (24 كانون الثاني, 1937).

الزمان(جريدة). (8 تشرين الثاني, 1940).

الساعة جريدة. (21 شباط, 1945).

الساعة جريدة. (21 شباط, 1945). *بغداد*.

الساعة(جريدة). (15 كانون الاول 1944).

الساعى (جريدة). (8 ايلول 1944).

الصفار، رفعت. (2002). *محلات بغدادية قديمة في الذاكرة*. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

العالم العربي (جريدة). (21 ايار, 1931).

العالم العربي(جريدة). (14 نيسان, 1932).

العالم المصور جريدة. (29 كانون الثاني, 1926). *بغداد*.

العراق (جريدة) العدد 5703. (31 كانون الاول 1940).

العراق (جريدة). (15 كانون الثاني, 1930).

العراق (جريدة). (8 آب, 1929).

العراق(جريدة). (3 ايلول, 1935).

العقلي، طارق. (2003). *العرقات العراقية – الباكستانية 1947-1958*. بغداد: المعهد العالي للدراسات اللسياسية والدولية/ الجامعة المستنصرية.

فتوح، عيسى. (2003). *وجوه مضيئة في الادب العربي الحديث*. دمشق: دار كيون للطباعة والنشر والتوزيع.

فرحان، عباس. (2003). *الحياة الاجتماعية في مدينة بغداد 1939-1958*. اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الرتبية – ابن رشد / جامعة بغداد.

القزويني، جودت. (2022). *تاريخ القزويني في تراجم المنسيين والمعروفيين من اعلام العراق الحديث وغيرهم (1900-2000)* (المجلد ط1). بيروت: الخزائن لاحياء التراث.

كزار، فلاح. (2015). *وزارة المعارف العراقية 1920-1958 دراسة تاريخية اطروحة دكتوراه غير منشورة*. كلية التربية – ابن رشد– جامعة بغداد.

الكعبي، جاسم. (2013). *تاريخ التعليم في العمارة 1921-1958 رسالة ماجستير غير منشورة*. كلية التربية للبنات– جامعة البصرة.

لغة العرب. (تشرين الثاني 1926, 1926).

محاضر مجلس النواب العراقي. (17 نيسان 1947). *الاجتماعي الغير الاعتيادي لسنة 1947*.

محاضر مجلس النواب العراقي. (1947). *الاجتماع غير الاعتيادي لسنة 1947، الجلسة الاولى 17 اذار 1947*. بغداد: مطبعة الحكومة.

مذكرات رؤوف البحراني. (بلا تاريخ).

النداواني، عبدالكريم. (1961). *تاريخ العمارة وعشائرها*. بغداد: مطبعة الرشاد.

نقابة المحامين. (1966). *اضبارة المحامي احمد زكي الخياط*. كتاب الاستشهاد الى النقابة كتابها ذ/ 1435/113.

النهضة العراقية (جريدة). (8 آب, 1929).

الونداوي، مؤيد. (2012). *أعلام الشخصيات السياسية العراقية في الوثائق البريطانية 1935-1958*. عمان: آمنة للنشر والتوزيع.

Arabic Translated References:

Al-Basri, Hamid. (2015). *Iraqi-Iranian relations under the Ministry of Hikmat Suleiman*. Journal of "Educational Studies."
Al Sa'a newspaper. (February 21, 1945).
Al Sa'a newspaper. (February 21, 1945). Baghdad.
Al-Aqli, Tariq. (2003). *Iraqi-Pakistani races 1947-1958. Baghdad:* Higher Institute for Political and International Studies/Al-Mustansiriya University.
Al-Bilad (newspaper) (Issue 1448). (July 7, 1940).
Al-Dujaili, Hassan. (1999). *Iran and Iraq during five centuries. Beirut*: Dar Al-Adwaa for printing, publishing and distribution.
Al-Hassani, Abdul Razzaq. (1980). History of Iraqi ministries. Beirut.
Al-Hassani, Abdul Razzaq. (1980). History of Iraqi Political Parties (Volume 1). Beirut.
Al-Hilli, Youssef. (1965). History of Al-Hilli, the first section on political life. Najaf: Haidariya Library Publications.
Al-Istiklal newspaper. (September 24, 1926).
Al-Istiklal newspaper. (September 28, 1926).
Al-Jubouri, Abdul-Jabbar. (no date). *Political parties and associations in Iraq 1908-1958.*
Al-Jubouri, Hadeel. (2009). *Cultural life in Hilla 1958-1968, a historical study*. Iraq - Babylon: Unpublished master's thesis, College of Education, Jaba'a, Babylon.
Al-Kaabi, Jassim. (2013). *The history of education in architecture 1921-1958, unpublished master's thesis*. College of Education for Girls - University of Basra.
Al-Nadawani, Abdul Karim. (1961). *The history of architecture and its clans*. Baghdad: Al-Rashad Press.
Al-Nahda Al-Iraqiyya (newspaper). (August 8, 1929).
Al-Qazwini, Jawdat. (2022). *Al-Qazwini's history in the biographies of the forgotten and well-known prominent figures of modern Iraq and others (1900-2000)* (Volume 1). Beirut: Al-Khazaen to Revive Heritage.
Al-Sa'ah (newspaper). (December 15, 1944).
Al-Sa'i (newspaper). (September 8, 1944).
Al-Wandawi, supporter. (2012). *Flags of Iraqi political figures in British documents 1935-1958.* Amman: Amna for Publishing and Distribution.
Al-Zaman (newspaper). (January 24, 1937).
Al-Zaman (newspaper). (November 8, 1940).
Arabic language. (November 1926, 1926).
Bar. (1966). *The file of lawyer Ahmed Zaki Al-Khayyat. The letter of martyrdom to the union*, its letter No. 113/1435.
D.K.W. (10/14/1932). Ministry of Interior files, file number 10505/32050.
D.K.W. (10/15/1932). Ministry of Interior files. Al-Hilal Islamic Society, file number 10505/32050.
D.K.W. (12/20/1933). Ministry of Interior files - Diwan, file 9055/32050.
D.K.W. (1934). Royal Court Files File 763/311.
D.K.W. (1945-1948). National Assembly news and minutes, file No. 115/32032. Ministry of Interior, Directorate of Public Propaganda.
D.K.W. (1945-1948). National Assembly news and minutes, file No. 115/32032. Files of the Ministry of Interior, General Propaganda Directorate.
D.K.W. (4/20/1932). Ministry of Interior files.
D.K.W. (August 14, 1934). Files of the Ministry of Interior - Diwan, file 7970/32050.
D.K.W. (August 14, 1934). Files of the Ministry of Interior - Diwan, file number 7970/32050.
D.K.W. (August 14, 1934). Ministry of Interior files - Debts File 7970/32050.
D.K.W. (August 16, 1937). Postal and Telegraph Conference File No. 978/311.
D.K.W. (August 19, 1934). Ministry of Interior files - Diwan, file 7970/32050.
D.K.W. (December 27, 1937). Postal and Telegraph Conference File No. 978/311.
D.K.W. (January 12, 1930). Royal Court Files File No. 735/311.
D.K.W. (January 13, 1935). File No. 763/311.
D.K.W. (January 13, 1935). Royal Court Files File 763/311.

D.K.W. (June 18, 1935). Royal Court Files File 763/311.
D.K.W. (March 20, 1935). Royal Court Files and File 763/311.
Farhan, Abbas. (2003). *Social life in Baghdad city 1939-1958*. Unpublished doctoral thesis, College of Education - Ibn Rushd / University of Baghdad.
Fattouh, Issa. (2003). *Luminous faces in modern Arabic literature*. Damascus: Dar Kyon for printing, publishing and distribution.
General Republic of Iraq, Post and Telegraph Directorate. (1940). *Report on the Postal*, Telegraph and Telephone Administration for the year ending 31. Baghdad: Government Printing Press.
Hammurabi (Journal) (Issue 9). (5/31/1935). Hilla.
Hammurabi (Journal) (Issue 9). (8/31/1935). Hilla.
Hammurabi (newspaper). (July 18, 1935).
Hammurabi (newspaper). (March 20, 1936).
Hammurabi (newspaper). (September 7, 1935).
Hamza, Ali. (1990). *The development of postal services in Iraq 1921-1945 is a historical study*. Baghdad: Unpublished master's thesis, College of Arts - University of Baghdad.
Iraq (Newspaper) Issue No. 5703. (December 31, 1940).
Iraq (newspaper). (August 8, 1929).
Iraq (newspaper). (January 15, 1930).
Iraq (newspaper). (September 3, 1935).
Iraqi government, register of senior state employees. (no date). Ministry of Interior.
Jaber, Amer. (2007). History of political parties and associations in Hilla 1908-1958. Baghdad: House of General Cultural Affairs.
Kazar, farmer. (2015). *The Iraqi Ministry of Education 1920-1958*, a historical study of disappointment, an unpublished doctoral thesis. College of Education - Ibn Rushd - University of Baghdad.
Memoirs of Raouf Al-Bahrani. (no date).
Minutes of the Iraqi Council of Representatives. (1947). *Extraordinary meeting of 1947*, first session, March 17, 1947. Baghdad: Government Printing Press.
Minutes of the Iraqi Council of Representatives. (April 17, 1947). The unusual social event of 1947.
Public Opinion (Newspaper) (Issue 1076). (August 7, 1944).
Taj al-Din, Amer. (2012). *Hilla, Social, Administrative, and Artistic Overviews 1858-1958* (Volume 1st Edition). Baghdad: House of Cultural Affairs.
The Arab World (newspaper). (April 14, 1932).
The Arab World (newspaper). (May 21, 1931).
The Illustrated World newspaper. (January 29, 1926). Baghdad.
The yolk, raised. (2002). *Old Baghdad shops in memory*. Baghdad: House of General Cultural Affairs.
Zaki, Ahmed. (2016). People and Events (Vol. 1st Edition). Baghdad: Modern Library.

قلعة أيوب دراسة في احوالها العامة

م.م. زينب كاظم عبد الحسن الفاضلي

zainabkazem@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية الأساسية، قسم التاريخ

الملخص

أما بعد، إذ نستعرض في هذا البحث **(قلعة أيوب دراسة في احوالها العامة)** وتعتبر من أقدم المدن التي بناها المسلمون في الأندلس، في بداية تشييدها اولاً كقلعة بعد فتح سرقسطة، عرفت منطقة شرق الأندلس العديد من الثورات، خاصة من أجل السيطرة حصونها وقلاعها، لأن السيطرة على الحصون والقلاع بمثابة السيطرة على أراضي المدن التابعة لشرق الأندلس ككل، ولعل بناء القلاع والحصون في مناطق وعرة كان من بين الأسباب التي عجلت بسقوط الأندلس عبر صد الهجمات النصرانية ضد المسلمين وضمان الإنتاج الزراعي في المناطق السهلية، و تحتل دراسة القلاع الإسلامية القديمة حيزاً كبيراً من تاريخ الاندلس كونها تمثل قوة الدولة الاسلامية في مختلف الأصعدة سواءً كانت سياسية أو حضارية ، قلعة أيوب وبحكم موقعها وتضاريسها ، تعد بمرور الزمن واحدة من تلك المدن الأندلسية التي تركت أثراً في تاريخ الأندلس الذي امتد لثمانية قرون ونيف، فكان لها نصيباً منذ الفتح الإسلامي وحتى سقوطها بيد الإسبان (96-514 هـ /711- 1120م) واجهت العديد من الضغوطات والحصارات المتوالية لتكتب نهايتها في عهد المرابطين ويُسدل الستار عليها لتضاف غصةً من غصصٍ كثيرةٍ مرت بها مدن الأندلس .

الكلمات المفتاحية : الاندلس، قلعة أيوب، الثغر الأعلى

Eyoub Castle, a study of its general conditions

Zainab Kadhim Abd UL Hasan

zainabkazem@uomustansiriyah.edu.iq

The College of Basic Education , Mustansiriyah University

Abstract

Now, as we review in this research (Ayoub Castle, a study of its general conditions), it is considered one of the oldest cities built by Muslims in Andalusia. At the beginning of its construction, first as a castle after the conquest of Zaragoza, the region of eastern Andalusia witnessed many revolutions, especially for the sake of controlling its forts and castles. Because controlling fortresses and castles is tantamount to controlling the lands of cities belonging to eastern Andalusia as a whole, and perhaps building fortresses and fortresses in rugged areas was among the reasons that precipitated the fall of Andalusia by repelling Christian attacks against Muslims and ensuring agricultural production in the plain areas. The study of ancient Islamic castles occupies a large space. A major part of the history of Andalusia, as it represents the power of the Islamic state at various levels, whether political or cultural. Eyup Castle, by virtue of its location and topography, is considered, over time, one of those Andalusian cities that left an impact in the history of Andalusia, which extended for more than eight centuries. It had a share since the Islamic conquest. Until its fall into the hands of the Spaniards (96-514 AH / 711-1120 AD), it faced many pressures and successive sieges to mark its end during the Almoravid era and for the curtain to fall on it, adding one of the many hardships that the cities of Andalusia went through.

Keywords (Al-Andalus, Ayoub Castle, Al-Thaghr Al-Ala)

المقدمة

اما بعد تناول البحث **(قلعة أيوب دراسة في احوالها العامة)** وتعتبر من أقدم المدن التي بناها المسلمون في الأندلس، في بداية تشييدها اولاً كقلعة بعد فتح سرقسطة، و تحتل دراسة القلاع الإسلامية القديمة حيزاً كبيراً من تاريخ الاندلس كونها تمثل قوة الدولة الاسلامية في مختلف الأصعدة سواءً كانت سياسية أو حضارية ،

القلعة منذ ان اتخذها العرب منازل لهم وحتى سقوطها مرت بسياسات متعددة، وتعتبر من أشد القلاع حصانة وقوة وكانت تمثل معقلاً هاماً وقوياً للمسلمين بحكم موقعها في الثغر الأعلى باعتبارها ثغرا من الثغور الإسلامية ومجاورتها حدود الممالك النصرانية، والتي تبعد عن العاصمة مما جعلها مركز للتمردات و حرص الامراء والخلفاء الامويين في تعزيز قوتهم في هذه القلعة ودعم حكام القلعة.

رغم ما تمتعت به القلعة من أهمية نلاحظ ندرة المعلومات عنها مع العلم ينسب الكثير من العلماء والفقهاء اليها والذين لهم دور بارزا في الحياة العلمية او السياسية، ومازالت اثارها موجودة في الاندلس ويكمن القول بأن اختيارنا لهذا الموضوع كان لأهمية هذه القلعة التي تحتل موقعاً جغرافياً مهماً فضلاً عن أهميتها السياسية والحضارية.

قمنا بتقسيم هذه الدراسة على مقدمة ومبحثين وخلاصة وقائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة، استعرضنا في المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختيارنا له ، و تطرقنا في المبحث الأول / قلعة أيوب وأوضاعها العمرانية والاجتماعية والاقتصادية، وتناولت في المبحث الثاني / الأوضاع الإدارية والسياسية والعلمية ، واختتمنا الدراسة بخاتمة التي احتوت أهم ما توصلت إليه من نتائج مع قائمة بالمصادر والمراجع العربية والمعربة وغيرها والتي أغنت موضوع الدراسة .

المبحث الأول/ قلعة أيوب وأوضاعها العمرانية والاجتماعية والاقتصادية

اولاً / التسمية

تعرف الآن باسم (Celatayub) وهى مدينة حديثة من مدن الثغر الأعلى جنوب غربى سرقسطة وقد عرفت بتسمية رومانية باسم (bilbilis) في العصور القديمة (خورشيد ، 1998)، يذكر " الاسقف رودريجو الطليطي ان ايوب هو الذي ابتنى البلد المعروفة بقلعة ايوب الى الشمال الشرقي من طليطلة وكان في موقعها حصن روماني قديم يعرف بأسم (bilbilis) " (مؤنس ح.، 2002)، الاسبانيول يقولون لها " (Calatayud) وهي بلدة على وادي شلون، جاء في دليل بديكر أنه يشرف على هذه البلدة حصن اسمه قلعة أيوب بناه العرب في القرن الثامن للمسيح" (ارسلان، د.ت) ، وكل من ينسب الى هذه المدينة يعرف بالقلعي نسبة إليها او الثغري ، باعتبارها ثغراً من الثغور الإسلامية (الحموي، 1996).

قد سميت هذه القلعة باسم الوالي أيوب بن حبيب اللخمى نسبة إلى لخم القبيلة اليمنية المشهورة ، والذي خلف عبد العزيز بن موسى بن نصير ثاني ولاة الأندلس من أبرز القادة العرب اليمانية الذين شاركوا في فتح الأندلس سنة 92 – 95هـ، وهو ابن أخت موسى بن نصير فاتح الأندلس، وقد نصبه الجند ورؤساء القبائل أميراً (عذاري، 1983) عليهم سنة 97هـ، وأشار الى ذلك الحميدي (ت408هـ) قائلاً :" (الحميدي، 1966):" فاجتمعت وجوه القبائل على تقديم أيوب بعده أميراً، ومانعاً من الانتشار" وذلك بعد أن ظلوا لفترة دون والٍ بعد مقتل الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير الوالي الأول للأندلس ، وعلى الرغم من الفترة القصيرة التي أمضاها الوالي أيوب بن حبيب اللخمي، في حكم الأندلس والتي لم على تزد على ستة أشهر (الضبي، 1967)، إلا أن المؤرخين سجلوا له عملين مهمين ، قام بهما في الأندلس الأول نقل العاصمة الإدارية لولاية الأندلس من إشبيلية إلى قرطبة، المدينة الأكثر توسطاً في الأندلس، والأقرب إلى منازل جماعات العرب في الشرق والجنوب الشرقي (مؤنس ح.، 2002، صفحة 192)، وقد حاول أيوب بن حبيب اللخمي، أن يثبّت السلطة العربية ويطهر المنطقة الشمالية من مقاومة الغوط ويدل على ذلك عنايته بهذه المنطقة وقيامه بإنشاء القلعة التي عرفت بأسمه بعد ذلك قلعة أيوب والتي تربض على ارتفاع شاهق، في جنوب سرقسطة الذي اعاد بناءها وتعميرها سنة ٩٧هـ، وكان للبلدة التي تقع فيها هذه القلعة أهمية تاريخية كبيرة، إبان حكم المسلمين للأندلس في العصور الوسطى وعلى الرغم من هذا، فقد ظلت المناطق الشمالية الغربية العقبة الأساسية في سبيل استكمال فتح شبه الجزيرة الايبيرية بكاملها وتعد هذه الأجزاء من المناطق الوعرة جداً لأنها تضم هضاب اشتوريش (السامرائي، 2000) Asturias القاحلة (السامرائي، 2000، صفحة 47).

ثانياً / الموقع

مدينة قلعة أيوب تقع في الثغر الأعلى (الحموي، 1996، صفحة 79) (عنان، 1969) وتعد من اعماله ، الذي يمثل في الجغرافية الاندلسية ولاية الحدود الشمالية وهي مدينة سرقسطة واعمالها وتعد قاعدة الثغر الأعلى، و في الجغرافية الحديثة إقليم أرغون (الكتاني، 2005) (السامرائي، الثغر الاعلى دراسة في احواله السياسية، 1976)، اما بالنسبة للأندلس فهي تقع في شمال شرقها على الضفة اليمنى من وادي نهر إبره (عنان، 1969، صفحة 265) وموقعها سبباً في تسميتها بالثغر الاعلى يمثل ولاية الحدود الشمالية مجاورة للممالك النصرانية (عنان، 1969، صفحة 33)، فسرقسطة لها مدن و معاقل منها مدينة قلعة ايوب عظيمة جليلة القدر ولها من الاقاليم عدة (مؤنس ح.، 2002، صفحة 583)، ويذكر ذلك ياقوت الحموي (ت626هـ) (الحموي، 1996، صفحة 390):" قلعة أيوب مدينة عظيمة جليلة القدر بالأندلس بالثغر وكذا ينسب إليها فيقال ثغري" باعتبارها ثغراً من الثغور الإسلامية شمال شرق الاندلس، وتقع غرب مدينة سرقسطة على بعد خمسين ميلاً (الادريسي، 1989).

بناء قلعة أيوب والتي تربض على ارتفاع شاهق، و إلى الشمال الشرقي من طليطلة (الحموي، 1996، صفحة 39) (القزويني، د.ت) تبعد عنها خمسة وعشرين ميل ومدينة سالم (عذاري، 1983، صفحة 214)، وكان للبلدة التي تقع فيها هذه القلعة، أهمية تاريخية كبيرة، إبان حكم المسلمين للأندلس في العصور الوسطى تشرف القلعة على وادي كبير متسع في الطول والعرض، يدعى وادي شلون (الحموي، 1996، صفحة 360) وعلى نهر شلون الذي يعد احد روافد نهر بره، وهو وادي زراعي خصيب ، ويشير الحميري(ت900هـ) (الحميري، 1980):" وقلعة أيوب عالية البنيان على وادي شلون " ، ومن اعمالها مدينة دروقة " عمل قلعة أيوب عظيمة في سفح جبل " (الحميري، 1980، صفحة 235) . اول وأقدم مدينه بناها المسلمون في الأندلس بدأ تشييدها اولاً كقلعة على يد عبد العزيز بن موسى بن نصير بعد فتح سرقسطه علي يد ابيه موسى و أتمها أيوب بن حبيب اللخمي سنة 97 هـ وهي أقدم أثر إسلامي في بلاد الأندلس لا تزال تحفظ بالكثير من معالم رغم مرور الزمن، والتي تربض على ارتفاع شاهق ، في جنوب سرقسطة ، وكان للبلدة التي تقع فيها هذه القلعة، أهمية تاريخية كبيرة، ثم بعد مرور الزمن تحولت الى مدينه فسمية على اسم القلعة مدينة قلعة ايوب (السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، 2000، صفحة 48).

وكانت أمنع ما تبقى من معاقل الثغر الأعلى، "و هي مدينة رائقة البقعة حصينة شديدة المنعة بهية الاقطار" (ارسلان، د.ت، صفحة 105)، وهي من أشد القلاع حصانة وقوة وكانت تمثل معقلا هاما وقويا للمسلمين ، ولم تبن القلعة من الصخر كما هو المألوف في بناء القلاع لأن المنطقة ليست صخرية، إنما بنيت بمزيج من الطين والأحجار الصغيرة المدحرجة، فالطين يؤدي عمل المادة اللاحمة، وبالكبس والضغط ومرور السنين تتكون للطين نسبة مرتفعة من الصلابة، أما حال القلعة اليوم فتذكر المصادر أن أكثر من ثلثي معالم القلعة قد زالت وتهدمت أجزاء منها، فهي مرتفعة، وارتفاعها الشاهق يعرضها إلى المزيد من تأثير عوامل التعرية والتآكل، فإذا أضفنا إلى ذلك عامل الزمن وتقادم العهد من ناحية، وبناءها الا صخري من ناحية أخرى، أدركنا سر تهدم أجزاء من القلعة وزوال معالم الأجزاء الأخرى، لكنها مع ذلك لا زالت تحتفظ بواحد من أفضل مجموعات الأسوار ذات الطراز الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية.

- **المسجد الجامع**

وعادة العرب في تخطيط المدن سواء كانت عسكري او اداري او مدنية ، اختطاط مسجد جامع في مركز المدينة اذ يصبح مركز المدينة وفي قلعة أيوب يوجد مسجد جامع ، اذ أشار ابن الابار(ت 658هـ) في ترجمته لقاضي المدينة ابي بكر المعروف بالبطروري (ت445هـ) " كَانَ كَرِيمًا صَالحا ورعًا وَقَدْ حدث عنْ أَبِيهِ وَلم يسمع مِنْهُ وَرَأَيْت السماع عَلَيْهِ بِجَامِع مَدِينَة قلعة أَيُّوب سنة 439هـ " (ابن الابار ، 1995) ونستدل من حديث ابن الابار وجود مسجد جامع ، و ورد ايضاً عند ابن الفرضي (ت403هـ) في ترجمته لمحمد بن نصر (ت 345هـ) " كان حافظاً للأخْبار والأشعار، عالماً باللغة والنحو، خطيباً بليغاً وكان صاحب صلاة قلعة أيُّوب " (ابن الفرضي، 1988).

- السور والبوابة

ومن اثار القلعة الباقية في اسبانيا ومايميزها سورها والبوابة وطريقة البناء التي استخدمت في بناء السور ، ظهر (الدبش) (عبد الحميد و اخرون، 2008) المشيد على شكل احزمة في حصن لونا وحصن الساعة في قلعة ايوب ولو امعنا النظر لوجدنا هذه

الطريقة شديدة الشيوع تتمثل في اقامة جداران من الدبش وبينهما توضع قطعة من الحديد (خرسانة) كحشو وبذلك يكون الجداران مجرد طبقة متسقة تماماً وسمكها لايتجاو ٠،٣٠ م وانتشر هذا النمط في الاندلس (مالدونادو، 2005)، و اود الإشارة الى حصن لونا وحصن الساعة لم يرد ذكرهم في كتب الرحالة والجغرافيين وانما أشار ياقوت الحموي (626هـ) قائلاً (الحموي، 1996، صفحة 390): " ولها عدة حصون وبالقرب منها" لم يذكراسماء الحصون اكتفى بالإشارة اليها فقط ، و أشار ابن الابار(ت 658هـ) الى حصن شمنت قائلاً (ابن الابار ، 1995، صفحة 59): " شمنت حصن ناحية قلعة أيوب" ، امابقية الحصون ورد ذكرها عند المستشرق باسيليو الذي شاهد اطلال القلعة ودراسته جاءت من خلال زيارة ميدانية للموقع (مالدونادو، 2005، الصفحات 320-321).

اما وصفه لبوابتها (بالبوابة العربية) ويصف سور القلعة : " للسور توجد في السور العربي بين بوابة صوريا المسيحية وبين الحصن الكبير ولها مساحة في الدهليز بها دخلتان من الخارج وعقد حدوى من الحجر بدرجة انحناء ١/٢ ، وهو عقد مشرشر بني بست عشر سنجة رقيقة تتلاقى وسط القطر والحدائر بها حليات معمارية مقعرة ،أما منكب العقد فهو غير منتظم نظراً لاختلاف حجم السنجات وتبلغ فتحة العقد ٢،٣٨م وارتفاعه من البطن والمنكب ٣،٣٠م و ٣،٨٠ م وفي الداخل هناك سقف مقبى نصف اسطواني على دهليز يمتد حتى ١،٥٠م مع وجود المنابت بارزة ويبلغ الارتفاع ٤،٨٠م ولازال به الكوابيل من الموشوري (مالدونادو، 2005، صفحة 80).

ومن الاثار الأخرى كنيسة القديس بطرس في قلعة أيوب، وهي قائمة على الطراز الإسباني العربي (لوبون، 2002)، وليس في البلدة آثار عربية أخرى تستحق الذكر غيرها، لأن وجود العرب لم يطل كثيرا في هذه المنطقة مقارنة بوجودهم في جنوب الأندلس، التي استمر وجود المسلمين فيها حوالي ثمانية قرون ولا زالت تحمل بصماتهم حتى اليوم، وتوحي معالم البلدة التي أقيمت فيها قلعة أيوب، بأنها قديمة جدا، وأن يد العمران والتطور لم تمتد إليها.

رابعاً / الجانب الاجتماعي والاقتصادي

لم تشر المصادر التاريخية لتركيبة المجتمع في مدينة قلعة أيوب قبيل الفتح الإسلامي للأندلس وبعده، وكل ما نعرفه هو ان سكانها امتزجوا مع أجناس مختلفة قبل وبعد الفتح الإسلامي، تلك الأجناس التي هاجرت إليها لموقعها المتميز في شرق الاندلس الذي منحها دوراً كبيراً في مختلف العصور الإسلامية الاندلسية.

نزلت القبائل اليمنية الاندلس لم تكن تزيد على العدنانية ، فقد ذكر ابن حزم من هذه القبائل فكانت العدنانية اثنتان واربعين قبيلة ،أما اليمنية فكانت اثنتان وخمسين قبيلة ، ان العرب اختصوا انفسهم بأغنى نواحي الاندلس ، فكانت مأزلهم تكثر بشكل واضح في حوض الوادي الكبير ووادي ابرة الاوسط و فروعهما الكثيرة ،ونستطيع ان نقول ان العرب بصفة عامة استقروا على طول خطوط الفتح الاول، فملأوا نواحي شرق الاندلس وزحف العرب مع السهل الساحلي الشرقي نزلت بطون من تجيب (الكلبي، 1988) في سرقسطة ونواحيها ، وأشار ابن حزم (ت456هـ) الى ذلك قائلاً (ابن حزم ، 1983):" ودار تجيب بالأندلس سرقسطة، ودروقة، وقلعة أيوب " ، وأشار ايضاً " وكان الأمراء بالثغر من العرب بنو المهاجر من تجيب خاصّة أصلهم دروقة وقلعة أيوب ثم ملكوا سرقسطة وغيرها " (ابن حزم ، 1983، صفحة 500) ومن هولاء بني المهاجر (ابن حزم ، 1983، صفحة 430)، عميرة و عبد الله ، الذين دخلوا مع موسى بن نصير الى الاندلس ، وعميرة ولي برشلونة وعبد الله و دروقة (الزركلي، 2002) ، ولاولاد عبد الله بن المهاجر دور في حكم قلعة أيوب وكان بنو تجيب هؤلاء من زعماء البيوتات العربية العريقة في الثغر الذي أصبح الموطن الرئيس لتجيب في الأندلس، وأسكنهم الأمِير محمد بن عبد الرحمن الأموي(238هـ- 273هـ) مدينة قلعة أيوب في الثغر الأعلى، وعقد لهم الإمارة في القلعة وبنى لهم حصن دروقة وكانوا ممن يعوّل عليهم في الغزوات (السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، 2000، صفحة 68).

والكثير من القبائل التي استقرت في هذا الساحل الشمالي الشرقي منهم جذام وقضاعة و خزرج وحضارمة وهي قبائل قحطانية فضلاً عن القبائل العدنانية ربيعة وخزيمة وكنانة وغيرها من القبائل العربية (مؤنس ح.، 2002، الصفحات 411-412-413)، وهناك مدن اعتبرت مراكز العروبة في الاندلس وظل هذا العنصر العربي غالباً على هذه النواحي حتى نهاية تاريخ المسلمين في الاندلس وقلعة ايوب وغيرها من المدن سرقسطة ونواحيه وقرطبة ونواحيها واشبيلية ونواحيها كانت نقط ارتكاز للاسلام الاندلسي حتى نهاية القرن الخامس الهجري

ويشير المقري (ت 1040هـ) قائلاً (المقري، 1968):" وكان عرب الأندلس يتميزون بالقبائل والعمائر والبطون والأفخاذ "و نلاحظ من خلال هذا الكلام ان كل قطعة من العرب نزلت بناحية ظلت محتفظة بكيانها القلبي رغم تزاوجهم مع اهل البلاد ويبدو ان الكثير من القبائل التي نزلت مواضع في الريف بعيدة عن المدن اتخذت لا نفسها حصوناً تعتصم بها وقد الازمات السياسية او الفتن .

العرب اولوا الأرض اهتمام كبير اذ اختاروا الأرض الخصبة والسهول وما تتمتع به مدينة قلعة أيوب من أرض خصبة سهلة الرى لها اثرها الاقتصادي و وصفت المدينة بمزارعها وارضها ، وهم ما يميزها إن جبالها تنتج أحسن أنواع اللبان المر كما ذكره البكري (ت 487هـ) قائلاً (البكري، 1992): " ويوجد بجبال قلعة أيوب المرّ الطيّب " ، المرّ اسمه العلمي هو (Myrrha) ، وهو أشجار كبيرة الحجم، كثيرة الأنواع، طيّبة الرائحة، وهي من الأشجار البابليّة، والاسم البابليّ مُرّ، ورد في النصوص البابلية القديمة، واسمه الأجنبي كاسمه البابلي، الذي نقله الأوربيون عن عرب الأندلس ،" وهو صمغُ الشجرةِ، حار يابس في الدرجة الثانية، إذا مُضغ طيب النكهة، وإذا وُضع تحت اللسان، وشُرب ما ينحلُّ منه صفّى الصوت، وليَّن خشونة الصدر والرئة، وإذا ذُرَّ على قروح الرأس أبرأها، ووجع الصدر، وقروح الأمعاء، وعُسْر النَّفَس" (سعيد، 1999).

ويصف الادريسي (ت560هـ) مدينة قلعة أيوب (الادريسي، 1989، صفحة 554): " بهية الأقطار كثيرة الأشجار والثمار عيونها مخترقة وينابيعها مغدودقة كثيرة الخصب رخيصة الأسعار وبها يصنع الغضار المذهب ويتجهز به إلى كل الجهات" ، واهم ما يميزها من الناحية الاقتصادية رخص الأسعار فضلاً عن تجارة الغضار الذي تميزت به وتصدره الى كافة بلاد الاندلس ، الغضار هو الطين اللزج الاخضر او الطين الحر يتخذ منه الخزف والصحف المتخذة منه تسمى الغضار (الزبيدي، 1414) و كان يصنع بها أنواع جيدة من السيراميك ذى البريق الذهبى وتصدره الى كافة انحاء الاندلس ، وياقوت الحموي (ت626هـ) أشار الى كثرة مزارعها (الحموي، 1996، صفحة 390): " بقعتها كثيرة الأشجار والأنهار والمزارع " ، و اشار الحميري (ت866هـ) ايضاً (الحميري، 1980، صفحة 469): " وهي مدينة رائعة البقعة حصينة شديدة المنعة كثيرة الأشجار والثمار، كثيرة الخصب رخيصة الأسعار، وبها يصنع الغضار المذهب ويتجهز به إلى كل الجهات " .

المبحث الثاني/ الأوضاع الإدارية والسياسية والعلمية

اولاً / الأوضاع الإدارية

المسلمين قد وجدوا عند دخولهم شبه الجزيرة الأيبرية ، تقسيماً إدارياً ثابتاً للبلاد، فساروا عليه، مع إجراء بعض التعديلات الشكلية التي اقتضتها الأحوال الجديدة، واستبدلوا ما وجدوا من التسميات والمصطلحات بما حملوه معهم من المشرق، الإتجاه الإداري في الأندلس يميل نحو الأقسام الإدارية الصغيرة تيسيراً لضبط الأمن وربط المال، واكتفى المسلمون بالكور، كل كورة تتبعها مدن وكل مدينة تتبعها أقاليمها أو زماماتها، وهذا النظام أدى بدوره إلى تبسيط السلم الإداري، فالإدارة المركزية يتبعها عمال الكور، وعمال الكور يتبعهم عمال المدن (الخلف، 2003).

نستطيع ان نلاحظ ان التقسيم الاداري للمدن في الاندلس اختلاف عن المشرق ، هناك اقساماً ادارية تسمى مدناً او تنسب الى مدن اقسام واسعة لها احواز فسيحة فيها مدن كبيرة وقرى وحصون وهذا شيء لا شبه له في المشرق ، فالمدينة هناك مدينة ولا زيادة فيها ، لها خطتها وارباضها وهي تتبع الاقليم او (الكور) التي تقع فيها اي ان نظام المدن كأقسام ادارية لم يعرف الا في الاندلس وهذا النوع موجود في الثغور الشمالية وكلها تقع في حوض نهر إبره ، كانت كل مدينة منها ذات ولاية واسعة تتبعها مدن وحصون و قرى فسرقسطة " لها مدن و معاقل منها مدينة قلعة ايوب عظيمة جليلة القدر ولها من الاقاليم عدة (مؤنس ح.، 2002، صفحة 282) وهناك فرق بين الحصن والمعقل فالحصن موضع محصن مأهول يشبه ان يكون مدينة وقد تتبعه حصون اخرى مثل مدينة قلعة أيوب تبعتها حصون حصن شمنت وحصن لونا وحصن الساعة ، واهما اذا اتسع الحصن عن ذلك فيصبح (قلعة مدينة) اي حصناً كبيراً ومدينة كبيرة (قلعة أيوب) المعقل لا يزيد عن ان يكون موضعاً محصناً يلجأ اليه المزارعون اذا داهمهم خطر والمعاقل كثيرة في الاندلس" (مؤنس ح.، 2002، صفحة 283)، " وهي مدينة رائعة البقعة حصينة شديدة المنعة كثيرة الأشجار والثمار، كثيرة الخصب رخيصة الأسعار" (الحميري، 1980، صفحة 496) .

ثانياً / الأوضاع السياسية

وكانت القلعة تتبع مدينة سرقسطة عاصمة الثغر الأعلى، و دعمت الدولة الإسلامية في عهد الولاة(95- 138 هـ) والامارة الأموية في الأندلس (138- 300هـ) بعض القبائل العربية في المناطق التي كثرت فيها حركات المولدين، مثال ذلك أسرة بني تجيب العربية التي سكنت في منطقة الثغر الأعلى (ابن حزم ، 1983، صفحة 430) حكم قلعة أيوب وكان بنو تجيب هؤلاء من زعماء البيوتات العربية العريقة في الثغر وأسكنهم الأَمِير محمَّد بن عبد الرحمن الأموي(238هـ- 273هـ) مدينة قلعة أيوب في الثغر الأعلى، وعقد لهم الإمارة في القلعة وبنى لهم حصن دروقة وكانوا ممن يعوّل عليهم في الغزوات (الزركلي، 2002، صفحة 310؛ خورشيدصفحة 8376) .

استطاع بنو تجيب أصحاب دروقة وقلعة أيوب الاستيلاء على مدينة سرقسطة، وذلك على يد زعيمهم أبي يحيى محمد بن عبد الرحمن التجيبي المعروف (بالأنقر) وأقره الأمير عبد الله بن محمد الاموي (275-300هـ) على حكم سرقسطة وأعمالها اكتساباً لولائه، ، واستمر بنو تجيب في سرقسطة حتى استطاع الناصر أن يقضي على ثوراتهم، وأن يرغمهم على الخضوع والطاعة ولكنه عفا عن بني تجيب، ورد زعيمهم محمد ابن هشام التجيبي إلى منصبه حاكماً لسرقسطة، لما كان يتمتع به من مقدرة إدارية، ولما كان لبني تجيب في الشمال من العصبة والأنصار (عنان، 1969، صفحة 341).

جغرافية الثغر الأعلى بصورة عامة شجعت مجموعات كبيرة من المولدين (عنان، 1969، صفحة 206) في التركز على المناطق التي تساعد في الانفصال والتمرد، وبشكل خاص في مناطق الثغور، أي المدن القريبة من خط الحدود مع الدول المسيحية في الشمال، مثل سرقسطة في الشمال الشرقي وطليطلة في الوسط ، وهكذا استمرت الحملات إلى الشمال، واستمر النزاع بين القوتين المختلفتين في شبه الجزيرة الايبيرية ، لكن الموقف الحربي تطور في أواخر عهد الإمارة الأموية، واستمرار الحملات أدى الى قيام كل من الجانبين بإعمار وتحصين خطوط دفاعه تجاه الجانب الآخر.

ويبدو خلال عصر الخلافة (300-422 هـ) أن النظام الإداري استمر كما هو في عصر الإمارة، ولكن الشيء الجديد الذي استحدث خلال عصر الخلافة، هو إيجاد إمارة الثغور إيجاداً مستقلاً، وأعطيت إمارة الثغر الأعلى أهمية كبيرة وبعد الهزيمة المنكرة التي لحقت بالخليفة عبد الرحمن الناصر بن محمد (300-350هـ) وجيشه أمام جيوش مملكة ليون الإسبانية عام 327هـ في معركة الخندق، اهتم الناصر بأمور الثغور الأندلسية واستمر في إعطاء إدارتها إلى الأسر المتنفذة فيها وهي أسرة بني تُجيب وغيرها من الاسر الموجود في الثغور، وكان يغدق عليهم الصلات والهدايا، وكان يزودهم كل عام بالعدد والسلاح من أجل الاستمرار في مدافعة ممالك الإسبان (ابن الابار، 1963، الصفحات 406-407).

وفي عهد الخليفة الناصر بني هاشم التجيبيين سادة سرقسطة، لم يكونوا دائماً على وفاق مع حكومة قرطبة، وكانت تحدوهم أطماع كثيرة وكانوا يخشون عواقب السياسة التي يتبعها الناصر في إخضاع الولاة المحليين، وسحق سلطان الأسر القديمة، وكان وجودهم في الشمال بين الممالك النصرانية يفسح لهم مجال التآمر والخروج ، ثورة محمد بن هاشم التجيبي صاحب سرقسطة، الذي تحالف مع مطرِّف بن منذر التجيبي صاحب قلعة أيوب وملك ليون لرامير و ، وتعهد محمد لرامير و أن يعترف بطاعته، نظير معاونته إياه في الخروج على عبد الرحمن الناصر ومحاربته، بل يقال إن هذا الحلف كان قد عقد قبل ذلك سراً، وإن آثاره ظهرت منذ سنة 324 هـ حينما كان الناصر يغزو أراضي ليون، ولم يتقدم بنو هشام لمعاونته، بل بالعكس جاهر محمد بالخروج عليه وخلع طاعته، ثم اعترف بسيادة ليون على سرقسطة وأحوازها وكان فتح قلعة أيوب أول صدع خطير في ثورة بني تجيب، وكان بها، فضلا عن مناعتها الطبيعية، عدة كبيرة من فرسان سرقسطة الأكابر، وخمسمائة من الفرسان النصارى لم ينج منهم سوى الخمسين الذين أمنوا (عذاري، 1983، صفحة 207)، وقد أفاضت الشعراء في تهنئة الناصر بهذا الفتح، ومن ذلك قصيدة لابن عبد ربه هذا مطلعها:

يا ابن الخلايف والصيد الصناديد ... ألقت إليك الرعايا بالمقاليد (ابن عبد ربه، صفحة 96).

وفي سنة 328هـ قدم إلى قرطبة موسى بن محمد صاحب مدينة وشقه وحكم بن منذر صاحب قلعة أيوب مستأمنين للخليفة عبد الرحمن الناصر، فأخرج إليهما كتب الأمان، وعقد لهما على أعمالهما (الخلف، 2003، صفحة 717) .

أما في عصر الطوائف القلعة تبعت مملكة سرقسطة حكامها بني هود ، بعد سقوط دولة الخلافة الأموية وقيام دول الطوائف على أنقاضها فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) تحت حكم سليمان بن هود المستعين وقد افلح في إقامة واحدة من

كبريات دول الطوائف، وتعاقب على حكمها عدد من اولاده ، ومن سوء سياسة سليمان بن هود تقسيمه دويلة سرقسطة بين أولاده الخمسة، فولى ولده أحمد مدينة سرقسطة ويوسف مدينة لاردة، ومحمد قلعة أيوب، ولب مدينة وشقة، والمنذر مدينة تطيلة ، وعندما توفي سليمان بن هود سنة 438هـ استقل الأبناء كل في مدينته، وبدأ النزاع بينهم حتى تمكن أحمد حاكم مدينة سرقسطة والملقب بالمقتدر التغلب على جميع أملاك أخوته باستثناء ما كان تحت حكم أخيه يوسف (السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، 2000، صفحة 241).

والأرجح أن قلعة أيوب كانت تحت سيطرة المرابطين على الأقل من عام (503هـ /1109 م) وحتى (514هـ /1120 م) حين استولى عليها الفونسو الأول ملك أرغون، وقد ظل المسلمون الذين استمروا بها بعد حركة الاسترداد يعيشون جنباً إلى جنب مع سكانها من المسيحيين واليهود ولابد أن عددهم كان كبيرا جدا، كما أن وادى شلون الذى تقع به قلعة أيوب كان واحدا من أقاليم أرغونة التى يكثر بها المسلمون الأسبان (خورشيد ، 1998، صفحة 8376).

ثالثاً / الحياة العلمية

نشطت الحركة العلمية في الأندلس بشكل عام، الأمر الذي أدى إلى ازدهار الحياة الثقافية والعلمية منذُ عهد الأمير عبد الرحمن الثاني (ابن سعيد ، 1955، صفحة 46)، وتطورت في عصر الخلافة، إذ ازداد اهتمام الخليفة الحكم المستنصر بالعلم والعلماء وتأسيس المكتبات (عذاري، 1983، الصفحات 240-241).

تميزت هذه القلعة بظهور العديد من العلماء الذين أسهموا بإثراء الحياة العلمية في الاندلس بصورة عامة ومدينة قلعة أيوب نفسها سواء من أهلها أو الذين توجهوا إليها من المدن الذين ألجأتهم الظروف أن يتركوا مناطقهم في الأندلس ويتوجهوا إليها ، او خارج الاندلس إذ استقر الكثير منهم في بعض المدن الإسلامية سواء في أثناء رحلاتهم إلى الحج أو إن الظروف الصعبة التي مرت على الأندلس وخاصة مناطق الثغر الأعلى الذي يتعرض الى هجمات الممالك النصرانية وبعدها عن العاصمة جعله مركز لاغلب المتمردين كانت سبباً نحو التوجه الى الهجرة خارج القلعة و الاستقرار في المدن الاندلسية لما رأوه من تشجيع من الحكام أو الأهالي ، ساعدهم على التفكير بإدامة الاستقرار في مناطق عدة سواء المدن التي مروا بها أو التي فكروا في التوجه إليها .

ولقد اشتهرت مدينة قلعة ايوب بوفرة علمائها في مجال الأدب واللغة والطب ولاسيما في العلوم الدينية، الفقه والحديث والقراءات في العصور الإسلامية المختلفة، ولما كانت ثغراً هاماً من ثغور الشمال الأندلس وقاعدة ينطلق منها الجيش الإسلامية ضد القوى المسيحية في إسبانيا، فإن هذه المدينة اجتذبت الفقهاء المجاهدين ، لابد من الإشارة الى ان المصادر لم تشير الى وجود حركة علمية في مدينة قلعة أيوب لكن ذكرت كتب التراجم العديد من العلماء الذين ينسبون واصلهم من القلعة ويعرفون (بالقلعي) او(الثغري) وبعضهم عاد الى القلعة واستقر بها منهم من تولى القضاء وكان لهم دور بارز في الحياة العلمية في مختلف مجالات العلوم الدينية و العقلية ومن هولاء واشهرهم :

- عبد الله محمد بن قاسم بن حزم بن خلف أبو عبد الله الثَّغري (ت 344هـ) من أهل قلعة أيوب من اهل العلم له رحلة علمية سنة 338هـ ويعرف بالبطرقولي، ورحلته من الاندلس الى القيرون و البصرة وبغداد والكوفة والشام ومصر ، " وسمع بالقيروان من محمد بن أحمد بن نادر، ومحمد بن محمد بن اللباد، وسمع بالبصرة من الهجيمي أبي إسْحاق ،وسمع بِبغداد من أبي علي بن الصَواف، و سمع بالكوفة من أبي دحيم مُسند أبي غدزة ، فسمع بها من أبي العَقِب الدمشقي، وبمصر من عبد الله بن جَعْفَر بن الورد " (ابن الفرضي، 1988، صفحة 258)، ولاه الخليفة الحكم المستنصر قضاء قرطبة نحو أربعين عاماً (سعد، 2002، صفحة 754).
- قال ابن الفرضي (ابن الفرضي، 1988، صفحة 286) : " وكان فقيها فاضلا، دينا ورعا، صليبا في الحق، لا يخاف في الله لومة لائم، ما كنا نشبهه إلا بسفيان الثوري في زمانه ، وانصرف إلى الأندلُس واستقضاه المُستنصر بالله رحمه الله بموضعه، ثم استَعفاه من القَضاء فأعفاه ، الرحلة إليه من جميع نواحي الثغر " ، وعاد الى قلعة أيوب الى ان توفي فيها سنة (ت 344هـ)، ونستدل من كلام ابن الفرضي على وجود رحلة علمية الى قلعة أيوب الذي القراءات والفقه والعربية والآداب.
- أبا عبد الله محمد بن نصر (ت 345هـ) من أهل قَلْعة أيوب أصله من سرقسطة ، وكان حافظاً للأخبار والأشعار، عالماً باللغة والنحو، خطيباً بليغاً، وكان صاحب صلاة قلعة أيوب ، وعاصر عبد الله بن محمد الثغري الذي ذكره وأثنى عليه ووصفه بالتقدم في معرفة لسان العرب (ابن الفرضي، 1988، صفحة 286).

• أبو عثمان سعيد بن يوسف بن يونس الأموي رحلة إلى المشرق روى فيها (ت 397هـ) (ابن بشكوال ، 1955، الصفحات 206-207) وأشار الى ذلك ابن بشكول (ت 685هـ) قائلاً (ابن بشكوال ، 1955، صفحة 637):" له رحلة إلى المشرق أخذ فيها عن أبي الوشا، والضراب، وأبي حفص عمر بن عراك، وراثق الصقلي وغيرهم وأخذ ببلده عن القاضي أبي محمد عبد الله بن قاسم وغيرهم حدث عنه الصاحبان، وأبو عمرو المقرئ " .

• أبا القاسم إسماعيل بن يونس الموري روى بقرطبة وتوفي بإشبيلية (ت 410هـ) (ابن بشكوال ، 1955، صفحة 103).

• أبو بكر يعيش بن محمد بن يعيش السدي(ت 418هـ) من أهل طليطلة روى عن أبيه وغيره، وله رحلة إلى المشرق " وكانت له عناية كبيرة بالعلم وكان حافظا للفقه، ذاكرا للمسائل وتولى الأحكام ببلده، ثم صار إليه تدبير الرياسة به ونفع الله به أهل موضعه " (ابن بشكوال ، 1955، الصفحات 650-651)، ثم خلع وانتقل الى قلعة أيوب ودرس بها الى ان توفي فيها .

• إبراهيم بن لُب بن ادريس التجيبي (ت 454هـ) من أهل قلعة أيوب واستوطن طليطلة يكنى أبا إسحاق ويعرف بالقويدس كان مُتقدما فِي علم العدد والفرائض والهندسة وجلس للتعليم هذه العلوم ، ويصفه ابن الابار (ابن الابار ا.، 1995، صفحة 118):" وَكَان لَه نفوذ فِي علم العربية وَقد أدب بهَا بطليطلة ذكره صاعد وَأخذ عَنهُ وَقَالَ تُوفي لَيلَة الأربعاء لثلاث بقين لرجب سنة أَربع وخمسين وأَربعمائة وهو ابن خمس وأَربعين سنة وذكر ابْن عَزِيز أَنهُ جلس لإقراء الأدب والنحو فِي سَقِيفَة الجامع يعنِي بطليطلة مدّة ثُم ذكر لأبي الْوَلِيد الوقشي وَقد تعرف به هنالك حرصه على علم الهندسة فقال له خذ فِيهِ إِن شئت فقرا عليه كتاب اقليدس واحكمه وتدرج مِنه إِلَى قراءة غيره فبرع فِي ذلك وَاجتمع الناس اليه وأخذ في إقرائه ".

• إسماعيل بن أبي الفتح كان فقيه من أهل العلم وتقدم في الفتوى(ت500هـ) (ابن بشكوال ، 1955، صفحة 106).

• محمد بن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن عبد الحميد التجيبي من أهل قلعة أيوب درس سرقسطة يعرف بالقيبريري ويكنى أبا عبد الله كان من كبار الفقهاء المالكية ، وله مؤلفات منها الانتصار لابن العطار ، ويصف ابن الابار (ابن الابار ا.، 1995، صفحة 349): " بَصيرًا بِالْمذهبِ المالكي حافظًا للرأي وله مسائل في الآذان والحضانة وَكتاب سَماه بالانتصار لِابن العطار فيما رده عَلَيهِ أَبو عَبد اللَّه بن الفخار روى عَنه أبو عبد اللَّه بن سِيدرَاي القلعي "

• أبا عبد الله محمد بن سليمان بن سيدراي الكلابي الوراق(ت 548هـ) من أهل قلعة أَيوب وسكن بلنسية ويعرف بالقلعي وخرج من قلعة أيوب بعد وقعة كتندة الى بلنسية وتوفي ، " روى عن أبي الحَسَن بن واجب وأبي وخرج من بلده لما تغلب العدو عليه بعد وقيعة كتندة فِي سنة أَربع عشرة وخمسمائة فكان يبيع الكتب فِي دكان لهُ وَكَان أَبوه أَيضا وراقا وَقد حدث بِيَسِير روى عنه أَبو عبد اللَّه بن الخباز وَأَبُو عمر بن عياد" (ابن الابار ا.، 1995، صفحة 15).

الخاتمة

بعد دراستنا لمدينة قلعة أيوب الأندلسية المهمة ومن خلال المصادر التي اطلعنا عليها توصلنا إلى جملة من النتائج :

•القلعة بنيت في موقع حصن روماني قديم يعرف بأسم (bilbilis) وربما القلعة كانت موجودة لكن العرب جددوا بنائها وهي كغيرها من المدن الاندلسية التي شملها الفتح الإسلامي على الرغم من أن المصادر أغفلت الإشارة عليها صراحةً، إلا إنها فتحت من بين مدن الشرق الاندلسي بصورة عامة ومدينة سرقسطة بصورة خاصة.

•نسبت إلى أيوب بن حبيب ثاني ولاة الأندلس الذي جدد بناءها، وهي تابعة للثغر الأعلى ، وبعض المصادر تشير الى ان الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير هو من امر ببنائها ولكنه توفي قبل اكمالها وعندما تولى أيوب بن حبيب ولاية الاندلس اكمل بناءها ، اود الإشارة الى ان مدة حكم الوالي أيوب استمرت ستة اشهر وهي مدة قصيرة لايمكن اكمال بناء قلعة حصينة مثل قلعة أيوب وان كان البناء بداء في عهد الوالي السابق عبد العزيز في هذه الفترة لم تكن الأوضاع السياسية مستقرة وخاصة الثغر الأعلى كان قريب من الممالك النصرانية ومازالت عمليات الفتوحات مستمرة ، وهناك بعض المصادر تشير الى ان نُوه للأمير محمد بن عبد الرحمن، بأولاد عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن المهاجر التجيبي، فاستدعاهم، وبنى لهم قلعة أيوب على مقربة من سرقسطة وعين لضبطها عبد الرحمن بن عبد العزيز التجيبي وبنى لهم الحصون المصادر اشارت الى عدة حصون تبعت القلعة.

•نزل بها العرب من بني تجيب وهم من القبيلة اليمانية المعروفة بالمشرق والذين حكموها وتوارث حكمها ابناء ابي المهاجر التجيبي .

•وتعتبر من اهم الاثار الإسلامية الموجود في الاندلس الى يومنا هذا رغم عوامل التعرية ومازلت البوابة العربية فيها موجودة التي تدل على تطور العمران في عهد الدولة الإسلامية التي حكمت الاندلس ثمان قرون ، من الآثار القليلة النادرة، التي لا زالت تحكي عن العرب المسلمين في الشمال الأسباني، ولا زالت تشمخ بأبراجها في عنان السماء مقاومة عوامل التعرية والتآكل، وتقلبات الطقس، رغم مرور ألف وثلاثمائة عام على إنشائها، وتوجد ايضاً كنيسة القديس بطرس في قلعة أيوب وهي قائمة على الطراز الإسباني العربي

•وتعتبر قلعة أيوب من القلاع الحصينة في الاندلس ولها مكانتها المهمة في الدولة وكانت دائما معقل للمتمردين والمنتزين لبعدها عن العاصمة وحكم موقعها القريب من حدود الممالك النصرانية ، فضلاً عن محاولات بني تجيب في استقلالهم بها عن الدولة الاموية بين فترة وأخرى الى ان قضى الخليفة الناصر على سيطرتهم الى عصر الطوائف أصبحت تابعة لبني هود في سرقسطة ، وسقوطها بيد الفونسو الأول الذي استولى عليها في عهد المرابطين وتصفها المصادر بأنها أمنع ما تبقى من معاقل الثغر الأعلى.

•أشاد الجغرافيون والمؤرخون بكثرة خيراتها ، كانت كثيرة الزرع والضرع، تمتاز بمحاصيلها الزراعية وتصديرها الى بقيت المدن وكذلك الغضار المذهب الذي اشتهرت به (الخزف الفيروزي) .

•رغم ندرة المعلومات عن أوضاعه السياسية او الاجتماعية لكن نجد كتب التراجم غنية بترجمة علمائها والذين كانوا يعرفون باسم القلعة .

قائمة المصادر والمراجع

ابراهيم زكي خورشيد . (1998) ، موجز دائرة المعارف الاسلامية الشارقة: مركز الشارقة للابداع الفكري.

ابن الابار. (1963). الحلة السيراء. القاهرة : مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر .

ابن عذاري. (1983) البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب. بيروت: دار الثقافة.

ابو الحسن علي بن موسى ابن سعيد . (1955). المغرب في خلي المغرب. القاهرة: دار المعارف.

ابو جعفر الضبي. (1967). بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس. القاهرة: دار الكاتب العربي.

ابو عبد الله محمد بن محمد الادريسي. (1989). نزهة المشتاق في اختراق الافاق. بيروت: عالم الكتب.

ابو عبد الله محمد بن ابي بكر ابن الابار . (1995). التكملة لكتاب الصلة. لبنان: دار الفكر للطباعة.

ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحميري. (1980). الروض المعطار في خبر الاقطار. بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة.

ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري. (1992). المسالك والممالك. دار الغرب الاسلامي.

احمد بن محمد الاندلسي ابن عبد ربه. (بلا تاريخ). ديوان ابن عبد ربه.

احمد مختار عبد الحميد، و اخرون. (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب.

الحميدي. (1966). جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والنشر.

الحميري اليمني، نشوان بن سعيد. (1999). شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. بيروت: دار الفكر المعاصر.

باسيليو بلبون مالدونادو. (2005). العمارة في الاندلس عمارة المدن والحصون. القاهرة : المجلس الاعلى للثقافة.

حسين مؤنس. (2002). فجر الاندلس. بيروت: دار العصر الحديث.

خليل ابراهيم السامرائي. (1976). الثغر الاعلى دراسة في احواله السياسية. بغداد: مطبعة اسد.

خليل ابراهيم السامرائي. (2000). تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

خير الدين بن محمد الزركلي. (2002). الاعلام. دمشق : دار العلم للملايين.

زكريا بن محمد القزويني. (د.ت). آثار البلاد واخبار العباد. بيروت: دار صادر.

سالم بن عبد الله الخلف. (2003). نظم حكم الامويين ورسومهم في الاندلس. المملكة العربية السعودية.

شكيب ارسلان. (د.ت). الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية . بيروت: دار مكتبة الحياة.

شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني. (1968). نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب. بيروت: دار صادر.

عبد الله بن محمد بن يوسف ابن الفرضي. (1988). تاريخ علماء الاندلس. القاهرة: مكتبة الخانجي.

علي محمد الكتاني. (2005). انبعاث الاسلام في الاندلس. بيروت: دار الكتب العملية.
علي بن احمد بن سعيد ابن حزم . (1983). جمهرة انساب العرب. بيروت: دار الكتب العلمية.
غوستاف لوبون. (2002). حضارة العرب. القاهرة: مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة.
قاسم علي سعد. (2002). جمهرة تراجم الفقهاء المالكية. دبي: دار البحوث للدراسات واحياء التراث.
محمد بن محمد الزبيدي. (1414). تاج العروس من جواهر القاموس. بيروت: دار الفكر.
محمد عبد الله عنان. (1969). دولة الاسلام في الاندلس. القاهرة : مكتبة الخانجي.
هشام بن محمد بن السائب الكلبي. (1988). نسب معد واليمن الكبير. مكتبة النهضة العربية.
ياقوت الحموي. (1996). معجم البلدان. بيروت: دار الفكر.

List of sources and references

- Ibrahim Zaki Khurshid. (1998), Summary of the Islamic Encyclopedia Sharjah: Sharjah Center for Intellectual Creativity.
- Ibn Al-Abar. (1963). Al-Hilla Al-Siraa. Cairo: Authorship, Translation and Publishing Committee Press.
- Ibn Adhari. (1983) The Moroccan Statement in the News of Andalusia and Morocco. Beirut: House of Culture.
- Abu Al-Hassan Ali bin Musa bin Saeed. (1955). Morocco in the name of Morocco. Cairo: Dar Al-Maaref.
- Abu Jaafar Al-Dhabi. (1967). With the aim of seeking the history of the men of the people of Andalusia. Cairo: Dar Al-Katib Al-Arabi.
- Abu Abdullah Muhammad bin Muhammad Al-Idrisi. (1989). Al-Mushtaq's Picnic in Breaking Through Horizons. Beirut: World of Books.
- Abu Abdullah Muhammad bin Abi Bakr Ibn Al-Abar. (1995). The sequel to the book of connection. Lebanon: Dar Al-Fikr Printing.
- Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah Al-Himyari. (1980). Rawd Almttar countries in the news. Beirut: Nasser Foundation for Culture.
- Abu Ubaid Abdullah bin Abdul Aziz Al-Bakri. (1992). Paths and kingdoms. House of the Islamic West.
- Ahmed bin Muhammad Al-Andalusi Ibn Abd Rabbo. (no date). Diwan of Ibn Abd Rabbo.
- Ahmed Mukhtar Abdel Hamid, and others. (2008). Dictionary of contemporary Arabic language. The world of books.
- Al-Hamidi. (1966). The ember quoted in mentioning the governors of Andalusia. Cairo: Egyptian House for Authoring and Publishing.
- Al-Humairi Al-Yamani, Nashwan bin Saeed. (1999). The sun of science and the medicine of the Arabs' speech is from Kaloum. Beirut: House of Contemporary Thought.
- Basilio Belbon Maldonado. (2005). Architecture in Andalusia, architecture of cities and fortresses. Cairo: Supreme Council of Culture.
- Hussein Moanis. (2002). Dawn of Andalusia. Beirut: Dar Al-Asr Al-Hadith.
- Khalil Ibrahim Al-Samarrai. (1976). The most studied gap in its political conditions. Baghdad: Asad Press.
- Khalil Ibrahim Al-Samarrai. (2000). The history of the Arabs and their civilization in Andalusia. Beirut: United New Book House.
- Khairuddin bin Muhammad Al-Zirkli. (2002). media. Damascus: House of Knowledge for Millions.
- Zakaria bin Muhammad Al-Qazwini. (d.t.). Antiquities of the country and news of the people. Beirut: Dar Sader.
- Salem bin Abdullah Al Khalaf. (2003). Umayyad rule systems and fees in Andalusia. Kingdom of Saudi Arabia.
- Shakib Arslan. (d.t.). Sundasian analysis in Andalusian news and antiquities. Beirut: Al-Hayat Library House.

- Shihab al-Din Ahmed bin Muhammad al-Tilmisani. (1968). Bringing his good branch of Al-Andalus Alrtaib. Beirut: Dar Sader.
- Abdullah bin Muhammad bin Youssef bin Al-Fardi. (1988). History of Andalusian scholars. Cairo: Al-Khanji Library.
- Ali Muhammad Al-Kattani. (2005). The resurgence of Islam in Andalusia. Beirut: Dar Al Kutub Al practical.
- Ali bin Ahmed bin Saeed Ibn Hazm. (1983). A collection of Arab genealogies. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Gustave Le Bon. (2002). Arab civilization. Cairo: Hindawi Foundation for Publishing and Culture.
- Qasim Ali Saad. (2002). Collection of biographies of Maliki jurists. Dubai: Research House for Heritage Studies and Revival.
- Muhammad bin Muhammad Al-Zubaidi. (1414). The bride's crown is one of the jewels of the dictionary. Beirut: Dar Al-Fikr.
- Muhammad Abdullah Annan. (1969). The Islamic State in Andalusia. Cairo: Al-Khanji Library.
- Hisham bin Muhammad bin Al-Sa'ib Al-Kalbi. (1988). The lineage of Ma'ad and the Great Yemen. Arab Nahda Library.
- Yaqut Al-Hamawi. (1996). Dictionary of countries. Beirut: Dar Al-Fikr.

قبيلتي الأوس والخزرج وأثرهما في نشر الاسلام في يثرب

أ. سحر عبدالله محمد أ. د. نعيم دنيان عبيد

asd.ali829@yahoo.com

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم التأريخ

المستخلص:

واجه الرسول الكريم محمد (ص) واصحابه في بداية نشر الدعوة الإسلامية شتى أنواع الأذى والاضطهاد من قبل قريش في مكة، ونظراً للصعوبات التي اعترضته الرسول (ص) وخاصة بعد وفاة عمه أبو طالب في السنة العاشرة للبعثة، وجد ان فرص النجاح بنشر دعوته خارج مكة ستكون اكبر خاصة بعد اتفاق قادة قريش على التخلص من شخص الرسول (ص) والمسلمين بعد تعرضهم للتعذيب من قبل المشركين، لذلك هاجر (ص) الى الحبشة التي كانت خير ملجئ للمسلمين من اذى قريش ومن والاهم، ليأخذ الرسول (ص) مساحته بشكل اقوى بنشر الإسلام وسيما في مواسم الحج في مكة التي يأتيها العرب من كل مكان، فكان دعوته لبعض رجال قبيلتي الاوس والخزرج للإسلام، من ثم هجرته اليهم في يثرب التي اطلق عليها (ص) فيما بعد (المدينة المنورة)، ايذاناً بدخول الدين الإسلامي مرحلة جديدة في تاريخ نشر وتكوين الدولة الإسلامية بقيادة الرسول الاكرم(ص) وبمعاضدة المهاجرين معه من مكة ونصرة أهالي يثرب من القبيلتين الذين دعاهم (ص) بالأنصار.

الكلمات المفتاحية: الهجرة، يثرب، الاوس والخزرج، النبي

The Aws and Khazraj tribes and their influence in spreading Islam in Yathrib
(Research drawn from a doctoral thesis titled: Civilian homes until the end of the era of the Prophet: a study of their general conditions)

Doctoral student: Prof. Sahar Abdullah Muhammad Prof. Dr. Naeem Dunian Obaid

Al-Mustansiriya University, College of Education , Department of History

Abstract:

At the beginning of spreading the Islamic call, the Noble Messenger Muhammad (peace be upon him) and his companions faced various types of harm and persecution from the Quraysh in Mecca. Due to the difficulties that the Messenger (peace and blessings be upon him) encountered, especially after the death of his uncle Abu Talib in the tenth year of the mission, he found that the chances of success in spreading his call outside of Mecca were limited. It will be greater, especially after the leaders of Quraysh agreed to get rid of the person of the Messenger (peace be upon him) and the Muslims after they were subjected to torture by the polytheists. Therefore, he (peace be upon him) migrated to Abyssinia, which was the best refuge for the Muslims from the harm of Quraysh and those who supported them, so that the Messenger (peace be upon him) could take his space more strongly by spreading Islam, especially during the Hajj seasons in Mecca, which Arabs come from everywhere, was his invitation to some men of the Aws and Khazraj tribes to Islam, and then his migration to them in Yathrib, which he (peace be upon him) later called (Medina), marking the entry of the Islamic religion into a new phase in the history of Spreading and forming the Islamic state under the leadership of the Noble Messenger (peace be upon him) and with the support of the immigrants from Mecca and supporting the people of Yathrib from the two tribes whom he (peace be upon him) called Ansar.

Keywords: Hijra, Yathrib, Aws and Khazraj, the Prophet

المقدمة:

بعد انتهاء الدعوة السرية لنشر الدين الإسلامي بأمر من الله سبحانه وتعالى، ابتدأت الدعوة العلنية لنشر الإسلام الى رسوله الاكرم (ص) في مكة وربوع الأرض، الا ان الرسول(ص) لاقى صعوبات كبرى اعترضته من قريش التي تمسكت بشركهم لله لتقف حائلاً في تحقيق هدفه(ص) بنشر الإسلام وتخليص الناس من الضلالة، فما كان منه (ص) الا ان يهاجر خارج مكة مع ثلة من المسلمين لمدة من الزمن، لنشر الإسلام وجمع الأنصار، الا ان التقاءه برجالات الاوس والخزرج وانشراح صدرهم للإسلام وتعهدهم بنصرته(ص) ، شكلَ مرحلة جديدة لنشر الإسلام في ربوع الأرض ولتكون يثرب قاعدة الانطلاق في نشره، ومن اجل بيان ذلك بشيء من التفصيل سنقسم الموضوع الى خمس محاور بحثية وتختم بخاتمة اشبه بالاستنتاجات وهي كالاتي:

أولاً. بداية اتصال الرسول (ص) بقبيلتي الأوس والخزرج:

عندما بدء النبي(ص) دعوته وما ان سمع بها أهل قريش واجهوها بكل جبروتهم فوقفت بوجه الدعوة الاسلامية وبذلت قصارى جهدها للنيل من صاحب الدعوة الرسول الاكرم(ص) من خلال المضايقات واساليب الاستهزاء وصنوف الاذى، لكنه(ص) صبر على ذلك كله قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (سورة الروم، الآية: 60)، وقال عز من قائل: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (سورة الكهف، الآية: 28)، وتحمل الرسول(ص)، كل انواع الاضطهاد الذي تعرض له، فقد ذكر السهيلي انه في احدى المرات نثر احد السفهاء التراب على رأسه الشريف، فدخل إلى بيته وهو على هذا الحال فقامت ابنته السيدة فاطمة الزهراء(عليها السلام)، بمسح التراب عن رأسه وهي تبكي والرسول(ص) يحفف عنها الامر قائلاً لها: "لا تبكي يا بنية، فأن الله مانع اباك" (هشام، الروض الانف في شرح السيرة النبوية، ج2، صفحة 14)، فقد كان استهزاء قومه به شديداً على نفسه، فهنالك فريق منهم كان يتبع الرسول(ص) كظله فإذا تحدث(ص) ودعا الناس إلى الايمان بالله وفرغ من كلامه قام عمه ابو لهب عبد العزّى بن عبد المطلب (ت: 2هـ/ 623م)، وقال: "يا بني فلان انما هذا يدعوكم الى ان تسلخوا اللات والعزى من اعناقكم والبدعة والضلال فلا تطيعوا ولا تسمعوا له" (اسحاق، السيرة النبوية، ج2، صفحة 65)، فقد ذكر ابن اسحاق ونقل عنه ابن هشام ان رؤوس المستهزئين كانوا خمسة هم: أهل الشرف في قومهم منهم ابو زمعة الاسود بن المطلب (ت: 2- 3هـ/ 623- 624 م)، والاسود بن عبد يغوث (غير معروف)، والوليد بن المغيرة (ت: 1هـ/ 622 م)، والعاص بن وائل (ت: 3هـ/ 624 م)، والحارث بن الطلاطله (غير معروف) (اسحاق، السيرة النبوية، ج2، صفحة 458)؛ (اسحاق، السيرة النبوية، ج2، صفحة 50).

ورغم ما تعرض له النبي(ﷺ) من أذى من هؤلاء فأن الله ثبته وملئ قلبه بالشجاعة والعزم، ولقد أشار سبحانه وتعالى الى هؤلاء المستهزئين بقوله: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (سورة الانعام، الآية 10)، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ (سورة الفرقان، الآية 41)، واتهموه بالجنون والسحر قال تعالى: تمَّ ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (سورة الحجر، الآية 6)، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ (سورة الصافات، الآية 36)، ولم تستوعب عقولهم أن الله سبحانه وتعالى يرسل اليهم رسول منهم مبشراً وهادياً قال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ (سورة يونس، الآية 2).

وانتقلوا إلى مسألة اخرى وهي سؤاله ومحاولة احراجه فردَّ القرآن عليهم بقوله سبحانه: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ { 12} أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة هود، الآيات 12-13)، وراحوا يطلبون من النبي(ﷺ) معجزات حتى يؤمنوا له فجاء جواب الرحمن بقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (سورة الاسراء، الآيات: 90-93).

وهكذا تحمل نبي الرحمة(ص) كل انواع الاضطهاد التي تعرض لها وزاد ذلك علية وفاة عمة ابا طالب(عليه السلام)، في السنة العاشرة للبعثة النبوية المباركة، فقد وقف(عليه السلام) بوجه قريش في بدايات الدعوة الاسلامية يوم قال للنبي(ص): "أمض على امرك وافعل ما احببت فوالله لا نسلمك بشيء ابداً" (اسحاق، السيرة النبوية، ج2، صفحة 299).

وكانت آخر كلماته لقومه وصيته في النبي محمد(ص) قائلاً: "أوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به... دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم، كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة وفي أجلي تأخير، لكففت عنه الهزاهز، ولدافعت عنه الدواهي" (دحلان، 2007، صفحة 44)، ولم يتأخر رسول الله (ص) عن العرفان لأبي طالب(عليه السلام)، فقد روي عن الإمام الصادق(عليه السلام) أنه قال: "لما مات أبو طالب(عليه السلام) وقف رسول الله(ص) على قبره فقال: جزاك الله من عم خيراً، فقد ربيتني يتيماً، ونصرتني كبيراً" (العاملي، 1420هـ، صفحة 221)، فقد كانت وفاة أبي طالب(عليه السلام) نقطة تحول في حياة رسول الله (ص)، وانعطافه مهمة في مسار الدعوة الإسلامية، يتضح أثر وفاة أبي طالب جلياً في قول رسول الله (ص): "ما نالت مني قريش شيئاً اكرهه حتّى مات أبو طالب" (عساكر، 1996، ج36، صفحة 225)، وفي رواية السيدة عائشة(رضي الله عنها)، عن رسول الله(ص) قال: "ما زالت قريش كافة عني حتى مات أبو طالب" (عساكر، 1996، ج36، صفحة 225)، وعلى صعيد الواقع لم يبق أمام رسول الله(ص) بعد أن أمعنت قريش في أذاه وأصحابه ومنعته من أداء رسالته إلاّ البحث عن ملاذ آمن يواصل منه الدعوة إلى الله تعالى، فكانت رحلته(عليه السلام) إلى الطائف وهي بلدة صغيرة شرق مكة على بعد اثنين وسبعين ميلاً، لكن أهلها جابهوه بالرفض وأغروا به الغوغاء من أهلها يحصبوه بالحجارة، حتى انه (ص) بلغ حداً من الجهد والتعب فناجى ربه سبحانه قائلاً: "اللهم أني اشكوا اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني ان لم يكن بك غضب علي فلا ابالي" (هشام، الروض الانف، ج2، صفحة 229)، ورغم ان اهداف النبي(ص) لم تتحقق في بالطائف لكن ذلك يدل على ان الرسول(ص) قد عزم امره على ترك مكة على الرغم من ان فراقها كان صعباً عليه، وقد شجع رفض أهل الطائف دعوة النبي(ص) أهل مكة على التمادي في تعذيب المسلمين وخاصة بعد ان دخل النبي(ص) مستجيراً بالمطعم بن عدي (ت: 1هـ/ 622 م)، وحين رأى رسول الله(ص) ان أهل مكة بدأوا يتفننون بتعذيب المسلمين، امرهم بالهجرة الى الحبشة (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص68)، واستجاب المسلمين لدعوة النبي بالهجرة وكان عددهم مائة وواحد نفراً بينهم ثمانية عشر امرأة مع اولادهم وبناتهم (هشام، الروض الانف في شرح السيرة النبوية، ج2، الصفحات 300-308)، وكانت هذه الهجرة علاوة على هدفها الاساس في التخلص من اضطهاد قريش فقد مثلت مظهراً ثقافياً ووفداً اعلامياً اريد له ان يكون شبيهاً بالسفارة لتوجيه انتباه اتباع الديانات السماوية ولا سيما النصارى الى هذا الدين الجديد وتم لهذا الوفد النجاح وكسب ود النجاشي أصحمة بن أبجرد (ت: 9هـ/ 630م)، ملك الحبشة، مما اثار أهل مكة وقلقهم على مصالحهم، فقاموا بأرسال وفد مثلة عمرو بن العاص (ت: 43هـ/ 663م)، وعبد الله بن ابي ربيعة (ت: 36هـ/ 656م)، وحملا معهما الهدايا النفيسة في محاولة لتغيير رأي النجاشي من المسلمين وطردهم من ارضه زاعمين ان هؤلاء ما جاءوا الا لكي يبذروا بذور الفتنة، لكن النجاشي أصحمة بن أبجرد (ت: 9هـ/ 630م)، رفض تسليمهم لقريش (هشام، الروض الانف في شرح السيرة النبوية، ج2، صفحة 344).

ورآى رسول الله(ص) ورؤياه صادقة ما يفتح له(ص) أفق النصر ليعزز أمل الخلاص من أذى قريش بين اصحابه في مكة قال(ص): "رأيت في المنام أني اهاجر من مكة الى ارض فيها نخل فذهب وهلي (أي ظني) الى انها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة يثرب" (مسلم، الحديث 2272، الصفحات 997-998).

ثانياً. المراحل الممهدة لهجرة المسلمين:

كان تحرك الرسول الكريم على أهل يثرب قد مرَّ بمراحل أفضت الى بيعتي العقبة، اللتين مهدتا لهجرة المسلمين ومن ثم رسول الله (ص) إليها:

1. المرحلة الأولى: لم يقف رسول الله(ص) في عرض نفسه على القبائل فقط، أنما قصد المشاهير ممن يقدم الى مكة فكانت اول معرفة بالأوس والخزرج، فحقيقة ظهور نبي في مكة يدعو الناس الى الاسلام يرجع الى العام الاول الذي سبق يوم بعاث (البلادي، 1402هـ، الصفحات 46-47)، أي قبل الهجرة بخمس سنوات (الذهبي، تاريخ الاسلام، ج1، الصفحات 170-171) ، حيث بدأ في تلك المدة اتصال الرسول(عليه السلام)، ببعض رجال الاوس والخزرج الذين كانوا يُفدون الى مكة اما حجيجاً او معتمرين او التماساً لحلف مع

قريش (اسحاق، السيرة النبوية، ج2، صفحة 289)، فكان اول اتصال مع سويد بن الصامت، من بني عمرو بن عوف من الاوس، فقد قدم الى مكة حاجاً فتصدى له رسول الله(ص) ودعاه الى الاسلام (اسحاق، السيرة النبوية، ج2، الصفحات 289-290)، فقال سويد للرسول(ص): "ولعل الذي معك مثل الذي معي، فقال له الرسول(ص) وما الذي معك؟ قال: مجلة لقمان، وكان يعني بها حكمة لقمان، فقال له الرسول(ص): اعرضها على معرضها عليه، فقال له(ص): أن هذا الكلام حسن معي افضل من هذا قرآن انزله الله على هدى ونورا وتلى(ص) عليه القرآن ودعاه إلى الاسلام فلم يبعد منه، وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف عنه وقدم المدينة فلم يلبث ان قتلته الخزرج يوم بعاث فكان رجال من قومه يقولون إنا لنرى انه قتل وهو مسلم (اليعقوبي، ج1، صفحة 37).

2. **المرحلة الثانية:** تتمثل باستمرار الرسول(ص) في اتصالاته مع أهل يثرب ودعوته الى دين الله، فقد اشار المؤرخون الى قدوم جماعة من يثرب الى مكة وهم: ابو الحيسر، انس بن رافع ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ، يلتمسون الحلف مع قريش على قومهم من الخزرج، فسعى رسول الله للقاء بهم وقد حصل له ذلك فعرض نفسه عليهم، غير أنهم كانوا مشغولين بأمر الحلف مع قريش، وانصرفوا راجعين إلى أهلهم ولم يثبت انهم اسلموا (هشام، الروض الانف في شرح السيرة النبوية، ج2، صفحة 76)، فكان يوم بعاث ثم لم يلبث اياس ان مات، فقالت جماعته انه مات مسلماً (الذهبي، تاريخ الاسلام، ج1، الصفحات 170-171)، وقيل قتل قبل يوم بعاث (اسحاق، السيرة النبوية، ج2، صفحة 291).

ويتضح مما تقدم ان تلك الاتصالات بين الرسول (ص) واهل يثرب وان لم تثمر عن اسلامهم إلا انها هيئات الاذهان والنفوس لان يكون أهل يثرب من العرب أول من احتضن الإسلام وعمل على نصرته فيما بعد.

3. **المرحلة الثالثة:** تُعد هذه المرحلة الأهم في العلاقة بين المسلمين في مكة ويثرب، فمن جانب المسلمين كان أمر الله تعالى واضحاً لرسوله(ص): "اخرج من مكة فقد مات ناصرك" (المفيد، ط2، 1413م، صفحة 74)، أما من جانب يثرب فقد وضعت بعاث أوزارها بما تمخضت عنها من نتائج جعلت من القبيلتين المتصارعتين تبحثان عَمن يلم شعاثهما ويضع حداً لصراع دام لأكثر من مئة وعشرين سنة، ووجدوا أنَ ذلك لا يدرك إلاّ من خارج يثرب، ولهذا فإنّ يوم بعاث كان هدية من الله تعالى لرسوله على حد قول السيدة عائشة(ﷺ): "كان يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسوله، فقدم رسول الله(ص) الى المدينة، وقد افترق ملؤهم، وقتل سرواتهم، وخرجوا فقدمه الله لرسوله(ص)، وجعله سبباً في دخولهم الإسلام" (البخاري، الحديث: 4388، صفحة 965)، وإنجاز وعد الله تعالى بإظهار دينه، وتحقيق حلم يثرب في يوضع نهاية لعداء استحكم ردحاً من الزمن والعيش بسلام تحت راية الإسلام، لذلك نجد ابن اسحاق ونقل عنه ابن هشام عندما ذكر هذه المرحلة يبتدئ حديثه قائلاً: "فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه، وإعزاز نبيه(ص)، وإنجاز موعده له" (هشام، الروض الانف في شرح السيرة النبوية، ج2، صفحة 76)، فالتقى "عند العقبة رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً" (هشام، الروض الانف، ج2، صفحة 77).

وعن موسى بن عقبة عن الزهري عن عروة أن أول اجتماعه(ص) بهم كانوا ثمانية، وهم: معاذ بن عفراء، وأسعد بن زرارة، ورافع بن مالك، وذكوان بن عبد قيس، وعبادة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة، وأبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة (الصالحي، ج3، 1997م، صفحة 195)، فانصرفوا إلى المدينة، فدعوا إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله (ص) (حزم، الصفحات 70-71)، فجلس إليهم(ص) وتحدث معهم "فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن"، فتنبه الفتية الى امر كانوا قد سمعوا من اليهود وقال بعضهم لبعض: "ياقوم تعلمون والله أنه النبي(ص) الذي تَوعّدَكُم به يهود فلا يسبقُنكُم إليه"، وذكر أنَّ اليهود ومن خلال معرفتهم بالنبي(ص) الذي تذكره كتبهم كانوا يقولون للعرب في يثرب: "إن نبيا الآن مبعوثٌ قد أظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرَم"، فتيقن الفتية أنَّ الذي يحدثهم هو النبي(ص)، المقصود فأجابوه وصدقوه وأسلموا، وقالوا: "قد علم الذي بين الأوس والخزرج من الاختلاف، وسفك الدماء، ونحن حراص على ما أرشدك الله به، مجتهدون لك بالنصيحة، وإنّا نشير عليك برأينا، فامكث على اسم الله حتى نرجع إلى قومنا، فنذكر لهم شأنك، وندعوهم إلى الله ورسوله، فلعل الله عز وجل أن يصلح ذات بينهم، ويجمع لهم أمرهم فإنا اليوم متباغضون متباعدون وإنك أن تقدم علينا ولم نصطلح لا يكون لنا جماعة عليك، ولكنا نواعدك الموسم من العام المقبل، فرضى بذلك رسول الله (ص) (عقبة، 1994م، صفحة 89)، وانصرفوا من عند رسول الله(ﷺ) وقد آمنوا برسالة الإسلام "فرجعوا إلى قومهم فدعوهم سرّاً وأخبروهم برسول الله(ﷺ) والذي بعثه الله به وتلوا عليهم القرآن، حتّى قل دار من دور الأنصار إلاّ قد أسلم فيها ناس" (عقبة، 1994م، صفحة 89).

أن هذه المقابلة التي حدثت عند العقبة وتلاقي فيها فريق من الخزرج النبي(ص) واسلموا على يديه لم تكن فيها بيعة لأنها كانت في نفر صغير لم يروا لأنفسهم الحق في ان يلتزموا بمعاهدة دون الرجوع الى قبائلهم في يثرب لكنهم اخلصوا في تبليغ رسالة الاسلام (الجمل، ط1، 1989م، صفحة 143).

ثالثاً. اتصال الرسول(ص) بالقبيلتين في بيعة العقبة الأولى:

بعد سنة من المقابلة الأولى التي تمت بين الرسول(ﷺ) والستة من الخزرج عند العقبة في موسم الحج حضر اثنا عشر رجلاً عشرة من الخزرج واثنان من الأوس، منهم الستة الأُوائل الذين التقوا بالرسول(ﷺ) عند العقبة من العام الحادي عشر للمبعث، خلا جابر بن عبد الله، ومعهم (البيهقي، ج2، صفحة 435)، معاذ بن الحارث بن رفاعة، ذكران بن عبد قيس، عبادة بن الصامت، مالك بن التيهان، عويم بن ساعدة، العباس بن عبادة، يزيد بن ثعلبة، وقد ذكر بن قيم الجوزية يزيد بن ثعلبة ولم يذكر العباس بن عبادة (الدين، ط2، ج3، 1405هـ، صفحة 45)، التقوا رسول الله (ﷺ) بالعقبة وبايعوه بيعة العقبة الاولى وكانت في السنة الثانية عشر من البعثة النبوية المباركة، وقد تحدث عبادة بن الصامت الخزرجي (ت: 34هـ/ 654م)، عن البيعة في العقبة الاولى كونه شاهد عيان شارك في البيعة وقد نقلها ابن هشام عن ابن اسحاق قائلاً: "قال عبادة بن الصامت: كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثنى عشر رجلاً، فبايعنا رسول الله(ﷺ) على بيعة النساء، وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب: على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق ولا نزني، ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلك الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء غفر وإن شاء عذب" (اسحاق، السيرة النبوية، ج2، صفحة 81)، بعد اتمام البيعة بعث رسول الله(ﷺ) مع المبايعين الصحابي الجليل مصعب بن عمير(ﷺ) (ت: 3هـ/ 624م) ، يعلمهم الدين ويقرئهم القرآن الكريم، فكان يسمى بيثرب المقرئ، إذ كان يؤمهم في الصلاة (ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص86)، وقد اختار (ﷺ) مصعباً لأنه(ﷺ) كان على علم بشخصية مصعب من جهة وعلمه بالوضع القائم في يثرب من جهة اخرى، فقد كان مصعباً(ﷺ) بجانب حفظة لما نزل من القرآن الكريم، يمتلك من اللباقة والهدوء وحسن الخلق والحكمة قدراً كبيراً فضلاً عن قوة أيمانه وشدة حماسة للدين (العودة، الصفحات 186-187)، فقد نزل(ﷺ) في يثرب على الصحابي الجليل اسعد بن زرارة (ت: 1هـ/ 622م)، وقد نجحت سفارة مصعب(ﷺ) في شرح تعاليم الدين الجديد وتعليم القرآن الكريم وتفسيره ولذا يمكن خلال اشهر ان ينشر الاسلام في سائر بيوتات يثرب، وان يكسب للإسلام انصار من كبار زعمائهم كالصحابي سعد بن معاذ (ت: 5هـ/ 626 م) ، واسيد بن الحضير (ت: 20هـ/ 640م)، وقد اسلم بإسلامها خلق كثير من قومهم، فقد استطاع مصعب(ﷺ) من تقوية الروابط الاخوية بين افراد القبائل المؤمنة من جهة وبين النبي(ﷺ) وصحبه (رض الله عنهم) بمكة المكرمة لإيجاد القاعدة الامينة لانطلاق الدعوة (شبهة، ط3، ج1، 1996م، صفحة 441).

رابعاً. انتشار الاسلام في يثرب بيعة العقبة الثانية:

بعد بيعة العقبة الاولى انتشر الاسلام في يثرب بسرعة كبيرة جداً وفي مدة وجيزة حتى قيل انه لم تبق دار من دور الاوس والخزرج إلا وبها رجال ونساء مسلمين (الذهبي، تاريخ الاسلام، ج1، الصفحات 176-177)، اذ ان فكرة بيعة العقبة الثانية جاءت من قبل الاوس والخزرج وتم الاعداد لها في يثرب، فقد اجتمع بحدود الخمسمائة نفر منهم، وقد حددوا هدفهم وهو الاجتماع بالنبي(ﷺ)، في موسم الحج والعمل على انقاذه من الوضع الذي هو فيه وتوفير المكان الأمن له، فقد عرفوا كل شيء عن رسول الله(ﷺ)، وما كان يعانيه من اذى قومه، وربما علموا بذلك من خلال مبعوث الرسول(ﷺ) مصعب بن عمير والى ذلك اشار الصحابي جابر بن عبد الله (78هـ/ 997م)، قائلاً: "ان رسول الله(ﷺ) لبث عشر سنين يتبع الحاج في منازلهم في الموسم وبمجنة وبعكاظ وبمنازلهم بمنى من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالات ربي عز وجل وله الجنة فلا يجد أحداً ينصره ويؤويه" (حنبل، الحديث 14456، ط1، ج22، 2001م، صفحة 347)، من خلال اجتماعات الأوس والخزرج حول ذلك تم اختيار نخبة من كلا الجانبين يتولى اعداد منهج للقاء والهدف منه فقال قائلهم: "ثم بعثنا الله (عز وجل) فأتمرنا واجتمعنا سبعون رجلاً منا فقلنا: حتى متى نذر رسول الله(ﷺ) يطرد في جبال مكة ويخاف" (حنبل، الحديث 14456، ط1، ج22، 2001م، صفحة 346)، وفي الموسم قدمت قافلة حجيج يثرب من السنة الثالثة عشر من البيعة النبوية المباركة، وكان من بينهم النخبة التي اختارها مسلمو يثرب وهم سبعون رجلاً يزيدون رجلاً او رجلين في خمر أي جماعة الأوس والخزرج وهم خمسمائة (هشام، الروض الانف في شرح السيرة النبوية، ج2، صفحة 88)،

فقد واعدوا الرسول(ﷺ) عند العقبة في اواسط ايام التشريق في الشعب الايمن المنحدر من منى بأسفل العقبة (سعد، ج1، صفحة 221)، وفي رواية ثانية في دار عبد المطلب على العقبة (القمي، ط3، ج1، 1404هـ، صفحة 272)، وكان ذلك في ذي الحجة من السنة الثالثة عشر من المبعث النبوي الشريف وبالتحديد في الثلث الثاني من ليل اواسط ايام التشريف ليلة النفر الاول (اسحاق، السيرة النبوية، ج2، صفحة 86).

وقد ذكر ابن هشام ان من حضر اللقاء مع رسول الله والمبايعين من أهل العقبة عمة العباس بن عبد المطلب (ت: 32هـ/ 653م)، وهو على دين قومه ليس معه احد (اسحاق، السيرة النبوية، ج2، صفحة 86) (السيرة النبوية، ج2، ص86)، بينما ذكر القمي والطبرسي ان من حضر اللقاء عمه الحمزة (ت: 3هـ/ 624م)، وعمه العباس والامام علي(عليه السلام) (التفسير، ج1، صفحة 273).

في حين ذكر المقريزي ان من حضر اللقاء الامام علي(عليه السلام) وابو بكر(رضي الله عنه) وعمه العباس (علي، ط1، ج1، 1999م، صفحة 53)، وذكر ابن سعد ان رسول الله(ﷺ) جاء ومعه عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان العباس اول من تكلم فقال: "يا معشر الخزرج قال. وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الانصار الخزرج خزرجيها وأوسها، إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعون ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده"، وفي رواية اخرى لابن سعد قال: ان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال: "يا معشر الخزرج إنكم قد دعوتم محمداً إلى ما دعوتموه إليه، ومحمد من أعز الناس في عشيرته، يمنعه والله منا من كان على قوله، ومن لم يكن منا على قوله يمنعه للحسب والشرف، وقد أبى محمد الناس كلهم غيركم، فإن كنتم أهل قوة وجلد وبصر بالحرب، واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة، فارتأوا رأيكم، وأتمروا بينكم، ولا تفترقوا إلا من ملأ منكم واجتماع، فإنَّ أحسنِ الحديث أصدقه" (الحلبي، ج2، 1964م، صفحة 175)، قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت, قال: فتكلم رسول الله(ﷺ) فتلا القرآن ورغب في الإسلام ثم قال: "أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم" قال: فأخذ البراء بن معرور(رضي الله عنه) بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة، ورثناها كابراً عن كابر، قال: فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله(ﷺ)، ابو الهيثم بن التيهان(رضي الله عنه) فقال: " يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالاً وإنا قاطعوها، يعني اليهود، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟" قال: فتبسم رسول الله(ﷺ) ثم قال: "بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم ومنكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم" (حنبل، المسند، ج3، الحديث 15836، صفحة 461).

وفي رواية: قال رسول الله(ﷺ) "بل الدمُ الدمُ والهدمُ الهدمُ، المحيا محياكم، والممات مماتكم، وأحارب من حاربكم، وأسالم من سالمكم، أخرجوا إلي منكم اثنى عشر نقيباً، يكونوا نقباء على الناس "فأخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس"(ابن حنبل، المسند، ج3، ص461 الحديث 15836)، فقال رسول الله(ﷺ): "إن موسى أخذ من بني اسرائيل اثني عشر نقيباً، فلا يجدنَّ أحد في نفسه أن يؤخذ غيره، فإنما يختار لي جبريل" (سعد، ج1، صفحة 172)، فلما تخيرهم قال للنقباء: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي، قالوا: نعم" (هشام، الروض الانف في شرح السيرة النبوية، ج2، صفحة 59).

خامساً. العوامل التي ساعدت في اسلام قبيلتي الأوس والخزرج:

كانت هنالك عدة عوامل ساعدت على جعل الأوس والخزرج أول من اعتنق دعوة الاسلام وعمل على مؤازرتها ومن تلك العوامل:

1. ما حل بالأوس والخزرج من ضعف وافتراق بعد يوم بعاث الذي قضى على كثير من زعمائهم (السمهودي، ج1، الصفحات 222-223)، وقد اعتبر يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسوله(ﷺ) في دخول الأوس والخزرج في الاسلام، مما سهل مهمة الرسول(ﷺ) فقدم يثرب(ﷺ)، وقد افترق ملؤهم وقتلت سراتهم أي اشرافهم (الذهبي، تاريخ الاسلام، ج1، صفحة 171) ، فلم يبقى إلا القيادات الشابة الحديثة المستعدة لقبول الحق فضلا عن عدم وجود قيادة بارزة معروفة يتواضع الجميع على التسليم بها فكانوا بحاجة الى من يتألفون عليه ويلتئم شملهم تحت طلبه.

2. ما طبع عليه قبائل الأوس والخزرج من الرقة واللين وعدم المغالاة في الكبرياء وجحود الحق وذلك يرجع الى الخصائص الدموية والسلالية التي اشار إليها(ﷺ) حين وفد من اليمن بقوله(ﷺ): "أتاكم أهل اليمن هم ارق أفئدة وألين قلوباً (البخاري، الحديث: 4388، صفحة 773)، فالأوس والخزرج يرجع اصلهما الى اليمن نزح اجدادهم في الزمن القديم (النووي، صفحة 154).

3. تشبع الأوس والخزرج بالفكرة الدينية وطقوسها بحكم مجاورتهم لليهود وتأثرهم بهم (الاصفهاني، ج4، الصفحات 139-140)، مما جعلهم على علم ولو بيسير بأمر الرسالات السماوية وخبر المرسلين السابقين وهم في مجتمعهم يعيشون هذه القضية في حياتهم اليومية وليسوا مثل قريش التي لا يسكنها الكثير من أهل كتاب وانما غاية امرها ان تسمع اخباراً متفرقة عن الرسالات والوحي الالهي دون ان تلح عليها هذه المسألة او تشغل تفكيرها باستمرار كان اليهود يهددون الأوس والخزرج بنبي قد اظل زمانه ويزعمون انهم سيتبعونه ويقتلونهم به قبل عاد وارم (الذهبي، تاريخ الاسلام، ج1، صفحة 172).

4. التنافس والتفاخر القبلي بين الأوس والخزرج قد اسرع بدخول الحيين في الاسلام، فان خوف الخزرج من ان تسبقهم الأوس الى دخول الاسلام ونصرة رسول الله(ﷺ) جعلهم يقطعون الطريق على اخوانهم من الأوس فاعلنوا استعدادهم لمحالفة الرسول(ﷺ) والطلب اليه(ﷺ) من ان يهاجر إليهم ليدعو قومهم الى أمر الله والى الاسلام (السمهودي، ج1، الصفحات 222-223).

الخاتمة:

نستنتج مما سبق بان دخول قبيلتي الاوس والخزرج الى الإسلام وهجرة الرسول (ﷺ) من مكة الى يثرب مثلت مرحلة جديدة في نشر الدين الاسلامي، التي كانتا خير داعم وناصر على قريش ومن والهم من العرب، وهكذا كسر الإسلام طوق الحصار المفروض عليه في مكة لينتشر في يثرب، ففتحت ابوابها لرسول الله(ﷺ) لتكون الملاذ الآمن الذي يبحث عنه، ومع كل ما كان يتعرض له(ﷺ) من اضطهاد في مكة لكنه لم يكن متسرعاً في الخروج منها إلا بعد ان يهيئ الركائز الاساسية لنجاح مشروعه في الانتقال فكانت بيعتا العقبة هما الركيزتين لهذا المشروع، ويمكن بيان أبرز الاستنتاجات التي توصل اليه البحث وفقاً للآتي:

1. مثلت الهجرة النبوية فضلا عن هدفها الرئيس في التخلص من اضطهاد قريش، مظهراً ثقافياً ووفداً اعلامياً لتوجيه انتباه اتباع الديانات السماوية و سيما النصارى الى الدين الجديد.

2. أن المقابلة التي حدثت عند العقبة بين وفد من الخزرج للنبي(ﷺ) واسلامهم على يديه، لم تكن فيها بيعة لأنها كانت في نفر صغير لم يروا لأنفسهم الحق في ان يلتزموا بمعاهدة دون الرجوع الى قبائلهم في يثرب.

3. ان فكرة بيعة العقبة الثانية جاءت من قبل الاوس والخزرج، اذ اجتمع بحدود الخمسمائة نفر منهم، وقد حددوا هدفهم وهو الاجتماع بالنبي(ﷺ)، في موسم الحج والعمل على انقاذه من الوضع الذي هو فيه وتوفير المكان الأمن له.

4. ان تشبع الأوس والخزرج بالفكرة الدينية وطقوسها بحكم مجاورتهم لليهود وتأثرهم بهم، جعلهم على علم ولو بيسير بأمر الرسالات السماوية وخبر المرسلين السابقين وهم في مجتمعهم يعيشون هذه القضية في حياتهم اليومية وليسوا مثل قريش التي لا يسكنها الكثير من أهل كتاب.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن اسحاق. (ج2). *السيرة النبوية*.

ابن اسحاق. (ج2). *السيرة النبوية*.

ابن اسحاق. (ج2). *السيرة النبوية*.

ابن حزم. (بلا تاريخ). *جوامع السيرة*.

ابن حنبل. (الحديث 14456، ط1، ج22، 2001م). *المسند*. بيروت.

ابن حنبل. (ج3، الحديث 15836). *المسند*.

ابن سعد. (ج1). *الطبقات الكبرى*.

ابن عساكر. (1996، ج36). *تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية حلها واجتاز بنواحيها من وارديها واهلها*. بيروت.

ابن عقبة. (1994م). *المغازي*. المغرب.

ابن هشام. (ج2). *الروض الانف*.

ابن هشام. (ج2). *الروض الانف في شرح السيرة النبوية*. ص14.

ابو الفرج الاصفهاني. (ج4). *الاغاني*.

ابو شبهة. (ط3، ج1، 1996م). *السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة*. دمشق.

البخاري. (الحديث: 4388). *الصحيح*.

البيهقي. (ج2). *دلائل النبوة*.

التفسير. (ج1).

الجمل. (ط1، 1989م). *هجرة الرسول وحمايته في القرآن والسنة*. مصر.

الحلبي. (ج2، 1964م). *السيرة الحلبية*. القاهرة.

الذهبي. (ج1). *تاريخ الاسلام*. القاهرة.

الذهبي. (ج1). *تاريخ الاسلام*.

السمهودي. (ج1). *وفاء الوفا*.

الشيخ المفيد. (ط2، 1413م). *ايمان ابو طالب*.

الصالحي. (ج3، 1997م). *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*. مصر.

العاملي. (1420ه). *الدر النظيم في مناقب الائمة الهاميم*. ايران.

العودة. (بلا تاريخ). *الغرباء الاوائل*.

القمي. (ط3، ج1، 1404ه). *تفسير القمي*. قم.

النووي. (بلا تاريخ). *السيرة النبوية*.

اليعقوبي. (ج1). *تاريخ اليعقوبي*.

تقي الدين احمد بن علي. (ط1، ج1، 1999م). *امتاع الاسماع بما لنبي من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع*. بيروت: دار الكتب العلمية.

دحلان. (2007). *اسنى المطالب في نجاة ابي طالب*. عمان.

سورة الاسراء. (الآيات: 90-93).

سورة الانعام. (الآية 10).

سورة الحجر. (الآية 6).

سورة الروم. (الآية: 60).

سورة الصافات. (الآية 36).

سورة الفرقان. (الآية 41).

سورة الكهف. (الآية: 28).

سورة هود. (الآيات 12-13).

سورة يونس. (الآية 2).

شمس الدين. (ط2، ج3، 1405ه). *زاد المعاد في هدى خير العباد*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

عاتق البلادي. (1402ه). *معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية*. مكة المكرمة.

مسلم. (الحديث 2272). *الصحيح، كتاب الرؤيا*.

الجيش الاحمر الصيني (1924 – 1949)

أ.د. صفاء كريم شكر
dr.safaa75@yhoo.com
كلية التربية، الجامعة المستنصرية، قسم التاريخ

م.م. انتصار علي حسين عبود
Antasr85@yahoo.com
وزارة التربية / مديرية تربية الرصافة الثالثة

ملخص البحث

يعد الجيش الاحمر الصيني الجناح العسكري للحزب الشيوعي الصيني من أبرز جيوش شرق آسيا الذي ذاع صيته وتعود نجاحات الحزب كلها بفضل الجيش الاحمر الذي كانت بدايات تأسيسه (1924–1927)، وله دور كبير في لملمة صفوف الجماهير من الفلاحين وغيرهم وتدريبهم وتعليمهم وتغذيتهم بالفكر الشيوعي والتصدي لحزب الكومنتانج ، وكانت مدة النضال والكفاح طويلة خاضها الجيش الاحمر منذ 1924 إلى عام 1949، وفي عام 1947 تحول اسمه إلى جبهة التحرير الشعبي.

الكلمات المفتاحية: الجيش الاحمر ، الصين، اليابان، الشيوعية.

Chinese Red Army ,japan,Communism

Prof. Dr. Safaa Karim Shukr(Ph.D)
College of Education,Al-Mustansiriya University

Asst.Lect.Antisar Ali Hussein Abboud
Ministry of Education /Third Rusafa Education Directorate

Abstract:

The Chinese Red Army, the military wing of the Chinese Communist Party, is one of the most prominent armies in East Asia that has gained fame. All of the party's successes are due to the Red Army, which was founded in 1924-1927. It has a major role in bringing together the ranks of the masses of peasants and others, training them, educating them, and nourishing them with communist thought. The Red Army had a long period of struggle and struggles from 1924 to 1949, and in 1947 its name changed to the People's Liberation Front.

المقدمة :

كانت الصين تعاني من انقسامات داخلية مما دفع الى التحالف الثنائي بين الحزب الشيوعي الصيني وحزب الكومنتانغ تحت مظلة سون يات سن، ولكن بسبب سياسة تشانغ كاي شيك ومحاولته الانفراد والسيطرة على الحكم مما ولد خلاف بين تشانغ كاي شيك وماوتسي تونغ وانفصل الحزبين عام 1927،وبسبب المذابح في شنغهاي مما دفع ماوتسي تونغ الى انهاء التحالف مع الكومنتانغ وتأسيس أكبر قاعدة عسكرية للجيش الاحمر في اقليم كيانغسي التي وقفت بوجه حملات الكومنتانغ العسكرية أبتداء من كانون الأول عام ١٩٣٠.

أن دور الجيش الاحمر تمكن من مواجهة قوات الكومنتانغ والتصدي للحملات الثلاث لقوات الكومنتانغ على قاعدته في اقليم كيانغسي ١٩٣١ وبدأ للتصدي للحملة الرابعة والخامسة لقوات الكومنتانغ وعندما اشتدت الهجمات على قواته قرر قيادتهم في مسيرة طويلة عبر السهول والوديان والجبال الى أن وصلوا إلى بر الأمان عند منطقة شنسي، وبعد أن أستقر هناك اصبح الجيش قوياً وبسبب الحرب الغير معلنه من قبل اليابان على الصين واحتلالها اراضي واسعة من الصين اضطر ماوتسي تونغ التحالف مع حزب الكومنتانغ المتمثلة بحكومة تشانغ كاي شيك من أجل قتال اليابان إلى أن نجح في تشكيل الجبهة المتحدة في شباط عام ١٩٣٧.

خلال الحرب العالمية الثانية حاولت الولايات المتحدة الوساطة بين الجيش الاحمر بقائده ماوتسي تونغ والحكومة الوطنية برئاسة تشانغ كاي شيك لكن المحاولات فشلت . استأنف الجيش الاحمر الحرب الاهلية مع جيش الحكومة الوطنية بعد الحرب العالمية

الثانية خلال المدة ما بين ١٩٤٥- 1949 الى ان تمكن الجيش الاحمر من احراز النصر وإعلانه قيام جمهورية الصين الشعبية بتاريخ تشرين الأول ١٩٤٩.

المبحث الاول: دور الجيش الاحمر الصيني 1924-1937

اولا: تأسيس الجيش الصيني الاحمر ١٩٢٤.

الجناح العسكري للحزب الشيوعي الصيني بدأ تنظيماته منذ عام (1924-1927) وساعد في نمو هذا الجيش الأفكار الشيوعية بين صغار الضباط في الجيش الصيني وكانت من أهدافه المحافظة على الجمهورية الشيوعية في الصين مع المحافظة على استقلالية الجيش والدفاع عن الصين أرضا وشعبا ورافق ذلك تأسيس اكاديمية (وامبوا) العسكرية في نيسان 1924 واختير تشانغ كاي تشك[1] رئيساً لها وشو ان لاي[2] مساعداً له. (سنو، ١٩٧٠، صفحة 100)

---

[1] تشانغ كاي تشك : ولد عام ١٨٨٨ من مؤسسي حزب الكومنتاتج ومن الفتيان الأوائل الذين وقفوا مع سون بات سن كان يلقب بـ (الجنرال الأعظم) وقد درس في المدرسة الحربية في طوكيو عام ١٩١١، وكان عضوا في جمعية (الحلقة الخضراء) وهي إحدى الجمعيات القومية في شنغهاي. وكان ينتمي إلى منظمة التامانيه (The Concise Oxford Dictionary) وهي منظمة سياسية ديمقراطية مركزها في نيويورك توحي بالفساد السياسي ورئيسها (تديو – ديه – شنغ) احد البارزين والمؤسسين لحزب الكومنتاتج ذهب تشانغ إلى موسكو عام ١٩٢٤ وكان الضابط الصيني الأول في الاتحاد السوفيتي ثم عاد ليتسلم قيادة حزب الكومنتاتج بعد وفات سون يات سن ودخوله بصراع مع بوردين لزعامة الحزب عام ١٩٢٥، وبعدها مباشرة استلم رئاسة الجمهورية عام ١٩٢٧ مستفيدا من خلفيته الحزبية ومكانته العسكرية والبرجوازية بين مريديه، وقد استطاع تكوين له اسر كبرى شكلت أحلاف له وهي (تشانغ كاي تشك وهي أسرته – وأسرة سونغ واسرة هونغ التي أرتبط معها بالزواج وأسرة صديقه شن ليفو) يعتبر تشانغ من أصحاب البرجوازية الصينية اليمينية في الحزب الذي يدعو إلى أن على الحزب الشيوعي الصيني أن ينظم إلى حزب الكومنتاتج – تزوج عام ١٩٢٧ من أرملة سون يات سن وهي (تف سونج) مما أكسبه شرعية إضافية للحكم. أن عهد تشانغ رغم عيوبه تشوبه بعض الإيجابيات فعلى الجانب الاقتصادي أستطاع أن ينهض ويطور التجارة الصينية ولاسيما مدينة شنغهاي حيث أصبح مركزاً تجاريا دولياً على الرغم من أنه لم يملك الأراضي للفلاحين خوفاً من الـد الشيوعي وقد قوت علاقته مع أصحاب ملاك الأراضي . أما على صعيد التعليم فقد شجع على التعليم ولاسيما الأميين منهم وتشجيعه على طبع كتب التعليم اللغة الصينية. أما على الصعيد السياسي والدستوري فقد أنشأ دستورا للصين عام ١٩٢٩ . وقد اشتهر بحروب الأهلية مع الحزب الشيوعي الصيني وكذلك مقاومة الغزو الياباني عام ١٩٣٧ عند تأسيس الجبهة الوطنية المتحدة . استقال عام ١٩٤٨ أثر نجاح الثورة الشيوعية في الصين وارند إلى فرموزا وأعلنها مقراً للجمهورية الصينية. (شكر، 2007، صفحة 141) (بديوي، 2018، صفحة 25)

[2] شو أن لاي: ولد عام ١٨٩٨ من طبقة (المندرينيت) وهي طبقة ارستقراطية من الطبقات العليا للمجتمع الصيني ولد ونشأ في مدينة هونان في مقاطعة كيتنسجون، وكان يجيد اللغة الانكليزية لانه تعلم في مدرسة إرسالية أميركية وتلقى تعليمه في الصين واليابان وأوربا، وقضى جزء من طفولته في منشوريا ثم رحل إلى اليابان، ثم أصبح رئيس تحرير لجريدة يومية واتحاد الطلبة وأسس منظمة اليقظة) وهي جماعة من الشيوعي الصيني الذي شارك في تأسيسه عام ١٩٢١ وسعى إلى التحالف بين الكومنتاتج الشباب الوطنيين المثقفين وبسبب مشاركته في حركة ٤ / أيار / ١٩١٩ سجن وانظم إلى الحزب والحزب الشيوعي الصيني عام ١٩٢٤ الذي كان بزعامة سون يات سن بعد ذلك أنفصل عن حزب الكومنتاتج وأصبح مسؤولا عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في شنغهاي واعتقل عام ١٩٢٥ الماركسية بشكل رسمي. واصبح المفاوض السياسي العام للحزب الشيوعي الصيني إثناء الصراع مع الكومنتاتج، وقد شارك في انضمام الحزب الشيوعي الصيني إلى المؤتمرات الدولية العالمية ومن الذين دعوا الى تأسيس الجبهة الوطنية الموحدة مع الكومنتاتج عام ١٩٣٧، استلم رئاسة الحكومة الصينية بعد عام ١٩٤٩، ولم ينل شو أن لاي أي تدريب عسكري وكان تجربته مع الطبقة العاملة محدودة جداً كونه أبنا لعائلة برجوازية ،ولم يكن لديه مستشارين وكان من الطبقة الأكاديمية العليا في الحزب الشيوعي الصيني. ومن المرافقين الأوائل لماوتسي تونغ توفي عام ١٩٧٦. (شكر و حسين، ٢٠١٨، الصفحات 11-12) (منصور، 2018)

ضمن مؤتمر 1924 الذي ضم الحزب الوطني الصيني (الكومنتانغ) والحزب الشيوعي الصيني[1] وكانت من مقرراته هو تأسيس جيش داخلي واحد.

ولكن وفاة سون يات سن[2] في 12/آذار 1925 بمرض الكبد أدى إلى بداية الحرب الاهلية بين الحزبين عام 1927 الذي يعد ذاك العام انفصال الحزبين وبداية الحرب الاهلية بينهما.

ولم يقتصر دور الجيش الأحمر على تقوية علاقاته السياسية مع المقاطعات الصينية الشيوعية فقط بل استطاع أن يدخل في صفوف المقاطعات ذات الأغلبية المسلمة ويكسبها إلى جانبه ووضعت التعليمات الأساسية الثلاث للجيش الأحمر وهي : أولا : الطاعة السريعة للأوامر ثانيا : عدم مصادرة ممتلكات الفلاحين ثالثا : تسليم كل المواد المصادرة من الاقطاعين ووضعها تحت التصرف الحكومي أما مبادئه الأساسية فهي : إعادة جميع الأبواب إلى مكانها عند مغادرتك البيت (لان الأبواب في البيت الصيني خشبية وهي سهلة الخلع وتستخدم عادة كاسرة للنوم) اعد ترتيب فراش القش الذي تستعمله للنوم كن، مؤدبا وخلوقا مع الناس وساعدهم بقدر إمكانيتك اعد كل ما تستعيره من أشياء ادفع تعويضا لكل ما تسبب في تخريبه كن أمينا صادقا في جميع مداولاتك وتعاطيك مع الفلاحين ادفع ثمنا كاملا لكل ما تشتريه من ،مواد حافظ على الصحة العامة ولا تقم مرافق عامة قرب بيوت الشعب. (البياتي، ٢٠١٤، صفحة 64)

ثانياً: الأوضاع الداخلية في الصين ١٩٢٥-١٩٢٧

كانت الصين تعاني من انقسامات داخلية، فتحالف حزب الكومنتانغ مع الحزب الشيوعي. بدأت الدعوة إلى توحيد الصين تنشط بين الأوساط الصينية، فجرت اتصالات بين سون يات سن رئيس حكومة كانتون في جنوب البلاد عام 1923،وتساو كون رئيس حكومة بكين في الشمال تقرر بموجبها عقد مؤتمر يهدف إلى توحيد الصين سلمياً ويدعى اليه كافة أمراء الحرب بدأ ماو تسي تونغ مهمته الجديدة في شهر كانون الثاني عام ١٩٢٥، فخرج إلى الحقول للعمل على تنظيم صفوف الفلاحين، انطلقت الحملة بقيادة الجنرال تشانغ كاي شيك في ٩ تموز عام ١٩٢٦ (البياتي، ٢٠١٤، صفحة 64) ، في ٥ أيلول ١٩٢٦ وحررت مدينة ووهان ولم تمض سوى ستة أشهر فقط حتى تم تحرير وسط الصين وشرقها (أوين، ١٩٤٥، الصفحات 28-29) ، وفي الثاني من آذار عام ١٩٢٧، تم تحرير مدينة شنغهاي على يد الشيوعي شو ان لاي، في الوقت الذي كان فيه الجيش الوطني يزحف باتجاه الشمال كان ماو تسي تونغ يقوم بتهيأة الفلاحين وتنظيمهم داخل المدن وبذلك شكل ماو تسي تونغ جيشاً أخراً من الفلاحين ساعد كثيراً على نجاح الحملة ضد أمراء الحرب وملاكي الأراضي. (ايشتاين، ١٩٥٧، صفحة 125)

---

[1] الحزب الشيوعي الصيني : تأسس في ٧ تموز عام ١٩٢١ اتخذ من شنغهاي مقرا له، وصدر العدد الأول لجريدة الحزب الشيوعي عام ١٩٢١ ، بدأ الحزب ينتشر بصورة سريعة ، ولاسيما بين عمال سكك الحديد عقد أول مؤتمر للحزب للمدة من تموز إلى آب عام ١٩٢١ وحضره ثلاثة عشر مندوبا بما في ذلك ماوتسي تونغ الذي تم إختياره رئيسًا لفرع الحزب في مقاطعة هونان وممثلين عن ٥٣ مجموعات شيوعية في الصين وخارجها إذ كان معظم المندوبين والأعضاء من المفكرين، أقر المؤتمر أول دستور للحزب وحدد أهدافه وتم انتخاب أول أمين عام للحزب خلال المؤتمر تشين تو هسيو، أما الخطاب الإفتتاحي ألقاه المندوب الروسي مارينغ Mar Enng توسعت عضوية الحزب بعد عام ١٩٢٦ ، تعاون مع حزب الكومنتانغ ضد أمراء الحرب من أجل توحيد البلاد، تلقى الحزب دعمًا من الاتحاد السوفيتي وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية خاض الحزب حربًا أهلية طاحنة مع الحكومة الصينية التي كان يقودها الحزب القومي وتمكن في النهاية من السيطرة على الحكم عام 1949، واصبح ماو رئيساً للجمهورية. (شكر و حسين، ٢٠١٨، الصفحات 11-12)

[2] سون يات سن: اسمه الحقيقي (سون وين) ولكن الناس لقبوه بـ(يات سن) ومعناه الحر، أن من عادة اهل الصين أن يلقبوا الشخص بعدة ألقاب، ولقب بابو الصين . ولد في مدينة بإقليم كو انج عام ١٨٦٦ من أسرة فلاحية تنتمي لجماعة التايبينغ المسيحية تعلم في المدارس التبشيرية الأميركية والبريطانية، ثم درس الطب في هونك كونك وتخرج عام ١٨٩٢ ليبدأ نشاطه السياسي في هذه السنة، حيث أسس سنة ١٨٩٤ منظمة عرفت (جمعية إحياء الصين)، وقاد ثورة عام ١٩١١ حيث أطاح بالإمبراطورية المانشو وأسس جمهورية الصين عام ١٩١٢، ولكنه تخلى عن الرئاسة ليتزعم يوان شي كاي رئاسة الجمهورية بدلا عنه. و زوجوه أهله من (لو –زو) وهي امرأة صينية متنصرة، وهو في العشرين من عمره وكان غاية أهله من هذا الزواج أن يغريه بالاستقرار، ثم طلقها وتزوج من (سونج –تئيل) ١٨٩٣ – ١٩٨١ قادت جيش لمقاتلة تشانغ كاي تشك عام (١٩٤٦) إحدى بنات سونج رجل الأعمال وحفيد أسرة كونفوشيوس كان في الخمسين من العمر بزواجه الثاني توفي عام ١٩٢٥ بمرض سرطان الكبد. (عبدالله، ٢٠١١) (شكر، 2013، الصفحات 25-45)

نتيجة للإضرابات العديدة التي قام بها العمال في شنغهاي بتحريض من الشيوعيين، كاضراب السابع والعشرين من شباط عام ١٩٢٧ الذي ضم نحو ثلاثمائة ألف عامل، وكذلك أضراب الحادي والعشرين من آذار الذي ضم نحو ثمانمائة ألف عامل صيني، لذلك أوعز تشانغ كاي شيك عام ١٩٢٧ بصورة سرية لحلفائه بحرق المدينة وقتل الأجانب رمياً بالرصاص وذلك بهدف أثارة الرعب في قلوب الناس من الشيوعيين كانت هذه الاضرابات سبب جعلت تشانغ كاي شيك لضرب الشيوعيين نتيجة تضرر مصالح رجال الأعمال من الطبقة البرجوازية في شنغهاي، وهم الممولون الرئيسيون لجيشه. (ايشتاين، ١٩٥٧، صفحة 125)

هناك عدة اسباب كانت دافعا رئيسيا لانتهاء التحالف بين الكومنتانغ والحزب الشيوعي الصيني اولها رغبة تشانغ كاي شيك تسلم مقاليد رئاسة حزب الكومنتانغ ،وكذلك السلطة في الصين، وكذلك ازدياد شعبية ماو تسي تونغ وحزبه الشيوعي فضلا عن الخلافات التي ظهرت بين أعضاء الكومنتانغ انفسهم والاختلاف الكبير بين ايدوليوجية الحزبين. (باين، ١٩٧٦، صفحة 114)

ثالثاً : دور الجيش الاحمر في الصين ١٩٢٧-١٩٣٦

عقد الحزب الشيوعي الصيني في ٧ تموز ١٩٢٧ اجتماعا طارئاً لوضع الخطة التي يسير عليها الحزب في المرحلة اللاحقة وبعد انفصاله عن الكومنتانغ (البياتي، ٢٠١٤، الصفحات 56-57) تقرر في الاجتماع ما يأتي:-

١ – عزل (تشن تو هسيو) من قيادة الحزب على الرغم من أنه قدم استقالته وعده متراجعاً عن نصرة الشيوعيين لان تشين تو هسيو كان دائما معارض لمشاريع ماو تسي تونغ[1] التي تؤدي للحرب الاهلية .

٢ – تعيين تشو تشيو باي رئيساً للحزب.

٣ – تشكيل وحدات عسكرية من العسكريين الشيوعيين المنسحبين من قوات الكومنتانغ (وأخذت هذه الوحدات تعرف بعد ان انظم اليها فيما بعد مجاميع من الفلاحين بجيش التحرير الشعبي الصيني).

4- فضلاً عن ذلك جرى في الاجتماع ترقية ماو تسي تونغ إلى المكتب السياسي للحزب الشيوعي هو أعلى سلطة في الحزب كما أن ما و رفع خلال ذلك الاجتماع شعاره المعروف وهو (السلطة في فوهة البندقية).

اما ماو تسي تونغ فعاد إلى تشانغشا متخفياً وأخذ ينتقل بين قرى ومقاطعات هونان واتصل بالجمعيات الفلاحية التي كان قد شكلها أبان الاستعداد لعمليات تحرير الشمال والتي كانت تسيطر على أقليم هونان فكون منهم فرقاً عسكرية قوامها بضعة الاف وبعد ان نظم صفوفهم قرر مهاجمة مدينة تشانغشا وتحريرها من سيطرة الكومنتانغ. (باين، ١٩٧٦، صفحة 114)

نفذ ماو تسي تونغ عمليته التي أطلق عليها انتفاضة (حصاد الخريف) بتاريخ 11 أيلول ١٩٢٧، رغم فشل هذه الانتفاضة إلا أنها أسست لماو تسي تونغ أسطورته في كونه قائد ثورة الفلاحين في الصين التي كانت نواتها الأولى قد شكلت في جبل شينغ كانتشان كما

---

[1]ماو تسي تونغ ولد عام ١٨٩٣، من أب فلاح يصفه الناس بالجشع، وديانته الكونفوشيوسية مرام – متدينة بالديانة البوذية ذات طبيعة مسالمة، وقد ورث حب المعارضة والثورة نتيجة قسوة ليبيا وبخله على الفلاحين واعتراضهم على ذلك نشأ في مدينة هونان وكان لها الأثر الواضح في تعلق بالفلاح الصيني، كان عمره ثمانية أعوام أثناء قيام ثورة البوكسرز وقد تأثر بأفكار جده الذي كان يكره الأجانب وعزز في نفسه حب الأبجدية والأدب الصيني. عام 1905 توفيت أمه التي أثرت في شخصية كثيراً حتى أنه فكر بالانتحار بعدها تطوع بالجيش المعادي للنظام الإمبراطوري عام 1911 وشارك مع سون يات من في تأسيس الجمهورية عام ١٩١٢ انتسب إلى دار المعلمين عام ١٩١٣ وفي عام ١٩١٥، اصبح سكرتير جمعية الطلبة، في عام ١٩١٩ أسس مجلة (نهي بيانج) لترويج أفكار حركة / أيار / ١٩١٩ . كانت زوجته الأولى (يانغ كاي هواي) وهي طالبة في جامعة بكين وأصبحت فيما بعد قائدة للشبيبة أثناء مسيرة النضال الشيوعي في الصين، وكانت إحدى أكثر النساء الشيوعيات نشاطاً اعتبر زواجهما زواجاً مثالياً رومانسياً لدى الشبان والطلبة في هونان. أنجب منها ثلاثة اطفال ذكور مات منهم اثنين اثناء مسيرة ما و النضالية وبقي واحد هو (ما وان كينغ) ثم أصيبت بعدها إصابة بالغة على أثر مذابح شنغهاي عام ١٩٢٧، وتوفيت عام ١٩٣٠، أما زوجته الثانية فهي (جيانغ كينيغ) ابنة أستاذه (تشين توهسيو) صاحب الفكر الماركسي تزوجها عام ١٩٣٩ وهي مدرسة معتقة الشيوعية وقد أنجبت منه طفلة هي (لينا) وبقيت معه حتى وفاته. لقد أثر بماوتسي علاقته بأستاذه ومن ثم زواجه الثاني في اعتناقه الشيوعية ولو بشكل رسمي منذ عام ١٩٢١، وشارك في تأسيس ومؤتمرات الحزب عام ١٩٢٧، وترأس الحزب الشيوعي الصيني عام 1935، وأسس مع (تشانغ كاي تشك) الجبهة الوطنية المتحدة عام ١٩٣٧ ضد الاحتلال الياباني، وفي عام ١٩٤٩ استطاع من تأسيس جمهورية الصين الشعبية. توفي في ٩/٩/ ١٩٧٦. (البياتي، ٢٠١٤، الصفحات 10-20) (تونغ، 1969، صفحة 25)

أنها حولته من قائد سياسي إلى قائداً عسكرياً في الحزب الشيوعي الصيني وبذلك أنقطع ما وعن حضور اجتماعات الحزب وتحصن في الجبال. أختار ماو تسي تونغ جبل شينغ كاتشان ليتلجأ اليه كونه يعد من الناحية العسكرية قلعة محصنة إذ هو سلسلة من الجبال الصغيرة والمتوسطة الارتفاع تقع على الحدود الفاصلة بين اقليمين هونان تخترقها ممرات ضيقة ومهجورة تؤدي إلى عمق الجبل يستطيعون الخروج من تلك الممرات والعودة اليها بسهولة كما أن هناك ميزات أخرى لتلك الجبال هو أن الضباب يخيم عليها طيلة القسم الاكبر من أشهر السنة، فضلا عن ذلك توجد على امتداد الجبل معابد بوذية مهجورة يمكن استخدامها كمستشفيات وردهات للنوم. (البياتي، ٢٠١٤، صفحة 60)

كانت الخطوة الأولى هي كسب النوايا الطيبة للفلاحين المقيمين في السهول المجاورة عن طريق مساعدتهم في القضاء على الاقطاعيين وتوزيع الأراضي عليهم والثانية ان يستخدمهم كجهاز استخبارات فضلا عن حثهم على الالتحاق بقواته والثالثة تقوم على أساس استدراج قوات الكومنتانغ ثم الانقضاض عليها (البياتي، ٢٠١٤، صفحة 60) تأتي بعدها الخطوة الرابعة اذ أمر ما و بحفر الخنادق المخفية لإقامة الاتصالات مع سائر الجيوش الشيوعية الموجودة في المناطق الأخرى (تونغ، 1969، الصفحات 41-90)

في غضون هذا الوقت أدخل ماو سلسلة مشهورة من الشعارات المخصصة لرجال العصابات فرددها جنود الجيش الأحمر مع تغيرات طفيفة طيلة كل سنوات الصراع، وتألفت هذه الشعارات في الأصل من ٣ قواعد و ٦ وصايا :-

القواعد (باين، ١٩٧٦، صفحة 114):

1. أطع الأوامر دوماً وابداً.
2. لا تأخذ الإبرة أو قطعة الخيط من الشعب.
3. قم بتسليم كل الممتلكات المصادرة إلى مقر القيادة.

الوصايا :-

1. مارس الدعاية حيثما ذهبت وأنشر السياسة الثورية في كل مكان.
2. احترام الملكية العامة وحافظ عليها فلا تهدر مقدرات الثورة.
3. اتخذ لنفسك موقفاً لطيفاً عندما تتحدث مع أي واحد من الناس فلا تفقد أعصابك أبداً أو تتخاصم مع أي إنسان.
4. ادفع ثمناً معقولا لكل شيء تشتريه فلا يأتي هذا الثمن أدنى من سعر السوق ابداً.
5. أرجع الأثاث المستعار من الشعب حالما تنتهي منه فلا تدعه يضيع أنما دع المستعير يرجع الأشياء المستعارة بنفسه.
6. إذا تلفت قطعة من الأثاث اثناء الاستعمال ادفع التعويض عنها إلى أصحابها.

لكن فيما بعد جرى أعادة صياغة تلك الوصايا من جديد لتصبح ثمان وهي: (سنو، ١٩٧٠، صفحة 182)

1- أعيدوا جميع الأبواب إلى مكانها عندما تغادرون بيتاً وأرجعوا حصيرة القش.

٢- كن لطيفاً مع الشعب وساعده متى استطعت.

3- ارجع كل الأدوات المستعارة وعوض كل البضائع المتلوفة.

4- كن صادقاً في كافة المعاملات مع الفلاحين.

5- كن صحياً واحفر (المباول) على مسافة مأمونة من البيوت ثم املأها بالتراب قبل مغادرتك.

6-لا تتلف المحاصيل.

7- لا تشاكس النساء.

8- لا تسيء معاملة أسرى الحرب ابداً.

إلى جانب هذه الشعارات جاءت مقطوعة شعرية بغية إيصال التكتيكات العسكرية الأساسية للثوار وهي (البياتي، ٢٠١٤، صفحة 61) ((حين يتقدم العدو، نتراجع وحين يهرب نضايقه باستمرار وحين يتراجع، نلاحقه وحين يكون منهكا ، نهاجم)) (البياتي، ٢٠١٤، الصفحات 61-62).

بداية شهر شباط عام ١٩٢٨ قرر ما و أن يبدأ حملاته بالقرى الحدودية القريبة منه فأغار على قرية في اقليم شينغانغ في ١٨ شباط ١٩٢٨ واحتلها وطرد قوات تشانغ كاي شيك منها فكان ذلك أول انتصار له (البياتي، ٢٠١٤، صفحة 62) ، في الثاني من

أيار 1928 نجح القائد الشيوعي تشودة[1] (Choteh) في الوصول إلى جبل شينغ كاتشان ومعه ما يقارب الالفين مقاتل هاربين من مدينة نانتشانغ بعد ما لحق بهم من هزيمة هناك، فأتفق مع ماو تسي تونغ على أقامة تحالف بينهما يكون فيه تشودة قائدا للجيش في المعارك بينما يكون ما و القائد الأعلى والمفوض السياسي للحزب الشيوعي لتلك القوات فضلاً عن اعتماد استراتيجية في المعارك وهي استخدام حرب العصابات وأيجاد قواعد شيوعية في القرى والسهول المجاورة (البياتي، ٢٠١٤، صفحة 62).

أنعقد المؤتمر السادس للحزب الشيوعي في موسكو وذلك في شهر تموز عام ١٩٢٨ واستمر إلى نهاية أب حضره كبار القادة الشيوعيين الهاربين من تشانغ كاي شيك وأبرزهم شوان لاي، ولم يحضره ماوتسي تونغ وقد قرر المؤتمر ما يلي :

١- ان المجتمع الصيني ما يزال مجتمع نصف استعماري ونصف اقطاعي.

٢- المصادقة على الاتفاق القائد تشودة وماو تسي تونغ واعتبار الاخير القائد الأعلى في مقاطعة تشنغ كان شان.

3- اقامة قواعد في مدينتي كانتون وشنغهاي للتدريب القوات الشيوعية.

4- ينشر الحزب الدعوة الى الشيوعية بين صفوف الجماهير.

5- الدعوة الى الانتفاضة الجماهيرية الثورة ضد الكومنتانغ .

٦- على الحزب السيطرة على السلطة

7- نزع ملكية اصحاب الاراضي الاقطاعيين وكبار الملاك.

8- الاعتراف بمكانة الفلاحين والعمل والدور القيادي لهما

٩ – حق الفلاحين تنظيم حرب عصابات على قوات الكومنتانغ .

١٠- تعزيز الجيش الاحمر الصيني من المقاتلين الشباب ولاسيما الذين ينحدرون من بروليتارية، او شبه بروليتارية ويجب استيعابهم بالتدريج خلال مسار قتال حرب العصابات (البياتي، ٢٠١٤، صفحة 62).

في تموز 1928 انعقد المؤتمر السادس للحزب الشيوعي الصيني في موسكو وكانت من مقرراته حيث اجاز المؤتمر للفلاحين المنضوين في الجيش الاحمر تنظيم حرب العصابات على قوات الكومنتانغ (البياتي، ٢٠١٤، صفحة 62).

لا يمكن اعتبار جنود الجيش الأحمر جنودا نظاميين بالمفهوم العسكري التقليدي، وكان معدل عمر الجندي تسعة عشر عاماً عام ومعدل عمر الضابط اربعة وثلاثين عاماً ولم يكن جنود وقادة الجيش الأحمر يتلقون رواتب بل كان لكل متطوع حق الاستفادة من قطعة ارض تمنح له. وكانت غالبية إفراد الجيش الأحمر من الشبان غير متزوجين أو قد تخلو عن زوجاتهم ليتمكنوا من الالتحاق بالجيش وكان من ضمن إفراد الجيش فتيات متطوعات ومن ابرز قادة الجيش الأحمر القائد (تشودة) وهو الذي قاد الجيوش النظامية العسكرية للمدة (١٩٢٧-١٩٤٥) واستمر دوره حتى عام ١٩٤٩ وقد كان هو من وضع المبادئ الأساسية للجيش الأحمر الصيني ،وكذلك القائد (لين بياو) رئيس الأكاديمية الحمراء (البياتي، ٢٠١٤، صفحة 64).

قرر ماو تسي تونغ ترك الجبل بعد أن قضى به أكثر من عام والمضي في تنفيذ خطته الرامية في الاعتماد على الفلاحين وتشكيل قاعدة في الريف الصيني، ففي فجر يوم 4 كانون الثاني ١٩٢٩ قاد ماو اربعة الاف من قواته ومع القائد شوتيه، باتجاه اقليم كيانغسي، وصلت قوات ماو في الخامس عشر من كانون الثاني عام 1929 إلى مشارق قريتي نانتفغو ونامينونغ وبعد معارك عنيفة استمرت إلى نهاية الشهر وجرى احتلالهما (البياتي، ٢٠١٤، صفحة 65) بعدها اتجهت أنظار ماو تسي تونغ والقائد شوتيه نحو

[1] تشودة: ولد في مقاطعة سيشوان عام ١٨٨٦، عاش طفولته في الريف الصيني، من عائلة إقطاعية كانت أمه تنتمي لعائلة فلاحية في القرى الصينية وهذا سر تعلقه بالفلاحين ومدى تعاطفه مع حركة التايبينغ المسيحية. تلقى تعليمه العسكري في الصين وقد تخرج من الأكاديمية العسكرية عام ١٩٠٩ وانضم الى الكومنتانغ عام ١٩١٣، وقد ساند حركة 4/ أيار / ١٩١٩، وكان منذ شبابه مدمن على الأفيون وكانت له زوجات كثيرات وجواري، في عام ١٩٢٥ أنظم إلى الحزب الشيوعي الصيني بعد ذلك عولج في مستشفيات شنغهاي من أثر الإدمان وشفي وأستطاع قيادة الجيوش النظامية العسكرية للمدة (١٩٢٧ – ١٩٤٥)، تم انتخابه بالإجماع عام ١٩٣١، كقائد عام للجيش الأحمر، وأثيرت حوله خرافات وحكيت أساطير بأنه الرجل الذي لا يصاب برصاص أو أنه ساحر وكان اسمه يثير الرعب في أعدائه. استمر دوره حتى عام ١٩٤٩، وقد وضع المبادئ العسكرية للجيش الأحمر وهي طاعة الأوامر وعدم تكليف الشعب في المناطق المحررة بخدمات وتسليم جميع ما يتم مصادرته، واستطاع أن يستولي على المناطق الجبلية لتدريب جنود الجيش الأحمر توفي عام ١٩٧٦. (شكر، 2015، الصفحات 83-84)

مدينتي تونغكو وهيسنغ كوو اللتين تقعان في قلب جبال كيانغسي ويمكن اتخاذهما كقاعدتين محصنتين للجيش الاحمر. (سنو، ١٩٧٠، الصفحات 169-177)

في عام 1929 عقد المؤتمر الحزبي للجيش الاحمر الصيني في منطقة فوكين لبحث فكرة تطوير الجيش واقامة سلطة مركزية في منطقة كيانجسي جرت تمكن الجيش الاحمر الصيني من السيطرة على اغلبية مناطق كياجسي مع اقامة القواعد المركزية للجيش الاحمر فيها، وفي عام 1930 تم اندماج القوات الشيوعية التي يقودها الجيش الاحمر بقيادة تشودة مع باقي قوات الجيش الاحمر لتغطي عدة مناطق من حوتان وكيانجسي. (البياتي، ٢٠١٤، الصفحات 65-66).

في بداية عام ١٩٣٠ بدأ الحزب الشيوعي الصيني باعادة تنظيم الجيش الاحمر واستطاعت قوات القائد تشودة من اعلان الحكم الشيوعي في ثلاث مقاطعات وهي(هونان،هوبي،كيانغسي)، وشهد في العام نفسه سعي ماوتسي تونغ لربط الشيوعيين الصينين باللجنة المركزية السوفيتية في موسكو من اجل اجتذاب المساعدات العسكرية والمالية السوفيتية. (سنو، ١٩٧٠، صفحة 186)

شهد عام ١٩٣١ بداية سعي ماوتسي تونغ لربط الشيوعيين الصينيين باللجنة المركزية السوفيتية من اجل تقوية قواته، ولاسيما بعد انعقاد المؤتمر السادس للحزب في موسكو وانتخاب ماوتسي تونغ عام ١٩٣١ القائد العام للجيش الاحمر، وفي بداية العام نفسه قام تشانغ كاي شيك بثلاث حملات ابادة على الحزب الشيوعي الصيني وهي على التوالي الأولى (في كانون الأول ١٩٣٠- كانون الثاني ١٩٣١، اما الثانية ايار حزيران- ١٩٣١، والثالثة تموز تشرين الاول ١٩٣١) حيث سعى تشانغ كاي تشك بحملاته الثلاث والتي يقودها اكفا رجاله امثال (هوينج - تشن) الذي اصبح وزير الحربية الى انهاء الوجود الشيوعي وكانت قوات الكومنتانغ تزيد على مئتي ألف رجل، وكان يسعى الى اقتحام المناطق الحمراء الشيوعية في عمقها مستغلا "مساحة الارض لدى الشيوعيين قليلة قلة المواد الغذائية، مع استطاع جيش الكومنتانغ من الانتصار والتقدم في هذه الحملة، اما الاخرى كانت خسائر الكومنتانغ كبيرة" . (عودة، 1955، صفحة 140)

ان القائد (هوينغ شينغ) قادة مئة وخمسين الف جندي نحو اقليم فوكين في الشرق لمحاصرة الشيوعيين ولكن القائد شودة تصدى له وفي ١٦ من ايار ١٩٣١ بدأ قوات الشيوعية بهجوم مضاد على التحصينات لقوات الكومنتانغ في الجبال وجرد معظم جنود الكومنتانغ من السلاح وفشلت هذه الحملة، وفي ٢٩ حزيران ١٩٣١ وقعت معركة اخرى في منطقة تشين لينغ تكبد بها قوات تشانغ كاي شيك خسائر فادحة بحيث تعرض للسخرية من قبل الطبقة الحاكمة وانتهت هذه الحملة بخسائر بلغت عشرة الالاف من الكومنتانغ مع عدد كبير من الاسرى وتجريد عشرين الف جندي من السلاح وتدمير ثلاثة عشر فرقة مدرعة والحصول على عشرين الف بندقية وبعض الاجهزة اللاسلكية والقنابل اليدوية اما، خسائر الجيش الاحمر بلغت اربعة الالاف جندي وظهرت في هذه الحملة اعمال الكومنتانغ من والحرق والسلب والقتل، وفي الحملة الثالثة التي بدات في شهر تموز ١٩٣١ قام تشانغ باعداد جيش قوي من العدة والعتاد تمكن من سيطرة على المناطق التي خسرها والتقدم نحو القوات الشيوعية. (سنو، ١٩٧٠، صفحة 330)

وخلال عام 1931 تم عقد مؤتمر اول للسوفيتات الصينية الحداد وانتخب ماوتسي تونغ القائد الاعلى لها وانتخب تشودة القائد العام للجيش الاحمر. (سنو، ١٩٧٠، صفحة 188)

جهز تشانغ كاي شيك جيشاً قوامه مليون ونصف للبدء بحملته، التي استمرت من شهر نيسان إلى تشرين الأول عام ١٩٣٣، كان النصر حليف لقوات ماو في هذه الحملة إلا أنه خسر الكثير من قواته في مناطق هو بيه وانهواي فأنعكس ذلك بشكل سلباً أتت حملة عسكرية اخرى بعد هذه الحملة مباشرة فأستعان تشانغ كاي شيك وبمساعدة مستشارة الألماني حربي، فحدثت اكبر المواجهات في نهاية شهر كانون الثاني عام ١٩٣٤ عند منطقة كوانغ شانغ الواقعة على حدود مدينة فوكين ضمن أقليم كيانغسي هزمت فيها القوات الشيوعية هزيمة مرعبة إلى درجة أن قتل فيها أربعة الاف مقاتل شيوعي، أدرك ما و أنه لا يستطيع مواجهة قوات الكومنتانغ، قرر الانسحاب من روجين عبر الأرياف والسهول والابتعاد عن اقليم كيانغسي. (البياتي، ٢٠١٤، الصفحات 80-81)

استمر تشانغ كاي شيك بحملته واقترب من القاعدة روجين، فاصدر ماو في الأول من تشرين الأول عام ١٩٣٤ أوامره بالانسحاب من تلك القاعدة واتجه نحو هونان (البياتي، ٢٠١٤، صفحة 85)، في عام ١٩٣٥ استكمل بناء القاعدة الثورية في هونان وهي ذات اكثرية مسلمة من قومية الهوي وتقع شمال غرب الصين ثم توجه بعدها الى مناطق قانصو وشنسي والتي تعتبر حكومات ماو السرية. (البياتي، ٢٠١٤، صفحة 25).

وأوصوا الشيوعين افراد الجيش الاحمر خلال تواجدهم في مناطق المسلمين بـ:

1. على جميع افراد الجيش ان لايدخل احدهم بيت مسلم دون موافقته.
2. احترام المساجد الاسلامية ورجال الدين.
3. احتراما لمشاعر المسلمين يمنع افراد الجيش من تلفظ كلمة (خنزير او كلب) امام المسلمين. (شكر، ٢٠١٠، الصفحات 25-29)

ويمكن تحديد اسباب استمرار ماوتسي تونغ بالقتال بما ياتي:

1. استخدام الجيش الاحمر الصيني اسلوب حرب العصابات.
2. ان كثير من الجيش الاحمر هم من الفلاحين يعرفون ممرات المناطق الجبلية.
3. ان سير الجيش الاحمر في طرق الغابات.
4. كان الجيش الاحمر يتمتع بمساعدة السكان في المناطق التي يمرون.
5. الجيش الاحمر يمتلك الخبرة العسكرية و العقيدة والرغبة في تحقيق النصر على عكس قوات الكومنتانغ التي كانت تقاتل دون هدف معين.
6. عدم تقدير شيانغ كاي تشك للقوة الحقيقة للشيوعيين.
7. لم تكن قوات الكومنتانغ مدربة على القتال في الجبال الوعرة.
8. قيام سكان القرى بتضليل قوات الكومنتانغ. (حسين، 2018، الصفحات 90-91)

عام ١٩٣٦ تمكن ماتسي تونغ من تنظيم الوحدات الشيوعية الى ثلاث مجموعات لخوض حرب عصابات في ثلاث جهات تحت اسم جيش التحالف الشمالي الشرقي المناوئ لليابان، ولاسيما بعد فضح الشيوعين سياسات تشانغ الاستسلامية، نمت حركة التحرير الوطني داخل حزب الكومنتانغ الذي رفض قسما منه الانصياع للاوامر في محاربة الشيوعيين خاصة في اقليم سيان. (شكر و حسين، ٢٠١٨، صفحة 140)

بتاريخ ١١ كانون الأول ١٩٣٦ وصل تشانغ كاي شيك الى اقليم سيان وامر بعزل تشانغ هسيوليانغ، على اثر ذلك تم خطف تشانغ كاي شيك من قبل اتباع تشانغ هسيوليانغ وتم احتجازه في اقليم سيان عنده جرت مفاوضات تشانغ هسيوليانغ مع الشيوعيين قدمت الى تشانغ كاي شيك في شهر كانون الأول ١٩٣٦ نصت على:

1. السماح للاحزاب السياسية الاشتراك في الحكومة .
2. انهاء الحرب الاهلية فورا وتبني المقاومة ضد اليابان .
3. اطلاق سراح قادة حزب الشيوعي المحتجزين
4. اطلاق سراح المعتقلين السياسيين .
5. اطلاق الحريات العامة .
6. الحفاظ على حقوق الشعب في التنظيم الوطني.
7. تطبيق مبادئ الدكتور سن يات سن.
8. الدعوة لعقد مؤتمر للخلاص الوطني. (هوخام، 2002، الصفحات 345-346)

تم الافراج عن تشانغ كاي شيك بتاريخ ٢٥ كانون الأول ١٩٣٦ بعد موافقته على الشروط الثمانية وعقد اتفاق مؤقت مع الشيوعيين نص على:

1. الموافقة الرسمية لحكومة نانكين على حكم الشيوعي لاقليم شنسي.
2. انضمام الجيش الاحمر الصيني الى القوات الوطنية.
3. موافقة الشيوعيين على التراخي في تنفيذ برنامجهم الاشتراكي. (شكر و حسين، ٢٠١٨، صفحة 140)

المبحث الثاني: دور الجيش الاحمر الصيني 1937-1949

اولاً : تشكيل الجبهة الوطنية المتحدة ٤ ايار ١٩٣٧.

نتيجة التوسع الياباني في منشوريا قدم شوا ان لاي سكرتير الحزب الشيوعي الصيني في عام ١٩٣٦ اقتراحاً لحكومة تشانغ كاي شيك في تكوين جبهة موحدة ضد الغزو الياباني اشتملت على :

١- اعلان الهدنة بين الطرفين .

٢ - تكوين جبهة شعبية واحدة لمقاومة اليابانيين

3- الغاء الجيش الاحمر ولو مؤقتاً .

تلك الاثناء عمل الطلاب في الصين بمظاهرات كبيرة رفعوا شعار (فلنتحد معاً من اجل منشوريا المغتصبة)، وكان كثير من ضباط الكومنتانغ يؤيدون شعارات المتظاهرين. (سنو، ١٩٧٠، الصفحات 28-30)

ردت حكومة تشانغ كاي شيك الموافقة باربعة شروط وهي :

1. الغاء الجيش الاحمر واندماجه تحت سيطرة القوة الوطنية .
2. حل القواعد الشعبية السوفيتية في الصين وتوحيدها تحت حكومة تشانغ كاي.
3. انهاء الصراع الطبقي بين فئات المجتمع الصيني.
4. وقف الدعاية الشيوعية ضد الكومنتانغ .

تم تأسيس الجبهة الوطنية المتحدة في ٤ ايار ١٩٣٧ التي نصت على ما يلي:

1. التمسك بمقاومة الاحتلال الياباني منن خلال القوة العسكرية الموحدة .
2. الحفاظ على وحدة الاراضي الصينية .
3. قطع كافة العلاقات مع اليابان من اجل الضغط وطرد اليابان.
4. توحيد فصائل المقاومة الصينية بتشكيل الجبهة الوطنية المتحدة. (شكر و حسين، ٢٠١٨، صفحة 148)

بتاريخ ٧ تموز ١٩٣٧ اطلق القوات الصينية النار على سرية يابانية كانت تقوم بمناوراتها الليلية وحصلت اشتباكات بين القوات اليابانية والقوات الصينية قرب جسر ماركوكولو بولو في ١٩ تموز ١٩٣٧ طالبت اليابان حكومة الصينية :

1. انسحاب الجيش الصيني من شمال الصين.
2. معاقبة الجنود الصينين المسؤولين على الحادث.
3. القضاء على الحركات المناوئة لليابان في شمال الصين.
4. القضاء على المنتمين للحزب الشيوعي او من لديهم افكار شيوعية. (الفتلاوي، ٢٠١١ ، الصفحات 25-26)

تابعت القوات اليابانية توسعها في الصين، قامت في شهر تشرين الاول ١٩٣٧ تاسيس حكومة مستقلة باسم (منشوكو) وتم احتلال مدينة شانتونغ في شهر كانون الثاني ١٩٣٨ ثم احتلال كانتون في ٢١ تشرين الاول ١٩٣٨، مما دفع حكومة الكومنتانغ الى التوجه نحو وادي اليانغستي لتاسيس عاصمة في تشونغ – كينغ. (البياتي، ٢٠١٤، صفحة 60)

بحلول الحرب العالمية الثانية في شهر ايلول ١٩٣٩ ودخول اليابان في المواجهات الدولية، وقفت الحملات العسكرية على الصين مع خلق نشاط معادي الشيوعي ووقف مهاجمة تشانغ كاي شيك والتلويح بالمساعدات له. (شكر و حسين، ٢٠١٨، صفحة 179)

بدأت اليابان مرحلة جديدة بدخول الولايات المتحدة الامريكية الحرب 8 كانون الأول ١٩٤١ حتى خسارتها الحرب واستسلامها في ١٤ اب ١٩٤٥ وانتهاء الحرب العالمية الثانية في شهر ايلول ١٩٤٥ . (شكر و حسين، ٢٠١٨، صفحة 218)

ثانياً : مشاريع الوساطة الامريكية بين الكومنتانغ والحزب الشيوعي الصيني.

بتاريخ ١١ حزيران ١٩٤٥ هاجم ماوتسي تونغ بشكل مباشر السياسة الامريكية في الصين بسبب مساندة الادراة الاميركية تشانغ كاي شيك التي تستند على الراسمالية وتريد تطبيقها في الصين،والتي كانت تمدها بالاسلحة والرجال بينما كان الاتحاد السوفيتي يساند ماوتسي تونغ.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ دعى ماوتسي تونغ اتباعه من الجيش الاحمر الدفاع عن النفس اما هجمات الكومنتانغ . حاول الشيوعيين تأجيج الراي العام الصيني ضد الأمريكيين لمساندتهم حكومة تشانغ كاي شيك. (شكر و حسين، ٢٠١٨، الصفحات 219-221)

بتاريخ ٢٢ اب ١٩٤٥ قام تشانغ كاي شيك بدعوة ماوتسي تونغ للتفاوض في منطقة شونج لنج لكن المفاوضات فشلت بسبب اصرار تشانغ كاي شيك على الحصول على ضمانات من الشيوعيين بخضوعهم قانونا لسلطته المدنية والعسكرية ورفض التعامل معهم على قدم المساواة، وان الشيوعيين اصروا بدورهم على عدم الخضوع لأوامر حكومة وصفهم دكتاتورية وهذه من الامور التي ساعدت على تفجر الوضع المتأزم. (العبد، د.ت، صفحة 96)

مؤتمر الصلح بين الكومنانغ والحزب الشيوعي الصيني.

في 10 كانون الثاني ١٩٤٦ عقد مؤتمر صلح بين الحزبين بحضور ممثل الحكومة الاميركية، وهو جورج مارشال واستمر لغاية ٣١ كانون الثاني، وقد قرر المؤتمر ما يلي :

1. وقف فوري لاطلاق النار
2. اتفاق على هيئة حكومية عليا لمناقشة الامور الاستراتيجية للدولة .
3. الاتفاق على برنامج سلمي.
4. العمل على بناء جيش وطني .
5. تبني قانون الاصلاح للفلاحين.
6. ضمان حرية التعبير وحرية الصحافة.
7. تشكيل الجمعية الوطنية مهمتها من الدستور جديد للبلاد يضمن الحكم الذاتي للاقاليم.
8. فصل الاحزاب عن اي جهة عسكرية .
9. وجود ممثلين امريكيين لضمان حماية الهدنة. (شكر و حسين، ٢٠١٨، صفحة 224)

في ٤ اذار زار الجنرال جورج مارشال عاصمة الشيوعيين ينان وسعى للحفاظ على هدنة بين الطرفين وعدم تأجيج الوضع . في تلك المدة بدأت القوات السوفيتيه بالانسحاب التدريجي من منشوريا . وفي ١٦ نيسان ١٩٤٦ انسحبت القوات السوفيتية من مدينة تشانغ تشون، فأسرعت القوات الشيوعية لاحتلالها بعد سحق القوات الوطنية الا ان القوات الوطنية حاصرة مدينة سبينغشا من ثلاث جهات، واستمر القتال بين الطرفين لمدة ثلاثة اسابيع انتهت بهزيمة قوات الشيوعيين واحتلال القوات الوطنية للمدينة ١٩ ايار ١٩٤٦.

بسبب مماطلة الكومنتانغ في التفاوض مع الاستمرار بالعمليات العسكرية اثر عقد الولايات المتحدة الاميركية بتاريخ ٤ تشرين الثاني ١٩٤٦ مع الحكومة الوطنية اتفاقية الصداقة و التجارة والملاحة تم الاتفاق بموجبها اعطاء تسهيلات كبيرة للاشخاص والبضائع الامريكية وكذلك الاعفاء الكمركي للسلع واطلاق الحريات الملاحة والنقل والتجارة . (شكر و حسين، ٢٠١٨، الصفحات 225-227)

ثالثاً : استئناف الحرب الاهلية ١٩٤٧ - ١٩٤٩

يذكر ان في عام 1947 تم تغيير اسم الجيش الاحمر الى جيش التحرير الشعبي وذلك مع قرب بوادر انتصار الحزب الشيوعي الصيني.

منذ نهاية عام ١٩٤٧ ازدادت انتصارات الجيش الاحمر في الصين بالمقابل ازدادت الانهيارات داخل القوات العسكرية للحكومة الوطنية، وانضم كثير من اتباع الحكومة الوطنية للشيوعيين، وسيطر الشيوعيين على المدن الكبرى، واصبحت القوات الشيوعية قريبة من العاصمة، وخرجت المظاهرات في اغلب مدن الحكومة الوطنية بسبب سوء الاوضاع الاقتصادية، وفي شهر كانون الثاني طلب تشانغ كاي شيك الصلح وتعهد باقامة تحالف ديمقراطي وحكومة ديمقراطية، لكن ماوتست تونغ رفض طلبه، استمرت الخسائر العسكرية للحكومة الوطنية، وعند نهاية عام ١٩٤٨ كانت اغلب مدن الصين الشمالية بيد جيش التحرير الشعبي، وبعد ذلك في بداية عام ١٩٤٩ انهارت المقاومة الوطنية وهرب الكثير من الجند واستسلم العدد من الحكام الوطنيين قيما عدا جزيرة فرموزا واقليم سيتكيانج والتبت. (العبد، د.ت، صفحة 97)

وفي ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٩ سقطت العاصمة بكين في قبضة الجيش التحرير الشعبي بعد انسحاب تشانغ كاي شيك الى نانكنج ثم الى تايوان، وبهذا النصر الحاسم تم اعلان تأسيس جمهورية الصين الشعبية بتاريخ الاول من تشرين الاول ١٩٤٩ . (درويش، 1988، صفحة 182)

الخاتمة والاستنتاجات

من خلال البحث تبين لنا الصين كانت بحاجة الى قائد عسكري وسياسي أستطاع أن يؤسس جيش الاحمر من ابناء الريف الفلاحين والمنتسبين للحزب الشيوعي الصيني لغرض الانتصار على حكومة تشانغ كاي شيك و حزب الكومنتانغ وتأسيس حكومة تخدم وتلبي متطلبات الشعب من الناحية الاقتصادية والعسكرية . ان قيادة الجيش الأحمر في أثناء قيادته للمسيرة الطويلة ووصوله إلى مدينة شنسي لكن تشانغ كاي شيك إبادة الحزب الشيوعي وقضى عليه أثناء حملاته الخمسة.

أن السبب الرئيسي في نجاح الجيش الاحمر الصيني هو أعتماد ماو تسي تونغ على الفلاحين تلك الطبقة الفقيرة والكبيرة والتي تمتل مساحات شاسعة في الريف الصيني بعيداً عن المدن .

أن اعتماد ما و على أنشاء قواعد في الريف الصيني وليس داخل المدن ساعدت كثيراً في نجاح ماوتسي تونغ وأستمرار نضاله ضد حكومة تشانغ كاي شيك.

ويضع ماوتسي تونغ مصلحة البلد على حساب مصلحته ومصلحة حزبه وقد برز ذلك حينما شجع على الاتحاد مع الكومنتانغ من أجل توحيد الصين وتكرر الأمر مرة ثانية حينما أجبر تشانغ كاي شيك على القبول بتشكيل الجبهة الوطنية المتحدة عام ١٩٣٧ من أجل مقاومة الاحتلال الياباني للصين وأخيراً تجسد ذلك مرة أخرى استجاباته لمحاولات الولايات المتحدة التوسط بينه وبين تشانغ كاي شيك فسافر مع السفير الامريكي باتريك هورلي الى تشونغ كينغ عاصمة الكومنتانغ بهدف التوصل الى صلح ينهي الحرب الأهلية في الصين . أستطاع ماو أن يغير في ميزان القوى التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية وأن يحدث تغييراً أساسياً في تلك المعادلة وذلك بانتصاره عام ١٩٤٩.

بسبب القمع الذي تعرض له عمال الصين ولاسيما في مدينة شنغهاي وعدم استجابة الحكومة الى مطالبهم كانت السبب الرئيسي في بدأ مقاومة الحكم والانشقاق بين ماوتسي تونغ وتشاي كاي شيك.

بسبب عدم استجابة الحكومة الصينية الى مطالب الشعب بقيادة الكومنتانغ وعدم ثقة الشعب بها، كانت السبب الرئيسي لانهيار الحكم في الصين.

كان اساس الجيش الصيني الاحمر من الفلاحين، ولم يكن لديهم اي مخصصات مالية، لكن كان لديهم ايمان بقضيتهم.

اعتمد ماوتسي تونغ اسلوب الكر والفر وحرب العصابات لمواجهة جيش تشيانغ كاي شيك.

تمكن ماوتسي تونغ رغم الظروف التي مرت على الصين ولاسيما الاجتياح الياباني للصين، من توحيد جيش الصيني الاحمر مع الجيش الوطني (الكومنتانغ) واصبح ند مع الحكومة الصينية واجبرها على الوحدة عام 1937.

نجح الجيش الصيني الاحمر او جيش التحرير الشعبي في عام ١٩٤٩ من الانتصار على الجيش الوطني. وتأسيس جمهورية الصين الشعبية في الأول من تشرين الأول ١٩٤٩.

المراجع

أدغار سنو. (١٩٧٠). *النجم الأحمر فوق الصين المراحل الأولى من تاريخ الثورة الصينية*. (ترجمة كمال أبو الحسن وكمال العزة، المحرر) بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

أوين، فرنك. (١٩٤٥). *الصين في ماضيها وحاضرها*. لندن.

ايشتاين. (١٩٥٧). *مولد الصين الشعبية من حرب الأفيون الى التحرير*. (ترجمة حسني تمام، المحرر) القاهرة: الدار المصرية للطباعة.

باين، روبرت. (١٩٧٦). *قائد القرن العشرين، ماوتسي تونغ*، . بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

بديوي، محمد حسين. (2018). *تشانغ كاي تشك ودوره السياسي في الصين حتى عام 1949*. بابل – العراق: كلية التربية جامعة بابل.

البياتي، سها عادل عثمان. (٢٠١٤). *ماوتسي تونغ ودوره السياسي في الصين ١٩٢١ –1976*،. بابل–العراق: كلية التربية، جامعة بابل.

تونغ، ماو تسي. (1969). *المؤلفات المختارة* (المجلد ج ١). بكين: دار النشر باللغات الاجنبية.

حسين، انتصار علي. (2018). *الحزب الشيوعي الصيني ودوره السياسي في تاريخ الصين(1921–1939)*. بغداد: كلية التربية ،الجامعة المستنصرية.

درويش، فوزي. (1988). *الشرق الأقصى الصين واليابان (١٨٥٣–١٩٧٢)*. مصر: مطابع غباش بطنطا،.

شكر، صفاء كريم و حسين، انتصار علي. (٢٠١٨). *الحزب الشيوعي الصيني (١٩٢١– ١٩٤٩)*. بغداد: الجامعة المستنصرية.

شكر، صفاء كريم. (2007). *السياسة الاميركية تجاه الصين 1894–1931*. بغداد.

شكر، صفاء كريم. (٢٠١٠). *حديث عن المسلمين في الصين*. بغداد: مطبعة الكتاب.

شكر، صفاء كريم. (2013). *سون يات سن(ابو الصين)1866–1925*. بغداد.

شكر، صفاء كريم. (2015). *اليابان في الصين1931–1945* (المجلد 2). بغداد.

العبد، عفاف مسعد. (د.ت). *دراسات في تاريخ الشرق الأقصى*. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعة.

عبدالله، ستار حامد. (٢٠١١). *الزعيم الصيني سون يات سن (١٨٦٦ – ١٩٢٥)*. بابل: كلية التربية – صفي الدين جامعة بابل.

عودة، محمد. (1955). *الصين الشعبية* (المجلد ط1). القاهرة: دار نديم.

الفتلاوي، حسن علي سبتي. (٢٠١١). *الموقف الامريكي من الحرب اليابانية غير المعلنة على الصين (١٩٣٧–١٩٤١)*. بغداد.

منصور، احمد علي. (2018). *شو ان لاي ودوره السياسي في الصين1898–1976*. ديالى: كلية التربية – جامعة ديالى.

هوخام، هيلدا. (2002). *تاريخ الصين منذ قبل التاريخ حتى القرن العشرين (المجلد الطبعة 1)*. (ترجمة اشرف محمد كيلاني، المحرر) المجلس الاعلى للثقافة.

References:

Edgar Snow. (1970). The red star over China: The early stages of the history of the Chinese Revolution. (Translated by Kamal Abu Al-Hassan and Kamal Al-Azza, editor) Beirut: Dar Al-Tali'ah for Printing and Publishing.

Owen, Frank. (1945). China in its past and present. London.

Eshstein. (1957). The birth of People's China from the Opium War to liberation. (Translated by Hosni Tammam, editor) Cairo: Egyptian Printing House.

Payne, Robert. (1976). Twentieth century leader, Mao Zedong. Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing.

Badawi, Muhammad Hussein. (2018). Chiang Kai-shek and his political role in China until 1949. Babylon - Iraq: College of Education, University of Babylon.

Al-Bayati, Suha Adel Othman. (2014). Mao Zedong and his political role in China 1921-1976. Babylon-Iraq: College of Education, University of Babylon.

Tung, Mao Tse. (1969). Selected Works (Volume C1). Beijing: Foreign Languages Publishing House.

Hussein, Intisar Ali. (2018). The Chinese Communist Party and its political role in Chinese history (1921-1939). Baghdad: College of Education, Al-Mustansiriya University.
Darwish, Fawzi. (1988). Far East China and Japan (1853-1972). Egypt: Ghobash Press, Tanta.
Shukr, Safaa Karim and Hussein, Intisar Ali. (2018). Communist Party of China (1921-1949). Baghdad: Al-Mustansiriya University.
Thanks, Safaa Karim. (2007). American policy towards China 1894-1931. Baghdad.
Thanks, Safaa Karim. (2010). Talk about Muslims in China. Baghdad: Al-Kitab Press.
Thanks, Safaa Karim. (2013). Sun Yat-sen (Father of China) 1866-1925. Baghdad.
Thanks, Safaa Karim. (2015). Japan in China 1931-1945 (Vol. 2). Baghdad.
Al-Abd, Afaf Massad. (d.t.). Studies in the history of the Far East. Alexandria: Dar Al-Ma'rifa University.
Abdullah, Sattar Hamed. (2011). Chinese leader Sun Yat-sen (1866 - 1925). Babylon: College of Education - Safi al-Din, University of Babylon.
Odeh, Muhammad. (1955). People's China (Vol. 1st Edition). Cairo: Dar Nadim.
Al-Fatlawi, Hassan Ali Sabti. (2011). The American position on the undeclared Japanese war on China (1937-1941). Baghdad.
Mansour, Ahmed Ali. (2018). Xu Enlai and his political role in China 1898-1976. Diyala: College of Education - University of Diyala.
Hochham, Hilda. (2002). A History of China from Prehistory to the Twentieth Century (Volume 1st Edition). (Translated by Ashraf Muhammad Kilani, editor) Supreme Council of Culture.

زاهـد علي وجهوده في الدراسات الإسماعيلية (1888-1958م)

م. د. طه حسين عيسى

taha.hussein@iku.edu.iq

كلية الإمام الكاظم ﷺ الجامعة

الملخص:

عندما نقلبُ صَفحاتِ التأريخِ نجدُ أن كلَ شخصٍ مهما عَلا شأنُه فأنه سيقَعُ ضحيةَ محاولاته التي يريدُ من خلالَها إسدالَ الستارِ على مجموعةٍ من التهويلات – والتي رُسمتْ في أذهان بعض الباحثين على انها خطوطُ حمراءُ لايمكن المساس بها – وقد كان مشروعُ (زاهد علي) يَصبُ في هذا الاتجاه ، والذي كان سبباً أساسيا في ان يكونَ (زاهد علي) شخصيةً مغمورة ، وقد آثرت ان أقولَ عنه بأنه مغمورُ لكونها افضلَ من كلمةِ مجهول ، وذلك لانه قد يكونُ مجهولا عند بعض ومعروفاً عند غيرِهم إلا انه ليس من المشاهير البارزين على حدِ علمي القاصر ، ولعل هذا بسبب ان البُهرةَ لم تحظَ باهتمامِ جملةٍ من الباحثين على عكس نظيرتِها النزارية مع مايُشارُ الى البهرةِ من الفضلِ في حفظِ التراثِ الإسماعيلي من فلسفةٍ وأدب ، على عكس النزاريةِ التي تُتهمُ بشتى الاتهاماتِ منها تسليمُ تراثِهم لأعدائِهم ،فضلاً عن أنها تعد من الطوائفِ الشيعيةِ والتي تمثلُ أقليةً في كل بلدٍ تعيش فيه لذا نجد إكتفاءَ المؤرخين لتاريخ الفرقِ والمذاهبِ بالإشارةِ إليها في ثنايا الحديثِ عن الإسماعيلية ، ومَن يدري فقد يتمكنُ احدُ الباحثين من إيضاحِ مالم أهتدِ الى معرفته من تاريخ حياةِ هذا العالمِ المجهولِ الفضلِ المغموطِ الحق.

الكلمات المفتاحية : حيدر آباد ، التراث ، الفكر النقدي ، الغلو .

Zahid Ali and his efforts in Ismaili studies (1888-1958)

Inst.Prof. Taha Hussein Eisa (Ph.D.)

taha.hussein@iku.edu.iq

Imam Al-Kadhim University College of Islamic Sciences

ABSTRACT:

When we turn the pages of history, we find that every person, no matter how high he is, will fall victim to his attempts through which he wants to bring the curtain down on a set of constants - which were drawn in the minds of some as red lines that cannot be touched - and the project of Zahid Ali was in this direction Which was a main reason for Zahid Ali to be an obscure personality, and I preferred to say about him that he is obscure because it is better than the word unknown, because he may be unknown to some and known to others, but he is not one of the prominent celebrities as far as my minor knowledge, and who knows. Perhaps this is because the Bohra did not receive the attention of a group of researchers, unlike its Nizari counterpart, with what is referred to as the Bohra credit for preserving the Ismaili heritage, as well as being one of the Shiite sects that represent a minority in every country in which they coexist. One of the researchers will be able to clarify what I did not find guidance in knowing from the life history of this great scientist..

Keywords: Hyderabad, heritage, critical thought, hyperbole.

المقدمـــــــة:

نحن نعلم أن خَلود العالِمْ وذيوعَ اسمِه بل وانتشارَ مؤلفاتِه مرهونُ بقيم الأفكار التي تدعو الانسانَ الى التأملِ فيها والدفاعِ عنها ، وبما ان العقلَ البشريَ بفطرتِه مجبولُ على التفكيرِ والاستدلالِ المعمق ، لذا ، ليس بمقدورِ أيةِ جهةٍ مهما عَلا شأنُها ان تتحكمَ في هذه القوةِ العاقلةِ وتَحظُرَ عليها متبنياتِها ، بل الأدهى من ذلك منعُ الانسانِ من الانكشافِ عن القوةِ الفكريةِ بالتكلمِ أو بالوسائلِ الأخرى كالتحريرِ والنشر، وهذا معناه الحكمُ عليه بالجهالة ، بل والعبثُ بحريتِه الفعلية ، وحبسُ روحِه في دائرةٍ فولاذيةٍ ضيقة ، ومعناها منعُ المجتمعِ من تحري الحقِيقة وانتقائِها وإجبارُ افرادِه على ان يعيشوا في عذابٍ وجدانِي لاينقطع .

ومحور كلامنا في بحثنا هذا عن (زاهد علي) الذي كان مِن المُقَدَّر له لو مضى في مشروعه لاصبَح له شأوٌ مهم ، لكنَّ أفكارَه سببتْ له متاعبَ جمَة أدت به الى ان يكوُن ضبابياً بل تم قتلهُ معنوياً لكونِه أبى ان يكون فكره أفرَغ من فؤادِ أم موسى.

تَكمُن أهمية الدراسة في تَسليط الضَوءِ على شَخصية(زاهد علي) الذي كان جريئاً في نَفضِ الغُبار عَن واقِع مَذهبِهِ الذي عانى مِن تراكُمات الزمنْ الغابر ، كما ان الهدف مِن هذه الدراسة هو التَعريف بهذه الشَخصية المغمُورة التي وقفَت ضِد الطابِع العام لجَمهرة كبيرة من عُلماء هذا المذهَب مبينة ان الفِكر المؤدلَجْ لايُمكن بأي حالٍ من الأحوال ان تَكون لهُ حظوة من التفكير الأبداعي ، وقد واجهَت أشكالية مُهمة في هذه الدراسة والتي تمثلت بِغموض شخصية(زاهد علي) وعدمْ الأفصاحْ عن مكنوناتِها مِن قِبل أقرانِه وذلك لِكَونه خالفَهُم ولم يَكن له أدنى رَصيد في افكارِهم ورؤاهم .

أولاً : زاهد علي نشأته وتعليمه الأول

هو الدكتور زاهد علي المولود في حيدر آباد (منصور، 2015) عام (1305هـ _1888م) وترعرَع في عائلةٍ عرفت بأنها متعلمة وهي عائلةُ إسماعيل بهرة (Cortese, p. xiv)

ويتحدث(زاهد علي) عن نفسه قائلاً :" أنا إسماعيليُ مولداً ومذهباً ، ولم يَزلْ ميراثُ المذهبِ الإسماعيلي متنقلاً في قبيلتي كالسرِ المرموز مِن صدرٍ الى صدرٍ منذ الآباءِ السالفين ، ولم تَزلْ هذه المشكاةُ الروحانية منيرةً لبيتِ المُعتقدَين منهم ، واحداً بعد واحدٍ كالشمسِ في رابعةِ النهار ، فبقي الى الآن سكونُ الروحِ واطمئنانُ القلبِ متعلقاً بفيضِ هذا التعليم ، ومضت عدةُ قرونٍ على هذا ، ولما وصلَ اليَ هذا الميراثُ من آبائي تقبلتُه بقبولٍ حسن، ووضعتهُ على العينِ والرأسِ بغاية الاحترام (علي، 2020)

كما كان والدهُ (فاضل علي) أحد أبرزِ القادةِ في مجتمعِ البهرة ، حيث أنفَق على العلمِ والتعلمِ ونرى هذا جَلياً وواضحا اليومَ في عدد كبير من المجلداتِ التي طُبعتْ مِن قبِله (Cortese, p. xiv) وهذا معناه أن (زاهد علي) على نهج ابيه أي "إنَّ الشِّراك قُدَّ منْ أدِيمِهِ" (الميداني، 42)

تَلقَّى زاهدُ تعليَمه المبكرَ في مدرسةِ دارِ العلمِ في حيدر آباد ، ومن ثم في دار السيفية في سورات ، ثم أكمل تعليمَه العالي في جامعِة بو نجاب في لاهور، ثم عَاد الى حيدر آباد حيث التحقَ في قسم التعليم ، أخيراً ذَهَب الى جامعة أكسفورد حيث أكملَ دراسةَ الماجستير ومِن ثم الدكتوراه في الادبِ العربي، وكان تحت إشرافِ البروفسور دي أس ماركو ليوث (العقيقي، 2006)، وألقى عصاه ، واستقَّرت به النَوى وأستقرَّ في الهند في عام 1926م ليتسلم درجةَ الأستاذِية في الادب العربي في كليةِ نظام في حيدر آباد والتي فيما بعد تَحولتْ الى جامعةِ مادراس (Cortese, p. xi)

بدأت مهنتُه تتقدم تدريجيا حتى أصبحَ نائباً لرئيسِ الجامعة، بعدها تقاعد عام 1945 (Cortese, p. xiv)أي أن عمره في هذا التأريخ كان 57عاماً

ثالثاً: جهود زاهد علي وإسهاماته في الدراسات الإسماعيلية:

يعدُ زاهد علي من المُلمين بالكثير مِن اللغاتِ الشرقية ومنها اللغةُ العربيةُ والفارسيُة والأوردو، فضلاً عن تمكنه من اللغةِ الإنجليزية ، وهذا مؤشر على قدرته النادرة في الجمع بين طرقِ البحثِ القديمة والحديثة ، حيث مَكنّه هذا مِن الوصولِ الى المصادِر والمخطوطاتِ الأوليةِ الخاصةِ في المذهبِ الإسماعيلي ، وهذا ساعَده في تقديمِ أعمالِه الأكادِيمية البارزةِ ذي الاهميةِ التطبيقية في هذا المجال (Cortese, p. xiv)، كما ان النجاحَ في تعلمِ اللغاتِ رهينُ بصفاتٍ خلقيةٍ كالشجاعةِ وسعةِ الحيلةِ وعدم الوقوع في الخطأ، كما هو رهين بصفاتٍ جسمية كتدريب الأُذن وقوتِها وكذلك اللسان والعين والذاكرة (جوبسون، 1945)

ومن أكثِر أعماله شهرةً كتابُه (تبيان المعاني في شرح ديوان ابن هاني) (القاهرة 1933) الذي تَضمَّنَ نقدَ الطبعةِ العربية لديوانِ ابن هاني الأندلسي، ويعد هذا الكتابُ خلاصةَ البحثِ الذي قَدَّمه زاهد لحصوله على درجة الدكتوراه من جامعةِ أكسفورد ثم يأتي عملهُ الثاني وهو (الفاطميون في مصر) الذي كتبه بلغةِ الأوردو[حيدر آباد1984م] وكان في مُجلدين (Cortese, p. xiv)

ويصفُ محققُ كتابِ أدعيةِ الأيام السبعةِ للمعزِ لدينِ الله الفاطمي هذينِ الكتابين بأنهما :" ذوي أهميةٍ كبيرةٍ في الدراسات الفاطمية " (الفاطمي، 2006)

كما يسلطُ محقق آخر الضوء على هذين الكتابين بِقوله: "على الرغم من أنَّ كتابَي زاهد علي (تاريخ فاطميي مصر, وكتاب مذهُبنا الإسماعيلي ونظامُه) لم يُحقّقا الانتشار, بسببِ اللغة التي كُتبا بها – الأوردية – إلاّ أنهما لا يزالان يعتبران من المراجع الهامة. وزاهد

علي مؤلفُ إسماعيليُ من الهند, كان التزامُ (زاهد علي) بالموضوعية والاسناد على الوثائق بأسلوبٍ منهجيٍ علميٍ هو السببَ الرئيسي في أن تكون كتبُه مراجع هامة للباحثين مِن بعده, خاصة وأنَّه فَتح لهم طريقاً للوصولِ إلى بعضِ خزائنِ المخطوطات الإسماعيلية التي استند عليها في كتبه " (السبتي، 2002)

ثانياً :منهج زاهد علي في الكتابة التاريخية :

يَنتهجُ (زاهد علي) منهجَ الناطِق والمتحدِث بلسان عقيدته الإسماعيلية وذلك من خلالِ قولهِ :"مذهبُنا الإسماعيلي ، ودعوتُنا الإسماعيلية " (علي، 2020، صفحة 27) ، كما يقوُل عن أئمةِ الفاطمية " :مولانا المعزُ لدينِ الله ، وإمامُنا الحاكم بأمرِ الله " (علي، 2020، صفحة 27) ، وهذا الأسلوبُ يَجعلُ لمؤلفِ الكتاب مقبوليةً أكثر عند اتباعِ المذهبِ فقط ؛ لكونه لايخالف رؤيَتهم العقديةَ ، بينما قد يُجابه بالردِ أو بمحذوريةٍ عالية عند قراءةِ مؤلفاته مِن قبلِ غيرِ الإسماعيليةِ لانهم قد يعتقدون اَن الموضوعَية قد غابت ولو جزئيا عن مضامينِ هذا الكتاب .

لذا نجُد ان بعضَ الكُتّابْ مِمن ألفّوا في الدراساتِ الإسماعيلية قد حَظَتْ مؤلفاتهُم بالقبول ، لكونِهم خارجَ هذه الدائرةِ الاعتقادية وبالتالي كانت الموضوعيةُ وعدم الانحيازِ أحد أهم الميزات في مؤلفاتِهم ومن ضمن هؤلاء (فرهاد دفتري) ونتيجةً للنجاح الكبِير الذي لقيه كتابُه (خرافاتُ الحشاشين) عبرَ تفكيك خرافاتٍ دامت قروناً طويلة، لذا نَجدُ ان البعضَ شَكّك بمشروعِ الكتاب متهماً دفتري بأنه من داخلِ الجماعة الدينية، لكنَّ دفتري كان سريعاً في نشرِه تفنيداً في الدوريةِ نفسِها أعلَن فيها: "أودُ القَول بأنني غيُر إسماعيلي، وأن ارتباطيَ الاكاديمي بمعهدِ الدراساتِ الإسماعيلية في لندن لم يُؤثر في موضوعيتي الأكاديمية، ولقد كان هدفي الاساسيُ مِن كتابةِ (خرافات الحشاشين) تَقصي جذور بعضِ الخرافات الاساسية التي أحاطت بالإسماعيليين النزاريين في أزمنة العصرِ الوسيط، وأنه لم يكن في نيتي إطلاقاً أن أكونَ تبريرياً" (اونثاغا، 2014، صفحة 39)

ويبدو ان (زاهد علي) كان ملتفتا الى هذا الامرِ لذا نجده يقول :" ونظرًا إلى هداية الإسلام, وبالخصوص امتثالًا لحكم المسلك الإسماعيلي, وأداءً لحقِ خدمةِ الدينِ لم آلُ جهدًا في تدقيقِ معيارِ المعارفِ الإسماعيليةِ ملتزمًا بالديانةِ والإنصاف, مبتعدًا عن هوى النفسِ ومَيْل الخاطر باحثًا عن الأسرار والرمز لأصل إلى كُنْه تأويلاتِها" (علي، 2020، صفحة 69)

والذي يميز (زاهد علي) عن الكثيرين من الباحثينَ في هذا المجال انه جمع مابين الدراسةِ الأكاديمية و دراسة العلوم الدينية ، أي أنه لم يعتمُد على مخزونِه الوراثي من تعاليم المذهب الإسماعيلي عن طريق أسرتهِ ، ومن هنا نستطيعُ القولَ ان (زاهد علي) لم يكن يَسمح لفكرهِ أن يكون أسيَر مايتلقاه من تعاليمَ وأحكامٍ دون معرفة فلسفة بنائها الفقهي والعقدي، بل نجدهُ قد غارَ في تشريعاتِ المذهبِ الإسماعيلي واضعاً أحكامَه على طاولة التشريح، عاملاً فيها لُبَه سواءً بالسلبِ أو الايجاب ، ومن ثم الخروج بالنتائج التي تَرتضيها خلفيتهُ الثقافية .

لكنَّ السؤالَ المطروح :ماهي جدوى التراث ؟هل نستمسكُ به كله؟هل نتركُه وننبذُه وراءَ ظهورِنا ؟ هل نأخذ بعضه ونُعرِض عن بعض ؟ وكيف نعالجُ ذلك الركامَ الهاري ؛ من العادات اللصيقةِ ، والهذاء الفارغ ، والهُراءِ الأجوف ، والخصالِ الدعية ، والخلال الملجقة ؟ (محفوظ، 1978، صفحة 123)

لكنَّ(زاهد علي) كان يَرى :" ان الساحةَ الفكريةَ تتنازعُها وجهتانِ متعارضتان : وجهةُ تَرومُ المحافظة على التراثِ محافظةً جامدةً وترفضُ الانفتاح على كلِ فكرٍ تجديديٍ خوفاً من الانحرافِ عن الأصالة [واستمرار البكاء على الاطلال] ، ووجهةُ تدعو الى التطوير الذي يريدُ ان ينسلخَ عن الثوابت ؛ وبين الوجهتين وجهة ثالثة تسعى الى تحقيق التوازن بين الوفاءِ بمقتضياتِ الأصالة والنهوضِ بمستلزماتِ التجديد " (الله ج.، 2010)

والتجديدُ لايعني الخروجَ على المبادِئ أو الغاء المسلَّمات أو ابطالَ الاحكامِ الشرعية ، او التفكيَر بعيداً عن روحِ النصوص ، وانما التجديدُ يعني تأصيلَ مايحتاجُ الى تأصيل ، وقراءة المسلمات برؤيةٍ جديدة ، وإحياء الفكر الديني بما يتناسبُ مع لغة العصر ، والاجتهادَ من داخل الدليل وليس من خارجهِ ، وقراءة الدليل بما يتفق مع مقاصدِ الشريعة المقدسة (اليوسف، 2001)

وقد ذهبَ الى هذا الاتجاه ايضاً ابن عاشور في تفسيره قائلاً ": فجعلتُ حقاً عليَّ ان أُبدي في تفسيرِ القرآنِ نكتاً لم أَرَ من سبَقني إليها ، وأن أقفَ موقفَ الحَكمِ بين طوائفِ المفسرين تارةً لها وآونَة عليها، فإن الأقتصارَ على الحديثِ المعاد ، تعطيل لفيضِ القرآنِ الذي ماله من نفاد، وقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين : رجل معتكف حول ماشاده الأقدمون ، وآخرُ أخذَ بمعولِه في هدم

مامضت عليه القرون ، وفي تلك الحالتينِ ضَرٌ كثير ، وهناك حالة أخرى ينجبرُ بها الجناح الكسير، وهي أن نعمد الى ماأشاده الأقدمون فنهذبه ونزيده ، وحاشا ان ننقصَه أو نُبيده ، عالماً بأن غمضَ فضلِهم كفرانٌ للنعمة ، وجحدُ مزايا سلفِها ليس من حميد خصالِ الأمة" (الطاهر، 1984)

وقد بينَّ زاهد مشروعه الفكري هذا من خلال الآلياتِ التي أعتمدَ عليها بقوله :" وقد جعلْنا المعيارَ الأساسي, والمحكَ الأصلي لتأليفِنا من البداية إلى النهايةِ القرآنَ الكريم فقط, وكلُ ذي عقلٍ سليمٍ طالبٍ للصراطِ المستقيمِ لا يرضى –ولو لطرفةِ عين– بأن يرى التعاليم الربانية, والإفاداتِ القدسية للأئمةِ الأخيار مخلوطةً ومدخولة بدنسِ الشركِ والجهالة..., ونحن معشر الإسماعيلية قد تعلَّقنا بروايات موضوعة, والحالُ أن هذه الرواياتِ الكاسدةَ الناشئةَ عن الأوهامِ الدنيةِ مخالفةٌ للأصولِ العاليةِ التي عيّنها القرآن الكريم لتصور التوحيدَ بالكلية, ولا توافقها أبدًا " (علي، 2020، صفحة 57)

وهذا الجهدُ ليس بهينٍ على كل باحثٍ منصف ، لكنَّ حرص الباحث على القيام بهكذا مشروعٍ ضخم يرمي من خلاله الى تنقية الموروث الشيعي الإسماعيلي من كلِ الشوائب التي تعتريه حتى يتمكنَ من الردِ على الخصومِ ودفع اتهاماتِهم فيقول :" مضت فترةٌ عظيمةٌ من عمري في تحصيلِ العلومِ الدينية; ولأجل تحقيق هذا الهدف سافرت إلى سورت سنة ١٣٢٧ هـ, وأقمتُ بها ثلاث سنين مشتغلًا بقراءة كتبِ الدعوة على الأساتذةِ الفضلاء الذين كانوا موجودين حين إقامتي بها; أمثال: الشيخ الفاضل جليل القدر العلامة أحمد حميد الدين , وغيرهِ; لأجل رفعِ الاتهامات عن الإسماعيلية " (علي، 2020، صفحة 99)

لكنَّ الذي حصلَ ان (زاهد علي) خرج بنتيجة مفادها : " ولكن مع الأسف – كل الأسف – أني لم أقْدِر على رفع اتهامات أهل الظاهر [*] مع تواتر سَهري, وتتابع اجتهادي; فحصلَ ليَ اليأسُ العظيم في هذا الباب" (علي، 2020، صفحة 99) وهنا بَرِحَ الخفاء (الضبي، 2011)

وهذا إعترافُ ينمُ عن شجاعةِ قلبٍ ومن باب احترام العقلِ فضلاً عن العدل والانصاف الذي تميز به(زاهد علي) ، وهذا دليلُ على الأثر العلمي في شخصيتهِ والذي جعل منه باحثاً لايهمه الا افتراسُ الحقيقةِ العلمية ليصل الى مايصبو إليه عقلهُ كباحث ، لذا بقيَ صامتاً ولم يكن يسمحُ لفكرهِ ابداً بمقارعة فكرٍ أعتقدَ بصحة الاتهامات التي وَجهها الى معتقده ،وبهذا يكُون(زاهد علي) واعياً بما اقدم عليه من خطوات ، لذلك قَدَّرَ العواقب حق قدرها ولم يُراوده الشكُ ولم يسقط في التهويماتِ والتهويلاتِ والافتراضاتِ الجزافيةِ الخاليةِ من الحقيقةِ العلمية .

لذلك وصمه جماعتهُ بـ " عدوِ أهلِ البيت " (علي، 2020، صفحة 99)

وهذا سلاحُ قديمُ طالما تم تجريدُه على خصومِهم من قبلِ معاشرِ أنصارِ القديم كلما أعوزَتهم الحُجة وأفتقروا الى برهان.

وعندما يفشلون في الردِ على خصمٍ سواءَ كان رجلَ سياسةٍ أو رجل فكرٍ أو شخصيةً عامةً وعندما تضطربُ القوى التي تتأثرُ بمصالِحها أو يهتزُ نفوذها أو تنقصُ مواردُها نتيجة لمواقفه الصلبة مع فشلِها الدائم في اختراقِه أو الردِ عليه أو حتى تحييده ، فأن هذه القوى المضطربةَ بالتحالف مع قوى أخرى تتجهُ الى شخص خصمها بدلاً من فكرهِ والى الاشاعات عوضاً عن الحقائق، فتعمل على طمس حقيقتهِ والى القاء تُهم العمالة أو الالحاد جزافا عليه بغير سندٍ ودونَ دليل (العشماوي، 1994)

وهذا هو حال هؤلاء المجددين وكما قال الشاعر :

بعضُ اعتباراتِ (المحيطِ) وعرفهِ ... لاتستسيغُ العقل في تحريرهِ
ليلُ من الجهلِ استقرّ بأنفهِ ... وسفاسفُ تنمى الى تأخيرهِ
ماهبَّ يوماً للأنام مفكـرُ ... يرمي الى التجديدِ في تفكيره
إلا أستشاط الحاسدون بغضبةٍ ... وتآلبوا زُمراً على تكفيره (حيدر، 1948، صفحة 70)

فهل من المنطقي ومن الانصاف أن يتنصل كل واحد منا من تبعاته ويسكن ضميُره بمخدر فكري وهمي بانتقادِ المصلحين مِن اولي العلم والايمان ؟! (الاسماعيلي، 1982)

لذا يوُجد في كل الأديانِ التوحيدية منطقُ شموليُ لابد ان يستسلمَ له الانسان ، بالايمانِ أو بالخوف ، ويُفوض أمرَه الى الله ، ولكنْ حين يحل أناسُ محل الله ويُبادرون بالكلام والعمل بدلاً منه فان أساسَ الدين نفسه هو الذي يضعفُ بهذا التعدي (جيللون، 1994)

" ولقد تَحمّل هذا الباحثُ الإدانات والاتهامات التي وُجهت إليه بكل قسوة من شيوخ البهرة, ليس لشيء سوى أنَّه قد كشف ما يستَوجب سترهُ عندهم ، وهذا نابعُ من حُبهِ وحرصه على تراث هذه الفرقة وكما قيل " مَنْ حَبَّ طَبَّ " (الضبي، 2011)

ومن أكبرِ عوامل انحطاط المسلمين الجمودُ على القديم ، فكما أن آفةَ الإسلام هي الفئةُ التي تريدُ ان تلغي كلَ شيء قديمٍ بدونِ نظرٍ فيما هو ضارُ او نافع ، كذلك آفةُ الإسلام هي الفئةُ الجامدة التي لاتريُد ان تغيرَ شيئاً (ارسلان، 1965)

ويوجدُ دائماً من يرفضُ التجديد والتحديث بدعوى أن تغيير ماهو قائم يهددُ الحفاظَ على المسلماتِ والثوابت ويذهبُ البعض الى أبعد من ذلك حيث يعدُ مخالفَة القديم وكأنه مخالفة للدين والقيم، كما ان البعضَ يتحولُ لديه التجديدُ والتحديثُ الى مشكلةٍ نفسية ، حيث لايستطيع نفسياً الانفصال عما أعتاد عليه خصوصاً مع تقدم الأيام وتقدمِ الانسان في السنِ حيث يصبح لديه التحولُ من شيء الى آخر من أصعبِ الأمور (اليوسف، 2001، صفحة 35)

لذا نجدُ ان مجالاتِ الثورة والتثوير في مشروعِ (التراث والتجديد) كثيرةُ تبدأُ بالفكر الذي يكون دوما وراء كلِ تثوير ، الفكر الثائر والمثور ، ثائر على الأوضاع السياسيةِ والاجتماعية والاقتصاديةِ والثقافية المختلفةِ المزرية لتصبحَ ظروفاً وأوضاعاً متحررة من التخلفِ ومثوراً للتراث القديمِ وللواقع لكونِ رسالةِ الفكر ذاتها هي ثورةُ وتثوير (جيلالي، 2012)

أي ان رسالة الفكر هي " النفيُ ونفيُ الوضع من أجلِ تغييرهِ وتطويرهِ ، فالفكرُ أساساً رفضُ وثورة، وبالرفضِ يتغير الواقع، والفكر الذي لايغيرُ لايكون فكراً بل يكون تبريراً وماتم عملهُ لايتحول الى فكرٍ بل يصبحُ جزءاً من الواقع ، والفكرُ هو الباديء بالتغيير والعاملُ على تحقيقه وليس الذي يتحدثُ عن ما سلف (حنفي، 1982) وأصبح جزء من التاريخ "

وحين يعتزلُ الفكرُ النقدي تاركاً الساحة خالية لكلِ أنواعِ الشطط ، – وحين يَتغيب الشكُ – سواء المنهجي أو الاستراتيجي– يتخلى الفرد عن صفته كفرد ، ويذوبُ في الازدحام ، ويصبحُ عنصراً لا أهمية له ، مخنوقاً وغيرَ معترفٍ به (جيللون، 1994، صفحة 3)

الملاحظ في نتاجاتِ (زاهد علي) رغم جودتِها الا انها كانت قليلةً ولاتتوافق مع مشروع أستاذٍ كان يَرمي نفضَ الغبار عن تراثه ، كما نلاحظُ ان الفترَة من تاريخ تقاعده الى وفاته تقدرُ بثلاثة عشر سنة، فهل أكتفى زاهد علي بما أنتجه؟ ام أحجمَ عن تأليف كتابٍ قد يعيد الكرةَ مرةً أخرى على من يصفه بشتى النعوت السيئة ؟ او قد تكون هناك مؤلفاتُ لزاهد علي ، لم تعرف طريقها الى الطباعة لتعم الفائدةُ ولعلها رهينةُ رفوف المكتبات أو مخزونةُ داخل صناديقَ في ظروف طبيعية صعبة تسمحُ للحشرات وأمراض الورق ان تجدَ طريقها إليه وبذلك لم تسلم مِن عوادي الزمن .

وهنا يقفُ زاهد علي امام هذه المنعطفات متألما لا متأملاً ، ومتأثراً لا مفكراً ، ومَن يدري لعله ذرف الدموع السخينة على ظلم ذوي القربى وكما قال الشاعر:

قومي هُم قتلوا أميم أخي فإذا رميتُ يُصيبُني سهمي (الخطيب، 2000)

لكنَّ زاهد علي كان يرى ان الموروثَ لم تَمسَّه يدُ التقليم والتطعيم الا نادراً ، وبقى الخلفُ يدورُ في فَلَك السلف ، ويعيُد اللاحق ماقاله السابق باللفظ والمعنى . فأقدمَ في مشروعهِ هذا إقدام الشجاعَ على وادي السباع (الحموي، 1977)

لذا نجد ان زاهد علي يُوصِل لنا رسالةً نحن الباحثون مفادها : " البحثُ ثقةُ بالنفس ، وإرادةُ الباحثِ كريمة ،فأكرموا ماتكتبون " (ملاحي، 2018)

لذا اقدم زاهد علي على مشروعه وكما قال الشاعر :

جاهِرْ برأيك مااستطعتَ صراحةً فالرأيُ أنفذُ حجةً لمصرحِ
ومن الرياءِ إذا كفرتَ بفكرة جاملت في ايمانها كالمستحي
فلكل حرٍ في الحياة عقيدةُ وعقيدة الأحرار لم تتزحزح
أربأ بموهبةٍ حبيت بنورِها أن تستغل لمأربٍ أو مطمع (حيدر، 1948، صفحة 70)

ولو ان زاهد علي سار في ركاب القوم لأصبح أحد رموز هذه الطائفة ولكن :

وتكره نفسي أن أكونَ مخادعاً لأبلغَ نفعاً أو لأدفعَ ضائراً (الرصافي، 2014)

رابعاً : زاهد علي ومنهجه في الرد على بعض الأفكار الغالية في المذهب الإسماعيلي

وسنتطرقُ في بحثنا هذا الى واحدةٍ من أهم القضايا العقدية والتأريخية والتي كانت محلَ إبتلاءٍ لمعظم الفرق الإسلامية لنعرف ماهية الهفوات التي رصدها زاهد علي .

- **الغلوُ في الأئمـــــة عليهم السلام :**

يَصف زاهد علي المذهب الإسماعيلي بـ " الجمعية السرية" ومن خصوصياتها الغلوُ والمبالغةُ والقولُ بالمحال ، ولهذا السبب تكون تعليماتُها سريةً للغاية ، وهذا سببُ كتمان عقائدها عن غيرها من أهلِ الظاهر، مبيناً إنها لو كانت من علوم أهل البيت لما كُتمت (علي، 2020، صفحة 65)

وذكرَّ أن من غلو الإسماعيلية أنهم ينسبون لأئمتهِم رواياتٍ خاطئة; مثل: روايتهم عن علي عليه السلام أنه قال: " أنا الأولُ والآخر, وأنا الظاهر والباطن, وأنا بكل شيء عليم, وأنا رفعتُ سماءها ودحوتُ أرضها, وأنا نبّأت النبيين, وأنا أرسلتُ المرسلين " (المجلسي، 1983) وزعمِهم أن الرسول ﷺ أخذ بيدِ علي وقال: " معشر الناس, هذا عليُ أخي... إلى أن قال: وساترُ عورتي, وغافرُ خطيئتي " (منصور ج.، 1984) ومن يستر العيوب ويغفر الخطيئة إلا الله, (علي، 2020، صفحة 35)

وبعد ذلك يُعلق (زاهد علي) على هذا المستوى من الغلو قائلاً :" ليتبيَّن الأمر للناقد البصير بأنا لم نَغْلُ في الأئمة وفضائلهِم فقط, بل وصفناهم بأوصافٍ إلهية, ونعوت كبريائية, وهو مخالفُ للتعاليم الإسلامية " (علي، صفحة 60) وبالتالي رفضَ زاهد ان يستسيغَ هذه الأفكار لان المِيتةَ لاتستساغ.

والغلوُ في النبي والأئمة إنما يكونُ بالقولِ بإلوهيتهم أو بكونهم شركاء لله تعالى في العبودية، أو في الخَلقِ والرزق ، أو ان الله تعالى حلَّ فيهم أو أتحد بهم ، أو أنهم يعلمون الغيبَ بغيرِ وحيٍ أو إلهام من الله تعالى ، أو بالقولِ في الأئمة أنهم كانوا أنبياءَ ، أو القولِ بتناسخ أرواح بعضهم الى بعض ، أو القولِ بأن معرفتهم تُغني عن جميع الطاعات ، ولاتكليف معها بتركِ المعاصي (المجلسي، صفحة 216)

ويعدُ الغُلو في حق اهل البيت أخطرَ من الغلو في حقِ غيرهم ، وذلك بسبب المكانة التي يحتلُها أهل البيت في الواقع وفي الوجدان معاً ويمكن أن أُمثل لكَ بأنك لو وضعت رواياتٍ في فضائل معاوية وشجاعتِه ونحو ذلك ، وقلت وقلت فلن تجد لذلك الا أثراً محدوداً .أما إذا وضعتَ تلك الروايات في فضائل عليعليه السلام وقلتَ ان علياً فعل كذا وكذا وقاتل الجن وعرج به في السماء لرأيتَ الناس – أو كثيراً منهم – بسبب علو ذاته ورُقي شمائله وصفاته تُصدق ذلك وتقبل منك .أي إن الغلو في آل البيت أسرعُ علوقاً في النفس واقوى تمكناً في الذهن ، ومايُعظمُ مشكلة الغلو إنها تمثل انهياراً في العقل ، ولما كانت انهياراً فانها لاتقفُ عند حدِ (البغدادي، 2014)

وبذلك أراد زاهد علي من خلال طروحاته إيقاف هذا الانهيار العقلي وكما قال علي عليه السلام :" الإيمان والعلم أخوان توأمان ورفيقانِ لايفترقان " (الليثي، 1418، صفحة 22)

وهنا يعني ان هناك حرب ، فلماذا هذه الحرب ؟

وهل هذه الحربُ حقيقية ؟ أي ان الدينَ والعلم خصمان حقيقيان ، أم ان التخاصم انما هو بين أهليهما خداعا وجَدلاً للوصول الى مآرب أخرى من إخضاع العامة لأحدِ الطرفين ، فأن هذا هو الذي يستحقُ البحث وعدمُ أنكشاف هذه الناحية الخطرةِ لعامة البشر هو الذي أوقَعهم في هذا التبلبلِ والحَيرة ، وهو علة العلل في هذا الداء الوبيل العالمي اليوم والذي يَجُرُ الى الابتعاد عن الدين عندما يَشعرون أن الاخذ بأسبابِ العلمِ ومقتضياته ضرورةُ اجتماعيةُ لا مفرَّ منها ولاسيما ان العلم يَطلبُ الحقَ للحقِ وحده ، وهذه ظاهرةُ امتاز بها هذا العصر خاصة بقوة لامثيل لها في جميع العصور، فكان العلمُ –على ماهو عليه – السلطانَ المطلقَ على الناس ، ولعلَ من حُسن الحظ ان رجالَ الدين يتحمسون لدينِهم ، فينكرون ان يكون للعالمِ الحقيقي ايه مخاصمة مع الدين ، ليقللوا من غلواءِ خصومِهم ، ويحاولون التوفيقَ بينهما جهد الإمكان ، وكذلك رجال العلم لايزالون عندما تَشتدُ ظاهرةُ الخصومة ويخشونَ التأثيرَ على حرياتهِم في البحث يسالمون الدين ويُبرهنون على ان الدين الحقيقي لايُعارض العلم ، فيمكن للباحث حينئذ ان يستنتج من دعوى الطرفين واعترافهما ايضاً ان الدين الحقيقي لايخاصم العلم الحقيقي، وانما الدين بما يُصبَغُ به من ظاهرةٍ بسبب بعض رجاله بما

يُدخلون عليه أو بسببِ العاداتِ الموروثة خارج الدين هو الذي يُخاصمُه العلم أو ان العلم المبني على التخمينِ والحدسِ والظنونِ الذي ليس له حقيقة مطلقة هو الذي يُعارضُ الدين (المظفر، 1947)

والاصلُ في العلم تحكيم العقل في كل مايُعرضُ للإنسان من امرٍ، والمراد بالعقل العقلُ الذي استوفى شروطَ الفهم التي تُؤهله لإدراك مايلقى إليه ، فالقرآن يَحتكمُ الى العقل وينعى من لا يستعمله، فَيذكُر القرآنُ العقل بإسمه وافعاله زُهاءَ خمسين مرةً ويذكر كلمة (اولوا الالباب) أي أصحابَ العقولِ في بضع عشرة مرة ، والعلمُ في منعِه التقليد الاعمى يتفق تماماً مع القرآن الذي شَدَّد النكير على أناسٍ كانوا يتمسكون بالرأي لا لأنهم عَقلوه ولكن لأن آباءَهم فعلوه (طبارة، 1973)

وحمادى القول إن حرَكة الإصلاح والتجديد تفرض على التقاليدِ والعادات والأوضاع القديمة ان تتكيفَ وتتطورَ كي لاتصبحَ عائقةً عن اقتباسِ ماستحدثته الحضارةُ من سائر المخترعات والصنائع المفيدة وماولدته قرائحُ ألبابِ الفلسفةِ والعلم والادب من النظريات والاراء النافعة ، على أن هذا التكيفَ لايتم الا بحصولِ المرونة العقليةِ فاذا توفرت هذه المرونةُ عند أحدِ الشعوبِ فقد أخذ طريقَه الى الارتقاءِ والتمدن ، واذا انعدمت فقد بقيَ على حالةٍ من الانحطاط والتدهور (شوقي، 1935)

وبعد فأن التأريخ أمانةُ العصورِ بيد المؤرخ ، والحقُ فوق الامانةِ والأمين .

الخاتمـــــــــة:

وبعد هذا وصلنا الى مجموعة من النتائج نستخلصها كالاتي

1. من البديهي ان تكون نهاية كل مجدد ـ أراد ان يقشع ركام الترهات عن واقع معتقده ـ كتلك النهاية التي كانت لزاهد علي الذي أراد الحياة لقومه وأرادوا له الممات.
2. تكمن أهمية زاهد علي في كونه شخصية لها ابعادها العلمية فقد جمع مابين العلوم الشرعية والأكاديمية ، ولم يستطيع ان يكون توفيقي مابين اراء مذهبه وعقله الذي أبدى له كل الاحترام ، وهذا أدى الى عدم أدلجة فكره بالطريقة التي يرتضيها اتباع هذا المذهب.
3. شجاعة زاهد علي في مواجهة المواقف عجلت من نهايته حتى لاتكون هناك مؤلفات جديدة قد تكون مادة بديلة عن مذهبه ومذهب آبائه.
4. نلاحظ الصمت المطبق لكثير من الباحثين والمؤرخين حول شخصية زاهد علي وهذا قد يقع ضمن التوصيات والتي يراد منها جعله شخصية ضبابية لكونه أستقام على غير الطريقة (حسب زعمهم)، فلم يكن له حظ من مائهم الغَدِق !.

الملاحق:

صورة للدكتور زاهد علي تم تزويدنا بها من معهد الدراسات الإسماعيلية (لندن) ، وذلك لعدم توفرها على الشبكة العنكبوتية .

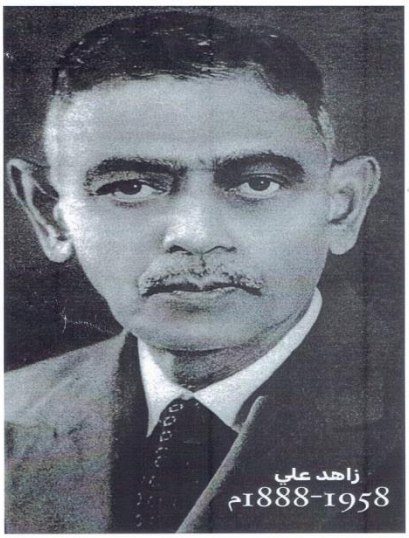

المصادر والمراجع:

اولاً: المراجع باللغة العربية

ابي الفضل احمد بن محمد الميداني. (42). مجمع الامثال. ايران: مؤسسة الطبع والنشر التابعة للاستانة الرضوية المقدسة.

ابي القاسم اسماعيل بن احمد الزيدي السبتي. (2002). *كشف الاسرار ونقد الأفكار*. الكويت: دار قرطاس.

احمد ، جاب الله. (2010). آفاق تدريس العلوم الدينية. *مجلة المشكاة*، صفحة 118.

المعز لدين الله الفاطمي. (2006). *أدعية الايام السبعة*. بيروت: دار الغرب الاسلامي.

(2011). الفاخر في الامثال. تأليف المفضل بن سلمة الضبي. بيروت: دار الكتب العلمية .

بو بكر جيلالي. (2012). التثوير في الموقف الحضاري. *منتدى الكلمة للدراسات والابحاث*، صفحة 86.

جاب الله. (2010). آفاق تدريس العلوم الدينية. *مجلة المشكاة*، صفحة 118.

(1984). سرائر واسرار النطقاء. تأليف جعفر، منصور. بيروت: دار الاندلس.

حسن حنفي. (1982). قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر. بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر.

حسين علي محفوظ. (1978). تقييم التراث باعتباره اساساً ووسيلة. *مجلة المورد*، صفحة 123.

زاهد علي. (2020). *حقيقة مذهبنا الاسماعيلي ونظامه*. الهند.

شاكر حيدر. (1948). الاعتبارات. *مجلة الشعاع*، صفحة 70.

شكيب ارسلان. (1965). لماذا تأخر المسلمون. بيروت: دار الفكر.

(1977). معجم البلدان. تأليف شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت الحموي. بيروت: دار الكتب العلمية.

طاهر ، ابن جيللون. (1994). تنازل الفكر . *مجلة رسالة اليونسكو* ، صفحة 4.

عبد الحميد الاسماعيلي. (1982). عقبات التراكمات التاريخية امام المصلحين . *مجلة الاحياء*، صفحة 43.

عبد الغني افندي شوقي. (1935). المرونة العقلية وأهميتها قديما وحديثا. *مجلة الاعتدال*، صفحة 199.

عبد الله احمد اليوسف. (2001). الاجتهاد والتجديد في فكر الشيخ محمد مهدي شمس الدين. *مجلة الكلمة*، صفحة 26.

(2014). النجاة من دجل الغلاة. تأليف عز الدين بن محمد البغدادي. بغداد: مكتبة الرسول الامين.

(1973). روح الدين الاسلامي. تأليف عفيف عبد الفتاح طبارة. بيروت: دار العلم للملايين.

(2018). جرأة الباحث وثقته بنفسه. تأليف علي ملاحي. الجزائر: مجلة الحكمة للدراسات الادبية واللغوية.

عمر علي ، دي اونثاغا. (2014). تأليف *قلاع العقل* (صفحة 39). بيروت: دار الساقي.

(1418). عيون الحكم والمواعظ. تأليف لي بن محمد الواسطي الليثي. قم: نشر دار الحديث.

محمد الطاهر. (1984). *التحرير والتنوير* . تونس: الدار التونسية للنشر.

(1983). بحار الانوار. تأليف محمد باقر المجلسي. بيروت: دار احياء التراث العربي.

(1947). عصر الافلاس الروحي. تأليف محمد رضا المظفر. النجف: مطبعة الغري.

محمد سعيد العشماوي. (1994). اغتيال الشخصية. *مجلة ابداع*، صفحة 17.

(2014). تأليف معروف الرصافي، *ديوان معروف الرصافي* (صفحة 65). المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.

ن .ب ، جوبسون. (1945). تعلم اللغات. *مجلة الادب والفن*، صفحة 72.

نجاح ابراهيم منصور. (2015). من شواهدحضارة المسلمين في الهند. *مجلة الوعي الاسلامي*، صفحة 82.

(2006). المستشرقون. تأليف نجيب العقيقي. القاهرة.

(2000). تأليف يحيى بن علي بن محمد الشيباني الخطيب، *شرح ديوان الحماسة لابي تمام* (صفحة 153). بيروت: دار الكتب العلمية.

ثانياً : المراجع باللغة الانكليزية

.london: institute of ismaili studies *.ismaili Manuscripts Arabic* .(.Cortese, D. (n.d

First: Arabic references

An Indian city established by Sultan Muhammad Quli in the year 1589 AD. The city is located on the Musa River, 500 km northwest of the city of Madras. It is an important center for Islamic culture and has many museums, colleges, research centers and three universities. See: Mansour, Najah Ibrahim, among the evidence of Muslim civilization in India, Hyderabad City, Islamic Awareness Magazine, Issue 605, (Kuwait, 2015 AD.(

Ali, Zahid, The Truth of Our Ismaili Doctrine and its System, 2nd ed. (D.M., 2020 AD.(

He describes the two things as closeness and resemblance between them. See, Al-Maidani, Complex of Proverbs, Part 1.

An English orientalist, born in 1858 AD. He graduated in oriental languages from the University of Oxford and mastered Arabic. He held a professorship at the University of Oxford and was considered one of its most famous professors. His views were appreciated by contemporary Arab writers. He was elected a member of the Arab Scientific Academy in Damascus, the British Linguistic Society, and the German Oriental Society. He died in 1940 AD. Leaving behind dozens of scientific works, see: Al-Aqiqi, Naguib, The Orientalists, 5th edition, (Cairo, 2006) vol. 2.

Jobson, N.B., Learning Languages, Journal of Literature and Art, No. 4 (London, 1945), p. 72.

Al-Fatimi, Al-Muizz Li Din Allah, Supplications for the Seven Days, edited by Ismail Qurban Hussein Poonawalla, 1st edition, Dar Al-Gharb Al-Islami, (Beirut, 2006 AD.(

Al-Sabti, Abi Al-Qasim Ismail bin Ahmed Al-Zaidi, (d. 420 AH), Revealing Secrets and Criticizing Ideas, edited by Adel Salem Al-Abd Al-Jader, 1st edition, Qartas Publishing House (Kuwait, 2002 AD.(

Ali, The Truth of Our Ismaili Doctrine and its System, p. 27

Ali, The Truth of Our Ismaili Doctrine and its System, p. 27

De, Unthaga, Omar Ali, Castles of the Mind - Ismaili and Islamic Studies in Honor of Farhad Daftari - , ed.: Saif al-Din al-Qusayr, 1st edition, Dar al-Saqi (Beirut, 1435 AH/2014 AD.(

Ali, The Truth of Our Ismaili Doctrine and its System, p. 69

Mahfouz, Hussein Ali, Heritage Evaluation as a Basis and a Means, Al-Mawrid Magazine, No. 2, (Baghdad, 1978.(

Jaballah, Ahmed, Horizons of Teaching Religious Sciences, Al-Mishkat Magazine, Issue 8, Al-Zaytouna Mosque (Tunisia, 2010.(

Al-Youssef, Abdullah Ahmed, Ijtihad and Renewal in the Thought of Sheikh Muhammad Mahdi Shams Al-Din, Al-Kalima Magazine, No. 30, (D. M., 2001 AD.(

Muhammad Al-Tahir, Al-Tahrir wa Al-Tanwir, Part 1, Tunisian Publishing House (Tunisia, 1984 AD.(

Ali, The Truth of Our Ismaili Doctrine and its System, p. 57

Ali, The Truth of Our Ismaili Doctrine and its System, p. 99

(*)What is meant by them is Ahl al-Sunnah wal-Jama`ah

Ali, The Truth of Our Ismaili Doctrine and its System, p. 99

That is, the concealment disappeared and the matter became apparent. Al-Dhabi, Al-Mufaddal bin Salamah bin Asim, (d. 291 AH) Al-Fakher fi Al-Amthal, edited by Muhammad Othman, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah (Beirut, 2011 AD.(

Ali, The Truth of Our Ismaili Doctrine and its System, p. 99

Al-Ashmawy, Muhammad Saeed, Character Assassination, Ibdaa Magazine, Issue: 4, Egyptian General Book Authority, (Cairo, 1415 AH/1994 AD.(

Haider, Shaker, Al-Shu`a magazine, first year, issue 3, (Najaf, 1948 AD.(

Al-Ismaili, Abdul Hamid, Obstacles to the Historical Accumulations Facing the Reformers, Al-Ihya Magazine, Volume 2, Issue 2, (D.M., 1982 AD.(

Ibn Jillun, Taher, The Relinquishment of Thought, UNESCO Mission Magazine, No. 47 (D.M., 1994.(

He who loves is better at deceiving, so he is wiser than he who loves, the foolish one, the luxurious one in the proverbs.

Arslan, Shakib, Why were Muslims late, 4th edition, Dar Al-Fikr (Beirut, 1965 AD.(
Al-Youssef, Abdullah Ahmed, Ijtihad and Renewal in the Thought of Sheikh Muhammad Mahdi Shams Al-Din, Al-Kalima Magazine, No. 30, (D. M., 2001 AD.(
Jilali, Bou Bakr, Revolutionization in the Civilized Situation, (Heritage and Renewal as a Model), Al-Kalima Forum for Studies and Research, No. 74 (Lebanon, 2012 AD.(
Hanafi, Hassan, Contemporary Issues in Our Contemporary Thought, 2nd edition, Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing (Beirut, 1983 AD.(
Ibn Jillun, Taher, The Relinquishment of Thought, UNESCO Mission Magazine, No. 47 (D.M., 1994.(
It was said by Al-Harith bin Wa'ala, a pre-Islamic poet, looking at: Al-Khatib Al-Tabrizi, Abu Zakaria Yahya bin Ali bin Muhammad bin Hassan Al-Shaybani, (d. 502 AH), Sharh Diwan Al-Hamsa by Abu Tammam, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah (Beirut, 2000 AD), vol. 1.
Wadi al-Siba', in which al-Zubayr ibn al-Awwam was killed after his return from the Battle of the Camel, is located between Basra and Mecca, and five miles between it and Basra, and it is on the outskirts of Kufa. See, al-Hamawi, Shihab al-Din Abi Abdullah Yaqut (d. 626 AH/1228 AD), Mu'jam al-Buldan, Dar Sader (Beirut). , 1398 AH/1977 AD), vol. 4
Ali, Malahi, The researcher's boldness and self-confidence, Al-Hikma Journal for Literary and Linguistic Studies (Algeria, 2018), Issue 13.
Haider, Shaker, Al-Shu`a magazine, first year, issue 3, (Najaf, 1948 AD.(
Al-Rusafi, Marouf, Diwan Marouf Al-Rusafi, Hindawi Foundation (United Kingdom, 2014 AD.(
The Truth of Our Ismaili Doctrine, p. 65
Al-Majlisi, Muhammad Baqir (d. 1111 AH / 1699 AD), Bihar Al-Anwar, 3rd edition, Dar Revival of Arab Heritage, (Beirut, 1404 AH / 1983 AD), vol. 42.
Jaafar, (d. 380 AH), Secrets and Secrets of the Nuqa', edited by Mustafa Ghalib, 1st edition, Dar Al-Andalus, (Beirut, 1984 AD(
Ali, The Truth of Our Ismaili Doctrine and its System, p. 35
Ali, The Truth of Our Ismaili Doctrine and its System, p. 60
Al-Majlisi, Bihar Al-Anwar, vol. 25
Al-Baghdadi, Izz al-Din bin Muhammad, Deliverance from the Deception of the Extremists, 1st edition, Library of the Faithful Messenger (Baghdad, 2014 AD.(
Al-Laythi Al-Wasiti, Ali bin Muhammad, (died in the sixth century AH) Uyun Al-Hikam wal-Mawaaz, edited by Hussein Al-Hasani Al-Birjandi, 1st edition, published by Dar Al-Hadith, (Qom, 1418 AH– (
Al-Muzaffar, Muhammad Redha, The Age of Spiritual Bankruptcy, Al-Dalil Magazine, No. 10, First Year, Al-Ghari Press (Najaf, 1947 AD.(
Tabbara, Afif Abdel Fattah, The Spirit of the Islamic Religion, 11th ed., Dar Al-Ilm Lil-Millain (Beirut, 1973 AD.(
Shawqi, Abdul Ghani Effendi, mental flexibility and its importance in the past and in the present, Al-Etidal Magazine, No. 4, second year, (Najaf, 1935 AD.(

صدى أختفاء المهدي بن بركة في الصحف العراقية 1965

أ.د. عبد الجليل مزعل بنيان

abdaljqleaL29@gmail.com

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم التاريخ

ملخص

المهدي بن بركة من الشخصيات السياسية المغربية التي تركت اثراً واضحاً في مجمل التطورات الداخلية التي حصلت في بلاده. وجاء هذا نتيجة الشخصية القوية والذكاء الذي تمتع به هذا الرجل, وهذا ما اكدته شهادات الكتاب المغاربة والعرب والأوروبيون, فقد عارض التوجهات الرجعية المانعة للتطور, وهذا ما أدخله في صراعات مع الفئة الحاكمة والتوجهات الاستعمارية ، وقد نشأ أحمد بن بركة نشأة دينية، وهو رجُلاً ذا ثقافة متوسطة، يجيد تلاوة القرآن، وكان يقوم بأمامة الناس في المناسبات الدينية، يمتلك متجراً يقع في قلب مدينة الرباط ، يبيع فيه السكر والشاي والشموع تزوج أحمد بركة من فطومة بوعنان ورزقت بسبعة أطفال ثلاثة بنين هم إبراهيم الأبن البكر الذي توفي بمرض السل عام ١٩٣٨ والمهدي ، وعبد القادر وأربع بنات وهن فاطمة وسعيدة وزبيدة وزهور.

الكلمات الافتتاحية: المهدي بن بركة، اختطاف، صحف ، فرنسا

Summary

Mehdi Ben Barka is one of the Moroccan political accommodation that Left aclear impact on the overqll internal developments in musqlqlat Bilqdah. This was due to the invincibility of the strong personality and intelligence that this man enjoyed and this is what is confirmed by the testimonies of Moroccan arab and European writers He opposed the reactionary tendencies that prevent development and this is what brought him into conflicts with the ruling class and coloniql tendencies.، Mehdi Ben Barka is one of the Moroccan political figures who left a clear impact on all the internal developments that took place in his country. This came as a result of the strong personality and intelligence that this man enjoyed, and this was confirmed by the testimonies of Moroccan, Arab and European writers. He opposed reactionary tendencies that prevented development, and this is what brought him into conflicts with the ruling class and colonial tendencies. Ahmed Ben Barka had a religious upbringing, and he was a man of He has an average culture. He is good at reciting the Qur'an, and he used to lead people in religious occasions. He owns a store located in the heart of the city of Rabat, where he sells sugar, tea, and candles. Ahmed Baraka married Fattouma Bouanane, and they had seven children. Three sons: Ibrahim, the eldest son, who died of tuberculosis in 1938, and Al-Mahdi. Abdul Qadir and four daughters: Fatima, Saeeda, Zubaida, and Zuhur .

Opening words: Mehdi Ben Barka, kidnapping, newspapers ,France

المقدمة:

أدى المهدي بن بركة دوراً وطنياً مهماً، أسهم بشكل فعال في تحقيق استقلال المغرب عام ١٩٥٦ عبر نضاله الوطني الدؤوب، وقد تجاوز فكره ونشاطه حدود المغرب الأمر الذي جعله أحد علماء العالم الثالث، وقد أجمعت شهادات من عاصرة من الكتاب المغاربة، والعرب، والأجانب، على قوة شخصيته وثقافته العالية، ونهجه السياسي الوطني والقومي في داخل المغرب، وعلى الصعيد الخارجي في العالم لاسيما في المحيط الأفريقي والأسيوي، وكان من الشخصيات القوية والمؤثرة التي تعذر تطويعها لخدمة الفئات الرجعية، والمصالح الاستعمارية، التي رفضها بكل أباء وهدد مصالحها من خلال فكره ونشاطه السياسي .

وكان لمنفى أبن بركة في الخارج يومها أثره في اندماجه في ذلك المعترك السياسي، ومارس فيه دوراً كبيراً حتى أصبح أحد قادته البارزين، وأخذ يحشد قوى التحرر العالمية ضد الأستعمار الجديد، وفي هذا الأطار أمتاز بطابعه الثوري المثقف، فكان يحاضر ويخاطب قادة حركات التحرر العالمية، وفي سبيل ذلك تعرض لمضايقات كثيرة وقد حالت الأطراف الأستعمارية والرجعية، دون تطبيق

أفكاره على أرض الواقع، وفي سبيلها أرتكبت بحقه أسوء جريمة، ووجهت ضربة عنيفة لحركات التحرر بالعالم عندما أختطف أحد قادتها من أحد شوارع باريس وبقيت هذا الحادثة لها الاثر الواضح بين ابناء الشعب المغربي.

اعتمدت الدراسة على مجموعة متنوعة من المصادر الأصلية يأتي في مقدمتها الصحف العراقية والتي احتلت الحيز الأكبر في ثنايا البحث وابرز هذه الصحف هي صحيفتي الجمهورية وصحيفة الثورة العربية، اضافة الى صحف اخرى مثل صحيفة الفجر الجديد والمنار، إذ كانت رافداً من البحث بمعلومات وافية عن طبيعة الدراسة، وغيرها من المصادر التي تنوعت ما بين كتب عربية ابرزها (كتاب كشف النقاب عن الحقائق والثغرات في المحاكمة الأولى لقتلة بن بركة) (للمؤلف شارل اندريه جوليان وكتاب خفايا أغتيال المهدي بن بركة كشف جريمة دولية) للمؤلف جاك درجي وفردريك بلوكان التي كان لها الأثر الكبير في إغناء الدراسة، وامل ان أكون قد وفقت في انجاز هذا الجهد المتواضع والله من وراء القصد.

اولاً : نشأته وتكوينه الأجتماعي ونشاطه السياسي:

1- ولادته ونشأته الاجتماعية

ولد المهدي بن أحمد بن بركة عام ١٩٢٠ بمدينة الرباط (روم لاندو ، 1961، صفحة 77) وترعرع في بيت والده في السنوات الأولى من عمره، وعرف منذ الصغر بشغفه في قراءة القرآن الكريم (Uعبد اللطيف جبرو، 1989، صفحة 15). يرجع نسبه الى قبيلة الزيايدة العربية، التي كانت تسكن في بادية المغرب (عبد الرحمن حميد، 1972، صفحة 196) وقد تعرضت القبيلة لعمليات سلب ونهب وتم اغتصاب أراضيها من لدن السلطات الفرنسية ووزعت على المستوطنين الفرنسيين (مصطفى الشهابي، 1956، صفحة 145) وعلى أثر ذلك، أضطر بركة جد المهدي الى مغادرة منطقة سكناه مع أسرته والهجرة الى مدينة الرباط، وبعد أن استقر فيها عمل في خياطة الملابس ورزق بولداً أسماه أحمد (عبد الرحيم الورديغني ، الصفحات 1956-1961).

نشأ أحمد بن بركة نشأة دينية، وهو رجُلاً ذا ثقافة متوسطة، يجيد تلاوة القرآن، وكان يقوم بأمامة الناس في المناسبات الدينية، يمتلك متجراً يقع في قلب مدينة الرباط ، يبيع فيه السكر والشاي والشموع تزوج أحمد بركة من فطومة بوعنان ورزقت بسبعة أطفال ثلاثة بنين هم إبراهيم الأبن البكر الذي توفي بمرض السل عام ١٩٣٨ والمهدي ، وعبد القادر وأربع بنات وهن فاطمة وسعيدة وزبيدة وزهور (جاك درجي وفردريك بلوكان، 2006، صفحة 2013).

بدأ المهدي بن بركة مسيرته الدراسية وتعليمه في مدرسة أسلامية تسمى المسيد (كتاتيب القرآن) الكائنة في درب الزهراء بالرباط، واصل دراسته في المسيد وأهتم بدراسة القرآن الكريم

كان لذكائه العالي ومثابرته الفضل في تفوقه بدراسته التي أظهر خلالها موهبة عالية في دراسة الرياضيات الى جانب العلوم الأخرى وفي أثناء تعليمه الأبتدائي تعاطى فن التمثيل ، والتحق بثانوية كلية مولاي يوسف ومنها التحق بمدرسة ثانوية كورو في الرباط، وأظهر خلال دراسته تفوقاً عالياً، وكان أنبغ الطلاب في جميع المواد الدراسية لاسيما مادة الرياضيات، فضلاً عن تفوقه بعلم التاريخ واللغة الفرنسية وأهتمامه الخاص بعلوم الفيزياء والكيمياء.

وفي أثناء دراسته وعمره أربعة عشر عاماً رأس مجموعة من رفاقه لتقديم عريضة طالبت بإصلاح البرامج الدراسية، وكتبت عنه أعين سرية تابعة لسلطات الحماية الفرنسية تقريراً وضع في ملفه المدرسي ، فيما بعد " تلميذ يحتل المرتبة الأولى في الفصل يتصل بالوطنيين يتعين مراقبته وتتبعه"وبعد مضي عام عاد الى ثانوية كلية يوسف للموسم الدراسي ١٩٣٧-١٩٣٨، وبعدها نال شهادة البكالوريا الثانوية عام ١٩٣٨ بميزة حسن جداً ، وتم منحه جائزة الاستحقاق الأولى ولوحة الشرف في اللغتين اللاتينية والأنكليزية، واللغة الفرنسية والترجمة والرياضيات والتاريخ والجغرافية والعلوم العربية والتربية الأسلامية (عبد اللطيف ، صفحة 66).

بعد أن نال شهادة البكالوريا قام بزيارة فرنسا في صيف عام ١٩٣٨، وعندما عاد الى بلاده التحق بمدرسة ثانوية ليوتي بالدار البيضاء في عام ١٩٣٩ في دورة تطويرية لدراسة الرياضيات ، كانت لديه رغبة في الالتحاق بجامعة باريس لاكمال دراسته فيها ، إلا أن اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ سما جعله يلتحق بجامعة الجزائر عام ١٩٤٠ والتي كانت فرعاً لجامعة باريس حيث أكمل فيها دراسته في الرياضيات وفي أثناء ذهابه للجزائر أصبح لديه تصور عن الواقع الاستعماري في أرض عربية تحمل خصائص ومميزات المغرب نفسها، ونظراً لنشاطه وشخصيته القوية وحماسته، تم انتخابه رئيساً لأتحاد طلبة شمال أفريقيا بداية عام ١٩٤١،

وفضلا عن ذلك، كانت له علاقات صداقة قوية مع بعض الفرنسيين التقدميين في الجزائر ومنهم الصحفي بولانتان (المصدر نفسة، الصفحات 71-107).

وفي نيسان عام ١٩٤١ عاد إلى المغرب لقضاء العطلة الربيعية فأنتهز الفرصة للقيام بنشاط وطني، اذ ألقى محاضرة في فاس عنوانها تنظيمات الشبيبة عبر العالم، وفي نهاية المحاضرة ألتقى مع عبد الرحيم بوعبيد وارتبطا بعدها بعلاقة صداقة توثقت أواصرها بينهما فيما بعدوعاد المهدي من الجزائر بشكل نهائي عام ١٩٤٣ بعد حصوله على شهادة البكلوريوس في الرياضيات من جامعة الجزائر وعين أستاذاً لمادة الرياضيات أواخر عام ١٩٤٣ بمدرسة ثانوية كورو التي درس فيها سابقا (عبد الرحيم بوعبيد ، 1944، صفحة 20).

عمل المهدي في الثانوية المولوية بأمر محمد الخامس، أذ تم تعيينه فيها أستاذاً للرياضيات وكان ذلك بداية علاقة أبن بركة مع العائلة الملكية، ولاسيما مع الأمير الحسن الثاني وأرتبط الأثنان بعلاقة مودة وصداقة أستمرت بينهما طيلة أربع سنوات كان فيها المهدي أستاذاً للرياضيات له وبفضله تم رفع المستوى العلمي للأمير ، لكونه لم يكن متفوقاً في درس الرياضيات، بعد ذلك أكمل المهدي دراسته في باريس بعد الحرب العالمية الثانية، وحصل على درجة الماجستير بمرتبة أمتياز من جامعة باريس باختصاصه، وحاول أكمال دراسته عام ١٩٥٦ أذ تقدم برسالة للحصول على درجة الدكتوراه في الرياضيات، إلا ان ممارسته للعمل الوطني في وقتها لم تتح له الفرصة لأكمالها وأنصرف الى ممارسة العمل السياسي.

أما الجانب الاجتماعي للمهدي بن بركة، فأنه تزوج عام ١٩٤٩ من غيثة أبنة أحمد بناني قاضي الرباط عام ١٩٤١ ، وبعد عام رزق بأبنه البكر البشير وبعده أبنته فوز ، وفي آب عام ١٩٥٨ وعندما كان المهدي في أحد أجتماعات اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، أخبر بأنه رزق بتوأم أولاد سماهما سعد ومنصور تيمناً بالملك المغربي منصور السعدي (عبد اللطيف جبرو، 1943).

2- بواكير نشاطه السياسي ١٩٣١-١٩٥٦:

برز دوره سياسياً من خلال ممارسته العمل المسرحي، بوصف النشاط المسرحي يمثل وجه من أوجه النشاط الوطني، واصل أبن بركة نشاطه السياسي بالأنتماء الى تنظيم سياسي سري ظهر عام ١٩٣١ سمي الطائفة والتي ضمت في عضويتها ستين عضواً من الشباب، كان المهدي من بينهم، والتي كان أبرز أعضائها علال الفاسي، والتي برزت بعد صدور الظهير البربري عام ١٩٣٠، ونظراً لتحولات جرت على الساحة المغربية كان لها أثرها في سير التنظيم الحزبي أدى ذلك الى تغيير اسم التنظيم الى أسم كتلة العمل الوطني عام ١٩٣٤ مارس أبن بركة دوره السياسي من خلالها وعمره أربعة عشر عاماً، وكانت الكتلة تعمل داخل المغرب وخارجه من أجل تعريف الرأي العام بقضية المغرب ، وفي نيسان عام ١٩٣٧ عقدت الكتلة مؤتمراً لها في الرباط، وقررت فيه أستبدال اسم كتلة العمل الوطني باسم جديد هو الحزب الوطني لتحقيق المطالب المغربية (محمد صالح الكروي ، 2009).

وفي سياق متصل، رشح نفسه لرئاسة جمعية قدماء تلاميذ كلية مولاي يوسف بالرباط وفاز أبن بركة فيها، وترك نجاحه في الميدان السياسي أثاراً أخرى عليه شخصياً، أذ تمت متابعته من لدن المخابرات التابعة للأقامة العامة الفرنسية التي أصبح أبن بركة في نظرها مشاعباً معروفاً بأفكاره التي باتت تقلق راحة السلطات، ودفع نشاطه أحد مخبري الأقامة العامة الأعداد تقرير سري عنه في الرابع والعشرين من تشرين الأول عام ١٩٤٣ تضمن التقرير نشاطه الوطني المتزايد المثير للأنتباه لاسيما بعد انتخابه رئيساً لجمعية قدماء تلاميذ كلية مولاي يوسف في الرباط الذي مثل تحدياً لرغبة سلطات الحماية، وفي عام ١٩٤٥ ترك وظيفته أستاذاً للرياضيات في المعهد المولوي وكان عمره خمسة وعشرين عاماً ليتفرغ للعمل السياسي، ولاسيما بعد أن أصبح عضواً في اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال عام ١٩٤٤.

أستمر أبن بركة بنشاطه بعد أعلان الاستقلال في الثاني من أذار عام ١٩٥٦، وقد بذل جهوداً كبيرة كان لها أهميتها في بناء المغرب بمختلف المجالات، واصبح المهدي بن بركة رئيس المجلس الوطني الأستشاري، نظراً لقوة شخصيته المؤثرة ودرايته السياسية، وأصبح يومها موزعاً بعمله على مجالات، فضلاً عن مسؤولياته الحزبية ورئاسته للمجلس الوطني الأستشاري (الحسن الثاني ، صفحة 442).

حاول أبن بركة طبع الحياة السياسية بطابع ديمقراطي، لكي تحول أمام المؤامرات الإمبريالية والتحالفات الرجعية، وبتأثيره أصدر الملك لائحة ملكية سمح بها للمواطنين بممارسة حرية الرأي، وحرية الكلام، وحرية الاجتماع على أن لا يتعارض ذلك مع الحكم الملكي، وسلامة الدولة ومتطلبات الصالح العام (عبد الطيف جبرو، صفحة 164).

إن رئاسة المجلس الوطني الاستشاري لم تجعل أبن بركة ينصرف عن نشاطه السياسي في صفوف حزب الاستقلال، بل أستمر بمضاعفة جهوده في العمل داخل الحزب، اذ تولى عام١٩٥٦ مهمة الأشراف على مجلة الاستقلال الأسبوعية (سعد زغلول ، 1966، صفحة 106).

3- دوره في أطار الأتحاد الوطني للقوات الشعبية ١٩٥٩-١٩٦٥:

واصل أبن بركة بذل جهوده في العمل على تشكيل تجمع جديد باسم الأتحاد الوطني للقوات الشعبية ولاسيما بعد تصاعد وتيرة الخلافات بين جناحي حزب الاستقلال من جهة، وبين ولي العهد الحسن الثاني رئيس هيئة أركان الجيش المغربي من جهة ثانية وطرح ذلك في الوسط اليساري بشكل علني وقوبل رأيه بمساندة جميع القادة النقابيين، وقادة المقاومة وجيش التحرير، اذ أبدى كل من عبد الله أبراهيم والمحجوب بن الصديق رئيس الأتحاد المغربي للشغل مساندتهما له، إلا أنه قوبل بمعارضة عبد الرحيم بوعبيد في وقتها لأسباب أعلن تحفظه عنها، وكانت الركيزة التي أعتمد عليها أبن بركة لأعلان الأنشقاق الأتحاد المغربي للشغل، والمقاومة وجيش التحرير (علال الفاسي ، 1961، الصفحات 10-20).

بذل أبن بركة جهوده لأعلان الأنفصال بشكل نهائي عن حزب الاستقلال، وقد تكللت جهوده بعقد المؤتمر التأسيسي الأول بسينما الكواكب الكائنة في شارع الفداء في الدار البيضاء المصادف يوم الأحد السادس من أيلول عام ١٩٥٩ وأعلن عن ميلاد الأتحاد الوطني للقوات الشعبية وحدد أهدافه بالدفاع عن الاستقلال والوحدة الكاملة للتراب الوطني وجلاء القوات الأجنبية وتصفية مخلفات الاستعمار من القيود العسكرية والاقتصادية والفنية وأقامة ديمقراطية واقعية تضمن لجميع المواطنين تسيير شؤونهم في جميع الاصعدة (امين الهاشمي ، 1961، صفحة 263).

واصبح ابن بركة أمينا عاما له والمحرك الفعلي في تأسيس الاتحاد والأشراف عليه واصبح احد زعماء اليسار المرموقين في المغرب، وله دور كبير في النضال المغربي والقضاء على الرجعية والاستعمار، والسكرتير العام للاتحاد الوطني المغربي نظراً لدوره الفعال فيه وتبنى أبن بركة المنهج الأشتراكي خياراً أيديولوجياً للأتحاد الوطني للقوات الشعبية بذلك أختلف الأتحاد الوطني للقوات الشعبية من حزب الاستقلال الذي ارتكز في أيديولوجيته على الأصلاح السلفي الأسلامي في أطار التعادلية التي عدها خياراً له في الميدان الاقتصادي والاجتماعي أنهم حزب الاستقلال ابن بركة وجماعته بوقوعهم تحت التأثير الشيوعي (ضريف محمد ، صفحة 27).

وقد نال الأتحاد الوطني للقوات الشعبية مساندة مختلف فئات الشعب المغربي ودعا ابن بركة الى أقامة منظمات جماهيرية متصلة بالحزب في وسط الفلاحين والطلاب، والعمال فضلاً عن أقامة منظمات نسوية كان الغرض منها تقوية صلة الوصل بين الحزب والجماهير أولاً، ولكي يكون الحزب قادراً على تحريك الجماهير من خلالها ثانيا.

أستمر المهدي بن بركة بمواصلة نشاطه السياسي في أطار الأتحاد الوطني، وكانت تحركاته في جو من التوتر السياسي، وفي بداية عام ١٩٦٠ ومع استمرار حملة الأعتقالات سافر أبن بركة الى تونس لتمثيل الأتحاد الوطني للقوات الشعبية في مؤتمر الشعوب الأفريقية وبحلول شباط عام ١٩٦٠ أعلنت أدارة الأمن العام أنه تم أكتشاف مؤامرة لأغتيال ولي العهد الحسن الثاني وهولت الصحافة الخبر، وفي الرابع والعشرين من أذار عام ١٩٦٠ وجهت الصحف الأتهام الى المهدي بن بركة وعدته الرأس المخطط للمؤامرة، وأتهم البصري بتنفيذها وكان يومها في السجن، وأن هناك مذكرة توقيف ضد أبن بركة وبعد مرور ستة أشهر أصدر الملك عفواً عن جميع الموقوفين (محمد الجابري ، 2009، صفحة 125).

كان أبن بركة يتابع ما حدث من انقلاب بالسلطة، ودافع عن الأحزاب ضد الأتهامات التي وجهت اليها وأفصح أبن بركة عن أتجاهه الثوري المناهض للحكم في المغرب الذي عده مرتبطاً بالإمبريالية وأكد في كتابه الأختيار الثوري يرتكز على مقومين :

الأول: يتمثل في الواجهة الداخلية، وتتلخص في تصفية مخلفات السيطرة الأجنبية، وأنهاء التبعية في الميادين الاقتصادية والمالية، والثقافية.

الثاني: يرتبط بالواجهة الخارجية، ويرتبط بمناهضة الأستعمار في أطار التضامن المطلق مع الحركة الثورية لمقاومة الأستعمار في العالم (المهدي بن بركة، الصفحات 130-131).

على أثر التحول الذي جرى في الحكم وحملة الاعتقالات التي طالت قادة الأتحاد الوطني، وتوجيه تهمة أغتيال ولي العهد الى أبن بركة أضطر الى البقاء خارج البلاد لمدة سنتين ونصف عند ذهابه إلى تونس عام ١٩٦٠ اذ أختار لنفسه منفى أختيارياً للأبتعاد عن التراب الوطني، لتجنب مواجهة القصر الملكي.

مرت على المغرب في أثناء غيابه عدة أحداث منها أجراء الانتخابات البلدية والقروية، وبعد أصدار القانون حدد يوم الأحد الموافق التاسع والعشرين من أيار عام ١٩٦٠ موعداً لأجرائها، وقرر الأتحاد الوطني للقوات الشعبية المشاركة فيها، وفعلاً جرت الانتخابات في موعدها المحدد في جميع المدن المغربية، وكان أبن بركة يومها في تونس وتابع الأنتخابات بدقة عن طريق أتصالاته الهاتفية، وما أن حل صباح يوم الثلاثين من أيار حتى كان على علم بالانتصارات التي حققها الأتحاد الوطني بفوزه بعدد من المقاعد المهمة في طنجة، والقنيطرة، والرباط وسلا، والدار البيضاء ،والجديدة ،وأسفى وتطوان اذ حصل الأتحاد على ٢٣% من المقاعد، بينما حصل حزب الاستقلال على ٤٠% ، علماً أنه كان له عناصر في حكومة الملك محمد الخامس، وأقتسمت الأحزاب المغربية الأخرى ما تبقى من المقاعد (صحيفة صوت الطلبة، 1966).

واصل أبن بركة نشاطه بعد عودته الى المغرب في أيار ١٩٦٢ في جو مشحون بالصعوبات، وواجه صدمة كان لها الأثر في نفسه وهي ابتعاد الأتحاد المغربي للشغل عن الأتحاد الوطني، ووقوع القطيعة بين الطرفين، أذ أبتعد المحجوب بن الصديق بالأتحاد المغربي للشغل عن الأتحاد الوطني (ياسين سعد محمد علي، 2001، الصفحات 182-184).

إلا أن ذلك لم يثن أبن بركة عن مواصلة عمله السياسي على رأس الأتحاد الوطني للقوات الشعبية الذي شدد مطالبته بايجاد مجلس تأسيسي منتخب لوضع دستور ديمقراطي، لأن أبن بركة وقادة الأتحاد الوطني الأخرين كانوا يدركون بأن غياب الدستور يعني أن الملك هو الممثل الوحيد لكل السلطات لعدم وجود أي قانون يحد من حريته، وأمام مطالب الأتحاد اشتدت العمليات القمعية لكل من يطالب بمجلس تأسيسي منتخب، وكان رد قادة الأتحاد أتهام الملك الحسن الثاني بميوله الفردية، وعارضوا سياسته.

بعد الأنتهاء من وضع الدستور أعلن الملك الحسن الثاني بأنه سوف يعلن عنه أمام الشعب في الثامن عشر من تشرين الثاني عام ١٩٦٢أخذ رأي الشعب فيه قبل الأستفتاء عليه، أعلن أبن بركة رفضه للدستور وعده دستوراً رجعياً مصنوع من لدن الاستعمار الجديد، ولنشاط أبن بركة ولكونة الرأس المحرك للاتحاد الوطني أخذ يتعرض إلى أجزاءات قمعية بشكل متصاعد كلما أقترب موعد الأعلان عن الدستور، ففي السادس عشر من تشرين الثاني عام ١٩٦٢ المصادف . الجمعة تعرض الى محاولة اغتيال من لدن أجهزة الأمن التابعة للملك الحسن الثاني عندما كان في طريقه من الرباط الى الدار البيضاء بسيارته وأدى الحادث إلى أصابته بعنقه والعمود الفقري ، على الرغم من المعارضة القوية لأبن بركة وقادة الاتحاد الوطني، فضلاً عن معارضة جهات أخرى للدستور تمت المصادقة عليه بنسبة من ٨٤الى ٨٥% من المقترعين وأمتنع ١٥% عن التصويت عليه (سراب جبار خورشيد، 2004، صفحة 51).

تصاعدت حدة المواجهة مع الأعلان عن أجراء الانتخابات النيابية في المغرب التي أعلن عنها في نيسان عام ١٩٦٣ ، وفي حينها قرر أبن بركة الأشتراك فيها، ورشح نفسه في مدينة الرباط عن دائرة يعقوب المنصور، وأخذ يتنقل في عدة مدن، ودعا الجماهير خلال خطاباته الى المشاركة في الانتخابات

أنتهت الدعاية الانتخابية وعمليات التحدي للأتحاد الوطني في يوم أجراء الانتخابات في السابع عشر من أيار عام ١٩٦٣ وأظهرت النتائج فوز أبن بركة بنحو 90% من الأصوات في الرباط، فقد كانت حصة الأتحاد ٢٩ مقعداً، وحصل حزب الاستقلال على ٤١ مقعداً، جاءت تلك النتائج بعد عمليات تزوير مريعة، فوجهت الأطراف المعارضة ومن بينها الأتحاد عدة انتقادات للحكومة، وتم اتهامها بالتزوير في النتائج الانتخابية، وطعنوا في مشروعيتها (المصدر نفسه، صفحة 53).

بعد الانتخابات لم يطل المقام بأبن بركة في المغرب، ففي الخامس عشر من حزيران عام ١٩٦٣ ودع رفيقه عبد الرحيم بوعبيد وأتجه الى مطار الرباط سلا وغادر البلاد الى باريس بسبب توتر علاقته بالملك الحسن الثاني من جهة، وللقيام ببعض المهام

الخارجية من جهة أخرى، إلا أنه لم يكن يعرف أن مغادرته للبلاد هو الوداع الأخير بصورة نهائية للتراب المغربي (المهدي بن بركة، 1966، الصفحات 75-76).

بعد مرور شهر على مغادرة أبن بركة للمغرب، أدرك الملك الحسن الثاني وحاشيته المقربين إليه بأن عدداً كبيراً من قادة وأعضاء الاتحاد الوطني أصبحوا يشكلون خطراً يهدد حكمه، لذا قرر أن يشن حملته عليهم وباشر بحملة اعتقالات وألقى بهم في السجون وتعرضوا للتعذيب، وفي يوم السادس عشر من تموز عام ١٩٦٣ داهمت الأجهزة الأمنية مقر اللجنة المركزية للأتحاد الوطني في أثناء اجتماع لها، وأعتقلت الشرطة جميع الحاضرين البالغ عددهم مئة وخمسين شخصاً فضلا عن اصدار المحكمة العسكرية في ٢٢ تشرين الثاني عام ١٩٦٣ الحكم بالإعدام مرتين غيابيا على المهدي بن بركة وهو في الخارج بتهمة التآمر لقتل الملك الحسن الثاني عاهل المغرب وقلب النظام الملكي في المغرب، وحينها حاول أبن بركة في أثناء وجوده بباريس العمل لأيجاد تيار يتضامن مع الضحايا والمعتقلين من قادة الأتحاد الوطني ومناصريه، وأعتمد في ذلك على علاقاته الخاصة في العواصم الأوربية، وأثارت تحركاته السلطات المغربية وردت عليه بأصدار حكم ثاني بالإعدام غيابياً في ١٤ آذار عام ١٩٦٤ بتهمة التأمر على النظام الملكي وأمام تلك الظروف أضطر أبن بركة الى البقاء في الخارج ولم يتمكن من العودة.

وفي السياق ذاته، واصل نشاطه الخارجي على صعيد العالم الأفريقي الأسيوي، ففي كانون الثاني عام ١٩٦٣ شارك في مؤتمر منظمة التضامن الأفريقي الأسيوي الذي عقد بتنزانيا ، واصبح رئيس اللجنة التحضيرية لمؤتمر تضامن القارات الثلاث ضد الاستعمار والأمبريالية الذي كان من المقرر عقده في هافانا عاصمة كوبا في أوائل كانون الثاني وجاءت الدعوة من لدن فيديل كاسترو قائد الثورة الكوبية (عبد اللطيف جبرو، 1986، صفحة 274).

توجه بعد ذلك الى باريس وكان يومها من رجال العالم الثالث البارزين، ومن أكبر المعارضين للنظام المغربي، والقوى الإمبريالية وأجهزة مخابراتها وفي ٢٩ تشرين الأول عام ١٩٦٥ وجهت ضربة عنيفة لحركات التحرر بالعالم عندما أختطف أحد قادتها من أحد شوارع باريس.

اختطاف ابن بركة عام 1965:

بدأت القصة حسب اعترافات انطوان لوبيز ANTOINE LOPEZ وكان ضابطاً يعمل في مطار أورلي في باريس، وعميلاً مزدوجاً للمخابرات الفرنسية والمخابرات المغربية، اذ ذكر لوبيز بشهادته أمام المحكمة أنه تلقى دعوة من لدن محمد أوفقير لزيارته الى المغرب، ولبي تلك الدعوة حيث استقبله في مكتبه بوزارة الداخلية صباح العاشر من أيار عام ١٩٦٥ وفي أثناء اللقاء طرح عليه أوفقير مشروعاً بخطف أبن بركة ونقله الى الرباط، وحدد له باريس مسرحاً للعملية لسهولة تغطيتها من بعض رجال البوليس والمخابرات الفرنسية الذين يتعاملون مع أجهزة أوفقير السرية، وتم أختيار ضابط مغربي يدعى نعيمي مليود العربي، وهو رئيس قسم العمليات الخاصة بالشرطة المغربية، كلف بمتابعة العملية بأسم مستعار (الشتوكي) وتم أختيار الماحي الغالي، وكان طالباً في باريس يراقب نشاط الطلبة المغاربة هناك تحت غطاء الدراسة، وهو تابع لأجهزة أوفقير السرية، حيث كلفة أوفقير بتمويل العملية ومتابعتها (مصطفى العلوي، 1977، صفحة 98).

أما الخطوة التالية للمخطط فهي أرسال أوفقير كلاً من أحمد الدليمي رئيس أدارة الأمن العام، والشتوكي وشخص ثالث يدعى الحسيني الى باريس وأنضم إليهم في باريس الماحي الغالي ، وانطوان لوبيز، والمحامي بيير لومارشان وجورج فيجون GEORGE FIGONعميل لمصلحة مكافحة الجاسوسية، وصديق لكل من لوبيز ولو مارشان، فضلا عن فيليب بيرنييه PHILIPPE BERNEEH وهو صحفي يثق به أبن بركة اذ عقدوا اجتماعاً في باريس بفندق الأليزيه، وبأنفضاض الإجتماع أتفق الجميع على الكيفية التي سيتم فيها أستدراج أبن بركة الى باريس، وكان يتنقل يومها بين القاهرة وجنيف وبلدان أخرى للتحضير لمؤتمر القارات الثلاث، وحسب الخطة يقوم فيليب بيرنييه بعرض مشروع فيلم عن نهاية الاستعمار بأفريقيا على أبن بركة لأنه يثق به، وأن يصحبه فيجون، والشتوكي الذي كان يرى أن يقوم فيجون بقتل أبن بركة في حالة أقتناعه بمشروع الفيلم (ظريف محمد، 1989، الصفحات 271-275).

كانت أولى المحاولات حسب اعترافات فيليب بيرنييه هو سفره مع جورج فيجون والشتوكي الى القاهرة في الثاني من أيلول عام ١٩٦٥ لعرض مشروع الفيلم على أبن بركة.

عندما عرضت فكرة الفيلم على أبن بركة آثار حماسته وأقترح عنواناً له كلمة "باستا " وتعني كفى قالها كاسترو للأمريكان عندما أمم شركاتهم وطرد عملائهم من كوبا " كان أبن بركة يكن أعجاباً لشخصية كاسترو، ولهذا أختار هذا العنوان تكريماً له، وعند النقاش مع أبن بركة تظاهر فيجون بالعمل على تذليل الصعوبات أمام أكمال الفيلم، ووزع الأدوار بشكل فعلي فيما بعد وطلب من أبن بركة أن يتولى الأشراف على كتابة السيناريو مع بيرنييه، راقت الفكرة لأبن بركة وأوصى بأن يتم أخراج الفيلم قبل أنعقاد مؤتمر القارات الثلاث وضرب موعداً آخر مع بيرنييه وفيجون في جنيف لبحث التفاصيل.

وتجدر الأشارة أنه في أثناء لقاء القاهرة سلم الشتوكي الى فيجون حقيبة صغيرة مليئة بقنابل شديدة الإنفجار ليتولى نسف مسكن أبن بركة في حالة عدم اقتناعه بفكرة الفيلم، إذ لم يكن الشتوكي يتوقع أن أبن بركة سوف يقتنع بسهولة، ولكن بعد اقتناعه القى فيجون بالحقيبة في نهر النيل وعاد مع بيرنييه الى باريس (المهدي بن بركة، الصفحات 42-59).

وفي نهاية أيلول عام ١٩٦٥ سافر فيليب بيرنييه، وجورج فيجون الى جنيف لبحث التفاصيل عن الفيلم وجرت المقابلة مع أبن بركة في فندق لبريزيدان LPREZEDAN، وبعد اطلاعه على التفاصيل، تم تحديد الموعد القادم لتوقيع العقود في ٢٩ تشرين الأول عام ١٩٦٥ في باريس.

وبتحديد الموعد في ذلك اليوم، أجرى انطوان لوبيز التابع استعداداته لعملية الاختطاف، وقد أحتاج لمساعدة مباشرة من الشرطة الفرنسية، لذا أتصل بضابط شرطة مكافحة المخدرات وهو لوي سوشون LOVE SOUCHON ، وعند الأتصال به طلب منه لوبيز مساعدته في تنفيذ العملية، وأكد له أنه يعمل بتوجيهات رئيسه في جهاز مكافحة الجاسوسية، وأنه سيتلقى مكالمة هاتفية من وزارة الداخلية وبالفعل تلقى سوشون مكالمة هاتفية عن طريق خط مباشر ما بين وزارة الداخلية وأدارة شرطة مكافحة المخدرات، وهذا الكلام حسب اعترافات سوشون الذي أستعان بصديق له وهو الضابط روجي فواتو ROGER VOITO لتنفيذ العملية.

وجرى اجتماع لكل الأطراف المكلفة بأختطاف أبن بركة وهم نعيمي مليود (الشتوكي)، والطالب الماحي الغالي، وانطوان لوبيز وفيجون ومجموعة من عملاء الأرهاب المحترفين وعملاء لمصلحة مكافحة الجاسوسية، وهم جوليان لوني JULIEN LONY، وبيردوباي PIERRE DUBAIY ، وجان باليس JEAN PALES، ووزعت الأدوار عليهم، وتقاضى كل واحد أجره لتنفيذ العملية، وتحت أشراف الشتوكي المغربي (جاك درجي، الصفحات 236-264).

وهنا يتضح لنا أن الجهات التي نفذت عملية الأختطاف بشكل معلن هي الشرطة الرسمية الفرنسية (شرطة مكافحة المخدرات)، ولوبيز العميل المزدوج لجهاز مكافحة الجاسوسية الفرنسي والمخابرات المغربية، وأشراف مغربي من الماحي الغالي.

وودع المهدي بن بركة أصدقائه في القاهرة ومن جنيف اتصل تليفونيا الخميس بعدد من أصدقائه الباريسيين ومواطنيه المقيمين في باريس ومن بينهم اخوه عبد القادر المستشار التجاري السابق في السفارة المغربية في بون لتحديد مواعيد معهم ليوم الجمعة المصادف ٢٩ تشرين الأول عام ١٩٦٥ ، وبوصوله مطار أورلي توجه الى بيت صديق له حيث وضع أبن بركة حقيبة ملابسه لديه، وبعدها توجه للقاء مهم، وذكر أوحنا ذلك أمام قاضي التحقيق، وحسب أعترافات شخص يدعى التهامي الأزموري، وهو طالب مغربي كان يحضر اطروحة الدكتوراه في التاريخ بجامعة باريس، أتصل أبن بركة بزوجته وأخبرها عن تحديد موعد معه في الساعة الحادية عشرة صباحاً بدلاً من الساعة الثالثة عصراً، وبعد ذلك التقى أبن بركة به في الساعة الحادية عشرة في شارع الشانزليزي بباريس، وطلب أبن بركة منه مرافقته الى جلسة تتعلق بشريط سينمائي، وذكر الأزموري بأنه رافقه في سيارة تاكسي أوصلتهما بالقرب من شارع سان جيرمان ديه بريه قبل الوقت المحدد فقرر أبن بركة النزول في مقهى ليب LIPP وكان ذلك في الساعة الثانية عشرة وعشرين دقيقة ظهراً، وحسب تصريح سوشون ضابط الشرطة أمام القضاء أن الأشخاص الذين أتفقوا على تنفيذ العملية ينتظرون أمام مقهى ليب (سعد زغلول، 1999، صفحة 78).

وقبل وصول أبن بركة الى المكان المحدد، كان لوبيز يقف على الرصيف أمام مقهى ليب متستراً بقبعة جلدية، ومعطف جلدي، ونظارات سوداء، وشنبات أصطناعية، حتى لا يكشفه فيليب بيرنييه حسب قوله في أثناء اعترافاته أمام القضاء الفرنسي، وكان ضابطا الشرطة سوشون، وفواتو، يقفان بالقرب من فندق مجاور للمقهى بانتظار أشارة من لوبيز لعدم معرفتهم لأبن بركة، وجورج فيجون،

وفيليب بيرنييه داخل المقهى وجوليان لوني على الرصيف بالقرب من المكان، وفى الساعة الثانية عشرة والنصف وصل ابن بركة الى مقهى ليب، برفقة الطالب الأزموري الذي تفاجئ به الجميع ومن دون تردد أشار لوبيز الى أبن بركة لكي يبدأ سوشون وفواتو بتنفيذ العملية.

وحسب أعترافات سوشون تقدم مع فواتو باتجاه أبن بر (المصدر نفسه، صفحة 77) كة ، وأبرزا له بطاقتين من الشرطة، وقام فواتو بدفع الأزموري بعد أن حاول النظر في بطاقتي الشرطة لكي يتأكد منهما، وأمره بالانصراف وطلبا من أبن بركة أن يدلي لهما بهوية تعريف، فأخرج جواز سفر دبلوماسي جزائري قدمه لسوشون، فتقدم إليه سوشون بالسؤال أستسمحكم بالأجابة هل لكم أن تقولوا لي نوع المهمة التي جئتم من أجلها لباريس؟ وأجاب بكل تأكيد لقد جئت لفرنسا لمقابلة أشخاص مهتمين بأنجاز فيلم عن الاستعمار، ورد عليه سوشون بسؤال أخر، ألا تظنون أنكم في باريس من أجل هدف سياسي؟ وأجاب أبن بركة، لم أحضر لفرنسا من أجل عمل سياسي، فرد عليه ،سوشون بينما المؤكد أن لكم موعداً مع شخصيات سياسية، وقد طلبوا مني أن أخذكم عندهم، وعندها أشار إليه أبن بركة بالقبول وتوجه نحو سيارة بيجو ٤٠٣ التي أشار إليها سوشون، وفتح الباب بنفسه وصعد في المقعد الخلفي، وكان بجانبه شخصان كل واحد بجانب ضابط الشرطة فواتو بجانب، ولوني الأرهابي المحترف بالجانب الثاني، وتولى قيادة السيارة الضابط سوشون، وكان بجانبه لوبيز ليرشده إلى الطريق (صحيفة الفجر الجديد، صفحة 1965).

وفي هذا السياق، نشرت صحيفة الجمهورية مقالا بعنوان (**الشرطة الفرنسية تكشف النقاب عن ظروف اختفاء بن بركة بوزيشيش زعيم المجرمين الفرنسيين يدير عملية الاختطاف ... هل تدخل البوليس الأمريكي في عملية الاختطاف)؟**

هكذا جاء في الخبر انه في ٥ تشرين الثاني ١٩٦٥ تم اجراء تحقيق واسع في باريس مع أنطوان لوبيز أحد موظفي الخطوط الجوية الفرنسية وذلك في موضوع اختطاف المهدي بن بركة وقد استغرق التحقيق مدة ٤٨ ساعة متواصلة، والسيد بن بركة كما هو معروف زعيم اليساريين المغربيين وتوصلت التحقيقات إلى توجيه تهمة المشاركة في اختطافه الى الموظف لوبيز، وكشف مفتش الشرطة بعض ظروف الحادث، اذ قال إن بن بركة قد اختطف بعد أن سحب إلى داخل سيارة عندما كان يسير في شارع سان جرمان في الأسبوع الماضي ثم نقل إلى أحد البيوت الريفية التابعة الزعيم العصابات الفرنسية المعروف جورج بوزيشيش وهو صديق المتهم لوبيز، ويقع هذا المنزل في جنوب باريس وان بوزيشيش قد لاذ بالفرار إلى الدار البيضاء في مساء اليوم الذي تم فيه الاختطاف، بالإضافة إلى لوبيز فقد كشفت الشرطة الفرنسية النقاب عن اعتقالها شخصين لهما علاقة بالجريمة وأن أحدهما هو روجر لينز أحد المجرمين ذوي الشهرة الواسعة في عالم الأجرام، وقال الطالب المغربي الازموري الذي كان يرافق بن بركة عند اختطافه بأن حوالي عشرين مجرما قد أحاطوا به لحظة الاختطاف ليمنعوه من رؤية رقم السيارة التي نقلت بن بركة ولم يتركوه إلا بعد أن أصبحت السيارة بعيدة عن محل الحادث (مصطفى العلوي، الصفحات 295-298).

وفي الحقيقة، قد كان توجه أبن بركة الى السيارة لاعتقاده أنه تحت حماية الشرطة، وربما لاعتقاده أن الشخصية التي أرسلت بطلبه هو الرئيس ديغول، لأنه قابله قبل هذا وكان يتابع نشاطه في الأعداد لمؤتمر القارات الثلاث، لذا صعد الى السيارة من دون تردد.

وقد أكد الطالب الأزموري ما قاله سوشون عن الاختطاف، وأكد أن ما أذهله توجه المهدي نحو السيارة من دون النظر إليه، وقد أجمع متتبعوا قضية أبن بركة أن توجهه السريع نحو السيارة، كان نتيجة كلام قاله له ،سوشون، كأن قال له هناك محاولة لأغتيالك وأنا هنا لأحميك (المصدر نفسه، الصفحات 292-294).

وواصل سوشون أعترافاته بأنه قاد السيارة بأتجاه مطار أورلي، وأنتهت الرحلة الى بلدة صغيرة تسمى فونتوني لوفيكونت FONTENAY LE VICONTE، وهي أحدى ضواحي باريس، وأمام فيلا ضخمة لشخص أسمه جورج بوشسيش GEORGE BOUCHESEICHE وكان واقفاً أمام الباب وقد رحب بأبن بركة، وأعتذر له بأن المعلم قد تأخر ومن الضروري الأنتظار ودخل أبن بركة الفيلا وجلس في غرفة بالطابق الأول وكان في داخل الفيلا، جان باليس، ودوباي، وبعد أن سلم ضابط الشرطة سوشون وفواتو أبن بركة الى بوشسيش، عادا الى باريس وبقى أبن بركة مع ما كان موجوداً في الفيلا (صحيفة الثورة العربية، صفحة كانون الاول 1965).

وفي أثناء ذلك وصل جورج فيجون الى الفيلا التي أحتجز فيها أبن بركة، وكان ممن خطط وأشترك بعملية الاختطاف، قام لوبيز، وبوشميش بمهاتفة أوفقير يوم الجمعة في الرباط إلا أنه لم يكن موجوداً بمكتبه كان يومها فى مكناس، وأبلغا مدير مكتبه الضابط أبن سليمان بأن يبلغه بأنهما حصلا على الطرد، وهاتفوا الدليمي ولم يكن موجوداً إذ كان في الجزائر حينها، وبعد ذلك تمكن لوبيز من الأتصال بأوفقير وأبلغه بنجاح العملية، وحثه على السفر الى باريس، ألا أن أو فقير أفصح له بأن لابد له من أستشارة المعلم أو الرئيس في فاس أولاً، لم يعرف من هو المعلم المقصود لكن الملك الحسن الثاني كان يومها في فاس، وفي يوم السبت الموافق الثلاثين من تشرين الأول وصل أوفقير الى باريس الساعة الخامسة والنصف مساءً، وكان يستشيط غضباً لكون الدليمي سبقه بالوصول بثلاث ساعات في اليوم نفسه قادماً من الجزائر (المصدر نفسة، صفحة تشرين الثاني 1965).

وأكد لوبيز أنه قاد أوفقير الى فيلا بوشسيش، كما أوصل الدليمي للفيلا أيضاً ، وعندها طلب أوفقير مفاتيح بيت لوبيز الواقع في أورموي أحدى ضواحي باريس، وبعدها ترك لوبيز المكان ليلتحق بعائلته لقضاء عطلة أخر الأسبوع، وفي الطريق سمع لوبيز من الراديو بخبر اختطاف أبن بركة فبدى له أن الأمر أنكشف، فعاد مسرعاً إلى فيلا بوشسيش فلم يجد أحداً، ثم ذهب الى بيته، وبوصوله وجد أوفقير جالساً في صالون البيت محاطاً بالدليمي، وبوشسيش، ودوباي، ولوني، وباليس، وشخص رافق أوفقير عندما وصل المطار يدعى الحسيني يتمشى في الوسط، أضافة الى جورج فيجون، وشخص رمادي الشعر لا يعرفه، وكان أوفقير يتكلم معهم، وبعد أن دخل لوبيز البيت أنصرف الجميع لقضاء السهرة في باريس وبقى لوبيز والحسيني اللذان لعبا الورق الى ساعة متأخرة من الليل، ويؤكد لوبيز باعترافاته، أنه عندما ذهب الى النوم سمع صوت سيارة، ومن النافذة رأى سيارة تحمل لوحة سلك دبلوماسي، وسمع مناقشة يدعي أنه فهم منها كلمة طيارة، وهو بذلك وجه التهمة لأوفقير بشكل مباشر (شارل اندرية، الصفحات 30-31).

وذكر لوبيز بأعترافاته، أنه حوالي الساعة الخامسة صباحاً جاء أوفقير وأيقظه، وأخبره بأنه حدثت مشكلة كبيرة أذ وقعت مشاجرة بين بوشسيش وأبن بركة، بعد أن حاول ابن بركة أن ينقض على بوشسيش فأراد أن يمنعه فأمسك به من رأسه وهشم فقراته العنقية، وطلب من لوبيز كلمة شرف أن لا يتحدث لأي أحد بما جرى وأكد أن بوشسيش سيرحل الى المغرب بأقرب وقت ممكن، ونصح لوبيز باللحاق بهم إلى المغرب متى يشاء. وأفاد لوبيز أنه في صباح الحادي والثلاثين من تشرين الأول غادر أوفقير باريس متوجهاً الى جنيف وغادر الدليمي أيضا متوجهاً إلى المغرب، وأجمع الشهود العيان أمام المحكمة عن وجود أوفقير والدليمي في باريس يوم الثلاثين من تشرين الأول ومغادرتهما يوم الحادي والثلاثين (جو بوشسيش، صفحة 27).

وبعد الظهر وصل الدليمي برفقة شخص يدعى العشعاشي، ويقال سأل بوشميش الدليمي ماذا ستفعل به؟ رد الدليمي، سنقوم بتصفيته، ويتساءل بوشسيش قلقا لكن كيف؟ ويجيب الدليمي ما علينا إلا تسوية الحالة هنا ثم نذهب لدفنه في أحد الحقول المجاورة، ويذكر فيجون كان ذلك حماقة فأن أي أحد لم يكن يفكر في الخلاص من أبن بركة على هذا النحو، ولم يكن هذا ما أتفق عليه في بداية الأمر، وبعد أصرار الدليمي على تصفيته أختليت ببوشسيش جانباً وقلت له أنت مجنون، يجب أن لانتركه يفعل ذلك هنا في بيتك فيعثر على الجثة خلال خمسة عشر يوماً، الأحسن الأنتقال الى بيت لوبيز، وتدخل باليس حيث قال وعلى كل حال لا يمكن نقله بحالته هذه وأصر الدليمي على خطته، وقال لنا أذن فقد قررتم من الأحسن أن يصعد أحدكم ليراه، لتجنب المهدي مفاجأة سيئة برؤيتي، ويتدخل فيجون بكلامه الى الدليمي على كل حال لن تستطيع أن نفعل شيئاً هنا يجب نقله عند لوبيز ووافق بوشسيش وأخذ لوني ودوباي، وباليس يستعدون للصعود الى أبن بركة، وتدخل فيجون أن من الأفضل وضع منوم في شايه، ويرد بوشسيش ليس لدي إلا الفينيرغان، حيث تم وضعه في الشاي وقدمه دوباي لأبن بركة، وبعد انتظار ربع ساعة صعد بوشسيش ومعه ،دوباي وباليس، ولوني الى أبن بركة، وما أن رأى أبن بركة الأربعة حتى فهم ورمى الكتاب الذي بين يديه ناهضاً من كرسيه وقال، ماذا يحدث؟ يتقدم بوشسيش ويوجه قبضته إليه فيخطئه. ويسارع دوباي، وباليس، ولوني، ويوسعوا أبن بركة لكما لكن الفينيرغان أستثار لدى أبن بركة بشكل معاكس ولم يعد يشعر بالضربات وقاتل الأربعة من دون قول كلمة، وعلى الرغم من قصر قامته، بدى عليه بأن لديه قوة غير عادية بحيث وجه ضربات موجعة للأربعة، علماً إنهم كانوا مدربين جيداً وأقوياء، وضرب لوني الذي كان يزن ١٠ كغم، وبطول ١٩٠سم حتى أستشاط غضباً وهو يصرخ، ألن يسقط هذا أبداً، ولم يتمكن الأربعة من أسقاطه على الأرض إلا بعد أن أمسك دوباي بتحفية كبيرة حطمها على رأسه، ونزف دمه، وتكاثرت عليه اللكمات، وكسى وجهه الدم بحيث لم يعد يرى من وجهه شيء، فأقعدوه على كرسي، وراحوا يقيدونه بالحبال وهو يحاول بما تبقى لديه من قوة أن يفلت منهم بضربهم، وبتلك اللحظات صعد إليه الدليمي،

والعشعاشي، وما أن رأهما أبن بركة حتى أصابه الذعر، وكف عن المقاومة، وواصل باليس، ودوباي تقيد يديه وقدميه في الحبال وفي أثناء تلك اللحظات وصل أوفقير ودخل الى الطابق الأرضي مرتدياً قبعة سوداء، ووقف في الصالة، ويلتفت الى فيجون بكلامه، هل هو في الأعلى ؟ وأجاب أجل، فرد عليه أوفقير كل شيء على ما يرام، ثم تناول خنجراً صغيراً كان معلقاً ضمن مجموعة أدوات أسفل السلم، وصعد الى الطابق الأول وما أن نظر إليه أبن بركة عاود المقاومة وأخذ يتحرك ويصيح ويضرب الأرض بقدميه عندئذ تقدم نحوه أوفقير وقال" **أعرف جيداً الوسيلة لتهدئته**" وأخذ يمرر الخنجر على رقبته وفمه، ثم بدأ بوخز رقبته وصدره برأس الخنجر، وبعد أن عذب أبن بركة تم نقله مقيداً بعد أن وضعت كمامة على فمه في سيارة دبلوماسية الى بيت لوبيز بأرموي، ويذكر فيجون أنه أنتقل معهم الى هناك وما أن وصل أبن بركة حتى قام سائق أوفقير بتقييده على جانب ماكنة توزيع الماء الساخن والحرارة والتدفئة وشده بطريقة جعلته عاجزا عن التنفس (شارل اندرية، صفحة 27).

فتدخل لوني، أنت تبالغ أترك له مجالاً ليتنفس في الأقل، ويرد السائق المغربي عليه، حسناً هذا لقد أنتهى أبن بركة، وكان رده ببساطة ثم توجه الجميع نحو الصالون واجتمعوا حول أوفقير، وتحدث معهم أنه جاء لباريس على عجل، ولايحمل معه مالاً إذ كان قد وعد بأكثر من ١٠٠ مليون فرنك، وعبر عن انزعاجه لجريان العملية على الأراضي الفرنسية وقد عنف المشتركين بالعملية بشدة، لأنهم تركوا الطالب الأزموري على رصيف سان جيرمان ديه بريه فترك الأزموري كان خطأ، ويواصل أوفقير كلامه مع شعوره بالضيق ليس المقصود لي التخلص من عدو سياسي وحسب فأبن بركة عدو أيضاً لفرنسا وللأنسانية، وأشكر هؤلاء الذين ساعدونا بأخلاص ولم يحاولوا إبتزازنا، سنلتقي ثانية، فرد عليه فيجون أتمنى أن يبقى لكم الكثير من الأعداء، وأنتهينا بالعودة ،أنا ودوباي، وباليس ولوني، وبوشسيش، الى باريس وبقى أوفقير والمغاربة الذين كانوا بصحبته في بيت لوبيز، وظل لوبيز الذي وصل ليلا نائماً في غرفته، هذا نُص رواية فيجون التي عرضها مارفييه، وشهد بها في المحكمة، وقد نشرتها صحيفة الأكسبريس في العاشر من كانون الثاني عام ١٩٦٦ مع بعض التعديلات وبعنوان (رأيت قتل أبن بركة) وبنشر الأكسبريس تلك الشهادات لفيجون بدأت الفضيحة في باريس (المصدر نفسه، صفحة 33).

وبعد نشر صحيفة الأكسبريس روايته أخذت الشرطة تبحث عنه للحصول على المعلومات التي أدلى بها فيجون وكان فيجون يعرف حقيقة أبن بركة، إلا أنه رفض الأدلاء عليه إلا لمن يدفع له نقوداً، وفي هذا السياق علقت صحيفة العرب بمقالة بعنوان (**انتحار أحد شهود جريمة اختطاف بن بركة**)، اذ اشارت على انتحار جورج فيجون أحد الأشخاص المطلعين على تفاصيل حادث اختطاف بأن أطلق الرصاصة على نفسه في شفته بباريس نقل راديو باريس بأن رجال الشرطة قد أحاطوا في حوالي الساعة التاسعة والنصف مساءا بالمبنى الذي فيه شقة فيجون وقرع مفتش الشرطة الباب فسمع صوت اطلاق ناري ثم وجد فيجون قتيلا برصاصة من مسدسه كما أكد الطبيب الشرعي ذلك، وجدير بالذكر أن صحيفة الأكسبريس الفرنسية ذكرت أن فيجون قد ذكر أن بن بركة قد ذبح من رقبته بخنجر مغربي، وقالت الصحيفة أيضا أن فيجون من المترددين على السجون وهو مطلوب من سلطات البوليس الفرنسي وكان أغتياله في نظر متتبعي قضية أبن بركة، هو أغتيال للحقيقة التي يعرفها عن أبن بركة (صحيفة الثورة العربية، الصفحات 88-89).

وكانت أخر رواية التي رواها البخاري عميل سابق للمخابرات المغربية، حيث قدم أعترافات في عامي ٢٠٠٠ و ٢٠٠١ ذكر فيها، أن عبد القادر كان يعمل ضمن أجهزة الأمن التابعة لأوفقير، أخبره عن طريق محمد العشعاشي الذي أشترك بالعملية، أنه بوصول أوفقير، والدليمي الى باريس ووقوفهما على أبن بركة مقيداً، طلب الدليمي من ممرض يدعى الحسيني بحقن أبن بركة بمخدر أدى به الى غياب وعيه، وبعد تخديره أنقسم المغاربة الذين أشتركوا في عملية اختطافه الدليمي أراد تصفيته، بينما أراد محمد العشعاشي نقله حياً إلى المغرب، وحسب رواية البخاري أن أبن بركة لقى حتفه بعد أن جرى تعذيبه بشكل وحشي، في يوم الثلاثين من تشرين الأول عام ١٩٦٥ ، ونقلت جثته الى المغرب، ووضعت في كيس من البلاستيك، واذيبت في خزان فيه حامض الأسيد، كانت تلك أخر رواية، وهي قريبة من الحقيقة لأنها متطابقة بعض الشيء مع المعلومات التي جمعت في أثناء التحقيق، ولكون البخاري عميل للمخابرات المغربية يمكن أنه حصل على الحقيقة من خلال اتصالاته، وعلى الرغم من ذلك بقيت الرواية من دون دليل قاطع ولكن ترددت أخبار يومها بعنوان (**هل اختطف مهدي بن بركة في طائرة سياحية**) اذ ذكرت صحيفة لوفيجارو الفرنسية أن طائرة سياحية مجهولة وصلت إلى فرنسا في اليوم التالي الذي اختطف فيه أبن بركة وغادرتها يوم الأحد الموافق ٢١ تشرين الثاني، وتساءلت الصحيفة هل كان بن بركة في هذه الطائرة وقد تردد في الصحف الفرنسية والمغربية ان بن بركة قد نقل من فرنسا بعد اختطافه بواسطة طائرة خاصة

مجهولة، وأبلغت الحكومة الفرنسية المسؤولين المغربيين في الرباط انها ستمضي قدما في التحقيق بقضية بن بركة، علماً أن الحكومة المغربية، التزمت جانب الصمت أتجاه الحادث، وما وجه إليها من أتهامات (سعد زغلول فوائد، الصفحات 88-89).

وفي الحقيقة لم تعلن أية جهة رسمية أن أبن بركة قد مات، فهو على ذلك لايزال حياً من الناحية القانونية وبذلك الشأن صرح شقيقه عبد القادر بن بركة قائلاً "يظل الأنسان على قيد الحياة حتى يسجل أنه مات وتعرف الطريقة التي مات بها، وأنا لا أعرف حتى الآن على وجه اليقين أن المهدي وضع أسمه في سجل الأموات، ولا أعرف الطريقة التي قد يكون مات بها ..... أو قتل، هل شنق هل حرق هل عذب حتى الموت ؟ هذه أسئلة تتطلب جواب، والى أن أتلقى الجواب فأن من حقي أن أعد أخي حياً" وهكذا لم تعرف حقيقة جثة أبن بركة الى اليوم خمس وأربعون عاماً مضت ولم يحدد مكان دفن فيه المهدي بن بركة الذي سيبقى حياً بمبادئه وأفكاره (المصدر نفسه، الصفحات 90-92).

متابعة الصحف العراقية لموقف الحكومة المغربية من الاختطاف

نفى العقيد محمد اوفقير وزير الداخلية المغربي ومدير الأمن العام أن يكون له أي دور في حادث اختفاء بن بركة وذكر أن الاتهامات التي وجهت إليه في فرنسا حول الحادث قد أطلقها أناس يريدون تعكير صفو العلاقة بين فرنسا والمغرب، وأشار اوفقير أنه عندما ذهب إلى فرنسا قبل اختطاف بن بركة قابل شخصين أحدهما موظف في المطار والآخر طالب مغربي يدرس في إحدى جامعات باريس ولم تكن لمقابلته لهما أي علاقة بالتحريض على اختطاف بن بركة، واستطرد قائلا بأنه على إستعداد للإدلاء بأي بيانات للمحقق الفرنسي في حالة اقدامه للمغرب لاستجوابي، هذا وقد أصبح عدد المعتقلين في حادث الاختطاف في باريس ثمانية بعضهم موظفين في المطار وآخرون في دوائر بوليس بشعب مكافحة المخدرات وطلاب مغاربة (جاك الدراجي، صفحة 143).

ثالثا: صدى اختطافه على الصعيد العالم العربي والعالمي في الصحف العراقية:

أما صدى الحادث على الصعيد العربي، فقد أثار غضب وأستنكار عدة أوساط عربية منها أتحاد المحامين العرب، حيث أعلن الأمين العام للأتحاد شفيق أرشيدات عن قلق كل المحامين العرب على حياة المناضل أبن بركة، وأعلن أستنكارهم لحادث الأختطاف، ورفع برقية الى وزير العدل الفرنسي ناشده فيها مضاعفة الجهود لأنقاذ حياة المهدي بن بركة من أيدي الجهات الأستعمارية، وعد مصيره أمانة في عنق الحضارة والعدالة الفرنسية ، كما وجهت رابطة طلبة شمال إفريقيا في فرنسا التي تضم طلبة المغرب والجزائر وتونس خطابين مفتوحين إلى الجنرال ديغول اعربت فيها عن قلقها العميق من اختطاف بن بركة (صحيفة العرب، صفحة 14تشرين الثاني 1965).

وفي مقال نشرته صحيفة المنار بعنوان **(لايزال الغموض يكتنف مصير الزعيم المغربي المعارض بن بركة)** صرحت صحيفة حزب الاستقلال في مقالها الافتتاحي ليس هناك من مبرر لموقف السلطات المغربية التي لم تتقدم بأدنى احتجاج للسلطات الفرنسية على الخطر الذي يهدد المغاربة القاطنين في فرنسا، وأعلن اتحاد الطلبة الوطني المغربي بأن لديه معلومات بأن السيد بن بركة قد قتل وقال الأتحاد أنه قد دعا إلى اضراب احتجاج في جميع الكليات الجامعية اعتبارا من الليلة الماضية، وفي القاهرة اصدر الاتحاد الوطني للطلاب المغاربة بيانا عد فيه الرئيس الفرنسي ديغول مسؤولا عن سلامة السيد بن بركة وعد البيان أيضا المسيو جورج بومبيدو رئيس الوزراء الفرنسي والمسيو روجيه فرى وزير الداخلية الفرنسية مسؤولين كذلك وقال إن الطلاب يستنكرون بشدة اختفاء بن بركة (صحيفة الجمهورية، صفحة 15تشرين الثاني 1965) .

وفي سياق متصل، وجه الأتحاد العام للنقابات العمالية الإفريقية رسالة إلى الأتحاد العام للنقابات الفرنسية أكد فيها اهتمام العمال الإفريقيين بحادثة الاختطاف وأعرب الاتحاد أمل العمال الإفريقيين بأن يكون الأتحاد العام للنقابات العمالية الفرنسية هو لسان حالهم أمام السلطات الفرنسية والرأي العام الفرنسي حتى يتم إزاحة الغموض الذي يكتنف هذا الحادث. واستنكر الأتحاد الوطني للطلاب الجامعيين في لبنان عملية الاختطاف ووصف هذه العملية باللصوصية والوحشية و اللاإنسانية، وطالب الاتحاد في برقية وجهها للسفارة المغربية في بيروت والاتحاد العالمي للطلبة والندوة العالمية للطلاب العمل فورا للإفراج عن الزعيم المغربي ومحاكمة الذين قاموا بهذا العمل البربري (صحيفة الثورة العربية، صفحة 8تشرين الثاني 1965).

كما أعرب السيد يوسف السباعي السكرتير العام لمنظمة تضامن الشعوب الأسيوية والأفريقية أمس عن القلق بشأن اختفاء المهدي بن بركة، ووصف بيان أصدره السباعي وصف بن بركة به بانه مناضل بارز وناشد جميع اللجان الوطنية بذل كل جهد للحفاظ على حياته، وقال البيان أن بن بركة إفريقي بارز آمن بمبادئ التضامن الأسيوي والأفريقي وعمل من لجلها (صحيفة المنار، صفحة 3تشرين الثاني 1965).

وذكرت صحيفة الايكونوميست الأسبوعية أن قضية اختطاف بن بركة حتى الآن هي فضيحة سياسية مدمرة وضعت الملك الحسن في نزاع قد يهز عرشه وعلى الرغم من كل التحقيقات التي أجريت، يبدو أن رجال التحقيق قد فقدوا كل أمل في العثور على بن بركة حيا ومع هذا فإن جميع الإجراءات قد اتخذت للاستمرار في البحث (صحيفة المنار ، صفحة 1تشرين 1965).

وفي العراق تناولت الصحف العراقية في صفحاتها الأولى متابعة قضية اختطاف المهدي بن بركة وتطوراتها لتعريف الرأي العام العراقي بها، ومنها صحيفة الثورة العربية وصحيفة الجمهورية، حيث عكست الصحيفتان مدى اهتمام الشعب العراقي بالقضية ومتابعتها واستنكاره لعملية الأختطاف، اذ جاء في افتتاحية صحيفة الجمهورية مقالا بعنوان **(العثور على مهدي بن بركة صريعا في أحد شوارع باريس)** وذكرت الأنباء قبل ثلاثة أيام بأن السيد مهدي بن بركة قد اختفى من باريس، وكان قد حكم عليه بالاعدام قبل عام من قبل محكمة عسكرية مغربية بتهمة الإشتراك في مؤامرة لقلب نظام الحكم في المغرب (صحيفة المنار، صفحة 14تشرين الثاني 1965).

أما صدى الحادث على الصعيد العالمي العثور على جثة بن بركة في قاع السين

عثر في باريس على جثة السيد مهدي بن بركة والذي اختطف في الأسبوع الماضي من أحد الشوارع الرئيسية في باريس وعثر على الجثة في قاع نهر السين، وتقول الأنباء أن الزعيم المغربي قد اغتيل.

سفير المغرب بباريس يلغي مؤتمره الصحفي في آخر لحظة

ذكر راديو باريس أن التحقيق في قضية اختطاف الزعيم المغربي ما يزال مستمرا بكل حزم وصرامة وذكرت الصحف أن الرئيس ديغول غاضب لأن ما حدث بعد انتهاكا صارخا لسيادة فرنسا ، واذاع راديو باريس ان السيد مولاي علي السفير المغربي في باريس قد ألغى المؤتمر الصحفي الذي قد أعلن عن عقده قبل ظهر أمس في باريس (صحيفة الجمهورية ، صفحة 4تشرين الثاني1965).

أثار الحادث غضب الرئيس ديغول شخصياً لوقوع الحادث على التراب الفرنسي، وأثار أيضاً استياء البرلمان الفرنسي وقد أعلن أستنكاره للجريمة، وأدان سلطات الأمن الفرنسية لأنها فسحت المجال للمخابرات الأجنبية بأن تقوم بالعملية على الأراضي الفرنسية، وطالب بأنزال العقاب بالمجرمين، هذا الى جانب أستياء الرأي العام الفرنسي وأثار الحادث فرانسوا ميتيران MITTERAN FRANCOE المرشح اليساري لرئاسة الجمهورية وزعيم الحزب الأشتراكي الفرنسي يومها، وعبر عن استيائه في تصريح له، أعلن فيه أن أختطاف ابن بركة يعد أساءة الى سمعة فرنسا، وقد أثبت الحادث أنه يمكن الاعتداء على حريات الأنسان بفرنسا، وطالب المسؤولين في فرنسا بتشديد المطالبة بأطلاق سراح أبن بركة اذا كان على قيد الحياة، أما أذا قتل فأن هذا يعني أن أجهزة الأمن التابعة الى رئيس الوزراء، ووزير الداخلية متواطئة في الجريمة وفي تصريح آخر هاجم الشرطة الفرنسية، وتوجه إليها باللوم وأتهمها بالضعف لعدم استطاعتها الحفاظ على سلامة ابن بركة (صحيفة المنار ، صفحة 15تشرين الثانثي 1965).

الخاتمة

يعد أبن بركة شخصية قيادية رئيسية مؤثرة سواء في حزب الاستقلال، أو في الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وكان له دور في توجيه سياسة الحزب تجاه التطورات التي مر بها المغرب في حينها، وكان وراء تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وقد بذل جهوداً كبيرة في سبيل ذلك فهو يعد المؤسس الفعلي للأتحاد الوطني للقوات الشعبية، ولكونه شخصية قيادية مؤثرة يتمتع بثقافة عالية، وحسن ،تنظيم فقد تمكن من استقطاب عدد كبير من الجماهير التي دخلت في صفوف الأتحاد الوطني.

أن الظروف التي مر بها المغرب خلال المدة ١٩٦١-١٩٦٥ في ظل الحكم الفردي للملك الحسن الثاني، كان لها أثرها في نفس ابن بركة، مما جعله يحتك في التطورات السياسية العالمية أنذاك والتي تميزت بتكالب القوى الاستعمارية في العمل على تثبيت وجودها في العالم الأفرو آسيوي لاسيما بعد أن حققت بعض الشعوب استقلالها بعد كفاحها الطويل، وبذلت جهوداً سياسية كبيرة من أجل تصفية الاستعمار ومخلفاته، وفي هذا الأطار أمتاز بطابعه الثوري المثقف. أن جريمة اختطاف أبن بركة، كانت حلقة من مسلسل

نفذته الأجهزة الأستعمارية، والمتعاونين معها ضد عدد من القيادات الوطنية الثورية التي جابهت الأستعمار ومخططاته، من أجل تحرير شعوبها والتخلص من التبعية، وعندما برز أبن بركة في هذا المجال زعيماً نشطاً ضد الاستعمار بات التخلص منه في يومها مطلباً ضرورياً، وأنضم بذلك الى جانب القيادات التي تم تصفيتها بسبب توجهاتها الوطنية التقدمية .

وخلاصة القول، لقد مثل أخفاء الحقيقة الكاملة لاختطاف أبن بركة التي لم يتم التوصل إليها حقيقة التأمر والتعاون بين الأطراف الاستعمارية والرجعية ضد القيادات الوطنية، وذلك لأرتباط مصلحة الطرفين، والقائمون بها صمتوا عن التصريح بتفاصيلها حفاظاً على هيبة دولهم ، وهي جريمة دولية لأن الأطراف التي ساهمت فيها كانت تمثل الاستعمار وعملاءه.

المصادر والمراجع

عبد اللطيف جبرو، المهدي بن بركة – الرياضيات مدرسة للوطنية، ط ٢ ، دار النشر المغربة، الدار البيضاء ، ١٩٨٩ ، ص ١٥ .

روم لاندو، مراكش بعد الاستقلال، ترجمة خيري حماد، دار الطليعة ، بيروت، ١٩٦١، ص٧٧.

مصطفى الشهابي.(1956) .

المهدي بن بركة، الأختيار الثوري، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٦.

امين الهاشمي الفيلالي، دروس تاريخ المغرب، دار السلمي، الدار البيضاء، ١٩٦١، ص ٢٦٣.

علال الفاسي، عقيدة وجهاد المطبعة الاقتصادية، الرباط، ١٩٦٠ .

مصطفى العلوي، المهدي بن بركة للحقيقة والتاريخ، دار الافاق, بيروت,1984.

عبد الرحمن حميدة، المملكة المغربية – دراسات في الجغرافية البشرية ، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٢.

ياسين سعد محمد علي، الأحزاب والقوى السياسية وتأثيرها على القرار السياسي في المملكة المغربية بعد الاستقلال، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات القومية والأشتراكية ، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٠.

ابراهيم خلف العبيدي، دراسات في تاريخ المغرب، مطبعة المجمع العلمي، بغداد،2001.

الحسن اللحية، مسارات النخب السياسية بالمغرب دراسة في النخبة والانتخابات والنقابة، مطابع أفريقيا الشرق، الدار البيضاء ، ١٩٩٧.

سعد زغلول فؤاد، بن بركة أنسان العالم الثالث، كلمة دار يوليو، القاهرة ,١٩٦٦.

ياسين سعد محمد علي.(2001) .

سراب جبار خورشيد, التطورات السياسية والاقتصادية في المملكة المغربية ١٩٥٦ – ١٩٩١، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات, جامعة بغداد ، ٢٠٠٤.

جاك درجي وفردريك بلوكان, خفايا أغتيال المهدي بن بركة كشف جريمة دولية، ت, محمد صبح دمشق، سورية، ٢٠٠٦.

محمد عابد الجابري، في غمار السياسة فكراً وممارسة، ج ٢، مطبعة الحمراء، بيروت ،٢٠٠٩ .

جيل بيرو، صديقنا الملك، ت, ميشيل خوري، ورد للطباعة، سوريا، ٢٠٠٢.

محمود صالح الكروي ما زال قنديل ابن بركة يضيئ دروب المغرب، صحيفة القدس، لندن، ٢ تشرين الأول، ٢٠٠٩.

روم لاندو, مراكش بعد الاستقلال, ترجمة خيري ،حماد دار الطليعة ، بيروت، ١٩٦١.

شارل اندريه جوليان, كشف النقاب عن الحقائق والثغرات في المحاكمة الأولى لقتلة بن بركة , لجنة أظهار الحقيقة، جمعية الشهادة المسيحية، فرنسا، ١٩٦٦.

محمد عبد الباقي الهرماسي، المجتمع والدولة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧.

دوجلاس أي – اشفورد، التطورات السياسية في المملكة المغربية، دار الثقافة . بيروت١٩٦٣.

_____, الحسن الثاني ملك المغرب، ترجمة جمان الداودي، المطبعة الملكية الرباط,1969.

ضريف محمد الاحزاب السياسية المغربية، الدار البيضاء، افريقيا، د.ت.

المهدي بن بركة – ثلاثون سنة من العطاء الفكري والنضال القومي من أجل بناء مجتمع جديد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٧٦.

صحيفة الفجر الجديد :الاعداد: ٩ تشرين الثاني ،١٩٦٥ ، ١١٤٠ ، ٩ تشرين الثاني ١٩٦٥، ١١٤٩، ١٤ تشرين الثاني ١٩٦٥، ١١٤٤ ، ٨ تشرين الثاني ١٩٦٥ ، ١١٤٧، ١١ تشرين الثاني ١٩٦٥،١١٤٨، ١٢ تشرين الثاني ١٩٦٥ ، ١١٤٩ ، ١٤ تشرين الثاني ١٩٦٥.

صحيفة العرب:الاعداد: ٤٣١، ١٤ تشرين الثاني ١٩٦٥, ٤٣٣، ١٥ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٤٣١، ١٤ تشرين الثاني ١٩٦٥.

صحيفة الثورة العربية:الاعداد: ٤١٤ ، ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٥ ، 411 ، ٩ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٤٠٦، ٤تشرين الثاني ،١٩٦٥ ، ٤١٣ ، ١١ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٤٠٣، ١ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٤١٠، ٨ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٤١٥، ١٤ تشرين الثاني ١٩٦٥، 412 ، ١٠ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٤١٢ ,١٠ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٤٣٧، ٨ تشرين الأول ١٩٦٥ ، ٤١٠، ١٤ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٤٠٤، ٢ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٤٠٥، ٣ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٤١٣ ,12 تشرين الثاني ١٩٦٥، ٤٣٢، 3 كانون الأول ١٩٦٥ ، 412 ، ١٠ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٦٦٦ ، ١٠ تشرين الثاني ١٩٦٥.

صحيفة الجمهورية:الاعداد: ٦٧٠، ١٤ تشرين الثاني ١٩٦٥ ، ٦٦٢، ٦ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٦٦٦، ١٠ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٦٦٣ ، ٧ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٦٦٣ ، ٧ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٦٦٧ ، ١١ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٦٦٣ ، ٧ تشرين الثاني ١٩٦٥ ، ٦٧٠، ١٤ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٦٦٦ ، ١٠ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٦٦٦ ، ١٠ تشرين الثاني ،١٩٦٥ ، ٦٧١، ١٥ تشرين الأول ١٩٦٥، ٦٦٩ ، ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٥ ، ٦٦١ ، ٥ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٦٦٠، ٤ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٦٦٢ ٦ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٦٦٦، ٦ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٦٦٦، ١٠ تشرين الثاني ١٩٦٥ ، ٦٦٢، ٦ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٦٦٦ ، ١٠ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٧٠٧، ٢٢ كانون الأول ١٩٦٥، ٦٦٧ ، ١١ تشرين الثاني ١٩٦٥ ، ٦٦٥ ,9 تشرين الثاني ١٩٦٥،٦٦٥ , ٩ تشرين الثاني ١٩٦٥ ، ٦٧٠، ١٤ تشرين الثاني ١٩٦٥.

صحيفة المناره :الاعداد: ٣٢٠٠ ، ٣ تشرين الثاني ١٩٦٥ ، ٤٢٧ ، ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٤١٥، ١٤ تشرين الثاني، ١٩٦٥ ، ٢٣١٣ ، ١٠ تشرين الثاني ١٩٦٥، ٣٢١٨، ١٥ تشرين الثاني ١٩٦٥ ،٣٢٠٩، ٦ تشرين الثاني ١٩٦٥.

صحيفة صوت الطلبة: العدد ٦٦ ، ٣١ تشرين الأول، ١٩٦٦.

صحيفة البلد :الاعداد ٤٤٦,١ كانون الأول ١٩٦٥, ٤٤٦, ٧ تشرين الثاني ١٩٦٥ .

نشأة وتطور التعليم العالي بدولة الكويت جامعة الكويت انموذجاً

ا.م.د.عبد السلام متعب عيدان

alsalam1974@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم التاريخ

ملخص

شهد الكويت نموا متزايدا في القطاع التعليمي منذ عقود، حيث كانت الكويت تعتمد على النظام التعليمي البسيط والتقليدي قبل ان يتم تحويله الى نظام تعليمي متطور وحديث. يهدف هذا البحث الي دراسة نشأة وتطور التعليم العالي في الكويت خلال عقد الستينات وما بعدها، تتضمن الاسباب الرئيسية للتغييرات في النظام التعليمي في الكويت وتنميته والحاجة الى توفير الفرص التعليمية للشباب الكويتي وتلبية احتياجات المجتمع بشكل عام ثم تدشين العديد من المؤسسات التعليمية خلال هذه الفترة، وكذلك تطوير الخطط والبرامج الدراسية لتتناسب مع احتياجات السوق الوظيفي تم الاعتماد على المصادر الاساسية والثانوية المختلفة لتجميع المعلومات والبيانات الازمة لإعداد البحث من كتب عربية واجنبية ومجلات ودورات ومواقع اونلاين.

الكلمات المفتاحية: كويت، تعليم عالي، جامعة الكويت

Assistant Professor Dr. Abdel Salam Miteb Eidan
alsalam1974@uomustansiriyah.edu.iq
Al-Mustansiriya University, College of Education, Department of History

Abstract:

Kuwait has witnessed increasing growth in the educational sector for decades, as Kuwait relied on a simple and traditional educational system before it was transformed into an advanced and modern educational system. This research aims to study the emergence and development of higher education in Kuwait during the sixties and beyond. It includes the main reasons for the changes in the educational system in Kuwait and its development and the need to provide educational opportunities for Kuwaiti youth and meet the needs of society in general and then launch many educational institutions during this period, as well as Developing study plans and programs to suit the needs of the job market. We relied on various primary and secondary sources to collect the necessary information and data to prepare the research from Arab and foreign books, magazines, courses, and online websites.

Keywords: Kuwait, higher education, Kuwait University

المقدمة

شهدت دولة الكويت اهتماماً خاصاً بتربية ابنائها وفق احدث المناهج العلمية والتربوية مستندة بذلك الى تخطيط دقيق لمتطلبات العصر ومتماشية مع اهداف وسياسة الدولة في توسيع رقعة المتعلمين نسبة الى الكثافة السكانية من اجل تطوير التعليم بمراحله كافة كهدف مركزي لوزارة التربية والتعليم الكويتية، اذ مر التعليم في الكويت بمرحلتين تمثلت المرحلة الاولى التعليم شبه النظامي عن طريق ما يسمى الكتاتيب للأولاد والمطوعات للبنات، وتمثلت المرحلة الثانية بإنشاء اول مدرسة نظامية هي "المدرسة المباركية" عام 1911 وتبعتها "المدرسة الاحمدي" عام 1921 وبعدها تطور التعليم بإنشاء اول مجلس معارف عام 1936 والذي اصدار القوانين الخاصة بالتعليم، بدأت العملية التعليمية تزدهر وتتطور بشكل كبير وتوج هذا التطور بإنشاء صرح علمي كبير وهي جامعة الكويت عام 1966، يعتبر التعليم العالي سبب رئيسي في تأسيس نهضة كثير من الدول ولتلبية احتياجات المجتمع من الكفاءات العلمية المتقدمة في مختلف المجالات كما تعد الجامعة بداية الطريق الذي يسيره نحو المستقبل ليسلح نفسه بالعلم والمعرفة والقيم الاصيلة لرفعة شأن الوطن وهناك أكثر من مؤسسة للتعليم العالي مدعومة من الدولة في الكويت مثل جامعة الكويت وهي جامعة مختلطة وكذلك الهيئة

العامة للتعليم التطبيقي والتدريب تم انشاؤها في سنة 1982، وهي مسؤولة عن توفير القوى العاملة وتطويرها لتلبية احتياجات السوق والجامعات الخاصة.

مشكلة البحث

تعد مؤسسات التعليم العالي من العوامل الرئيسية في تطوير المجتمع، اذ تهدف الى تزويد الطلاب بالمهارات الازمة للنجاح في حياتهم الاكاديمية والمهنية والاجتماعية، ومع ذلك تواجه هذه المؤسسات في دولة الكويت تحديات عدة كادت تهدد بقائها وقدرتها على المنافسة. وقد تم التركيز على تسليح المؤسسات التعليم العالي بالعلم والمعرفة والتطور والاستثمار في راس المال الفكري.

أسئلة البحث

- ماهي السياسات والاستراتيجيات التي اتبعتها الكويت
- ما هو الإطار النظري لتطور التعليم العالي بدولة الكويت
- ماهي العوامل التي اسهمت في نمو جامعة الكويت وتطورها

أهمية البحث

ان التعليم العالي هم الموجه للمجتمع والممول الرسمي له بالعوامل البشرية العاملة والمنتجة والساعية قدما للوصول الي اعلي المناصب في كافة المجالات تأتي أهمية البحث في تسليط الضوء لمعرفة نقاط القوة وتنميتها وكذلك تسليط الضوء على المسار الذي سلكته والتحولات المهمة التي مرت بها مؤسسات التعليم العالي.

أهداف البحث

– تهدف الدراسة الى فهم نشأة وتطور التعليم العالي بدولة الكويت
– تحديد أهم الاستراتيجيات والسياسات التي اتبعتها التعليم العالي بالكويت في تلك الفترة
– تحليل العوامل التي أسهمت في نمو الجامعة وتطورها في هذه الفترة، بما في ذلك العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية

نبذة تاريخية عن تطور التعليم في الكويت حتى عام 1966

اهتم المسلمون كثيراً ببناء المساجد في بلدانهم عندما قاموا بتشييد مدنهم، لأنها تعد مركز الاشعاع الديني والفكري والحضاري بالنسبة لهم، حيث كانت الكويت من ضمن البلاد الاسلامية التي اهتمت بذلك وبنت المساجد ودور التعليم فيها، انتشرت حلقات الوعظ والارشاد الديني والاجتماعي في معظم المساجد وكانت بمثابة قواعد للدروس والتعليم في معظم البلاد العربية، اذ كان المسجد عند المسلمين مكاناً للعبادة ومعهد للتعليم، ولعبت المساجد في الكويت دوراً كبيراً في غرس البذرة الاولى للتعليم لاسيما في الجانب الديني منه، اذ كانت بيوت الله مراكز لتحفيظ القران وتعلم الفرائض وامور الدين، وهناك بعض الدلائل التي تشير الى ان بعض من افراد المجتمع الكويتي منذ نشأته كانوا يعرفون القراءة والكتابة وخير دليل على ذلك هو نسخ من المخطوطات في الكويت ومنها كتاب الموطّأ للأمام مالك بن انس[*] (الاثير، 1938، صفحة 284) الذي قام بنسخه مّساعد بن احمد بن سالم في جزيرة شيلكا الكويتية وليس من المعقول ان مجتمع مثل المجتمع الكويتي ينمو ويتطور تجارياً ولا يوجد فيه من يعرف القراءة والكتابة (حاتم، 1962، صفحة 10).

ارتبط ظهور التعليم القديم في الكويت بظهور المساجد لأنه كان تعليماً دينياً في بدايته واتصف رجال الدين وطلاب العلم قديماً بكثرة التنقل والترحال بين البلدان والمناطق العربية الاسلامية طلبا للعلم والمعيشة، اذ وصلوا الى الكويت طلباً للرزق والاستقرار والقاء

[*] مالك بن انس: ولد أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار رضي الله عنه في يثرب قبل الهجرة النبوية ب 10 سنين، ينتمي إلى بني النجار أحد بطون قبيلة الخزرج الأزدية، خدم أنس بن مالك النبي محمد مدة مقامه بالمدينة 10 سنين، وبعد الفتوح سكن أنس البصرة، وأقام فيها يُحدّث الناس بما يحفظ من الحديث النبوي، حتى أحصى علماء الحديث أكثر من مائتي راوٍ عنه، أصيب أنس بن مالك في نهاية حياته بالبرص، وضعف جسده. وتوفي في البصرة في خلافة الوليد بن عبد الملك، ولكن على خلاف في سنة وفاته، فقيل توفي سنة 90 هـ، وقيل 91 هـ، وقيل 92 هـ، وقيل 93 هـ. للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج2، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، 1938، ص284.

الخطب والمواعظ ونقل ما تعلموه من علوم اللغة والدين لنشره بين عامة الناس عبر المسجد ويسمى هذا النوع من التعليم بالاختيار لان امام المسجد او رجال الدين يقومون بنشر العلم الذي يمتلك دون اي توجيه او ضغط من اي شخص وكذلك هو المسؤول الوحيد عن وضع منهاج التعليم في المسجد (الجشعمي، 2017).

كانت منطقة الخليج العربي بصورة عامة والكويت بشكل خاص شبه خالية من اوجه النشاط الفكري والثقافي حتى نهاية القرن التاسع عشر سواء كان التعليم او المكتبات او الاندية والصحافة المحلية وبدأت بوادر النهوض بالوعي الثقافي منذ نهاية القرن التاسع عشر نتيجة لعدة عوامل في مقدمتها مجيء الإرساليات التبشيرية وكان للتعليم التبشيري هدفان اساسيان: الاول اقناع السكان باهتمام المبشرين بتاريخهم وديانتهم لتجنب حدوث ردة فعل عنيفة من السكان تجاه النشاط التبشيري، اما الهدف الثاني توجيه هذا التعليم الديني لخدمة الفكر الغربي وابراز النهضة الاوروبية وفضلها على الشرق (الرحمن، 2016، الصفحات 207-208).

ازدهرت الحركة التجارية بين الكويت والهند عام 1910 في عهد الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت واصبحت تجارة اللؤلؤة المصدر الاول لتجار الكويتيون، فكانت الحاجة ملحة الى كتب ومحاسبين لضبط السجلات والدفاتر وتنظيم المراسلات وايجاد المتعلمين والعارفين بأصول العمليات الحسابية وخاصة فيما يتعلق بتوزيع حصة العاملين في سفن الغوص وما يترتب عليها طبقاً لأهمية كل سنة كل عامل في هذه السفينة وهناك توزيع للحصص المتعارف عليها يتضمن نسبة لصاحب السفينة هذه العوامل وغيرها، أدت الى الضرورة تقتضي الانتقال الى مستوى اخر من التعليم تتجاوز التعليم التقليدي بعد ان توفرت الاموال في ايدي الناس وزادت في الوقت نفسه الحاجات وتعددت مصادر الدخل حيث احدثت عدد من المتغيرات على المجتمع الكويتي فكان لابد من أضافة علوم اخرى الى التدريس الكتاتيب ولابد من خيارات اخرى في التعليم لها مستواها وتتفق مهارتها مع حاجات اقتصادي للتجارة والغوص والسفر وفي الحسابات فكان لزاماً ان تكوين جيل وطني ملم بكل هذه الامور (المغني، 2019، صفحة 219).

استمرت الإرساليات التبشيرية بنشاطها اذ ان اول مدرسة لتعليم اللغة الانكليزية في الكويت هي المدرسة التي انشأتها الارسالية الامريكية للتبشيرية عام 1917 والحقتها في المستشفى فصار المدير والمعلم الاول فيها هو القس كالفر لي يعاونه فيه رجل من الموصل من مسيحي العراق يدعى جرجس سلو (الحاتم، 1980، صفحة 75).

كما ذكرنا سابقا بدأ التعليم شبه النظامي في الكويت عندما تم انشاء مدرستين نظاميتين هما المدرسة المباركية عام 1911 والمدرسة الاحمدية عام 1921 وسار فيهما التعليم بشكل بدائي وبتمويل من التجار والاشخاص المهتمين بالتعليم في ذلك الوقت، ومع مرور الوقت واقتراب عام 1930 بدأت الازمة الاقتصادية في العالم في ذلك الوقت والمتمثلة في انهيار الاسواق العالمي وانهيار سوق الاسهم الامريكية وانخفاض التجارة العالمية الى النصف والركود الاقتصادي الكبير الذي حصل جراء ذلك والنتائج السيئة التي ترتبت عن الحرب العالمية الاولى (مالك، 1985، صفحة 14). حيث تأثرت الكويت بنفس هذه الازمة والظروف السيئة التي مر بها العالم، كما ساهم اكتشاف اللؤلؤ الصناعي وكساد اللؤلؤ الطبيعي الذي اعتمده عليه التجار الكويتيون في تجارتهم اضمحلال الموارد التي كانت تذهب لتمويل التعليم الذي كان يقدم من قبل التجار، الا ان اكتشاف النفط كانت له بوادر الخير في ازدياد الميزانية وتحسين الاوضاع المالية فتجه الكويتيون الى الاهتمام بالتعليم وتطويره لما له من ضرورة ملحة في تطور الكويت والتخطيط لمستقبل ابنائها والعمل على بناء جيل واعي ومثقف يقود الكويت الى مكانة رفيعة (حسين، 1994، صفحة 39).

اقترح عدد من وجهاء الكويت في ديوان السيد (يوسف بن عيسى القناعي)[*] (كريدية، د.ت، الصفحات 167-168) بازدياد الضريبة الجمركية لمصلحة التعليم والكل أيد الاقتراح بالإجماع وقدم المجتمعون الاقتراح الى الشيخ عبد الله جابر رئيس مجلس الادارة وطلبوا منه عرض الاقتراح على حاكم البلاد الشيخ احمد جابر الصباح (السبكي، 2018، صفحة 25) وكان رأيه ان يكون

[*] يوسف بن عيسى القناعي: يوسف بن عيسى بن محمد بن حسين بن سلمان بن علي بن محمد بن سري القناعي ولد بالكويت عام 1879 في حي القناعات بمنطقة الوسط، التحق في طفولته المبكرة بالمدارس الأهلية عام 1903، وسافر إلى الأحساء طلبا للعلم عام 1904. ذهب إلى مكة المكرمة للالتقاء بعلمائها ودرس فيها النحو واللغة والفقه والحديث، وهو أحد رواد النهضة الكويتية، يعد أحد مؤسسين المدرسة المباركية عام 1911، كما أنشأ اول مكتبة كويتية أطلق عليها المكتبة الأهلية عام 1922، انتخب عضوا في المجلس التشريعي الأول والثاني، كما انتخب عضواً في مجلس المعارف عام 1936، ثم عضو إدارة الأوقاف عام 1949، توفى عام 1973. للمزيد من التفاصيل ينظر: إبراهيم عبد الكريم كريدية، أبناء الشرق، مكتبة نوفل، بيروت، د.ت، ص167-168.

الامر شورى، وبالفعل تم تفعيل الاقتراح وبذلك اصبح للتعليم ميزانية وانتقلت المسؤولية من التجار والشخصيات المهمة الى الحكومة بشكل مستمر ورسمي، وكان اول مبلغ تم جمعه 63,000 روبية استخدمت للنهوض في التعليم، بعد هذا الاقتراح الذي حصل على موافق جماعية رفعت موافقتهم الى الشيخ (احمد الجابر الصباح)[*] الذي أصدر القرار بأنشاء مجلس المعارف في 16 تشرين الاول 1936 الذي يرأسه أحد افراد الاسرة الحاكمة والاعضاء 12 عضواً تم انتخابهم، تلك هي الخطوة الاهم في مسيرة التعليم في الكويت واللبنة الاساسية التي بدأ النهوض من بعدها (العنزي، 2019، صفحة 41).

بدأ مجلس المعارف بأصدار القرارات التي يسير عليها واول قرار صدر عنه كان تحديد اختصاصات هذا المجلس ووضع الاختصاصات من ضمن نظام يسير عليه اطلق عليه قانون دار المعارف ومن اهم هذه الاختصاصات رسم خطط المعارف وسيرها البت في مناهج الدراسة تعيين مديرين المدارس تقرير شؤون البعثات والتعيين اعضائها وانتخاب المرشحين وضع اللوائح القانونية والانظمة الخاصة بأدارة المعارف وذكرت ان العهد الجديد في التعليم بدا وكان اعضاء مجلس المعارف يجتمعون اسبوعياً للتشاور والاشراف على المدارس وسيرها بالطريقة الصحيحة وسرعان ما تم معرفة اهم التحديات التي ستواجه التعليم في الكويت تتمثل في التحدي الاول هو كيفية الحصول على معلمين من دول العربية، ام التحدي الثاني فتمثل في كيفية انشاء تعليم ثانوي وفني (jobe, 1962, p. 42).

فكر اعضاء مجلس المعارف بالتحدي الاول هو اللجوء الى العراق وسوريا وفلسطين لطلب معلمين لكن سرعان تلاشت الفكرة بسبب الاوضاع السياسية وبسبب مخطط احتلال اسرائيل لفلسطين بمساعدة بريطانيا والشباب العربي كان ثائراً وينظم ثورات ومظاهرات، ففكروا باستدعاء معلمين في هذا الوقت ممكن ان ينشر هذا الفكر في الكويت وهي تحت الاستعمار البريطاني واصرت الاقتراحات بالتوجه الى فلسطين وبالفعل تم ارسال رسالة الى مفتي الديار الفلسطينية الشيخ أمين الحسيني[*] من قبل مجلس المعارف فاستجاب واحضر اربعة معلمين وهم احمد شهاب الدين وخميس بالنجم ومحمد المغربي وجابر حسن وكانوا يعتبرون اول بعثه فلسطينية تعليمية تأتي الى الكويت للأسهام في التعليم (غباش، 2020، صفحة 53).

منذ اكتشاف النفط في ارض الكويت اصبح البترول المصدر الاول بين مصادر الثروة في هذه البلاد، ثم بدأت امارة الكويت تأخذ مكاناً مرموقاً بين سائر بلدان العالم، اذ بدأت عام 1934 التنقيبات عن النفط في عهد امير الكويت احمد جابر الصباح ثم توقفت عمليه البحث والتنقيب اثناء الحرب العالمية الثانية، وقد ادرك الكويتيون اهمية بلدهم كمصدر من مصادر الثروة العالمية للبترول في عام 1951، عندما حصلت شركه الانجلو أمريكية على امتياز للتنقيب عن النفط في الكويت عرف الكويتيون ومن ثم عرف العالم اجمع ان دخل الكويت من البترول اصبح يزيد عن 50 مليون من الجنيهات الاسترلينية (ديكسون، 1990، صفحة 10).

حدثت في الكويت منذ ازدياد الثروة الناتجة من اكتشاف النفط نهضة كبيرة في الحياة الاجتماعية، اذ اتسعت الكويت في الجوانب العمرانية مثل مدينة الاحمد الجديدة بمبانيها الحديثة التي زودت بأحدث الوسائل وكذلك ميناء الاحمدي الذي ولد بمولد النفط، اذ نجد ان الكويتيون قد عمدوا الى استغلال هذا الدخل في النهوض بشتى نواحي الحياة ببلدهم، فاهتموا برفع المستوى الصحي بين الاهالي بإقامة المستشفيات وتيسير العلاج لهم دون مقابل، واهتموا بإقامة المباني الحديثة داخل الكويت وخارجها وعملوا الى تعميم الشوارع الفسيحة وانشاء الميادين وبناء المنشأة الحكومية الحديثة (وطفة، 2012، صفحة 76).

---

[*] الشيخ أحمد الجابر الصباح: ولد 1885 في مدينة الكويت، يعد أمير دولة الكويت العاشر، حكم الكويت من 23 اذار 1921 حتى وفاته في 29 كانون الثاني 1950. وهو ابن الشيخ جابر المبارك الصباح، يعد عهده بداية الديمقراطية في الكويت إذ أنشأ مجلس الشورى والذي يعد أول عمل يقوم به بعد توليه لمقاليد الحكم عام 1921 بعد وفاة عمه الشيخ سالم المبارك الصباح، برمت في عهده معاهدة العقير عام 1922 لترسيم الحدود بين العراق والسعودية والكويت، وقد عقد الاجتماع في ميناء العقير وحضره بيرسي كوكس ممثلًا عن الكويت وعبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود عن السعودية، اكتشف النفط في عهده مما أدى الى حدوث تطور ونهضة في الكويت. للمزيد من للتفاصيل ينظر: امال السبكي، الكويت في عهد الشيخ احمد الجابر الصباح 1921–1950، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بنها، كلية الآداب، 2018، ص25.

[*] امين الحسني: ولد امين محمد الحسيني في مدينة القدس بفلسطين عام 1897 من عائلة عرفت بالعلم والإصلاح، كان لولده دور في تعليمه الدروس الدينية واللغة، عام 1921 سافر الى القاهرة ليدرس في جامع الازهر، انتمى الى جمعية العهد مع عدد من الضباط في اسطنبول، عام 1917 عاد الى القدس واهتم بالعمل السياسي. للمزيد من التفاصيل ينظر: حسن أدهم جرار، امين الحسيني رائد جهاد وبطل قضية، دار الضياء، عمان، 1987، ص4.

وكان اهتمام اهل الكويت بالعلم من اعظم مظاهر هذه النهضة فاكثر من انشاء المدارس ما بين الثانوية والابتدائية بنين وبنات وجعلوا التعليم حقاً لكل فرد لا فرق بين غني وفقير بل لعلنا لا نغالي اذ قلنا انهم ذهبوا الى ذلك على مدى بعيد في رعاية المتعلمين ولم يقبض الكويتيين ايديهم عن الانفاق على نشر العلم والنهوض بالمتعلمين، وكانوا في ذلك مدفوعين بدافع وطينتهم وبرغبتهم الكبيرة في النهوض بالمستوى العلمي والثقافي ببلدهم الناشئ وباتوا يعملون في حماس وكأنهم ارادوا ان يروا بلدهم في زمن قصير جداً يحاكي سائر البلدان العربية في العلم والثقافة وسائر وسائل المعرفة مستعينين في ذلك بخبرة البلاد العربية وفي مقدمتها مصر (التميمي، 1998، صفحة 30).

سعت الحكومة البريطانية في الكويت للسيطرة على النفط وتحجيم مشاركتهُ مع الكويت في استغلاله فان الامر كاد ان يفلت من يداها بسبب حماسة الناس للتعليم واستغلال المواقف والاستعداد لتلقي الثروة الجديدة وكان المقيم السياسي في الخليج في ابو شهر ووكلائه في البحرين والكويت يتابعون جميع التطورات في المنطقة وخصوصاً ما يتعلق بالتعليم لمعرفة اتجاهات القائمين على التعليم منذ عام 1935، لذلك جرى تعيين مستشار بريطانيا للتعليم في البحرين والكويت لمراقبة تطور التعليم فيهما ومن ثم كانت سياسة بريطانيا بشان التعليم في الكويت تريد ايجاد طريق يجمع بين حاجة البلاد الى المتعلمين وحاجة شركات النفط الملحة الى شباب محلي مؤهل للعمل في قطاع النفط مع الشركات (الدوسري، 2015، صفحة 445).

ونظراً لتخوف السلطات البريطانية من ازدياد الاهتمام بالتعليم في الكويت حيث ذكر المقيم السياسي البريطاني في الخليج عام 1936 ان هناك تفكيراً غير واضح في الكويت حول موضوع الاموال التي تنفق على التعليم والمساوئ الناجمة عن ما يحدث في بلد متأخر كالكويت لم يحصل بعد على التعليم الكافي خلال السنوات الماضية، اذ كان من الخطأ ان يشق التعليم طريقه في البلاد وبتيار قوي جداً، ولكن حاكم الكويت الشيخ احمد جابر الصباح كان مهتماً بشكل كبير بالتعليم وبالتعاون مع بعض رجالات الكويت المهتمين بالتعليم برسم سياسة تعليمية في للسنوات القادمة ستحدد بشكل كبير مستقبل الامارة وانه يمكن الاعتماد على المدرسين السوريين والفلسطينيين والمصريين وارسال عدد من الكويتيين الى المدارس المهنية في فلسطين لتلقي تعليم وتدريب مناسب لهم (الدوسري، 2015، صفحة 446).

مع اصرار الشيخ احمد جابر الصباح عام 1936 وحاجه الكويت للمعلمين الفلسطينيين تمت مراسلة الحاج احمد الحسيني وطلب اليه أربع معلمين من فلسطين ولكن المعتمد البريطاني دقق على سجلاتهم وميولهم السياسية وتم ايقاف تأشيرة لمعلم فلسطيني بسبب اتجاهاته السياسية وتم وضع معلم بديل عنه، الا ان تدخلات البريطانيين ظلت مستمرة في كل ما يتعلق بأمور التعليم في الكويت فلم يكن للكويتيين حرية في اصدار قرارات من غير علّم بريطانيا وسفاراتها في الدول العربية (الكويتية، 2002، صفحة 16)

ابرز المواقف التي حصلت وتجلى فيها التدخل البريطاني وذهاب الاستاذ عبد اللطيف الشملان وهو مدير المعارف في الكويت الى مصر بحكم دراسته فيها وعلاقته الكثيرة هناك، فضلاً عن علاقته بالمفكر طه حسين الذي كان مستشار فني لوزارة المعارف المصرية، حيث طلب منه الشملان تزويد الكويت بمعلمين لتطوير التعليم والحاجة الماسة لهم، فوافق طه حسين ورحب بالفكرة وبالفعل تم تعيين معلمين من مصر، ذهب الشملان ايضاً الى سوريا وتم تعين معلمين من هناك لكن لم يمر هذا الامر على بريطانيا مرور الكرام فاعتبروا الموضوع هو الغاء لدورهم وتهميش مكانتهم في الكويت، وانه يجب ان يتم ذلك كله عبر سفارتي بريطانيا في الكويت والقاهرة (العنزي، 2019، صفحة 42).

نظرت الكويت نظرة ايجابية الى مستقبلها بصورة عامة والى مستقبل التعليم بصورة خاصة، وذلك بعد اكتشاف النفط والتزايد الحاجه الى كوادر كويتية تتمتع بمهارات وكفاءات عالية لكي تستطيع العمل في شركات النفط ولن يتم هذا التطور والرفعة في التعليم الا من خلال جلب المعلمين من دول عربية متقدمة عن دولة الكويت في هذا المجال، وارسال طلبة من الكويت للدراسة والابتعاث الى الخارج لتنمية قدراتهم وزيادة تحصيلهم العلمي وكان لابد ان تتم هذه الخطوات كلها بعلم السفارة البريطانية (الدوسري، 2015، صفحة 447).

تعد دول الخليج العربي نموذجاً فريداً بين الدول النامية والمتقدمة منها على سواء، فيها توفير فرص تعليمية لأبنائها على مستوى التعليم العام بل وما فوقه فلا خلاف بينها على انها توفر التعليم لكل من يطلبه من ابنائها ولا ترد احدا عن التعليم، ومن الناحية الرسمية توجد ثلاث دول عربية خليجية تأخذ بنظام الالزام في التعليم العام وهي دولة الكويت والامارات والبحرين مع اختلاف بينهما

في مدة الالزام، اذ تقتصر هذه المدة على ست سنوات للمرحلة الابتدائية في الكويت ويمتد الالزام الى التسع ليشمل المرحلتين الابتدائية والمتوسطة والاعدادية في الكويت، اما باقي الدول العربية فليس فيها قوانين او نظام للإلزام لكنها توفر التعليم لكل من يطلبهم من ابنائها بل ومن غيرهم (مرسي، د.ت، صفحة 20).

شهدت الخمسينات القرن العشرين معالم النهضة التعليمية ففي عام 1955 قدم اسماعيل القباني وزير التعليم السوري ومتي عقراوي[*] رئيس جامعة بغداد دراسة شاملة لنظام التعليم في الكويت، وقد اخذت اقتراحاتهما بعين الاعتبار في معظم التعديلات التي ادخلت على النظام التعليمي في الكويت بعد عام 1955 وقد اشتملت هذه الاقتراحات على دراسة لجميع مراحل التعليم وعلى اعادة النظر في المناهج الدراسية وتم التوصية باعتماد المناهج الدراسية العراقية في مدارس الكويت (الرحمن، 2016، الصفحات 211-212).

وتم انشاء برنامج شامل لتعليم الكبار وفتح دور للمعلمين، وفي الستينات شهد التعليم تقدما ملحوظا بعد صدور المرسوم الاميري رقم (2) لعام 1962 الخاص بإعادة تنظيم الوزارات، اذ تعهدت وزارة التربية والتعليم التي حلت محل (ادارة المعارف) بالعمل على توسيع نطاق التعليم بكافة أنواعه (الجصاني، 1982، صفحة 226).

تاريخ جامعة الكويت

عرفت الكويت منذ البدايات الاولي لتاريخها تعليما دينيا وفقهيا في المساجد ودور العبادة، وكان التعليم قديماً يتم في مختلف زوايا المساجد، حيث تلتقي جميع الدوائر الدراسية وتناقش مختلف القضايا العلمية والفكرية والفقهية، كان هذا النوع من التعليم شائعا حتى مرحلة الكتاب التي بدأت في الكويت عام 1887.

وشهد هذا النوع من التعليم حضور كبير كتعليم أساسي ومهم وفي عام 1911 بدأ التعليم الاهلي النظامي مع افتتاح المدرسة المباركية (المفتي، 2019، صفحة 219)، وهي أول مدرسة نظامية أهلية في الكويت أشرف التجار على ادارتها لأنهم كانوا بحاجة الى كتبة ومحاسبين لإدارة تجارتهم التي كانت تتوسع باستمرار وكانت هذه المدرسة تهدف الي تخرج كتبة تجاريين ليقوموا بالأعمال التجارية التي كانت تعتمد اقتصاد دولة الكويت (الغنيم، 1999، صفحة 397).

ثم جاءت مرحلة التعليم الحكومي من عام 1936الي عام 1956 حيث هيمنت الدولة على التعليم وعملت على تنميته وتطوره وتوجيهه مساره وتمويله وتميزت هذه الفترة بتطور التعليم في الكويت بإنشاء مجلس المعارف عام1936 وأنشئت أول مدرسة للبنات عام 1937 وبذلك دخلت الفتاه الكويتية التعليم لأول مرة وأطلقت على هذه المرحلة انشاء المدارس (رضا، 1952، صفحة 3).

ثم جاءت مرحلة التعليم الحديث من عام 1954 وتستمر حتى يومنا هذا من عام 1966 إلى عام 1990 (وطفة ع.، 2012، صفحة 2012)، تم إنشاء العديد من الكليات الجديدة في جامعة الكويت، بما في ذلك كلية الحقوق وكلية الإدارة والاقتصاد وكلية الطب وكلية الهندسة وكلية العلوم الإسلامية. وقد تم توسيع البرامج الأكاديمية في الكليات القائمة، بما في ذلك إضافة برامج الدراسات العليا في العديد من الكليات (Alshameri, 2022, p. 17)، كما شهدت دولة الكويت تحولا كبيرا في قطاع التعليم العالي حيث ان التعليم العالي مهم للغاية باعتباره ركيزة الاساسية لتزويد المجتمع بالموارد البشرية التي يحتاج اليها للنهوض بالمتطلبات الاجتماعية والتنموية في الدول المتقدمة والدول النامية علي حد سواء وكذلك تحقيق الهدف الاساسي من وجودها وهو تزويد الطلبة بالمهارات المؤهلة للنجاح في حياتهم العملية والعلمية والاجتماعية[*].

---

[*] متي عقراوي: ولد في مدينة الموصل عام 1901 درس في المدارس الاهلية، وأكمل دراسته في الجامعة الامريكية في بيروت، حصل على الماجستير عام 1926 والدكتوراه عام 1932 من الولايات المتحدة الامريكية، تقلد عدة مناصب منها مدير دار المعلمين الابتدائية، ومدير عام التعليم العالي في وزارة المعارف، في عام 1945 اعيرت خدماته الى منظمة التربية والثقافة التابعة للأمم المتحدة، تم تعيينه رئيساً لجامعة بغداد 1957، توفي عام 1982 في لبنان. للمزيد من التفاصيل ينظر: حميد المطبعي، موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين، ج 2، بغداد، 1959، ص119.

[*] راجع الموقع الالكتروني في الانترنت:

https://i3l.pw/lang/arabic/ar_nabaa/

أصدر أمير الكويت الشيخ صباح السالم، مرسوم إنشاء جامعة وطنية حكومية في الكويت، وذلك لاستكمال أركان الدولة الحديثة بعد استقلالها عن بريطانيا عام 1961 (الدوسري، الدور البريطاني المصري اتجاه تطور التعليم في الكويت (1936-1961)، 2015، صفحة 43)، وكذلك الرغبة في انشاء الجامعة بعد أن كان الطلبة يوفدون للدراسة الجامعية في بعض الدول العربية مثل مصر والعراق ولبنان قدمت وزاره التربية عددا من الخبراء كونت منهم لجنة للعمل علي انشاء جامعة الكويت وهم السير ايغور جنجز (مندوب اليونسكو) والدكتور سليمان حزين (رئيس جامعة أسيوط) والدكتور قسطنطين زريق (نائب رئيس الجامعة الامريكية في بيروت) وانتهت اللجنة من مهام عملها لوضع تقرير مفصل عن امكانية انشاء الجامعة في الكويت الى مجلس الوزراء متضمنا توصياتها واقتراحاتها بخصوص مشروع الجامعة وموصية بإنشائها(*).

وفي نيسان صدر مرسوم أميري بالقانون رقم 29 لسنة 1966 خاص بتنظيم التعليم العالي ومن ثم افتتحت الجامعة رسميا في 27 تشرين الثاني من عام 1966، وسط احتفال كبير حضره أمير البلاد الشيخ صباح السالم الصباح وولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الصباح ورجالات الدولة وبعض الضيوف من الدول الاخرى وتم تعيين الدكتور عبد الفتاح إسماعيل أول رئيس للجامعة التي بلغت مساحتها (1.5كم2)، وخضعت الى تحديثات دورية لمواكبة أحدث التطلعات وتحقيق أفضل النتائج التي تعود بالنفع على الطالب (التحرير هـ.، 1978، صفحة 51).

كما أيد أمير البلاد الشيخ جابر الاحمد الصباح ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء فكرة انشاء الجامعة ودعمها وحرص على إزالة جميع العقبات من اجل خروجها واقعا وتكونت نواتها الاولي من كليتين لتخريج مدرسين ومدرسات اللازمين للتعليم في الكويت وهما كلية العلوم والآداب والتربية (للذكور) وكلية البنات الجامعية، والعمل مع المؤسسات العلمية التي تحمل رسالة أساسية تهدف إلى اعداد القادة الذين يساهمون في توطين المعرفة الانسانية وتطويرها ونشرها ومواكبتها، والاعتراف بالثروة البشرية وتراثها، لتلبية الاحتياجات والمتطلبات الحديثة (الرحمن، تطور الحركة الفكرية وتدعيم النهضة التعليمة والثقافية في الكويت منذ نشأة وحتى عام 1973، 2016، صفحة 228).

وتقدم هذه الجامعة تعليما متميزا، وتساهم في انتاج المعرفة وتطويرها ونشرها وتحقق أهداف التنمية واحتياجات المجتمع وتعزز التنمية البشرية لإعداد ثروة بشرية متميزة بمعرفتها، تفي باحتياجات الدولة التنموية وتواكب متطلبات العصر الحديث من خلال الجودة في التعليم العالي، والتميز في البحث العلمي وذلك من خلال:

1. تعزيز القيم والمبادئ الوطنية والعربية والاسلامية
2. توطين المعرفة ونشرها وتطويرها
3. تنمية واستثمار العنصر البشري
4. تحقيق التميز في التعليم والبحث العلمي وخدمة المجتمع (المطيري، 1996).

النشأة

كان انشاء جامعة الكويت نتيجة للتحول الاجتماعي والاقتصادي الذي شهدته الكويت في ذلك الوقت، وكانت فرصة كبيرة لتلبية احتياجات المجتمع من التقدم والتنمية في مجال التعليم العالي تعد جامعة الكويت واحدة من ابرز الجامعات في الشرق الاوسط والخليج العربي وهي الجامعة الرسمية في دولة الكويت والتي تنوط بشكل مباشر وزارة التعليم الكويتية تمنح دراجات البكالوريوس والماجستير والدكتوراه ولم يسبقها سوى ثلاث جامعات سعودية وتضم 14 كلية حسب التصنيف العالمي من موقع ويبو ماتريكس لجامعات العالم فان جامعة الكويت تحتل المرتبة 137 في منطقة الشرق الاوسط و2677 عالميا بين الجامعات وفي دراسة أعدتها مؤسسة كيو اس العالمية المتخصصة في بحوث التعليم ونشر تصنيفات الجامعات احتلت جامعة الكويت المركز الثامن عربيا و 701 عالميا(*).

(*) راجع الموقع الالكتروني في الانترنت:

https://www.kuna.net.kw,2001.

(*) راجع الموقع الالكتروني في الأنترنت، جامعة الكويت:

https://ar.wikipedia.org/wik

مؤسسات التعليم العالي

مؤسسات التعليم العالي الرئيسية التي تجري البحوث في الكويت هي جامعة الكويت، ومعهد الكويت للأبحاث العلمية، والهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب وحوالي 12 جامعة خاصة من حيث عدد الباحثين وحجم الأبحاث التي يقومون بها بدأت جامعة الكويت التدريس عام 1967 كانت تضم 418 طالباو31 عضو من أعضاء هيئة تدريس وفي عام 1989 اجتازت جامعة الكويت مرحلة التأسيس بعد تخريج آلاف الخريجين، وكان لها تأثر واضح علي تكوين القوى العاملة في المجتمع، وحالياً تطورت واتسعت خلال المرحلة الماضية، لتضم 900 عضو هيئة تدريس، وحوالي 180 مدرس لغة، و15 ألف طالب (مرسي، السمات العامة لتعليم لدول الخليج العربية، د.ت، صفحة 24).

وهذا يسمح لمؤسسات التعليم العالي بتحسين جودة موظفيها من خلال ايجاد تصورات جديدة لمستوى أداء الابداع المطلوب، وتطوير القدرات ريادة الاعمال (الخشاب، 2020).

الهيكل التنظيمي لجامعة الكويت

تأسست الجامعة عام 1966 وكان بها العديد من الكليات والاقسام الاكاديمية، وكان الهيكل التنظيمي للجامعة في ذلك الوقت يتألف من الهيئات الرئيسية التالية:

مجلس الامناء: وهو هيئة إدارية مكونة من نخبة من الشخصيات الكويتية البارزة، وتشرف على القرارات الادارية الرئيسية للجامعة.

الرئيس: وهو الشخص الذي يشرف على ادارة الجامعة وتنفيذ سياسة مجلس الادارة.

الكليات: وهي الوحدات الاكاديمية الاساسية في الجامعة، وتتألف من عدة كليات وأقسام اكاديمية.

الادارات الأخرى: تحتوي الادارات الأخرى في الجامعة على العديد من الاقسام والوحدات، مثل قسم الشؤون الاكاديمية، وقسم الشؤون المالية، وقسم الشؤون الادارية، وقسم التخطيط والتطوير وغيرها (الرحمن ع.، 1974، صفحة 72).

مع مرور الوقت، شهدت جامعة الكويت توسعًا كبيرًا في الفترة ما بين عام 1966 و1990، حيث تم إنشاء عدد كبير من الكليات والأقسام الأكاديمية، وتوسعت الإدارات والأقسام الإدارية المختلفة في الجامعة. وتم تعيين نواب ومساعدين لرئيس الجامعة للمساعدة في تشغيل الجامعة وتنفيذ سياسة المجلس.

ويمكن القول بأن الهيكل التنظيمي لجامعة الكويت في الفترة ما بين 1966 و1990 اتسم بالبساطة والتركيز على الهيئات الرئيسية القليلة، ولكن خلال هذه الفترة توسعت الأنشطة الأكاديمية والإدارية بشكل كبير[*].

الكليات والمراكز التي تم انشائها

وتجدر الإشارة الي بعض الانجازات التي تحققت في جامعة الكويت خلال هذه الفترة ومنها: تعد كلية الآداب من أوائل الكليات التي تأسست في جامعة الكويت عام 1966وقد تأسست كلية الآداب ككلية متعددة التخصصات لتلبية الاحتياجات المختلفة للمجتمع الطلابي في برامج الآداب والتربية والعلوم[*].

انشاء كلية الحقوق والشريعة في عام1967 لإعداد جيلا قانونيا لتلبية احتياجات البلاد في هذ المجال الهام وكذلك كلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية[*].

- انشاء كلية الهندسة في عام 1969، والتي أصبحت واحدة من أهم الكليات الهندسية في المنطقة.
- تأسست كلية الزراعة في عام 1973
- تأسست كلية الطب في عام 1973 وتضم العديد من الاقسام الطبية المتخصصة.
- لتحقيق هدف التقدم التكنولوجي تم انشاء كلية الهندسة والبترول في عام 1974
- تأسست كلية التربية في عام 1976

[*] راجع الموقع الإلكتروني لجريدة الوطن الكويتية على شبكة الانترنت: https://alwatan.kuwait.tt/2023

[*] راجع الموقع الإلكتروني دليل الطالب والكليات في جامعة الكويت على شبكة الانترنت:. https://ar.news-sinaa.com,p.15

[*] راجع الموقع الإلكتروني دليل الطالب والكليات في جامعة الكويت على شبكة الانترنت:. https://ar.news-sinaa.com,p.9

- انشاء كلية الدراسات العليا 1977
- أنشئ مركز التعليم والبحوث في عام 1978 ويشارك في تنفيذ البحوث العلمية والتطبيقية ودعم البحث العلمي في مختلف المجالات
- استقلت كلية العلوم في عام 1981، وتضم العديد من الاقسام العلمية المتخصصة
- انفصلت كليه الشريعة عن كلية الحقوق عام1982 لتصبح كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، وتأسست كلية التمريض عام وانفصلت عن كلية الطب 1982
- أنشئت مكتبة الطالب الجامعي نظرا للحاجة الماسة الى جهة لتوريد الكتب المنهجية العربية والاسلامية لتلبية احتياجات النظام الدراسي الذي تم تطبيقه وهو نظام الفصلين وهي مكتبة مركزية تخدم جميع الكليات.

كما استثمرت الحكومة بكثافة في الموارد البشرية، ودعمت مئات الطلاب في الدراسة الجماعية بالخارج، وكثير منهم يسافرون الي الولايات المتحدة. وكان أكثر من نصف الطلاب في جامعة الكويت من النساء، ويرجع ذلك جزئيا الى أن الاسر كانت تميل الى السماح لإرسال الاولاد الى الخارج للدراسة، ومع بدء الجامعة في تقديم برامج دراسية في العلوم الطبية والهندسية والعلوم الانسانية والاجتماعية(*).

وبالحديث عن معايير التنظيم الأكاديمي الذي اتبعت جامعة الكويت فهو على مرحلتين، مرحلة نظام السنة الدراسية الكاملة ومرحلة نظام الفصلين الدراسيين (الوحدات الدراسية) الذي بدأ العمل به عام 1974 في كلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية ثم حذت حذوها باقي كليات الجامعة(*).

إجمالي أعداد خريجي جامعة الكويت منذ 1969/1970 وحتى عام 1990/1989

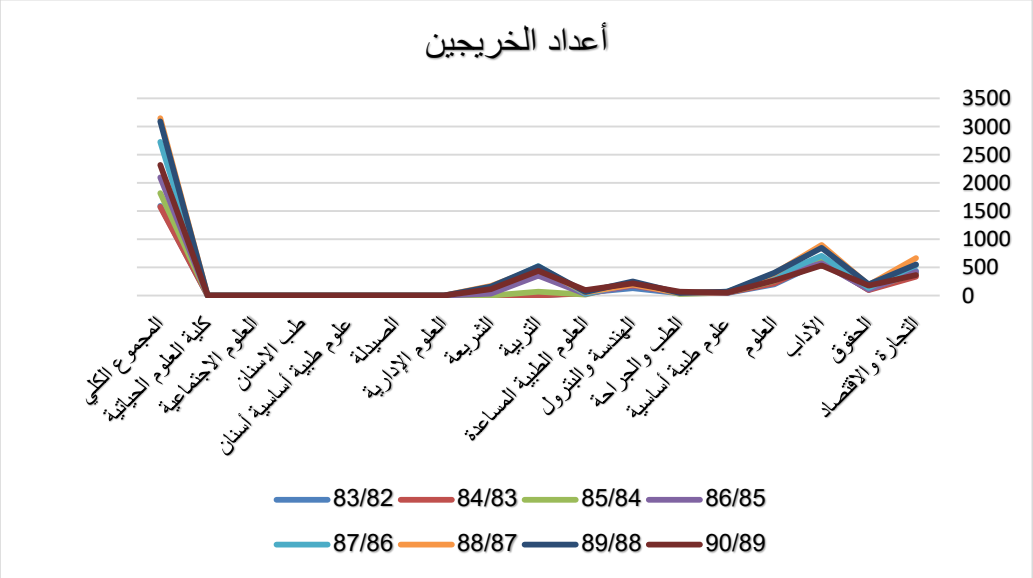

جدول رقم1(دليل جامعة الكويت ،2020)

الاطر والنظريات التي تشكل أساس التعليم الجامعي

يعتمد ظهور التعليم العالي على عدة اطر ونظريات ومن بينها:

1. نظرية النمو الاقتصادي: حيث شهدت الكويت نموا اقتصاديا ملحوظا خلال هذه الفترة على نمو التعليم الجامعي مما أدى الي زيادة الطلب على التعليم العالي فقد ساعدت الاقتصاد الوطني على احداث استثمارات كبيرة في التعليم بما في ذلك التعليم العالي.

(*) راجع الموقع الإلكتروني دليل الطالب والكليات في جامعة الكويت على شبكة الانترنت:. https://ar.news-sinaa.com,p.12

(*) راجع الموقع الالكتروني في الأنترنت، جامعة الكويت: https://ar.wikipedia.org/wiki

2. نظرية الحداثة: وكيف تؤثر الحداثة والتنمية على النمو الاقتصادي والاجتماعي ومدى ارتباطها بالتعليم العالي الذي يهدف الى تلبية احتياجات المجتمع المتغيرة.

3. نظرية الادارة التربوية: تمت دراسة الاساليب والممارسات الادارية المطبقة علي اداره الجامعة وكيف أثرت هذه الممارسات على ظهور وتطوير التعليم الجامعي ساعد تطبيق الممارسات والتقنيات الادارية الحديثة علي تحسين اداره الجامعة في الكويت في تلك الفترة.

4. نظرية الانفاق العام: خلال هذه الفترة، زاد تخصيص الاموال الازمة للتعليم الجامعي ودعم وتطوير الجامعات والكليات وجذب الاستثمار الحكومي الى التعليم العالي من خلال الاحتفاظ بأعضاء هيئة التدريس والباحث الموهوبين.

5. نظرية الاعتماد: أصبح الاعتماد عاملا هاما في تطوير التعليم العالي في الكويت خلال هذه الفترة كما ساعد انشاء هيئات الاعتماد واعتماد المعايير الدولية علي تحسين جودة التعليم العالي وتعزيز سمعة الجامعات والكليات الكويتية.

بشكل عام، كان تأثير هذه الأطر النظرية على تطوير التعليم العالي في الكويت خلال الفترة من 1966 إلى 1990 كبيرًا. ساعدت هذه النظريات في تشكيل السياسات والممارسات المطبقة في الجامعات والكليات الكويتية خلال هذا الوقت، وساهمت في نمو وتطوير التعليم العالي في الدولة (المطيري ح.، 1994، صفحة 17).

تطوير جامعة الكويت في الفترة من عام 1966الي عام 1990

خلال هذه الفترة من عام 1966 الي عام1990، شهدت جامعة الكويت تطورات ملحوظة في مختلف التخصصات الاكاديمية، من أجل تحقيق أهدافها الرامية الى توفير التعليم العالي الرائد في البلاد (عيسى، د.ت، صفحة 17).

حققت الجامعة العديد من الانجازات خلال هذه الفترة، من بينها:

1. توسيع نطاق البرامج الاكاديمية: قامت جامعة الكويت بتوسيع نطاق البرامج الاكاديمية التي تقدمها بشكل كبير، حيث تمت اضافة برامج دراسية جديدة في العديد من المجالات، مثل العلوم الطبية والهندسية والعلوم الانسانية والاجتماعية والتربوية والعلوم الادارية والقانونية.

2. الارتقاء بمستوى البحث العلمي: تنظم جامعة الكويت العديد من البحوث العلمية البارزة في مختلف المجالات، وتنشر العديد من الاوراق البحثية في المجلات العلمية المحلية والدولية.

3. توسيع القاعدة الطلابية: شهدت جامعة الكويت توسعا كبيراً في القاعدة الطلابية خلال الفترة من عام 1966الى 1990، حيث ارتفع عدد الطلاب من حوالي طالب في العام الدراسي الأول الى أكثر من 20 ألف طالب في عام1990 من خلال بناء مرافق جديدة ومجهزة تقنيا لتعزيز تجربة الطلاب

4. تطوير البنية التحتية.

5. تعزيز التعاون الدولي: قامت جامعة الكويت بتبادل الخبرات والمعرفة وتعزيز التعاون الدولي مع المؤسسات الأكاديمية العالمية الموثوقة.

6. تطوير المناهج الدراسية: تم تطوير المناهج الجامعية في الجامعة لتحسين جودة التعليم العالي لتكون متوافقة مع متطلبات سوق العمل.

7. تدريب وتطوير الخبرات الاكاديمية: توفر الجامعة برامج تدريبية وتطويرية لأعضاء هيئة التدريس لتحسين كفاءتهم وتطوير مهاراتهم التعليمية والبحثية.

8. تقييم الأداء والمراجعة الداخلية: تم تقييم أداء البرامج والدورات الاكاديمية وتحقيق معايير الجودة اللازمة واجراء المراجعات الداخلية بانتظام وتحليل النتائج وتحسين الجودة (التحرير، 1976، صفحة 104).

أهمية ادارة التعليم الجامعي من خلال مقارنة الجودة

إن عملية الجودة ليست عملية سريعة، لكنها عملية تحسين مستمرة، وبما ان تحسين الجودة يتبعه توفير في التكاليف يجب تزويد عملية الجودة الشاملة بالتدريب مستمر وبناء الفريق. تزداد الإنتاجية، ولكي تنجح إدارة الجودة، يجب أن تكون موجهة كل عملياتها

نحو العميل وأن تتضمن معطياته، ولقد واجهت مؤسسات التعليم العالي ضغوطا وتحديات كبيرة مشابهة بمؤسسات القطاع الخاص، بسبب القوة المتزايدة لسوق العمل والتقلبات في توظيف الخريجين مع متطلبات وتوقعات موظفيها ومؤسسات التخرج إضافة إلى تنافس مؤسساته لاجتذاب أكبر عدد من الطلبة، وعدم رضا الطلبة جعل مؤسسات التعليم العالي تسعى إلى إعادة النظر في دورها الاجتماعي والاقتصادي وازدياد الاهتمام بإدارتها وتقديم برامج ذات جودة عالية، والعمل على بلوغ أعلى المراتب، ويستند تطبيق مراقبة الجودة في التعليم العالي على الافتراضات من خلال مواكبة التغيرات السريعة في أساليب وتقنيات الاتصال والتحديات التي تفرضها العولمة وظهور ما يسمى باقتصاديات المعرفة وهناك حاجة ملحة لتحسين التعلم والتعليم الجامعي والإجراءات ذات الصلة وخاصة مهارات المعلمين وتحسين المهارات المهنية والاكاديمية، والقيادة والتخطيط والتنظيم واتخاذ القرارات والرقابة، واعتماد فلسفة الجودة. ويتم التأكيد على أهمية الجودة في التعليم الجامعي من خلال تحقيق معايير الربحية وزيادة القدرة التنافسية في السوق المحلية والعالمية وزيادة الفاعلية التنظيمية للموارد البشرية العاملة في المؤسسة: وذلك باكتساب مهارات إضافية عن طريق التدريب والتنمية (الشمراني، 2008، صفحة 57).

العوامل التي أثرت في تطور جامعة الكويت

العوامل المؤثرة في تطور جامعة الكويت خلال هذه المدة من عام 1966 وحتى عام 1990 كثيرة ومتنوعة بما في ذلك العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومن أبرز تلك العوامل:

1. الاستقرار السياسي: شهدت الكويت استقرارا سياسيا وأمنيا خلال الفترة المذكورة، مما أتاح لجامعة الكويت تطوير برامجها والحصول على الدعم اللازم من الحكومة لتحسين مستوى التعليم العالي.
2. التحول الاقتصادي: خلال الفترة المذكورة أعلاه شهدت الكويت نموا اقتصاديا كبيرا، حيث تم استخدام الثروة النفطية لتطوير البنية التحتية وتطوير القطاعات الاقتصادية المختلفة، بما في ذلك القطاع الأكاديمي والتعليم العالي.
3. تعزيز التعليم: تحتاج الكويت تعزيز التعليم وتحسين مستواه، من أجل تلبية الاحتياجات المتزايدة للمجتمع الكويتي في مجال التعليم العالي، ولتلبية متطلبات سوق العمل وتحسين فرص العمل للشباب الكويتي.
4. الاهتمام بالبحث العلمي: لقد لعب البحث العلمي دور رئيسيا في تطوير جامعة الكويت خلال الفترة المذكورة أعلاه، فقد اهتمت الجامعة اهتماما كبيرا لتشجيع البحث العلمي وتوفير الدعم الازم للباحثين.
5. أهمية الاهتمام بتطوير البنية التحتية: لعب تطوير البنية التحتية دور رئيسيا في تحسين مستوى التعليم العالي في جامعة الكويت، حيث تم بناء المباني الجديدة وتجهيزها بأحدث التقنيات الاكاديمية والتعليمية.
6. التعاون الدولي: لعب التعاون الدولي دورا رئيسيا في تطوير جامعة الكويت خلال الفترة المذكورة أعلاه، حيث تم تبادل الخبرات والمعرفة والتكنولوجيا الحديثة مع المؤسسات الأكاديمية العالمية الشهيرة (العنزي ع.، 1986).

تعد المدة من عام 1966الى1990في دولة الكويت واحدة من أهم فترات تطوير التعليم العالي في الدولة، خلال هذه الفترة هناك العديد من تحديات ومشاكل:

كان عدد الجامعات والكليات محدودا: خلال هذه الفترة المذكورة كان عدد الجامعات والكليات المتوفرة في الكويت محدودا، مما أدى الى زيادة الطلب على مقاعد الدراسة وعدم قدرة الجامعات والكليات على استيعاب الطلاب.

1. نقص أعضاء هيئة التدريس: أدى النقص حاد في عدد المدرسين والاساتذة المؤهلين في هذه الفترة، الى صعوبة توفير التدريب والتعليم اللازم للطلاب.
2. عدم الاهتمام بالبحث العلمي: خلال هذه الفترة كان اهتمام الكويت محدود بالبحث العلمي في خلال هذه الفترة، مما أدى الى عدم تطوير الخدمات العلمية في الجامعات والكليات.
3. الاعتماد على الجامعات الأجنبية: كانت الحكومة الكويتية تعتمد بشكل كبير على الجامعات الأجنبية في هذه الفترة، مما أدى الى التحدي المتمثل في توفير التمويل اللازم لهذه الجامعات وتوفير الخبرات اللازمة في مديري التعليم المحليين.
4. عدم الاهتمام بالتعليم الفني والمهني: كان الاهتمام في هذه الفترة على التعليم الجامعي فقط، وعدم الاهتمام بالتعليم المهني والفني، مما أدى الى صعوبة توفير الكوادر المؤهلة في هذا المجال.

5. المشاكل الاجتماعية والاقتصادية: كانت دولة الكويت تمر بحالة اجتماعية واقتصادية صعبة خلال هذه الفترة مما جعل من الصعب توفير التمويل اللازم لتطوير التعليم العالي وتوفير الخدمات اللازمة للطلاب.

6. صعوبة توفير البنية التحتية اللازمة: خلال هذه الفترة كان من الصعب توفير البنية التحتية اللازمة في هذه الفترة، مثل المباني والمختبرات والمكتبات والتجهيزات الأخرى.

7. الاهتمام باللغة الانجليزية: كان هناك اهتمام كبير في هذه الفترة بتدريس اللغة الانجليزية في الكويت، وكانت الدراسة في الجامعات والكليات باللغة الانجليزية، مما جعل من الصعب توفير المدربين المؤهلين في هذا المجال (المطيري م.، 2022، صفحة 35).

هذه هي بعض التحديات والمشاكل التي واجهها التعليم العالي في دولة الكويت في هذه المرحلة والتي تطلبت جهودا كبيرة لتحسين جودة التعليم وتطوير خدمات البحث العلمي في الجامعات والكليات فقد اتخذت الحكومة الكويتية عدة اجراءات منها:

- توفير الاموال اللازمة لتطوير التعليم العالي وتقديم الخدمات اللازمة للطلاب.
- التحدي المتمثل في توسيع نطاق التعليم الجامعي وزيادة عدد المقاعد الاكاديمية وانشاء جامعات وكليات جديدة
- تطوير وتدريب الكوادر التعليمية المحلية وتوفير فرص التعليم المستمر
- الاهتمام بالبحث العلمي وتوفير البنية التحتية الازمة لدعم الابحاث العلمية
- تعزيز التعاون مع الجامعات الاجنبية لتبادل الخبرات والتجارب
- تطوير البنية التحتية اللازمة، مثل المباني والمختبرات والمكتبات وغيرها من التجهيزات الأخرى
- التركيز على ممارسات التوظيف التي تنعكس في جودة التعليم المقدم للطلاب الكويتيين وغيرهم وكذلك الجودة في المناهج والدراسات (المطيري خ.، 2020).

بدأت الجامعات والكليات الكويتية في إقامة شراكات مع المنظمات الدولية خلال هذه الفترة. وقد ساعد ذلك على تعريف الطلاب وأعضاء هيئة التدريس بأفكار ووجهات نظر جديدة، وساهم في نمو وتطوير التعليم العالي في الكويت.

هذه هي بعض التدابير التي اتخذتها حكومة الكويت في هذه الفترة لتحسين جودة التعليم العالي وتطوير خدمات البحث العلمي في الجامعات والكليات في الدولة كما نفذت الحكومة الكويتية العديد من المبادرات لتطوير التعليم العالي منها:

- الغرض من انشاء مركز الكويت للتعليم العالي هو تطوير وتحسين جودة التعليم العالي في الكويت.
- الغرض من إطلاق برامج تحفيزية لتشجيع الطلاب على الالتحاق بالجامعات والكليات وتقديم المنح الدراسية والقروض التعليمية.
- تقديم الدعم الفني والمادي للجامعات والكليات لتحسين جودة التعليم
- تنظيم المؤتمرات والندوات وورش العمل لتوفير الفرص للطلاب والأساتذة لتبادل الخبرات والتجارب
- يهدف الى توفير فرص التدريب والتوظيف للخريجين وتطوير سوق العمل في الكويت
- تطوير البرامج الاكاديمية وتحسين المقررات الدراسية وتطوير وتحديث المناهج الدراسية

تم تنظيم نظام التعليم العالي في الكويت خلال هذه الفترة الى قسمين رئيسيين: القسم العلمي والقسم الأدبي، تم توفير تخصصات متنوعة بما في ذلك العلوم الطبية، العلوم الهندسية، اللغات، والعلوم الاجتماعية. استُحدثت برامج البكالوريوس والماجستير والدكتوراه لتمكين الطلاب من اختيار المرحلة التي يرغبون الالتحاق بها وفقًا لاهتماماتهم ومهاراتهم الشخصية.

بالإضافة الى ذلك، وافقت الحكومة الكويتية على برامج المنح الدراسية الأجنبية لطلاب الكويت الذين يرغبون في متابعة تعليمهم الجامعي في جامعات دولية ومؤسسات تعليمية عالمية. تم توفير منح دراسية للطلاب الراغبين في الدراسة في تلك الجامعات والحصول على شهادات معترف بها دوليا.

خلال هذا الوقت، تم أيضًا تكوين العديد من الكليات والمعاهد الجديدة في الكويت، مما زاد من تنوع التخصصات المتاحة وأتاح توفير الفرص للطلاب لاستكمال تعليمهم العالي. تم توفير بنية تحتية متطورة ومرافق متطورة لتلبية احتياجات الطلاب، بما في ذلك مختبرات حديثة ومكتبات متخصصة (الغانم، 1999).

التخصصات المتاحة في أقسام العلوم والآداب

وهي تشمل مجموعة متنوعة من التخصصات الأكاديمية التي تلبي اهتمامات واتجاهات الطلاب. في القسم العلمي يمكنك العثور على تخصصات مثل الهندسة (الميكانيكية، الكهربائية، الكيميائية)، علوم الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات، العلوم البيولوجية (البيولوجيا الدقيقة، الجينات والوراثة)، الكيمياء، الفيزياء، الرياضيات، والإحصاء.

أما بالنسبة للقسم الأدبي، فهناك مجموعة واسعة من التخصصات التي تتناول اللغات والآداب. هناك تخصصات في اللغة العربية والأدب العربي، اللغة الإنجليزية والأدب الإنجليزي، اللغة الفرنسية والأدب الفرنسي، اللغة الألمانية والأدب الألماني، واللغات الآسيوية الأخرى مثل اللغة الصينية واليابانية. كما يوفر القسم الأدبي فصول دراسية مخصصة للترجمة والنقد الأدبي، واللغة العربية كلغة ثانية.

يتم تنظيم المعلومات في هذه التخصصات باستخدام الجداول لتنظيم البيانات وعرضها بشكل منهجي. ينصب التركيز على توفير روابط خارجية مهمة على النص لتوفير مصادر إضافية للمعلومات للطلاب، حيث يمكنهم الوصول إلى معلومات موثوقة ومفيدة بسهولة من خلال النقر على الروابط المستخدمة كرابط نصي. تم تجزئة الفقرات الطويلة إلى فقرات قصيرة لتسهيل قراءتها وتجنب الإرهاق.

تقدم الكويت العديد من البرامج المعتمدة للحصول على البكالوريوس، الماجستير والدكتوراه في مختلف المجالات. هناك عدد كبير من الجامعات والمؤسسات التعليمية التي تقدم هذه البرامج، بما في ذلك الجامعة الكويتية وجامعة الخليج للعلوم والتكنولوجيا وجامعة الكويت للعلوم والتكنولوجيا والجامعة الأمريكية في الكويت (التحرير هـ.، 1978، صفحة 71).

هذه البرامج لها العديد من الميزات والفوائد. فهي توفر فرصاً للحصول على تعليم متميز في مجالات متنوعة، وتطوير المهارات اللازمة للنجاح في سوق العمل. كما توفر فرصاً للبحث والابتكار والتطوير في المجالات المختلفة.

بالنسبة للبرامج المعتمدة، يعد القسم الأكاديمي في كل جامعة مسؤولاً عن إعداد وتقديم البرامج ومراقبتها وضمان جودتها. تتم مراجعة البرامج بانتظام من قبل هيئة الاعتماد وضمان الجودة في الكويت، وتتميز هذه البرامج بأنها تلبي المعايير الأكاديمية العالمية (الكويتية، دراسة توثيقية، 2002، صفحة 17).

إليكم بعض برامج الشهادات المعتمدة المتاحة في الكويت:

- جامعة الكويت
- بكالوريوس في الهندسة الميكانيكية
- ماجستير في الإدارة العامة
- دكتوراه في الطب
- جامعة الخليج للعلوم والتكنولوجيا
- بكالوريوس في تكنولوجيا المعلومات
- ماجستير في إدارة الأعمال
- دكتوراه في العلوم التطبيقية
- جامعة الكويت للعلوم والتكنولوجيا
- بكالوريوس في العلوم الطبية الحيوية
- ماجستير في الهندسة الكهربائية
- دكتوراه في العلوم البيولوجية

مع توفر برامج الشهادات المعتمدة في الكويت، يمكن للطلاب الاستفادة من تعليم عالي الجودة وفرص عمل واعدة في مجالات متنوعة (العوضي، 2002، صفحة 24).

تأثير جامعة الكويت على المجتمع الكويتي والمنطقة العربية

تلعب جامعة الكويت دورا هاما في التأثير على المجتمع الكويتي ومن بين الاثار الرئيسية التي يمكن أن نذكرها:

- العمل علي تحسين القدرات العلمية والمهارات التقنية لخدمة المجتمع الكويتي والمنطقة العربية

- الغرض من البحث العلمي: تسعي جامعة الكويت الى دعم البحث العلمي والتطوير التكنولوجي وهذا يؤدى الى ايجاد حلول مبتكرة لأي مشاكل تواجه الشعب الكويتي.
- الخدمات الاجتماعية: تقدم جامعة الكويت العديد من الخدمات الاجتماعية للطلاب والموظفين والمجتمع المحلي، ومن بين الخدمات النادي الطلابي والمكتبات، قاعات المحاضرات التي تعمل علي تحسين مستوى المعيشة
- الهدف من تعزيز التعاون الدولي والتعددية الثقافية: حيث ان جامعة الكويت تجذب الطلاب من مختلف الجنسيات والثقافات مما يؤدى الى تشجيع الحوار والتعاون بين الدول المختلفة
- الأدوار الثقافية والفنية
- تلعب جامعة الكويت دورا هاما في اثراء الحياة الثقافية والفنية في الكويت، حيث تستضيف العديد من الفعاليات الثقافية والفنية مما يساهم في تعزيز الحوار الثقافي والفني في المنطقة (الجليل، 2001، صفحة 37).

معيار التصنيف العالمي QS:

التصنيف العالمي للجامعات او QS هو تصنيف يقوم بتقييم وترتيب الجامعات وفقا لأدائها خلال العام الذي يتضمن البحث العلمي والمستويات التعليمية حيث يعتبر أحد أكثر التصنيفات العالمية شيوعا في العالم مع العلم أنه يعتمد على المعايير التالية:

- جودة التعلم
- البحث العلمي
- السمعة الاكاديمية
- الرؤية العلمية للجامعة (الموسوي، 2003، صفحة 102).

الاعتماد الأكاديمي

حصلت بعض كليات الجامعة على الاعتماد الأكاديمي العالمي وتقدم برامج متعددة في العلوم والانسانيات علي مستوى الدراسات العليا من ماجستير ودكتوراه.

وفي لفتة حملت كل معاني الوفاء والعرفان أمر سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد بإطلاق اسم الأمير الراحل الشيخ صباح السالم الصباح على المدينة الجامعية بالشدادية لتكون تسميتها (مدينة صباح السالم الجامعية).

كمؤسسة تعليمية رائدة ومتميزة في مجال التعليم العالي والبحث العلمي تهدف جامعة الكويت الى تقديم تعليم متميز والمساهمة في إنتاج وتطوير ونشر المعرفة وتأهيل الموارد البشرية لتحقيق الأهداف التنموية والاحتياجات الاجتماعية.ويركز محتوى رسالة الجامعة في المساهمة في تلبية احتياجات الدولة التنموية وإعداد ثروة بشرية متميزة بمعرفتها تفي وتواكب متطلبات العصر الحديث من خلال الجودة في التعليم العالي والتميز في البحث العلمي والارتقاء في خدمة المجتمع.ويعد التطوير الأكاديمي الهدف الجوهري لجامعة الكويت لبلورة البرامج والتخصصات في جميع المجالات وتقديم عدد كبير من الخيارات للمجتمع الطلابي المتنامي لفتح الأبواب أمامه لتحقيق أهدافه وتطلعاته عبر مختلف الكليات والأقسام العلمية، إضافة إلى ذلك تتم توسعة برامج ودراسات الماجستير والدكتوراه لإتاحة الفرصة أمام الطلبة لاستكمال دراستهم العليا وأبحاثهم.وتسعى جامعة الكويت ومنذ إنشائها للوصول إلى التميز في مستوى البرامج الأكاديمية بهدف تحقيق أهداف التنمية واحتياجات المجتمع ويعد برنامج الاعتماد الأكاديمي أحد الأدوات المهمة لدعم وتعزيز برامج التعليم العالي وتحقيق التميز على المستوى العالمي وتتم عملية المقايسة للمعايير العالمية المتبعة في الجامعات المرموقة من خلال مؤسسات الاعتماد الأكاديميبسوق العمل (الكندري، 2020، صفحة 125).

التدريس الجامعي

تختلف طرق التدريس لكنهم يتفقون جميعا على ان أساتذة الجامعة يبحثون عن أفضل طريقة لكيفية استغلال محتوى المادة العلمية بشكل يمكن الطلاب من الفضول الذي تهدف اليه دراسة مادة من المواد حيث يجب علي استاذ الجامعة أن يأخذ بيد الطالب من حيث المستوى الذي وصل اليه محاولا الوصول الى الهدف المنشود.

أبعاد التعليم الجامعي

- البعد الاجتماعي: توسيع رسالة الجامعة لتشمل جميع جوانب الحياة الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية، والعلمية
- البعد الفكري: والمقصود الهوية الثقافية والأيدلوجية الفكرية
- البعد الثقافي: ان الفئة الموجهة في المجتمع هي من خريجي الجامعات وإذا لم يكن هذه الفئة على قدر من الثقافة والفهم المعنيين لمشكلات المجتمع لاحدث ذلك نوعا من الاختلال في البناء الاجتماعي.
- البعد العقلي: عند تسجيل الطلاب بالتعليم الجامعي يتمكنوا من تسخير طاقاتهم الكامنة وتحرير عقولهم من الاساطير والقصور الذاتي الفكري وتدريبهم على ممارسة النقد الذاتي بناءا على الحجج والادلة المنطقية والابعاد البشرية
- التغذية الراجعة: هي المقارنة بين النتائج التي تم الحصول عليها والمعايير (الطائي، صفحة 30).

عناصر النظام التعليمي (الشمراني، 2008، صفحة 72):

	المدخلات الأنشطة (العمليات)	المخرجات
مدخلات مادية ومالية	**التفاعل الذي تم داخل النظام وبين الافراد وبين الافراد والنظام، وبين انظام وبيئته الداخلية والخارجية بهدف تحويل المدخلات الى مخرجات عن طريق:**	**هي الهدف التحويلي الذي يسعي اليه نظام التعليم والذي يتمثل في تحويل الطلاب:**
الموارد المالية	**التخطيط**	**من أفراد غير مؤهلين الى أفراد مؤهلين**
المباني والتجهيزات	**التنظيم**	**من أفراد غير منتجين الى أفراد منتجين**
الوسائل التكنولوجية	**التوجيه**	
مدخلات بشرية	**الاتصال**	
المعلمون الطلاب الاداريين	**الرقابة**	
مدخلات رمزية		
أهداف التعليم		
القيم الاجتماعية		
حاجات المجتمع		

برامج المنح الدراسية الخارجية

تعتبر برامج المنح الدراسية الخارجية أو (الابتعاث الخارجي) إحدى الفرص الكبيرة التي تمنحها الحكومة الكويتية للطلاب الطموحين الذين يسعون لمواصلة تعليمهم وتطوير مهاراتهم في الخارج. تقدم العديد من الجهات الحكومية والمؤسسات التعليمية برامج متنوعة تتضمن البعثات الدراسية، برامج تدريبية وتجربة عمل ميدانية في مختلف المجالات. يتم تنظيم هذه البرامج وفقًا لشروط ومعايير محددة، ويتم اختيار الطلاب المستحقين وفقًا لمعايير الأداء الأكاديمي والقدرات الشخصية.

تشمل برامج الابتعاث الخارجي للطلاب الكويتيين فرصًا متنوعة في مختلف الدول حول العالم. توفر البرامج الدراسية فرصًا للحصول على شهادات عليا في مجالات مثل الطب، الهندسة، العلوم، الاقتصاد، والفنون. بالإضافة إلى دراسة الدروس النظرية، توفر البرامج الدراسية أيضًا فرصًا للمشاركة في الأنشطة الثقافية والأكاديمية المختلفة، مما يساعد الطلاب على التعرف على ثقافات مختلفة وتوسيع مداركهم.

بالإضافة إلى البرامج الدراسية، تقدم العديد من الجهات الحكومية والمؤسسات الخاصة برامج تدريبية وتجربة عمل ميدانية في مجالات مثل الأعمال التجارية، والتكنولوجيا، والسفر والسياحة، والإعلام والاتصالات. تهدف هذه البرامج إلى تطوير المهارات العملية والاكتشاف الذاتي، وتوفر فرصًا للتعلم العملي وتطبيق النظريات المكتسبة في الدراسة.

برامج المنح الدراسية الاجنبية المتاحة للطلاب الكويتيين

ويمكن تقديم صلاحيات المنح الدراسية عن طريق ديوان الخدمة المدنية أو جامعة الكويت أو معهد البحوث التطبيقية أو المؤسسات البحثية أو جهة العمل أو أي جهة أخري وفيما يلي عرض تفصيلي عن شروط ومتطلبات بعثات وزاره التربية والتعليم العالي

خطة البعثات السنوية في وزارة التربية والتعليم

في كل عام، تعلن وزارة التربية والتعليم العالي خطة الابتعاث السنوي في نهاية شهر آيار أو بداية شهر حزيران بعد ظهور نتائج الثانوية العامة

شروط التسجيل في المنح الدراسية الاجنبية السنوية

- أن يكون المتقدم كويتي الجنسية
- أن لا يقل عمر المتقدم عن 17عاما ولا يزيد عن 23 عام

وتعود قصة ارسال للطالبات الكويتيات الاوائل للدراسة في الخارج الي عام 1956 حينما قررت الحكومة في فترة ما قبل الاستقلال ارسال عدد منهن للدراسة في العاصمة المصرية القاهرة، ضمن بوادر الانفتاح الكويتي أنداك. لكن صعود التيارات الدينية في الكويت ونزوع المجتمع نحو المحافظة في سبعينات وثمانينيات القرن الماضي، أديا الى انخفاض عدد المنح الدراسية، ليقتصر على الاسر المتعلمة(Al-Mutairi, 2017, p. 9) .

فوائد الدراسة في جامعة الكويت

هناك الكثير من المزايا والفوائد التي يحصل عليها الطلاب عند الدراسة في جامعة الكويت من أهمها: الدراسة في احدى الجامعات المصنفة كأفضل جامعات العالم حيث توفر الجامعة بيئة تعليمية مثيرة للطلاب لدراسة وممارسة أنشطة البحث العلمي والانشطة التعليمية وتقدم جامعة الكويت جودة عالية من التعليم وهو ما ينعكس بشكل ايجابي علي الخريج عند انخراطه في سوق العمل تستضيف جامعة الكويت الكثير من الفعاليات والانشطة داخل الحرم الجامعي والذي يكون حيويا بشكل دائم.

البحث العلمي في جامعة الكويت

تضم جامعة الكويت كثير من العلماء في مختلف المجالات في مجال البحث العلمي وتستفيد المؤسسات الكبرى من خبراتهم في حل أكثر المشاكل تعقيدا، ومن الجدير بالذكر ان جامعة الكويت لديها العديد من الشراكات التنموية مع العديد من شركات خاصة في الكويت لتنفيذ المشاريع البحثية.

تتمتع الجامعات القديمة مثل جامعة الكويت بعدد كبير من الشراكات العالمية مع جامعات ومعاهد ومؤسسات علمية المعروفة، مما يجعل مسيرة الابحاث في جامعة الكويت تتقدم باضطراد.

جامعة الكويت لديها برنامج مخصص للمنح البحثية، يتميز بأنه واضح المعالم ويهدف الي اشراك المجتمع العلمي بكل فاعلية في متابعة البحوث المتقدمة والمبتكرة التي تسعي الى تلبية متطلبات العصر

كما انشأت الجامعة نظاما سنويا لمكافأة الباحثين وتكريم المتميز منهم من خلال الانجازات البحثية الاستثنائية والاكتشافات المبتكرة الحاصلة على براءة الاختراع (الرميحي، 2020، الصفحات 21-28).

قوانين التعليم:

في سياق تطور دولة الكويت صدرت العديد من القوانين والمراسيم ذات الصلة بالتعليم والتي سبقت حتى الدستور الحالي من خلال:

1 – في عام 1955، صدر تقرير خاص عن التعليم (تقرير متى عقراوي) سلط الضوء على المبادئ العامة التي تتعلق بحقوق الإنسان والتي منها:

- محو الأمية
- نشر روح الديمقراطية
- وجوب قيام تعليم إلزامي مشترك

- إتاحة الفرصة للمواطنين لإكمال تعليمهم

ومن خلال تلك البنود يتضح أن الحق في التعليم ارتبط به أيضا مبدأ تكافؤ الفرص والعدالة كذلك الحق في التعلم والذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالحق في التعليم، إضافة إلى التركيز على التعليم الأساسي (عقراوي، 1955).

2 – في عام 1965 صدر قانون بشأن التعليم الإلزامي والذي تضمن: أن التعليم إلزامي ومجاني للجميع من رجال ونساء

3 – واستكمالا لتطوير التعليم تم إنشاء جامعة الكويت عام 1966، في مجال التعليم، أكدت المادة 40 من الدستور على التعليم الزامي وأنه حق للكويتيين كافة دون تمييز، وجاء قانون التعليم الإلزامي الصادر عام 1965 ليقر بحق التعليم الإلزامي للجميع من الذكور والإناث (راجع، 2010، صفحة 11).

الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب

ان الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب لها دور قيادي في دعم سوق العمل المحلي بتوفير وتنمية القوى العاملة الوطنية بما يكفل معالجة أوجه القصور بهذا الصدد وتلبية احتياجات التنمية بالبلاد.

وتمثلت أول لبنة في هذا الصرح في 28 كانون الاول 1982 مع صدور المرسوم بقانون رقم 1982/63 بإنشاء الهيئة الذي قضى بدمج كل من إدارة التعليم الفني والمهني بوزارة التربية والإدارة المركزية للتدريب في كيان واحد وكان الغرض الرئيسي من إنشاء هيئة التطبيقي توفير وتنمية القوى العاملة الوطنية.

تحول **(الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب)** إلى مؤسسة نموذجية لتعليم عال وتدريب مهني فائق ساعية إلى رسم رؤية استراتيجية حديثة تتماشى مع خطط التنمية وتطوير السياسات التعليمية والتدريبية واعتماد سياسات القبول المرنة كما ونوعا.

ومنذ إنشائها سعت هذه المؤسسة التعليمية إلى تحديث برامجها ومناهجها استجابة للمتغيرات المتجددة لسوق العمل واتساقا مع ركائز خطة التنمية من خلال تعليم تطبيقي وتدريب مهني نوعي ودورات خاصة.

ان تاريخ الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب مليء بالإنجازات في مجالات عدة في وقت تسعى المؤسسة إلى تكريس مكانتها من خلال زيادة عدد المقبولين في كلياتها ومعاهدها بزيادة أعداد الطلبة المقبولين في مختلف الكليات.

وبلغ إجمالي المقبولين في كليات الهيئة من عام 1985 إلى الآن ما يقارب 259563 طالبا وطالبة.

أما المقبولون في المعاهد والدورات التدريبية الخاصة فبلغ عددهم من عام 1981 إلى الآن ما يقارب 163691 متدربا ومتدربة.

وتضم الهيئة عددا من الكليات مثل كلية التربية الأساسية وكلية الدراسات التجارية إضافة إلى ثمانية معاهد مثل المعهد العالي للاتصالات ومعهد الملاحة والمعهد الصناعي ومعهد التدريب المهني وغيرها. وإلى جانب هذه الكليات والمعاهد تضم الهيئة إدارة تنسيق الدورات التدريبية الخاصة التي تهدف إلى تأهيل وإعداد قوى عاملة مدربة على مهن ووظائف وتخصصات تحتاجها قطاعات سوق العمل المختلفة.

وتحرص الهيئة على التركيز على أساسيات المعرفة والاعتماد على أساليب التعليم الذاتي وتوفير فرص النمو التعليمي وتنوع الدراسة وشمولها والاهتمام بجوانب التدريب العملي في المعاهد والمراكز ومواقع العمل والإنتاج.

ويأتي ذلك من ايمان من الهيئة بأهمية تطوير وبناء وصقل المواهب سواء على الصعيد الأكاديمي أو المجتمعي لذا فهي تسعى بشكل دائم لعقد المؤتمرات والورش العلمية والمشاركة والتواجد في المحافل الدولية ذات الصلة (القلاف، 2016، صفحة 2).

وتقوم (التطبيقي) على تطوير أداء أعضاء هيئة التدريس والتدريب من خلال دورات التدريب وتوفير الرعاية للطلبة والمتدربين كي يصبحوا أكثر قدرة على استكمال دراساتهم في ظروف ملائمة.

وعملت الهيئة أيضا على التوسع الجغرافي من خلال تحديد أماكن فروع جديدة للكليات والمعاهد في عدد من المناطق السكنية الجديدة كمدينة صباح الأحمد والخيران.

جدير بالذكر فإنه قبل صدور مرسوم بإنشاء الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب قامت وزارة التربية والتعليم عام 1972 بإنشاء إدارة تعنى بهذا الأمر سميت بإدارة التعليم الفني والمهني للإشراف على مدارس التعليم الفني التابعة للوزارة.

وتطورت تلك المدارس لتصبح معاهد فنية ومهنية عدة شملت معهدي التربية للمعلمين والمعلمات والمعهد التجاري للبنين والبنات والمعهد الصحي اضافة الى معهد الكويت للتكنولوجيا التطبيقية للبنين.

عام 1973 تأسست الإدارة المركزية للتدريب التي ألحقت في عام 1976 بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل على أن تتبع لها جميع مراكز ومعاهد التدريب في حينها وهي معهد الاتصالات السلكية واللاسلكية ومعهد الملاحة الجوية ومركز الكهرباء والماء ومركز الشويخ للتدريب الصناعي(*).

نظام التعليم العالي والبحث العلمي

تعد نظم التعليم العالي والبحث محورا هاما لدعم المعرفة، والذي يتجاوز حدود المعرفة ودعم الابتكار، شرط وجود آليات نقل ونشر فعالة. بالإضافة إلى ذلك، فإنه يعزز القدرة على تبني وتكييف المعرفة الدولية ويحافظ على روابط للتطورات في العلوم والتكنولوجيا في جميع أنحاء العالم. هذه المهمة العلمية مهمة بشكل خاص للبلدان في مرحلة مبكرة نسبيًا من تطوير قدراتها الابتكارية لدعم عملية التطور والتقدم. في منطقة الخليج، كانت الكويت من أوائل الدول التي أنشأت نظامًا للتعليم العالي والبحث العلمي. وهي تتألف من مؤسسات التعليم العالي العامة والخاصة (لا سيما جامعة الكويت والهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب) –مراكز البحث (معهد الكويت للأبحاث العلمية، بالإضافة إلى مؤسسة الكويت للنهوض بالعلوم الإنسانية –مراكز العلوم (التربوية، 2019، صفحة 43).

الملامح الرئيسية لنظام التعليم العالي والبحث الفعال

أدى تحليل منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية للمؤسسات البحثية في مختلف البلدان والمجالات الموضعية إلى تحديد القضايا الرئيسية للمساعدة في ضمان مساهمة البحث في الابتكار والتنمية الاجتماعية والاقتصادية (عباس، 2015، صفحة 22).

حوكمة واستراتيجية مؤسسات التعليم العالي والبحث

1. قضايا مؤسسات البحث والتعليم العالي

يتم تحديد المهام الموكلة إلى أنواع مختلفة من مؤسسات التعليم العالي والبحث من خلال القوانين ذات الصلة والسياسات العامة والأسس الأساسية للمؤسسات المصرح بها والممنوعة والمتوقعة، ودعم تحديد كثر تفصيلا للأهداف والملامح والمسؤوليات داخل المؤسسات الفردية. ينبغي تحديد هذه المهام بوضوح، وترجمتها إلى الخطة الاستراتيجية للمؤسسة (بما في ذلك المؤشرات ذات الصلة ومؤشرات الأداء الرئيسية) ومواءمتها مع الأولويات المحددة على المستوى الوطني والرؤية الخاصة بكيفية توقع مساهمة البحث في تحقيق هذه الأهداف الشاملة (لا سيما في الاستراتيجيات الوطنية).

2. تمويل مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي

يدعم التمويل الحكومي للأنشطة على مستويات مختلفة (المؤسسة كاملة، والكليات والإدارات والفرق، والموظفون الفرديون) نحو تحقيق أهدافهم. تستخدم معظم البلدان مزيجًا من التمويل المؤسسي للبحوث طويلة الأجل وتمويل المشاريع. يتم توزيع التمويل المؤسسي داخل المؤسسات وفقًا لطرق محددة، اعتمادًا على استراتيجيتها الداخلية وطريقة تخصيص هذا التمويل لها. يربط عدد متزايد من البلدان (مثل أستراليا والنرويج وإسبانيا والمملكة المتحدة) التمويل المؤسسي للبحوث ومؤسسات التعليم العالي بأدائها مع استمرار توفير قاعدة تمويل مستقرة (التمويل على أساس الحجم والتاريخ). يتم توفير تمويل المشروع في أغلب الأحيان من خلال العطاءات التنافسية من قبل هيئات التمويل من مختلف الأنواع والأشكال، وغالبًا ما تكون مراكز البحث، وكذلك الوزارات نفسها لمشاريع أكثر استراتيجية ومن أعلى إلى أسفل. كما توفر الجهات الفاعلة غير الحكومية مثل المؤسسات الخيرية والشركات البحثية تمويلًا للمشاريع لتحقيق أهدافها الخاصة.

3. يجب تقييم تأثير هذا التمويل بانتظام.

يجب أن يتوافق مستوى ونوع التمويل المتاح للمؤسسة لدفع رواتب الموظفين وتوفير المباني والمعدات وتنفيذ أنشطتها مع أهدافها. في معظم دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، تعتمد غالبية مؤسسات التعليم العالي والبحث بشكل كبير على الأموال العامة، مما يعني أن مستوى الموارد الحكومية المتاحة والآليات التي يتم من خلالها توزيع هذه الموارد في النظام لها تأثير كبير على الأنشطة والسلوك المؤسسي (الجدي، 2021، صفحة 18).

(*) راجع الموقع الالكتروني على شبكة الانترنت: https://www.newkuwait.gov.kw /

الموارد البشرية

تعتمد فعالية التعليم العالي ونظام البحث العام الى حد كبير على الموظفين الذين يعملون في المؤسسات والوحدات البحثية. يعد وجود موظفين مدربين تدريبا جيدًا ومتحمسين شرطًا مسبقًا لأي نظام فعال. هذا يعتمد بشكل خاص على الحوافز الداخلية المعمول بها في المؤسسات المختلفة، وتشمل هذه تخصيص الموارد المالية بين مختلف الكليات والإدارات والفرق، فضلاً عن آليات التطوير الوظيفي ونظم تقييم الموارد البشرية وبعض خطط المكافآت (مثل المكافآت للمنشورات أو براءات الاختراع أو العقود الصناعية) (والتنمية، 2016، الصفحات 18-28).

الاستقلال المؤسسي

تتمتع مؤسسات التعليم العالي (HEIs) ومعاهد البحوث العامة في بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية بدرجة عالية من الاستقلالية وحرية العمل في تصميم وتنفيذ أنشطتها. يتم تحديد التوظيف والترقيات وإنشاء الهياكل الداخلية مثل الكيانات القانونية والشراكات الصناعية من قبل مؤسسات التعليم العالي في. (Borowiecki and Paunov2018)، يمكّن استقلالية المؤسسات وتحسين أدائها بناءً على وضعها المحلي ومعرفتها، تميل الحكومات عبر منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي إلى زيادة الاستقلال التشغيلي والمالي للمؤسسات العامة في مسائل مثل الاستراتيجية المؤسسية والبنية التحتية والتوظيف. أكثر من ذلك، لقد دعموا تطوير القيادة الاستراتيجية للمؤسسات من خلال برامج التدريب والتمويل المخصص لتشجيع التخطيط الاستراتيجي (الاغبري، 2000، صفحة 168).

معهد الكويت للأبحاث العلمية

تأسس معهد الكويت للأبحاث العلمية (KISR) في عام 1967 من قبل شركة النفط العربية المحدودة (اليابان) للوفاء بالتزاماتها بموجب اتفاقية امتياز النفط مع حكومة الكويت. تم انشاء المعهد لإجراء البحوث العلمية التطبيقية في ثلاثة مجالات: البترول والزراعة الصحراوية والبيولوجيا البحرية. وقد توسعت ونمت استجابة لمطالب السلطات العامة المختلفة المسؤولة عن مناطق أخرى. لسنوات عديدة، كان معهد الكويت للأبحاث العلمية هو المؤسسة البحثية الوحيدة في الكويت، ولا يزال الأكبر لا يتمثل الدور الرئيسي لمركز الكويت للأبحاث العلمية في إنتاج المنشورات، ولكن دعم التطور التكنولوجي في الكويت، بما يتماشى مع استراتيجية التنمية الوطنية (هلال، 1999، صفحة 14).

انجازات المعهد في مجال تحلية المياه

نظرا لظروفها الجغرافية والطقس الصعبة، فإن توفير وادارة المياه العذبة لمختلف الاستخدامات في الكويت له أهمية كبيرة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. يتطلب الطلب المتزايد على المياه (بشكل عام ونصيب الفرد) استثمارات كبيرة وحلول أكثر كفاءة. تتجاوز حصة إنتاج المياه عن طريق تحلية المياه في الكويت حاليًا 90٪. تعتمد تقنيات التحلية للمياه الأكثر استخدامًا على عمليات التقطير، ولا سيما تقنية التقطير الوميض متعدد المراحل .(MSF) ومع ذلك، فإن معظم محطات التحلية الجديدة تستخدم الآن تقنيات غشاء التناضح العكسي. لقد ثبت أنه أقل استهلاكًا للطاقة بشكل ملحوظ من MSF التقليدي ويمثل حاليًا أكثر من 60 ٪ من جميع السعة المركبة في جميع أنحاء العالم. تم افتتاح أول محطات تحلية تجارية باستخدام التناضح العكسي في كاليفورنيا في عام 1965 (المياه قليلة الملوحة) و1974 (مياه البحر). توجد أكبر محطات تحلية المياه في الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية وإسرائيل. في المملكة العربية السعودية، من بين 27 محطة تحلية قيد التشغيل حاليًا، هناك 8 محطات تستخدم التناضح العكسي. تمثل تقنيات التناضح العكسي 60٪ من السعة في عمان وما يقرب من نصف السعة في المملكة العربية السعودية. على الرغم من أن الكويت كانت الدولة الأولى في منطقة مجلس التعاون الخليجي التي تستثمر في تحلية المياه، بدءًا من عام 1953 بمحطة تقطير، إلا أن قدرتها على التحلية لا تزال تستخدم حاليًا تقنيةMSF بشكل أساسي. يمثل ريال عماني فقط حصة صغيرة من المياه المحلاة.كان تحسين إمدادات المياه في صميم مهمة معهد الكويت للأبحاث العلمية (KISR) منذ إنشائه. كان من بين الموضوعات التي تم التأكيد عليها في اتفاقية الامتياز لعام 1958 مع شركة الزيت العربية (اليابان) التي مهدت الطريق لإنشاء المعهد. كان معهد الكويت للأبحاث العلمية رائداً في مجال البحوث التطبيقية على تقنيات تحلية المياه التقليدية وغير التقليدية. ساهم بشكل كبير في تحسين تقنيات أطباء بلا حدود في السبعينيات والثمانينيات. تم اختبار العديد من وحدات التناضح العكسي للمياه المالحة بسعة 4000 جالون

يوميًا باستخدام أنواع مختلفة من الأغشية من قبل وزارة الكهرباء والماء في أوائل السبعينيات، وخلصت إلى أن هناك حاجة إلى مزيد من البحث. في الثمانينيات، تم التعاون مع وزارة البحث والتكنولوجيا الألمانية لتحديد وتحسين أغشية التناضح العكسي المناسبة لظروف مياه البحر في الخليج العربي. كما شملت هذه الشراكة تدريب القوى العاملة الوطنية ونقل تكنولوجيا التناضح العكسي إلى الكويت. حقق برنامج البحث المشترك هذا تقدمًا تقنيًا كبيرًا في تقنيات تحلية المياه بالتناضح العكسي وأظهر جدوى تقنيات الأغشية الجديدة[*].

دور مراكز الابحاث العلمية في الكويت

أعيد تنظيم المعهد بموجب مرسوم أميري صدر عام 1973، والذي بموجبه أصبح المجلس مسؤولاً بشكل مباشر، من خلال مجلس أمنائه، ومجلس الوزراء. كان الغرض الرئيسي للمعهد، كما حددها المرسوم الأميري، إجراء البحوث العلمية التطبيقية، خاصة فيما يتعلق بالصناعة والطاقة والزراعة والاقتصاد الوطني. للمساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدولة؛ وتقديم المشورة للحكومة بشأن سياسة البحث العلمي.

صدر مرسوم أميري آخر عام 1981، أنشأ المعهد رسمياً كمؤسسة عامة مستقلة. وتبقى الأهداف المعدلة للمعهد هي إجراء البحوث العلمية التطبيقية التي تساعد على النهوض بالصناعة الوطنية وإجراء الدراسات المتعلقة بالمحافظة على البيئة وموارد الثروة الطبيعية واكتشافها ومصادر المياه والطاقة وطرق الاستغلال الزراعي. وتعزيز الثروة المائية. كلف القانون المعهد بإجراء البحوث والاستشارات العلمية والتكنولوجية لكل من المؤسسات الحكومية والخاصة في الكويت ومنطقة الخليج والعالم العربي. وأكدت على دور المعهد كمستشار علمي للحكومة الكويتية، وهو دور كان المعهد ينوي تعزيزه من خلال توفير السكرتارية للمجلس الاستشاري لمدينة الكويت للعلوم والتكنولوجيا) (عيسى م.، 1985، صفحة 82).

يدير المعهد حاليًا مجلس أمناء يرأسه الوزير المسؤول عن التعليم العالي. يمثل الأعضاء الآخرون أصحاب المصلحة الرئيسيين، ولا سيما في القطاع الحكومي وزارات التخطيط والنفط والأشغال العامة والكهرباء والمياه والتجارة والصناعة والمالية والتعليم والصحة؛ بنك الكويت الصناعي؛ مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الخبراء العلميين المرشحين من قبل مجلس الادارة، مدير عام معهد الكويت للأبحاث العلمية، مستشار علمي يعينه المجلس نفسه[*].

الجامعات الخاصة

بدأ فكرة إنشاء الجامعات الخاصة في الكويت بشكل رئيسي في النصف الثاني من التسعينيات. كان يُنظر إلى هذه المؤسسات على أنها تستجيب لمجموعة كبيرة من احتياجات مختلفة أصبحت أكثر إلحاحًا من حيث التكلفة للعدد المتزايد من الطلاب الذين يلتحقون بالتعليم العالي، بما يتماشى مع الاستعداد لدعم التنمية القائمة على المعرفة في البلاد؛ توفير التعليم المهني الذي من شأنه أن يساعد في تقليل عدد الطلاب الكويتيين الذين يدرسون في الخارج، كان أحد الدوافع المبكرة أيضًا هو فتح سبل لتعليم أبناء العمال الوافدين. بشكل عام، تطور الهدف العام للجامعات الخاصة منذ أن سُمح لها لأول مرة بالعمل في الكويت، من دور كمي بحت إلى دور نوعي: في حين أنه كان من المتوقع ببساطة أن تضيف قدرة إلى نظام التعليم العالي، إلا أنها تحظى الآن بالتقدير. فتح مجموعة من الخيارات التعليمية للطلاب، وتخصصات التدريس والتدريب التي لا تقدمها جامعة الكويت أو الهيئة العامة للتعليم والتدريب المهني، وفتح قنوات جديدة للتفاعل مع شركاء الجامعات الاجنبية (الأحمد، 2020، صفحة 3).

تقييم الطلاب

تتبع جميع كليات الجامعة نظام تقييم قائم على

- التقييم المستمر
- تقييم داخلي من قبل المحاضرين والمدربين
- تقييم الطلاب من حيث القيم المطلقة وعلاقة ذلك بأداء الاخرين في الفصل الدراسي.

---

[*] راجع الموقع الالكتروني على شبكة الانترنت: https://www.kisr.edu.kw/ar/

[*] راجع المقال المنشور في جريدة الانباء الكويتية الالكترونية: https://www.alanba.com.kw/ar/kuwait-news

يشير التقييم المستمر الى حقيقة أنه من المتوقع أن يثبت كل طالب تعلمه طوال الفصل الدراسي وسيقوم المدرب بإبلاغ سياسة التقييم الخاصة بالفصل الدراسي بوضوح لجميع الطلاب المسجلين تحقيقا لهذه الغاية اجراء اختبار نصف الفصل واختبار نهائي ارسال الواجبات المنزلية في التواريخ المطلوبة[*]. كما لحقت أضرار هندسية بمختلف مباني ومواقع الجامعة بالإضافة إلى التخريب المتعمد وسرقة شبكات الكهرباء والماء والهاتف وشبكة الكمبيوتر وأجهزتها المختلفة واتلاف معظم شبكات الخدمات الأساسية (الجدي، الكويت والتنمية الاجتماعية، 2021، صفحة 43).

الاستنتاجات:

الحد من تسرب القوى العاملة الكويتية إلى المؤسسات المنافسة من خلال وضع سياسات استقطاب الافراد المتميزين ذوي الكفاءة العالية للعمل بجامعات الكويت، توفير الفرص للعاملين للاستفادة من التجارب العالمية، وضع خطة استراتيجية في الجامعة تحدد استقطاب القوى العاملة المتمثلة بالثروة الفكرية والحفاظ عليها وتطويرها بهدف تحقيق وتعزيز الميزة التنافسية للجامعات، يجب على جامعات التعليم العالي بمراحلها الاستفادة من الأساتذة فائقين المهارة، مع وضع التدريب المتناسب مع احتياجاتها.

– على مؤسسات التعليم العالي أن تمارس مسؤولياتها باعتبارها أهم أدوات المجتمع لتحقيق أقصي قدر من التنمية الشاملة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

– ينبغي أن تكون مؤسسات التعليم العالي قادرة على التصدي للمشكلات العالمية بصفة عامة من خلال مساهمتها الايجابية في مجالات العلم، التقنية.

– يفضل التعاون بين الدول المختلفة بين الجامعات المختلفة في مجالات البحث العلمي على الجامعات أن تعطي للدراسات العليا والبحث العلمي الاولية لتخريج جيل واعد قادر علي تنمية المجتمع.

– لابد من اعطاء الاولوية لتدريب وتطوير الاساتذة والأكاديميين على أحدث طرق التدريس ليكونوا قادرين على ايصال المعلومة بشكل سليم وبأسرع وقت ممكن.

– لابد من ربط الابحاث والدراسات العلمية بالواقع الذي نعيشه وبخطط التنمية الاقتصادية للمساهمة في بناء وتطوير المجتمع.

– ربط التعليم العالي والجامعي بحاجات سوق العمل بشكل يحقق استمرارية التأمل بينهما وذلك من خلال التركيز على القرارات والاساليب التعليمية التي تنمي القدرات الفكرية للطلاب.

– لابد من عدم اقصاء الاساتذة والأكاديميين من رسم السياسات التعليمية مع انهم هم المنفذون لجميع القرارات التعليمية.

المصادر

A.K. Naser and M. Al-Enezi Al-Mutairi .(2017) .*Job Satisfaction among Academicians at Business Colleges Operating in Kuwait* .Asian Social Science.

Alshameri, A. (2022). *present, and the future of higher education the Arabian Gulf Region.* Routledge.

Marlowe jobe .(1962) .*The Persian Gulf in the Twentieth century* .London.

إبراهيم عبد الكريم كريدية. (د.ت). *أبناء الشرق*. بيروت: مكتبة نوفل.

ابن الاثير . (1938). *الكامل في التاريخ*. القاهرة: ادارة الطباعة المنيرية.

احمد زويد الجشعمي. (2017). *بواكير التعليم في الكويت حتى عام 1911*. بابل: مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية لعلوم الانسانية.

إسماعيل القباني ومتى عقراوي. (1955). *تقرير عن التعليم بالكويت*. مصر: مطابع دار الكتاب العربي.

[*] راجع التقرير السنوي لمنظمة اليونسكو حول التعليم في الكويت:
https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000229886

امال السبكي. (2018). *الكويت في عهد الشيخ احمد الجابر الصباح 1921-1950*. رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بنها، كلية الآداب.

اياد حلمي الجصاني. (1982). *النفط والتطور الاقتصادي والسياسي في الخليج العربي*. الكويت: دار المعرفة.

بدر محمد مالك. (1985). *صفحات من الحياة الثقافية في الكويت قديما*. الكويت: مكتبة المنار الإسلامية.

تقرير المجلس الأعلى للتخطيط والتنمية. (2016). *دراسة حول اقتصاديات التعليم في دولة الكويت (تحليل تكاليف الانفاق على التعليم)*. الكويت.

حاتم المطيري. (1994). *تطور التعليم العالي في دولة الكويت*. مجلة البحوث التربوية والنفسية والاجتماعية.

حارث يوسف عيسى. (د.ت). *تطور حركة التعليم في الكويت1910-1967*. الكويت: جامعة الكويت التكنولوجية.

حامد محمد علي الشمراني. (2008). *معايير مقترحة للجودة التعليمية في ضوء معايير بالدرجة للجودة الشاملة في مدارس التعليم العام بالمملكة*. السعودية: جامعة ام القرى.

حسن أدهم جرار. (1987). *امين الحسيني رائد جهاد وبطل قضية*. عمان: دار الضياء.

حسين غباش. (2020). *الجذور الثقافية لديمقراطية في الخليج الكويت والبحرين*. بيروت: دار الفارابي.

حميد المطبعي. (1959). *موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين*. بغداد.

خالد المطيري. (2020). موقع الجريدة https://www.aljarida.com/.

ديكسون. (1990). *الكويت وجارتها*. الكويت: صحارى للطباعة والنشر.

رعد عبد الله الطائي. (بلا تاريخ). *أبعاد جودة خدمة التعليم العالي في الجامعة الخاصة (دراسة ميدانية)*. موقع المجلات العراقية.

سوسن جبار عبد الرحمن. (2016). *تطور الحركة الفكرية وتدعيم النهضة التعليمة والثقافية في الكويت منذ نشأة وحتى عام 1973*. العراق: مجلة اداب الفراهيدي.

سوسن جبار عبد الرحمن. (2016). *تطور الحركة الفكرية وتدعيم النهضة التعليمية والثقافية في الكويت منذ النشأة حتى عام 1973* . بغداد: مجلة ادآب الفراهيدي.

شفاء المطيري. (1996). *علم الكويت منذ نشأة حتى الاستقلال 1946-1961، مركز المخطوطات والتراث والوثائق*. الكويت: مركز المخطوطات والتراث والوثائق.

طارق عبد المحسن الدويسان. (2020). *جامعة الكويت (الواقع، التحديات، الحلول)*. جامعة الكويت.

عبد الرحمن احمد الأحمد. (2020). *التعليم..التعليم..التعليم.. الطريق الى المستقبل في دولة الكويت*. الكويت: مجلس النشر العلمي.

عبد الرحمن العنزي. (1986). *التعليم العالي في الكويت: تحديات وفرص*. الكويت: الرؤية الاقتصادية.

عبد الرحمن فايز عبد الرحمن. (1974). *التعليم العالي والفني في الكويت*. الكويت: مجلة العلوم الاجتماعية.

عبد الصمد الاغبري. (2000). *الأداة المدرسية (البعد التخطيطي والتنظيمي المعاصر)*. بيروت: دار النهضة العربية للنشر والتوزيع.

عبد العزيز حسين. (1994). *محاضرات عن المجتمع العربي في الكويت*. الكويت: دار قرطاس لنشر والتوزيع.

عبد الله خالد حاتم. (1962). *من هنا بدأت الكويت*. دمشق: المطبعة العمومية.

عبد الله سليمان المفتي. (2019). *المدرسة المباركية في الكويت نشأها وتطورها وتأثيراتها على المجتمع الكويتي بين عامي 1911-1936*. الاردن: دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

عبد الله يوسف الغنيم. (1999). *علماء الكويت وعلامها خلال3 قرون، سلسلة تأريخ ما أهملها التاريخ2*. الكويت: مكتبة المنار الإسلامية.

عبد الملك التميمي. (1998). *أبحاث في تاريخ الكويت*. الكويت: دار قحطان للنشر.

عبدالله خالد الحاتم. (1980). *من هنا بدأت الكويت*. الكويت: مطبعة دار القبس.

عبدالله سلمان المغني. (2019). *المدرسة المباركية في الكويت نشأتها وتطورها وتأثيرها على المجتمع الكويتي بين عامي 1911-1936*. مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشارقة.

علي أسعد وطفة. (2012). *المقدمة في برامج كلية التربية*. الكويت: جامعة الكويت.

علي اسعد وطفة. (2012). *نشأة وتطور التعليم في الكويت*. الكويت: مطبعة جامعة الكويت.

عمر ناصر عبد الله الدوسري. (2015). *الدور البريطاني المصري تجاه تطور التعليم في الكويت (1936-1961)*. المنامة: مجلة جمعية التاريخ والاثار.

عمر ناصر عبد الله الدوسري. (2015). *الدور البريطاني المصري اتجاه تطور التعليم في الكويت (1936-1961)*. قطر: جمعية التاريخ والاثار لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي.

عواد جاسم الجدي. (2021). *الكويت والتنمية الاجتماعية مركز البحوث والدراسات الكويتية*. مركز البحوث والدراسات الكويتية.

عواد جاسم الجدي. (2021). *الكويت والتنمية الاجتماعية*. مركز البحوث والدراسات الكويتية.

فارس الغانم. (1999). *تاريخ التعليم العالي في الكويت* . مجلة تراثنا.

فاطمة العبد الجليل. (2001). *تطور التعليم العالي في الكويت*. مجلة الدراسات الإنسانية والاجتماعية.

فتحي هلال. (1999). *واقع المناطق التعليمية بدولة الكويت والرؤية المستقبلية لتطويرها*. الكويت: وزارة التربية، إدارة البحوث التربوية.

فوزي يعقوب القلاف. (2016). *التعليم الثانوي في دولة الكويت (واقعه واهم مشكلاته)*. الكويت: المؤسسة العربية للاستثمارات العلمية وتنمية الموارد البشرية.

للمزيد راجع. (2010). *تقرير دولة الكويت الموحد بشأن الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع اشكال التمييز العنصري*.

مبارك عبد الله الخشاب. (2020). *الاداء المتميز لمؤسسات التعليم العالي بدولة الكويت في ضوء ثقافة الجودة الشاملة*. جامعة بنها.

مجلة العلوم التربوية. (2019). *رأس المال الفكري بنظام التعليم العام بدولة الكويت*. جامعة جنوب الوادي.

محمد علي رضا. (1952). *التعليم في امارة الكويت (تقرير)*. الكويت: مطبعة وزارة المعارف العمومية.

محمد غانم الرميحي. (2020). *تجويد التعليم في الكويت*. الكويت: مجلس النشر العلمي لبحوث المنشورة جامعة الكويت.

محمد منير مرسي. (د.ت). *سمات العامة للتعليم في دول الخليج العربي*. قطر: مركز البحوث التربوية.

محمد منير مرسي. (د.ت). *السمات العامة لتعليم لدول الخليج العربية*.

مركز البحوث والدراسات الكويتية. (2002). *دراسة توثيقية*. الكويت.

مركز البحوث والدراسات الكويتية. (2002). *تاريخ التعليم في دولة الكويت*. الكويت.

مريم محسن ابراهيم المطيري. (2022). *إدارة مؤسسات التعليم العالي بدولة الكويت في ضوء مدخل التخطيط الاستراتيجي (الواقع-المأمول)*. الكويت.

مصباح الحاج عيسى. (1985). *استخدام نظام الفيديو في التعليم بمدارس الكويت*. الكويت: جامعة الكويت.

نجلاء حسني عباس. (2015). *إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي*. مصر: المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية.

نجوى محسن عشوان العنزي. (2019). *تاريخ التعليم العام في الكويت في عصر التنوير 1936-1961*. رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية، جامعة الكويت.

نور الدين العوضي. (2002). *تطور التعليم العالي في الكويت خلال الفترة 1960-1990*. مؤتمر العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الكويت.

هيئة التحرير. (1978). *جامعة الكويت (نشأة الجامعة)*. الكويت: المنظمة العربية لمؤلفين.

هيئه التحرير. (1976). *لمحة موجزة عن التعليم في الكويت*. الكويت: وزارة التربية الوطنية.

واخرون محمد صادق الموسوي. (2003). *التربية المعاصرة ومستقبل التعليم في الكويت*. الكويت: منشورات رابطة التربية الحديثة.

وليد احمد الكندري. (2020). *بين التعليم الجامعي والتعليم الخاص بدولة الكويت*. ندوة في جامعة الكويت.

List of sources and references:

1. Abdullah Khaled Hatem, From Here I Started Kuwait, Public Printing Press, Damascus, 1962, p. 10.
2. Ahmed Zuwaid Al-Jashami, Ayed Majeed Abd, The beginnings of education in Kuwait until 1911, Journal of Human Sciences, College of Education for the Humanities, first issue, Babylon, 2017.
3. Sawsan Jabbar Abdul Rahman, The development of the intellectual movement and the support of the educational and cultural renaissance in Kuwait from its inception until 1973 (a historical study), Al-Farahidi Arts Journal, Baghdad, No. 24, 2016, pp. 207-208.
4. Abdullah Salman Al-Mughni, Al-Mubarakiya School in Kuwait, its origins, development, and impact on Kuwaiti society between the years 1911-1936, Studies Journal for Humanities and Social Sciences, University of Sharjah, Issue 3, 2019, p. 219.
5. Abdullah Khaled Al-Hatem, From Here I Started Kuwait, 2nd edition, Dar Al-Qabas Press, Kuwait, 1980, p. 75.
6. Badr Muhammad Malik, Latifa Al-Kandari, Pages from Cultural Life in Ancient Kuwait, Al-Manar Islamic Library, Kuwait, 1985, p. 14.
7. Abdul Aziz Hussein, Lectures on Arab Society in Kuwait, 2nd edition, Dar Qartas for Publishing and Distribution, Kuwait, 1994, p. 39.
8. Najwa Mohsen Ashwan Al-Anazi, The History of Public Education in Kuwait in the Age of Enlightenment 1936-1961, Master's Thesis (unpublished), College of Education, Kuwait University, 2019, p. 41.
9. Marlowe Jobe, The Persian Gulf in the Twentieth century, London, 1962, p.42.
10. Amin Al-Husseini: Amin Muhammad Al-Husseini was born in the city of Jerusalem, Palestine, in 1897 from a family known for science and reform. His son played a role in teaching him religious lessons and language. In 1921, he traveled to Cairo to study at Al-Azhar Mosque. He belonged to the Al-Ahed Society with a number of officers in Istanbul. In 1917, he returned to Jerusalem and took an interest in political work. For more details, see: Hassan Adham Jarrar, Amin Al-Husseini, Pioneer of Jihad and Hero of the Cause, Dar Al-Diyaa, Amman, 1987, p. 4.
11. Hussein Ghobash, The Cultural Roots of Democracy in the Gulf, Kuwait and Bahrain, Dar Al-Farabi, Beirut, 2020, p. 53.
12. Dixon, Kuwait and its Neighbor, Sahara Printing and Publishing, Kuwait, 1990, p. 10.
13. Ali Asaad Watfa, The Origins and Development of Education in Kuwait, 3rd edition, Kuwait University Press, Kuwait, 2012, p. 76.
14. Abdul Malik Al-Tamimi, Research in the History of Kuwait, Qahtan Publishing House, Kuwait, 1998, p. 30.
15. Omar Nasser Abdullah Al-Dosari, The British-Egyptian Role towards the Development of Education in Kuwait (1936-1961), Journal of the Society of History and Antiquities, No. 16, Manama, 2015, p. 445.
16. Omar Nasser Abdullah Al-Dosari, previous source, p. 446.
17. Kuwaiti Research and Studies Center, History of Education in the State of Kuwait, Part 2, Kuwait, 2002, p. 16
18. Najwa Mohsen Ashwan Al-Anzi, p. 42.
19. Omar Nasser Abdullah Al-Dosari, previous source, p. 447.
20. Muhammad Munir Morsi, General Characteristics of Education in the Arab Gulf States, Educational Research Center, Qatar, ed., p. 20.
21. Matta Aqrawi: He was born in the city of Mosul in 1901. He studied in private schools and completed his studies at the American University of Beirut. He obtained a master's degree in 1926 and a doctorate in 1932 from the United States of America. He held several positions, including director of the Primary Teachers' Home, and general director of higher education. In the Ministry of Education, in 1945 his services were loaned to the United Nations Educational and Cultural Organization. He was appointed President of the University of Baghdad in 1957. He died in 1982 in Lebanon. For more details, see: Hamid Al-Muttabi, Encyclopedia of Iraqi Media in the Twentieth Century, vol. 2, Baghdad, 1959, p. 119.
22. Sawsan Jabbar Abdul Rahman, previous source, pp. 211-212.

23. Iyad Hilmi Al-Jasani, Oil and Economic and Political Development in the Arabian Gulf, Dar Al-Ma'rifa, Kuwait, 1982, p. 226.
24. Abdullah Suleiman Al-Mufti, Al-Mubarakiya School in Kuwait, its origins, development, and effects on Kuwaiti society between the years 1911-1936, Humanities and Social Sciences Studies, Volume 46, Issue 3, 2019, Jordan, 219 et seq.
25. Abdullah Youssef Al-Ghunaim, Kuwaiti Scholars and Celebrities over 3 Centuries, History What History Neglected Series 2, Al-Manar Islamic Library, Kuwait, 1999, pp. 397 et seq.
26. Muhammad Ali Reda and Hafez Amjad Hamdi, Education in the Emirate of Kuwait (Report), Ministry of Public Education Press, Kuwait, 1952, pp. 3 et seq.
27. Ali Asaad Watfa, Introduction to the Programs of the College of Education, Kuwait University, Kuwait, 2012, p. 12.
28. Abbas Alshameri, The past, present, and the future of higher education the Arabian Gulf Region, 2022, Routledge, p17.
29. Omar Nasser Abdullah Al-Dosari, The British-Egyptian Role and the Direction of the Development of Education in Kuwait (1936-1961), Publisher: Society of History and Antiquities for the Arab Gulf Cooperation Council Countries, Qatar, 2015, p. 43.
30. Editorial Board (prepared), Kuwait University (The Establishment of the University), Arab Organization of Authors, Kuwait, 1978, pp. 51 et seq.
31. Sawsan Jabbar Abdul Rahman, The development of the intellectual movement and the support of the educational and cultural renaissance in Kuwait from its inception until 1973 (historical study), research published in Adab Al-Farahidi Magazine, No. 24, Iraq, 2016, pp. 228 et seq.
32. For details, see: Shifa Al-Mutairi, The Kuwaiti flag from its inception until independence 1946-1961, Center for Manuscripts, Heritage and Documents, 1st edition, Kuwait, 1996.
33. Muhammad Munir Morsi, General Features of Education for the Arab Gulf States, (D.M.), (D.T.), p. 24.
34. Mubarak Abdullah Al-Khashab, The Outstanding Performance of Higher Education Institutions in the State of Kuwait in Light of the Total Quality Culture, Banha University, 2020.
35. See the report published in the Journal of Social Sciences, Abdul Rahman Fayez Abdul Rahman, Higher and Technical Education in Kuwait, vol. 2, no. 1, Kuwait, 1974, p. 72.
36. Hatem Al-Mutairi, The Development of Higher Education in the State of Kuwait, published in the Journal of Educational, Psychological and Social Research, Volume 17, Issue 2, 1994, p. 17.
37. Harith Yousef Issa, The Development of the Education Movement in Kuwait 1967-1919, research published at Kuwait Technological University, Kuwait, D.T., p. 17.
38. Editorial Board, A Brief Overview of Education in Kuwait, Publisher of the Ministry of National Education, Kuwait, 1976, p. 104.
39. See for details: Hamid Muhammad Ali Al-Shamrani, doctoral dissertation (Proposed standards for educational quality in light of degree-based standards for comprehensive quality in public education schools in the Kingdom), Umm Al-Qura University, Saudi Arabia, 2008, p. 57.
40. Abdul Rahman Al-Anazi, Higher Education in Kuwait: Challenges and Opportunities, published in Al-Roya Al-Eqtisadiah Magazine, Issue 6, Kuwait, 1986.
41. Maryam Mohsen Ibrahim Al-Mutairi, Management of Higher Education Institutions in the State of Kuwait in Light of the Strategic Planning Approach (Reality-Aspirations), Kuwait, 2022, p. 35.
42. Fares Al-Ghanim, The History of Higher Education in Kuwait, published in Turathna Magazine, Volume 8, Issue 29, 1999.
43. Editorial Board (prepared), Kuwait University (establishment of the university), previous source, p. 71.
44. Kuwait Research and Studies Center, Documentary Study, Kuwait, 2002, p. 17
45. Nour al-Din al-Awadhi, The development of higher education in Kuwait during the period 1960-1990, published in the Social and Human Sciences Conference, Kuwait University, 2002. p. 24.
46. Fatima Al-Abdul-Jalil, The Development of Higher Education in Kuwait, published in the Journal of Humanities and Social Studies, Volume 8, Issue 14, 2001, p. 37.
47. Muhammad Sadiq Al-Musawi and others, Contemporary Education and the Future of Education in Kuwait, Publications of the Modern Education Association, Kuwait, 2003, p. 102.

48. For more details, see: Walid Ahmed Al-Kandari, between university education and private education in the State of Kuwait, symposium at Kuwait University, 2020, pp. 125 et seq.
49. Raad Abdullah Al-Taie, Dimensions of the quality of higher education service at the private university (field study), University of Baghdad - College of Administration and Economics, Department of Business Administration, research published on the Internet, Iraqi Journals website, pp. 30 et seq.
50. Hamed Muhammad Ali Al-Shamrani, previous source, p. 72.
51. Al-Mutairi, A.K. Naser and M. Al-Enezi, "Job Satisfaction among Academicians at Business Colleges Operating in Kuwait", Asian Social Science, Vol. 12/13, 2017, p. 9.
52. Muhammad Ghanem Al-Rumaihi, Improving Education in Kuwait, Scientific Publishing Council for Publications Research, Kuwait University, Kuwait, 2020, pp. 21-28.
53. For more, see the report: Ismail Al-Qabbani and Matta Aqrawi, Report on Education in Kuwait, Dar Al-Kitab Al-Arabi Press, Egypt, 1955.
54. For more, see: The consolidated report of the State of Kuwait on the International Convention on the Elimination of All Forms of Racial Discrimination, 2010, p. 11.
55. Fawzi Yacoub Al-Qallaf, Secondary education in the State of Kuwait (its reality and its most important problems), Arab Journal of Social Sciences, publications of the Arab Foundation for Scientific Investments and Human Resources Development, vol. 3, Kuwait, 2016, pp. 2 et seq.
56. Journal of Educational Sciences, Intellectual Capital in the Public Education System in the State of Kuwait, South Valley University, 2019, p. 43.
57. Naglaa Hosni Abbas, Total Quality Management in Higher Education, Scientific Journal of Business and Environmental Studies, Suez Canal University, Volume 6, Issue 4, Egypt, 2015, p. 22.
58. Awad Jassim Al-Jadi, Kuwait and Social Development, Kuwaiti Research and Studies Center, Ministry of Planning, Kuwaiti Research and Studies Center, 2021, p. 18.
59. Report of the Supreme Council for Planning and Development, Study on the Economics of Education in the State of Kuwait (Analysis of the Costs of Spending on Education), Kuwait, 2016, pp. 18-28.
60. Abdel Samad Al-Aghbari, The School Tool (The Contemporary Planning and Organizational Dimension), Dar Al-Nahda Al-Arabi for Publishing and Distribution, Beirut, 2000, p. 168.
61. Fathi Hilal and others: The reality of educational zones in the State of Kuwait and the future vision for their development, Ministry of Education, Educational Research Administration, Kuwait, 1999, p. 14.
62. Misbah Al-Hajj Issa, Using the Video System in Education in Kuwaiti Schools, published by Kuwait University, Kuwait 1985, pp. 82 et seq.
63. Abdul Rahman Ahmed Al-Ahmad, Education.. Education.. Education.. The Way to the Future in the State of Kuwait, Kuwait University Symposium, Scientific Publishing Council, Kuwait, 2020, p. 3.
64. Tariq Abdul Mohsen Al-Duwaisan, Kuwait University (Reality, Challenges, Solutions), Kuwait University, 2020, p. 79.
65. Awad Jassim Al-Jadi, Kuwait and Social Development, Kuwait Research and Studies Center, 2021, p. 43.

"نظام الخراج بين الامبراطورية الساسانية والخلافة الراشدة"

م.د. عبدالهادي طعمه عفات العتابي

abd-alhadi.toma@alkutcollege.edu.iq

قسم علوم القران والربية الاسلامية ، كلية الكوت الجامعة

ملخص

الخراج كلمة بهلوية استخدمها العرب اشتقت في اللغة العربية من الفعل الثلاثي" خرج".

يبدو ان الخراج لم يكن تشريعا بل كلمة اخذت في صدر الاسلام مكانتها تدريجيا لتعني ضريبة الارض او الاجور التي تؤخذ على املاك الدولة ولكن ما يستفاد منه من الكتب الفقهية ان الخراج هو الضريبة المخصصة للأراضي فقط.

كانت الدولة الساسانية مهتمة في الخراج كثيرا لأنه يعني لها الضريبة العقارية التي تقع على الاراضي الزراعية التي اخذت عنوة وكانت تعد من الايرادات الرئيسية للدولة ولأهمية الموضوع وارتباطه بالتنظيم الاقتصادي الذي يهم كل الازمنة وتنظيم الموازنات العامة للدولة تطلب بحث جذور هذا التشريع واصوله لتسليط الضوء على جوانبه التاريخية والعقدية واثار الحضارات الاخرى.

كلمات مفتاحية:خراج ، ساسانيين ، فتح العنوة

"The Kharaj System between the Sasanian Empire and the Rightly Guided Caliphate"

Inst.prof. AbdulHadi Tuama afat Al-Atabi Ph.D

abd-alhadi.toma@alkutcollege.edu.iq

Department of Qur'anic Sciences and Islamic Education / Kut University College

Abstract:

Kharaj is a Pahlavi word used by the Arabs. It is derived in the Arabic language from the triliteral verb "khārāj."

It seems that Kharaj was not legislation, but rather a word that gradually took its place at the beginning of Islam to mean land tax or wages taken on state property, but what is learned from jurisprudential books is that Kharaj is the tax allocated to lands only.

The Sasanian state was very interested in the tax because it meant to it the real estate tax that fell on agricultural lands that were taken by force and it was considered one of the main revenues of the state. The importance of the issue and its connection to the economic organization that concerns all times and the organization of the state's general budgets requires examining the roots of this legislation and its origins to shed light on its historical aspects. Doctrine and the effects of other civilizations.

Keywords: abscess, Sassanians, forced opening

المقدمة

يعد الخراج من اهم ركائز الاقتصاد لأي حضارة او إمبراطورية او دولة، لهذا الغرض نلاحظ اهتمام الدول به منذ القدم لأنه عصب الحياة وقوة الدولة ماليا، فأغلب الدول مسكت بيدها الخراج الذي يجمع موارد اراضيها.

وقسم البحث الى ثلاث فقرات جاءت اولا حول مفهوم الخراج وتعريفه والفقرة الثانية حول نظام الخراج عند الإمبراطورية الساسانية وأسباب تنظيمه وكيف سنوا له القوانين، ونظموا هذه الضريبة على الرغم من اتساع مساحة الإمبراطورية التي بدت من الصين الى بلاد الشام، وماجرى على هذا النظام من تغيير لأسباب عدة، وجاء في ذلك تبيين مقادير الخراج عندهم، اما الفقرة الثالثة من البحث توضح الخراج في عهد الخلافة الراشدة وقسمت الى نبذه عن الخراج في عهد الرسول الاكرم محمد بن عبدالله صلى الله عليه واله وسلم

ثم حددت الفقرة التي تلتها هو الخراج في العهد الراشدي الذي تناولنا فيها كيف قسم خراج الاراضي ومقاديره بعد فتح العراق ايام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وايام الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وماهي اجتهاداتهم في ذلك.

أولاً: مفهوم الخراج

الخراج في اللغة العربية تعني الاتاوة او الضريبة او التقدير واشتقاقة جاء من الفعل "خرج"، وهو فعل ثلاثي والخراج يعني ما يخرج من الارض (ابن منظور ا.، 1414ه)، ويعني حاصل الارض، اعطاء الهدية، النفع، الدخل، ولكن بالتدريج اصبح بالعرف الخاص يعني ضريبة الارض (طباطبائي، 1362 ه.ش) وقيل يعود تسمية الخراج الى كلمة طسقا (tasqa) ذات الاصول الارامية السريانية ممتدة من اليونانية؛ اما في اللغة الاكدية اطلق على الخراج (ilku) (كاتبي، 1994م) اما كرستنسن يؤكد ان أصل الكلمة فهو من البهلوية استخدمها العرب بلفظتها (كرستنسن، بلا–ت) ووردت في القران الكريم في قوله تعالى: (أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (المؤمنون، اية 72)، وقوله تعالى: (فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا) (الكهف، اية 94)، واستخدمت كلمة الخراج في لغة العرب اسم للكراء والغلة (الماوردي ا.، بلا ت) ولا يوجد فرق في استخدامها عند الساسانيين. و بعد فتح العراق حدث اختلاف على ملكيت اراضي الفتح وانتقال ملكية اراضي السواد الى المسلمين فتم الاتفاق على ابقاء الاراضي بيد شاغليها مقابل اعطاء قسم من المحصول او مبالغ حسب مساحة الارض طبق ما كان يؤخذ منهم في زمن الساسانيين (رضائي، 2000).

اذاً الخراج هو: شيء يخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم او الإتاوة التي تؤخذ من أموال الناس (ابن منظور ا.، 1414ه)؛ (الزبيدي ، بلا ت)، وقد يعني ما يترتب من ضرائب على المحاصيل الحقلية الناتجة من استغلال ارض من قبل الزُّرَّاع لها (شلبي، 1974).

اهتم ملوك الفرس في عصر الساسانيين بسواد العراق حيث كانوا يعدوه قلب الدنيا والباقي الجسد واطلقوا عليه اسم (دل ايرانشهر) ومعناه (قلب ايران) اي الاقليم المتوسط لجميع الاقاليم (ابن الفقيه، 1422ه).

ويبدو ان الخراج لم يكن تشريعا بل كلمة اخذت في صدر الاسلام مكانتها تدريجيا لتعني ضريبة الارض او الاجور التي تؤخذ على املاك الدولة والخراج هو اجتهاد على العكس من الجزية فهي نص (الماوردي ا.، بلا– ت). وقد اشار الى ذلك الخليفة الثاني في حديثه: (وقد رايت ان احبس الارضين بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج) وهذا ماراه الخليفة الثاني نفسه (ابو يوسف ، بلا–ت).

وما يفاد من الكتب الفقهية ان الخراج هو الضريبة المخصصة للأراضي فقط ويطلق على القائمين بجمع الخراج في اللغة الفارسية (اماركاران) (كرستنسن، بلا–ت).

وقد ورد في الفقه الإسلامي مفهوم الخراج مرتبطا مع الأراضي التي فتحت عنوة* (الانصاري ، بلا–ت)*، كالسواد وأراضي الشام ومصر، والذي أصبح أهم إيرادات بيت المال في ما بعد (شلبي، 1974).

ثانياً: نظام الخراج عند الدولة الساسانية وأسباب تنظيمه

اهتمت الامبراطورية الساسانية في ضريبة الخراج كثيرا. وهي الضريبة التي تقع على الأراضي الزراعية، وتعد المصدر الأساسي لإيرادات الإمبراطورية في وقتها (كرستنسن، بلا–ت) كان جباية الخراج في الإمبراطورية الساسانية يتم عن طريق نظام المقاسمة (الاصطخري ، 2004)؛ (الحموي، 1995).

وتبلغ هذه الضريبة المفروضة على الأرض بين العشر او النصف على المحاصيل (الجهشياري، 1938) ؛(الدينوري أ.، 1960)، وربما السدس او الثلث (الاصطخري ، 2004)؛ (النويري أ.، 1423 ه)؛ (كرستنسن، بلا–ت)، ويكون هذا الاختلاف تبعا الى بعد الارض او قربها عن الأسواق وكذلك على نوعية المحاصيل (الدينوري أ.، 1960)، أو ما تكون علية الارض من ناحية الخصوبة والجودة لها ولكن تحصيل الضرائب على هذه الطريقة كان يسبب ظُلما احيانا لسوء الجباية المتبعة من قبل المشرفين على عملية الجباية (كرستنسن، بلا–ت)، او لتلف المحاصيل عند تاخر مفتشين الحكومة الموكلين بتقدير هذه الضريبة، او خصم ما يستحق عليه من ضريبة وان عدلت الحكومة الساسانية عن ذلك كما ذكر الماوردي ذلك في قصة سبب العدول: (وكان الخراج في أول أيام الفرس جاريًا على المقاسمة)، حتى مسح قباذ بن فيروز (ت531 م) الارض وضع لها الخراج وكان السبب في مسحه... عندما خرج الملك في يوماً للصيد فدخل في شجر متشابك للصيد، ووصل لتلة مشرفة على البستان، كي يرى ما في داخله من صيد، فرأى عجوزا تعمل

فيه وكان يكثر في البستان كثير من النخل واشجار الفواكه المثمرة، وكان معها طفلا صغير حاول أن يأخذ شيئا من الرمان فمنعته المرأة من ذلك، فتعجب الملك لذلك الفعل وارسل لها من يسألها عن السبب لمنعه من تناول الرُّمان، فأجابت المبعوث: (إن للملك حقاً في عطاء الثمار لم يأت لحد الان من يقسم الثمار ويخرج حصة الملك، واخشى أن ينال الصبي من الثمار شيئاً قبل ان يقسم مبعوث الملك الثمار ويأخذ حقه، فوقع قولها في استحسان الملك فرأف على رعيته، فامر وزرائه بمسح الارض حتى يعرفون الحصص العائدة لهم، ليتمكن كل إنسان ان يستفاد من حصته في وقت الحاجة لها) (الماوردي ا.، بلا- ت)؛ (الحموي، 1995).

يعتقد البعض ان الازمة الاقتصادية التي عصف بالدولة الساسانية والتي كانت عاملا لظهور الحركة المزدكية هي التي دعت الى هذا التنظيم (ابن حجر العسقلاني، 1326هـ).

وقد اتَّبع بعض ملوك ساسان سياسة التوسع في منح الإقطاعيات الواسعة، ومن بينهم بهرام بن بهرام، حيث عمدوا إلى الضياع فانتزعوها من أربابها وعَّمارها، وهم أرباب الخراج ومن تؤخذ منهم الأموال، فأقطعوها للحاشية والخدم، وأهل البطالة وغيرهم، فعمدوا إلى ما تعجل من غلاتها، واستعجلوا المنفعة، وتروا عمارتها وما يصلح الضياع، وسومحوا في الخراج، لقربهم من الملك، ووقعا لحيف على من بقي من أرباب الخراج وعمار الضياع، فانجلوا عن ضياعهم (E.G. Bromne, 1909)، ورحلوا عن ديارهم، فقلت العمارة، وخربت الضياع، وقلت الأموال إلا أن قاضي قضاته (موبذان – موبذ) أشار إلي هب النصيحة، وأعلمه بما جرى من حال أرباب الضياع وخرابها، وهلاك الجند والرعية، وطمع في الملك توالى ولمدة خمس سنوات على مملكة الفرس مالا يقل عن أحد عشر ملكاً (مؤنس، 1987) (ومن خلال ما تقدم يمكن أن يوصف المجتمع الساساني بأنهم مجتمع طبقي مغلق، وهي صفة ملازمة لكل المجتمعات الإقطاعية حيثما تكون، فقد كان نظام الفرس آنذاك نظاماً إقطاعياً، يكاد يستقل كل وال بأمر مقاطعته، ويستمر والياً مدى حياته غالباً، حيث يراعي الملك رغبة المقاطعة في من يولى عليها (أمين، 1975) وإنَّ التركيب الطبقي للمجتمع في الإمبراطورية الساسانية كان مجتمع عبيد، تحول بالتدريج إلى مجتمع إقطاع، في أواخر العهد الساساني، حيث كانت كل طبقة قد قسمت إلى عدد من الدرجات، وقيدت أسماء الأسر الكبيرة في الكتب والدواوين، لكي تعنى الدولة بحياتهم، وتصون شرفهم. وكانت قوانين الملكية تمنع من بيع أملاك هذه الأسر إلى أفراد الشعب. وكان الخروج على الدين الرسمي (الزردشتية) يؤدي إلى الحرمان من الامتيازات الطبقية، حيث يفقد الإقطاعي إقطاعياته، وبالتالي امتيازاته، فتؤول إلى أقرب وريث له (كرستنسن، بلا-ت).

ويمكن القول ان نظام ملكية الأراضي، وأسلوب الإنتاج الزراعي عند الساسانيين، هو نظام اعتمد على كبار الاقطاعيين الذين امتلكوا فلاحين خاصين يزرعون ما يطلبه منهم الملاكون، ويحصلون بمقابل ذلك على أجره معينا. فكانت قلاع الأحرار نتيجة هذا تمتلك جميع وسائل الترف، حتَّى أنَّ بعضهم قد احتفظ بجيوش خاصَّة لحمايتهم. ومن هنا يتضح أهمية إحياء الموات، والعناية بالأرض الزراعية، والإقبال على الاستثمار الزراعي سيما وأنَّ القطائع، وبيع الأرض وشراءها.

قواعد الخراج ومقاديره عند الساسانيين

وقد فرض الملك الساساني (كسرى انشروان) الخراج على المساحات التي كانت تقاس حسب الوحدة للمساحة التي كانت تسمى جريبًا (هنتس ، 1970م)؛ (الشرباصي، 1981م)**، ويقدر الجريب بـ(1592م2) وكان يؤخذ درهمين على كل جريب من الأرض، وقد حسبت اشجار والنخيل وتم أحصاء الناس لكي يجعل الخراج على الحاصلات. وتوضع الجزية على الرؤس للسكان (الدوري ، 2008م)، لكن الوفاة عاجلته قبل ان يتم ذلك (الدينوري أ.، 1960)؛ (ابن الجوزي ، 1992 م).

اما المصادر التاريخية تؤكد لما جاء كسرى أنوشروان (531-579م) أتمَّ الإجراءات التي بدأت في عهد والده (اليعقوبي، 2004م)؛ (المسعودي ...، بلا- ت)؛ (المسعودي ع.، بلا ت)؛ (ابن الجوزي ، 1992 م)؛ (كرستنسن، بلا-ت)، وطوّر الملك كسرى انشروان قوة جديدة يطلق عليها (نبلاء القرى) وهم الدهاقنة جعل مصروفاتهم وتجهيزاتهم على الحكومةِ المركزيةِ للدولة، وحينما كان تجهيز الجيش الساساني من مسؤولية النبلاء في الدولة وكان النبلاء في فترة السلم يستخدمون الجنود في حقولهم ويلزمونهم بالعمل كخدم، ولكن الملك كسرى انشروان ربط الجيشَ مباشرةً بالحكومةِ المركزيةِ أكثر من ارتباطهم سابقا بالنبلاء المحليّينِ. لذا اخذ تنظيم الزراعة والعائدات تختلف عما سبق. ودونت عدد الجربان للارض الممسوحة (الريس، 1961م)، وكذلك حدد نوع المحاصيل المزروعة في الأراضي الممسوحة (ابن الاثير، 1997م)؛ (كاتبي، 1994م)، وكمية الخراج المقدر عليها، فكانت كالآتي:

" **درهم واحد في السنة على كل جريب من القمح والشعير وثمانية دراهم على كلجريب من الكرم (الأعناب)**" (الطبري ، 1387 هـ)؛ (ابن الجوزي ، 1992 م)؛ (النويري ا.، 1423 هـ)؛ (كرستنسن، بلا–ت)؛ (الريس، 1961م)؛ (دينيت ، 1960م)؛ (الدوري ، 2008م).

"**وستة دراهم على كل جريب برسيم**" (كرستنسن، بلا–ت)؛ (دينيت ، 1960م).

"**وخمسة أسداس الدرهم على كل جريب الارز**" (مسكويه ا.، 1978م).

ونص القانون على عدة نقاط منها :

الغاء النسب المئوية على المحاصيل الزارعية واستبدالها بوضائع نقدية اوعينية. القيام بمسح شامل للأراضي الزراعية كلها (اليعقوبي، 2004م)، وامر بالغاء كافة السجلات والدفاتر الخاصة بالخراج في الفترات السابقة لحكمة (خواند امير، 2016) يكون الخراج حسب قدرة اللأرض على الانتاج (اليعقوبي، 2004م) كما واعفى كل من بارت زراعته وقت جباية الضريبة (كرستنسن، بلا–ت) عدم تغيير ضريبة الخراج التي وضعت على المحاصيل الزراعية (كرستنسن، بلا–ت) يسدد الخراج خلال ثلاثة أنجم أي كل اربعة اشهر يدفع الثلث (الدينوري ا.، 1960 م) (عبدوس(ت331هـ)، 1938م) ووضع الخراج (مسكويه أ.، 1978م) على سبعة اصناف من المحاصيل الرئيسية وهي(الحنطة، الشعير، الارز، الكرم، الرطب (ابن منظور ا.، 1414هـ)، النخل والزيتون. واعفى بقية المحاصيل والاشجار المتفرقة التي لا تشكل بستان واحد والاشجار التي تنمو بصورة طبيعية والمحاصيل غير المنتجة (مسكويه أ.، 1978م).

وقد نص القانون الجديد ان المبالغ المالية المستوفاة تكون: " بالدرهم"، وان المساحة تقدر "بالجريب "، (الماوردي ا.، بلا– ت)؛ (الجميلي، 2005م) اما الاشجار فيتم حسابيا بالعدد.

نوع المحصول المساحة بالجريب الضريبة المقدرة بالدرهم

الحنطة	**1**	**1**	(ابن البلخي ، 2012م)
الشعير	**1**	**1**	(مسكويه أ.، 1978م)
العنب	**1**	**8**	(كرستنسن، بلا–ت)
برسيم	**1**	**7**	(كرستنسن، بلا–ت)
الارز	**1**	**5.6**	(مسكويه أ.، 1978م)
الرطاب	**1**	**7**	

أما أشجار النخيل والزيتون فيؤخذ من كل أربع نخلات فارسية درهم واحد (المسعودي ع.، بلا ت). وست نخلات دقل (ابن سيدة، 1996 م) درهم.

سعى كسرى ابرويز (591–628م)، لإعادة بناء إيران في المجال الاقتصادي. وقدّر مبلغ المال الموجود في خزانة كسرى الثاني في السنة الثامنة عشرة من ملكه (608 م) (600 مليون درهم)، وذلك لقيامة بإصلاح الأراضي وكذلك للزيادة غير المسبوقة لعدد السكان في وقته، لذا لوحظت زيادة في إيرادات الخزينة ودونت بالمبلغ المذكور أعلاه وهو امر عادي ومقبول يدلل على اهمية الخراج وكميته (ابن قدامه، 1981م).

وقد حدث في عهد كسرى إبرويز حربا بين الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية استمرت خمسة وعشرين عاما (103م–628م) التي انتصر فيها الساسانيين على البيزنطيين حصل فيها الساسانيين على مبالغ كبيرة الا ان تلك المبالغ لم تدم طويلا اذ حدث فيضان كبير عام 627–628م دمر معظم مشاريع الري، وأدى إلى تحول الأنهر من مجاريها، وهدم السدود، وسبب تكوين الأهوار والبطائح (سوسه، 1983م).

فقد حدث فيضان في نهر الفرات ودجلة وكانت زيادة المياه بشكل كبير لم يسبق لها مثيل، مما ادى بثوق كبيرة في ضفافة وسدوده، ادت الى تكوين البطائح فبعد ان طغى الماء على العمارات والزروع، غرقت عدة طساسيج، وبسبب الحروب حدثت شقوق في السداد الترابية لجانبي نهر دجلة والفرات من دون ان ليتفت اليها المسؤولين عن متابعة الانهر (الدهاقين) وقد عجزوا عن تلافي تلك

الكسرات و سد معظمها لذلك اتسعت البطائح (الاهوار) وعظمت فكانت مساحة البطائح تتغير من سنة إلى أخرى، حسب مقادير الفيضانات. ففقدت بلاد السواد الكثير من الأراضي الزراعية الخصبة؛ نتيجة انتشار (الأهوار) البطائح فيها (سوسه، 1983م).

وأورد ابن خرداذبة بعض الأرقام لمبالغ جباية سواد العراق في العهد الساساني بشكل عام قائلاً": فأما مبلغ جباية السواد في القديم فانه جبى لقباذ الملك ابن(فيروز) (ابن حبيب ، بلا– ت) ؛ (ابن قتيبة، 1992 م)*** مائة ألف ألف وخمسين ألف ألف درهم مثاقيل، وكان اجتبى لكسرى ابرويز (ابن حبيب ، بلا– ت)؛ (ابن قتيبة، 1992 م) ؛ (الطبري ، 1387 هـ) ؛ (المسعودي ..، بلا– ت) خراج مملكته في سنة ثمان عشرة من ملكه أربعمائة ألف ألف مثقال وعشرين ألف ألف مثقال يكون وزن سبعة ستمائة ألف ألف ثم بلغت جباية مملكته بعد ذلك ستمائة ألف مما يشير إلى التطور البالغ في مقادير الخراج.

ان الخراج في زمن الساسانيين قد مر بعدة مراحل من المقاسمة الى المساحة والتنظيم. وكان الخراج على مدى الحكم لهذه السلالة مصدر أساسي من دخل الدولة وقد مر في عدة مراحل كان ابلغها في حكم الملك قباد وأتمه الملك كسرى انشروان وبعدة ابنه شيرويه ولكن عدم اهتمام حكام الإمبراطورية فيما بعد بمصادر الخراج وعدم تنظيم أمور الفلاحين والمزارعين أدى إلى تدهور كبير وواضح في اقتصاد الإمبراطورية الساسانية خصوصا حينما لم يراعى وضع المياه و الأنهار في بلاد السواد المصدر الأساسي لهذه الضريبة وخصوصا نهر دجلة عندما حدثت بثوق كبيرة فيه وتغير مسار النهر عدة مرات، وانهيار بعض السدود (سوسه، 1983م) كل ذلك أدى إلى ضعف الإمبراطورية كثيرا فعمت الفوضى في البلاد واستغل العمال مناصبهم، ودخلت في دور التدهور بعد مقتل كسرى ابرويز وتولى من بعده عدة ملوك إلى أن استقر الأمر على يد الملك يزدجرد الثالث 634 م الذي انهار حكمه في معركة القادسية زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض).

ثالثاً: الخراج في عهد الخلافة الراشدة.

- **الخراج في عهد الرسول الاكرم محمد بن عبدالله صلى الله عليه واله وسلم**

كان حكم النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم في المدينة المنورة وكانت اغلب غزواته وحروبه محدودة وكانت اغلب الأراضي التي أخذها العرب المسلمين بحدود الجزيرة العربية لم يكن لها نظاما معينا كباقي الإمبراطوريات المجاورة مثل الساسانيين او الروم البيزنطيين

حينما كانت الأرض هي ملك للملك الساساني أصبح الفلاحين ومزارعين عمالا له واهتموا بأداء واجبات الخدمة العسكرية أكثر من الزراعة كما وان واردات ضريبة الخراج أخذت وارداتها تذهب لبيت العدل أو ديوان العدل، شعر الناس بنوع من الاضطهاد والظلم فكانت الأرضية ممهدة إمام العرب المسلمين فيما بعد.

ومن الأشياء المهمة أيضا عدت الأرض في الحكم الإسلامي أي أراضي البلاد المفتوحة ملك للمسلمين يؤدون ضريبة تذهب وارداتها لبيت مال المسلمين وان الفلاحين ملاك أحرار يزرعون أراضيهم ويتوارثونها. واستمر التنظيم الإصلاحي للخراج في بلاد فارس الذي تحول من مفهوم المقاسمة إلى المساحة بقي ساري المفعول في الحكم الإسلامي إلا أن المسلمين لم تكن لهم معرفة سابقة بآليات جمع الخراج والقوانين والأنظمة السائدة في البلاد المفتوحة فحدث اختلاف في طريقة جمع الخراج وليس في مفهومة كنظام اقتصادي لان المسلمين لا يملكون الدراية والمعرفة بمفهوم الخراج حسب الترتيبات الاقتصادية للنبي محمد صلى الله علية واله وسلم، فكان موقف الخليفة عمر رضي الله عنة واضح في سؤال الدهاقين العراق وفارس حول آلية جمع الخراج في الفترة السابقة فأقر إصلاحات كسرى مؤقتا حتى إجراء عمومية المسح الشامل لسواد العراق وتقدير مقادير ضريبة الخراج.

- **الخراج في العهد الراشدي**

كانت الإجراءات التنظيمية التي أمر بها القادة على البلدان المفتوحة في أوائل العهد الراشدي هي اخذ الجزية من دون الإشارة إلى الأرض ومنها عهود الصلح التي أمضاها خالد بن الوليد في سنة 12 هـ مع بعض قرى السواد والتي نصت على فرض جزية مشتركة فقط. وكانت هذه الإجراءات تشابه كما سار عليه الرسول الأكرم في مناطق تيماء وتبالة وجرش وتبوك والجرباء التي اقتصرت على فرض الجزية (كاتبي، 1994م).

ولم يرد مصطلح الخراج في عهود الصلح التي أمضاها الخليفة الاول أبو بكر الصديق(13-11هـ632-634م)، لأنه كان جزءًا من الجزية العامة (بيومي، 1979م)؛ (كاتبي، 1994م)، اما البدايات الحقيقية لاستخدام ضريبة الأرض – الخراج – فقد جاءت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (فلوتن، 1934م).

1- نظرية الخراج في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

ويظهر من الروايات أن عمر بن الخطاب لم يحدد لموظفيه مقدار الضريبة بل تركها لتقديرهم شريطة استطاعة الفلاحين دفعها، إذ روى عمرو بن ميمون (ابن سعد،، 1996 م)؛ (ابن حجر العسقلاني، 1326هـ)؛ (الذهبي، 1998م) (ت 75 هـ 694 م) عن عمر بن الخطاب عمر بن الخطاب أنه قال لعثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان: "كيف وضعتما على الأرض لعلكما كلفتما أهل عملكما ما لا يطيقون"، فقال حذيفة: "لقد تركت فضلا"، وقال عثمان : "لقد تركت الضعف، ولو شئت لأخذته" (ابو يوسف ، بلا-ت).

وقد واكب ابن اليمان فتوح المسلمين و أول من عمل بما وضعه الخليفة عمر بن الخطاب على ارض السواد حيث قال: "بعث عمر بن الخطاب حذيفة بن اليمان على ماوراء دجلة، وبعث عثمان بن حنيف على مادون دجلة، فوضعا على كل جريب قفيزًا ودرهمًا" (البلاذري، ، 1988م)، وفي موضع آخر قال: "شهدت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأتاها بن حنيف فجعل يقول: لو وضعت على كل جريب من الأرض درهمًا وقفيزًا من طعام لا يشق ذلك عليهم ولا يجهدهم" (ابن رجب، بلا ت)؛ (ابن القيم الجوزية ، 1981م)، ولم يتحدث عمرو بن ميمون عن نوعية القفيز المدفوع، ويحتمل أن يكون القفيز هو من نوع المحاصيل الماخوذ على أرضها الخراج.

وتعد روايات عمرو بن ميمون ذات اهمية، لأنها لراوي قريب في الزمان والمكان للحدث، مما يعطي لرواياته اهمية خاصة. وما قاله عن مسح أرض السواد، ووضع مقدار من النقود على كل جريب (2400م2) درهما وقفيزا، ويبدو ان عمرو في رواياته قد الغى الضريبة عن باقي المحاصيل الاخر بمثل العنب والنخيل او الرطب او باقي الثمار والمنتجات الزراعية التي تنتجها الارض (ابو عبيد ، بلا ت)؛ (ابن زنجويه، 1986م)؛ (ابن الفقيه، 1422هـ)؛ (الحموي، 1995)؛ (الحنبلي، 1985م)

و في رواية أخرى بين الشعبي ان الإجراءات التي قام بها عمر بن الخطاب بقوله: "إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مسح السواد فبلغ ستة وثلاثين ألف ألف جريب، وأنه وضع. على جريب الزرع درهمًا وقفيزًا، وعلى الكرم عشرة دراهم، وعلى الرطبة خمسة دراهم" (السرخسي ، 1978م)؛ (الصولي، 1922م)

تشير هذه الرواية إلى فرض مبالغ ضريبية نقدية وعينية على الزرع، والأشجار المثمرة فقط، وكذلك لم يوضح إذا كانت هذه الضريبة هي جزية أم خراجًا.

وفي رواية اخرى يشير الى ان الخليفة وضع على االجريب الدرهم او الدرهمين حيث تكون هذه الرواية مهمة، لأنها تشير و لأول مرة إلى استخدام مصطلح خراج في ارض السواد، التي تعنى الضرائب المفروضة على الأرض وعلى الأشخاص، والظاهر أن هذه الإجراءات جاءت تالية، لإضفاء الصبغة الشرعية على مسالة الخراج.

اما ما دفع الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لأنشاء ديوان الخراج بعدما استشار الصحابة والناس في اموال الخراج الطائلة التي قدمت من البحرين والتي بلغت (خمسمائة الف درهم) فأشاروا عليه بديوان الخراج الذي قسم حسب الفئات فبدأ بالصحابة ثم زوجات النبي صلى الله عليه واله وسلم (امهات المؤمنين رضي الله عنهن)، وبعد خراج حمير للقادة الجيوش، والاطفال (ابو يوسف ، بلا-ت)

ومما ظهر فأن مفهوم الخراج بالمعنى الخاص تمحور متأخرًا، مما يجعلنا نذهب إلى إن العرب المسلمين بعد جمعهم المبالغ بشكل اجمالي في بادئ الامر سموها الجزية وكانت جزية على الرؤوس وعلى الارزاق، الا انه بالتدريج وبعد فترات متأخرة قسمت الضريبة على الارض وسميت الخراج والضريبة على الرؤوس وسميت جزية، لذا يدفعنا ذلك الى التأكيد بان العرب المسلمين اختلط عليهم في اول الامر التمييز بين الجزية والخراج باعتبارهما ضرائب منفصلة، والتمييز جاء في الفترات الاحقة (فلهاوزن، 1998م)؛ (بيكر، 1998م).

2-نظرية الخراج عند امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)

ان مسالة الاحياء للأرض وجدت منذ زمن الخليفة عمر بن الخطاب سابقاً. لأن التوسع في العمل الزراعي يظهر جلياً في إصلاح القنوات والجسور، وإقامة السدود، وحفر وتجديد الأنهار، كما حاولت الدولة إضافة إلى مسحها الأرض، وإحصاء السكان –كما حصل في العراق مثلاً– الى عملية اصلاح الضرائب التي تستقطع من المزارعين. زقد شجعت على إعمار الأرض عن طريق إطلاق اليد في إحياء الموات، ربطت ذلك بمدة معينة كي لا يحصل ضرر من جراء التحجير، وعملت علمت على تشجيع ذلك بامتلاك الأرض الا ان ذلك ادى الى عملية البيع والشراء، وفي الارضي لتي يتم إحيائها، كما وان عملية تجفيف المستنقعات، وإرواء الأرض، يعد عملا ذا طابع استثماري، ينمي الأموال، ويحقق حيوية اقتصادية، مما يشير إلى أنَّ اقتصاد الدولة لم يكن جامداً.

فأوجد هذا التوسع في العمل الزراعي، إيجاد فرص عمل كبيرة في الجانب الزراعي، وفي استصلاح الموات بالذات، ومن المعلوم ان لهذا الأمر أهمية كبيرة في تحريك الطاقات المعطلة وزيادة في الثروة ونموها لدى بعض الأفراد.

وبما ان الظرف الذي حكم بها علي بن أبي طالب (ع) كانت صعبة. حيث كانت التقاطعات خصوصاً من قريش كثيرة (الجاحظ، 1969م)، وكان الامام علي قبل ان يتولى الخلافة يعلم ان اتساع الثروة التي امتلكها البعض من اصحاب النفوذ من قريش جاءت من غير وجه حق، فكان همه تعديل الامور ووضع الحق في نصابة فيما اذا حكمهم، وعلى ذكر ذلك قال عبد الله بن عباس: "دخلت على أَمير المؤمنين عليه السلام بذي قار وهو يخصِف نعله فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمةَ لها! فقال عليه السلام: "واللهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ، إِلاَّ أَنْ أُقِيمَ حَقًّا، أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلاً". فعندما تولى الامام علي السلطة انتزع كثيرا من الاملاك كان الخليفة الثالث عثمان بن عفان(رض) منحها الى جماعة خاصة من المسلمين (المسعودي ..، بلا– ت). فقد منع التصرف في اراضي الصواف، وارجعها للامة وتحدث عن الاموال المحصلة من واردها لتلك الجماعة حيث قال: "والله لو وجدته قد زوجت به النساء، وملكت به الاماء، لرددته فان في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور علية اضيق" (بن ابي طالب، بلا ت).

اهتم الامام علي بعمارة الأرض وسهل من إجراءات جباية الخراج من المزارعين كثيرا. فعند تنصيب مالك الاشتر واليا على مصر عهد اليه الامام علي بن ابي طالب عليه السلام كتب اليه عهدا قال فيه: "وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخربَ البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً، فإنْ شكوا ثقلاً أو علَّة، أو انقطاع شرب، أو بالة، أو إحالة أرض اغتمرها غرق، أو أجحف بها عطش، خفَّفت عنهم بما ترجو أنْ يصلح به أمرهم" وكذلك قال: "وانما يؤتى خراب الارض من اعواز اهلها" (علي، 2010م). كما كان يوصي بإصلاح الأنهار، لأن ذلك أعظم فائدة من جباية الخراج واستقرار الأحوال الاقتصادية. وقد كتب في ذلك إلى قرظة بن كعب الأنصاري: "أما بعد فإنَّ رجلاً من أهل الذمة منع ملك، ذكروا نهراً في أرضهم قد عفا، وادفنوا فيه لهم عمارة على المسلمين، فانظر أن توهم، ثُّم أعمر وأصلح النهر، فلعمري لئن يعمروا أحب إلينا من أن يخرجوا وإن يعجزوا أو يقصروا في واجب من صلاح البلاد والسلام" (اليعقوبي، 2004م).

ورفض عليه السلام الاستحواذ على الصوافي وتقسيمها او تمليكها (جودة، 1979م)، قائلاً: "لولا أنْ يضرب بعضكم وجوه بعض، لقسمت هذا السواد بينكم" (ابن ادم، 1384هـ)، وربما كان بدافع قناعته بأنَّ الملكية سبب الاضطرابات والانقسامات، والتطور الذي حدث في نظام الخراج على عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) لم يلزم علي بن أبي طالب(عليه السلام)، ولم يمنع اجتهاد من يأتي بعده من الخلفاء وأولي الأمر، فقد أجرى الخليفة عمر نفسه تعديلاً في خراج الكرم.

عدل الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الخراج وسعى في تنظيم السواد بشكل شامل ودقيق، كي يزيل أية ظاهرة تنتقص من عدالة نظام الخراج، بحيث يظل ملائماً لطاقة الفلاحين وحاجاتهم. فقد بعث مصعب بن يزيد الأنصاري على ما سقى الفرات، "... وأمرني أنْ أضع على كل جريب زرع غليظ من البر درهماً ونصفاً، وصاعاً من طعام، وعلى كل جريب وسط درهماً، وعلى كل جريب من البر الزرع الرقيق ثلثي درهم، وعلى الشعير نصف ذلك، وأمرني أنْ أضع على البساتين الَّتي تجمع النخل، والشجر على كل جريب عشرة دراهم، وعلى جريب الكرم إذا أتت عليه ثلاث سنين، ودخل في الرابعة وأطعم، عشرة دراهم، وألغي الخراج عن كل نخل شاذ عن القرى ما يأكل منه الماره، وألا أضع على الخضروات شيئاً، و المقاثي والحبوب والسمسم (والقطن)" (الدينوري أ.، 1960)؛ (البلاذري، ، 1988م).

ومن خلال ذلك يتضح أن الخراج في عهد الخليفة علي (عليه السلام) زاد نصف درهم فقط على الأرض ذات الزرع الجيد، ونقص ثلثي درهم عن جريب الزرع الرقيق، وبعد أن كان خراج الشعير مساوياً لخراج البر – مع أن البر أغلى ثمناً – صار خراج الشعير على النصف عن البر.

وأعفى الامام علي عليه السلام الأرض التي كانت تزرع بالخضروات من الخراج، وكذلك الحقول التي تتخذ مراعي بعد زراعتها بالحبوب أي ترعى قبل حصادها من قبل الحيوانات، ومن الملاحظ ان هكذا حقول كانت محدودة المساحة. وربما كان الفلاحين يزرعونها لمعيشة حيواناتهم وليس للبيع، لذا كان راي الإمام علي أنْ يعفيها من الخراج . وأعفى النخل والشجر المتفرق الذي يطعم منه ابن السبيل.

الخاتمة

شكل الخراج عماد الاقتصاد، وهو يعني ضريبة الاراضي الزراعية التي تعد من أهم دعائم اقتصاد الدولة مع مراعاة الظروف الزراعة، ولذا اهتم ملوك الإمبراطورية الساسانية بالخراج وقد سنوا له القوانين وقسموا الاراضي ليسهل عليهم احتساب الخراج بسبب اتساع الاراضي، وفي بعض الاحيان جرى تغيير في القوانين من اجل مصالحة الرعية كما حدث ايام الملك قباذ بن فيروز.

اما في عهد الخلافة الراشدة وخاصة بعد فتح العراق فقد استعانوا بقوانين الخراج التي اتبعها قبلهم الساسانيين، فضلا عن اتساع اراضي الخلافة، لكن المسلمين اجتهدوا في مقادير الخراج وتقسيم الاراضي، وعلى الرغم من ان الخراج اساس وركيزة اقتصاد الدولة الا ان الخلفاء اهتموا بأمور الرعية اكثر، كما جاء في وصية الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في عهده الى مالك الاشتر.

هوامش توضيحية

*عنوة : القهر؛ أي فتحت بالقتال، قوتل أهلها حتى غلبوا عليها. اما الاراضي الصلحة وهي عبارة عن الأراضي التي صالحوا عليها مع والي المسلمين وتسمّى هذه بالأراضي الصلحية تارة والخراجية أُخرى ، وهي تكون تابعة لكيفية المصالحة فإن صولحوا على أن تكون الأراضي ملكاً لهم ويؤدّون الخراج كانت مملوكة لهم وإن صولحوا على أن تكون الأراضي ملكاً للمسلمين فلها شانا اخر.

** الجريب : هو مكيال يقدر بأربعة أقفزة، يفيد في المساحة، ويقدر على الأرض (3600 ذراع) وقيل (10000 ذراع)، ويساوي (1592م2)، و ربما يعني العدد، ويقدر بحدود مائة نخلة عند أهل البصرة، ويجمع أجربة وجربان.

*** قباذ بن فيروز: هو قباذ بن فيروز بن يزدجرد، أحد ملوك الفرس الساسانيين، الذي ملك ثلاثا وأربعين سنة بعد عمة بلاسوبنى فيما بين فارس والأهواز، مدينة أرجان، فأسكن فيها سبيهمذان، وبنى مدينة حلوان، مما يلي الماهاب، وبنى مدينة يقال لها: قباذخره، وكان ضعيفا في ولايته.

المراجع

أبو بكر، محمد بن يحيى بن عبد الله (ت335هـ) الصولي. (1922م). *أدب الكتاب*. (تصحيح: محمد بهجت الأثري، المحرر) بغداد: المكتبة العربية.

بن ابي طالب . علي. (2010م). *عهد مالك الاشتر* (المجلد ط1). (اعداد فليح السوداني، المحرر) العتبة العلوية.

. (ت القرن السادس الهجري)، ابن البلخي . (2012م). *فارسنامة*. (تحقيق وترجمة: يوسف الهادي، المترجمون) القاهرة.

. . E.G. Bromne .(1909) .*A literary History of Persia* .London

. . المسعودي. (بلا– ت). *التنبيه والإشراف*. (تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، المحرر) القاهرة: دار الصاوي.

إبراهيم بن محمد الفارسي إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري . (2004). *المسلك والممالك*. بيروت: دار صادر.

ابو الحسن عل بن محمد بن حبيب البصري(450هـ) الماوردي . (بلا– ت). *الاحكام السلطانية* (المجلد ط1). (بن مبارك البغدادي تحقيق: احمد، المحرر) الكويت: مكتبة دار بن قتيبة.

ابو الحسن عمي بن اسماعيل (ت458هـ) ابن سيدة. (1996 م). *المخصص*. (تحقيق: جميل ابراهيم، المحرر) بيروت: دار صادر.

ابو الحسن علي محمد حبيب البصري(450هـ) الماوردي. (بلا ت). *الاحكام السلطانية*. الكويت: مكتبة دار بن قتيبه.

أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي(ت795هـ) ابن رجب. (بلا ت). *الاستخراج لأحكام الخراج، ، ،*. (تصحيح عبد الله الصديق، المحرر) بيروت: دار المعرفة.

ابو بكر شمس الدين، محمد بن الحسن الشيباني (ت490هـ) السرخسي . (1978م). *المبسوط*. بيروت: دار المعرفة.

أبو عبد الله محمد بن عبدوس(ت331هـ) الجهشياري. (1938). *الوزراء والكتاب*. (تحقيق وفهرسة: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، المحرر) القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي.

ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الدمشقي، (ت751هـ) ابن القيم الجوزية . (1981م). *أحكام أهل الذمة* (المجلد ط2/). (تحقيق: صبحي الصالح، المحرر) بيروت: دار العلم للملايين.

أبو عبد الله محمد بن منيع البصري، (ت320هـ) ابن سعد، (1996 م). *الطبقات الكبرى*. بيروت: دار صادر.

أبو عثمان عمرو بن بحر(ت255هـ) الجاحظ. (1969م). *المحاسن والأضداد*. بيروت: دار صعب.

أبو علي أحمد بن محمد مسكويه. (1978م). *تجارب الأمم، ، ج2، ط1* (المجلد ط1). (تحقيق أبو القاسم أمامي، المحرر) طهران: دار سروش للطباعة والنشر.

ابو علي أحمد بن محمد مسكويه. (1978م). *تجارب الأمم* (المجلد ط1). (تحقيق أبو القاسم أمامي، المحرر) طهران: دار سروش للطباعة والنشر.

ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور. (1414هـ). *لسان العرب* (المجلد ط3). بيروت: دار صادر.

ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(711هـ) ابن منظور. (1414هـ). *لسان العرب*. بيروت، لبنان: دار صادر.

احمد بن اسحاق ين بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد 292هـ) ابن الفقيه. (1422هـ). *البلدان* (المجلد ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

احمد . الشرباصي. (1981م). *المعجم الاقتصادي الإسلامي*. بلا م: دار الجيل.

احمد . أمين. (1975). *فجر الإسلام* (المجلد ط 11). بيروت: دار الكتاب العربي.

احمد . سوسه. (1983م). *تاريخ حضارة وادي الرافدين*. بغداد: دار الحرية للطباعة.

احمد . شلبي. (1974). *السياسة والاقتصاد في التفكير الاسلامي* (المجلد ط3). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

احمد بن ابي يعقوب اسحاق بن واضح (ت292هـ) اليعقوبي. (2004م). *تاريخ اليعقوبي*. (منصور . تحقيق جميل ، المحرر) ايران.

احمد بن داود (282هـ) الدينوري . (1960 م). *الأخبار الطوال* (المجلد ط1). (تحقيق: عبد المنعم عامر، المحرر) القاهرة: دار إحياء الكتب العربي – عيسى البابي الحلبي وشركاه.

أحمد بن داود (282هـ) الدينوري. (1960). *الأخبار الطوال* (المجلد ط1). (تحقيق: عبد المنعم عامر، المحرر) القاهرة: دار إحياء الكتب العربي – عيسى البابي الحلبي وشركاه.

أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القريشي البكري (ت 733هـ) النويري. (1423 هـ). *نهاية الأرب في فنون الأدب* (المجلد ط1). القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.

احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم النويري. (1423 هـ). *نهاية الأرب في فنون الأدب* (المجلد ط1). القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.

أحمد بن علي بن محمد بن أحمد(ت852هـ) ابن حجر العسقلاني. (1326هـ). *تهذيب التهذيب* (المجلد ط1). الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية.

أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279هـ) البلاذري، . (1988م). *فتوح البلدان*. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

ارثر . كرستنسن. (بلا–ت). *ايران في عهد الساسانيين*. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس(ت331هـ). (1938م). *الوزراء والكتاب*. (تحقيق وفهرسة: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، المحرر) القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي.

القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت 224هـ) ابو عبيد . (بلا ت). *كتاب الاموال*. (تحقيق: خليل محمد هراس، المحرر) بيروت: دار الفكر.

الكهف. (اية 94).

المؤمنون. (اية 72).

جمال محمد جودة. (1979م). *العرب والأرض في العراق في صدر الإسلام، ص131*. الأردن: الشركة العربية للطباعة والنشر.

حسين . مؤنس. (1987). *أطلس تاريخ الإسلام* (المجلد ط1). مصر .

حسين مدرسي طباطبائي. (1362 هـ.ش). *زمين در فقه اسلامي*. تهران: دفتر نشر فرهنك اسلامي.

حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني (ت251هـ) ابن زنجويه. (1986م). *الاموال* (المجلد ط1). (تحقيق: شاكر ذيب فياض، المحرر) السعودية: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

دانيل . دينيت . (1960م). *الجزية والإسلام*. (ترجمة فوزي فهيم جاد الله، المترجمون) بيروت: مكتبة الحياة مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.

زكريا محمد بيومي. (1979م). *المالية العامة الإسلامية " دراسة مقارنة بين مبادئ المالية العامة في الدولة الإسلامية والدولة الحديثة*. مصر: دار النهضة العربية ومطبعة جامعة القاهرة.

عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت 795هـ) الحنبلي. (1985م). *الاستخراج لأحكام الخراج* (المجلد ط1). لبنان: دار الكتب العلمية، بيروت.

عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ) ابن الجوزي . (1992 م). *المنتظم في تاريخ الأمم والملوك* (المجلد ط1). (عبد القادر عطا تحقيق: محمد ، و عبد القادر عطا ومصطفى ، المحررون) بيروت: دار الكتب العلمية.

عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276) ابن قتيبة. (1992 م). *المعارف* (المجلد ط2). (تحقيق: ثروت عكاشة، المحرر) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عبدالعزيز . الدوري . (2008م). *النظم الإسلامية* (المجلد ط2). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

علي بن الحسين (ت 346هـ)، المسعودي. (بلا ت). *أخبار الزمان ومن أبادها لحدث انوع جائب البلدان والغامر بالماء والعمران*. (تحقيق :عبدالله الصاوي، المحرر) بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.

علي . بن ابي طالب. (بلا ت). *نهج البلاغة*. بلا م: شرح محمد عبده.

غياث الدين بن همام الحسني خواند امير . (2016). *تاريخ حبيب السير في أخبار البشر*. (تقديم جلال الدين هاني، المحرر) ايران: مطبعة حيدري.

غيداء خزنة كاتبي. (1994م). *الخراج من الفتح الاسلامي حتى اواسط القرن الثالث الهجري* (المجلد ط1). بيروت– لبنان: مركز الدراسات الوحدة العربية.

فالتر . هنتس . (1970م). *المكاييل والأوزان الاسلامية، ترجمة: كامل العسلي*. عمان: منشورات الجامعة الاردنية.

فان . فلوتن. (1934م). *السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات في عهد بني أمية* (المجلد ط1). (ترجمة: حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم، المترجمون) مصر: مطبعة السعادة.

فراهاني معصومي نيا رضائي. (2000). *نظام مالي دولتهاى مسلمان*. تهران: بزوهشكاه فرهنك وانديشه اسلامي.

قدامة بن زياد البغدادي(377هـ) ابن قدامه. (1981م). *الخراج وصناعة الكتابة* (المجلد ط1). بغداد: دار الرشيد للنشر.

كارل . بيكر. (1998م). *الجزية، دائرة المعارف الإسلامية،ج6*. (ترجمة: أحمد الشناوي، المترجمون) الإمارات: مركز الشرق للإبداع الفكري، الشارقة.

محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت 748هـ) الذهبي. (1998م). *تذكرة الحفاظ* (المجلد ط1). لبنان: دار الكتب العلمية بيروت.

محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمل الطبري . (1387 هـ). *تاريخ الرسل والملوك*. بيروت: دار التراث.

محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت 245هـ) ابن حبيب . (بلا- ت). *المحبر*. (تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، المحرر) بيروت: دار الآفاق الجديدة.

محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى (ت1205هـ) الزبيدي . (بلا ت). *تاج العروس من جواهر القاموس*. الكويت: بلا دار نشر.

محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت 630هـ) ابن الاثير. (1997م). *الكامل في التاريخ* (المجلد ط1). (تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المحرر) بيروت –لبنان: دار الكتاب العربي.

محمد ضياء الدين الريس. (1961م). *الخراج* (المجلد ط2). مصر: مكتبة الانجلو المصرية.

محمود . الجميلي. (2005م). *المكاييل والاوزان والنقود العربية*. بلا م: دار الغرب الإسلامي.

مرتضى (1214-1281 هـ) الانصاري . (بلا-ت). *المكاسب*. (محمد كلانتر تحقيق وتعليق ، المحرر) بيروت: النور للمطبوعات.

ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626هـ) الحموي. (1995). معجم *البلدن*. بيروت: دار صادر.

يحيى بن سليمان القرشي الكوفي (ت 203هـ) ابن ادم. (1384هـ). *الخراج* (المجلد ط2). بلا م: المطبعة السلفية ومكتبتها.

يعقوب بن ابراهيم الانصاري ابو يوسف . (بلا-ت). *الخراج*. بيروت: دار المعرفة.

يوليوس . فلهاوزن. (1998م). *الدولة العربية وسقوطه* . (ترجمة: يوسف العش، المترجمون) دمشق: مطبعة الجامعة السورية.

المصادر الاجنبية

E.G. Browne: "A literary History of Persia". London,1909.PP.181-182

ترجمة المصادر

Abu Ubaid, Al-Qasim bin Salam bin Abdullah Al-Harawi Al-Baghdadi (d. 224 AH), The Book of Money, edited by: Khalil Muhammad Harras, Dar Al-Fikr - Beirut.

Abu Yusuf, Yaqoub bin Ibrahim Al-Ansari, (d. 183 AH), Al-Kharaj, Dar Al-Ma'rifa, Beirut.

Abu Yusuf, Yaqoub bin Ibrahim bin Habib bin Saad bin Habta Al-Ansari (d. 182 AH,(

Al-Baladhuri, Ahmed bin Yahya bin Jaber bin Daoud (d. 279 AH), Futouh al-Buldan, Al-Hilal House and Library - Beirut, 1988 AD.

Al-Dhahabi, Muhammad bin Ahmed bin Othman bin Qaymaz (d. 748 AH), Tadhkirat al-Huffaz, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut-Lebanon, 1419 AH/1998.

Al-Dinuri, Ahmed bin Daoud (282 AH), Al-Akhbar Al-Tawal, edited by: Abdel Moneim Amer, 1st edition, Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabi - Issa Al-Babi Al-Halabi and Partners / Cairo, 1960 AD.

Al-Hamwi, Yaqut bin Abdullah Al-Rumi Al-Hamwi (d. 626 AH), Dictionary of Countries, 2nd edition, Dar Sader, Beirut, 1995 AD.

Al-Hanbali, Abd al-Rahman bin Ahmad bin Rajab (d. 795 AH), Extraction of the Rulings of Tax, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 1405 AH - 1985 AD.

Ali bin Abi Talib, Nahj al-Balagha, Sharh Muhammad Abduh, Part 1.

Ali bin Abi Talib, the era of Malik Al-Ashtar, prepared by Falih Al-Sudani, 1st edition, Al-Ataba Al-Alawiya, 2010 AD.

Al-Istakhri, Ibrahim bin Muhammad Al-Farisi Al-Karkhi (d. 346 AH), Paths and Kingdoms, Dar Sader, Beirut, 2004 AD.

Al-Jahiz, Abu Othman, Amr bin Bahr (d. 255 AH), Advantages and Opposites, Dar Saab, Beirut, 1969 AD.

Al-Jahshiyari, Abu Abdullah Muhammad bin Abdos (d. 331 AH), Ministers and Writers, edited and indexed by: Mustafa Al-Saqqa, Ibrahim Al-Abiyari, and Abdul Hafeez Al-Shalabi, Mustafa Al-Babi Library and Press, Cairo, 1938 AD.

Al-Karkhi, Abu Ishaq, Ibrahim bin Muhammad Al-Farisi Al-Istakhri (d. 346 AH), Masalik Al-Mamalek, Al-Nasr Foundation Publications.

Al-Masoudi, Ali bin Al-Hussein (d. 346 AH), Akhbar Al-Zaman and those who exterminated it for a unique event that invaded countries and immersed in water and urbanization, edited by: Abdullah Al-Sawy, Dar Al-Andalus for Printing, Publishing and Distribution, Beirut.

Al-Masoudi, Al-Tanbih wal-Ashraf, edited by: Abdullah Ismail Al-Sawy, Dar Al-Sawy - Cairo, without a copy.
Al-Mawardi, Abu Al-Hasan Ali bin Muhammad bin Habib Al-Basri (450 AH), Royal Provisions, edited by: Ahmed bin Mubarak Al-Baghdadi, 1st edition, Dar Bin Qutaybah Library, Kuwait, without a copy.
Al-Nuwairi, Ahmed bin Abdul-Wahhab bin Muhammad bin Abdul-Daim al-Qurashi al-Bakri, (d. 733 AH), Nihayat al-Arb fi Funun al-Adab, 1st edition, National Library and Archives, Cairo, 1423 AH.
Al-Sarkhasi, Abu Bakr, Shams Al-Din, Muhammad bin Al-Hasan Al-Shaybani (d. 490 AH), Al-Mabsut, vol. 10, Dar Al-Ma'rifa, 1978 AD.
Al-Shafi'i, Muhammad bin Idris bin Al-Abbas bin Othman bin Shafi' bin Abd al-Muttalib bin Abd Manaf al-Muttalabi al-Qurashi al-Makki (d. 204 AH), Al-Umm, Dar al-Ma'rifa - Beirut, 1410 AH/1990.
Al-Sharbasi, Ahmed, Islamic Economic Dictionary, Dar Al-Jeel, 1981 AD.
Al-Souli, Abu Bakr, Muhammad bin Yahya bin Abdullah (d. 335 AH), Literature of the Book, edited by: Muhammad Bahjat Al-Athari, Arab Library, Baghdad, 1922 AD.
Al-Tabari, Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Kathir bin Ghalib Al-Amli (d. 310), History of the Messengers and Kings, Dar Al-Turath - Beirut, 1387 AH.
Al-Yaqubi, Ahmad bin Abi Yaqoub Ishaq bin Wadh (d. 292 AH), History of Al-Yaqubi, edited by Jamil Mansour, vol. 1, Iran, 2004 AD.
Al-Zubaidi, Muhammad bin Muhammad bin Abdul Razzaq Al-Murtada (d. 1205 AH), Taj Al-Arous from Jawaher Al-Qamoos, Kuwait, without a copy.
First: the original sources.
Ibn Adam, Yahya bin Adam bin Sulaiman al-Qurashi al-Kufi (d. 203 AH), Al-Kharaj, 2nd edition, Salafi Press and its Library, 1384 AH, p. 23
Ibn al-Atheer, Ali bin Abi al-Karam Muhammad bin Muhammad bin Abdul Karim bin Abdul Wahid al-Shaybani al-Jazari (d. 630 AH), Al-Kamil fi al-Tarikh, edited by: Omar Abdul Salam Tadmuri, 1st edition, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut - Lebanon, 1417 AH / 1997 AD.
Ibn al-Balkhi (d. sixth century AH), Farsnama, edited and translated by: Youssef al-Hadi, Cairo, 2012 AD.
Ibn al-Faqih, Ahmad bin Ishaq bin Jaafar bin Wahb bin Wadh (died after 292 AH), Al-Buldan, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1422 AH.
Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman bin Ali bin Muhammad (d. 597 AH), The Regulator in the History of Nations and Kings, edited by: Muhammad Abd al-Qadir Atta and Mustafa Abd al-Qadir Atta, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1412 AH - 1992 AD.
Ibn Habib, Muhammad bin Habib bin Umayyah bin Amr Al-Hashemi Al-Baghdadi (d. 245 AH), Al-Mukhbar, edited by: Else Lichten-Stetter, New Horizons House, Beirut, no-t.
Ibn Hajar Al-Asqalani, Ahmad ibn Ali ibn Muhammad ibn Ahmad (d. 852 AH), Tahdheeb al-Tahdheeb, 1st edition, Al-Encyclopedia Press, India, 1326 AH.
Ibn Manzur, Abi al-Fadl Jamal al-Din Muhammad bin Makram (711 AH), Lisan al-Arab, Kharj material, 3rd edition, Dar Sader - Beirut, 1414 AH.
Ibn Manzur, Abi al-Fadl Jamal al-Din Muhammad bin Makram, Lisan al-Arab, Kharj material, vol. 2, Dar Sader, Beirut.
Ibn Qadamah, Qudama bin Ziyad Al-Baghdadi (377 AH), Al-Kharaj and the Writing Industry, 1st edition, Dar Al-Rasheed for Publishing, Baghdad, 1981 AD.
Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Abu Abdullah, Muhammad bin Abi Bakr al-Dimashqi, (d. 751 AH), Rulings of the People of the Dhimmah, edited by: Subhi al-Saleh, 2nd edition, Dar al-Ilm Lil-Millain, Beirut, 1981 AD.
Ibn Qudamah Al-Maqdisi, Muwaffaq Al-Din Abdullah bin Ahmed bin Muhammad bin Qudamah Al-Maqdisi Al-Dimashqi Al-Hanbali (d. 620 AH), Al-Mughni, without print, Al-Qahir Library, 1968 AD.
Ibn Qutaybah, Abdullah bin Muslim bin Qutaybah al-Dinouri (d. 276 AH), Al-Ma'arif, edited by: Tharwat Okasha, 2nd edition, Egyptian General Book Authority, Cairo, 1992 AD.

Ibn Rajab, Abu Al-Faraj, Abd al-Rahman bin Ahmad al-Hanbali (d. 795 AH), Extraction of the Rulings of Tax, edited by Abdullah al-Siddiq, Dar al-Ma'rifa, Beirut.

Ibn Saad, Abu Abdullah, Muhammad bin Mani' Al-Basri, (d. 320 AH), Al-Tabaqat Al-Kubra, vol. 6, Dar Sader, Beirut. Ibn Sayyida, Abu Al-Hasan Ammi bin Ismail (d. 458 AH), Al-Mukhsas, edited by: Jamil Ibrahim, Beirut, 1996 AD.

Ibn Zangawayh, Humaid bin Mukhlid bin Qutaybah bin Abdullah Al-Khurasani (d. 251 AH), Money, edited by: Shaker Theeb Fayyad, 1st edition, King Faisal Center for Research and Islamic Studies, Saudi Arabia, 1406 AH / 1986 AD.

Khawand Amir, Ghiyath al-Din bin Hammam al-Hasani, History of Habib al-Sir fi Akhbar al-Bishr, presented by Jalal al-Din Hani, Heydari Press, Iran, ed.

Miskawayh, Abu Ali, Ahmed bin Muhammad, Experiences of Nations, edited by Abu al-Qasim Imami, vol. 2, 1st edition, Soroush Printing and Publishing House, Tehran, 1978 AD.

Murtada Al-Ansari, d. 1214-1281 AH, Al-Makasib, Part 4, edited and commented by, Mr. Muhammad Kalantar, Al-Nour Publications, Beirut.

Qudamah bin Jaafar, Abu Al-Faraj, Qudamah bin Jaafar bin Ziyad Al-Baghdadi (d. 328 AH), Abscess and the writing industry, edited by: Muhammad Hussein Al-Zubaidi, Iraqi Ministry of Culture and Information, Dar Al-Rashid, Iraq, 1981 AD.

Touch Oudi, The Meadows of Gold and the Minerals of the Essence, 5th edition, Dar Al-Andalus, Beirut - Lebanon, 1983 AD.

الرحالة المغاربة والأندلسيين في القرنين الخامس والسادس الهجريين

عذراء علي حسن أ. د. بثينة جبار زاجي الغزي

athraaa134@gmail.com buthinazaji@gmail.com

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم التاريخ

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى كشف الصورة الأخرى في كتب الرحالة المغاربة والأندلسيين وتمحيصها من خلال ما قدمه الرحالة الأندلسيون والمغاربة في مؤلفاتهم، وما حملته بين طياتها من الأخبار والحوادث والوقائع ساهم الرحالة العرب الذين عاشوا في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) عبر أعمالهم في تجسيد الانفتاح الثقافي والمعرفي على العالم الخارجي، وتسعفنا هذه الرحلة في رؤية العالم، والوقوف على عدد كبير من مظاهر الحضارة الإنسانية، بحيث نسافر مع الرحالة ونتأمل ما تجود به قرائحهم، فالرحلة هدف يطمح إليه العقل مع الأخذ بعين الاعتبار، وكان لهؤلاء الرحالة الفضل الكبير على الباحثين من الجغرافيين والمؤرخين، وقد تركوا كنوزا من المصنفات تحولت إلى رصيد حضاري إنساني.

الكلمات المفتاحية: الرحالة، الرحلات، البيروني، ابن جبير، المراكشي

Moroccan and Andalusian travelers in the fifth and sixth centuries AH

Adhraa Ali Hassan prof. Buthaina Jabbar Zaji Al-Ghazi

athraaa134@gmail.com buthinazaji@gmail.com

Al-Mustansiriya University, College of Education , Department of History

Abstract:

This study aims to reveal the other image in the books of Moroccan and Andalusian travelers and scrutinize it through what the Andalusian and Moroccan travelers presented in their writings, and the news, incidents and facts they contained within them. The Arab travelers who lived in the fourth century AH (tenth century AD) contributed through their works to embodying cultural openness. And knowledge about the outside world, and this journey helps us to see the world, and learn about a large number of aspects of human civilization, so that we travel with the travelers and contemplate what they have in their minds. The journey is a goal that the mind aspires to, taking into account, and these travelers had great credit for the geographers. Historians have left behind treasures of works that have turned into a human cultural asset.

Keywords: travelers, travels, Al-Biruni, Ibn Jubayr, Al-Marrakshi

المقدمة

ترك الرحالة العرب الأوائل نتاجاً غزيراً في مجال الرحلات، وامتازت رحلاتهم البديعة بمزايا عديدة، توقف عندها الاكاديميين والباحثون كثيراً، ولا سيما المستشرقون الذين أشبعوا هذه الرحلات دراسة وتمحيصاً وتحقيقاً، وتوصلوا إلى حقيقة هامة وهي أن الرجل العربي كان يحب الترحال والتنقل من بلد إلى بلد، يدفعه إلى ذلك حب الاستطلاع والاستكشاف، وكله أمل في ملاقاة عوالم أخرى وشعوب مختلفة ليعود إلى مسقط رأسه فرحاً يقص على الناس أخبار رحلاته.

وفي هذا البحث حاولت الباحثة الكتابة عن أشهر الرحالة العرب، والتعريف بنتاجهم في الرحلات، مع اقتطاف نصوص مختارة من هذه الرحلات، واعتمدت في ترتيبهم على التسلسل الزمني. وكل الذين كتب لهم عرب خلص

باستثناء البيروني، وقد أضفتهم هنا لأنهم نشأوا على الثقافة العربية ويتكلمون اللسان العربي، ولأنهم في الأساس كتبوا نصوص رحلاتهم باللغة العربية.

اولاً: محمد البيروني(ت: 440هـ)

محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي[*] علامة وأديب وفيلسوف ورحالة، يكنى أبا الريحان، أكبر رحالة فيلسوف عند العرب في القرن الخامس الهجريم/ الحادي عشر الميلادي (الصفدي، 2000، صفحة 65)

ولد سنة 362هـ وبرز كأكبر شخصية علمية إبان النصف الأول من القرن الخامس الهجري، إلى حد أن أطلق جورج سارتون، وهو مؤرخ تاريخ العلوم الشهير، على النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي اسم عصر البيروني (فهيم، 1989، الصفحات 65-66)، وهو فارسي من إقليم خوارزم (فهيم، 1989، صفحة 65)، ورغم فارسيته[*] إلا أنه من ذوي العقول المتفلسفة الكبيرة التي يفخر بها العرب (الطباع، الهاشمي، و البيروني، 1993، صفحة 69) ، ولقد أجمع الباحثون العرب والمستشرقون على علو شأن البيروني بين الرحالة العرب والمؤرخين المسلمين وأن منهجه قد تميز على غيره في كثير من الأمور حتى اعتبره البعض منهجاً علمياً في وصف ودراسة الحضارات الإنسانية وقد كانت وفاته سنة 440هـ، بعد رحلة حياة كانت حافلة بالعطاء العلمي المنقطع النظير(الطباع، الهاشمي، و البيروني، 1993، صفحة 95).

وصف رحلته:

للرحالة البارز محمد البيروني كتاب نفيس في فن الرحلة العلمية أسماه تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة وهو نتاج رحلة علمية قام بها إلى الهند بعد أن صحب السلطان محموداً الغزنوي في فتوحاته المشهورة بالهند، واستقر فيها أربعين عاماً يدرس ويفحص، واستطاع أن يتعلم لغتها القديمة السنسكريتية(فهيم، 1989، صفحة 65)وكانت علاقة البيروني بالسلطان الغزنوي قوية، وكان الغزنوي يعرف منزلة البيروني العلمية، فلذلك جاء به من خوارزم إلى غزنه (فهيم، 1989، صفحة 66)، و(انضم البيروني إلى ركب السلطان المشار اليه عند فتحه للهند، وقام برحلات وجولات بالهند) (فهيم، 1989، صفحة 126) وكتابه المشار اليه ليس رحلة بالمعنى الذي نعرفه في كتب الرحلات، وإنما هو موسوعة الجغرافية الهند وتاريخها ومعارفها في العلوم وخاصة الرياضة والفلك، ويتحدث في رحلته هذه عن قضائهم وعقوباتهم وكفاراتهم وما عندهم من تأديب وتفريم ومواريثهم وحرقهم لموتاهم وصيامهم وأعيادهم وأفراحهم وأيامهم المعظمة وأوقاتهم المسعودة والمنحوسة لاكتساب الثواب ومجامعهم وأنهارهم المقدسة وما يؤمنون به من أحكام النجوم، وكل ما يسمهم في عاداتهم وطباعهم (فهيم، 1989، الصفحات 65-66). وبعد الكتاب وثيقة تاريخية إثنوجرافية، والبيروني لم يدرس طبيعة هذه البلاد وأحوال سكانها فحسب، بل درس كذلك لغتها وآدابها في مختلف بيئاتها، ووقف بنفسه على رسومها وتقاليدها، وهو فيما يكتبه عنها يعتمد على ما شاهده بنفسه وسمعه بأذنيه أكثر مما يعتمد على ما قرأه وإن البيروني قد وضع أساساً منهجياً هاماً تشكلت على أساسه انطلاقة الدراسات الحقلية الإثنوجرافية[*] التي أدت بدورها إلى نقلة كبرى من الاتجاه النظري التطوري في دراسة الحضارة الإنسانية، وكان البيروني محيطاً إحاطة جيدة بمعارف

---

[*]البيروني الخوارزمي: وهذه النسبة معناها البراني ، لأن بيرون بالفارسية معناه برا ، كما ان مقامه بخوارزم كان قليلاً ، وأهل خوارزم يسمون الغريب بهذا الاسم، كأنه لما طالت غربته عنهم صار غريباً، وما أظنه يراد به إلا أنه من أهل الرستاق، يعني أنه من برا البلد. ينظر: (الحموي، 1993، الصفحات 2330/1-2331)

[*]لم تكن عند البيروني نزعة شعوبية تجاه العرب كما ادعى بعض المستشرقين، بل كان على العكس من ذلك تماماً محباً للعرب وللغة العربية التي جعل منها لغة العلم والحضارة، وازرى على لغته الأم الفارسية ورأى أنها (لا تصلح إلا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية). (الطباع، الهاشمي، و البيروني، 1993، الصفحات 58-59)

[*]الإثنوجرافية: كلمة معربة تعني الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين، خلال فترة زمنية محددة. ينظر: (فهيم، 1989، الصفحات 18-19)

عصره، الأمر الذي انعكس على مادة كتابه عن الهند، وكتبه الأخرى على حد سواء، وكما كان رحالة ومؤرخاً وفيلسوفاً، فقد كان كذلك عالماً اثنوجرافيا (فهيم، 1989، صفحة 66).

نصوص مختار من رحلته

(طعام أهل الهند) الإماتة في الأصل محظورة عليهم بالإطلاق، كما هي على النصارى والمانوية(*)، ولكن الناس يقومون (فهيم، 1989، الصفحات 64-66)إلى اللحم وينبذون فيه وراء ظهورهم كل أمر ونهي، فيصير ما ذكرناه مخصوصاً بالبراهمة(*) لاختصاصهم بالدين ومنع الدين إياهم عن إتباع الشهوات، كالمثال فيمن هو فوق أساقفة النصارى من مطران وجاثليق، وبطرق دون من يسفل عنهم من قس، وشماس إلا من تبرهن منهم زيادة على رتبته، وإذا كان الأمر هذا أُبيحت الإماتة بالتخنيق، وإمساك النفس في بعض الحيوان دون بعض وحرمت الميتة من المباحات إذا ماتت حتف أنفها، فأما المباحات فهي الضأن والمعز والظباء والأرانب وكندة القرني الأنف والراريج (الفراريج) والحمام والطواويس وما لا تعافه النفس مما لم يرد به حظر، والمنصوص على تحريمه البقر والخيل والبغال والأحمرة والأبعرة والفيلة والدجاج الأهلية والغربان والببغاء والشارك وبيض جميعها بالإطلاق والخمر إلا لشودر(*)، فإن شربها مباح له وبيعها محظور عليه كبيع اللحم، وقد قال بعضهم إن البقر كان قبل (بهارث) مباحاً، ومن القرابين ما فيه قتل البقر إلا أنه حرم بعد بهارث لضعف طباع الناس عن القيام بالواجبات كما جعل بيذ(*)وهو في الأصل واحد أربعة أقسام تسهيلاً على الناس، وهذا كلام قليل المحصول فإن تحريم البقر ليس بتخفيف ورخصة، وإنما هو تشديد وتضييق، وسمعت غير هؤلاء يقولون: إن البراهمة كانت تتأذى بأكل لحمان البقر، لأن بلادهم جروم، وبواطن الأبدان فيها باردة والحرارة الفريزية فيها فاترة، والقوة الهاضمة ضعيفة يقوونها بأكل أوراق التنبول عقب الطعام ومضغ الفوفل فيلهب التنبول بحدته الحرارة وينشف ما عليه من النورة البلة، ويشد الفوفل الأسنان واللثة ويقبض المعدة، ولما كان كذلك حظروه للغلظ والبرودة. (فهيم، 1989، صفحة 66)

ثانياً: ابن جبير(ت: 450هـ)

محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي شاعر وأديب ورحاله، ولد في مدينة بلنسية سنة (540هـ / 1145م)، وكان أصل أسرته من بلدة شاطبة، واهتم والده بتربيته، فدرس العلوم الدينية واللغوية، وبدأ نبوغه مبكراً وسرعان ما أن تيقظت فيه مواهبه الأدبية، فاخذ في قرض الشعر، وكان يكنى بأبي الحسن وبعد أن لمع اسمه، ألحقه حاكم غرناطة أبو عثمان سعيد بن عبد المؤمن بكتاب ديوانه، وخَفَّ على نفسه، فكان يحضره مجلس شرابه، وكان ينقبض عن الشرب، فألح عليه الحاكم أن يشرب معه، وأقسم عليه ليشر بن سبعاً، وجاراه، فشرب سبع كؤوس وسُرّ الأمير، وملأ له الكأس بالدنانير سبع مرات، وصبها في حجره، فأصر في نفسه أن يكفر عن سيئته، وأن ينفق هذه الدنانير في الحج إلى بيت الله، ولم يلبث أن أعلن عزمه لأبي عثمان، وأنه حلف بأيمان لا محيص له من البربها، فأعانه على ما ابتغاه، وكانت هذه الحادثة وراء قيامه برحلته المشهورة إلى المشرق(فهيم، 1989، صفحة 70)

(*)المانوية: هم أعوان الملوك من البراهمة، وتعاليم مانو نصت على تقديس طبقة رجال الدين من البراهمة وأوجب على الملوك احترامهم وجعلت أملاكهم مقدسة لا يعتدى عليها وهم أعوان الملك في سلطانهم النبواقراطي المستمد من الإله برهما. (غانم، 1989، صفحة 207/1).

(*)البراهمه: هم رجال الدين وهم حسب النظام الديني للهندوس يأتون في الدرجة الأولى بين طبقات أبناء المجتمع الهندي، وأشرف الطبقات الهندية هي طبقة البراهمة ويزعم البراهم أنهم خلقوا من رأس (براهم) وحيث خلقوا من رأس براهم فهم نقاوة الجنس ولذلك المجتمع الهندي يرى البراهمة على أنهم خير البشر. ينظر: (غانم، 1989، الصفحات 203-204).

(*)الشودر: يأتون في الطبقة الرابعة من طبقات المجتمع الهندي ويطلق عليهم لقب الخدم. ينظر: (غانم، 1989، صفحة 208).

(*)بيذ: كتاب مقدس عند الهنود نسبوا ما جاء به إلى الله تعالى على لسان براهم ويتلوه البراهمة ينظر: (غانم، 1989، صفحة 207).

وصف رحلته:

قامت شهرة ابن جبير على كتابه الذي عُرف باسمه رحلة ابن جبير، إذ أنه جاء ثمرة لرحلات ثلاث قام بها، أهمها رحلة استغرقت أكثر من ثلاث سنوات وقد بدأها في سنة 578هـ، وختمها في سنة 581هـ، وقد جاء هذا الكتاب حافلاً بالمشاهد والتجارب التي اكتسبها أثناء تجواله في عجائب البلدان والمدن ورؤيته لغرائب المشاهد، واطلاعه على الشؤون والأحوال السياسية والاجتماعية والأخلاقية التي كانت سائدة في تلك الحقب من الزمن (الاندلسي، 2003، صفحة 5)وابتدأ مسار رحلته من غرناطه في سنة 578هـ / سنة 1183م، وركب البحر في سفينة لبعض أهل جنوة قاصداً إلى الإسكندرية ونزل بها، وولى وجهه إلى القاهرة ومنها إلى قوص بصعيد مصر، ثم عيذاب حيث اجتاز البحر إلى جدة واتجه من فوره إلى مكة، فادى فريضة الحج وزار المدينة، وظل في هذه البلاد المقدسة نحو ستة أشهر ثم قصد إلى الكوفة، ثم بغداد والموصل ولم يمر مروراً عابراً بهذه البلاد، بل كان يمكث بعض الوقت يدرس ويفحص، وانتقل إلى الشام وكان للصليبيين فيها مستعمرات كثيرة، فجاس خلال ديارهم، وأخيراً ركب البحر من عكا عائداً إلى بلاده على مركب مسيحي، وألمت المركب بصقلية، فنزل فيها وطاف ببلادها، ثم رحل إلى بلاده ووصل إليها في سنة 581هـ / سنة 1185م، ورحل ابن جبير إلى المشرق بعد هذه الرحلة مرتين، فإنه سمع بفتح صلاح الدين لبيت المقدس واستيلائه عليه من أيدي الصليبيين، فحدثته نفسه أن يزور هذه الأماكن وعلم الإسلام والعرب يرفرف عليها، ولم يلبث أن رحل رحلته الثانية في سنة 585هـ / 1189م وعاد إلى بلاده في سنة 587هـ / 1191م، وماتت زوجه فحزن عليها حزناً شديداً، وقد خصها بديوان شعره، ولم يجد عزاء إلا أن يُحج إلى بيت الله، فرحل رحلته الثالثة في سنة 614هـ / 1217م وأقام بمكة مدة، ثم تحول عنها إلى الإسكندرية، وأقام بها يُحدث ويؤخذ عنه إلى أن لبى نداء ربه، وكانت وفاته سنة 614هـ / 1217م (فهيم، 1989، الصفحات 70-94).

نصوص مختارة من رحلته

(مستشفى للمجانين) المارستان في مدينة القاهرة، وهو قصر من القصور الرائقة حسناً واتساعاً أبرزه لهذه الفضيلة تأجراً واحتساباً وعيّن قيماً من أهل المعرفة وضع لديه خزائن العقاقير ومكنه من استعمال الأشربة واقامتها على اختلاف أنواعها، ووضعت في مقاصير ذلك القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسى، وبين يدي ذلك القيم خدمة يتكفلون بتفقد أحوال المرضى، فيقابلون من الأغذية والأشربة بما يليق بهم، وبإزاء هذا الموضع موضع مقتطع للنساء المرضى، ولهن أيضاً من يكفلهن، ويتصل بالموضعين المذكورين موضع آخر متسع الفناء فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد اتخذت محابس للمجانين، ولهم أيضاً من يتفقد في كل يوم أحوالهم ويُقابلها بما يصلح لها، والسلطان يتطلع هذه الأحوال كلها بالبحث والسؤال ويؤكد في الاعتناء بها والمثابرة عليها غاية التأكيد، وبمصر مارستان آخر على مثل ذلك الرسم بعينه. (الاندلسي، 1986، صفحة 24)

ثالثاً: ابو حامد الأندلسي (ت: 564هـ)

أبو حامد محمد بن عبد الرحيم المازني الأندلسي (حميده، 1995، صفحة 299)أحد الرحالة الأندلسيين، عاش أكثر حياته في القرن السادس الهجوي (474 - 564هـ /1080 -1169م) وشغف بالرحلة، فزار إفريقية الشمالية وصقلية، كما زار مصر والشام والعراق، وتحول إلى ناحية البحر الأسود (بحر الخزر) وتوغل في بلاد البلغار على ضفاف نهر الفولجا بلاد الصقالبة وإقليم باشغرد الواقع بين البلغار والقسطنطينية(فهيم، 1989، صفحة 51)

وصف رحلته:

وكانت نتيجة رحلته إلى البلدان المشار اليها بتأليف كتاب بعنوان: تحفة الأصحاب ونخبة الإعجاب، ونشر بعض المستشرقين ما شاهده، أبو حامد، في شرق أوروبا، وقد روى كثيراً من الأخبار عن الأقاليم الممتدة شمالي البلغار إلى المحيط المتجمد الشمالي، وهو يُسميها (ويسوا ، يورا) ويعود أبو حامد من هذه الديار مولياً وجهه نحو الشرق، ويصل إلى إقليم خوارزم (فهيم، 1989، الصفحات 51-56)وله كتاب آخر في فن الرحلة بعنوان (المعرب في عجائب المغرب).

نصوص مختارة من رحلته

(بلاد الصقالبة) [*]ولما دخلت إلى بلاد الصقالبة خرجت من بلغار وركبت سفينة في نهر الصقالبة وماؤه أسود مثل ماء بحر الظلمات المحيط الأطلسي كأنه الحبر، وهو مع ذلك حلو طيب صاف، ليس فيه سمك، وفيه الحياة السود الكبار بعضها على بعض، أكثر من السمك لا تؤذي أحداً، وفيه حيوان مثل السنور الصغير له جلد أسود يُسمى سمور الماء تُحمل جلوده إلى بلغار(حميده، 1995، صفحة 306). ولما وصلت إلى بلادهم رأيت بلاداً واسعة، كثيرة العسل والحنطة والشعير والتفاح الكبير، ويتعاملون بينهم بجلود السنجاب القديم الذي لا شعر عليه. وللصقالبة[*] سياسات عظيمة، إذا تعرض أحد الجارية غيره أو ولده أو دابته أو تعدى بأي شيء من التعدي كان، أخذ من المتعدي جملة من المال، فإن لم يكن له مال بيع أولاده وبناته وزوجته في تلك الجناية، فإن لم يكن له أهل ولا أولاد بيع هو، فلا يزال عبداً يخدم من يكون عنده حتى يموت. وبلادهم آمنة وإذا عامل المسلم منهم أحداً وأفلس الصقلبي بيع هو وأولاده وداره، ويُعطى لذلك التاجر دينه، والصقالبه شجعان، وهم على مذهب الروم في النصرانية، نسطورية وحدثت عنهم أنهم كل عشر سنين يكثر السحر عندهما وتفسد عليهم نساؤهم بالعجائز السحرة، فيأخذون كل عجوز في ولايتهم، فيشدون أيديهن فأرجلهن ويلقونهن في النهر، فكل من رسبت من العجائز في الماء تركوها، وعلموا أنها ليست بساحرة، والتي تطفو على الماء يُحرقونها بالنار (حميده، 1995، الصفحات 55-56).

ملك باشغرد [*]يُسمى كزالي، وملكه أعظم من ملك صاحب الروم أضعافاً مضاعفة، لا تُحصى جنده، وولايته أكثر من ولاية الروم عشرين يوماً وأكثر، وهو على مذهب الإفرنج يُريد أنه مسيحي لأنه تزوج منهم، ويغزو بلاد الإفرنج ويسبيهم، وجميع الأمم يُخافون من شره لكثرة جنده وشدة بأسه. ولما سمع أنني منعت المسلمين من شرب الخمر، وأبحت الجواري وأربعة من الحرائر قال: (ليس هذا من العقل، لأن الخمر يقوي الجسد، وكثرة النساء تضعف الجسد والبصر، ودين الإسلام لا يكون على وفق العقل) قال: فقلت للترجمان (قل للملك: شريعة المسلمين ليست مثل شريعة النصارى، النصراني يشرب الخمر على الطعام بمنزلة الماء ولا يسكر، والمسلم الذي يشرب الخمر إنما يطلب منه غاية السكر، فيذهب عقله، ويصبح كالمجنون يزني، ويقتل، ويكفر، ولا خير عنده، وقد يعطي سلاحه وفرسه ويضيع ماله في سبيل لذته، والمسلمون ها هنا جنده، وإذا أمرت الواحد بالغزو لا يكون له فرس ولا سلاح ولا مال، لأنه أهلكه في الشراب (الاندلسي، 2003)

وتزوج (الاندلسي) بامرأتين من بنات المسلمين المحتشمين، ورزق أولاداً، وهو شجاع فاضل، كنت اعطيه على كل مسألة يحفظها في حال صفره نصف دائق، وفي شفرد بقر وحشية (حميده، 1995، صفحة 306)كبار أمثال الفيلة، جلد الواحد منها حمل بغلين قويين ورأسه حمل عجله، يصطادونه ويُسمى التيتل وهو من أعجب الحيوان ، طيب اللحم، سمين، وقرونه كبار طوال مثل أنياب الفيلة (حميده، 1995، الصفحات 55-56).

وأهل ويسو ويورا يُمنعون في الصيف من دخول بلاد بلغار (فهيم، 1989، صفحة 56)، لأنه إذا دخل في تلك الديار منهم واحد في شدة الحر يبرد الهواء والماء مثل الشتاء، وتفسد على الناس زروعهم وهذا مجرب عندهم وقد رأيت في بلغار زمان الشتاء جماعة منهم حمر الألوان زرق العيون شعورهم مثل الكتان إلى البياض، يلبسون ثياب الكتان في

---

[*]بلاد الصقالبة: بلاد شرقيها البلغار الداخلة وبعض من بلاد الروس، وجنوبيها بعض بحر بنطس وبعض من الروم، وبلاد الصقالبة ضاربة في الشمال، شديدة البرد لا يكاد الثلج يقلع عن أرضها صيفا ولا شتاء وقل ما يرى أهلها أرضا ناشفة. (شاكر، 1994، صفحة 27/21)

[*]الصقالبة: هم الموالي هم عبيد على الأغلب من الرقيق، الذين يؤتى بهم بالأخص من بلاد الفرنج وحوض الدانوب وبلاد اللو نبارد ومختلف ثغور البحر الأبيض ويبيعوهم في الأندلس، وكان يؤتى بهم أطفالا من الجنسين و يربون تربية إسلامية، ثم يدربون على أعمال البطانة وشئون القصر، وقد سما شأنهم فيما بعد، وتولوا مناصب الرياسة والقيادة، واصبحوا احد أفراد المجتمع الاندلسي والمغربي خلال العصور الوسطى. (عنان، 1997، صفحة 249).

[*]الباشغرد: أصولهم من البلغار الذين كان موطنهم الأول حوض نهر الفولغا ومن بقي منهم هناك يعرف اليوم باسم (الباشكير). (حميده، 1995، صفحة 305)

ذلك البرد، ويكون على بعضهم فراء من جلود القندز الجياد، وشعر ذلك القندز إلى الخارج مقلوباً، ويشربون ماء الشعير الحامض مثل الخل، فيوافقهم لحرارة مزاجهم، لأكلهم لحم القندز والسنجاب والعسل(فهيم، 1989، صفحة 54).

رابعاً: الادريسي (ت: 560هـ)

محمد بن محمد (حاجي خليفة، 1943، صفحة 1947/2) (البغدادي، 1951، صفحة 94/2) بن عبد الله بن ادريس ويعرف بالشريف الادريسي (الصفدي، 2000، صفحة 138/1)، اديب وشاعر وجغرافي (الصفدي، 2000، صفحة 138/1) (الزركلي، 2002، صفحة 24/7) ، ولد في مدينة سبته[*] سنة (٤٩٣هـ/١٠٩٩م)، واما وفاته فهي بعد مغادرته مدينة صقلية الى مسقط رأسه مدينة سبته، وكان ذلك في سنة (٥٦٠هـ/١١٦٦م). (البغدادي، 1951، صفحة 94/2)

ويعتبر الادريسي من اكبر جغرافي بلاد المغرب والاندلس فقد امدته رحلاته المتعددة الى بلدان العالم بكثير من العلوم، وما زادها قيمة حسه الجغرافي ووصفه الجيد ومهاراته في صناعة واعداد الخرائط الجغرافية. (الريامي، 2013، صفحة 54)

صفة رحلته

ارتحل الإدريسي إلى الأندلس والمغرب ومصر والشام وآسيا الصغرى وانتهى به المطاف إلى صقلية، وكان قد احتلها النورمان وأزالوا منها حكم المسلمين، إلا أنهم عاملوهم بالحسنى، واشتهر بذلك أميرهم روجر الثاني الذي كان يعجب بالعرب وما أتقنوا من علوم ومعارف واتصل الإدريسي بهذا الأمير فأعجب كل منهما بصاحبه، وقد عرف فيه روجر قدرته البارعة على رسم الخرائط ومهارته في علم الجغرافية، فلطب إليه أن يؤلف فيها كتاباً له، فلم يهجم على التأليف مباشرة، بل أنفذ طائفة من الرحالة إلى بلدان متفرقة ليأتوه بالمعلومات، فكتبوا له تقارير بما شاهدوه، أضافها إلى ما شاهده بنفسه في البلدان(الريامي، 2013، صفحة 53) ، وجمع أكثر ما كتب في هذا العلم، واتخذ من كل ذلك مادة لتأليف كتابه الذي سماه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، كما يُسمى باسم كتاب روجر لأنه ألف من أجله، وقد نقل إلى اللاتينية موجز له في القرن السادس عشر، ومنذ هذا التاريخ يهتم بهذا الكتاب المستشرقون، إذ يرون في مؤلفه إسطرابون العرب وأكبر جغرافييهم على الإطلاق ولم ينشر الكتاب إلى اليوم، إنما نشرت قطع منه، وفي دار الكتب المصرية منه نسخة مخطوطة. وزود الإدريسي كتابه بإحدى وسبعين مصوراً ، ولذلك يعد أعظم مصنفات العصور الوسطى في الجغرافية، وهو يتبع الطريقة العربية، طريقة العرض الجغرافي القائم على المشاهدة، وتفصيل أحوال الأمم والسكان، وبيان ما بكل بلدة من عجائب البنيان والآثار. ولا يقف بكتابه عند وصف العالم الإسلامي، بل يضم إليه وصفاً دقيقاً للعالم المسيحي في أوربة، مفيداً من الرحالة الذين وضعهم روجر تحت إمرته، وقد أوفدهم إلى بلدان أوربة المختلفة، ونقلوا إليه كثيراً من المعلومات عن فرنسا وإيطاليا وألمانيا وأواسط أوربة وشرقها. وانتهى الإدريسي من تأليف هذا الكتاب سنة 548هـ / 1153م وتوفي روجر وخلفه غليوم الأول (1154–1166م) وألف له كتاباً آخر في الجغرافية سماه «روض الأنس ونزهة النفس أو كتاب المسالك والممالك(فهيم، 1989، الصفحات 19–21)

والإدريسي وإن كان من أكبر جغرافيي بلاد المغرب والأندلس (الكيلاني، 2014، صفحة 64)فإنه في نفس الوقت من أكابر الرحالة العرب، ذلك لأن علوم الجغرافيا في القديم كانت معتمدة على الرحلة وعلى مشاهدات الجغرافيين للبلدان والأصقاع المختلفة التي يزورونها، كما أمدته رحلاته المتعددة في أجزاء من أوروبا، وأقاليم عديدة من البلدان الإسلامية بنبع فياض من المعرفة الجغرافية زادها قيمة حسه الجغرافي ووصفه الجيد، ومهارته في صناعة وإعداد الخرائط، إن كرته الفضية التي نقش عليها الأقاليم السبعة، وألحقها برسم عشر خرائط جيدة لكل قسم من هذه الأقسام قد توجت أعماله جميعها فأضحت نتاجاً فريداً في زمانه. (الريامي، 2013، صفحة 53)

[*]سبته احدى مدن المغرب والتي تقع على البحر الرومي وهي مدينة كبيرة مسورة بسور ضخم محكم البناء، بناه عبد الرحمن الناصر، ينظر: (البكري، 1992، صفحة 779/2)

نص مختار من رحلته

مدينة طليطلة من طلبيرة شرقاً، وهي مدينة عظيمة القطر، كثيرة البشر، حصنة الذات، لها أسوار حسنة، ولها قصبة فيها حصانة ومنعة وهي أزلية من بناء العمالقة. وقليلاً ما رئي مثلها إتقاناً وشماخة بنيان وهي عالية الذرى، حسنة البقعة زاكية الرقعة وهي على ضفة النهر الكبير المسمى تاجه، ولها قنطرة من عجيب البنيان، وهي قوس واحدة، والماء يدخل تحت ذلك القوس كله بعنف وشدة جري. ومع آخر القنطرة ناعورة، ارتفاعها في الجو تسعون ذراعاً، وهي تصعد الماء إلى أعلى القنطرة والماء يجري على ظهرها ، فيدخل المدينة ومدينة طليطلة كانت في أيام الروم دار مملكتهم وموضع قصدهم، ووجد أهل الإسلام فيها عند افتتاح الأندلس ذخائر كادت تفوق الوصف كثرة ، فمنها أنه وجد بها سبعون تاجاً من الذهب مرصعة بالدر وأصناف الحجارة الثمينة، ووجد بها ألف سيف مجوهر ملكي، ووجد بها من الدر والياقوت أكيال وأوساق (حمول) ووجد بها من أنواع آنية الذهب والفضة ما لا يُحيط به تحصيل، ووجد بها مائدة سليمان بن داود وكانت فيما يُذكر من زمردة، وهذه المائدة اليوم في مدينة رومة والمدينة طليطلة بساتين محدقة بها، وأنهار جارية مخترقة، ودواليب دائرة وجنات يانعة وفواكه عديمة المثال لا يُحيط بها تكييف ولا تحصيل، ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة وقلاع منيعة تكنفها(الإدريسي، 2002، الصفحات 20-21)

خامساً: الرحالة المراكشي

رحالة مجهول لم يقف الباحثون، بعد على ترجمة تفصيلية لحياته، أو معلومات تكشف الغامض من حياة هذا الرحالة، وكل الذي يُعرف عنه أنه عاش في القرن السادس الهجري، وزار مكة والمدينة ومصر والسودان وبلاد المغرب، وبالنسبة لأصله فيرجح أن أصله قد يكون مغربياً، وتدل بعض المصادر ان التفصيلات التي ذكرها المراكشي عن مكناسة وفاس ومراكش من معلوماته غزيرة عن هذه المدن، فلا شك أنه عاش فيها إن لم يكن أصله منهم. (المراكشي، 1986، صفحة ت)

وصف رحلته.

ترك هذا الرحالة كتاباً في الرحلة بعنوان:(الاستبصار في عجائب الأمصار ومن خلال النظرة السريعة إلى كتاب الاستبصار تبين أن موضعه بين كتب المكتبة الجغرافية العربية)، إلا أنه يمكن اعتبار هذا الكتاب من كتب الرحلات، ذلك لأن الرحالة المراكشي سجل إلى جانب معلوماته عن هذه البلدان التي زارها مشاهداته فيها بكل دقة(المراكشي، 1986، صفحة ث)

وقد يكون غريباً أن تكون للجغرافية رحلات بعينها، ولكن هذا ما حدث فعلاً، فإن القوم لم يعمدوا إلى الكتابة في الجغرافيا بطريقة النقل والرواية عن الآخرين أو السابقين، بل كانوا يطوفون بأنفسهم في العالم الإسلامي وغيره، ويُقيدون مشاهداتهم وما يقع تحت أبصارهم. فأصبحت كتاباتهم الجغرافية في كثير من صورها رحلات بالمعنى الدقيق، تصور أحوال الناس والعمران بالعين الباصرة (فهيم، 1989، صفحة 5)

نصوص من رحلته

والإسكندرية تعجب كل من رآها لبهجتها وحسن منظرها، وارتفاع مبانيها وإتقانها وسعة شوارعها وطرقاتها وهي برية بحرية، وفيها من النعم والأرزاق والفواكه ما ليس ببلد مع الإسكندرية طيب هوائها وتربتها(المراكشي، 1986، صفحة 10). جانب من مدينة الإسكندرية (مدينة سرت) فمن مدينة الإسكندرية على الساحل عمائر كثيرة للعرب ولقبائل من البربر سكنوا في تلك الأحياء إلى مدينة سرت ومدينة سرت مدينة كبيرة قديمة على ساحل البحر، وأهلها أخس الناس خُلقاً وأسوأهم معاملة، لا يبيعون ولا يبتاعون إلا بسعر قد اتفقوا عليه. وربما نزل المركب بساحلهم موسوقاً بالزيت، وهم أحوج الناس إليه، فيعمدون إلى الزقاق الفارغة فينفخونها ويصفونها في حوانيتهم، ليرى أهل المركب أن الزيت عندهم كثير بائر، فلو أقام أهل المركب ما شاء الله أن يقيموا، ما باعوا منهم إلا على حكمهم، وهم يعرفون بعبيد قرلة ويغضبون لذلك(المراكشي، 1986، صفحة 109)

الخاتمة

من خلال دراستنا للرحالة المغاربة والأندلسيين في القرنين الخامس والسادس الهجري، تطرقنا فيها الى حياتهم والتعريف بنتاجهم في الرحلات، مع اقتطاف نصوص مختارة من هذه الرحلات، توصلت الباحثة الى جملة من النتائج أبرزها:

حاول البحث الكشف عن الدور الفاعل الذي قام به الرحالة في إقامة جسور التفاعل الاجتماعي والثقافي، من خلال نقل كثير من مشاهد حياة الشعوب التي زاروها إلى بلدانهم وسائر الأقطار الأخرى. وقد تناول البحث بالتحليل والتفصيل المدعم بالأمثلة النصية المختارة من كتب الرحلات أبرز النقاط التي تقوم عليها العلاقة بين الأنا المتمثلة في ذات الرحالة، والآخر من خلال الخوض في المشاهد الحياتية العامة، الاجتماعية والدينية والثقافية.

تأثر الرحالة في أثناء رحلاتهم ببعض المواقف والسلوكيات التي تخالف ما ألفوه وعاشوه في بلادهم، فانعكس ذلك على طريقة تعاملهم ونظرتهم للأمور، فأنتجوا صوراً نفسية تقوم على التفاضل والتضاد في النظرة والحكم. وقد استطاع الرحالة أن يصوروا ويصفوا الحياة الأخرى من خلال مراحل حياتهم التي عايشوها وتفاعلوا مع أحداثها، وتأثروا ببعض نواحيها، وأن يعبروا في أوصافهم عنها أثناء خوضهم لمراحل الحياة الآخر في مختلف المجالات الاجتماعية والدينية والثقافية. وعكست كتاباتهم ما تكون لديهم من صور، أسهمت بشكل واضح في خلق عنصر التشويق في ما كتبوه ونقلوه، من عادات وتقاليد وأعراف، وسلوكيات دينية وثقافية تمس بطبيعتها فكر الآخر.

المصادر

الإدريسي، محمد بن محمد. (2002). *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

الاندلسي، ابن جبير أبو الحسن محمد بن احمد. (2003). *رحلة ابن جبير المسماة تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الاسفار* (المجلد 1). (أبراهيم شمس الدين، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

الاندلسي، ابن جبير أبو الحسن محمد بن احمد. (1986). *اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك* (المجلد 2). دار ومكتبة الهلال.

البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أمين. (1951). *هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين*. اسطنبول: وكالة المعارف.

البكري، أبو عبيدة عبد الله بن عبد العزيز. (1992). *لمسالك والممالك*. (ادريان ديفون، المحرر) تونس: الدار العربية للكتاب.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله. (1943). *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*. (محمد شرف الدين، المحرر) بيروت: دار احياء التراث العربي.

الحموي، شهاب الدين بن عبد الله ياقوت. (1993). *معجم الادباء ارشاد الاريب الى معرفة الاديب* (المجلد 1). (احسان عباس، المحرر) بيروت: دار الغرب الاسلامي،.

حميده، عبد الرحمن. (1995). *أعلام الجغرافيين العرب* (المجلد 1). دمشق: دار الفكر.

الريامي، كمال بن محمد. (2013). *مشاهير الرحالة العرب* (المجلد 1). القاهرة: كنوز النشر والتوزيع.

الزركلي، خير الدين بن محمود. (2002). *الاعلام* (المجلد 1). بيروت: دار العلم للملايين.

شاكر، محمود. (1994). *التاريخ الإسلامي، التاريخ المعاصر المسلمون في الأمبراطورية الروسية* (المجلد 2). بيروت: المكتب الإسلامي.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك. (2000). *الوافي بالوفيات* (المجلد 1). (احمد الارناؤوط، المحرر) بيروت: دار احياء التراث العربي.

الطباع، عمر فاروق ، الهاشمي، عبد المنعم ، و البيروني، أبو الريحان. (1993). *موسوعة العرب* (المجلد 1). بيروت: مؤسس المعارف.

عنان، محمد عبد الله. (1997). *دولة الإسلام في الأندلس* (المجلد 4). القاهرة: مطبعة المدني.

غانم، عبد الله عبد الغني. (1989). *الرواد المسلمون* (المجلد 2). الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث .

فهيم، حسين محمد. (1989). *أدب الرحلات، سلسة كتب ثقافية شهرية يمدها المجلس الوطن للثقافة والفنون والآداب*. الكويت.

فهيم، حسين محمد. (1989). *قصة الأثنروبولوجيا، سلسة كتب ثقافية شهرية يمدها المجلس الوطن للثقافة والفنون والآداب*. الكويت.

الكيلاني، جمال الدين فالح. (2014). *الرحلات والرحالة في التاريخ الاسلامي*. القاهرة: دار الزنبقة للطباعة والنشر.

المراكشي، محمد. (1986). *مقدمة كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار*. (سعد زغلول، المحرر) بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة افاق عربية.

Arabic Translated References:

Al-Andalusi, Ibn Jubayr Abu Al-Hasan Muhammad bin Ahmed. (1986). *Considering the hermit in mentioning noble relics and rituals* (Volume 2). Al-Hilal House and Library.

Al-Andalusi, Ibn Jubayr Abu Al-Hasan Muhammad bin Ahmed. (2003). *Ibn Jubair's journey called Tdhikrat bi al-Akhbar about travel agreements* (Volume 1). (Ibrahim Shams al-Din, editor) Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

Al-Baghdadi, Ismail Pasha bin Muhammad Amin. (1951). *A gift to those who know the names of authors and works of authors. Istanbul*: Knowledge Agency.

Al-Bakri, Abu Ubaida Abdullah bin Abdul-Azbaz. (1992). *For paths and kingdoms*. (Adrian Devon, editor) Tunisia: Arab Book House.

Al-Hamawi, Shihab al-Din bin Abdullah Yaqut. (1993). *Dictionary of Writers, Guiding the Unbelievable to Knowing the Writer* (Volume 1). (Ihsan Abbas, editor) Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami.,

Al-Idrisi, Muhammad bin Muhammad. (2002). *Al-Mushtaq's Picnic in Breaking Through Horizons. Cairo*: Library of Religious Culture.

Al-Kilani, Jamal al-Din Falih. (2014). *Journeys and travelers in Islamic history*. Cairo: Dar Al-Zanbaqa for Printing and Publishing.

Al-Marrakshi, Muhammad. (1986). *Introduction to the book Al-Istibsar fi Aja'ib Al-Amsar*. (Saad Zaghloul, editor) Baghdad: Arab Horizons House of General Cultural Affairs.

Al-Riyami, Kamal bin Muhammad. (2013). Famous Arab Travelers (Volume 1). Cairo: Kunoz Publishing and Distribution.

Al-Safadi, Salah al-Din Khalil bin Aibak. (2000). *Al-Wafi bi al-Wafiyat* (Volume 1). (Ahmed Al-Arnaout, editor) Beirut: Arab Heritage Revival House.

Al-Tabbaa, Omar Farouk, Al-Hashemi, Abdel Moneim, and Al-Biruni, Abu Al-Rayhan. (1993). *Encyclopedia of Arabs* (Volume 1). Beirut: Founder of Knowledge.

Al-Zirkli, Khairuddin bin Mahmoud. (2002). *Media* (Volume 1). Beirut: Dar Al-Ilm Lilmalayin.

Anan, Muhammad Abdullah. (1997). *The Islamic State in Andalusia* (Volume 4). Cairo: Al Madani Press.

Fahim, Hussein Muhammad. (1989). *The Story of Anthropology, a monthly cultural book series provided by the National Council for Culture*, Arts and Literature. Kuwait.

Fahim, Hussein Muhammad. (1989). *Travel Literature, a monthly cultural book series provided by the National Council for Culture*, Arts and Literature. Kuwait.

Ghanem, Abdullah Abdul Ghani. (1989). *Muslim Pioneers* (Volume 2). Alexandria: Modern University Office.

Haji Khalifa, Mustafa bin Abdullah. (1943). *Revealing suspicions about the names of books and arts.* (Muhammad Sharaf al-Din, editor) Beirut: Arab Heritage Revival House.

Hamida, Abdul Rahman. (1995). *Notable Arab Geographers* (Volume 1). Damascus: Dar Al-Fikr.

Shaker, Mahmoud. (1994). *Islamic History, Contemporary History Muslims in the Russian Empire* (Volume 2). Beirut: Islamic Office.

العلاقات العراقية – المغربية (الاتفاقية الجوية 1958-1959 أنموذجاً)

م.د علاء رحيم كاظم السنيد

alaaraheem792@gmail.com

وزارة التربية العراقية / مديرية تربية بغداد- الرصافة 2

الملخص:

العلاقات العراقية-المغربية (الاتفاقية الجوية 1958-1959انموذجاً) سلطت الدراسة الضوء على جانب مهم من العلاقات بين بلدين عربيين، من اجل التواصل ومد جسور التعاون في كل المجالات عن طريق التواصل الجوي، بسبب بعد المسافة بين الجمهورية العراقية والمملكة المغربية، إذ بدأت تلك العلاقات تنشط منذ عام 1958، لاسيما بعد ثورة 14 تموز، وتغيير نظام الحكم في العراق، واستمرت التفاهمات وتبادل الوفود والزيارات بين البلدين الى اعلى المستويات من اجل انجاز تلك الاتفاقية الجوية حتى التوقيع عليها في اذار 1959.

فضلاً عن ذلك، كان هناك تواصل وتقارب ورغبة لدى حكومة البلدين من اجل التعاون في شتى المجالات، واستغلت تلك الاتفاقية من اجل تحقيق غايات البلدين، ومنها التعاون الاقتصادي والثقافي، إذ كانت المملكة المغربية بحاجة الى المساعدات الاقتصادية، في الوقت نفسه، استغلت الحكومة العراقية ذلك من اجل توسيع خطوطها الجوية، وزيادة أرباحها من خلال التفاهم مع الدول التي يمر فيها الخط الجوي من بغداد الى الرباط.

الكلمات المفتاحية: العلاقات، العراق، المغرب، الاتفاقية الجوية

Iraqi-Moroccan Relations(The Air Agreement 1958-1959 is a Model)

Dr. Alaa Rahim Kazem Al-Sanaid

alaaraheem792@gmail.com

Iraqi Ministry of Education / Baghdad Education Directorate - Al-Rusafa 2

Abstract

Iraqi-Moroccan relations (The Air Agreement 1958-1959 is a Model) highlight an important aspect of the relations between two Arab countries, in order to communicate and build bridges of cooperation in all fields through air communication, due to the distance between the Republic of Iraq and the Kingdom of Morocco, as these relations (جريدة الحرية, 1958)began to be active since In 1958, especially after the July 14 Revolution and the change of the regime in Iraq, understandings and the exchange of delegations and visits between the two countries continued to the highest levels in order to complete that air agreement until its signing in March 1959.

In addition, there was communication, rapprochement, and a desire among the governments of the two countries for cooperation in various fields, and they exploited that agreement in order to achieve the goals of the two countries, including economic and cultural cooperation, as the Kingdom of Morocco needed economic cooperation. At the same time, the Iraqi government took advantage of that. In order to expand its airline routes and increase its profits through understanding with the countries through which the air route from Baghdad to Rabat passes.

Keywords: Relations-Iraq-Morocco-Air Agreement

المقدمة:

تعد دراسة العلاقات بين بلدين من الدراسات المهمة، كونها تبين طبيعة كل بلد ومميزاته ونقاط ضعفه، وتوضح مدى نجاحه دبلوماسياً وسياسياً واقتصادياً، وتطور تلك العلاقات بحسب حاجة كل طرف للأخر، لأنها مبنية على مصالح البلدين، لاسيما بين البلدان التي تتميز بموقع جغرافي مهم، او ذات مكانة إقليمية ودولية.

تناول البحث جانباً مهماً من جوانب العلاقات العراقية – المغربية، إذ كانت اغلب الدراسات التي تتناول العلاقات ما بين بلدين تتحدث عن الجانب السياسي او الاقتصادي والثقافي، لكن اخترنا موضوعاً مغايراً، وهو علاقات على مستوى اخر تمثل بالاتفاقية الجوية 1958–1959 بين العراق والمغرب، والتي كانت احد ابرز الخصائص المميزة التي ربطت البلدين وكذلك الدول التي مرت بها الخطوط الجوية العراقية، فكان لتلك الاتفاقية دور مهم على مستوى العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لأنها ربطت بين بلدين عربيين، وان كانا بعيدين من حيث المسافة، إذ كان العراق والمغرب بحاجة لتلك العلاقات والاتفاقيات خلال تلك المدة، كون المملكة المغربية خرجت حديثاً من السيطرة الفرنسية ونالت استقلالها عام 1956، وكذلك العراق خرج من حدث كبير وهو تغيير نظام الحكم من ملكي الى جمهوري على اثر ثورة 14تموز 1958، وكان لابد من تحرك البلدين على المستوى السياسي والاقتصادي لكسب ثقة دول العالم الخارجي.

من ذلك المنطلق، وقع اختيارنا على الدراسة المعنونة بـ (العلاقات العراقية – المغربية، الاتفاقية الجوية 1958 – 1959 أنموذجاً)، لما تمثله من أهمية على مستوى البلدين، وشكلت مفصلاً مهماً وحيوياً من تاريخ العلاقات بينهما، واسهمت في ديمومتها، وعززت التعاون الثقافي والاقتصادي.

اقتضت طبيعة الدراسة تقسيم البحث الى مقدمة ومحورين وخاتمة، تناول المحور الأول (العلاقات العراقية – المغربية حتى عام 1958) من اجل إعطاء نبذة توضيحية عن طبيعة العلاقات العراقية – المغربية خلال تلك المدة التي سبقت عقد الاتفاقية الجوية، اما المحور الثاني جاء بعنوان (الاتفاقية الجوية العراقية – المغربية 1958 – 1959)، وتم فيه التطرق للاتفاقية التي بدأت المفاوضات فيها منذ عام 1958 حتى توقيعها عام 1959، واهم بنودها المتفق عليها ما بين الطرفين العراقي والمغربي، وكذلك شمل الزيارات المتبادلة وكتب الشكر المرسلة ما بينهما، والتعاون الثقافي.

اولاً: العلاقات العراقية – المغربية حتى عام 1958

تعد العلاقات العراقية – المغربية عريقة الجذور بحكم التواصل العربي، لاسيما وأن تلك العلاقات قد نشطت أكثر اثناء مرحلة كفاح الشعب المغربي ونضاله من اجل الخلاص والاستقلال من السيطرة الفرنسية التي جثمت على المغرب منذ عام 1912 وحتى عام 1956، فكان للعراق موقف متميز وقوي من ناحية الدعم المادي والمعنوي للشعب المغربي، إذ أيد الشعب العراقي وحكومته ذلك الكفاح، فنشطت الصحافة العراقية خلال تلك المدة لتمجد بالسلطان **(محمد الخامس)** [*]، ومواقفه المعارضة للاستعمار الفرنسي (الادهمي، 1991، صفحة 44) .

وفي السياق ذاته، ساندت الحكومة العراقية متمثلة بوزارة الخارجية الشعب المغربي عن طريق الاجتماعات في الجامعة العربية، والجمعية العامة للأمم المتحدة، إذ ابدى ممثل العراق في الأمم المتحدة **(محمد فاضل الجمالي)** [*] في عام 1951 دعم بلاده للمغرب من خلال عرض القضية المغربية على جدول الاعمال وطالب بالاستقلال (الكروي، 1994، صفحة 512)، كما خصصت الحكومة العراقية مبلغ من المال قدره ربع مليون دينار عراقي للشعب المغربي، وذلك عن طريق جمعية الهلال الأحمر العراقية، فضلاً عن المساعدات العينية من الدواء والغذاء (د.ك.و. ملفات البلاط الملكي العراقي، صفحة 142) .

ساندت الحكومة العراقية المغرب خلال نضاله ضد الاستعمار الفرنسي، وبعد ان استطاع السلطان محمد الخامس والحركة الوطنية انتزاع الاستقلال لبلدهم في اذار 1956، أعلنت الحكومة العراقية تأييدها واعترافها الكامل بالمملكة المغربية، وكان العراق من أوائل الدول التي أيدت واعترفت بالاستقلال، وبعد ان أسست وزارة الشؤون الخارجية المغربية (نصيف و أبو خمرة، 2020، صفحة 203)

---

[*] محمد الخامس: ولد في مدينة فاس عام 1911، نشأة في مدينة الرباط بعد مبايعة ابيه السلطان يوسف بن الحسن، الذي كان يهتم بتربيته وتعلمه، أذ حفظ القران، ومبادئ اللغة العربية، توج سلطاناً على المغرب عام 1927، وبدأ في مقاومة الاستعمار الفرنسي من خلال مساندته للحركة الوطنية حتى تم نفيه وخلعه عن الحكم عام 1951، الا انه استطاع بالتالي ان يحقق استقلال المغرب عام 1956، واستمر بالحكم حتى وفاته عام 1961. ينظر: (الساعدي، 2003)

[*] محمد فاضل الجمالي: ولد في بغداد عام 1903، وتلقى تعلمه فيها، أصبح معلماً وأكمل دراسته في الجامعة الامريكية في بيروت عام 1927، ودرس في ولاية نيويورك الامريكية عام 1929، إذ حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة، وأصبح وزيراً ورئيس للحكومة العراقية قبل ثورة 14 تموز 1958، وبعدها سافر الى سويسرا وتونس حتى وفاته عام 1997. للمزيد ينظر: (الهاشمي، 2015)

، سارع العراق على أثرها بتعيين اول سفير عراقي وكذلك عربي في المملكة المغربية وهو عبد الغني الدلي، وأسست السفارة العراقية في مدينة الرباط عام 1956، وعززت تلك العلاقات بتأسيس دار المعلمين من قبل الحكومة العرقية عام 1958 في مدينة فاس لتعليم اللغة العربية، وكذلك للتعاون الثقافي والتواصل ما بين البلدين (شرف الدين، 1958، صفحة 104) .

عند قيام **(ثورة الرابع عشر من تموز 1958)**[*]، أيدت المملكة المغربية تلك الثورة، إذ صرح السفير المغربي في القاهرة، بأن حكومة بلاده تدرس مسألة الاعتراف بالحكومة العراقية، وذكر ان مجلس الوزراء المغربي اجتمع وناقش الاعتراف بالجمهورية العراقية، كما استقبل وكيل وزارة الخارجية المغربية القائم بأعمال السفارة العراقية في المملكة المغربية، وتم إبلاغه بالثورة، وطلب الاعتراف بها، واكد على علاقات البلدين (جريدة الحرية، 1958) .

وبعد تلك الاحداث، قام سفير المملكة المغربية في بغداد **(فاطمي سليمان)**[*]، بزيارة وزير الخارجية العراقي **(عبد الجبار الجومرد)**[*]، وابلغه باعتراف المملكة المغربية بالجمهورية العراقية في 27 تموز 1958، إذ كانت المملكة من أوائل الدول التي رحبت بقيام الجمهورية العراقية، كما استنكرت سياسة بريطانيا تجاه العراق، الامر الذي أدى الى احتجاج السفير البريطاني في الرباط من سياسة المملكة المغربية تجاه بلاده (جريدة الاخبار، 1958) ، فضلاً عن ذلك، ساعدت المملكة على بقاء السفارة العراقية والموظفين فيها، وعادت الى العمل من جديد (علي، 2005، صفحة 112) ، كما اكد السفير الفاطمي وصول رسالة من الملك محمد الخامس تؤيد الاعتراف بالجمهورية العراقية، وتم تهنئة وزير الخارجية العراقي عبد الجبار الجومرد من قبل السفير المغربي في بغداد (حمد، 2015، صفحة 157) .

سارعت الحكومة العراقية بعد الثورة الى تقوية علاقاتها مع الدول العربية، لاسيما المملكة المغربية، إذ قام وزير الخارجية العراقي بزيارة المملكة مع وفد رسمي في 19 اب 1958، وضم الوفد عضو مجلس السيادة خالد النقشبندي، ووزير الارشاد محمد صديق شنشل، ووزير العدل مصطفى علي، ووزير المواصلات بابا علي الشيخ، واستقبل الوفد بحفاوة (حسين، 2016، صفحة 106) من قبل وزير الخارجية المغربي **(احمد بلافريج)** [*].

قابل وزير الخارجية العراقي عبد الجبار الجومرد الملك محمد الخامس في أيلول 1958، ورحب الأخير بالوفد العراقي الذي زار بلاده، وأبلغهم بوقوف المملكة المغربية الى جانب العراق ومساندته، كما أكد الطرفان على العلاقات الثنائية والتضامن العربي، إذ كانت الزيارة مكسب للحكومة العراقية، لاسيما وأنها جاءت بعد الثورة مباشرةً (جريدة الحرية، 1958)، وكان لها نتائج عدة، منها انضمام المملكة المغربية الى جامعة الدول العربية، إذ عد ذلك نجاحاً على المستوى الدبلوماسي للعراق، فضلاً عن كسب العراق التأييد العربي والخارجي، لاسيما وان تلك الزيارة الخارجية كانت الأولى بعد الثورة، وتحسب للنظام الجديد، كما ان الوفد لم يتجاهل أي طرف في المملكة المغربية، إذ زار حتى المعارضة من اجل الحصول على التأييد للجمهورية العراقية (د.ك.و، ملفات مجلس السيادة، 1958، الصفحات 104-105).

---

[*]ثورة الرابع عشر من تموز 1958: قامت الثورة في العراق، اشترك فيها مجموعة من الضباط العراقيين، وعلى رأسهم عبد الكريم قاسم، وكان شعارهم تخليص الشعب العراقي من المأساة التي يعيشها، فضلاً عن فساد القضاء، وعدم الاستقرار السياسي، وكذلك نهب خيرات البلاد عن طريق السياسة البريطانية وعملائها، وهكذا استطاع الضباط اسقاط النظام الملكي وقيام الجمهورية. للمزيد ينظر: (الزبيدي، 1981، صفحة 105)

[*]فاطمي سليمان: ولد عام 1898 في مدينة فاس المغربية، وهو ذو أصول اندلسية، عين باشا على مدينة فاس، وكان وطني معتدل، وتسلم مناصب عدة في عقد الاربعينيات من القرن العشرين، وأصبح دبلوماسياً مغربياً وسفيراً للمملكة المغربية في العراق والأردن ولبنان توفى عام 1980. للمزيد ينظر: (جبرو، 2010)

[*]عبد الجبار الجومرد: ولد عم 1909 في مدينة الموصل في العراق، كانت تربيته علمية، إذ دخل مدرسة الكتاتيب عام 1914، وقرأ القران، وتخرج من دار المعلمين عام 1929، ودرس الحقوق، وحصل على درجة الدكتوراه في الادب من باريس، أصبح وزيراً للخارجية عام 1958، وهو اول وزير للخارجية بعد الثورة، توفى عام 1971 بعد مرض شديد. للمزيد ينظر: (نذير، 1991)

[*]احمد بلافريج: ولد عام 1908 في مدينة الرباط المغربية، أكمل دراسته الأولية فيها، وثم درس في القاهرة عام 1927، ودرس في باريس وحصل على درجة الدبلوم في الدراسات العليا في الآداب عام 1932، ساهم في تأسيس الحزب الوطني عام 1936، ودافع عن القضية المغربية في الدول الاوروبية، كما ساهم في تأسيس حزب الاستقلال عام 1944، وكان من أبرز المطالبين بالاستقلال، وبعد استقلال المملكة المغربية أصبح وزيراً للخارجية ولأكثر من مرة، اعتزل العمل السياسي عام 1972، وتوفى في عام 1990. للمزيد ينظر: (السامرائي، 2014)

بعد عودة الوفد العراقي من المملكة المغربية، بعثت الحكومة المغربية برسالة شكر الى وزير الخارجية العراقي على جهوده التي بذلها في زيارته للمملكة، وسعي العراق الى انضمامها للجامعة العربية، كما أرسلت المملكة المغربية رسالة شكر اخرى في تشرين الأول 1958، من مدير الديوان الملكي عبد الرحمن ناجي، والتي أكد فيها ان الملك محمد الخامس يذكر دائماً زيارة الوفد العراقي التي تركت اثراً طيباً في نفس جلالته، ورد الجانب العراقي عن طريق رئيس مجلس السيادة محمد نجيب ببرقية تهنئة الى الملك بمناسبة عيد العرش، وتمنى فيها للملك والشعب المغربي السعادة والتقدم الدائم في جميع المجالات (علي، 2005، الصفحات 115-116).

يتضح من خلال ما تقدم، ان العلاقات ما بين العراق والمملكة المغربية خلال تلك المدة، كانت وطيدة ومرت بأحسن الظروف، وكان هناك احترام متبادل، ومنفعة متبادلة ايضاً، لاسيما وان الحكومة العراقية الجديدة في ظل النظام الجمهوري ارادت ان تثبت حسن نيتها للدول العربية والأجنبية، وهي بحاجة الى الاعتراف من جميع الدول دون استثناء، كما ان المملكة المغربية كانت بحاجة الى العراق الغني لدعمها اقتصادياً، ودوره الدبلوماسي على المستوى العربي من اجل الانضمام الى الجامعة العربية.

ثانياً: الاتفاقية الجوية العراقية-المغربية 1958-1959

العراقية-المغربية سبقت غيرها، بادرت الحكومة الى تقوية تلك العلاقات عن طريق عقد اتفاقية جوية بين البلدين من اجل تعزيز التواصل والتفاهم بينهما، لذا سافر وفداً عراقياً في تشرين الأول 1958برئاسة عضو مجلس السيادة خالد النقشبندي ومعه مدير الخطوط الجوية جسام محمد (جريدة الجمهورية، 1958) ، مر الوفد بالقاهرة واستقبلهم هناك سفير المملكة المغربية فيها عبد الخالق العرايسي والسفير العراقي في القاهرة فائق السامرائي وبعد يوم واحد غادر الوفد الى تونس ومن ثم الى المملكة المغربية التي استمرت فيها النقاشات لمدة ثلاثة ايام، وكان بصحبتهم السفير المغربي في العراق الفاطمي بن سليمان، وكان الهدف من تلك الزيارة فتح خط جوي جديد مع المملكة المغربية وتونس والجزائر (جريدة الجمهورية، 1958)، وبعد التشاور بين العراق والمملكة المغربية حول الاتفاقية الجوية، سافر الوفد الى اسبانيا لأخذ موافقتها كون ان مرور الخطوط الجوية تمر عبرها، ومن ثم عاد الى القاهرة وبعدها الى بغداد في 5 تشرين الثاني من العام نفسه، وعبر رئيس الوفد العراقي عن تلك الزيارة بانها اخوية ويسودها التفاهم والاحترام والتعاون والرغبة القوية عند المملكة لفتح الخطوط الجوية التي من شأنها ان تعزز العلاقات ما بين البلدين (جريدة الحرية، 1958) .

بعد ان أرسلت الحكومة العراقية الوفد الى المملكة المغربية، ومعه مقترح المشروع حول اتفاقية المواصلات الجوية بين البلدين، رحبت الأخيرة من جانبها، وبدأت بفتح باب المفاوضات في نهاية شهر تشرين الثاني 1958، كما منحت تأشيرة مؤقتة للشركة العراقية للخطوط الجوية من اجل وضع الترتيبات ريثما يتم التوقيع على الاتفاقية بشكل نهائي، ليتسنى لها الاطلاع على المطارات واوقات الإقلاع والمسافة بين البلدين (د.ك.و، ملفات وزارة المواصلات والاشغال، 1958، صفحة 75).

أكد مدير الخطوط الجوية العراقي جسام محمد، بأن الحكومة العراقية عملت على توسيع الخطوط الجوية من خلال فتح بعض الخطوط الجديدة بين بغداد ودول العالم ومن بينها المملكة المغربية من اجل مصلحة البلد، وتسهيل عملية السفر لمواطني البلدين، ومضاعفة عدد الطائرات، وان يكون للعراق طائرات متطورة بدل نقل المسافرين بطائرات الشركات الأجنبية او الترانزيت من بلد الى اخر، وبالتالي تؤدي الى رفع التكلفة على المواطنين وتأخير في الوصول الى مبتغاهم (جريدة الحرية، 1958).

وتأكيداً على العلاقات العراقية-المغربية، استقبل رئيس الوزراء العراقي **(عبد الكريم قاسم)** [*]، في مقر وزارة الدفاع العراقية السفير المغربي في بغداد الفاطمي بن سليمان، وكانت المقابلة في جو من الود، وبحثت تقوية العلاقات بين البلدين، وكذلك تم مناقشة الاتفاقية الجوية المزمع عقدها، واكد الطرفان على تأييدها لما فيها من مصلحة البلدين، واستمرت تلك المقابلة أكثر من نصف ساعة (جريدة الحرية، 1958) .

---

[*] عبد الكريم قاسم: ولد في بغداد عام 1914، دخل مدرسة الكتاتيب في بغداد، وبعد تخرجه من الثانوية عام 1931 عين معلماً في لواء الديوانية، وفي عام 1932 دخل الكلية العسكرية، وتخرج منها عام 1934، ومن ثم دخل كلية الأركان وتدرج في المناصب العسكرية، وأصبح برتبة مقدم ركن عام 1955، وتولى قيادة اللواء العشرين، انضم الى تنظيم الضباط الاحرار في العام نفسه، وقاد ثورة 14 تموز 1958 بنجاح، وأصبح رئيس الوزراء ووزيراً للدفاع، أعدم عبد الكريم قاسم في 8 شباط عام 1963. للمزيد ينظر: (رؤوف، 2012)

وفي الشأن نفسه، اجتمعت لجنة الطيران المدني العراقي في 27 تشرين الثاني 1958، برئاسة مدير الطيران المدني شاكر محمود رامز، وعضوية كل من رئيس الخطوط الجوية العراقية جسام محمد، وقائد القوة الجوية جلال جعفر الاوقاتي، وناقشت الاتفاقية الجوية المزمع عقدها مع المملكة المغربية، وبعد المداولة قررت اللجنة مخاطبة وزارة الخارجية العراقية وبدورها خاطبت الدول التي يمر بها الخط الجوي بين العراق والمملكة المغربية، والاستمرار على الاجازات المؤقتة التي منحت للخطوط الجوية العراقية عند كل سفرة الى تلك البلدان، وبعد حصول الخطوط الجوية العراقية على تلك الحريات من الدول المعنية، فأن اللجنة لا ترى مانعاً من الموافقة على اقتراح الجهات المغربية المختصة لإيفاد وفد عراقي الى الرباط للمفاوضات حول عقد اتفاقية ثنائية لتنظيم النقل الجوي بين الجمهورية العراقية والمملكة المغربية (د.ك.و، ملفات وزارة المواصلات والاشغال، 1958، صفحة 49) .

بعد موافقة اللجنة العراقية على مقترح الاتفاقية الجوية، جرت المفاوضات بين البلدين بشكل رسمي، ووضعت بنود الاتفاقية بعد تفاهم ومناقشة مستمرة، وان حكومات البلدين قررتا وبرغبة منهما في توفير وسائل مواصلاتها الجوية ومتابعة التعاون الدولي الى اقصى حد في ذلك الميدان، وحرصاً منهما على تطبيق مبادئ ومقتضيات اتفاقية شيكاغو المتمثلة بالطيران المدني الدولي المبرمة في عام 1944، وجاءت الاتفاقية على شكل بابين، شمل الباب الأول عموميات الاتفاقية واحتوى على تسعة فصول، بينما الباب الثاني شمل الخطوط الجوية المتفق عليها، وايضاً احتوى على تسعة فصول (د.ك.و، ملفات وزارة المواصلات والاشغال، 1958، صفحة 58) .

مما تقدم يتبين، ان كلا البلدين له مصلحة خاصة من تلك الاتفاقية، فالحكومة العراقية التي أسست حديثاً بعد ثورة 14 تموز 1958، ارادت ان توسع علاقاتها، وعملت على تطوير المؤسسات التي لها صلة بالعلاقات الخارجية، لاسيما الخطوط الجوية، من اجل ان تبين للعالم بشكل عام والشعب العراقي بشكل خاص، بانها حكومة ذات طابع دبلوماسي، ولها علاقات واسعة، بينما كانت المملكة المغربية بحاجة الى تلك العلاقات والاتفاقيات كونها بحاجة الى الدول الغنية مثل العراق، لأنها تمر بأزمات اقتصادية، لاسيما بعد الاستقلال عام 1956، وان تلك الاتفاقية يمكن ان تعود عليها بالنفع الاقتصادي من خلال التبادل التجاري مع العراق.

ويمكن هنا ان نتطرق ونبين اهم البنود التي تم الاتفاق عليها ضمن الاتفاقية الجوية العراقية–المغربية من حيث المبدأ، وبشكل مختصر.

نص الفصل الأول من الباب الاول– بمنح كل من الطرفين المتعاقدين، الطرف الاخر المتعاقد الحقوق المبينة في ذلك الاتفاق قصد إقرار علائق جوية مدنية في النطاق الدولي وهي العلائق المشار اليها في بنود الاتفاقية، اما الفصل الثاني– جاء لتوضيح بعض الالفاظ لكي لا يتم الخلاف بينهما، مثل لفظة تراب بالمعنى المراد من الفصل، وتفسير عبارة (سلطة الملاحة الجوية) بالنسبة للمملكة المغربية بان المقصود بها هي وزارة الاشغال العمومية (دائرة الأجواء)، في حين نص الفصل الثالث– على اجتناب كل تمييز وإقرار المساواة في المعاملة، إذ اتفق الطرفان على ان تكون الرسوم الجبائية او الإتاوة التي يقبضها كل طرف متعاقد متساوية، وكذلك شمل التعاون في قطع الغيار والتجهيز والوقود والتشحيم لسد حاجات الطائرات، اما الفصل الرابع– اكد الحصول على الشهادات والكفاءة من قبل سلطة الطيران المدني الدولي، في حين نص الفصل الخامس–على ان القوانين والتراتيب الخاصة بكل من الطرفين المتعاقدين تنطبق على جميع المسافرين ومصدري البضائع ومنها الجمارك والحجر الصحي وغيرها، ووضحت المادة في الفصل السادس والسابع– على ان يستشير كل طرف فيما يرغب من تعديل على الاتفاقية او إضافة مادة معينة لها، كما نص الفصل الثامن– على ان أي طرف يبلغ الطرف الاخر اذا رغب في الغاء تلك الاتفاقية، ويقع ابلاغ ذلك في ان واحد لمنظمة الطيران المدني، والالغاء يكون ساري المفعول بعد مضي اثني عشر شهراً على تاريخ الاتصال بأحد الطرفين قبل انتهاء تلك المدة، اما الفصل التاسع– من الباب الأول، اقر ان تتم تسوية الخلافات بواسطة التفاهم المباشر بين سلطة الملاحة الجوية، ويعرض ذلك الاتفاق على منظمة الطيران المدني الدولي ليسجل لديها (د.ك.و، ملفات وزارة المواصلات والاشغال، 1958، صفحة 59) .

اما الباب الثاني، نص الفصل الأول منه على ان تمنح الحكومة المغربية للحكومة العراقية وبالعكس، حق التبادل واستغلال الخطوط الجوية المعينة بجداول الطرقات التي تبنيها فيما بعد على يد مؤسسة او عدة مؤسسات جوية تعينها كل من الحكومتين، ويطلق على تلك الخطوط بعد التوقيع على الاتفاقية عبارة (الخطوط الجوية المتفق عليها، اما الفصل الثاني–نص على ان الخطوط الجوية المتفق عليها يمكن استغلالها فوراً او في تاريخ معين حسب اختيار الطرف المتعاقد الذي منحت له حق الاستغلال بشرط ان

يكون الطرف المتعاقد الذي منحت له حقوق الاستغلال قد عين مؤسسة او مؤسسات نقل جوي لاستغلال الخط او الخطوط المعينة بالذات، او ان يكون الطرف المتعاقد المانح للحقوق قد خول المؤسسة او المؤسسات التي يهمها الامر وذلك حسب الشروط المنصوص عليها بالفقرة الاتية وهي (يمكن ان تدعي المؤسسات المعينة لان تقدم لسلطة الملاحة الجوية لدى الطيران المتعاقد المانح للحقوق ما يثبت انها قادرة على القيام بالالتزامات التي تقتضيها القوانين والتراتيب التي تطبقها السلطة المذكورة عادةً في سير مؤسسات تجارية للنقل الجوي)، في حين نص الفصل الثالث- على ان تنتفع المؤسسة او المؤسسات الجوية المعينة من طرف الحكومة المغربية حسب ذلك الاتفاق في التراب العراقي في حق الانزال والحمل في نطاق المواصلات الدولية والبريد والبضائع بالمحطات والخطوط المغربية المتفق عليها، وتنتفع المؤسسة او المؤسسات الجوية المعينة من طرف الحكومة العراقية حسب ذلك الاتفاق في التراب المغربي في حق الانزال والحمل في نطاق المواصلات الدولية وكذلك البريد والبضائع بالمحطات والخطوط الجوية العراقية المبينة والمتفق عليها، اما الفصل الرابع- اكد على انه ينبغي ان تعامل المؤسسات المعينة من قبل كل الطرفين معاملة متساوية وعادلة حتى بإمكانيات متساوية لاستغلال الخطوط الجوية المتفق عليها، وان تأخذ بعين الاعتبار في الطرقات المشتركة التي تسلكها ما تقتضيه مصالحهم المتبادلة حتى لا تتضرر بدون وجه مشروع خطوط أي طرف من الطرفين المتعاقدين، في حين نص الفصل الخامس من الاتفاقية- ان استغلال الخطوط الجوية بين التراب المغربي والتراب العراقي او العكس بالعكس وهي خطوط متفق عليها ومبينة يجب ان يكون مجموع الحمولة المستعملة بكل خط من الخطوط متناسباً تناسباً مع ما يقدر من حاجة الجمهور للنقل الجوي، وان أي طرف لا يرغب في ان يستعمل خطوطه الجوية للحمولة لابد ان يتفاهم مع الطرف الاخر، وكذلك يمكن ان تستعمل للحالات الطارئة، بينما اكد الفصل السادس- بأنه اذ رغب طرف اخر الانضمام وان يحصل على نفس الحقوق لابد ان يترتب على ذلك تشاور مباشر بين الخطوط الجوية العراقية والمغربية، في حين شمل الفصل السابع والثامن والتاسع من الاتفاقية- على ان تعمل الخطوط الجوية في البلدين على التفاهمات مع الدول التي تمر فيها، والتجهيز التام لتلك الاتفاقية، وفي النهاية يجري العمل بتلك الاتفاقية ابتداءً من يوم توقيعها، وتأييداً لذلك وقع المندوبان المفوضان على تلك البنود (د.ك.و، ملفات وزارة المواصلات والاشغال، 1958، الصفحات 60-61)

وفي الشأن ذاته، كانت هناك رغبة من الجانب المغربي حول مشروع اتفاقية تجارية مع الجمهورية العراقية، إذ زودت السفارة المغربية في بغداد وعلى رأسها السفير الفاطمي بن سليمان العراق بمسودة لمشروع اتفاقية تجارية واقتصادية تعقد بين البلدين، من اجل استغلال الاتفاقية الجوية، وذلك بعد دراستها وارسلت تلك الاتفاقية الى المملكة المغربية للاطلاع عليها وبيان بعض الآراء والمقترحات بشأنها لغرض الاتفاق على تحديد موعد لإجراء مباحثات اقتصادية وتجارية بين الوفدين العراقي والمغربي في بغداد (جريدة الحرية ، 1958) .

باشرت الخطوط الجوية العراقية العمل من اجل اكمال الاتفاقية والبدء بها، وارسلت كتاباً الى وزارة الخارجية العراقية تخاطبها من اجل تسهيل مرور الخطوط الجوية عبر شمال افريقيا واسبانيا، وبدورها فاتحت الجهات المختصة للحصول على الموافقة قبل التوقيع النهائي على الاتفاقية الجوية (د.ك.و، وزارة المواصلات، 1958، صفحة 52) ، كان الاتفاق على ان تكون رحلة واحد كل شهر، وان تزداد الى رحلة واحدة كل أسبوع مستقبلاً، ويشغل ذلك الخط بطائرات من نوع فيكرز فايكاونت (Vickers Viscount) البريطانية بالنسبة للعراق، وكان هناك جدول خاص بالأوقات ما بين العراق والمملكة المغربية، وهي الساعة العاشرة والساعة الثانية عشر صباحاً تصل الى الرباط، وتغادر في الساعة السادسة مساءً (د.ك.و، وزارة المواصلات، 1958، صفحة 53) .

ومن اجل إتمام عقد الاتفاقية الجوية مع المملكة المغربية، فاتحت الحكومة العراقية الجانب الاسباني على أثر زيارة الوفد الاقتصادي الاسباني لبغداد في 13 كانون الأول 1958، من اجل الحصول على موافقة الجهات الاسبانية المختصة على قيام الخطوط الجوية العراقية بتسيير خطها الجوي الى الرباط ماراً بإسبانيا وبمعدل رحلة واحدة في الشهر، وان تتمتع الخطوط الجوية بالحريات بالمدن التي تمر بها (د.ك.و، وزارة المواصلات، 1958، صفحة 51)

خلال تلك المدة، عملت الحكومة العراقية على مشروع خاص بتطوير الخطوط الجوية، إذ جعلت مديرية الخطوط الجوية العراقية دائرة مستقلة لتوسيع اعمالها، وارادت وزارة المواصلات والاشغال العامة فصل الخطوط الجوية العراقية عن المديريات الأخرى مثل مديرية السكك الحديدية، وجعلها مستقلة تابعة لها مباشرةً، وتكون إدارة شؤونها واعمالها والموافقة على تخصيص المبالغ اللازمة

للمشاريع العمرانية التي تحتاجها الدائرة من قبل مجلس للإدارة يكون مسؤولاً عن تنظيم فعاليات الدائرة والمصادقة على ميزانيتها السنوية، وقدمت وزارة المواصلات الى مجلس الوزراء اللائحة القانونية الخاصة بدائرة الخطوط الجوية من اجل وضع منهاج للأعمال العمرانية التي تحتاجها، والموافقة على تخصيص المبالغ اللازمة لها من اجل تنفيذ تلك المشاريع الخاصة بالخطوط الجوية العراقية، فضلاً عن ان ذلك المقترح سيؤدي الى ان الخطوط الجوية ستتمكن من توسيع فعالياتها وشراء ما تحتاجه من الطائرات الجديدة والأجهزة والأدوات الاحتياطية من الموارد التي تحصل عليها سنوياً، ومن الأرباح التي تحققها من جراء نقل الركاب والبضائع على مختلف الخطوط، إذ كانت الحكومة العراقية مهتمة بتوسيع الخطوط الجوية مع الدول العربية والإقليمية (جريدة الحرية، 1958).

وعلى صعيد متصل، قدر مسؤول الخطوط الجوية العراقية جسام محمد، بأن الخطوط الجوية العراقية ستفتح خطها الجديد بين بغداد–الرباط في نهاية شهر شباط 1959، ويمر ذلك الخط في القاهرة وطرابلس وتونس ومدريد (Madrid) والرباط، بالمقابل أبلغت الخطوط الجوية الملكية المغربية بأنها تعتزم فتح خط جوي لها ما بين الرباط وبغداد في الوقت نفسه (جريدة الحرية، 1958) .

أرسلت السفارة العراقية في الرباط في الأول من كانون الثاني 1959، الى وزارة الخارجية المغربية بكتاب رسمي حول مشروع اتفاقية المواصلات الجوية، وابلغتها ان الخطوط الجوية العراقية عملت على حصولها للموافقات والحريات اللازمة من بعض الدول التي يمر بها الخط الجوي، ولذلك تكتفي الان بالإجارات المؤقتة التي تفضلت بها الحكومة المغربية بمنحها لها عند كل سفرة، وابلغتها بأن الحكومة العراقية تقوم بإيفاد وفد عراقي الى الرباط للمفاوضات النهائية من اجل توقيع الاتفاقية، وتنظيم النقل الجوي بين البلدين، وبعد الحصول النهائي على الموافقات من الدول التي يمر بها الخط الجوي، يتم ابلاغ وزارة الخارجية المغربية، وتوقيع الاتفاقية الجوية بشكل رسمي (د.ك.و، ملفات وزارة المواصلات والاشغال، 1959، صفحة 42)، كما عملت الخطوط الجوية العراقية على تضاعف فعالياتها، وفتح خطوط جوية مع الدول الاسيوية، وارسلت الوفود الى الدول التي يمر بها خط بغداد–الرباط، وبالتالي حصلت على الموافقات، وفتح المطارات امام الطيران العراقي في كل من القاهرة وطرابلس وبنغازي وتونس ومدريد (جريدة الحرية، 1959) .

ويجب ان نشير هنا، الى ان الجمهورية العراقية بذلك كل ما في وسعها من اجل إنجاح تلك الاتفاقية الجوية مع المملكة المغربية، ووقع عليها الحمل الأكبر، لان تلك الاتفاقية كانت من اقتراحها وفكرتها من اجل تطوير النقل الجوي، وتوسيع الخطوط الجوية العراقية، ولما للعراق من إمكانيات مادية ودبلوماسي خلال تلك المدة، فضلاً عن ان الحكومة العراقية بعد ثورة 14 تموز 1958، أرادت ان تعمل بشكل مستقل بعيداً عن التدخل الخارجي، وان تثبت للشعب العراقية بانها حكومة حريصة على تقديم كل ما من شأنه ان يقدم خدمة للمواطن العراقي، وتوسيع علاقاتها الخارجية.

وفي خضم ذلك التواصل والعلاقات بين العراق والمملكة المغربية، أعلنت السفارة المغربية في بغداد، بأن ولي العهد المغربي الأمير **(الحسن الثاني)** [*] جاء الى بغداد في زيارة رسمية في كانون الثاني 1959، ومثلت تلك الزيارة دعماً سياسياً للجمهورية العراقية، واستغرقت اسبوعاً كاملاً، وجاءت رداً على زيارة الوفد العراقي الى المملكة المغربية، والتقى الحسن الثاني برئيس الوزراء عبد الكريم قاسم، وحمل رسالتين من الملك محمد الخامس الى مجلس السيادة العراقي، والى رئيس الوزراء العراقي، كما قدم تهاني المملكة المغربية بالنيابة عن والده الملك محمد الخامس بمناسبة الثورة، ورافق الأمير الحسن الثاني وفداً من كبار موظفي الديوان الملكي والحكومة المغربية، وكانت زيارته عبر الخط الجوي الجديد من الرباط الى بغداد مباشرةً على الرغم من ان الاتفاقية لم توقع بشكل نهائي بعد (جريدة الحرية، 1959) .

وفي الشأن ذاته، بحث السفير المغربي في بغداد الفاطمي بن سليمان مع وزير التربية والتعليم **(محيي الدين عبد الحميد)**[*] ، العلاقات الثقافية بين البلدين، وقدم السفير شكره الى الحكومة العراقية لمساعدتها الثقافية القيمة التي قدمتها للمملكة المغربية، والتي

---

[*] الحسن الثاني: ولد عام 1929 في مدينة الرباط، درس وتعلم بالقصر الملكي، وحفظ القران وتعلم الكتابة فيه، درس القانون، وحصل على درجة الدكتوراه الفخرية عام 1963، من جامعة بوردو الفرنسية، تولى الحسن الثاني العرش بعد وفاة والده محمد الخامس عام 1961، واجه العديد من الصعوبات في بداية حكمه منها السياسية والاقتصادية والعسكرية، وكثرة الانقلابات الفاشلة، استطاع ان يؤسس للبنى التحتية في المملكة المغربية، وأصدر دستور للبلاد من اجل إرضاء المعارضة، وانفتح على العالم الخارجي، توفى عام 1999. للمزيد ينظر: (علي س.، 2019)

[*] محيي الدين عبد الحميد: ولد عام 1914 في بغداد، وأكمل دراسته الأولية فيها، ومن ثم دخل الكلية العسكرية، وتخرج برتبة ملازم عام 1936، واستمر في دراسته العسكرية، والتحق بكلية الحقوق وتخرج منها عام 1951، شارك في ثورة 14 تموز 1958، إذ كان قائد للفرقة المدرعة الرابعة،

تجلت في ارسال عدداً من المدرسين والأساتذة العراقيين الذين يدرسون في دار المعلمين العراقية في الرباط، وتولى إعداد المدرسين المغاربة للتدريس في مدارس بلادهم، وقبول العراق عدداً من الطلبة المغاربة الذين يدرسون في المعاهد العالية، وجرت المقابلة بود وسعادة، واكد الطرفان على توسيع تلك العلاقات، وزيادة اعداد الطلبة المغاربة في بغداد (جريدة الحرية، 1959).

لم تكن العلاقات العراقية–المغربية في مجال الاتفاق الجوي فقط، وانما تعدت الى علاقات ثقافية واقتصادية وتبادل الوفود والزيارات بين البلدين، إذ وقعت الدول العربية ومن بينها المملكة المغربية على عدد من الاتفاقيات الاقتصادية داخل المجلس الاقتصادي العربي في القاهرة، ومنها مشروع اتفاقية تسديد مدفوعات المعاملات التجارية، وانتقال رؤوس الأموال بين الدول العربية ومنها المملكة المغربية، واتفاقية تسهيل التبادل التجاري والتنسيق الصناعي، وغيرها من الاتفاقيات التي عززت التعاون بين الدول العربية ومن ضمنها العراق والمملكة المغربية، وفي 28 شباط 1959 صرح السفير المغربي في بغداد لعدد من الصحف العراقية، بأن افتتاح الخط الجوي المباشر بين بغداد والرباط من قبل الخطوط الجوية العراقية، يؤدي الى زيادة الروابط الأخوية التي تربط البلدين والى دعمها وتنميتها، إذ ان ذلك يساعد على نقل رجال الاعمال بين العراق والمملكة المغربية بصورة مستمرة، وانه يأمل في ان تقوم الطائرات العراقية بنقل عدد كبير من الحجاج المغاربة الى مكة المكرمة في مواسم الحج، لان عدد كبير من المغاربة يقومون سنوياً بتأدية فريضة الحج، حيث كانوا ينتقلون بطائرات لم تكن عربية، ذلك وفي الوقت نفسه، أبلغت الحكومة الاسبانية الجهات المختصة في بغداد بموافقتها رسمياً على قيام الطائرات العراقية باستعمال الأجواء الاسبانية والهبوط في مطاراتها والقيام بنقل الركاب من مدينة مدريد (Madrid) الاسبانية الى المملكة المغربية وبالعكس بالنسبة للبلدان التي يمر فيها ذلك الخط (جريدة الحرية، 1959).

بعد موافقة اسبانيا على عبور الطائرات العراقية الى الرباط، كانت اغلب الدول التي يمر منها الخط الجوي قد وافقت بذلك ايضاً من اجل نقل الركاب والبضائع الى مختلف البلدان، ولم تبق سوى موافقة الجمهورية العربية المتحدة (مصر–سوريا) التي يمر منها ذلك الخط، إذ ستهبط الطائرات العراقية في الذهاب والإياب بالقاهرة، وانتهز رئيس الخطوط الجوية العراقية جسام محمد فرصة وجودة بالقاهرة اثناء حضوره اجتماع لجنة الطيران العربية، واجرى مباحثات مع المسؤولين في الجمهورية العربية للحصول على موافقتها بالسماح للطائرات العراقية باستعمال الأجواء المصرية والهبوط في مطار القاهرة، والقيام بنقل الركاب من هناك الى بلدان شمال افريقيا وبالعكس، بالنظر لان الخطوط الجوية اعتزمت فتح خطها بشكل رسمي في شهر اذار 1959، وبعد المباحثات حصلت الموافقة، وبالتالي وقعت الجمهورية العراقية والمملكة المغربية على تلك الاتفاقية بشكل نهائي في 3 اذار 1959 (جريدة الجمهورية، 1959).

بعد ان باشرت الخطوط الجوية العراقية عملها بشكل رسمي ما بين بغداد والرباط، زاد التعاون الثقافي والاقتصادي، إذ بدأ الطلبة المغاربة يتوافدون على بغداد من اجل الدخول في الكليات والمعاهد العراقية، كما قام وفد من ادباء وشعراء المملكة المغربية بزيارة بغداد، ورحبت بهم الحكومة العراقية، وتثميناً لذلك أقامت السفارة المغربية في بغداد وعلى رأسها السفير الفاطمي بن سليمان معرضاً خيرياً للمنتجات والسلع الفلكلورية المغربية في مقر السفارة في منطقة الوزيرية، بالمقابل أرسلت الحكومة العراقية العديد من الوفود الثقافية الى المملكة المغربية تأكيداً على حسن العلاقات ما بين البلدين (رحيم، 2022، الصفحات 327–328).

الخاتمة والاستنتاجات:

–ارادت الحكومة العراقية، لاسيما بعد ثورة 14 تموز 1958 ان تعترف بها اغلب الدول ومن ضمنها الدول العربية، لذلك توجهت الى المملكة المغربية عن طريق فتح خط جوي بين بغداد والرباط، ويمر بدول شمال افريقيا.

–كانت العلاقات بين البلدين بشكل عام تمر بأحسن حالتها، لاسيما بعد ثورة 14 تموز 1958، إذ بدأت الحكومة العراقية تنتهج أسلوب جديد معلنة بذلك مساعدتها للدول العربية الضعيفة، وبما ان المملكة المغربية خرجت قبل مدة قصيرة من الاستعمار الفرنسي، لذلك أبدت كل ما في وسعها لتقديم المساعدات، وتطوير العلاقات.

عين وزيراً للتربية والتعليم عام 1959، ووزيراً للصناعة عام 1960، وفي عام 1963 اعتزل العمل السياسي، توفى عام 1993. للمزيد ينظر: (حميدي، 2005، صفحة 75)

– ان الاتفاقية الجوية بين الجمهورية العراقية والمملكة المغربية كان لها هدفين، الأول رد الدين للحكومة المغربية بانها اول من اعترف بالجمهورية العراقية، والهدف الثاني هو لكسب الشرعية لتلك الحكومة من دول العالم، وتبين انها تعمل لصالح العراق والعراقيين على المستوى الداخلي والخارجي، وتحمل رسالة سلام خارجي لكسب المقبولية من النظام الدولي.

–فضلاً عن ذلك، رافقت مباحثات الاتفاقية الجوية تبادل الوفود الثقافية والحكومية وعقد الاتفاقيات الاقتصادية، وبذلك استغلت الاتفاقية الجوية من اجل تعزيز العلاقات الثنائية بين البلدين العربيين على الرغم من بعد المسافة بينهما، الا ان هناك رابط اقوى وهو رابط القومية العربية.

–ارادت الحكومة العراقية بعد الثورة ان تبدأ بتطوير كل ما من شأنه ان يعزز قوتها من الناحية الداخلية او الخارجية، من بنى تحتية او علاقات دبلوماسية خارجية، لاسيما وان العراق كان من اغنى البلدان العربية خلال تلك المدة، لذا عمل على تعزيز مكانته بين الدول، وإبراز طاقاته وتمثل ذلك في بداية الامر بفتح خطوط جوية واسعة مع كثير من البلدان وفي مقدمتها المملكة المغربية.

المصادر

السامرائي، احمد عبد السلام. (2014). *احمد بلافريج ودوره في السياسة المغربية حتى عام 1972، رسالة ماجستير*. كلية التربية، جامعة سامراء.

الادهمي، محمد مظفر. (1991). موقف الرأي العام العراقي من ابعاد الاستعمار الفرنسي لمحمد الخامس عن حكم المغرب. *مجلة المؤرخ العربي*.

جبرو، عبد اللطيف. (2010). *الفاطمي بن سليمان محمد بن يوسف ليس في نيته ان يعود الى العرش*.

جريدة *الحرية*. (18 تشرين الثاني, 1958).

جريدة، *الاخبار* (الإصدار 9). (28 تموز, 1958). العراق.

جريدة، *الجمهورية*. (26 تشرين الأول, 1958).

جريدة، *الجمهورية*. (30 تشرين الأول, 1958).

جريدة، *الجمهورية*. (4 اذار, 1959).

جريدة، *الحرية*. (24تموز, 1958). العراق.

جريدة، *الحرية*. (1958). العراق.

جريدة، *الحرية* . (5 كانون الأول, 1958).

جريدة، *الحرية*. (22 شباط , 1959).

جريدة، *الحرية*. (23 كانون الأول, 1958).

جريدة، *الحرية*. (6 تشرين الثاني, 1958).

جريدة، *الحرية*. (1 كانون الثاني, 1959).

جريدة، *الحرية*. (4 كانون الثاني, 1959).

جريدة، *الحرية*. (7 تشرين الثاني, 1958).

جريدة، *الحرية*. (الأول من اذار, 1959).

حسين، سعد محمد علي. (2016). الموقف الرسمي والشعبي لدول المغرب العربي من قيام ثورة 14 تموز في العراق 1958 في وثائق مجلس السيادة العراقي. *مجلة كلية التربية جامعة ديالى*.

حمد، ثامر عزام. (2015). موقف دول المغرب العربي من ثورة 14 تموز 1958 في العراق. *مجلة اداب الفراهيدي*.

حميدي، جعفر عباس. (2005). *تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري* . بغداد: بيت الحكمة.

د.ك.و. *ملفات البلاط الملكي العراقي*. (بلا تاريخ). *ملف رقم 4663، ت 311، تقرير الوفد العراقي في الدورة السادسة للجمعية العامة للأمم المتحدة في 1951*.

د.ك.و، *ملفات مجلس السيادة*. (1958). *ملفة 377، ت 411، نتائج زيارة سيادة وزير الخارجية العراقي للمغرب في 25 أيلول*.

د.ك.و، *ملفات وزارة المواصلات والاشغال*. (1958). *ملف 421300، ت 268، اجتماع لجنة الطيران المدني، مشروع اتفاق جوي بين العراق والمغرب في 27 تشرين الثاني*.

د.ك.و، *ملفات وزارة المواصلات والاشغال*. (1958). *ملف رقم 421300، ت 268، مشروع اتفاق جوي بين العراق والمغرب في 4 تشرين الثاني*.

د.ك.و، *ملفات وزارة المواصلات والاشغال*. (1959). *رقم الوثيقة 42، في الأول من كانون الثاني*.

د.ك.و، *وزارة المواصلات*. (8 كانون الأول, 1958). *اجتماع لجنة الطيران المدني، خط بغداد–الرباط*.

رحيم، فضيلة إسماعيل. (2022). *العلاقات الثقافية العراقية المغربية 1958–1963 دراسة تاريخية* (الإصدار 2). بغداد: مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية.

رؤوف، عماد عبد السلام. (2012). *عبد الكريم قاسم في ضوء ملفه الشخصي*. السليمانية: مؤسسة زين.

الزبيدي، ليث عبد الحسن. (1981). *ثورة 14 تموز 1958 في العراق*. بغداد: مكتبة المتنبي.

الساعدي، عبد الجليل مزعل بنيان. (2003). *الملك محمد الخامس ودوره السياسي في المغرب الأقصى حتى عام 1961، رسالة ماجستير*. بغداد: كلية التربية، الجامعة المستنصرية.

شرف الدين، محمد رضا. (1958). *14 يوم في المغرب*. بغداد: مطبعة النجاح.

علي، سيف حسين. (2019). *الملك الحسن الثاني وأثره في تاريخ المغرب 1979–1999، رسالة ماجستير غير منشورة*. بغداد: كلية التربية، جامعة ديالى.

علي، صادق جابر. (2005). *الموقف العربي والدولي من ثورة 14 تموز 1958 في العراق، أطروحة دكتوراه غير منشورة*. بغداد: المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية.

الكروي، محمود صالح. (1994). دور حزب الاستقلال المغربي في حركة عد الانحياز. *المجلة التاريخية المغربية*.

نذير، عدنان سامي. (1991). *عبد الجبار الجومرد نشاطه الثقافي ودوره السياسي*. بغداد: دار الثقافة للنشر.

نصيف، نزهان حمود ، و أبو خمرة، عبد الوهاب عبد العزيز. (2020). ابعاد الموقف المغربي من ازمة الخليج 1990–1991. *مجلة تكريت للعلوم السياسية*.

الهاشمي، رحيم كاظم محمد. (2015). *محمد فاضل الجمالي ودوره السياسي ونهجه التربوي حتى عام 1958*. بغداد: دار عدنان للطباعة.

Arabic Translated References:

Al-Samarrai, Ahmed Abdel Salam. (2014). *Ahmed Belafrej and his role in Moroccan politics until 1972, Master's thesis*. College of Education, Samarra University.

Al-Adhami, Muhammad Muzaffar. (1991). *The position of Iraqi public opinion on the removal of the French colonialism of Mohammed V from the rule of Morocco*. Arab Historian Magazine.

Al-Hashemi, Rahim Kazem Muhammad. (2015). *Muhammad Fadel Al-Jamali and his political role and educational approach until 1958*. Baghdad: Adnan Printing House.

Ali, Sadiq Jaber. (2005). *The Arab and international position on the revolution of July 14, 1958 in Iraq*, unpublished doctoral thesis. Baghdad: Higher Institute for Political and International Studies, Al-Mustansiriya University.

Ali, Saif Hussein. (2019). King Hassan II and his impact on the history of Morocco 1979-1999, unpublished master's thesis. Baghdad: College of Education, University of Diyala.

Al-Karwi, Mahmoud Saleh. (1994). *The role of the Moroccan Istiqlal Party in the Non-Aligned Movement*. Moroccan Historical Journal.

Al-Saadi, Abdul Jalil Mazal Banyan. (2003). *King Mohammed V and his political role in Al-Aqsa Morocco until 1961, Master's thesis*. Baghdad: College of Education, Al-Mustansiriya University.

Al-Zubaidi, Laith Abdul Hassan. (1981). *The revolution of July 14, 1958 in Iraq*. Baghdad: Al-Mutanabbi Library.

D.K.W. Files of the Iraqi royal court. (no date). *File No. 4663, T. 311, Report of the Iraqi Delegation at the Sixth Session of the United Nations* General Assembly in 1951.
D.K.W., files of the Ministry of Transportation and Works. (1958). *File 421300, T. 268, Civil Aviation Committee meeting, draft air agreement between Iraq and Morocco on November 27.*
D.K.W., files of the Ministry of Transportation and Works. (1958). *File No. 421300, T. 268, draft air agreement between Iraq and Morocco on November 4.*
D.K.W., files of the Ministry of Transportation and Works. (1959). *Document No. 42, January 1st.*
D.K.W., Ministry of Transportation. (December 8, 1958). *Civil Aviation Committee meeting, Baghdad-Rabat line.*
D.K.W., Sovereignty Council files. (1958). *File 377, T. 411, results of the visit of the Iraqi Foreign Minister to Morocco on September 25.*
Freedom newspaper. (November 18, 1958).
Gebru, Abdul Latif. (2010). *Al-Fatimi bin Suleiman Muhammad bin Youssef has no intention of returning to the throne.*
Hamad, Thamer Azzam. (2015). *The position of the Maghreb countries regarding the revolution of July 14, 1958 in Iraq.* Al-Farahidi Arts Magazine.
Hamidi, Jaafar Abbas. (2005). *History of Iraqi ministries in the Republican era. Baghdad:* House of Wisdom.
Hussein, Saad Muhammad Ali. (2016). *The official and popular position of the Maghreb countries regarding the outbreak of the July 14 Revolution in Iraq 1958 in the documents of the Iraqi Sovereignty Council. Journal of the College of Education*, University of Diyala.
Nassif, Nazhan Hammoud, and Abu Khamra, Abdel Wahab Abdel Aziz. (2020). *Dimensions of the Moroccan position on the Gulf Crisis of 1990-1991*. Tikrit Journal of Political Science.
Nazir, Adnan Sami. (1991). *Abdul Jabbar Al-Joumard, his cultural activity and political role*. Baghdad: House of Culture for Publishing.
Newspaper ,*Al-Jomhoriah*. (March 4, 1959).
Newspaper ,*Al-Jomhoriah*. (October 26, 1958).
Newspaper ,*Al-Jomhoriah*. (October 30, 1958).
Newspaper, *Al Akhbar* (Issue 9). (July 28, 1958). Iraq.
Newspaper, *Al-Hurriya* (Issue 1235). (July 24, 1958). Iraq.
Newspaper, *Al-Hurriya* (Issue 1267). (1958). Iraq.
Newspaper, *Freedom*. (December 23, 1958).
Newspaper, *Freedom*. (December 5, 1958).
Newspaper, *Freedom*. (February 22, 1959).
Newspaper, *Freedom*. (January 1, 1959).
Newspaper, *Freedom*. (January 4, 1959).
Newspaper, *Freedom*. (March 1, 1959).
Newspaper, *Freedom*. (November 6, 1958).
Newspaper, *Freedom*. (November 7, 1958).
Rahim, His Eminence Ismail. (2022). *Iraqi-Moroccan cultural relations 1958-1963, a historical study* (version 2). Baghdad: Journal of the College of Education, Al-Mustansiriya University.
Raouf, Imad Abdel Salam. (2012). *Abdul Karim Qasim in light of his personal file. Sulaymaniyah*: Zain Foundation.
Sharaf al-Din, Muhammad Reda. (1958). *14 days in Morocco. Baghdad: Al-Najah Press.*

رينهرت دوزي وموقفه من قيام الدولة الاموية في الاندلس من خلال كتاب المسلمون في الاندلس

علي عبدالله مفتن الركابي ا.د. كريم عاتي لعيبي الخزاعي

ali2021mf@gmail.com dr.karrem@uomustansiriyah.edu.iq

ملخص:

نحاول من خلال هذا البحث التعرف على هوية المستشرق الهولندي دوزي وحياته، وموقفه من قيام الدولة الاموية في الاندلس، وذلك من خلال ما اورده من روايات تاريخية حملت في طياتها بعض الشبهات والافتراءات التي طرحها وذكرها في كتابه (المسلمون في الاندلس)، حيث تطرقنا الى اهم القضايا التاريخية التي طرحها دوزي وعالجها حول تاريخ الدولة الاموية في الاندلس. كما حاولنا ايجاد وبيان التعصب الديني والعرقي اللذان ظهرا جليا في روايات كتاب دوزي، فهو لا يختلف كثيرا عن باقي المستشرقين الاوربيين في طرحة لبعض قضايا التاريخ الاسلامي، فقد حاول هؤلاء المستشرقين تشويه صورة التاريخ الاسلامي والحضارة العربية الاسلامية. ولكن علينا ان نعترف بان دوزي ذو شخصية حاضرة في التعليق والتعليل والنقد مع التحليل والمقارنة والاستنباط الى حد كبير، فقد وجدناه يمتاز بالمنهجية والانصاف في بعض قضايا التاريخ الاسلامي، الان ان تعصبه الديني فقد غلبه وغطى على عقليته وهواه في جوانب اخرى من بعض القضايا التاريخية.

كلمات مفتاحية: رينهرت دوزي ، نصارى الاندلس، التسامح الديني

Reinhart Duzi and his position on the establishment of the Umayyad state in Andalusia through the book Muslims in Andalusia

Ali Abdullah Muften Al-Rikabi Karim Ati Laibi Al-Khuzai

summary

Through this research, we are trying to identify the identity and life of the Dutch orientalist Dozi, and his position on the establishment of the Umayyad state in Andalusia, through the historical narratives he reported that carried within them some of the suspicions and slanders that he raised and mentioned in his book (Muslims in Andalusia), where we touched on the most important The historical issues raised and addressed by Dozi about the history of the Umayyad state in Andalusia. We also tried to find and explain the religious and ethnic fanaticism that appeared clearly in the novels of Douzi's book. He does not differ much from other European orientalists in presenting some issues of Islamic history. These orientalists tried to distort the image of Islamic history and Arab-Islamic civilization. But we have to admit that it's a doozy He has a personality present in commentary, reasoning, and criticism, along with analysis, comparison, and deduction to a great extent. We found him distinguished by his methodology and fairness in some issues of Islamic history. Now, his religious fanaticism has overcome him and covered up his mentality and whims in other aspects of some historical issues.

Keywords: (Reinhart Dosi, Christians of Andalusia, religious tolerance)

المقدمة

تناول البحث جانبا من جوانب العطاء العلمي الثري، الذي جادت به قريحة المستشرق الهولندي رينهرت بيتر آن دوزي (١٨٢٠-١٨٨٣ م)، هذا الرجل الذي يَعُده الكثيرون واحداً من اعلام المستشرقين، الذين قدموا خدمات جليلة للتراث العربي الإسلامي بوجه عام، ولتاريخنا الأندلسي بوجه خاص، ولهذا رأيت من الواجب دراسة هذه الشخصية ومعرفة أبرز إسهاماته في دراسة التاريخ الاسلامي مع تسليط الضوء على موقفه من قيام الدولة الفاطمية بشيء من التفصيل، وذلك من خلال كتابه المعنون(المسلمون في الأندلس).

بدأ البحث بألقاء الضوء على مؤلف الكتاب سالف الذكر من خلال التعريف به والمراحل التي مر بها في حياته، حتى صار باحثاً ودارسا للعلوم العربية والإسلامية وعلى رأسها التأريخ، كذلك ذكرنا الوظائف التي تقلدها، والمناصب العلمية التي تبوأها، وارتباط ذلك جميعه بنتاجه العلمي الغزير المتنوع، والذي يحتل فيه التاريخ الأندلسي مكانة سامية متميزة.

عقب ذلك بيان وصفي لكتاب الدراسة وبيان محتوياته بأجزائه الثلاثة، فيتم استعراض موضوعات كل جزء على حده من خلال الفصول وعناوينها، وأفكارها الرئيسية، وما ينضوي تحتها من الأفكار الجزئية المهمة، ومن ثم عرض مؤلفاته ونتاجه العلمي بشيء من التحليل .

وقد حاولنا التعرف على أهم الشبهات والافتراءات التاريخية التي طرحها دوزي في كتابه، حيث تناولنا اهم القضايا التي عالجها وطرحها حول تأريخ الدولة الفاطمية ونسبها، كما وضحنا التعصب الديني والعرقي اللذان ظهرا جليا في كتابات دوزي وهو لا يختلف كثيراً عن بقية المستشرقين الاوربيين في طرحه لقضايا التاريخ الاسلامي، حيث حاول هؤلاء على تشويه التاريخ والحضارة الإسلامية.

ويعتبر كتاب المسلمون في الأندلس من أهم المؤلفات التي كتبها المستشرقون في تأريخ الأندلس، حيث يتميز بالدقة التاريخية وتحليله للأحداث التي وقعت وفق الظروف التي حدثت فيها، فهو يتميز عن غيره من المؤلفات الكلاسيكية التي تتميز بسرد الأحداث دون نقاش وتحليل.

أولًا: سيرة دوزي الشخصية ونتاجه العلمي

اسمه ونسبه:

هو المستشرق الهولندي من أصول فرنسية رينهرت بيتر آن دوزي (علي، 2007م)، هاجر أسلافه من فرنسا إلى هولندا في منتصف القرن السابع عشر الميلادي هربًا من الاضطهاد الديني (تكملة المعاجم العربية لرينهارت دوزي دراسة تحليلة في ضوء علم اللغة الحديث، اطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية/ كلية التربية ، 1440/ 2019م)، وهذا ما رجحه احد الباحثين (تكملة المعاجم العربية لرينهارت دوزي دراسة تحليلة في ضوء علم اللغة الحديث، اطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية/ كلية التربية ، 1440/ 2019م) .

مولده وحياته:

ولد دوزي في مدينة ليدن بهولندا سنة 1820م لعائلة من أصول فرنسية (رضا)، وعاش حياة سعيدة في طفولته إلى أن بلغ التاسعة من عمره حين فقد أمه "سارة ماري فان ليليفيلد" فتم إيداعه في إحدى مدارس مدينته ليدن التي كفلت له حياة طيبة وتعليمًا جيدًا، وقد أظهر عبقرية مبكرة، الأمر الذي دفع إدارة مدرسته إلى الدفع به وهو في سن الرابعة عشرة من عمره إلى الدكتور "جلدر" الذي اختاره من بين دراسي اللاهوت لتعلم اللغة العربية حتى اتقنها، وتعمق في مطالعة كتبها (نجيب، 2006م).

واصل دوزي دراسته بجامعة ليدن في هولندا (المستشرق دوزي وكتابه: (المسلمون في الاندلس) دراسة تحليلية نقدية، مج 2، 2006م، صفحة 6)، وألتقى هناك بالعالم اللغوي "فايرس" الذي قال عنه ديخويه: كان أستاذًا نموذجيًا حلو الحديث وواضحًا ودقيقًا، فتعلم على يديه كل من اللغة العبرية والسريانية، وشجعه على تكريس نفسه للتاريخ العربي، كما أحب دوزي الشعر العربي، فتوسع في دراسته ومطالعة دواوينه، حتى غدا ذواق له، كما كانت له اهتماماته المبكرة بمعاجم اللغة العربية (المستشرق دوزي وكتابه: (المسلمون في الاندلس) دراسة تحليلية نقدية، مج 2، 2006م، صفحة 6).

في الثانية والعشرين من عمره اشترك دوزي في مسابقة دعت لها جامعة ليدن لتأليف رسالة في ملابس العرب، وخصصت جائزة لذلك، وحصل دوزي عليها، فكانت هذه أول خطوة يخطوها في طريق العربية (رياض، 1985م، صفحة 27).

في سن الخامسة والعشرين من عمره، استعد دوزي للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة ليدن سنة 1845م، كما تزوج في السنة نفسها من "مارية كارولينا فاندين اوسترلينج" الهولندية الجنسية، ورحل معها إلى ألمانيا لقضاء شهر العسل، والذي قضاها في المكتبات الألمانية بما فيها من نصوص تتفق ودراساته الإسلامية، فكانت زوجته تنظر إلى ما يعمله زوجها بعين ملؤها التعظيم والإعجاب بما تتمخض عنه قريحته ويخطه قلمه، فكانت هي الزوجة والرفيق والصديق طوال حياة زوجها (المستشرق دوزي وكتابه: (المسلمون في الاندلس) دراسة تحليلية نقدية، مج 2، 2006م، صفحة 8).

كان أكبر ما وفق إليه دوزي في ألمانيا هو تعرفه على المستشرق الألماني "هاينريخ لبرخت فلايشر"، وسرعان ما توثقت بينهما الصداقة التي استمرت لأكثر من ثلث قرن (المستشرق دوزي وكتابه: (المسلمون في الاندلس) دراسة تحليلية نقدية، مج 2، 2006م، صفحة 18).

ووفق دوزي في ألمانيا في العثور في مكتبة مدينة جوته على مكتبة حافلة بنفائس المخطوطات العربية فبقى يتردد عليهالثمانية أيام، وعثر فيها على مخطوطة قيل إنها "للمقري" (رضا، معجم المؤلفين (د.ت).، صفحة 237)، فنقلها وانكب على دراستها فتبين له بالبحث والتدقيق أنها ليست للمقري ولكنها من "ذخيرة ابن بسام " (المستشرق دوزي وكتابه: (المسلمون في الاندلس) دراسة تحليلية نقدية، مج 2، 2006م).

أشار العقيقي بأن دوزي حصل على إذن من المكتبة باستعارته لهذه المخطوطة التي كانت ممزقة، فحملها إلى ليدن، وجعلها عنوانًا لأطروحته في الدكتوراه في الأدب (دوزي، 2006م، صفحة 658).

في سنة 1845م سافر دوزي إلى انجلترا وذهب إلى أكسفورد، حيث وجد في مكتبة مدينة بودليان ما روى ظمأه للبحث، كما أطلع على مخطوطات تتعلق بالإسلام والدول الإسلامية، وكان اهتمامه منصبًا على وجه الخصوص على ما يتعلق بتاريخ الأندلس سياسيًا وثقافيًا واجتماعيًا (المستشرق دوزي وكتابه: (المسلمون في الاندلس) دراسة تحليلية نقدية، مج 2، 2006م، صفحة 9).

تعرف دوزي في انجلترا على عدد من المستشرقين فيها، ولم أعاد إلى هولندا تولى منصب إدارة المخطوطات في مكتبة ليدن سنة 1850م،واستمر في منصبه هذا حتى سنة 1878م (العقيقي، 2006م، صفحة 309)، وهكذا فقد وجد دوزي الفرصة سانحة لبحث تاريخي ونقدي في الموروث العربي الإسلامي (دوزي، 2006م، صفحة 81).

كان لدوزي جهود كبيرة في نشر التراث العربي بصورة عامة، والتاريخ الأندلسي بصورة خاصة، لاسيما أنه جاب العديد من مكتبات المخطوطات العالمية في ألمانيا وانجلترا. اتاحت إجادته للعديد من اللغات كالانجليزية والألمانية والفرنسية والاسبانية والهولندية واللاتينية، قدرات هائلة للقراءة والاطلاع والإصرار، والعزيمة القوية والصبر في مقابلة المخطوطات ونسخها، وتحقيق نصوصها ونشرها، والدقة في عمل الفهارس المتعددة لها، مما جعله محط تكريم العديد من الهيئات العلمية، وحظي بعضوية العديد من أكاديميات التاريخ والعلوم وجمعيات الدراسات الشرقية في اسبانيا وألمانيا وإيطاليا،مثل: الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية، والأكاديمية في روما سنة 1880م، والأكاديمية العلمية الملكية في امستردام،وأكاديمية العلوم في بطرسبورج، والمعهد الفرنسي في باريس، وأكاديمية التاريخ في مدريد، والجمعية الآسيوية في باريس. علاوة على اختياره أمينًا لمكتبة ليدن، وحصوله درجة الدكتوراه والأستاذية من جامعة ليدن نفسها (المستشرق دوزي وكتابه: (المسلمون في الاندلس) دراسة تحليلية نقدية، مج 2، 2006م، الصفحات 1-10).

وصفه تلميذه ديخويه قائلاً: قلة من الرجال كدوزي لهم حياة قريبة من السعادة المثلى التي يمكن أن نتمناها في الدنيا، لقد رأينا كيف طبع كل نشاطه بكامل الوحدة التامة، وكيف استطاع انجاز مشاريعه المتميزة، وكيف تكللت هامته بإكليل المجد والشرف، وقد رأى أبناءه الخمسة يشبون على مرامه، كما رأى ابنتيه تتزوجان زواجًا سعيدًا، وما لبث أن جاءه أحفاد ليمنحوه حياة جديدة في بيت جعلته زوجته دار ضيافة ولطافة، ولم يكونوا كثيرين أولئك الذين حضوا بامتياز استقبالهم في حرمه أو مراسلته وديًا، كما نعم هو بعطفهم، وكان ما يحببه إلى الأصدقاء ليس عقله المستنير، ولا أجوبته الطريفة، ولا نقده اللاذع، ولا معارفه المنوعة فحسب، وإنما حكمه الصائب وذكاءه المتألق (المستشرق دوزي وكتابه: (المسلمون في الاندلس) دراسة تحليلية نقدية، مج 2، 2006م، صفحة 50).

يستكمل ديخويه حديثه عن دوزي قائلاً: يعتبر يوم 9 مارس من سنة 1875م أجمل أيام أعوامه، ففي مثل هذا اليوم ومنذ خمسة وعشرين عامًا خلت افتتح مهامه الجامعية، وجاء أصدقاؤه وتلاميذه إلى اختتام هذه الفرحة ليظهروا لصديقهم وأستاذهم المبجل دوزي محبتهم وإجلالهم له، لأن دوزي تأثر بالمودة الخالصة التي تمثلت بحفاوتهم به، وقد كان له الحق بإظهار اغتباطه وهو يلقي نظرة وراءه على الطريق التي اجتازها وكانت مهنته رائعة كأستاذ، وقد احتفظ دوزي في ليدن بالمجد القديم للدراسات الشرقية وأقام أساسًا راسخ البنيان، وكان له اسم شريف رنان في كل مكان وحصل على شهادات مشرفة((دوزي، 2006م، صفحة 45).

واعتبره عبدالرحمن بدوي أول مدون ومؤرخ موضوعي اتبع الجانب العلمي والموضوعي في الدراسات الأندلسية، واعد مؤلفاته فيها مرجعًا لتاريخ الأندلس وحضارته وثقافته (عبدالرحمن، 1993م، صفحة 261).

الأمر الذي دفع بأحد الباحثين إلى القول بأن دوزي هو أول فاتح للدراسات الأندلسية، ووجد في آثاره عنها مرجعًا لتاريخها وثقافتها وحضارتها (آن، 1994م، الصفحات 83-84).

مؤلفاته:

ترك دوزي العشرات من الكتب المؤلفة والمحققة حول العربية والإسلام؛حيث أولى دوزي اللغة العربية والتاريخ اهتمامًا كبيرًا؛لاطلع على كثير من كتب الأدب والتاريخ العربي والإسلامي، وما رآه في المكتبات العالمية من مخطوطات، فمن مؤلفاته:

- مقال تاريخ بني زيان ملوك تلمسان نقلًا من المصادر العربية، مقالة نشرت في الجريدة الأسيوية سنة 1844م (عبدالرحمن، 1993م، صفحة 262).
- كتاب Dictionnaire détaillé des noms des vetements chez les Arabes (القاموس التفصيلي لأسماء الملابس عند العرب أو معجم في أسماء الملابس العربية) (عبدالرحمن، 1993م، صفحة 262)،طبع في أمستردام سنة 1845م (عبدالرحمن، 1993م، صفحة 262).
- كتاب l'Historia Abbadidarum(أخبار بني عباد عند الكتاب) وكان مجهولًا من قبل وقد استعان فيه بالذخيرة لابن بسام الشنتريني، وطبعه في ليدن سنة 1846م (العقيقي، 2006م، صفحة 309).
- كتاب مقتطفات من كتابي (مطمح الأنفس) و(قلائد العقيان) للفتح بن محمد بن خاقان (فارس، 1980م، صفحة 134) المتوفي سنة 528هـ/ 1134م، كان في الأصل أطروحته لنيل الدكتوراه، وتم طبعه مابين سنة 1846 و 1863م (المستشرق دوزي وكتابه: (المسلمون في الاندلس) دراسة تحليلية نقدية، مج 2، 2006م، صفحة 12).
- كتاب شرح قصيدة ابن عبدون تأليف ابن بدرون مع تحقيق وفهرس بالأسماء وعناوين الكتب، طبع في ليدن سنة 1846م، ونشر سنة 1847م (العقيقي، 2006م، صفحة 309).
- كتاب Notices sur quelques manuscrits arabes(ملاحظات على بعض المخطوطات العربية)، طبع في ليدن بين سنتى 1847-1850م (العقيقي، 2006م، صفحة 309).
- مقال بعض الأسماء العربية، مقالة نشرت في المجلة الآسيوية سنة 1847م (العقيقي، 2006م، صفحة 310).
- كتاب المعجب في تلخيص المغرب لعبد الواحد المراكشي (فارس، الأعلام، ، ط 5 ، 1980م، صفحة 176) المولود في مراكش سنة 581هـ/ 1185م، وهو تاريخ لدولة الموحدين، فرغ من كتابته سنة 621هـ/ 1224م، وعلق عليه دوزي في نهاية الكتاب باللغة الانجليزية، وطبع في ليدن سنة 1847م، وأعيد طبعه في ليدن أيضًاسنة 1881م، ثم نقله المستشرق الفرنسي "فانيال" إلى اللغة الفرنسية، وطبع في الجزائر سنة 1893م (العقيقي، 2006م، صفحة 310).
- كتاب أدب قشتالة وأمير الأمراء، طبع في ليدن سنة 1848م (العقيقي، 2006م، صفحة 310).
- كتاب فهرس المخطوطات الشرقية في مكتبة جامعة ليدن، طبع في ليدن سنة 1851م (العقيقي، 2006م، صفحة 310).
- مقال ابن رشد وفلسفته في الرد على المستشرق رينان، مقالة نشرت في الجريدة الآسيوية سنة 1853م (العقيقي، 2006م، صفحة 310).
- كتاب Analectes sur l'histoire et la littérature des Arabes d'Espagne (مختارات في تاريخ وأدب عرب إسبانيا)، طبع في ليدن سنة 1855م. (Ezad Azraai Jamsari، صفحة 65)
- كتاب اسبانيا في عهد كارلوس الثالث، نشر سنة 1858م (العقيقي، 2006م، صفحة 310).
- مقال تعليقات على رحلة ابن بطوطة لناشريها دفرمري وسنجنتي إلى الفرنسية، مقالة نشرت في حوليات جوتنجن سنة 1860م (عبدالرحمن، 1993م، صفحة 263).
- كتاب Le Cid, d'après de nouveaux documents، نشر سنة 1869م.
- كتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب لأبي العباس أحمد بن محمد التلمساني المتوفي سنة 1041م، واستغرق في تحقيقه مدة قاربت على الست سنوات من 1855 حتى 1861م، وطبع في جزئين في ليدن سنة 1861م، وصدر بمقدمة إضافية باللغة الفرنسية (المستشرق دوزي وكتابه: (المسلمون في الاندلس) دراسة تحليلية نقدية، مج 2، 2006م، صفحة 11).

- كتاب Histoire des Musulmans d'Espagneتاريخ المسلمون في اسبانيا (دوزي، 2006م، صفحة 12):
ألف دوزي هذا الكتاب سنة 1861م، وأفنى عشرين سنة من عمره في جمع مادته وترتيبها وعرضها ونقدها. ألف دوزي الكتاب باللغة الفرنسية الأمر الذي أثار موجة عارمة من الغضب المكتوم ضده في هولندا، لأن الهولنديون رأوا في ذلك إيثاردوزي للغة الفرنسية على لغتهم الهولندية وامتهانًا للغتهم، فاتهمه بعض الهولنديين في وطنيته، غير أن دوزي كان يهدف من وراء ذلك أن يكون أكثر انتشارًا في الأوساط العلمية الكبرى وبين المستشرقين في أوروبا،والذين كانوا يعرفون الفرنسية أكثر من الهولندية (دوزي، 2006م، الصفحات 1-13).

ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الاسبانية مرتين، كما ظهرت له ترجمة باللغة الانجليزية صدر منها طبعتين، ثم ترجم إلى اللغة الألمانية ثم إلى اللغة العربية باسم كتاب المسلمون في الأندلس (آن، المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق وتقديم:د. حسن حبشي، 1994م، صفحة 13).

شكلت لجنة في هولندا لوضع كتاب حول تاريخ اسبانيا الإسلامية، برئاسة المستشرق الفرنسي "ليفي بروفنسال"، غير أن اللجنة رأت أن كتاب دوزي هذا واف من كل ناحية ليكون مرجعًا لتاريخ مسلمي اسبانيا، فقام ليفي بروفنسال بإعادة طبعه في هولندا بمكتبة بريل، مع تصحيحات طفيفة وزيادة موجزة عن المرابطين في الكتاب (آن، المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق وتقديم:د. حسن حبشي، 1994م، صفحة 13).

في سنة 1994م قامت الهيئة العامة للكتاب في مصر بنشر نسخة مترجمة في ثلاثة أجزاء إلى اللغة العربية بعنوان "تاريخ مسلمي اسبانيا" قام بترجمتها الدكتور حسن حبشي.

- مقال مملكة غرناطة، مقالة نشرت في المجلة الشرقية الألمانية سنة 1862م (العقيقي، 2006م، صفحة 310).

- كتاب Die Israeliten zu Mekka von Davids Zeit bis in's fünfte Jahrhundert unsrer Zeitrechnung: ein Beitrag zur alttestamentlichen Kritik und zur Erforschung des Ursprungs des Islams(بنو إسرائيل في مكة من زمن داود إلى القرن الخامس الميلادي: مساهمة في نقد العهد القديم ودراسة أصل الإسلام)، ألفه باللغة الهولندية ثم نقل إلى الانجليزية، وتناول فيه طبيعة العرب واليهود في شبه الجزيرة العربية حتى قبل الإسلام (دوزي، 2006م، الصفحات 13-14)،ويعد أول دراسة علمية موثقة من هذه الناحية الدقيقة التي أثارت من الثناء عليه مثل الذي أثارته من القدح فيه والهجوم عليه لاسيما من جانب اليهود في ألمانيا، ونشر سنة 1864م (دوزي، 2006م، الصفحات 13-14).

- كتاب Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe (معجم الكلمات الإسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية)، ونشر في ليدن سنة 1869م.

- كتاب تاريخ الإسلام من فجره حتى سنة 1863م،ألفه باللغة الهولندية، وطبع في ليدن سنة 1863م، وطبع في ليدن أيضًا في سنة 1879م، ونقله إلى الفرنسية المستشرق البلجيكي "شوفين" (العقيقي، 2006م، صفحة 310).

- كتابDescription de l'Afrique et de l'Espagneالجزء الخاص بافريقيا والأندلس وأرض السودان من كتاب نزهة المشتاق للشريف الإدريسي (1362م)، 2000م)مع مقدمة باللغة الفرنسية، وفهرس الأسماء وشرح الكلمات الاصطلاحية الموجودة فيه، واعتمد في تحقيقه على مخطوطتين كلاهما للشريف الإدريسي وكتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق احداهما في باريس والأخرى في أكسفورد فنهض بهما وحققهما وقارن الواحدة بالأخرى بمساعدة تلميذه ديخويه، وطبع في ليدن سنة 1866م (دوزي، 2006م، صفحة 11).

- مقالDie Cordovaner `Arib Ibn Sa`d Der Secretär Und Rabi Ibn Zaid Der Bischof(عريب بن سعد الكاتب القرطبي وربيع بن سعيد الأسقف)، مقالة نشرت في المجلة الشرقية الألمانية سنة 1866م (عبدالرحمن، 1993م، صفحة 263).

- كتاب تاريخ العرب السياسي والأدبي في الأندلس، بمعاونة المستشرق الألماني "مرقص يوسف موللر"، وهو من جملة تواريخ لاسيما من الحلة السيراء لابن الآبار (فارس، الأعلام، ، ط 5 ، 1980م، صفحة 266) المتوفي سنة 658هـ/ 1260م، وطبع في ميونخ سنة 1866م (العقيقي، 2006م، صفحة 310).

- كتاب Oosterlingen. Verklarende lijst der Nederlandsche wooden, die uit het Arabisch, Hebreeuwsch, Chaldeeuwsch, Perzisch en Turksch afkomstig zijn(المشرقيات: الأحوال مابين عربية وعبرية وفارسية وغيرها من اللغات الشرقية، طبع سنة 1867م (دوزي، 2006م، صفحة 12).

- كتاب Lettre à M. Fleischer contenant des remarques critiques et explicatives sur le texte d'al-Makkari (رسالة إلى السيد فلايشر تحتوي على ملاحظات نقدية وتفسيرية على نص المقري)، وطبع في ليدن سنة 1871م (دوزي، 2006م، صفحة 19).

- كتاب تقويم سنة 961م لقرطبة المنسوب إلى عريب بن سعيد القرطبي المتوفي سنة 963هـ/ 1556م، وربيع بن زيد الأسقف المتوفي سنة 350هـ/ 961م، ونشره مع ترجمة له باللغة اللاتينية، وطبع في ليدن سنة 1873م (يحيى، صفحة 399).

- كتاب Geschichte der Mauren in Spanien bis zur eroberung Andalusiens durch die Almoraviden (711-1110) (تاريخ المغاربة في إسبانيا حتى غزو المرابطين للأندلس (711-1110))، وطبع سنة 1874م.

- كتاب Supplément aux dictionnaires arabes (ذيل للمعاجم العربية)، باللغة الفرنسية، في جزئين، وطبع في ليدن مرتين الأولى سنة 1877م والثانية في سنة 1881م، وأعيدت طباعته سنة 1927م في باريس، ثم طبع في بيروت سنة 1968م (عبدالرحمن، 1993م، صفحة 5).

- كتاب Essai sur l'histoire de l'Islamisme (مقال عن تاريخ الإسلام)، نشر سنة 1879م.

- كتاب Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen age(بحث في تاريخ وأدب إسبانيا خلال العصور الوسطى) في جزءين، وطبع عدة مرات،كانت الطبعة الثالثة في ليدن سنة 1881م (العقيقي، 2006م، صفحة 310) (عبدالرحمن، 1993م، صفحة 362).

- كتاب The history of the Almohades; preceded by a sketch of the history of Spain, from the times of the conquest till the reign of Yūsof ibn-Tēshufīn, and of the history of the Almoravides (تاريخ الموحديني سبقه ملخص لتاريخ إسبانيا، من الفتح حتى عهد يوسف بن تاشفين، وتاريخ المرابطين)، طبع ليدن سنة 1881م. (العقيقي، 2006م، صفحة 310).

- إعادة نشر كتاب (Corrections sur les textes du Bayáno 'l-Mogrib d'Ibn-Adhárí de Maroc, des fragments de la chronique d'Aríb de Cordoue, et du Hollato 's-siyará d'Ibno-'l-Abbár (تصويبات على كتاب البيان المغرب لابن عذاري المراكشي أجزاء من تاريخ العرب في قرطبة والحلية السيراء لابن الآبار)، وطبع في ليدن سنة 1883م (دوزي، 2006م، صفحة 11/1) (عبدالرحمن، 1993م، صفحة 309/2).

- مقال دراسة لمقدمة ابن خلدونالتي نشرها المستشرق دي سلين في المجلة الآسيوية سنة 1896م (المستشرق دوزي وكتابه: (المسلمون في الاندلس) دراسة تحليلية نقدية، مج 2، 2006م، صفحة 14/1).

وفاته:

توفي دوزي في يوم 29 أبريل سنة 1883م عن عمر ناهز 63 سنة (دوزي، 2006م، صفحة 15/1).

ثانيا: موقف دوزي من قيام الدولة الاموية:

تجاهل دوزي في عنوان مؤلفه (تاريخ المسلمين باسبانيا) لفظة (الأندلس) واسماه بكتاب (تاريخ اسبانيا) أو (اسبانيا الإسلامية) (دوزي، 2006م، صفحة 432). ولكن عندما جاء محقق الكتاب الدكتور حسن حبشي اسماه (المسلمون في الأندلس).

ويبدو أن دوزي أراد أن يساير في منهجه المستشرقين الأسبان الذين حاولوا طمس مصطلح الأندلس ويتجاهلونه بل ويعدونه حقبة زمنية مظلمة مرت على تاريخ اسبانيا.

حاول دوزي تشويه صورة الأمير عبدالرحمن الداخل الذي قال عنه: لقد دفع عبدالرحمن ثمن ظفره غاليًا، ذلك الطاغية الغادر الصارم المنتقم، الذي لا تأخذه رأفة، ولم يبق زعيم عربي أو بربري يجرؤ على مواجهته صراحة، ولكن الجميع كانوا يلعنونه خفية ولم يكن ثمة رجل يرغب في خدمته ... كان هم عبدالرحمن الدائم أن يذل العرب والبربر إلى الطاعة، وان يرغمهم على التعود على النظام

والسلام، وقد لجأ في تحقيق هذه الغاية إلى جميع الوسائل التي لجأ إليها ملوك القرن الخامس عشر لسحق الإقطاع ... (عبدالله، 1997م، صفحة 194/1).

وتحدث دوزي عن سياسة عبدالرحمن الداخل وانتقد صرامتها على المجتمع الأندلسي، ويبدو أن دوزي تناسى أمرين أولهما أن حالة الأندلس قبل مجيء الداخل كانت مضطربة وتعيش بفوضى سياسية كادت تعصف بالأندلس، وأن عبدالرحمن الداخل استطاع بفضل سياسته هذه ان يؤسس دولة إسلامية في غرب العالم الإسلامي باسبانيا، فكانت حتمية سياسته ان تكون صارمة.

وأكمل دوزي حديثه عن سياسة عبدالرحمن الداخل فذكر: (... ولكن من الحق أن نقول إن ملكًا لا يستطيع أن يحكم العرب والبربر بغير هذه الوسيلة، وإذا كان العنف والطغيان ثمة في ناحية، ففي الناحية الأخرى يوجد الاضطراب والفوضى) (عبدالله، 1997م، صفحة 195/1).

على الرغم من نقد دوزي لسياسة عبدالرحمن الداخل، إلا أنه في هذا النص حاول أن يبرر سياسته الشديدة، لشيوع الفوضى والاضطرابات في الأندلس أنذاك.

طعن دوزي في شخصية محمد بن عبدالرحمن بن الحكم (238-273هـ/822-852م)، وقال عنه: كان السلطان الجديد رجلًا قاصر التفكير متبلد الإحساس أنانيًا، وقد رأيناه لم يظهر شيئًا من الحزن ولم يجزع حين حمل إليه نعي أبيه، بل كان أبعد الناس عن الحزن عليه أن لم نقل أنه فرح بموته (دوزي، 2006م، صفحة 119/1).

تحامل دوزي على شخصية محمد بن عبدالرحمن، ثم ناقض نفسه قائلا: وقف الفقهاء إلى جانب الأمير محمد لإيمانهم بتقواه وشدة كرهه للاسبان، فقد سرح جميع عماله من المسيحيين وهدم جميع الكنائس القديمة التي بنيت منذ ثلاثة قرون ... (دوزي، 2006م، صفحة 120/1).

من خلال هذا النص يبدو أن من أسباب تعصب دوزي على محمد بن عبدالرحمن هو سياسته ضد الأسبان (النصارى)، فقد ذكر: فلما جاء إلى الحكم ... عمل وزراؤه على كسب مرضاته وعطفه عليهم ... فأسرفوا في اضطهاد النصارى ... حتى نبذوا دينهم ... (دوزي، 2006م، صفحة 143).

تصريح دوزي فما يتعلق بالتعصب الديني للأمير محمد الأول ووقوفه ومساندته للفقهاء المالكيين، هو تصريح غير دقيقًا، فكثير ما عارض فقهاء المالكية الأمير محمد، فمثلًا عندما جاء الفقيه الشافعي (بقي بن مخلد) بمصنف ابن أبي شيبة وقرأ في الأندلس، أنكر فقهاء المالكية ما جاء فيه من الخلاف، حتى انهم هموا به وحاولوا إخراجه من الأندلس، فرفض الأمير محمد مطلبهم وقال لبقي بن مخلد: أنشر علمك وأوري ما عندك (الحميدي، 2008، صفحة 27/1).

أما ما يتعلق برؤية دوزي لشخصية عبدالرحمن الناصر وموقفه منه، فقد حاول دوزي إيضاح بعض المواقف لعبدالرحمن الناصر وتصويره على أنه طاغية، فأشار دوزي في كتابه المسلمون في الأندلس إلى ان عبد الرحمن الناصر منع النصارى من إنزال جثة (الراهب ايساك) ودفنه، وأمر ان تبقى الجثة على الصليب بضعة أيام ثم تحرق ويذر رمادها في النهر (آن، المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق وتقديم:د. حسن حبشي، 1994م، صفحة 100/1). والحقيقة أن المصادر التاريخية العربية لم تشر إلى تلك الحادثة، على الرغم من النقد الذي كاله دوزي لعبدالرحمن الناصر غير أنه اثني عليه عند ختام الحديث عنه فقال: لقد كانت هذه نتائج باهرة، ولكنا نجد إذا ما تناولنا دراسة ذلك العصر الزاهر، ان الصانع يثير الإعجاب والدهشة، بأكثر مما يثيرها المصنوع، تثيرهما تلك العبقرية الشاملة، والذكاء اللوذعي الذي كانت لا تفوته شاردة إلا وعاها، ولم يفلت منها شيء، التي كانت تدعوا إلى الإعجاب في تصرفها، ا نذللك الرجل الحكيم الذي تبلورت فيه وحدة الأمة والقوة، الذي استطاع ان يوجد نوعًا من توازن القوى بفعل محالفاته، فقد استأثر بمقاليد الحكم ونجح في تأسيس وحدة الأمة ووحدة السلطة معًا، واتسع تسامحه الفياض لانه يدعوا إلى نصحه رجالًامن غير المسلمين، لأجدر بان يعتبر قرينًا لملوك العصور الحديثة المثاليين أكثر من ان يكون ملكًا من ملوك العصر الوسيط (المستشرق دوزي وكتابه: (المسلمون في الاندلس) دراسة تحليلية نقدية، مج 2، 2006م، الصفحات 57-2/58).

عاب دوزي على الحكم المستنصر تركيز على مسألة وراثة العرش واعتبرها الشاغل الوحيد لبال الحكم المستنصر، حيث قال: ان الخليفة لم يكن يشغل باله طوال حكمه سوى شاغل واحد ذلك هو ضمان اعتلاء ابنه (هشام) من بعده وان كان لا يزال طفلًا ... لم ير الخليفة أمامه من وسيلة لضمان العرش لولده إلا ان يسارع بأخذ البيعة له ما وسعه الإسراع، فاستدعى كبار رجال مملكته إلى مجلسه،

واجتمعوا يوم الخامس من فبراير (367هـ/976م) حيث أفضى إليه بقصده إياهم جميعًا للتوقيع باعتباره ولي عهده من بعده، فما استطاع احد ان يرفض طلب الخليفة، حينذاك كلف الحكم المنصور بن أبي عامر (الحاجب) وكاتبه ميسورا ان يستنسخا عدة صور من هذا القرار، وبعث بها إلى جميع ولايات الأندلس وافريقية ... وانجز هذا الأمر بساعته (آن، المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق وتقديم:د. حسن حبشي، 1994م، صفحة 2/80).

أما ما يتعلق بموقف دوزي من المنصور بن أبي عامر، الذي تناوله بشيء من التفصيل، فقد اتهمه بقتل الخليفة هشام المؤيد؛ من أجل الاستئثار بالحكم في الأندلس (دوزي، 2006م، صفحة 2/107). وهو اتهام باطل حيث أن المنصور توفي في سنة (392هـ/ 1002م)، في حين أن هشام المؤيد قتل سنة (403هـ/ 1013م) (الذهبي، 1993م، صفحة 17/123).

اختتم دوزي حديثه عن المنصور بقوله: إذا وجب علينا ان نستنكر الوسائل التي لجأ إليها المنصور في اغتصاب السلطة، فمن الواجب علينا أيضًا ان نعترف بانه استخدمها بطريقة لائقة، وما كنا لنسرف في لومه لو ان القدر خلقه على أريكة العرش، ولعله كان يعد عندئذ من الأمراء العظام الذين يجلبهم التاريخ ويحفظ ذكرهم، ولكنه قد أطل على الحياة في بيت ريفي قديم وخلق في القرية، واضطر لتحقيق أطماعه، وقد اضطرته الرغبة في تحقيق هدفه إلى سلوك سبيل جم العثرات والمزالق، ومن الأسف انه من أجل تذليلها، فلم يراعي شرعية الواسطة ووسائلها من اجل الوصول إلى تحقيق مآربه دون اهتمام كبير بشرعية تلك الوسائل، ولقد كان المنصور رجلًا عظيمًا من نواح عدة، وانه ليستحيل علينا ان نحببه، كما يصعب علينا ان نعجب به لعدم التزامه جادة القوانين الأخلاقية المألوفة (آن، المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق وتقديم:د. حسن حبشي، 1994م، صفحة 2/154).

يتضح من كلام دوزي أنه ركز على الجانب الأخلاقي لسياسة المنصور، وأهمل انجازات هذا الرجل الذي وصل في فتوحاته لأقصى الأندلس إلى مناطق لم يبلغها غيره، ثم ان دوزي يستهزء بابن أبي عامر ويقول إنه خلق في القرية وانه لم يخلق على أريكة العرش، متناسي ان الكثير من الأمراء الذين تولوا حكم الدولة الأموية لم يحققوا انتصارات المنصور بن أبي عامر التي حققها.

تعرض دوزي في كتابه للأوضاع العامة في الأندلس في زمن الدولة الأموية؛واتهم العرب المسلمين بالارستقراطية والتعصبي الديني، فذكر ما نصه: لم يكن الحزب القومي قويًا في أية ولاية قوته في اشبيلية التي كانت منذ أيام القوط مركز العلوم والحضارة الرومانية، ومقر أنبل الأسرات وأثراها، ولم يحدث الفتح العربي أي تبديل في النظام الاجتماعي فلم يستقر في المدينة إلا ثلة قليلة من العرب لإيثارهم الريف عليها ... كما نبذ معظم الاشبيليين المسشيحية منذ زمن بعيد وأقاموا لأنفسهم مسجدًا جامعًا زمن عبدالرحمن الثالث، بيد ان أخلاقهم وعوائدهم وطباعهم بل وأسماء عائلاتهم كانت لا تزال تشير إلى أصلهم الاسباني .. (آن، المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق وتقديم:د. حسن حبشي، 1994م، صفحة 1/165).

وأشار دوزي إلى بعض مظاهر التعصب للعامة تجاه أهل الذمة فذكر: وإذا كان المسلمون الكبار أذكى من ان يضايقوا النصارى بسبب عقيدتهم، فان العامة كانت لا تتسامح مع النصارى وكانت إذا رأت قسيسًا في الشارع صاحت به هذا هوة المجنون، وترنمت ساخرة بالصليب ورجمه الصبية بالحجارة، وطالما سمعهم القسس أثناء الجنائز يقولون: (لا رحمهم الله)، وفي الوقت نفسه تتساقط على المواكب الأقذار والحجارة، وإذا قرعت نواقيس الصلاة بالكنائس هز المسلمون رؤوسهم وقالوا: يا لها من جماعة ساذجة منكوبة أفسدها قسسها، وما أشد حماقتها ... ألا لعنة الله على أولئك الخادعين، وكان الكثير من المسلمين ينفرون من النصارى أو على الأقل من قسسهم، فإذا كلموهم وقفوا على بعد منهم حتى لا يمسوا ملابسهم (آن، المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق وتقديم:د. حسن حبشي، 1994م، صفحة 1/187).

يلاحظ أن دوزي ركز على علاقة المسلمين بأهل الذمة من اليهود والنصارى في زمن الدولة الأموية في الأندلس، ويبدو ان تحليلاته غلب عليها الذاتية والبعد عن الموضوعية، لاسيما وانه كان يناقض بعض مروياته فيما يتعلق بعمليات الفتح وما جرى بعده، كما ان دوزي كان مؤرخًا مفتوح الذهن حاول تسليط الضوء على اغلب الجزئيات التي اتبعها الأمويون تجاه النصارى في الأندلس حتى انه شوه صورة بعض الأمراء الأمويين كالداخل والناصر على سبيل المثال.

الخلاصة:

١- يعد المستشرق رينهرت دوزي من كبار علماء الاستشراق، عاش حياة علمية حافلة في طلب العلم، وتدرج في مراحل تعليمه المختلفة حتى وصل إلى درجة الاستاذية في جامعة ليدن.

٢- اجاد دوزي العديد من اللغات العالمية الحية مثل العربية والإنكليزية والألمانية والفرنسية والإسبانية و الهولندية واللاتينية، فاثمر ذلك كله نتاجاً علمياً غزيراً متنوعاً تأليفا وفهرسة، وتحقيقاً إلى جانب الندوات والمؤتمرات والمحاضرات.

٣- اختص البحث في تناول سيرة المستشرق دوزي وموقفه من قيام الدولة الاموية من خلال كتاب المسلمون في الأندلس.

4- تعرض دوزي في كتابه لجهود الأئمة الاسماعيلية لنشر الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب ومناهضة الامويين في الاندلس.

5- اتضح من خلال البحث ان دوزي ذو شخصية حاضرة في التعليق والتعليل والنقد والتحليل والمقارنة والاستنباط الى حد كبير.

6- تجاهل دوزي في عنوان كتابه لفظة (الاندلس) واسماه بكتاب (تاريخ اسبانيا) او (اسبانيا الاسلامية)، ثم عندما ترجم الكتاب الى العربية حمل اسم (المسلمون في الاندلس) .

7- قام دوزي بتحليل ومناقشة الاحداث والاوضاع السياسية والاجتماعية والدينية، خاصة علاقة المسلمين باهل الذمة من اليهود والنصارى في العهد الاموي بالأندلس.

8- عمل دوزي على تشويه صورة الامراء الامويين بالأندلس، مثل عبد الرحمن الداخل، وعبد الرحمن الناصر ومحمد بن عبد الرحمن، من خلال نقده لسياساتهم, وذكره للاضطرابات والفوضى التي حدثت في الاندلس آنذاك.

9- وصف دوزي الامير محمد بن عبد الرحمن: بأنه رجلا قاصر التفكير متلبد الاحساس انانيا .

10- كما عاب دوزي سلطان الحاكم المستنصر، واعتبر مسألة وراثة العرش بانها الشغل الشاغل والوحيد في تفكير الحكم المستنصر.

11- اما المنصور بن ابي عامر فتناوله دوزي بشي من التفصيل، واتهمه بقتل الخليفة هشام المؤيد من اجل الاستئثار بالحكم في الاندلس.

12- تعرض دوزي في كتابه للاوضاع العامة في الاندلس في زمن الدولة الاموية، واتهم العرب المسلمين بالارستقراطية والتعصب الديني.

المصادر

تكملة المعاجم العربية لرينهارت دوزي دراسة تحليلة في ضوء علم اللغة الحديث، اطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية/ كلية التربية . (1440/ 2019م). كلية التربية .

المستشرق دوزي وكتابه: (المسلمون في الاندلس) دراسة تحليلية نقدية، مج 2. (2006م). المؤتمر الدولي حول المستشرقون والدراسات العربية والاسلامية، جامعة المنيا– كلية العلوم – رابطة الجامعات الاسلامية.

Nurliyana Mohd Talib, Roziah Sidik Ezad Azraai Jamsari .(بلا تاريخ) *Mohamad Zulfazdlee Abul Hassan Ashari.:*

الحميدي. (2008). *أبي عبدالله محمد بن فتوح بن عبدالله (ت488هـ/1095م): جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس، تحقيق وتعليق: بشار عواد معروف و محمد بشار عواد، ط1.* تونس: دار الغرب الاسلامي.

الذهبي. (1993م). *شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م) سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومأمون الصاغرجي ، ط9.* بيروت : مؤسسة الرسالة.

الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس. (1980م). *الأعلام، ، ط 5* . بيروت : دار العلم للملايين .

الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس. (1980م). *الأعلام.* بيروت : دار العلم للملايين ، ط 5 .

الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس. (1980م). *الأعلام، ، ط 5* . بيروت : دار العلم للملايين .

الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت. 764 هـ/ 1362م). (2000م). *الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط – تركي مصطفى.* بيروت: دار إحياء التراث.

العشيري، محمد رياض. (1985م). *التصوير اللغوي عند الإسماعيلية – دراسة في كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي*. الإسكندرية : منشاة المعارف.

العقيقي. (2006م). ، *نجيب المستشرقون*. القاهرة: دار المعارف، ط5.

العقيقي، نجيب. (2006م). *المستشرقون*. القاهرة: دار المعارف ، ط5.

بدوي ، عبدالرحمن. (1993م). *موسوعة المستشرقين*. بيروت: دار العلم للملايين, ط3.

دوزي. (2006م). *المستشرق دوزي وكتابه: (المسلمون في الاندلس) دراسة تحليلية نقدية، ، مج 2*. جامعة المنيا– كلية العلوم – رابطة الجامعات الاسلامية : المؤتمر الدولي حول المستشرقون والدراسات العربية والاسلامية.

دوزي، رينهرت بيتر آن. (1994م). *المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق وتقديم:د. حسن حبشي*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

دوزي، رينهرت بيتر آن. (1994م). *المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق وتقديم:د. حسن حبشي*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

دوزي، رينهرت بيتر آن. (1994م). *المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق وتقديم:د. حسن حبشي*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عنان، محمد عبدالله. (1997م). *دولة الإسلام في الأندلس، ط4*. القاهرة: مكتبة الخانجي.

كحالة: عمر رضا. (بلا تاريخ). *معجم المؤلفين (د.ت)*. بيروت : مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع .

كحالة: عمر رضا. (بلا تاريخ). *معجم المؤلفين (د.ت)*. بيروت : مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع .

محمد كرد علي. (2007م). *غرائب الغرب*. القاهرة: مكتبة و مطبعة الغد.

مراد، يحيى. (بلا تاريخ). *معجم أسماء المستشرقين(د – ت)*. بيروت : دار الكتب العلمية.

Sources

Completion of the Arabic Dictionaries by Reinhart Dozy, an analytical study in the light of modern linguistics, unpublished doctoral thesis, Al-Mustansiriya University/College of Education. (2019/1440AD). Faculty of Education.

The Orientalist Douzi and his book: (Muslims in Andalusia), a critical analytical study, vol. 2. (2006 AD). International Conference on Orientalists and Arab and Islamic Studies, Minya University - Faculty of Science - League of Islamic Universities.

Nurliyana Mohd Talib, Roziah Sidik Ezad Azraai Jamsari. (no date). Mohamad Zulfazdlee Abul Hassan Ashari.:

Al-Hamidi. (2008). Abu Abdullah Muhammad bin Futuh bin Abdullah (d. 488AH / 1095AD): The Ember of the Quoted in the History of the Andalusian Scholars, edited and commented by: Bashar Awwad Marouf and Muhammad Bashar Awwad, 1st edition. Tunisia: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Golden. (1993AD). Shams al-Din Muhammad bin Ahmad bin Othman (d. 748AH/ 1347AD) Biographies of Noble Figures, edited by: Shuaib Al-Arnaout and Mamoun Al-Saghirji, 9th edition. Beirut: Al-Resala Foundation.

Al-Zirkli, Khairuddin bin Mahmoud bin Muhammad bin Ali bin Faris. (1980AD). Flags, 5th ed. Beirut: Dar Al-Ilm for Millions.

Al-Zirkli, Khairuddin bin Mahmoud bin Muhammad bin Ali bin Faris. (1980AD). media. Beirut: Dar Al-Ilm Lil-Millain, 5th edition.

Al-Zirkli, Khairuddin bin Mahmoud bin Muhammad bin Ali bin Faris. (1980AD). Flags, 5th ed. Beirut: Dar Al-Ilm for Millions.

Al-Safadi: Saladin Khalil bin Aybak bin Abdullah (d. 764AH / 1362AD). (2000AD). Al-Wafi bi al-Wafiyyat, investigated by: Ahmed Al-Arnaout - Turki Mustafa. Beirut: Heritage Revival House.

Al-Asheri, Muhammad Riyad. (1985AD). Linguistic representation in Ismailis - a study in the book Al-Zina by Abu Hatim Al-Razi. Alexandria: Manshaet Al Maaref.

Al-Aqiqi. (2006AD). Najib Orientalists. Cairo: Dar Al-Maaref, 5th edition.

Al-Aqiqi, Najeeb. (2006AD). Orientalists. Cairo: Dar Al-Maaref, 5th edition.
Badawi, Abdul Rahman. (1993AD). Encyclopedia of Orientalists. Beirut: Dar Al-Ilm Lil-Malayin, 3rd edition.
Doozy. (2006AD). The Orientalist Douzi and his book: (Muslims in Andalusia) A Critical Analytical Study, Volume 2. Minya University - Faculty of Science - League of Islamic Universities: International Conference on Orientalists and Arab and Islamic Studies.
Dozy, Reinhart Peter Anne. (1994AD). Muslims in Andalusia, translation, commentary and presentation: Dr. Hassan Habashi. Cairo: Egyptian General Book Authority.
Dosi, Reinhart Peter Anne. (1994AD). Muslims in Andalusia, translation, commentary and presentation: Dr. Hassan Habashi. Cairo: Egyptian General Book Authority.
Dosi, Reinhart Peter Anne. (1994AD). Muslims in Andalusia, translation, commentary and presentation: Dr. Hassan Habashi. Cairo: Egyptian General Book Authority.
Anan, Muhammad Abdullah. (1997AD). The State of Islam in Andalusia, 4th edition. Cairo: Al-Khanji Library.
As a case: Omar Reda. (no date). Dictionary of Authors (ed. T). Beirut: Al-Muthanna Library and the Arab Heritage Revival House for printing, publishing and distribution.
As a case: Omar Reda. (no date). Dictionary of Authors (ed. T). Beirut: Al-Muthanna Library and the Arab Heritage Revival House for printing, publishing and distribution.
Muhammad Kurd Ali. (2007AD). Oddities of the West. Cairo: Al-Ghad Library and Press.
Murad, Yahya. (no date). Dictionary of Orientalists' Names (D-T). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

الاصول الاخمينية (550 – 331 ق.م) للسلالة الساسانية (226 – 651 م)

أ.م.د. علي حسن ثابت

alikisra@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية

المستخلص:

تعتبر الإمبراطورية الاخمينيه من أعظم الإمبراطوريات التي حكمت العالم القديم التي اسسها كورش الاخميني الكبير وخلفائه قمبيز الثاني ومن بعده دارا الاول وحكمت امبراطورية مترامية الأطراف شملت مناطق واسعه حكمت الشرق الأدنى القديم قرابة قرنين من الزمن والتي انتهت بعد غزو الإسكندر المقدوني لبلاد الشرق، الذي استطاع هو وخلفائه من اسقاط الامبراطورية الاخمينية وتأسيس الإمبراطورية المقدونية، إذ سرعان ما تمكن ملوك بلاد فارس الذين كانوا خاضعين لنفوذ السلوقيين ومن ثم للدولة الفرثية التي منحت الأقاليم التابعة لها حكم ذاتي متبعة سياسة مركزية.. وقدر للملوك الفرس في اصطخر من النهوض أواخر ايام الدولة الفرثية لاحياء مجد وتراث الملوك الاخمينين، فقدر لاردشير بن بابك بن ساسان كاهن معبد بيت النار للآلهة اناهيتا ان يثور على اخر الملوك الفرثيين ارطبان الخامس ومطالبته بالملك بانتسابه إلى الاخمينيين ومؤسسا الإمبراطورية الساسانية (226–651م). وقد دلت النقوش والكتابات الساسانية والعربية الإسلامية هذا الانتساب، فضلا عن الموقع الجغرافي والاسماء والتشابه الاسطوري للقصص والأخبار الملكية في نقوش الاخمينين الساسانيين.

الكلمات المفتاحية: كورش الكبير. دارا الاول. ارتحشتا. ساسان. بابك. اردشير الأول. سابور الأول.

The Achaemenid origins of the Sasanian dynasty

Assis. Prof. Dr. Ali Hassan Thabit

alikisra@uomustansiriyah.edu.iq

Mustansiriya University

Abstract:

The subject of the research is the Achaemenid origins of the Sassanian dynasty, which is one of the important points in linking two of the greatest empires that ruled the ancient East.' It therefore represents administrative, political, economic and social organization The research was then divided into two sections, the first section: Achaemenid relativity...in classical inscriptions and classical writings. The second topic: The Sasanian lineage and its extension to the Achaemenid kings

Then determine the conclusion. Specializing in Achaemenid-Sassanid inscriptions and writings, it matures from the books of classical historians, the most prominent of which are the books and writings of Persian and Arab resistance historians.

Keywords: Cyrus the Great. Dara the first. I was relieved. Sasan. Your door. Ardashir I. Sabor I.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اني افتتح الثناء بحمدك وانت مسدد لصواب بمنك

تعد الإمبراطورية الاخمينيه من الإمبراطوريات الكبيرة التي حكمت العالم القديم، التي اسسها كورش الاخميني الكبير (550–530 ق.م) وحرص من بعده ابنه الملك قمبيز (530_522ق.م) والملك دارا الاول (521_486ق.م) على توسيعها لتشمل اغلب مناطق العالم القديم آسيا وأفريقيا و أوربا، لذلك حرص الملك الساساني اردشير الأول (226_240ق.م) على إرجاع نسبه ونسب السلالة

الساسانية للأخمينيين. فكان موضوع البحث الأصول الاخمينية للسلالة الساسانية والذي يعد من الموضوعات المهمة للبحث في العلاقة بين الامبراطوريتين الاخمينية والساسانية والتي تمثل استمرار للنظم الإدارية والسياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية

قسم البحث بعد المقدمه إلى مبحثين ضم المبحث الأول نسب الاخمينيون وأصولهم حتى نهاية الدولة الاخمينية.. في النقوش والكتابات الكلاسيكية. وتطرق المبحث الثاني النسب الساساني وأصله الاخميني.

ثم جاءت الخاتمة. لتضع أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال النقوش والكتابات الاخمينية الساسانية فضلا عن كتابات المؤرخون الكلاسيكيون وابرز كتبهم والكتابات المؤرخون الفرس والعرب المسلمين.

أولا: نسب الاخمينيون واصولهم

الاخمينيون أقوام هندأوربية سكنوا في جنوب غرب هضبة ايران في اقليم بارسا (Parsa) والذي حرف عند اليونان إلى تسمية برسيس[1] ثم اطلق عليهم العرب بلاد فارس (امين، 1989، صفحة 345) والذي يعد الاصل للملوك الاخمينيين والمركز الذي انطلقوا منه لحكم الشرق الادنى القديم، وهو اللقب الذي ظل الاغريق يتداولونه لتسمية امبراطورية الفرس مطلع الالف الاولى قبل الميلاد واول اشارة وردت لذكر هذه الاقوام في المصادر الآشورية تعود الى الملك شلمنصر الثالث (858–824 ق.م) في عام حكمه السادس عشر والرابع والعشرين مع قبيلتي مادي وبرسا[2].

مؤسس هذه السلالة رجل يدعى هاخمانيش[3] وكان تابع للمدبين في بدايته، ويقدم لنا الملك دارا الاول (522–486 ق.م) [4] في نقش بهستون تفصيلاً عن اصل العائلة الملكية للأخمينيين، إذ ينص على (إني انا دارا الملك العظيم ملك الملوك في بلاد فارس ملك البلدان ابن هيستابيس (Hystaspes)[5] وحفيد ارساساميس Arsames الاخميني) (Tolman، 1908، صفحة 156) من خلال ذلك يؤكد دارا إلى ان نسبه يمتد إلى فترات في ماضي الاخمينيين، اذ يجعل نسبه ونسب ابيه وجده إلى اخمينس (هاخماشيان) يقول دارا ان والدي هو هيستابيس بن ارسامس بن اريامس[6] ابن تيسبيس Teispes ابن اخمينس، وهو يقول لذلك ندعى بالاخمينيين وان نفوذ عائلتنا الذين كانوا ملوكاً يرجع إلى وقت طويل. ثم يقول دارا ان ثمانية ملوك من عائلتي كانوا ملوكاً وأنا التاسع، يبدو أن دارا كان يؤسس لقاعدة ويقول انا الملك بفضل اهورامازدا [7] Auromazda أنا الملك لقعد اعطاني الملوكية، ونحن احدى عشر ملكاً

---

[1]برسيس – وتقع بعد كرماتيا وهذه المنطقة الجزء الكير يقع على ساحل الخليج الذي دعي باسمها والشعر الكير يقع مداخل البلاد اكثر بالطول من الجنوب ومن كرمانيا تعد الشمال القبائل الميديه. (Strabo، 1944، الصفحات XV, III,)

[2]وفي اشارة الى المناطق التي تقع الى الجنوب والجنوب الغربي لبحيرة ارومنية سنة 835ق.م (طه، 1956، الصفحات 389–398)

[3]هاخمانيس او اخمينس (Achemenes) وهو مؤسس السلالة الاخمينية الذي اعترف بسيادة العيلاميين والماذيين اسس مملكة صغيرة في بارسوماش وقد ساعدته الظروف في الفترة التي نشب النزاع بين العيلاميين والأشوريين من الاستقلال. (امين، 1989، صفحة 500) (خنجي ا.، 2018م، صفحة 134)

[4]دارا الاول وهو الملك الاخميني الذي تولى حكم الامبراطورية الاخمينية بعد الملك قمبيز الثاني ابن كورش, وقضي على الكثير من التمردات التي حدثت في ارجاء الامبراطورية يرجع اليه الكثير من النظم الادارية لإدارة الامبراطورية فضلاً عن حملة عسكرية على بلاد اليونان خسر معركة مارثون مع اليونان نجح في السيطرة على الهند وحفر قناة بين البحر المتوسط وأحد فروع النيل، توفي سنة 486 ق.م. (امين، 1989م، صفحة 508)

[5]بهستون، وهو نقش قام بكتابته الملك دارا الاول علي حبل بهستون بثلاث لغات هي البابلية والعيلامية والفارسية وهي مرتفعة من سطح الارض مسافة 70م ويرجع الفضل للمستشرق والدبلوماسي الانكليزي هنري رولينسون وبيت الكتابة الفارسية التي كتبت في النقش بالخط المسماري وساعد على فهم اللغتين العيلامية والبابلية الكتابات المسمارية وفك رموزها، (ليون و ميشيل، 2011، صفحة 19)؛ (هيتس و رجبي، 38هـ، صفحة 37)

[6]اريامنس Ariarmans (640 – 590 ق.م) هو ابن تيبس (Tespes) الذي قسم مملكة الفرس مع أخيه كورش الاول (640 – 6000 ق.م) لقب نفسه بالملك العظيم ملك الملوك ملك بلاد فارس وعثر على لوح من الذهب منقوشة فيه القاب هذا الملك ويعد من اقدم النصوص المكتوبة بالفارسية والخط المسماري. (طه، 1956، صفحة 399) (امين، 1989، صفحة 501)

[7]اهورامزدا: وهو رمز للإله نور الشمس في الديانة الزرادشتية وهي كلمة مركبة في الاصل من اهور وهو احد اسماء الاله للاراين مزدا وتعني العالم وبهذا يكون معناه اله العالم والذي يمثل النور ضد اله الظلام وهو اهريمان. (العابد، 2015، صفحة 125)

بالتتابع كلنا ملوك (Ghirshman-Roman، 1954، صفحة 7)، هذا ويتبين انه اراد ربط عائلته بالأصول الملكية ومع انه لم يذكر كورش بل ذكر جده تيبيس باعتباره جده الاكبر والذي يوضح لنا هذا التمايز بالنسب هو ان تيبيس قسم الملك بين ولديه أي إلى فرعين من العائلة المالكة الاخمينية. (بريانت، 2012، صفحة 261)

ويؤكد ذلك الاخبار الاشورية ان كورش قد اودع ابنه لدى الملك الآشوري اشور بانيبال كرهينة دلالة على طاعته لهذا الملك، وان ابناء كورش هم من استمر لهم الملك في حكم الفرس أواخر القرن السابع للميلاد.

وأن اولاد اريامنا قد اصبحوا ملوك من الدرجة الثانية بعد ان اصبح ابناء كورش رؤساء اتحاد القبائل الفارسية العشرة الكبيرة [8]، ويبدو ان تبع الدولة الفارسية الاخمينية لمادي وتزوج قمبيز الاول بن كوروش من ابنة الملك الميدي استياجز (خنجي، صفحة 135) كان له الاثر في توجه وبروز ابناء كورش، وتقدر لهم لسيادة الفرس [9]، هذا وان هذه المصاهرة قد مكنت الفرس من السيادة على ايران بعد ان ولد كورش الكبير مؤسس الامبراطورية الاخمينية (بريانت، 2012، صفحة 262) (Frye، 1964، صفحة 103) من هذا الزواج، وبالرجوع إلى الكتابات البابلية في اسطوانة كورش المعاصرة لكورش الكبير، نذكر النسب الاخميني لفرع كورش الكبير ((انا كورش بن قمبيز الملك العظيم، ملك انشان حفيد كورش الملك العظيم، ملك انشان، ومن احفاد تيبيس الملك العظم ملك انشان)) وهذا ما يذكره لنا الملك نبونائيد بأن كورش ملك انشان ايضاً، ويذكر نفس النص لنا نفس التسلسل النسبي لكورش الكبير (Potts، 1988، صفحة 13). ويظهر ان نص كورش هذا ذكره لمنزلة ابائه، ولم يتجاوز تيبيس الذي وضعه ملك فارس وانشان، وهذا يوضح ان اخمينس لم يكن سوى ملك من الملوك القبليين (شعباني، 1394هـ، صفحة 50) ويجعل هتسياس والد دارا حاكم على اقليم فارس من قبل كورش الثاني[10] يتبين ان الفرعين قد كانوا تحت حكم كورش الثاني ومع انه يبين انفراد سلالة النسب الاخمينية لكورش في حكم بلاد فارس والممالك الخاضعة لها.

ومع ان النصوص الاكدية تؤكد ان كورش كان حاكم سوسة وانشان وتقدمها باعتبارها الاكثر شيوعاً لتاريخ التدوين والروابط السياسية مع عيلام وفارس (Potts، 1988، صفحة 15)، في حين ان كورش الثاني اختلف في اصله في المصادر الكلاسيكية فهيردوتس (هيردوتس، 1886، الصفحات 104-130) يقدم لنا قصة يرجحها على ثلاث قصص كما يذكر انها غير موثوقة مفادها ان والد كورش قمبز الفارسي تزوج ابنة استياجز لخوفه من يعطيها لنبيل ميدي ويحاول ازاحته عن العرش ومن هذا الزواج ولد كورش، لكن حلماً أوحى لاستياجز وحتى لا يتجار ان كورش سيجلس على عرشه لهذا امر أحد قادته أو مستشاريه هوباخوس Harpagos بقتل كورش الا ان هرباخوس منحه إلى راعي كانت زوجته ولدت طفلاً ميتاً، فربت كورش وكان اسمها على ما يذكر سباكو [11] وعندما بلغ كورش العاشرة من عمره اكتشف استياجز الامر لكن الكهنة الذين فسروا له الحلم يرووا ان تفسيراتهم السابقة للحلم فذهبت مخاوفة وارسله إلى ابويه في فارس (Parsis).

ويقدم كتياس[12] رواية مختلفة أيضاً كون ان كورش من قبيلة ماردي وانه ابن قاطع طريق أو لص وامه راعية وهما يمتان بصلة باستيباجز وانه نشأ في مكانة دنيا في بلاط استياجز وان الاخير ارسله كمبعوث إلى الكاد وسيسين التقوا بفارسي يدعى اوباراس (Oibaras) والذي اتفق معه لتمرد على استسياجز والذي ارسل جيشاً ضد المتمردين الذين حوصروا في جبل سباسركاده وهزم كورش الميديين واستولى على هكامتانا بالفارسية اكبتانا وهو هنا يريد ان يخرج كورش من الدماء الملكية (Csteslas، 2002، صفحة 205).

---

[8] القبائل الفارسية العشرة. يمكن تقسيم القبائل ست من اهل الحضر الذين يسكنون المدن والباقي بدو يسكنون الخيام في القرى والارياف وفي باسركاد، مدفى اما سبان ،بمتالي، دورزي، كرمان، والقبائل البدوية هي ساكرتن امرد، دوربيك، دائن ون القبيلة التي خرج منها الاخمينيين باساركاد وفي الاعرق. (شعباني، 1394هـ، صفحة 43)

[9] كانوا يلقبون انفسهم ملوكاً لفارس وانشان، (شعباني، 1394هـ، صفحة 47)

[10] يذكر ريتشادفراي انه دليل يحتاج للتفكير والتمعن.

[11] – يذكر هيرودتس، انه اسم ميدي ويعني الكلب (هيردوتس، 1886، الصفحات 104-130)

[12] يظهر ان اظهار كورش بهذه الصورة كونه كان طبيباً في البلاط الاخميني ارتحشتا وسعيه لعدم اعقاد اسم كورش بسبب صراع ارتحشتا مع كورش الصغير في معركة كونكاسا 401 ق.م.

أما اكسينفون يذكر ان كورش الاكبر كان اميراً أخمينياً ابن ممبيز ملك الفرس وانه استولى على الحكم بمساعدة الميدين انفسهم (Xenophen، 1876، صفحة 213) في حين يؤكد ذلك ديودور الصقلي بأن استياجز كان غير محبوب من قبل ابناء رعيته (Potts، 1988، الصفحات IX,23).

وبالرجوع للكتابات المسمارية البابلية التي تؤكد أن كورش من سلالة الملوك وانه من ملوك انشان وفارس (Potts, 1988, p. 15)، فضلاً عن ان كورش حين سيطر على بلاد بابل تلقب بالألقاب الملكية فيقول: ((أنا كورش العظيم ملك بابل ملك سومر وأكد ملك الممالك الاربعة العالمية)) (Frye, 1964, p. 106) (فيزهوفر، 2009، صفحة 72)، ويظهر من الالواح المسمارية البابلية ان كورش بالإضافة لأحترامه الهة مدينة بابل احترم بقية المعابد الاخرى وامر بإرجاع الآهلة الخاصة بالمدن المجاورة التي كان اخذها حكام بابل وتقلدها بابل فأمر بإعادتها إلى أماكنها الاصلية (شعباني، 1394هـ، صفحة 51)، ونصب ابنه قمبيز الثاني (530-522 ق.م) الذي حسد اخاه برديا بعد وفاة ابيه ويظهر ان برديا كان حاكماً على اقاليم خوارزم وباختروبارس (فاررس وكرمان) فقتله وتوجه بعد ان قمع الاقاليم الثائرة لتوسيع رقعة الامبراطورية، فسيطرة على مصر بعد ان انتصر على القوات المصرية في معركة بلوزيوم (525 ق.م) وهي المنطقة التي تربط بين آسيا وافريقيا.

وبعد ان دخل مصر لقب بالألقاب التي يلقب بها ملوك مصر وقام بجميع الطقوس التي يقوم بها الفراعنة لأضفاء صفة شرعية لحكم الاخميني على مصر (شعباني، 1394هـ، صفحة 52). وكان قمبيز مصاباً بالصرع ولم ينجب أولاداً فاجتمعت قبائل الفرس العشر[13] وانتخبوا الامير الفارسي دارا (521-485) الذي قضى على التمردات التي حدثت بعد مقتل سمرديس المجوسي مدعي الملك بعد وفاة قميز الثاني (521 ق.م) وبذلك ينتهي الفرع الانشاني، أو ذرية كورش الكبير، صانع امجاد ومؤسس الامبراطورية اذ ان اخبار ذرية كورش الأولاد وابناء برديا وقمبيز قد غابت حتى نهاية العصر الاخميني[14].

هذا ويؤكد الملك الاخميني احشويرش[15] ابن دار الاول في تقش يتحدث عن نسب العائلة الاخمينية ((يقول خشيارش الملك ابي هو دارا وابودارا كان يدعى فيستاسيا (ويشتاسب) ابو فيستاسيا يدعى ارساميس كان كل من فستاسيا وارسايس على قيد الحياة عندما قام اهورمزدا بتنصيب ابي دارا ملكاً على هذه الارض)) (Breasted، 1932، صفحة 53).

ويظهر ان الفرع الانشاني اولاد كورش قد اتحد مع الاصل الفارسي الفرع ياوتيا (البارسي)، إذ أن احشويرش هو الملك الذي ولد من اتحاد هاتين العائلتين إذ هو ابن دارا من زوجته اتوسا ابنة كورش الكبير (Martin، 1995، صفحة 225).

وتظهر لنا من النقوش والمصاهرة السياسية هو استمرار الحكم الفارسي وان كان دارا ليس من عائلة كورش (Potts، 1988، صفحة 14)، الا ان ابنة احشويرش مثل هذا الاتحاد العائلي للأصول الاخمينية اذ اعتبر الاخير حفيد كورش لأبنته اتوسا Atossa [16] واستمرت السلالة الاخمينية من هذا الزواج إلى نهاية الدولة مع ان الملوك الذين جاؤوا بعد احشويرش لم يكونوا بشهرته وقوة اجدادهم من حيث القوة العسكرية وبعد اغتيال احشويرشث على يد حجابه (طه، 1956، صفحة 639) ورثه ابنه ارتحستا الاول (465-424 ق.م) [17] الذي قتل جميع اخوته بعد ثورة استمرت ثلاثة سنوات (465-462 ق.م) (طه، 1956، صفحة 639)، ولم

---

[13] الملك الجديد من شأنه ان يقر الامتيازات القبلية لرؤساء القبلية والنبلاء الفرس بعد أن قضوا على المدي بالعرش المسمى سمرديس مع ستة من ممثلي هذه القبائل. (Damndamaev، 1989، صفحة 24)

[14] تذهب اراء الباحثين ان لم تكن هنالك صلة قرابة بين كورش ودارا الاول وانه انقلاب قام به الامير ضد العائلة الفارسية الاخمينية. (خنجي، صفحة 197) (Potts، 1988، صفحة 14)

[15] احشويرش هو الملك الاخميني ابن دارا الاول ولم يكن الابن البكر ولكن من زوجته اتوسا ابن كورس الثاني وكان حاكماً على بابل في عهد ابيه دارا الاول، وسع الامبراطورية الاخمينية وعزا اثينا ووفر معركة سلاميس 479 ق.م ومعركة بلاتيا 479. (أولمستد، 2012، صفحة 362)

[16] لقد تربى احشويرش في ظل رعاية نساء البيت الملكي هذا وان والده عينه من جراء نفوذ امه اتوسا داخل البلاط الاخميني. (فيزهوفر، 2009، الصفحات 72-73)

[17] ارتحشتا الاول (465-424 ق.م) ويرد اسمه أيضاً اردشير الاول الملقب بذي اليد الطويلة ومن اهم الاحداث التي حدثت في عصره قصة ثور اهالي معر وثورة الوالي بغابيش، (شعباني، 1394هـ، صفحة 86)

يسعف الحظ ولي عهده الملك احشويرش الثاني الذي حكم 45 يوم اغتاله اخوه والي باختر اخس الذي عرف بداريوش الثاني (424-404 ق.م) (شعباني، 1394هـ، صفحة 86) الذي بذر أموال الدولة في دعم اسبارطة ضد اتيتا في الحروب البيلوبونزية [18].

خلف دارا الثاني ابنه المسمى ارتحتشتا الثاني (404-359 ق.م) [19] والذي استمر في حكم السلالة الاخمينية طوال فترة حكمه التي قاربت النصف قرن بل حتى مجيء[20] ابنه ارتحشتا الثالث (359-338)[21] الذي كان شديد القسوة واستطاع ان يقضي على جميع اخوته ليتجنب الثورات والتمردات التي حدثت من قبل، والمحافظة على وحدة الإمبراطورية الاخمينية ومن ابرز الاحداث في عصره قضاءه على تمرد صيدا، وحرق الآلاف من سكانه، وقضى على تحالفها توبختي مع مصر وملكها نوبختي الثاني الذي فر أمام قوات الاخمينيين والمرتزقة من اليونان، وحرص على اعادة الامبراطورية إلى سابق مجدها وحدودها إلى ما كانت عليه، لولا اغتاليه من قبل بجة وهوش مسموماً سنة 338 ق.م (خنجي، صفحة 310).

وبعد ثلاث سنوات من حكم المتآمرين استطاع دارا الثالث المدعو كودمانوس وهو ابن عم الملك المقتول، ان يحكم البلاد بأسم دارا الثالث، وكان امل الامبراطورية كبير في الاستمرار، لولا قيام الدولة المقدونية بقيادة الاسكندر المقدوني بن فيليب، الذي انتصر على جيوش الاخمينيين في ثلاثة معارك متوالية هي نهر الغرانيق 334 ق.م ثم انتصاره على جيش دارا الثالث في معركة اسيويس، بعدها انتصاره في معركة كوكميلا بالقرب من اربلا 331 ق.م ، وبهذا تقرر مصير اسيا وزوال الامبراطورية، ظل الاسكندر يخضع بلاد فارس حتى وجدت جثة دارا الثالث مقتولاً، إذ قتله احد قادة جيشه اثناء مزاره اذ أمر دارا باعدام قتلة دارا وامر ان يدفن في احتفال كبير (عبد العزيز، 1965، صفحة ج1، ص548)، وبهذا تنتهي سلالة الاخمينيين الحاكمة التي تفرعت من كورش ودارا الاول في حكم اسيا والعالم، وتبرز الامبراطورية المقدونية وحلفاء الاسكندر في حكم اسيا والعالم.

ثانياً: النسب الساساني واصله الاخميني

عند الحديث عن الساسانيين تتحول الملحمة الفارسية من اسطورة الى تاريخ عن المجتمع، فضلاً عن صفات البطولة والفروسة، بل ان المجتمع يدخل في عهد من التسلسل الزمني والحياة الاكثر انتظاماً، لأن مؤسس السلالة جزء من الارث الملحمي السابق فالقصص المتعلقة باردشير الاول (226-241 م) تقسم الى ثلاث مجاميع الاولى النسخ الرسمية، والنسخ المحلية والشعبية، والبيزنطية المعادية. فالأخيرة كانت قبل اكتشاف المخطوطات الملكية، والحصول على ترجمتها الدقيقة للمصادر الفارسية.

لم ينقل ديوكاسيوس Diocassius [22] ولا هيروديان Herodian [23] شيئاً عن أصول اردشير مع معاصرتهم له، الا ان اغاثياس في كتابه التاريخ (History) (Agathias, 1975, pp. Book2, P.61) الذي عاش في القرن السادس، نقل قصة عن اصل اردشير طبقاً للرواية التي تشير ان هنالك منجم يدعى بابك يعيش في قرية فارس، وقد جاء جندي يدعى ساسان Sasan [24] لزيارة هذا المنجم في بيته، فلاحظ بابك على هذا الجندي الضيف علامات تشير الى العظمة فاعاره زوجته وقد ولد اردشير نتيجة لهذا

---

[18] وقعت أولى الحروب هذه بعد تثبيت زعامة بركلس بقليل 459-446 ق.م، وكانت على ثلاث فترات تخللها صلح واتفاق استسلمت اثينا في نهاية الحرب لاسبارطة سنة 404 ق.م وقضي على امبراطورية اثينا. (طه، 1956، الصفحات 550-551)

[19] ارتحشتا الثاني (404-358 ق.م) ويطلق عليه أيضاً اردشير الثاني وكان اسمه في البداية (ارشك) اهم الاحداث في عصره ثورة اخيه كورش الصغير الذي ثار عليه بمساعدة 10 آلاف اغريقي من المرتزقة، انتهت الحرب بانتصاره على اخيه في معركة كوتكاسا (401 ق.م). (زينفون، 1965م، صفحة 55) (امين، 1989م، صفحة 11)

[20] قتل ارتحشتا سنة 358 ق.م. (طه، 1956، صفحة 640)

[21] ارتحشتا الثالث (358-338 ق.م) ويسمى أيضاً اردشير الثالث ولقبه اوخوس عقد معاهدة مع بلاد الاغريق وأثينا وحلفائها مات اردشير الثالث مسموماً على يد قائده بيجيراس، (عبد العزيز، 1965، صفحة 544)

[22] ديو كاسيوس Dio Cassius مؤرخ روماني كتب تاريخاً لروما منذ البداية حتى 229م ويعد من اقدم الكتب الكلاسيكية التي ذكرت الدولة الساسانية في اثناء حديثه عن اقاليم الامبراطورية الشرقية. (العابد، 2015، صفحة 34)

[23] هيروديان Herodian من مؤرخي القرن الثالث الميلادي تحدث عن تاريخ غرب اسيا من زمن الامبراطوري منذ الامبراطور مالاكوس اوريلوس حتى الامبراطوري جورديان الثالث من (180-238م). (العلان، 2012، صفحة 35)

[24] ساسان: وهو الكاهن الاعلى لبيت النار اناهيتا وصاحب المنزلة العليا في مدينة اسطخر. (Ghirshman-Roman، 1954، صفحة 2)

الجماع، وعندما كبر اردشير واصبح ملكاً، نشب خلاف بين العجوزين في ايهما أحق بأبوة اردشير، وحسم الامر ان يدعى اردشير ابناً لبابك ولكن نسبه يعود لساسان ولعل هذه القصة قد حورت عن التاريخ المحلي الفارسي، وحور في بعض جوانب القصة وغيرها الكاتب البيزنطي بالضد من الساسانيين (Frye, 1964)، هذا وان كل من اغانيوجيلوس Agathangelos [25] وموسى الخوريني Moses of korene [26] لم يذكرا أي معلومة عن اصل اردشير او لعل القصة في الادب الفارسي، فأولاً في كتاب كرنماك البهلوي Pantavi Karanmak [27] المدعو كتاب المآثر والكتاب المسلمون الذين جاؤوا بعد هذا في قصة ساسان كان راعياً يعمل لدى الملك بابك الذي كان يحكم مدينة اصطخر Lstakar في اقليم فارس Fars، وكان ساسان من سلالة الملوك الاخمينيين، وانه اخفى ذلك وحلم بابك حلماً فسر له أن ابن ساسان سيحكم العالم في المستقبل تبعاً لذلك زوجه ابنته لساسان فأنجبا ولداً هو اردشير، تلك هي نفس القصة التي اوردها الفردوسي[28]، في الشاهنامة والكتاب الذين جاؤوا بعده وفي تتبع عناصر القصة مؤسس السلالة رجل من عامة الناس يخوض غمار المعاناة بسبب المنفى والفقر او غيرهما من الصعوبات، ثانياً يجري في عروقه دماء ملكية قديمة وهو امر لا يكتشف الا في الوقت المناسب. ثالثاً يرتبط عن طريق الزواج بعائلة حاكمة [29] وهو نفس الامر الذي حدث في قصة مؤسس الامبراطورية الاخمينية كورش الثاني، إذ تأخذ نفس المنحى الروائي وتستمر القصة لتسرد لنا ثورة اردشير على ارطبان الخامس Artabanus IV [30] ملك الفرثيين Parthian فنسب اردشير يختلف في التراث الزرادشتي اردشير بن باباكان امه ابنة ساسان ابن ويهافريد Vehfird ابن ساسان، وابن اردشير المدعو هومند ابن سبنديا، و Spendiyad وهكذا ينتهي اصله الى ارتحشتا الثاني، وهو احد الملوك الاخمينيين السالفين الذكر. أما الطبري[31] وغيره من الكتاب المسلمين[32] فيذكرون لنا شيئاً آخر يعود الى دارا الثالث Darius III.

وبالرجوع الى كتابات بوتيكوس (Eutychius) بطريك الاسكندرية، وكتابات ابن الاثير[33]، وكذلك الى مخطوطة شابور الاول (242-272م) وهي مكتوبة بثلاث لغات[34]، والتي تعد مصدراً موثوقاً ومهماً جداً، إذ تذكر ان ساسان كان حاكماً محلياً في فارس وكما تسميه المخطوطة (mrhy) بينما كان بابك ملكاً mlk، وكان ابناً لزرادتشت [35]، وبعد عام 209م عام تغيرت العملة الفارسية من المسكوكات الفرثية الى الساسانية وبعد التعرف على خمس دراهم فضية تبين ان ساسان وبابك، لا توجد لهما عملة باسمائهما

---

[25] اغانيوجلوس: من أبرز المؤرخين الارمن ويعتبر من مؤرخي القرن الخامس الميلادي. (فيزهوفر، 2009، صفحة 190)

[26] موسى الخوريني Moses of korene : وهو افضل ما كتب عن تاريخ ارمينيا نحو القرن التاسع الميلادي وتضمن تفاصيل هامة عن تاريخ الساسانيين حقق كتابه بالالمانية المستشرق ماركات، (العابد، 2015، صفحة 38)

[27] من أهم كتب السياسة والنظم والقوانين الاجتماعية وهو كتاب كارنامة اردشير الذي يتحدث عن سير واعمال الملك اردشير الاول (226-241 م). (هدايت، 1963، الصفحات 161-209)

[28] (الفردوسي، 1970، صفحة 38)

[29] بعد الانتصار الذي حققه على ارطبان الخامس (اردون) في معركة الهرمزدجان 226م تزود اردشير بأبنة ارطبان الخامس وهو زواج سياسي يربط الابن أو البنت بالسلالة التي غلبتها. (ماسة، 1958م، صفحة 167\) (العابد، 2015، صفحة 44)

[30] ارطبان الخامس: هو آخر ملك فرثي واسمه اردون واطلق عليه الرومان ارتبانوس والذي خسر معركة الهرمزدجان مع اردشير الاول الطويل اليد سنة 226م. (سايكس، 1343هـ، صفحة 534)

[31] يعطي الطبري سلستين من النسب (اردشير بن بابك بن ساسان بن بابك بن زرار بن بهافرذين ساسان الاكبر بن بهمن ابن اسفنديار بن يشتاسب بن لهراسب- اذ يذكر انه جاء لطلب دم ابن عمه دارا بن دارا. (الطبري، 2005، صفحة ج1، ص317)

[32] (اليعقوبي، 1425هـ، صفحة 252)

[33] عز الدين أبي الحسن علي بن محمد (ت 630هـ)، حققه: أبو الفداء عبد الله القاضي، ط5 (بيروت، 2010)، ج1، ص237.

[34] نقش رستم العائد إلى كعبة زرداشت وهو نقش كتب بثلاث لغات عند بيرسيوليس يمثل انتصار الملك على اعدائه وكتب بالبهلوية وبالساسانية والبهلوية الاشكانية واليونانية حيث يظهر الملك والاله اهومزدا على حصانين متقابلين، فالملك إلى اليمين والاله إلى اليسار. (فيزهوفر، 2009، صفحة 194) (العابد، 2015، صفحة 169)

[35] اعطى بعض الحكام لأنفهسم لقب فرانكا بمعنى خالق النار والتي تقابل لفظة هربد وهذا بوضع انهم كانوا يتمتعون بمناصب دينية مغان منذ العهد الاخميني نقيب في هذه الطبقة، (رازي، 1335هـ، صفحة 55)

ولكن وجدت عملة ضربت بأسم ابن بابك الكبير شابور، إذ نقش على وجهي المسكوكات صورة لشابور جالس على تخت الملك وعلامة القمر على الضابط الملكي وعلى الوجه الآخر صورة لأبيه بابك وكلاهما يحمل لقب شاه (شعباني، 1394هـ، صفحة 188) (شعباني، 1394هـ، صفحة 188) وهو ينسجم تماماً مع مضامين الرقيم المكتشف في كعبة زرادشت، ومع نقش تخت جمشيد (بيرسبولس) وهو امر يبين ان النقش الشاهد الحي في ان اردشير ايضاً كان ملك ايران وغير ايران (فيزهوفر، 2009، صفحة 198).

وعند تقدمنا من ساسان الى شابور في المخطوطة ان شابور ملك ايران، وغير ايران، وان ام بابك ترد في النقش دون الاشارة الى انها ارملة ساسان، وهو ما يجعل ريتشارد فراي يرى انها كذلك.

وهنا يتبين لنا ان عامة الناس لا تتقبل النسخ الرسمي للنسب الساساني، كما تقدمه المخطوطات والتي اخذت صداها في الكتابات الأخرى هذا وبالرجوع الى الموبد Mobads والكهنة الزرادشتيين والشعراء والروايات الشفوية المتناقلة في الفترة الساسانية، ويظهر اهتمامهم كونهم المهتمين بالتاريخ ولم يكن حباً للملوك السابقين وذلك بعد ان اعلن المعبد الساساني معبداً رسمياً للدولة خاصة في عهد كارتير Kartir الكاهن[36] الكبير الذي علا شأنه في فترة حكم بهرام الاول (273-276م) وبهرام الثاني (276-293م) اللذان خلفا سابور الاول.

وهنا يجب ان نشير الى ان الارتباط بالاخمينيين عن طريق ارتحشتا وليس غيره من الملوك الاخمينيين لأهمية هذا الملك في التراث الزردتشي ففي الكتب البهولة تجد اهمية لهذا الملك وكذلك في المخطوطات الفارسية لهذا الملك والتي يبجل فيها ذكر ميثر Mithra[37] اناهيتا Anahita [38] وكذلك أهورمزدا فضلاً عما مذكور في مقدمة التقويم الافستي في الامبراطورية الاخمينية، هذا وبالرجوع الى الاختلاف الذي وجد في النسب الساساني في كتابات المسعودي، وعلى هذا فأن الرجوع الى المخطوطات التي تعد وثائق مفتوحة، ويجب التصديق بها كونها الشاهد الحي عن حياة الاقدمين، ما لم توجد اسباب مقنعة ووجيهة لتكذيبها هذا ولابد من أن نلاحظ ان الغموض الذي يحيط بساسان في المخطوطات ناتج عن قلة المعلومات حوله الناتجة من عدم امتلاك شابور وحاشيته أي معلومات حوله كونه الجد الاكبر للساسانيين (Frye، 1964، صفحة 50) وهذا يبين ان ساسان شخصية غامضة مثله مثل اخمينس Achamenes الجد الأعلى للأخمينيين، ولكن هذا يوصلنا الى ان اردشير الاول قد اخذ مكانه في تأسيس الدولة الساسانية ذات الاصل الاخميني، إذ اعتمد ثنائية الحكم الدين والسياسة، وهو ما تمثله النقوش الساسانية التي تنسجم مع مضامين كعبة زرادشت والنقوش التي وجدت في تخت جمشيد التي تبين حالة الشاه سابور أمام النار ووقوفه وهو يتضرع أمام المعبد، التي تبين سابور ووظيفته الدينية اذ ان بابك وابنه شابور الممتطي الفرس والملتزمين لركابه، ومنح اهور مزدا التاج لشابور ابن بابك ابن ساسان ووضع شابور بيده خاتماً ذا شريط معلق به دلالة على الجلالة الالهية (لوكوكنين، 1365هـ.ش، صفحة 43) (شعباني، 1394هـ، صفحة 188).

وهو يطابق كلام النقش السابق نقش دار الاول وابنه احشويرش انهم اصبحوا ملوكاً بفضل اهورمزدا، ولذلك يقول احشويرش: "أن الاله العظيم اهورمزدا الذي خلق السماء الابعد والذي خلق الانسان وخلق السعادة للانسان الذي جعل احشويرش ملكاً واحد من عدد الملوك، انا احشويرش ملك الملوك ملك البلدان التي تحوي انواع البشر (Balacer, 1995)، هذا وتجسد المنحوتة العيلامية الاله اهورمزدا قد حلق فوق دارا الاول والذي هو مستوحى من النقوش الاشورية، فضلاً عن اعلان دار في نقش بهستون انه من اتباع اهورمزدا هذا ويتضح من خلال اتباع التعاليم الزرادشتية والمجوسية لزرداشت عدا الاختلاف في تقاليد دفن الموتى والطقوس المتعلقة بالتضحية وطقوس تقديس النار، وهي ابرز علامات الديانة الزرادشتية (Frye, 1964, p. 119).

---

[36] ويفهم من المصادر الاسلامية والفهلوية ان كارتير الكاهن الاعلى للديانة اي الموبد موبدان وفي فترة اردشير كان تنسز. (Frye، 1964، صفحة 247)

[37] مثيرا: وهي اكبر الالهة في الديانة التي سبقت على الدين الزرادشتي وهو إله الشمس وهو إله ذو أصل اري وكلمة مثرا تعني العقد والاتفاق فكان إله للعقود والاتفاقيات وهو يحفظ الحق والنظام. (سعفان، 1999م، صفحة 94)

[38] اناهيتا: الآلهة الخاصة بالخصب والانتاج وصفاتها من عناصر غير إيرانية، ولكن استمرت عبادتها حتى نهاية العصر الساساني في ايران. وهي مركز لكوكب الزهرة. (سعفان، 1999م، صفحة 91)

هذا ويتضح من خلال كتابات اردشير الملك الساساني الذي اعلن الدين الزرادشتي ديناً رسمياً للدولة (ماسة، 1958م، صفحة 167) وقوله الشهير ((الدين والملك اخوان ولا غنى لواحد منهما عن صاحبه خالدين اساس الملك والملك حارسه)) (المسعودي، 2007، صفحة 257).

وحرص اردشير دائماً على ربط نسبه بالاخمينيين ووراثتهم ويتضح ذلك من خلال رسائله إلى رعيته وامراء الاقاليم التابعة له ((من اردشير المؤيد ذو البهاء ملك الملوك ووارث العظماء)) (احسان، 1967، صفحة 87) وهذا الامر يرجح كثيراً (الطبري، 2005، صفحة 317) (سعيد و الهاشمي، 152) في رجوع نسله إلى الاخمينيين مع بعدهم عنه ما يقرب الخمسة قرون ونصف، وهو امر يثير الشكوك في هذا الانتساب [39] وان طول هذه المدة لا تعني هذا الارتباط الوثيق بالاخمينيين فيه شك ولهم خير اسوة بجيرانهم العرب الذين حفظوا انسابهم جيلاً بعد جيل، وان زوال الامبراطورية الاخمينية استطاعت هذه الأسر المحافظة مثل باقي الاسر الفارسية المحافظة على هذا الانتساب، لاسيما من خلال شخصية دينية ذات منصب رفيع الذي حرص كل الحرص على هذا الانتساب فضلاً عما لهذا الانتساب من أهمية في قلوب الاسر الفارسية، هذا وان ولاية فارس التي تعد من المراكز السياسية والاقتصادية المهمة للأخمينيين والتي حافظت على استقلالها منذ مجيء الاسكندر المقدوني[40] وزوال سيطرتها ظلت محافظة على استقلالها حتى بعد فقدها للأهمية السياسية وهذا ما وضحته العملات النقدية من القرن الاول والثاني الميلادي والتي يتضح من اسماء قادتها ارتباطهم بالنسب الاخميني (ميخائيل، 1380هـ، صفحة 287).

هذا وحرص الملوك الساسانيين على وضع نقوشهم إلى جوار مدافن الاخمينيين، وجعلوا تتويج ملوكهم في مدينة اصطخر (كرستنسن، 1979م، الصفحات 77-80). وأمر اردشير بإعادة كتابة الافستا (ماسة، 1958م، صفحة 167) الكتاب المقدس عند الزرادشتيين وذلك بعد ان فقدت الكثير من اجزائه التي أمر الاسكندر المقدوني بعد أن سيطر على بلاد فارس باحراقه.

وليؤكد ارتباطه الديني بالاخمينيين فقد عمد على اعلان الديانة الزرادشتية (بريانت، 2012، صفحة 225) (ماسة، 1958م، صفحة 167) (العابد، 2015، صفحة 44) دين رسمي للدولة مؤسساً بذلك لدولة حكمت زهاء اربعة قرون (226 -651م).

الخاتمة

من خلال ما تقدم يبدو لنا ما يأتي:

1. ينتسب الملوك الاخمينيون بالفرعين الانشاني و الفارسي إلى اخمنس وانتسب اردشير الى هذه السلالة ليضفي صفة شرعية على حكم السلالة الساسانية. فانتسب الساسانيون للاخمينيون عن طريق ساسان كاهن معبد الالهة اناهيتا. وهو ما اكدته النقوش والكتابات التي وضعت بجانب مقابر الاخمينين مثل نقش رجب ورستم.
2. أورد الاخمينيون نسبهم في سلسلة من النقوش مثل أسطوانة كورش الاخميني التي دونت في بابل نقش اخر كتب بثلاث لغات الاكديه والعيلامية الفارسية على جبل بهستون للملك دارا الاول ويشابه نقش في بيرسبوليس لابنه الملك احشويرش والتي خالفت الكتابات الكلاسكيه واتفقت مع بعضها من حيث التسلسل التاريخي للملوك الاخمينيين.
3. ثبت الاخمينيون الديانة الزرادشتية ديانة رسمية للدولة الاخمينية وهذا ما أكدته النقوش والكتابات. اعاد الساسانيون النظم السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية التي وضعها الاخمينيون. وهذا ما يوضحه التشابه في الأسماء والالقاب الملكية الساسانية مع اجدادهم الاخمينين.
4. اتفقت المصادر الفارسية والمصادر العربية الإسلامية على الانتساب التاريخي الاسطوري للساسانين باجدادهم الاخمينين الذين حافضوا على حكمهم المحلي في إقليم فارس رغم التسلط المقدوني الذي قضى على الإمبراطورية الاخمينيه وقيام ملوك عصر الطوائف تحت سيطرة الفرثيين وتحامل المصادر الكلاسيكية عليهم.

---

[39] يستبعد ان يكون ساسان الذي له نفس الاسم ساسان بن دارا الثالث الذي له نفس الاسم الذي عاصر الاسكندر المقدوني وهاجر للهند وان احد ابنائه من الجيل الخامس قدم من الهند لفارس ان يبقى فارساً. (بريانت، 2012)

[40] يذكر سترابو ان فارس دخلت طور الانهيار لا في زمن السيطرة المقدونية فقط بل زاد الامر سوءاً خلال السيطرة الفرثية وان ملوك الملوك الفرس لا زالوا يملكون على فارس لكنهم فقدوا الكثير من النفوذ لخضوعهم للملك الفرثي. (Strabo، 1944، الصفحات XV, 3)

5. أعلن الملك اردشير الأول الدين الزرادشتي ديناً رسمياً للدولة الساسانيه وأمر بإعادة كتاب الافستا الذي حرقه الإسكندر المقدوني
6. .تشابه الشخصيات التاريخية الاخمينيه الساسانية من حيث الغموض مثل اخمينس و ساسان وقصة مولد كورش وسابور الأول

المراجع

أ.ت، أولمستد. (2012). *الامبراطورية الفارسية عبر التاريخ* (المجلد الأولى). بيروت: الدار العربية للموسوعات.

ابو القاسم محمد الفردوسي. (1970). *الشاهنامة*. (عبد الوهاب عزام، المحرر، و الفتح بن علي البنداري، المترجمون) طهران: بلاط.

ابي الحسين علي بن الحسين بن علي المسعودي. (2007). *مروج الذهب*. بيروت: دار الكتاب العربي.

احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن وضاح اليعقوبي. (1425ه). *تاريخ اليعقوبي*. (خليل المنصور، المحرر) دار الاعتصام.

ارثر كرستنسن. (1979م). *ايران في عهد الساسانيين*. بيروت: دار النفائس.

البروفيسور هنري ماسة. (1958م). *تمدن ايران*. (عيسى بهنام، المترجمون) طهران.

امير حسين خنجي. (2018م). *نشأة ايران* (المجلد الاولى). (سامي مرسي محروس، المترجمون) دمشق: دار نور حوران.

باقر طه. (1956). *مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة*. بغداد: دار الوراق.

بيير بريانت. (2012). *موسوعة تاريخ الامبراطورية الفارسية* (المجلد الاولى). (مجموعة من المؤلفين، المترجمون) بيروت: الدار العربية للموسوعات.

خنجي. (بلا تاريخ). *نشأة ايران*.

دياكونوف ميخائيل. (1380ه). *تاريخ ايران باستان*. (روح ارباب، المترجمون) طهران.

رضا، شعباني. (1394ه). *المنتخب من تاريخ ايران*. (سعد رستم، المترجمون) طهران.

زنزال سيد برس سايكس. (1343ه). *تاريخ ايران*. (سيد محمد تقي فخر الدين داعي كيلاني، المترجمون) طهران: حاب سوم.

زينفون. (1965م). *حملة العشرة آلاف اغريقي*. (يعقوب افرام منصور، المترجمون) بغداد.

سامي سعيد، و رضا جواد الهاشمي. (152). *تاريخ الشرق الادنى القديم*. بغداد: وزارة التعليم العالي.

سليم احمد امين. (1989). *دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم*. بيروت: دار النهضة العربية.

سليم احمد امين. (1989م). *دراسات في تاريخ الشرق الاوسط القديم*. بيروت: دار النهضة.

صادق هدايت. (1963). *كاران*. طهران: تهران جاب.

عباس احسان. (1967). *عهد اردشير*. بيروت.

عبد الله رازي. (1335ه). *تاريخ مفصل ايران از تأسيس*. تهران: جاب دوم.

عثمان عبد العزيز. (1965). *معالم تاريخ الشرق الادنى القديم*، (المجلد الثانية). دمشق: دار الفكر الحديث.

فرعون محمد العلان. (2012). *دراسات في تاريخ فارس وحضارتها*. دمشق – سوريا: جامعة دمشق.

فلاديمير كريكورفيتش لوكوكنين. (1365ه.ش). *تمدن ساساني (الحضارة الساسانية)*. (عنايت رضا، المترجمون) طهران.

كامل سعفان. (1999م). *معتقدات آسيوية*. القاهرة: دار الندى.

ليون، و ليون ميشيل. (2011). د.م: دار رونيه جنوفيه.

محمد بن جرير الطبري. (2005). *تاريخ الامم والملوك*. بيروت: الاميرة للطباعة والنشر.

مفيد رائق العابد. (2015). *معالم الدولة الساسانية*. دمشق: دار الفكر.

هيردوتس. (1886). *تاريخ هيرودتس الشهير*. (حبيب افندي بترس، المترجمون) بيروت: مطبعة القديس جازر جيوس.

والتر هيتس، و بروبز رجبي. (38ه). *داريوش وايرانيان*. تهران: جاب سوم.

يزف فيزهوفر. (2009). *فارس القديمة*. (منى حديد | مراجعة: زياد منى، المترجمون) بيروت.

Refrences:

A.T., Olmsted. (2012). The Persian Empire Throughout History (Volume One). Beirut: Arab House of Encyclopedias.

Abu Al-Qasim Muhammad Al-Firdawsi. (1970). Shahnameh. (Abdul Wahab Azzam, editor, and Al-Fath bin Ali Al-Bandari, translators) Tehran: Balat.

Abu Al-Hussein Ali bin Al-Hussein bin Ali Al-Masoudi. (2007). Meadows of gold. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.

Ahmed bin Ishaq bin Jaafar bin Wahb bin Waddah Al-Yaqoubi. (1425 AH). History of Yaqubi. (Khalil Al-Mansour, editor) Dar Al-Itisam.

Arthur Christensen. (1979 AD). Iran during the Sassanid era. Beirut: Dar Al-Nafaes.

Professor Henry Massa. (1958 AD). Urbanization of Iran. (Issa Behnam, translators) Tehran.

Amir Hussein Khunji. (2018AD). The Genesis of Iran (Volume One). (Sami Morsi Mahrous, the translators) Damascus: Dar Nour Houran.

Baqir Taha. (1956). Introduction to the history of ancient civilizations. Baghdad: Dar Al-Warraq.

Pierre Bryant. (2012). Encyclopedia of the History of the Persian Empire (Volume One). (A group of authors and translators) Beirut: Arab House of Encyclopedias.

My genitals. (no date). The emergence of Iran.

Dyakonov Mikhail. (1380 AH). History of Iran Bastan. (Ruh Arbab, translators) Tehran.

Reda, Shabani. (1394 AH). The national team from the history of Iran. (Saad Rustam, translators) Tehran.

Sid Press Sykes's Dungeon. (1343 AH). History of Iran. (Sayyid Muhammad Taqi Fakhr al-Din Da`i Kilani, translators) Tehran: Hab Som.

Xenophon. (1965 AD). Campaign of the Ten Thousand Greeks. (Yacoub Avram Mansour, translators) Baghdad.

Sami Saeed and Redha Jawad Al-Hashemi. (152). History of the ancient Near East. Baghdad: Ministry of Higher Education.

Salim Ahmed Amin. (1989). Studies in the history of the ancient Near East. Beirut: Arab Renaissance House.

Salim Ahmed Amin. (1989AD). Studies in the history of the ancient Middle East. Beirut: Dar Al Nahda.

Sadiq Hedayat. (1963). Karan. Tehran: Tehran GAP.

Abbas Ihsan. (1967). Reign of Ardashir. Beirut.

Abdullah Razi. (1335 AH). A detailed history of Iran's founding. Tehran: GAP Dom.

Othman Abdel Aziz. (1965). Landmarks of the History of the Ancient Near East, (Volume Two). Damascus: Dar Al-Fikr Al-Hadith.

Pharaoh Muhammad Al-Alan. (2012). Studies in the history and civilization of Persia. Damascus - Syria: Damascus University.

Vladimir Krikurevich Lukoknin. (1365 AH). Sasanian civilization (Sasanian civilization). (Inayat Reza, translators) Tehran.

Kamel Saafan. (1999AD). Asian beliefs. Cairo: Dar El Nada.

Leon, and Leon Michel. (2011). D.M.: Dar René Genove.

Muhammad bin Jarir al-Tabari. (2005). History of nations and kings. Beirut: Al-Amira Printing and Publishing.

Mufid Raaq Al-Abed. (2015). Landmarks of the Sasanian state. Damascus: Dar Al-Fikr.

Herdotus. (1886). The famous history of Herodotus. (Habib Effendi Butros, The Translators) Beirut: St. Gezer Jayus Press.

Walter Hitz and Parviz Rajabi. (38 AH). Dariush and two Iranians. Tehran: GAP SOM.

Weishofer dies. (2009). Ancient Persia. (Mona Hadid | Review: Ziad Mona, the translators) Beirut.

a Kmartin Balacer .(1995) .*The Persian conquest of the Greeks* .Bc univer. Konstas.

Agathias .(1975) .*The histories* .NEW YORK: WALTER DE GRUYTER.

Csteslas .(2002) .*History of Persia tales, of the orient* .London.

D.T. Potts .(1988) .*Cyrus the Great and The Kingdom of Anshan, on the Book Birth of the Persian Empire* .New York.

D.T. Potts .(2005) .*Cyrus the great and Kingdom of inshan, on the Book Birth of the Persian Empier NE* .London.

Ghirshman-Roman .(1954) .*lavan frome the Earliest times to the Islamic conquest* .London.

Herbert cushing Tolman .(1908) .*The Behistan In scrption of King Darius* .vaderbilt university.

Jack Martin .(1995) .*Baker The Persian Canquest of Greeks B545-450r uvkuni ver satat Kin stin*.

James HeXURY Breasted .(1932) .*A new Inscription of Xerxes From Persepolts* .Aleyark: The oriental Institute of The University of GHica Go.

M.A. Damndamaev , .(1989) .*A political History of Achaemenid Empire* . ,New york 1989: Strabo. ,

Percy Sykes .(1969) .*History of Persia* . London.

Richard N. Frye .(1964) .*The founder legend of the sasanians* .London: Iranica Antiqva.

Strabo .(1944) .*The Geography of Strabo* .London.

Xenophen .(1876) .*Cyra padia, u institution of cyrus and Hellenics* .London: translated by there, V, Henry Dale m ,A.

دور الفقيه أبو الوليد الباجي في دعوة التوحيد والتعايش السلمي واستعادة الوحدة الوطنية بعد سقوط بربشتر

أ.د عماد تالي مهدي الناصري
imad_mahdi@aliraqia.edu.iq
الجامعة العراقية ، كلية الآداب

م.م. صابرين جواد كاظم
Sabreen.J@coart.uobaghdad.edu
جامعة بغداد ، كلية الآداب

الملخص

ظهر في الأندلس فئة من فقهاء المسلمين الغيورين على بلادهم، ورفعوا راية الجهاد، مطالبين حكام الطوائف بالتحرك نحو الوحدة ولم الشمل، ومن بينهم أبو الوليد الباجي فهو من العلماء والفقهاء البارزين في الأندلس ، والذي بذل جهوداً كبيرة لتوحيد صفوف المسلمين في الأندلس ضد النصارى الأسبان ، فطاف مدن الأندلس وقواعده لجمع شتات ألامه الممزق ،فكان الباجي عميق الفهم ، صاحب حجة ، يقيم الحجة على خصومه من الفقهاء ، فكان صادقاً في أقواله وأفعاله ،وقد عمل ابو الوليد الباجي على توحيد الأندلس بعد أن عاد إلى وطنه من المشرق فوجد الأندلس عبارة عن طوائف وشيعاً مختلفة ومتفرقة يهاجم بعضهم بعضاً والعدو يتربص بهم الدوائر ،و استمرت دعوة الباجي لتوحيد الأندلس عدة سنوات ، حيث تجول خلالها في مدن وقواعد مختلفة استطاع ان يصلح بينهم ويلم شملهم. كذلك بيان مواقف بعض فقهاء المسلمين الرافضة لسياسة حكام الطوائف ،خاصة فيما يتعلق بالاستعانة بالنصارى ،واتخاذهم من العداء والنزاع وسيلة لتثبيت سلطانهم وتوسيع بلادهم ،فعارضوهم بشدة ووجهوا لهم النقد اللاذع ، محاولين من وراء ذلك تصحيح مسار سياستهم بما يتناسب مع مصلحة الأمة وتوحيد الأندلس و اثر الحماسة الدينية والوطنية التي اثارها فقهاء المسلمين في استرداد الحصون من يد النصارى ،كما أثبتوا إنهم من يحمل الهم الوطني ،والواجب الديني ،وإنهم دائما في مقدمة الميادين كافة ،وإنهم حصون الأمة وقادتها .

الكلمات المفتاحية: بربشتر، ابو وليد الباجي، الدعوة

The role of the jurist Abu Al-Walid Al-Baji in calling for monotheism and peaceful coexistence And the restoration of national unity after the fall of Barbashter

Prof. Dr. Imad Tali Mahdi Al-Nasiri
imad_mahdi@aliraqia.edu.iq
Iraqi University, College of Arts

M.M. Sabreen Jawad Kazem
Sabreen.J@coart.uobaghdad.edu.iq
University of Baghdad, College of Arts

Abstract

group of Muslim jurists who are jealous of their country appeared in Al-Andalusia, and raised the banner of jihad, demanding the rulers of the sects to move towards unity and reunification. Among them, Abu Al-Walid Al-Baji is one of the prominent scholars and jurists in Andalusia, who made great efforts to unify the ranks of Muslims in Andalus against the Spanish Christians. The cities of Al-Andalusia and his rules to collect the diaspora of his torn mother. Al-Baji was deeply understood, the owner of an argument, the argument on his opponents of the jurists, and he was honest in his words and actions. In light of this, the title of our research on the role of this jurist was (the jurist Abu Walid Al-Baji in the call for peaceful As well as a statement of the positions of some Muslim jurists who reject the policy of the rulers of the sects, especially with regard to the use of Christians, and their taking them from hostility and conflict as a means to stabilize their authority and expand their country. They strongly opposed them and directed them the harsh criticism, trying to correct the course of their policy in accordance with the interest of the nation and unify Andalusia. And the impact of the religious and national enthusiasm raised by Muslim jurists in recovering forts from the hand of

Christians, as they proved that they carry the national concern and religious duty, and that they are always at the forefront of all fields, and that they are the fortres of the nation and its leaders.
Keywords: Barbashtar, Abu Walid Al-Baji, advocacy .

المقدمة

حث الدين الإسلامي على الاتحاد والألفة، واجتماع القلوب، والتئام الصفوف، والبعد عن الاختلاف والفرقة، وكل ما يفرق الجماعة أو يفرق الكلمة من العداوة الظاهرة، أو البغضاء الباطنة التي تؤدي الى فساد كيان الدولة وتمزقها، قال تعالى : "وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً" . (سورة ال عمران ،الآية 103).

ولأن وحدة وتماسك الكلمة يؤدي الى طمأنينة القلوب، وتألفها يؤدي الى استتباب الوجود (ابن العربي، 1408هـ/1988م، صفحة 859) وأن في التفرقة هلاك وفي الجماعة نجاة (القرطبي، 1408هـ/1988م، صفحة 102)

قوله تعالى :"وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" ،(سورة الانفال ،الآية 46).

وأمام هذه النكبات التي حلت بالمدن والحواضر الأندلسية، من جهة، واقتتال حكام الطوائف فيما بينهم من جهة أخرى. ظهر في الأندلس فئة من فقهاء المسلمين الغيورين على بلادهم، ورفعوا راية الجهاد، مطالبين حكام الطوائف بالتحرك نحو الوحدة ولم الشمل، ومن بينهم أبو الوليد الباجي فهو من العلماء والفقهاء البارزين في الأندلس ، والذي بذل جهوداً كبيرة لتوحيد صفوف المسلمين في الأندلس ضد النصارى الإسبان ، فطاف مدن الأندلس وقواعده لجمع شتات ألامه الممزق ،فكان الباجي عميق الفهم ، صاحب حجة ، يقيم الحجة على خصومه من الفقهاء ، فكان صادقاً في أقواله وأفعاله ،وعلى ضوء ذلك جاء عنوان بحثنا حول دور هذا الفقيه فكان (دور الفقيه ابو وليد الباجي في دعوة التوحيد والتعايش السلمي واستعادة الوحدة الوطنية بعد سقوط بربشتر) ، فحمل هذا الموضوع بين طياته سقوط هذه المدينة ، كما تناولنا من خلاله سيرة الفقيه ابو وليد الباجي ، اسمه ونسبه ومتى ولد وسنة وفاته واراء المؤرخين حول سنة وفاته ، ودعوته للوحدة الوطنية واسترداد المسلمين لهذه المدينة ، ثم الخاتمة وفيها اهم النتائج التي توصلنا اليها من خلال عرضنا لاحداث هذه المدينة ، تم تليها قائمة بالمصادر والمراجع الثانوية

سقوط مدينة بربشتر سنة (456هـ/1064م) :

تعد مدينة بربشتر من القواعد الأندلسية المنيعة التي تقع في الثغر الأعلى من إسبانيا على نهر (سينكا cinca) أحد فروع نهر الأبرو وعلى بعد 60كم شمال شرق سرقسطة، (ابن كثير، 1988م، ج1، صفحة 302) (الحجي، 1981م، صفحة 387) .

وكانت ذات موقع استراتيجي هام لقربها من الحدود مع الممالك الإسبانية النصرانية في شمال شرق الأندلس وهي ممالك قطلونية ونافار أو نبرة وقشتالة؛ لذلك فهي في جهاد دائم؛ إذ لم يَكُفُّ النصارى عن هجماتهم على بلاد الإسلام في الأندلس منذ الفتح الإسلامي لها أيام موسى بن نصير وطارق بن زياد. وقد وصفها الحميري بقوله: "بربشتر من أمهات مدن الثغر الفائقة في الحصانة والامتناع". وقال ياقوت الحموي: "بَرْبُشْتَرُ بضم الباء الثانية، وسكون الشين المعجمة، وفتح التاء المثناة من فوق: مدينة عظيمة في شرقي الأندلس من أعمال بربطانية ..، ولها حصون كثيرة، منها حصن القصر وحصن الباكة وحصن قصر مينوقش وغير ذلك" ؛ ولأنها أحد توابع مملكة بني هود في سرقسطة، فقد أصبحت في عصر دويلات الطوائف، تحت حكم المظفر يوسف بن هود (438 – 474 هـ/ 1047–1084 م)، على أثر تقسيم مملكة سرقسطة من قبل سليمان المستعين (431 – 438هـ/ 1040 – 1047م)، بين أبناءه الخمسة. (ابن سعيد، 1955م، صفحة 436) (الخطاب، 2003م، ج1، صفحة 81) .

حلت بمدينة بربشتر في عهد الطوائف نكبة اهتزت لها الأندلس، (الشنتريني، 1978م، صفحة 183) (ابن عذاري، 1983م، ج3، صفحة 225)

فقد استجاب النصارى الرومان، لدعوة البابا اسكندر الثاني في حرب المسلمين في الأندلس، (ابن الكردبوس، 1976م، الصفحات 69–70) (السحيباني، 2002م، صفحة 195) .

ولذلك أعد الرومان جيشاً قوامه أربعون ألف فارس أو أكثر، وتولى القيادة الجيش، جيوم دي مونري ،وهو من أكابر فرسان عصره، أقبل على إيطاليا في أواسط القرن الحادي عشر الميلادي/الخامس الهجري ، خدم الكرسي الرسولي حتى أصبح قائداً للجيوش الرومانية والبابوية، (عنان، 1990م، صفحة 264) (الحجي، 1981م، صفحة 388).

أو ما تعرفه المصادر العربية بأسم البيطين، وقصد في بادئ الأمر مدينة وشقه فحاصرها أياماً، ولما لم يتمكن الجيش من فتحها سار شرقاً نحو مدينة بربشتر، (ابن الكردبوس، 1976م، صفحة 69) (الحِميرى، 1980م، صفحة 90) .

وكان ذلك أوائل عام (456هـ/1064م)، وفرضوا حصاراً على المدينة دام أربعون يوماً، عانى المسلمون خلالها الكثير، بسبب قلة الأقوات، وخذلان المسلمين لها، وحدوث المنازعات بين أهلها. (الشنتريني، 1978م، الصفحات 183-184) (المقري، 1977م، صفحة 448) .

ولذلك فقد شدد الجيش النصراني قبضته على المدينة، وجرت بين الطرفين معارك خارج المدينة تمكن خلالها النصارى من اقتحام المدينة الخارجية بعد أن قتل منهم نحو خمسمائة رجل، أما المسلمين فقد تحصنوا بالقصبة والمدينة الداخلية. إذ كانوا عازمين على المقاومة حتى آخر لحظة، ثم حدث ما لم يكن بالحسبان، إذ تعرف النصارى على مجرى المياه الذي يقع في سرب داخلي تحت الأرض، متصل بالنهر، وتشرب منه المدينة، فقطعوا الماء عن المحصورين، واشتد بهم العطش، حينئذ عرض أهل المدينة على النصارى التسليم بشرط أن يؤمنوا على أنفسهم وأولادهم، لكن النصارى رفضوا، حيث دخلوا بربشتر عنوة، واستباحوا هذه المدينة الباسلة بكل ما فيها ومن فيها. (الشنتريني، 1978م، الصفحات 183-184) (السحيباني، 2002م، صفحة 197)

بعد دخول النصارى للمدينة، أعطى قائد الحملة الأمان لأهلها، لكنه سرعان ما تراجع عن وعده، حين رأى كثرتهم، وأصدر أوامره لجنده بتقليل إعدادهم بالسيف، فأطيح أرضاً بستة آلاف من الرؤوس، فنهبوا المدينة، واحتلوا دور ونساء المسلمين لأنفسهم، كما بعث القائد النصراني، بخمسة آلاف فتاة من سبي بربشتر الى صاحب القسطنطينية، وغنموا من الأموال ما يعجز عن الوصف، (الحِميرى، 1980م، صفحة 90) (المقري، 1977م، صفحة 449).

ثم قاموا بمغادرة المدينة بعد أن تركوا لحمايتها ألفاً وخمسمائة من الفرسان، وألفين من الرجالة. (الشنتريني، 1978م، صفحة 186) (الحِميرى، 1980م، صفحة 91).

أما المقتدر بن هود (438 – 474هـ/1046 – 1084م)، فإنه لم يبادر لنجدة المدينة، متذعرا بأنها من أعمال أخيه يوسف المظفر (438- 456هـ/1047 – 1064م)، وكان ذلك في الحقيقة جبناً ونذالة منه، لم يدرك عواقبها إلا فيما بعد، كما لم يستطع أخيه يوسف نجدتها، فترك المدينة لمصيرها المحتوم، (عنان، 1990م، صفحة 265) (السحيباني، 2002م، صفحة 199).

وقد صوَّر الفقيه ابن العسال فجيعة المسلمين هذه فقال :

هَتَكُوا بِخَيْلِهِمُ قُصُورَ حَرِيمِهَا *** لَمْ يَبْقَ لا جَبَلٌ وَلا بَطْحَاءُ
جَاسُوا خِلالَ دِيَارِهِمْ فَلَهُمْ بِهَا *** فِي كُلِّ يَوْمٍ غَارَةٌ شَعْوَاءُ
كَمْ مَوْضِعٍ غَنِمُوهُ لَمْ يُرْحَمْ بِهِ *** طِفْلٌ وَلا شَيْخٌ وَلا عَذْرَاءُ
وَلَكَمْ رَضِيعٍ فَرَّقُوا مِنْ أُمِّهِ *** فَلَهُ إِلَيْهَا ضِجَّةٌ وَبُغَاءُ
وَلَرُبَّ مَوْلُودٍ أَبُوهُ مُجَدَّلٌ *** فَوْقَ التُّرَابِ وَفَرْشُهُ الْبَيْدَاءُ
وَمَصُونَةٍ فِي خِدْرِهَا مَحْجُوبَةٍ *** قَدْ أَبْرَزُوهَا مَا لَهَا اسْتِخْفَاءُ
وَعَزِيزِ قَوْمٍ صَارَ فِي أَيْدِيهِمُ *** فَعَلَيْهِ بَعْدَ الْعِزَّةِ اسْتِخْذَاءُ
لَوْلا ذُنُوبُ الْمُسْلِمِينَ وَأَنَّهُمْ *** رَكِبُوا الْكَبَائِرَ مَا لَهُنَّ خَفَاءُ
مَا كَانَ يُنْصَرُ لِلنَّصَارَى فَارِسٌ *** أَبَدًا عَلَيْهِمْ فَالذُّنُوبُ الدَّاءُ
فَشِرَارُهُمْ لا يَخْتَفُونَ بِشَرِّهِمْ *** وَصَلاحُ مُنْتَحِلِي الصَّلاحِ رِيَاءُ(الحِميرى، 1980م، صفحة 40).

ويذكر لنا ابن حيان اسباب سقوط هذه المدينة بالحادثة المأساوية لمسلمي اهل الاندلس قائلا : "قد غَرْبَلَ (زماننا هذا) أهليه أشدَّ غربلة، فسَفْسَفَ أخلاقهم، واجتثَّ أعراقهم، وسفَّه أحلامَهُم، وخبَّثَ ضمائرهم، فاحتوى عليهم الجهلُ، واقتطعهم الزَّيْفُ، وأركستهم الذنوب، ووَصَمَتْهُمُ العيوبُ، فليسوا في سبيل الرشد بأتقياء، ولا على معاني الغيّ بأقوياء، شاءٌ من الناس هامل، يُعَلِّلون نفوسهم بالباطل، من أدلِّ الدلائل على فرط جهلهم بشأنِهِم، اغترارهم بزمانهم، وبعادهم عن طاعةِ خالقهم، ورفضهم وصيَّةَ رسوله نبيهم، وذهولهم عن النظر في عاقبة أمرهم، وغفلتهم عن سدِّ ثغره، حتى لظلَّ عدوُّهم الساعي لإطفاء نورهم يتبحبحُ عِرَاصَ ديارهم، ويستقرئُ بسائِطَ بقاعهم، يقطعُ كلَّ يومٍ طرَفًا منهم، ويبيدُ أمَّةً، ومَنْ لدينا وحوالينا من أهل كلمتنا صُموتٌ عن ذكرهم، لهاةٌ عن بثِّهم، ما إن

يُسْمَعُ عندنا في مسجد من مساجدنا وَمَحفلٍ من محافلنا مذكِّرٌ بهم أو داعٍ لهم، فضلاً عن نافرٍ إليهم أو مواسٍ لهم، حتى كأنْ ليسوا منَّا، أو كأنَّ فتقَهُمْ ليس بمفضٍ إلينا، قد بخلنا عليهم بالدعاء، بُخْلنا بالغَنَاء، عجائبُ مُغْرِبَة فاتتِ التقدير، وعرضت للتغيير، فلله عاقبةُ الأمور، وإليه المصير. (الشنتريني، 1978م، صفحة 188).

دور الفقيه أبو الوليد الباجي في دعوة التوحيد واستعادة الوحدة الوطنية

سيرة ابو الوليد الباجي

هو الفقيه سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي، أبو الوليد الباجي الأندلسي القرطبي، أحد فقهاء المالكية، أصله من بطليوس، ولد في مدينة باجه سنة (403هـ/1012م)، وكانت والدته فقيهة ،ويذكر انها قامت بكتابة تاريخ ولادته بخط يدها؛ اما عن والده فقيل انه كان من تجار القيروان ، ولعله ارتحل اليها للتجارة من بلده ،وكان متديناً محبا للعلم والعلماء ،وانه كان يتخلف الى الأندلس ويجلس الى فقيه بها يقال له أبو بكر بن شماخ وكانت تعجبه طريقته في التدريس ، فكان رجاؤه أن يرزق بولد مثله ، وطالما حدثته نفسه بذلك ، فباح بسره مراراً الى هذا الفقيه ،فيقول له : " ترى أرى لي ابناً مثلك " ، فلما أكثر من ذلك القول ،قال له ابن شماخ : أن أحببت أن ترزق ابناً مثلي فاسكن قرطبة والزم عالمها الكبير أبا بكر المقبري ،والتمس مصاهرته لعل الله يرزقك ولداً مثلي ، ففكر خلف والد سليمان وشاور وخطط ، فقدم قرطبة واستقر بها متردداً على مجالس أبا بكر المقبري طيلة سنة كاملة ، واظهر له الصلاح فأعجب بطريقته ، وطلب منه يد ابنته ، ولما رآه المقبري كفئاً مستقيم السلوك ، وافق على مصاهرته ، فزوجه ابنته الفقيهة ، فجاءه منها عدة أولاد منهم المترجم ، وابن أخر صاحب الصلاة بسرقسطة ، وابن ثالث كان أول الناس ببلاد العدو في الغزو حتى انه كان يعرف الأرض بالليل بشم التراب وابن أخر الذي تحقق فيه رجاء أبيه ، فأصبح بعد كد واجتهاد أمام عصره في الأندلس دون منازع (ابن عساكر، 1979، صفحة 251) (السيوطي، د.ت، صفحة 42).

كما أخذ العلم عن علماء الأندلس، ثم رحل الى المشرق سنة (426هـ/ 1035م)، فأقام في مكة مع أبي ذر الهروي وهو عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير الأنصاري، من فقهاء المالكية، عالم بالحديث، من الحفاظ الثقات، أصله من هراة، نزل مكة ومات فيها، كان عابداً ورعاً، بصيراً بالفقه، له تصانيف كثيرة، منها، " تفسير القرآن "، " المستدرك على الصحيحين " و" السنة والصفات " وغيرها. توفي سنة (434هـ/1043م). ، ، (ابن العماد، 1986م، صفحة 164) (الزركلي، 2002م، صفحة 269).

وقد ذكر المؤرخون عن الباجي انه خلال ثلاث سنوات، وكان يدرس الفقه ويكتب الحديث، ولقي فيها جلة من الفقهاء، كأبي الطيب الطبري وهو طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر القاضي، أبو الطيب الطبري الشافعي، ولد عام (348هـ/960م)، في أمل بطبرستان، وأخذ العلم عن علماء بلده، وسكن بغداد، كان عالماً عارفاً بالأصول والفروع، من كبار الشافعيه، ولي القضاء في الكرخ بعد وفاة القاضي، الصيمري سنة (436هـ/1045م)، عاش مئة سنة وسنتين. لم يختل عقله، ولا تغير فهمه. يقضي ببغداد ويحضر المواكب في دار الخلافة، توفي سنة (450هـ/1059م) (ابن خلكان، 1994م، الصفحات 512-515) (الذهبي، 1985م، الصفحات 668-670).

وأبي أسحق الشيرازي وهو إبراهيم بن علي بن يوسف بن عبد الله الملقب بالشيرازي، ولد في فيروز آباد، سنة (373هـ/983م)، وغيرهم ،ثم انتقل الى البصرة، وتفقه على علماءها، ثم انتقل الى بغداد، له مصنفات كثيرة منها : " المهذب في فقه الإمام الشافعي "، و" طبقات الفقهاء "، و" شرح اللمع "، وغيرها. توفي (476هـ/1084م)، (ابن الأثير، د.ت، صفحة 451) (ابن كثير، 1988م، ج1، صفحة 124).

ثم ابا الوليد أقام في البصرة سنة واحدة، التقى خلالها بالفقيه أبا جعفر السمناني وهو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد، كنيته أبا جعفر، ولد في مدينة سمنان سنة (361هـ/971م)، ونسب اليها، كان فقيهاً على مذهب أبي حنيفة، متكلماً، أصولياً، سكن بغداد، ثم ولي القضاء بالموصل، رحل أليه أبو الوليد الباجي ولازمه عاماً، توفي السمناني، سنة(444هـ/1053م) (البغدادي، 1955م، صفحة 355) (الذهبي، 1985م، صفحة 651).

وبعدها عاد الى الأندلس بعد أن دامت رحلته في المشرق حوالي ثلاثة عشر عاماً. حيث نال من العلم حظاً وافراً، وتظلع في الحديث والفقه وعلم الكلام، وأخذ في نشر علومه، فقصده الفقهاء وطلبة العلم من كل حدب وصوب، كما ولي القضاء في بعض انحاء الأندلس. (الضبي، 1976م، صفحة 385) (ابن فرحون، د.ت، صفحة 197).

اما ناحية اسهاماته العلمية. فقد صنف أبو الوليد الباجي كتباً كثيرة، كان أبرزها: " المنتقى في الفقه " و " المعاني في شرح الموطأ " في عشرين مجلداً لم يؤلم مثله، وكان قد صنف كتاباً كبيراً جامعاً بلغ فيه الغاية سماه " كتاب الاستيفاء وكتاب الإيماء " في الفقه، و" السراج " في الخلاف لم يتم، و" مختصر المختصر في المسائل المدونة "، و" اختلاف الموطآت " و " والجرح والتعديل " " فرق الفقهاء "، و " وسنن المنهاج والترتيب الحجاج "، وغيرها (الكتبي، د.ت، صفحة 64) (الصفدي، 2000م، الصفحات 229–230) .

وفاته:.

هناك اختلاف لدى بعض المؤرخين في تاريخ وفاته ، فذكر ياقوت الحموي انه مات سنة أربع وتسعين وأربعمائة، (ياقوت الحموي، 1980، صفحة 249).

وايده بذلك ألكتبي فذكر أن سنة وفاته أربع وتسعين وأربعمائة (الكتبي، د.ت، صفحة 357).

أما ابن بسام فذكر وفاته بالقول أربع وسبعين (الشنتريني، 1978م، صفحة 140).

وهناك بعض المصادر قد رجحت وفاته كانت في المرية سنة (474هـ/1081م)، وهو الرأي الاكثر صوابا لكون اكثر المصادر قد اكدت على وفاته ،فكان أبو الوليد الباجي من القوم الذي سما ذكرهم بعد وفاتهم وانقضاء أمد حياتهم فبهرت ولايتهم ، واشتهرت في الأفاق درايتهم ، فكان بحق من أعظم حفل بهم تاريخ الأندلس الفكري من الرجال ، فندب نفسه للإصلاح والدعوة والتوحيد في الأندلس ، فكان جليلاً رفيع القدر، حتى قال عنه القاضي أبو علي الصدفي :"ما رأيت مثل أبو الوليد الباجي ، وما رأيت احد على سمعته وهيئته وتوقير مجلسه ،ولما كنت ببغداد قدم ولده أبو القاسم احمد فسرت معه إلى شيخنا قاضي القضاة الشامي ، فقلت له : أدام الله تعالى عزك هذا ابن شيخ الأندلس ، فقال: لعله ابن الباجي فعلت: نعم، فاقبل عليه فهذا هو أبو الوليد الباجي الذي ذاع صيته وطبقت شهرته الأفاق شرقاً وغرباً، منذ بداية العقد الثالث من عمره ،حتى قيل فيه "ماحل بلداً إلا وجده ملآن بذكر" فكانت حياته حافلة فدعا إلى التوحيد ، وجادل وناظر حيثما حل وارتحل بأيمان قوي وشجاعة أدبيه واحتساباً لوجه الله تعالى (الجبوري، 2010م) (ابن خلكان، 1994م، صفحة 409).

دعوة ابو الوليد الباجي للوحدة الوطنية

عد الفقيه أبو الوليد الباجي (ت474هـ/1081م)، أشهر فقهاء المسلمين في الدعوة الى الوحدة الأندلسية، فقد جال هذا الفقيه في بلاد الأندلس طولاً وعرضاً، داعياً الى وحدة الصفوف، ومحذراً من عواقب الفرقة والنزاع، وذلك بعد عودته من رحلته في طلب العلم من المشرق، (شلبي، 2008م، صفحة 267). (السامرائي، 1977م، صفحة 83)

ولما قدم من المشرق الى الأندلس بعد ثلاثة عشر عاماً، وجد ملوك الطوائف أحزاباً مفترقه، فمشى بينهم في الصلح، وهم يجلونه في الظاهر، ويستثقلونه في الباطن، ويستبردون نزعته " (المقري، 1977م، صفحة 77).

واتخذ الباجي أسلوباً جديداً للتقريب بين الأمراء ليكونوا سداً منيعا وحصيناً ضد عدوهم المشترك ، فقام بنشر العلوم بين الطلاب في مختلف مدن الأندلس وقراها ،حتى فشا علمه وبعد صيته ، فاخذ يتصل بالأمراء من جديد ويحثهم على الاتحاد والجهاد ويطوف عليهم واحدا واحدا، وكلهم يصغي إلى وعظه فانفق الباجي جل وقته لخدمة الإسلام سواء في تدريسه لمناهج الإسلام أو في تجواله في الدعوة إلى التوحد ، فأصبح سفيراً متنقلاً من إمارة إلى أخرى خلال تطوافه الواسع ، وكان غرامه في التدريس مثل غيره من العلماء حتى قال عنه تلامذته "كان يخرج إلينا للإقراء، وفي يده اثر المطرقة". (الذهبي، 1985م، صفحة 1180) (الحجي، 1981م، صفحة 240).

وتشير المصادر التاريخية الى إن الباجي هو الذي أنتدب نفسه للطواف بين الملوك، لأجل دعوتهم الى الوحدة ولم الشمل، (ابن بشكوال، 1989م، صفحة 201) (ابن خلكان، 1994م، صفحة 48). اما ابن الابار فله رأي اخر حول دعوته الى التوحيد ، فيذكر بقوله:" ولما عظم عيث الطاغية أدفونش بن فردنلند ، وتطاول على الثغور ، ولم يقنع بضرائب المال ، انتدب للتطوف على أولئك الرؤساء القاضي أبو الوليد الباجي يندبهم إلى لم الشعث ومدافعة العدو ، وكلهم يصغى إلى وعظه"، (النبهاني المالقي، د. ت، صفحة 49).

ويقول الشنتريني عن مهمة الباجي للتوحيد " لأول قدومه رفع صوته بالاحتساب، ومشى بين ملوك أهل الجزيرة، لصلة ما أنبت من تلك الأسباب، فقام مقام مؤمن آل فرعون، لو صادف أسماعاً واعية، نفخ في عظام ناخرة، وعطف على أطلال دائرة، بيد إنه كلما وفد

على ملك منهم، في ظاهر أمره لقيه بالترحيب، وأجزل حظه في التآنس والتقريب، وهو في الباطن يستجهل نزعته، ويستثقل طلعته، وما كان أفطن الفقيه رحمة الله بأمورهم، وأعلمه بتدبيرهم، لكنه كان يرجو حالا تثوب، ومذنباً يتوب " . (الحجي، 1981م، صفحة 365) (السامرائي، 1977م، صفحة 83)

فقد واصل الفقيه طوافه في قواعد الأندلس الشرقية منها والغربية، ومارس فيها التدريس والقضاء والمناقشة، (السامرائي، 1977م، صفحة 83)." وكان أكثر تردد أبي الوليد بشرق الأندلس ما بين سرقسطة وبلنسية ومرسيه ودانية " (عياض، 1983م، صفحة 808).

وعلى الرغم من فشل الفقيه الباجي بمهمته في دعوة ملوك الطوائف للوحدة والابتعاد عن التمزق " ولم يفد شيئاً، فالله يجازيه على نيته " (المقري، 1977م، صفحة 77).

إلا أن أثر هذه الدعوة كان بالغاً في إشعار ملوك الطوائف بالمسؤوليات الدينية الملقاة على عاتقهم، وضرورة نبذ الخلافات لمواجهة الخطر النصراني، (شلبي، 2008م، صفحة 267). فتحولت دعوته من دعوة طوعية الى دعوة رسمية، فقد انتدب الباجي من قبل المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس (464 – 488هـ/1072 – 1095م)، لدعوة ملوك الطوائف للتوحيد، على أثر سقوط مدينة بربشتر بيد النصارى سنة (456هـ/ 1064م) ، (السامرائي، 1977م، صفحة 83).

هذا ولم تقف جهود فقهاء المسلمين في الدعوة الى الوحدة ولم الشمل بين المسلمين، على توجيه المخاطبات والمراسلات الى حكام الطوائف بصورة مباشرة بل تجاوزوا ذلك الى قيامهم بمخاطبة الشخصيات المتنفذة في الأندلس، لحثها على السعي الى تحقيق الوحدة الأندلسية، ولعب دور الوساطة عند حكامهم، لإزالة الخلافات الصراعات بين ملوك الطوائف، ومن بين فقهاء المسلمين الذين سلكوا هذا الطريق من أجل توحيد الأندلس الفقيه أبو عامر بن التاكرني، فقد أرسل رسالة للوزير الكاتب أحمد بن عباس، يحثه فيها على السعي الى توحيد المسلمين في الأندلس، قال فيها : " ... فيا للمسلمين ! تعالوا الى التعاون ، واتفقوا ولا تفرقوا، واتقوا عاقبة الخذلان، وقد ناديت إن أسمعت، ونصحت بقدر ما استطعت فإن وافقت قبولاً، ولقيت تأويلاً جميلاً، فإن الخير عتيد ... فإما ألفة وانتظام، واتفاق يحيي رمق الإسلام، وأما داعية تلف، وراعدة صلف، وهنالك تزل القدم ولا ينفع الندم " (الشنتريني، 1978م، الصفحات 238-239).

ومع ذلك فقد بقي أغلب ملوك الطوائف في غيهم سادرين، وفي آذانهم وقراً لا يسمعون صيحات صالح الفقهاء في الدعوة الى التوحيد، حتى كانت نكبة طليطلة على يد النصارى سنة (478هـ/1085م) (الحجي، 1981م، صفحة 351) (السامرائي، 1977م، صفحة 89) (الحجي ،ص351؛ السامرائي ، ص89).

رغم إن الهدف من وراء دعوة فقهاء المسلمين للتوحيد، هو إيجاد قواسم مشتركة بين أمراء الطوائف، لتنظيم العلاقة فيما بينهم على أرضيه مناسبة. وإيجاد مناخ ملائم لتوفير علاقات إيجابية تسير بهم نحو التعاون في مواجهة الأخطار المشتركة، ولم تعن الوحدة بأي شكل من الأشكال، الاندماج فيما بينهم لتكوين دولة واحدة (شلبي، 2008م، صفحة 268).

استرداد المسلمين لمدينة بربشتر سنة (457هـ/1065م) :

كان للصيحات التي أطلقها فقهاء المسلمين في الأندلس أثرها البارز في شحذ الهمم، وإثارة النخوة الإسلامية، وإحياء روح الوحدة والجهاد عند المسلمين في الأندلس، وإن كان ذلك لفترة مؤقتة، حتى عزم الفقيه أبو الوليد الباجي جراء تلك الاحداث المأساوية التي حلت بالمدينة المنكوبة على توحيد كلمة المسلمين ، ولم شعثهم للخروج ببلده من المأزق الذي هو فيه ، فدعا إلى توحيد الصفوف، فطاف في مدن الأندلس وقواعدها يحث الجميع على جمع الكلمة ووحدة الصف وكان من بين من تأثر بصيحات الفقهاء من حكام الطوائف، المقتدر بن هود صاحب سرقسطة (438 – 474هـ/1046 – 1084م)، إذ جهز جيشاً لاسترداد المدينة، انضم إليه من المتطوعة ستة آلاف رجل كما تأثر المعتضد بن عباد صاحب أشبيليه (433- 461هـ/1042-1069م)، بهذه الصيحات فأرسل خمسمائة فارس من أشداء البربر، وقادة الأندلس الأبطال، (ابن عذاري، 1983م، ج3، صفحة 227) (السحيباني، 2002م، صفحة 201).

وبعد اتحاد القوتين، توجه الجيش الإسلامي لإنقاذ المدينة المنكوبة سنة (457هـ/1065م)، وعند وصول الجيش، ضرب حصاراً محكماً على المدينة، وامتنع النصارى داخلها، بعد أن أدركوا كثرة المسلمين، وقوتهم، وبأمر من المقتدر بن هود، نجح المسلمون في إحداث فتحة في جدار السور والدخول الى بربشتر، (ابن عذاري، 1983م، ج3، صفحة 227).

فاضطر النصارى الى مغادرة المدينة من الناحية الأخرى، مما أدى الى حدوث معركة حامية الوطيس بين القوات الإسلامية والنصرانية خارج المدينة. هلك فيها معظم النصارى، إلا من هرب منهم، كما أسر من في بربشتر من أهلهم ونساءهم(الشنتريني، 1978م، صفحة 90) (المقري، 1977م، صفحة 454).

وهكذا فقد نجح المسلمون بفضل دعوة الفقهاء للوحدة والجهاد من استرجاع مدينة بربشتر، بعد أن بقيت في حوزة النصارى مدة تسعة أشهر، وبذلك جبر الصدع، ورفعت المعرة، وأثلجت صدور المسلمين، كما عاد لهم شيء من هيبتهم، وقدرهم(عنان، 1990م، صفحة 279) (السحيباني، 2002م، صفحة 202).

أما أحمد بن هود فقد عاد الى سرقسطة، ومعه نحو خمسة آلاف سبية مختارة، وألف فرس، وألف درع، وأموال كثيرة وثياب جليلة، وعدة وسلاح، كما لقب منذ استرداده لمدينة بربشتر سنة (457هـ/1065م)، بالمقتدر بالله (الحِميرى، 1980م، صفحة 91).

الخاتمة :.

قال العلي الاعلى:{ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ } . والْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ دُونَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ، بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا تَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ وَ إِنْ عَظُمَ، وَ لَا يَفُوتُهَا شَيْءٌ وَ إِنْ لَطُفَ.

بعد ان طوينا بحثنا الموسوم دور الفقيه أبو الوليد الباجي في دعوة التوحيد والتعايش السلمي واستعادة الوحدة الوطنية بعد سقوط بربشتر ، لقد توصلنا بعض النتائج المهمة منها :.

* لم يقف تدهور الأوضاع السياسية في الأندلس في فترة الطوائف على انقسام البلاد إلى دويلات عدة أو تعدد الحكام فيها بل تعدى ذلك إلى اتسام العلاقة بين هؤلاء الحكام بالعداء والصراع للاستيلاء على أكبر عدد من الدويلات، مما أدى إلى إضعافهم واستنصارهم بملوك النصارى لإعانة بعضهم على البعض الأخر .

*عمل النصارى على ترسيخ الوحدة فيما بينهم لتحقيق أهدافهم التوسعية والدينية .

* من خلال الاحداث برز دور فقهاء المسلمين وأهميتهم في عصر الطوائف ومن ضمنهم ابو الوليد الباجي ودوره لحاجة الحكام لهم في تدعيم سلطانهم ونفوذهم وما كانوا يتمتعون به من مكانة في نفوس الناس ، لما وجدوه فيهم من حماية للأرض والدين بعد تقاعس حكامهم عن القيام بدورهم في حماية البلاد .

*لقد تبين لنا عمل ابو الوليد الباجي على توحيد الأندلس بعد أن عاد إلى وطنه من المشرق فوجد الأندلس عبارة عن طوائف وشيعاً مختلفة ومتفرقة يهاجم بعضهم بعضاً والعدو يتربص بهم الدوائر ،و استمرت دعوة الباجي لتوحيد الأندلس عدة سنوات ، حيث تجول خلالها في مدن وقواعد مختلفة استطاع ان يصلح بينهم ويلم شملهم.

* مارس فقهاء المسلمين مع حكام الطوائف في الأندلس دورا سياسيا بناءا من خلال حل الخلافات بين هؤلاء الحكام وجمع كلمتهم وإقناعهم بضرورة الوحدة فيما بينهم من أجل إيجاد دولة قوية موحدة ، قادرة على الوقوف بوجه العدو النصراني الرابض أمامها

* من خلال دراستنا تبين لنا مواقف بعض فقهاء المسلمين مواقفهم رافضة لسياسة حكام الطوائف ،خاصة فيما يتعلق بالاستعانة بالنصارى ،واتخاذهم من العداء والنزاع وسيلة لتثبيت سلطانهم وتوسيع بلادهم ،فعارضوهم بشدة ووجهوا لهم النقد اللاذع ، محاولين من وراء ذلك تصحيح مسار سياستهم بما يتناسب مع مصلحة الأمة وتوحيد الأندلس .

* بينت لنا الدراسة اثر الحماسة الدينية والوطنية التي اثارها فقهاء المسلمين في استرداد الحصون من يد النصارى ،كما أثبتوا إنهم من يحمل الهم الوطني ،والواجب الديني ،وإنهم دائما في مقدمة الميادين كافة ،وإنهم حصون الأمة وقادتها .

هذه بعض النتائج التي توصلنا لها وهناك الكثير منها في ثنايا البحث لم نوردها حتى لا نثقل خاتمتنا والله ولي التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع :.

المراجع

ابراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون. (د.ت). *الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب*. القاهرة: دار التراث العربي.

ابراهيم خليل صالح السامرائي. (1977م). *الدعوة الى توحيد الاندلس في ايام الطوائف* . السليمانية : مجلة زانكو (العلم) ، جامعة صلاح الدين.

أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النبهاني المالقي. (د. ت). *لمرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا نشر بعنوان تاريخ قضاة الأندلس*. بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر.

أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي ابن سعيد. (1955م). *المغرب في حلى المغرب*. القاهرة: دار المعارف للطباعة والنشر.

أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن ابن الأثير. (د.ت). *اللباب في تهذيب الأنساب*. بغداد: مكتبة المثنى.

ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني. (1978م). *الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة* . تونس : دار العربية للكتاب.

أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ابن كثير. (1988م، ج1). *البداية والنهاية*. د.ت: دار احياء التراث العربي.

ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن ابن بشكوال. (1989م). *الصلة في تاريخ ائمة الاندلس*. د.م: الكتبة الاندلسية.

أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله ابن عبد الله ابن عساكر. (1979). *تهذيب تاريخ دمشق الكبير*. بيروت: مطبعة دار المسيرة، نشر عبد القادر بدران.

ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى. (1980م). *الروض المعطار في خبر الأقطار* . بيروت : مؤسسة ناصر للثقافة والنشر .

أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عذاري. (1983م، ج3). *البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب*. بيروت – لبنان: دار الثقافة للطباعة والنشر.

احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة بن يحيى الضبي. (1976م). *بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس*. القاهرة : دار الكتاب المصري.

اسماعيل باشا بن محمد امين بن مير سليم الباباني البغدادي. (1955م). ،*هدية العارفين اسماء المؤلفين واثار المصنفين*. طهران : دار النشر الاسلامية.

العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي ابن خلكان. (1994م). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. بيروت: دار صادر.

القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي عياض. (1983م). *ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك* . المغرب : مطبعة فضالة.

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. (د.ت). *طبقات المفسرين*. بيروت : دار صادر.

حمد بن صالح السحيباني. (2002م). *الضعف المعنوي واثره في سقوط الامم*. الرياض : مجلة البيان للنشر .

خالد عبد مطلك حمود الجبوري. (2010م). *أبو الوليد الباجي ودوره في الحياة العلمية والسياسية في الأندلس (403هـ/1012م – 474هـ/1081م)*. العراق: رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة تكريت.

خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي. (2002م). *الأعلام*. بيروت : دار العلم للملايين.

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. (1985م). *سير أعلام النبلاء* . بيروت : مؤسسة الرسالة .

شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ياقوت الحموي. (1980). معجم *البلدان*. د.م: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني المقري. (1977م). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب*، . بيروت لبنان : دار صادر .

صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي. (2000م). *الوافي بالوفيات* . قم: دار احياء التراث العربي .

عبد الحي بن احمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي ابن العماد. (1986م). *شذرات الذهب في اخبار من ذهب*. دمشق: دار ابن كثير.

عبد الرحمن علي الحجي. (1981م). *التاريخ الأندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة (92. 897هـ /1492.711م)*. بيروت : دار القلم.

عمر راجح شلبي. (2008م). *دور علماء الأندلس في الحياة السياسية خلال القرن الخامس الهجري* . غزة: الجامعة الاسلامية، مجلة الجامعة الاسلامية للبحوث الانسانية ، مج16 ،ع2 .

محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. (1408هـ/1988م). *الجامع لأحكام القرآن الكريم*. بيروت: دار الكتب العلمية.

محمد بن شاكر الكتبي. (د.ت). *فوات الوفيات والذيل عليها*. بيروت: دار صادر.

محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المعافري ابن العربي. (1408هـ/1988م). *أحكام القرآن*. بيروت: دار الفكر.

محمد بن عبد الله عنان. (1990م). *دولة الإسلام في الاندلس* . القاهرة : مكتبة الخانجي.

محمود شيت الخطاب. (2003م، ج1). *قادة فتح الاندلس* . د.م: مؤسسة علوم القران للنشر.

مروان بن عبد الملك بن محمد التوزي ابن الكردبوس. (1976م). *تاريخ الأندلس ووصفه لابن شباط . نصيان جديدان*. مدريد: معهد الدراسات الاسلامية.

List of sources and references: -

First: Primary sources- :

• Ibn al-Atheer, Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karam Muhammad ibn Muhammad ibn Abdul Karim ibn Abdul Wahid al-Shaybani al-Jazari, Izz al-Din Ibn al-Atheer (d. 630 AH).

1- Al-Lubab fi Tahdheeb Al-Ansab, edited by: Ihsan Abbas, Al-Muthanna Library, (Baghdad, d.d.).

• Ibn al-Abar, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah al-Qadha'i al-Balansi, (d. 658 AH).

2- Al-Hillah Al-Siraa', edited by: Hussein Mu'nis, 2nd edition, Dar Al-Maaref (Cairo, 1985 AD).

• Ibn Bashkwal, Abu al-Qasim Khalaf bin Abdul Malik bin Masoud bin Musa bin Bashkwal, (d. 578 AH).

3- The connection in the history of the imams of Andalusia, edited by: Ibrahim Al-Abiyari, 1st edition, Al-Kutba Al-Andalusia, (D.M., 1989).

• Al-Himyari, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah bin Abdul Moneim Al-Himyari (d. 900 AH).

4 - Al-Rawd Al-Ma'tar fi Khabar Al-Aqtar, edited by: Ihsan Abbas, 1st edition, Nasser Foundation for Culture and Publishing, (Beirut, 1980 AD).

5 - The description of the island of Andalusia, selected from the book Al-Rawd Al-Mu'tar, edited by: Levi Provencal, 1st edition, Dar Al-Jeel Publishing, (Beirut, 1988 AD).

• Al-Khatib Al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmad bin Ali bin Thabit, (d. 463 AH/1070 AD).

6 - The history of the city of peace and the news of its innovators and mention of its inhabitants, scholars other than its people, and its inhabitants. It was verified, its text was corrected and commented on by: Bashar Awad Ma'rouf, 1st edition, Dar Al-Gharb Al-Islami, (Beirut, 1422 AH / 2001 AD).

• Ibn al-Khatib al-Gharnati, Lisan al-Din Abu Abdullah Muhammad (d. 776 AH).

7 - The works of the notables regarding those of the kings of Islam who pledged allegiance before puberty, (published under the title History of Islamic Spain, edited by Liqi Provençal, Dar Al-Makshof, (Beirut - 1965).

• Ibn Khalkan, Al-Abbas Shams al-Din Ahmad bin Muhammad bin Ibrahim bin Abi Bakr Ibn Khalkan al-Barmaki al-Irbali (d. 681 AH).
8 - Deaths of Notables and News of the Sons of Time, edited by: Ihsan Abbas, 2nd edition, Dar Sader, (Beirut, 1994 AD).
• Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Othman bin Qaymaz al-Dhahabi (d. 748 AH).
9 - Preservation Ticket, published by the Library of the Holy Mosque of Mecca (aid from the Indian Ministry of Knowledge) (D.M.-D.T.).
10 - Countries of Islam, 2nd edition, Ottoman Encyclopedia Society Press (Hyderabad Deccan - 1364 AH)
11 - Biographies of Noble Figures, edited by: Sheikh Shuaib Al-Arnaout, 3rd edition, Al-Resala Foundation, (Beirut, 1985 AD).
• Ibn Saeed, Abu Al-Hasan Ali bin Musa bin Saeed Al-Maghribi Al-Andalusi (d. 685 AH).
12- Morocco in Moroccan Ornaments, edited by: Dr. Shawqi Deif, 3rd edition, Dar Al-Maaref for Printing and Publishing, (Cairo, 1955 AD).
• Al-Samani, Abu Saad Abdul Karim bin Muhammad bin Mansour Al-Tamimi (d. 562 AH).
13 - Genealogy, presented and commented by Abdullah Omar Al-Baroudi, 1st edition, Dar Al-Jinan, (Beirut - 1998 AD).
• Al-Suyuti, Jalaluddin Abdul Rahman bin Abi Bakr Al-Suyuti, (d. 911 AH).
14 - Classes of Interpreters, Dar Sader, (Beirut - D.T.).
• Al-Shantarini, Abu Al-Hasan Ali bin Bassam Al-Shantarini (d. 542 AH).
15 - Al-Dhakhira fi The Virtues of the People of the Peninsula, edited by: Ihsan Abbas, 1st edition, Dar Al-Arabiya Al-Kitab, (Tunisia, 1978 AD).
• Al-Safadi, Saladin Khalil bin Aibak bin Abdullah Al-Safadi (d. 764 AH).
16 - Al-Wafi bi al-Wafiyat, edited by: Ahmed Al-Arnaout and Turki Mustafa, 1st edition, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, (Qom, 2000 AD).
• Al-Dhabi, Ahmed bin Yahya bin Ahmed bin Amira bin Yahya Al-Dhabi (d. 599 AH).
17 - Baghiyat al-Multamis fi Tarikh al-Rijal al-Ahl al-Andalus, edited by: Ibrahim al-Anbari, 1st edition, Dar al-Kitab al-Masri, (Cairo 1976 AD).
• Ibn Asakir, Abu Al-Qasim Ali bin Al-Hasan Ibn Hibat Allah Ibn Abdullah (d. 571 AH) 18 - History of the city of Damascus, edited by Ali Sheri, Dar Al-Fikr for Printing and Publishing, (d. 0 AD - d. T.)
19 - Refinement of the Great History of Damascus, published by Abdul Qadir Badran, Dar Al-Masirah Press, (Beirut - 1979 AD).
• Ibn Adhari, Abu Abdullah Muhammad bin Muhammad (d. about 695 AH).
20 - Al-Bayan Al-Maghrib fi Akhbar Al-Andalus and Morocco, edited by: C. s. Colan, E. Levi Provencal, 3rd edition, Dar Al-Thaqafa for Printing and Publishing, (Beirut - Lebanon, 1983 AD).
• Ibn al-Arabi, Muhammad bin Abdullah bin Muhammad bin Ahmed al-Maafiri (d. 542 AH/1136 AD).
21 - Ahkam Al-Qur'an, Dar Al-Fikr, (1387 AH / 1958 AD).
• Ibn al-Imad, Abd al-Hayy ibn Ahmad ibn Muhammad ibn al-Imad al-Akri al-Hanbali (d. 1089 AH).
22 - Nuggets of Gold in News of Gold, edited by: Mahmoud Al-Arnaout, 1st edition, Dar Ibn Katheer, (Damascus, 1986 AD).
• Ayyad, Judge Ayyad bin Musa bin Ayyad al-Sabti al-Yahsbi, (d. 544 AH).
23 - Arranging perceptions and approximating paths to know the signs of Malik's doctrine, edited by: Ibn Tawit al-Tanji, 2nd edition, Fadala Press, (Morocco, 1983 AD).
• Ibn Farhun, Ibrahim bin Ali bin Muhammad (d. 799 AH).
24 - The preface of the doctrine in the knowledge of the notable scholars of the doctrine, edited by: Muhammad Al-Ahmadi Abu Nour, 1st edition, Dar Al-Turath Al-Arabi, (Cairo, D.T.).
• Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmed Al-Ansari, (d. 617 AH / 1221 AD).
25 - Al-Jami' Li Ahkam Al-Qur'an Al-Karim, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, (Beirut, 1408 AH/1988 AD).
• Al-Kutbi, Muhammad bin Shaker, (d. 764 AH / 1363 AD).
26 - Missing deaths and the coming of them, edited by: Ihsan Abbas, Dar Sader, (Beirut, D.T.).

• Ibn Kathir, Abu Al-Fida Ismail bin Omar bin Kathir Al-Qurashi Al-Basri, then Al-Dimashqi (d. 774 AH).
27 - The Beginning and the End, edited by: Ali Shiri, 1st edition, Arab Heritage Revival House, (D.T., 1988 AD).
• Ibn al-Kardabus, Marwan bin Abdul Malik bin Muhammad al-Tawzi (died: the end of the seventh century AH).
28 - The history of Andalusia and its description by Ibn Shubat - two new texts, edited by: Ahmed Mukhtar Al-Abadi, 1st edition, Institute of Islamic Studies, (Madrid, 1976 AD).
• Ibn Ma Kula, Abu Nasr Ali bin Hibatullah, (d. 475 AH).
29- Ikmal Al-Kamal, Dar Al-Kitab Al-Islami, (Cairo - D.T.)
• Al-Muqri, Shihab al-Din Ahmad bin Muhammad al-Muqri al-Tilmisani (d. 1041 AH).
30 - Nafah Al-Tayyib from the moist branch of Andalusia, and mention of its minister, Lisan Al-Din Ibn Al-Khatib, edited by: Ihsan Abbas, 2nd edition, Dar Sader, (Beirut, Lebanon, 1977 AD).
• Al-Nabhani Al-Maliki, Abu Al-Hasan bin Abdullah bin Al-Hasan (d. before 793 AH).
- 31The Supreme Supervisory Board regarding who deserves to judge and issue fatwas, published under the title The History of the Judges of Andalusia, Commercial Office for Printing and

العلاقات والامتيازات التجارية بين المدن الإيطالية وبلاد الشام خلال الحروب الصليبية 490-691هـ/1097-1291م (دراسة استشراقية)

م.م. غـدير سـلام عـارف الشمري
ghadir.s@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

أ.د. سـامي حمود الـحاج جاسم
dr.sami.ahmood@gmail.com

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم التاريخ.

ملخص البحث

تكمن أهمية البحث في محاولة إعطاء صورة واضحة عن العلاقات والامتيازات التي حصلوا عليها خلال الحروب الصليبية، اصبح بعض الغربيين على ألفة بشرق المتوسط بسبب الحج والتجارة، فقد كانت العلاقات متبادلة مع بلاد الشرق، ومثال ذلك اتصال البنادقة بالشرق عن طريق التجارة، وهكذا ازداد نشاط أهل المدن، وأصبحت الحياة مدينة عملية تشترك فيها جميع الحواس الطبيعية والعقلية. والواقع أن المدن صارت مجمع الطاقات البشرية، إضافة إلى الامتيازات التي حصل عليها، أصبح للتجار الغربيين في جميع المرافئ الكبرى لبلاد الشام حيها التجاري الخاص مع فندق، وأعفيت سفنهم من ضريبة الأملاك، فقد قام التجار بتعديل تجارة بلادهم بواسطة القيام بتجارة نشطة مع الشرق ، فالحروب الصليبية عادت على الأوروبيين بمنافع تجارية حسنة لتعديل الحال الذي يمرون به في الغرب، واشادوا بهذا الحال المستشرقين في كتاباتهم.

الكلمات المفتاحية: الصليبيين، عكا، البندقية، بيزا، مملكة القدس.

Trade relations and privileges between Italian cities and the Levant during the Crusades 490-691 AH / 1097-1291 AD (Orientalist study)

Asst. Lect. Ghadeer Salam Arif Al-Shammari Prof. Sami Hammoud Al-Hajj Jassim
Al-Mustansiriya University/ College of Education/ Department of History.

ABSTRACT

The importance of the research lies in trying to give a clear picture of the relationships and privileges they obtained during the Crusades. Some Westerners became familiar with the Eastern Mediterranean due to Hajj and trade. Relations were mutual with the countries of the East, for example the Venetians' contact with the East through trade, and thus the activity of the people of the East increased. Cities, and life has become a practical city in which all the natural and mental senses participate. In fact, cities became a complex of human energies. In addition to the privileges they obtained, Western merchants in all the major ports of the Levant had their own commercial district with a hotel, and their ships were exempted from property tax. The merchants modified their country's trade by carrying out active trade with the East. Wars The Crusades brought good commercial benefits to the Europeans to change the situation they were experiencing in the West, and the Orientalists praised this situation in their writings.

Keywords: Crusaders, Acre, Venice, Pisa, Kingdom of Jerusalem

المقدمة

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد الأمين وعلى أهل بيته واصحابه اجمعين، وبعد:

ان الحروب الصليبية قد اختلفت عن غيرها بطول امدها، فقد مكنت الصليبين من البقاء في بلاد الشام وإقامة العلاقات التجارية معهم ، إضافة إلى العوامل التي قامت بين الطرفين كانت سببا لإقامة هذه العلاقات، وعادت بمنافع اقتصادية وامتيازات تجارية حصل عليها الاوربيون، ومنذ الحملات الصليبية الأولى الى عشية الاكتشافات الجغرافية، شقت سفنها البحر المتوسط بصورة منتظمة لإنزال التجار والسلع في موانئ الساحل ولحمل كل ما يمكن تودعه هناك التجارة. ومن عام 490-691 هـ/ 1097 الى عام 1291م، وجدا

هذا النشاط تشجيعا في امتلاك امتيازات ومزايا ترابية وتجارية عظيمة الاتساع في المدن التي يسيطر عليها الفرنج. اذ يقال ان التجار الايطاليين اسطولهم من فتح المدن الساحلية هو الامتيازات الترابية والجمركية التي أعطت النشاط التجاري زخما لا سابق له.

لذلك اقتضت طبيعة البحث على تقسيمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمه جاء الأول بعنوان: الامتيازات التي تمتع بها التجار الغربيون في بلاد الشام، اما الثاني تناولنا به: العلاقات التجارية بين المدن الإيطالية وبلاد الشام، وجاءت الخاتمة تبين اهم الاستنتاجات التي خرج بها البحث.

المبحث الاول

العلاقات التجارية بين المدن الإيطالية وبلاد الشام

أن منطقة بلاد الشام كما ذكرنا سابقا، تعرضت الى حركة استعمارية من قبل الغربيين والتي سميت (بالحرب الصليبية) وذكرنا كذلك الأسباب التي دعتهم الى المجيء الى بلاد الشرق (بلاد الشام)، من خلال وجودهم في الشام، استيلاءهم على بعض المدن الشامية، أصبحت هناك علاقات تجارية بين المسلمين والصليبين، وأقيمت هذه العلاقات، وهناك عوامل أخرى حتمت على قيام هذه العلاقات بين الطرفين، منها الامتيازات التي حصل عليها الغربيون كما وضح سابقا، إضافة الى الظروف السياسية وأيضا وضحت، والعوامل الدينية، وهناك عوامل أخرى لهذه العلاقات.

ويتحدث عن هذه العلاقات ووجودها التجاري (ميشل بالار) (بالار، 2002، صفحة 35)، بقوله:" لا يمكن لأحد اليوم أن يزعم ان تجارة شرقي البحر المتوسط قد ولدت مع الحملات الصليبية، إذ ما أكثر الدلائل التي تشهد على وجود تجاري للغربيين في الشرق في القرنيين السابقين على نداء أوربان الثاني. فأقاليم إيطاليا الخاضعة لبيزنطية منذ وقت طويل قد حافظت على علاقات تجارية مع القسطنطينية، أكانت هذه الأقاليم قد ضلت تحت سيطرة الإمبراطورية أم كانت قد حصلت على << درجة من الاستقلال بحكم كونها أقاليم على حدود الإمبراطورية >> ... تزود العاصمة البيزنطية بالحبوب وبالمنتجات الزراعية، في حين أن بحارة باري الخبيرين بالبحر المتوسط الشرقي، سوف يستولون على اثار القديس نقولا في ميره ويعدونها في احتفال أنتصاري الى مدينتهم التي يعززون بذلك جاذبيتها للحجاج المغادرين الى الشرق".

ويقول (غروسيه)(رنيه ، موجز تاريخ الحروب الصليبية في الشرق الإسلامي وشرقي حوض المتوسط، 2014، ص 9)، عن طبيعة العلاقات بين الطرفين " كان يصل هذا التسامح الى حد اقتسام بعض المباني المشيدة بين الديانتين، فترى نصفة الواحد كنيسة ونصفه الآخر مسجدا". (رنية، موجز تاريخ الحروب الصليبية، 2014، صفحة 9)

ويأتي رأي(جوناثان رايلي سميث) ، (سميث، 1291، صفحة 21)يخالف بقية الآراء التي ذكرت بقوله: "كان بعض الاوروبيين على ألفة بشرق المتوسط بسبب الحج والتجارة، ولكن لان الصليبين أرادوا الاستيلاء على الأرض المقدسة والاستيطان فيها. كانت العلاقة بين الفرنج والسكان الأصليين مختلفة تماما عن أية علاقة أقامها نظراؤهم من قبل... فقد تميزت السنوات الباكرة من الغزو بسلسلة من المذابح، وربما كان نتيجة لسياسة رأت ان تحتفظ بالمواقع ذات الأهمية الاستراتيجية أو الدينية للمسيحيين. ولكن سرعان ما ظهر واضحا ان هذه السياسة تؤتى عكس المرجو منها".

يذكر (كرامب) (جاكوب، 1965، الصفحات 61-615) ، كانت العلاقات متبادلة مع بلاد الشرق، ومثال ذلك اتصال البنادقة بالشرق عن طريق التجارة، وهكذا ازداد نشاط أهل المدن، وأصبحت الحياة مدينة عملية تشترك فيها جميع الحواس الطبيعية والعقلية. والواقع أن المدن صارت مجمع الطاقات البشرية، على حين ظل الريف مستودعا لها.

يأتي (هنري بيرين) (بيرين، 1996، صفحة 2)، بقوله: نتج عن طبيعة هذه الصلات، تطور اقتصادي وتجارة بحرية مهمة استمرت في امداد المدن العامرة بالسكان بالصناع والتجار المحترفين.

اما (رانسيمان) (ستيفن، 2000، صفحة 407) ، لم ينحاز الى الغربيين ذلك الانحياز الواضح، فقد أوضح الامر بقوله: كانت العلاقة مباشرة بين الصليبين والمسلمين يعتريها شيء من الغموض أو العوج. ذلك ان المستعمرات الصليبية كانت واقعة في منطقة تشتهر بالغنى، وبأنها يقينا تسيطر على بعض أعظم الطرق التجارية في العالم وكانت طموحات المستعمرين وحلفائهم المالية والتجارية تتعارض أحيانا مع الانتماء الديني، وكانت هناك مناسبات تطلبت فيها احتياجاتهم الإنسانية الأساسية مصادقة جيرانهم المسلمين.

يبين (توماش مستناك) (توماش، 2009، صفحة 1) ، السلام هو أساس العلاقات بقوله: من الشروط الأساسية للسلم أن يراعي أنصار الحركة العلاقة الصحيحة بين الطرفين.

يفصل لنا (براور)[ان هذه الحروب الصليبية قد صاحبها نهضة أوروبية عامة تمثلت في زيادة سكانية، وزيادة الثروة والفتن، وظهور طبقة اجتماعية من المستهلكين لمنتجات مدنهم الجديدة وأيضا للبضائع والمنتجات المستوردة من الشرق، وان التطور الداخلي الذي شهدته أوروبا آنذاك كانت بمثابة عملية دفع قوية أدت الى قيام علاقات تجارية بين الغرب الأوروبي وبين اقطار شرق البحر المتوسط، حيث ان الحروب الصليبية حتى ولو كانت مسؤولة جزئيا فقط عن احداث النهضة الاقتصادية في أوروبا، فأن ثمة قليلا من الشك حول دور هذه الحرب في خلق روح المبادرة، واتساع وتقوية اليقظة الاوروبية للأهمية الاقتصادية للأقاليم الشرقية في كل منطقة الشرق العربي ومنطقة الشرق البيزنطي ويجب الا نغفل العامل النفسي عند الحديث عن الظاهرة الاقتصادية، والحقيقة ان الحكم الصغير للأمارات الصليبية في منطقة الشرق العربي اذا ما قورن بحجم الأقطار في الشرق الإسلامي او في الشرق البيزنطي لا يمكن ان يقلل من دورها في تنشيط التجارة بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، والواقع ان ثمة عوامل اقتصادية أثرت في مجرى العلاقات التجارية. يوشع، الاستيطان الصليبي في فلسطين(مملكة بيت المقدس)،2001 ، ص419 – 420]، العلاقات التجارية بين الطرفين بذكره: " أعقب قيام العلاقات التجارية مع موانئ جنوب أوروبا فتح أسواق تجارية في الأقطار الإسلامية الداخلية امام التغلغل التجاري الأوروبي، وبشكل عكسي، تدفقت السلع والبضائع الشرقية الى الأسواق والمتاجر الاوروبية عبر مدينة حلب. وحصل سماسرة ووسطاء العصور الوسطى من المسلمين والمسيحيين واليهود على أموال طائلة من عائد التجارة الدولية التي قام بها التجار الاوروبيين الذين اندفعوا صوب مراكز الإنتاج في منطقة الشرق العربي. وازداد تدفق المعادن الثمينة من الغرب الأوروبي الى منطقة الشرق العربي بما يعادل حجم الواردات الاوروبية من السلع الشرقية والتي وصلت الى حجم لم يسبق له مثيل في وقت حصلت فيه الصادرات الاوروبية على موطئ قدم في الشرق. ولم تكن المهمة الرئيسة للحروب الصليبية تقوية العلاقات التجارية بين أوروبا وبين منطقة الشرق العربي الإسلامي في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد".

أما (فرانشيسكو) (فرانشيسكو، 2015، صفحة 119) "يتحدث عن العلاقات وطبيعة الود بينهم بقوله: من الافرنج قوم عاشروا المسلمين فهم أصلح من القريبين العهد ببلادهم".

بينما (ارشيبالد.ر. لويس) (ارشيبالدر، صفحة 15)، يقول: العلاقات بين الطرفين في الأصل حرب دائمة، لكن عندما تقتضيه المصلحة المشتركة، فهي حرب محدودة، تبقى وتذر، ويصاحب الحرب الدائمة علاقات سلمية دائمة في اعمال مشتركة.

يبين (يعقوب الفيتري) (يعقوب، 1998، صفحة 105)، رأيه بقوله:" هناك بعض الفرنسيين والغربيين الآخرين... قاموا بعقد معاهدات مع المسلمين، وكانت تغمرهم السعادة من اجل العيش بسلام مع المسلمين".

ويأتي (زابوروف) (ميخائيل، 1986، صفحة 1986)(كانت التجارة تدر أرباحا كبيرة جدا وكان يتعاطاها في المقام الأول التجار من إيطاليا الشمالية .ميخائيل، الصليبيون في بتوضيح هذه العلاقات بين المدن الإيطالية وبلاد الشام بقوله: كان التجار الغربيون في عكا ويافا وصور وصيدا وبيروت يبيعون ما جلبوه ويملؤون سفنهم الشراعية المجدافية ببضائع جديدة كانوا يمضون أحيانا، سعيا وراءها، الى أعماق المناطق الإسلامية، الى الأسواق المحلية. وكانوا ينقلون الى أوروبا البضائع المشترات في مدن الشرق البحرية أو في مراكز ابعد للتجارة الإسلامية، كانوا ينقلون الاقمشة الحريرية والقطنية من صنع الحرفيين السوريين المهرة، والسلال بالفواكه، وجوز الطيب، وأكياس سكر قصب السكر، وقرب وبراميل الخمور. كذلك كان الغرب يتلقى من الشرق الحرير الخام، وبالات القطن، والمسك، والزجاج، والمصنوعات الزجاجية والاصباغ والتوابل، والصمغ، والبخور والعنبر، واللؤلؤ والحجارة الكريمة، كل هذا وغيره كان يتم تصريفه في الأسواق الاوروبية الغربية بكسب كبير.

وينقل (عزيز سوريال)[توافر ذلك كله في القسطنطينية حيث كان يهرع أثرياء العالم للشراء، ونتيجة هذه العلاقات وضعوا مجموعة من القوانين الدقيقة التي تنظم أسواق التجارة والحقوق والواجبات الخاصة بالصناع المنتجين والتجار والمقرضين .عطية ، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب،1868 ، ص150 –152]، (سوريال، 1868، الصفحات 150–152) عن مدى نسبة النجاح الذي تمتع به الاقتصاد في العصور الوسطى نتيجة تطور العلاقات التجارية والتبادل الدولي للبضائع بين الشرق والغرب، ويقول: ان طبيعة الحركة الدائمة للتجارة والصناعة المتوارثة في معظم دول شرق البحر الأبيض المتوسط هي التي ساعدت على إقامة

هذه الصلات التجارية بين الطرفين ومن امثلة التبادل التجاري في أوروبا والشرق، تدفق البضائع من كل مكان الى أسواق القسطنطينية، فقد جاء الحرير والاواني الصينية، وجاءت الجواهر والتوابل، والزجاج والصلب من سوريا، وكذلك الأرقاء من كل لون وشكل، كل ذلك تدفق الى المدينة سلعا للبيع والتجارة، والى جانب ذلك تطورت صناعات متعددة في المنطقة حتى أن الفنانين والممتازين من أصحاب الحرف في البلاد المجاورة وجدوا لهم مكانا في العاصمة، وكان المهرة من الصناع يقومون بصناعة العطور، والملابس المزركشة والمذهبة من البروكار وكذلك ملابس الكهنة وقام صناع آخرون بنحت الأحجار وتشكيلها، وبصنع المجوهرات والطلاء بالميناء في الذهب والفضة، وعمل الصلبان وتجليد الكتب وكل أنواع السلع الفاخرة.

ويكمل (براور)[لقد كانت العلاقة الخاصة بين الوظيفة الاقتصادية والوضع الاجتماعي من أبرز سمات الحياة الاقتصادية للملكة الصليبية في بيت المقدس، (براور، 2001، صفحة 240) عن مجرى العلاقات التجارية بين الغربيين والمسلمين، ويذكر: " ان ثمة عوامل اقتصادية أثرت في مجرى العلاقات التجارية العالمية، بيد أن بداية هذه العلاقات التجارية العالمية والولوج الى ميدان ونطاق مصالح الأقطار الأوروبية تدين بالكثير الى الحروب الصليبية... فأن ظاهرة مثل نمو وتطور الأساطيل التجارية الأوروبية، وظهور أنماط جديدة من السفن وتحسن حركة الملاحة البحرية العالمية لا يمكن ان تكون بمعزل عن الحروب الصليبية. اذ كان الكثير من السفن الاوروبية تمخر عباب البحر الى الشرق ولا تحمل على متنها حمولات سوى نقل الذهب والفضة المصبوبة والحجاج الذين يدفعون أجور نقلهم الى منطقة الشرق، وكانت ربحية الرحلة البحرية للسفينة تتمثل في أجرة نقل الحجاج وأجرة نقل الحمولات السابقة، ربما تطورت كل هذه الأرباح والحمولات في جميع المجالات ولكن في موعد غير محدد. وقد حدث مثل هذا التطور بدقة في القرن الثاني عشر الميلادي بسبب التأثر الروحي والمادي للحروب الصليبية".

" كانت إمدادات المواد الغذائية الأخرى كافية. فكانت التلال توفر المراعي لأعداد كبيرة من الأغنام والماعز والخنازير. وكانت هناك حدائق للفاكهة والخضروات تحيط بكل المدن، كما كانت أشجار الزيتون. وربما كان زيت الزيتون في واقع الامر يصدر بكميات قليلة الى الغرب، بينما كانت الفواكه الفلسطينية النادرة، كالليمون الحلو أو شراب الرمان أو الزبيب الأحمر، تشاهد أحيانا على موائد أثرياء إيطاليا ومع ذلك، كانت هناك منتجات قليلة يستطيع الشرق الفرنجي تصديرها على نطاق كبير يكفي لجلب قدر كبير من العوائد الى البلد".

ويعرض لنا (هنري بيرين)، العلاقات التي أدت نتيجتها الى تخصص هؤلاء التجار في البضائع المرتفعة القيمة مثل التوابل والاقمشة الغالية الثمن التي كان يصدرونها بجهد زائد من سوريا، ومن خلالهم أستطاعت الكنيسة الحصول على البخور اللازم لاحتفال الصلوات الدينية، وقد جلبوا الفلفل، وهو بهار كان نادر وعزيز، حتى انه كان يستعمل في بعض الأحيان بديلا عن النقود، وجلبوا كذلك الخزف المطلي بالميناء أو العاج أو المنتجات الشرقية.

يذكر (كلود كاهن) (كاهن، 1995، صفحة 14) ، " استمرار بعض أنواع الاقمشة التجارية لدى الأمالفيين ... يظهر منها أن الأمالفيين كانوا دائما يجلبون الاخشاب لبناء المنشأت البحرية".

يرجع (ول ديورانت) (ديورانت، بيروت، صفحة 182) ، العلاقات التجارية على وجودها قبيل الحروب الصليبية، وكانت هناك علاقات تجارية قامت بين طرفي البحر الأبيض المتوسط وتبادل تجاري.

وكانت أسواق بلاد الشام تغص بالمتاجر والتجار والبائعين والمشترين، وكانت القوافل تبعث بالتجار يجوبون البحار وتقول (عفاف صبره) (عفاف، 1985، صفحة 10) ، أن العلاقة مع بلاد الشام بالذات تمثل أهمية كبرى عند الغربيين، كانت تمدهم بالغلال والحبوب وخاصة القمح، ونتج عن هذه العلاقات اذ أخذ الصليبيون عن أهل الشرق نظما زراعية كثيرة متقدمة فنقلوا الى أوطانهم نباتات وحاصلات وأشجار جديدة لم يعرفوها من قبل كالسمسم والذرة والأرز والثوم والليمون، وفي مجال الصناعة نقلوا صناعة الزجاج عن أهل صور حتى أن الإنتاج الصناعي الأوروبي ظهر بعد ذلك وعليه المؤثرات والتعبيرات الإسلامية، وقد تعلم الغرب من الشرق كثيرا من صناعة المنسوجات مثل صناعة الحرير والكتان، وأخذوا عن بلاد الشام صناعة السكر من القصب، وصناعة الجلود وصناعة البسط والاثاث والصناعات المعدنية الراقية، وصناعة الورق وتجليد الكتب.

كانت المنسوجات الاوروبية التي ترد الى دمشق وحمص وحماة وحلب ينسج ويفصل ويخاط ويصبغ ويحول الى سلع تجارية من ألبسة وغيرها وأنسجة منوعة وتصدر الى الجنوب (علي، 1963، صفحة 260).

وهناك عوامل أخرى حتمت على القيام العلاقات التجارية بين الطرفين منها المواد الخام اللازمة لكثير من الصناعات في بلاد الشام، هذه المواد لم يستطع المسلمون الاستغناء عنها، مما أوجد الدوافع لقيام مثل هذا التبادل التجاري بين الطرفين، على سبيل المثال في شمال بلاد الشام كانت انطاكية، بوجه خاص قد اشتهرت بما تنتجه من المواد الخام اللازمة لصناعة المنسوجات الحريرية، والبسط والزجاج والفخار والصابون وهي مواد لم تكن بلاد الشام في غنى عنها، بل وشاركت أنطاكية في هذا المضمار كل من طرابلس وصور وطرطوس في إنتاج المواد الخام اللازمة لصناعة الملابس الحريرية، التي نالت شهرة واسعة في الشرق وعند الغربيين على حد سواء(بالاضافة الى القطن والكتان، وعروق الصباغين والنيلة، وكلها من المواد الخام التي قامت عليها عديد من الصناعات الهامة، كما كانت المناطق الخاضعة لحكام بيت المقدس في فلسطين تصدر الى الكثير من المدن الإسلامية في الشام، تصدر الزيت والزبيب والنيلة، والحبوب والعسل والتمور وغيرها، وهي مواد قامت عليها كثير من الصناعات المختلفة .علي، السيد علي، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبين ، 1996 ، ص12).

ويؤكد على هذه العلاقات ما ذكر في المصادر العربية، بأن الصليبيين أحسوا بالانبهار ببلاد الشام والمسلمين وأدوات الحضارة لديهم وبكل منتجات الشرق الإسلامي وأصروا على الحصول على مثل هذه الأدوات المعيشية، وظهرت طبقة من التجار النشطاء الذين أدركوا أن هذه البضائع التي يستوردونها من الشرق الإسلامي يمكن إنتاجها في بلادهم وهكذا تحولوا من تجار الى صناع ومنتجين (صلاح، 1979، صفحة 38)

وأدت العلاقات بينهم الى تركز التطور التجاري الأوروبي بداية في المدن الإيطالية، حيث حظيت هذه المدن بحياة حضرية متقدمة نسبيا، وكان بها تطور تجاري صناعي نسبي، بالإضافة الى استقرار سكاني يمارس هذا النشاط التجاري الصناعي البسيط، وأدى كل ذلك الى ازدهار كبير للمدن التجارية، كما أدى الى نهضة المجتمعات في جنوب أوروبا، وكذلك الى إقامة اتحادات تجارية في شمال أوروبا أيضا، وانتعشت المدن الإيطالية البندقية، جنوة، بيزا، نابولي، أمالفي، باري، كما أزدهرت التجارة في جزيرة صقلية وفي وقت متأخر حظيت مدن غرب البحر المتوسط بشهرة تجارية(كما ومارست المدن الإيطالية البحرية التجارة بين الشرق والغرب التبادل التجاري المزدهر مع القسطنطينية حيث كانت تصل سلع وبضائع الشرق، فتقوم السفن الإيطالية بنقلها الى موانئها أو الى موانئ أوربا شمال المتوسط، من أجل تحقيق أطماع وطموحات تجارية أكثر فائدة وربحا، وأكثر استقرارا وقربا، ومن بين الدول البحرية التجارية الإيطالية الشهيرة(البندقية، جنوا، بيزا، أمالفي)كانت جنوا ذات وضع خاص، اذ لم تكن لها علاقات تجارية من أي نوع من بيزنطة، مثلما كان الحال بالنسبة للبندقية وأمالفي، اذ كان من الصعب عليها منافسة التجار البنادقة في تجارتهم مع شرق المتوسط. (الطليحاوي، 1999، صفحة 72).

وعليه أن الوضع الاقتصادي للغرب قبيل الحروب الصليبية لم يكن هو بعد عشية الحروب فقد تحولت الى دول ذات اقتصاد تجاري قوي ومتميز، وأفادت العلاقات بين الصليبيين والمسلمين الى رفع مستوى التجاري لهذه الدول مثل: البندقية وجنوة وبيزا وغيرها، والواضح ان هذه الحروب كانت قبل كل شيء طريقا واسع لالتقاء الغرب بالشرق ورفع مستواه الاقتصادي.

المبحث الثاني

الامتيازات التي تمتع بها التجار الغربيون في بلاد الشام

اقام الغربيون ومعظمهم من التجار في مركز مدن الشام وخاصة الموانئ، التمتع بالشام بأهمية تجارية كبيرة ومعظم هؤلاء التجار كانوا من الجنويون والبيزيون والبنادقة، وبقية المستوطنات الإيطالية.

وذكر (رنيه غروسيه)(منحت هذه الامتيازات لهؤلاء التجار عندما استطاعوا بسط سيطرتهم على الموانئ السورية الفلسطينية، فقد ساعد الجنويون في انتزاع عكا وجبيل من المسلمين(عام 1104 م)، وكذلك طرابلس(1109 م)، واسهم الجنويون والبيزيون في الاستيلاء على بيروت(1110 م)، اما البنادقة ففي الاستيلاء على صيدا (1110م) وصور(1124م)ان اول الامتيازات في هذا القبيل منحت التجار الاوروبيين كمكافأة لهم لحصولهم على امتيازات تجارية كبيرة وقد أضحى لكل واحدة، من هؤلاء الجمهوريات الساحلية في جميع المرافئ الكبرى لبلاد الشام حيها التجاري الخاص مع فندق (عنبر للبضائع مع دكاكين للبيع)، كما تمتعت بسلطة

قضائية قنصلية وحصانات إدارية وضرائبية، مما أدى الى جعل هذه الاحياء بلدات حقيقية ذات حكم ذاتي. وكان الحي على هذا الشكل مدارا بيد قائم بالاعمال قادم من الوطن الأم، يحمل لقب فيكونت vicomte (نائب الكونت)، أو قنصل.

اما (ول ديورانت) (ديورانت، بيروت، صفحة 297)يذكر بأنه كانت تمنح بعض الامتيازات للتجار الذين يستوردون الحبوب الى إيطاليا وقد ضمنت لهم الدولة أن تعوضهم مما عساهم أن يتعرضوا له من الخسارة وأعفيت سفنهم من ضريبة الأملاك.

وجاء (رانسيمان) (رانسيمان، 2000، الصفحات 407–408) ، برأي مغاير لأراء غروسيه وديورانت، اذ انه قال أن هؤلاء التجار كانوا أخبث جامعي الأموال في عصرهم، عندما تحققوا من إمكان استخدام المستعمرات الجديدة لصالحهم عندما نجحت الحملة الصليبية، فلما عرضت عليهم الامتيازات عند السيطرة على مستعمرات ومدن بلاد الشام، يحصلون على هذه الأراضي والعيش بها، مقابل هذا كان الحافز التجاري يتمثل في شدة الرغبة في الأرض، إضافة الى شوق الفلاحين الفرار من بيوتهم الموحشة المحرومة ومن الفيضانات والمجاعات، والمجيء الى بلاد الشام، عند مجيئهم وجدوا حضارة مدن الشرق ومستوى معيشتها الأعلى، اتخذت مظهر الثراء الوفير.

اما (براور)(كانت البضائع التجارية لهؤلاء التجار تفرغ على السلالم الخشبية او الواح الخشب المحمولة على ظهور الحمالين، الذين كانوا في الغالب من الأوربي اسيويين الذين كانوا يعرفون باسم بولان الميناء poulain of the ports – لكن توضع على الأرصفة المزدحمة في منطقة الميناء الضيقة جدا، كان التجار يؤدون عليها الرسوم المعتادة في شرق البحر المتوسط، فلم تكن الرسوم تختلف فقط حسب نوع البضاعة، وإنما كانت هناك رسوم مختلفة وفقا لأماكن جلب البضائع وجنسية سفينة التاجر، فقد كان على نفس البضائع المنقولة على السفينة نفسها ان تخضع لرسوم جمركية تتراوح ما بين 2% الى 15 %حسب جنسية السفينة وجنسية مالكها . تحدث عن الامتيازات التجارية الكبيرة التي أعطيت لهؤلاء التجار الغربيون. وجمع غفير من سكان المدينة طريقهم الى منطقة الميناء وكانت الألوان الحية التي كان قباطنة السفن في العصور الوسطى يفضلون طلاء سفنهم بها. كان يوم وصول السفينة او الاسطول البحري يوم عيد بالنسبة لأصحاب الحانات والفنادق والتجار وكل من عداهم في المدينة. أعطيت لهؤلاء التجار الامتيازات التجارية في نفس الوقت، منها الصفقات التجارية وتتداول الأيدي صكوك التبادل، وصكوك القروض، جميع لوازم التجارة، وتسري الحركة في الشرايين التجارية في المدينة. وغالبا ما كان في وسع المرء ان يرى عددا قد يصل الى مائة سفينة في موانئ هور وعكا وفي ميناء يافا. وكانت السفن الأكبر حجما تستطيع ان تحمل الفا من التجار والحجاج، فضلا عن حوالي خمسمائة طن من البضائع.

يوضح (كلود كاهن) (كاهن، 1995، صفحة 141)، صيغة أخرى للامتيازات التي حصل عليها التجار الاوروبيون، وهي الانتفاع من جباية المكوس على القوافل العابرة كما كانت تفعل الدول والقبائل العربية في المنطقة منذ مدة طولية.

وكما ذكر ان أي تاجر او بضاعة تقع بين أيديهم وهي لا شك غنيمة جيدة.

كما يذكر (ميشيل بالار)(قد جرت صلات الايطاليين الأولى بالأرض المقدسة في أجواء من العنف، وحالة الحرب التي تميز العقديين الاولين للتوسع الغربي في بلاد الشام لا تشجع على نحو التجارة، وتجارة الموانئ ليس من شأنها الا ان تجد كما لجا يتمثل في الحدود القائمة بين سوريا الداخلية المسلمة والاقاليم الفرنجية، ومن جهة أخرى فإن التجار الايطاليين موزعون بين الرغبة في الاستحواذ على ذهب وثروات البلدان المفتوحة على حساب المسلمين، والحرص على عدم خسارة المواقع التجارية التي تم الفوز

بها ، لعب تجار الجمهوريات البحرية الإيطالية دورا مهيمنا في الحياة الاقتصادية لبلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ومنذ الحملات الصليبية الأولى الى عشية الاكتشافات الجغرافية، شقت سفنها البحر المتوسط بصورة منتظمة لإنزال التجار والسلع في موانئ الساحل ولحمل كل ما يمكن تودعه هناك التجارة. ومن عام 1098 الى عام 1291م، وجدا هذا النشاط تشجيعا في امتلاك امتيازات ومزايا ترابية وتجارية عظيمة الاتساع في المدن التي يسيطر عليها الفرنج. اذ يقال ان التجار الايطاليين قد رافقوا المحاربين، وان المقابل المباشر لمساعدة اسطولهم من فتح المدن الساحلية هو الامتيازات الترابية والجمركية التي أعطت النشاط التجاري زخما لا سابق له.

ويقول (هنري بيرين) (بيرين، 1996، صفحة 24)، كانوا التجار قاموا بتعديل تجارة بلادهم بواسطة القيام بتجارة نشطة مع الشرق للغاية، وفي هذه الحالة يسيرون في ركابهم، وكما يقال: يديرون ظهورهم للغرب ويتجهون لأنظارهم نحو الشرق وكانوا يقوموا بتمويل وامداد، وفي المقابل بلادهم تقوم مصانعها واسواقها بمدهم بما يحتاجون من منسوجات حريرية وتوابل لم يكن لهم غنى عنها.

ويصف (ج. كرامب)(تراث العصور الوسطى، ج 2 ، ص624)، امتيازات التاجر المسافر من البحر الى الخارج ابتغاء التجارة والربح، وفي هذه العملية يتعاقد الرأسمالي الذي لم يتحرك من بلدة مع شريكه المسافر على ان يحصل على قسط من الربح او على نسبة معينة من الفائدة على رأس ماله.

بينما (يعقوب الفيتري) (يعقوب، 1998، صفحة 108)يقول أولئك التجار الذين جاءوا من مدن جنوه وبيزا، والبندقية الشهيرة، ومن أجزاء أخرى من إيطاليا، واستقروا في بلاد الشام كسبوا امتيازات مقابل عملهم الكثير بترويج التجارة والسلع أكثر من المحاربة لأجل المسيح.

اما (زابوروف)(كانت مقامات التجار الايطاليين المميزة، القائمة عادة اشبه بنصف دائرة في جوار الميناء، تشغل أحيانا زهاء ثلث ارض المدينة، وقد عدت نقطة ارتكاز للعلاقات التجارية بين الغرب والشرق ، يفصل هذه الامتيازات تفصيلا جوهريا، بقوله: عندما قدم هؤلاء التجار وظلوا يقدمون في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، للفرسان الصليبين خدمات لا يستهان بها مزودينهم بالسلاح والمؤن وآليات الحصار، وناقلين المدد بالرجال. وجميع هذه الخدمات تقاضوا عنها اجورا ممتازة. ونال التجار الغربيون في مدن بلاد الشام حقوقا وامتيازات واسعة جدا، وهذه الحقوق والامتيازات كانت من أنواع ثلاثة. كان البعض منها طابع أقليمي: فأن التجار الايطاليين وغيرهم من التجار الاوروبيين كانوا ينالون في المدن الساحلية احياء فيها بيوت سكنية ومستودعات، وفيها حتما مسبح وحمام وفرن وكنيسة، وسوق بالطبع، وكانت الفئة الثانية من الامتيازات من الميدان الحقوقي الصرف، وكانت جوهرية جدا بالنسبة للذين يعقدون الصفقات التجارية بدأب وانتظام وكانت الامتيازات من هذه الفئة الثانية، عبارة عن استثناءات متنوعة من النظام القانوني المحلي، فان التاجر او الحرفي من جنوه، مثلاً اذا اقام في الشرق في حي مخصص للقادمين من هذه المدينة، جنوه، لم يكن من الممكن محاكمته الا بموجب قوانين جمهوريته والامن قبل قنصله. اما الثالثة: كان التجار يتمتعون في الموانئ التي يختارونها بحقوق الحصانة، سواء كانوا من جنوه او بيزا أو البندقية، وبقدر أقل من مرسيليا او برشلونة.

ويأتي (براور) (براور، 2001، صفحة 166) ، برأي يختلف عن بقية المستشرقين، من ان بعض التجار حصلوا على الامتيازات عن طريق الشهادات الزائفة والرشاوي، وهذا ما اوضحه بقوله: " توجد محاولات التهريب والشهادات الزائفة بقيمة البضاعة، فضلا عن الشهادات المزيفة الخاصة بالهوية والجنسية التي يتبعها التاجر... وغالبا ما كانت رشوة موظفي الميناء تدفع من اجل الحصول على إعفاء من الضرائب... واذا ما انتهت المساومة على الرسوم الجمركية، يشق التاجر ببضاعته طريقه الى الفنادق، التي كانت تقابل الخانات، لدى الصليبين والوكالات الشرقية في المدينة. وكانت هذه الفنادق تبنى بالقرب من الميناء على قدر الإمكان".

ويقارن (البرت حوراني)(تاريخ الشعوب العربية، 1997 ، ص449)، امتيازات التاجر الشرقي بامتيازات التاجر الغربي، فذكر: أن التجار المحليون وملاكو الأراضي قادرين مع مجيء الاستقلال الحصول على جزء كبير من امتيازات النمو الاقتصادي، واصبح بإمكان التجار أن يستفيدوا من صلتهم بالحكومات المستقلة ليحصلوا على حصة أكبر من تجارة الاستيراد والتصدير، كما ان تجار لبنانيين وفلسطينيين أسسوا مصارف في بيروت كانت توظف الممتلكات والفوائد الخاصة من الصناعة النفطية.

حصل التجار على امتيازات تختلف عن الامتيازات السابقة التي ذكرت.

فذكر (ميشل بالار) (بالار، 2002، صفحة 291)، في أواخر عام 1110م، تتعاون مائة سفينة تحت قيادة الدوج فاليير، مع أسطول سيجورد، ملك النرويج، في الاستيلاء على صيدا. وعندئذ يحصل البنادقة من الملك بودوان الأول، على شارع وسوق في عكا، وبعد اثنى عشرة سنة، عندما يظهر رسوخ الفتح الفرنجي فيتحرك اسطولا من 120 سفينة تشارك في حصار صور، وهذا الانخراط البحري والعسكري الضخم يعود على البندقية بأول امتياز ذي حصانة حقيقية في المشرق، فحصل تجار البندقية على امتيازات اهم بكثير من الامتيازات التي حصلوا عليها تجار الجمهوريتان البحريتان الايطاليتان الاخريان.

اما تجار جنوة، فيبدوا انها المستفيد الأكبر من مشاركة ضخمة ومستمرة من الفتح الافرنجي وحصلوا على امتيازات مهمة في بلاد الشام، على ان هذه الامتيازات ليست على مستوى العون المقدم، فمع أن جنوة وبيزا كانتا الأسبق في الحصول على المكافأة الا ان هذه المكافاة اقل بكثير من المكافاة التي حصلوا عليها تجار البندقية، فقد حصلوا على امتيازات اعظم واكثر تنوعا، ومنها امتيازات الحصانة.

ويضيف(رانسيمان)(تاريخ الحملات الصليبية، ج 3 ، ص414)، على امتيازات التجار التي منحت لهم، امتيازات أخرى، يقول: عندما شهدت ذروة ازدهار التجارة في الشرق الافرنجي هي فترة السنوات العشر السابقة مباشرة على استعادة صلاح الدين القدس والعقود الأولى من القرن الثالث عشر، قد أكتشف الايطاليون مزايا التجارة من خلال الموانئ المسيحية، وترتب على قوافلهم استحسان لسلالة جمع الرسوم الكمركية.

ويكمل (زابوروف)(الصليبيون في الشرق، ص149 – 150)، فكانت " التجارة تدر أرباحا كبيرة جدا وكان يتعاطاها في المقام الأول التجار من إيطاليا الشمالية. وعلاوة على الامتيازات الإقليمية والحقوقية، كانوا يملكون شتى الامتيازات ذات الطابع التجاري والمالي والضرائبي. وقد بقيت الى أيامنا كثرة من المواثيق والشهادات، والوثائق) التي منح بموجبها الملوك والامراء والاسياد الكبار والمتوسطون. الحاكمون في هذه او تلك من مدن القسم الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، التجار هذه الامتيازات، رغبة في تطوير نشاطهم العملي في ممتلكاتهم، وقد كانت للحكام الاقطاعيين في تعزيز النشاط التجاري مصلحة حيوية، اذ ان العمليات التجارية كانت تعود بدخل ما على خزائنهم. مثلا، بقيت مواثيق تخفض رسوم التصدير والاستيراد في المراسي وفي الأسواق داخل المدن في صالح تجار بيزا في يافا، في صالح تجار البندقية وامالفي وبيزا في انطاكية، وعادة لم تكن الامتيازات التجارية الممنوحة للتجار تعني الاعفاء التام من دفع اية ضرائب على العموم، رغم ان حالات من هذا النوع قد حدثت. لكن الامتيازات التجارية كانت تنحصر في الاعفاء الجزئي من الرسوم التجارية".

وعند قول (براور)(عالم الصليبين، ص172)، ويذكر بأنه من الامتيازات التي ضمنت للتجار هي أماكن السكن والعلاقات الخارجية والمحلية الضرورية للتجار، وقد ضمنت الفنادق التي انتشرت في القسطنطينية عبر أرمينيا المسيحية، والمستوطنات الصليبية.

ويؤيده (بالار)(الحملات الصليبية، ص296)، في الرأي بذكره انه في عام 1186م الى عام 1195م، تتوالى التصاريح، المؤاتية للجنويين والبنادقة بأكثر مما للبيازنة، وهم يعدون بامتيازات ضخمة في المدن التي يجب استردادها: عسقلان والقدس ويافا وبالأخص عكا، وتمتعوا بامتيازات الإعفاءات وبحقوق الحصانة والحصول على اقطاعات بفضل معاملات أو تركات مجزية. ومن مجمل الامر ليس هناك امتياز عام بالنسبة لمجمل مملكة القدس، بل امتيازات تخص مدينة واحدة، وعلى سبيل المثال، يحصل الجنويون على خطوات في طرابلس في عام 1203م وفي بيروت في عام 1221و 1223و 1233 وفي حيفا في عام 1234 وفي صور في عام 1264 وبالنسبة لسوريا الشمالية في انطاكية في عامي 1199و 1216، فلا ريب ان البنود التي جاءت تفصيلية تجاوبا مع مشيئة المستفيدين: حرية التجار والسفن والسلع، الاعفاء من الضرائب التي تشكل عبئا على النقل البحري، الوصف الدقيق للتنازلات الترابية، الالتزامات السياسية للطراف المتعاقدة، كل ذلك يجري تحديده بدقة وبوضوح ويتم تسجيله في المواثيق.

يوضح (زابوروف)(الصليبيون في الشرق، ص150)، حالة من المنافسة بين التجار بسبب الامتيازات،" بان التجار من إيطاليا ومن فرنسا الجنوبية كانوا ينافسون بعضهم بعضا مباشرة. واحيانا كانوا يشنون بعضهم على بعض حروبا ضارية ويجتذبون اليها الاسياد الاقطاعيين وفي زمن حرب من هذه الحروب، شنها تجار جنوه في أواسط القرن الثالث عشر، تدمر نصف مدينة عكا، وهلك فيها زهاء 30 الف نسمة".

يقول (كلود كاهن)(الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ص142)، لقد طلب تجار مدينة جنوه وبيزا والبندقية جملة من التنازلات والامتيازات داخل بلاد الشام، وحصلوا عليها في ظل الأوضاع التي مرت بنا، لكن لم يترتب عنها بالضرورة منفعة تامة على الفور بل ولا يبدو أنهم حصلوا دائما وبشكل فعلي على الأراضي والاحياء التي تم تسليمها لهم.

يكمل (بالار) (بالار، 2002، صفحة 298)المزايا التي تمتع بها التجار، حصلوا على الموانئ التي تتميز بقدر من الأهمية: عكا وصور وبيروت في مملكة القدس، وطرابلس واللاذقية على مسافة أبعد شمالا، وهما مدينتان تنضم اليهما انطاكية، عاصمة الامارة والتي تتصل بميناء سان سيمون (القديس سمعان) عبر نهر العاصي، والامتياز الاخر حرية كاملة في التجارة.

وعليه ان حركة التجارة كانت لافته للنظر رغم المصاعب التي واجهتها، والامتيازات التي تمتع بها التجار الغربيون واضحة، قد حصلوا على مرافئ ومدن وحصانة وتقليل نسبة الرسوم وفنادق إضافة الى بقية الامتيازات الأخرى، كل هذا جعلهم يرمون الى البقاء أكثر في بلاد الشام لما تمتلكه الشام من ثروة اقتصادية ضخمة وموقع جغرافي ممتاز كما ذكرنا سابقا.

الخاتمة:

1- اقام الغربيون ومعظمهم من التجار في مركز مدن الشام وخاصة الموانئ.

2- أعطيت للتجار الاوروبيين الامتيازات التجارية ، منها الصفقات التجارية وتداول صكوك التبادل، وصكوك القروض، وجميع لوازم التجارة.

3- من الأسباب التي حتمت على القيام العلاقات التجارية بين الطرفين منها المواد الخام اللازمة لكثير من الصناعات في بلاد الشام، هذه المواد لم يستطع المسلمون الاستغناء عنها، مما أوجد الدوافع لقيام مثل هذا التبادل التجاري بين الطرفين.

4- ان طبيعة الحركة الدائمة للتجارة والصناعة المتوارثة في معظم دول شرق البحر الأبيض المتوسط هي التي ساعدت على إقامة هذه الصلات التجارية بين الطرفين .

المراجع

إجاكوب، ج. كرامب، تراث العصور الوسطى، ترجمة: محمد بدران و محمد مصطفى، مؤسسة سجل العرب للنشر، (د- م)، 1965م.

بالار، ميشيل، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني، ترجمة: بشير السباعي، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، ٢٠٠٢م.

بيرين، هنري، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى والحياة الاقتصادية والاجتماعية، ترجمة وتحقيق: عطية القوص، الهيئة المصرية للنشر، مصر، 1996م.

براور، يوشع، الاستيطان الصليبي في فلسطين، مملكة بيت المقدس، ترجمة: عبد الحافظ البنا، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، 2001م.

حوراني، البرت، تاريخ الشعوب العربية، ترجمة: اسعد صقر، ط١،دار طلاس للترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٧م.

ديورانت، ول ويليام جيمس، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب وآخرون، دار الجيل ، بيروت، ١٩٨٨م

رانسيمان، ستيفن، تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل، مكتبة الشروق للنشر، القاهرة، ٢٠٠٠.

زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ترجمة: الياس شاهين، دار التقدم للنشر، موسكو، ١٩٨٦م.

سميث، جوناثان رايلي ، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط١،المركز القومي للترجمة،القاهرة، ١٢٩١.

غروسيه، رنيه ، موجز تاريخ الحروب الصليبية في الشرق الإسلامي وشرقي حوض المتوسط، ترجمة: أحمد إيدش، ط1، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 2014م.

غابريلي، فرانشيسكو، المؤرخون العرب للحروب الصليبية، ترجمة: نبيل رضا، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٥م.

الفيتري، يعقوب، تاريخ بيت المقدس، ترجمة: سعيد البيشاوي، ط١، دار الشروق للنشر، رام الله، ١٩٩٨م.

كاهن، كلود، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة: احمد الشيخ، ط١، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م.

مستناك، توماش ، السلام الصليبي، ترجمة:بشير السباعي،ط٢، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩م.

لويس، ارشيبالد.ر.، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة، احمد محمد و محمد شفيق، مكتبة النهضة المصرية

صبره، عفاف ، المستشرقون ومشكلات الحضارة، دار النهضة العربية للنشر، مصر، 1985م.

الطحاوي، حاتم عبد الرحمن، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام، ط1، عين للدراسات والبحوث، الهرم، 1999م.

عدس، صلاح، مختصر الحروب الصليبية، كتاب المختار للنشر، القاهرة، 1979م.

علي، السيد علي، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبين، ط1، عين الدراسات والبحوث للنشر، الهرم، 1996م.

عطية ، عزيز سوريال ، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة: فليب صابر سيف، ط2، القاهرة، 1868م.

المصادر المعربة:

List of sources:

- Ali, Al-Sayyid Ali, Economic Relations between Muslims and the Crusaders, 1st edition, Ain Studies and Research Publishing, Al-Haram, 1996 AD.
- Attiya, Aziz Surial, The Crusades and their impact on relations between East and West, translated by: Philip Saber Seif, 2nd edition, Cairo, 1868 AD.
- Adass, Salah, Summary of the Crusades, Al-Mukhtar Publishing House, Cairo, 1979 AD.
- Balar, Michel, The Crusades and the Latin East, translated by: Bashir Al-Sibai, 1st edition, Ain for Human and Social Studies and Research, Al-Haram, 2002 AD.
- Al-Fitri, Yacoub, The History of Jerusalem, translated by: Saeed Al-Bishawi, 1st edition, Al-Shorouk Publishing House, Ramallah, 1998 AD.
- Brower, Joshua, Crusader settlement in Palestine, the Kingdom of Jerusalem, translated by: Abdel Hafez Al-Banna, 1st edition, Ain for Human and Social Studies and Research, Al-Haram, 2001 AD.
- Durant, William James, The Story of Civilization, translated by: Zaki Najib and others, Dar Al-Jeel, Beirut, 1988 AD.
- Grosset, René, A Brief History of the Crusades in the Islamic East and the Eastern Mediterranean Basin, translated by: Ahmed Idish, 1st edition, National Book House, Abu Dhabi, 2014 AD.
- Gabrielli, Francesco, Arab Historians of the Crusades, translated by: Nabil Reda, 1st edition, Arab House of Science Publishers, Beirut, 2015 AD.
- Hourani, Albert, History of the Arab Peoples, translated by: Asaad Saqr, 1st edition, Talas House for Translation and Publishing, Damascus, 1997 AD.
- Ijacob, J. Crumb, The Heritage of the Middle Ages, translated by: Muhammad Badran and Muhammad Mustafa, Arab Registration Publishing Company, (D-M), 1965 AD.
- Kurd Ali, Muhammad bin Abdul Razzaq bin Muhammad (d. 1372 AH), Plans of the Levant, 3rd edition, Al-Nouri Publishing Library, Damascus, 1983 AD.
- Kahn, Claude, East and West in the Time of the Crusades, translated by: Ahmed Al-Sheikh, 1st edition, Sina Publishing, Cairo, 1995 AD.
- Lewis, Archibald R., Maritime and Commercial Powers in the Mediterranean Basin, translated by Ahmed Muhammad and Muhammad Shafiq, Egyptian Nahda Library.
- Mustnak, Tomasz, The Crusader Peace, translated by: Bashir Al-Sibai, 2nd edition, National Center for Translation, Cairo, 2009 AD.
- Perrin, Henry, The History of Europe in the Middle Ages and Economic and Social Life, translated and edited by: Attia Al-Qus, Egyptian Publishing Authority, Egypt, 1996 AD.
- Runciman, Stephen, History of the Crusades, translated by: Nour al-Din Khalil, Al-Shorouk Publishing Library, Cairo, 2000.
- Sabra, Afaf, Orientalists and the Problems of Civilization, Arab Nahda Publishing House, Egypt, 1985 AD.
- Smith, Jonathan Reilly, History of the Crusades, translated by: Qasim Abdo Qasim, 1st edition, National Center for Translation, Cairo, 1291.
- Al-Tahawi, Hatem Abdel Rahman, The Crusader Economy in the Levant, 1st edition, Ain for Studies and Research, Al-Haram, 1999 AD.
- Zaborov, Mikhail, The Crusaders in the East, translated by: Elias Shaheen, Al-Taqadum Publishing House, Moscow, 1986 AD.

الفتوحات الأسلامية للدولة الأموية في عهد الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-714م) ، من خلال ما أورده الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام (ت748هـ/1347م)

م.م. فاطمة عامر علي
fatima1988@uomustansiriyah.edu.iq

أ.د. رحيم خلف عكلة
dr.rahim.k@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم التاريخ

المستخلص

جاءت دراسة موضوع الفتوحات الاسلامية للدولة الأموية في عهد الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-714م) ، من خلال ما أورده الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام (ت748هـ/1347م)، لإيضاح دور الوليد بن عبدالملك في بناء الدولة الاموية في نشر الاسلام ،والسياسة التي اتبعها والتي تعتبر امتداد لسياسة والده ،فضلا عن اظهار دور بعض القادة الذين استعان بهم في توطيد دولته وفي نشر الاسلام خاج نطاق شبه الجزيرة العربية ،حيث تولى الوليد الخلافة بعد وفاة أبيه، الذى ترك له دولة واسعة الثراء، غنية بالموارد، قوية الساعد، مرهوبة الجانب، موحَّدة الأجزاء، متماسكة البناء، ترك عبد الملك للوليد دولة مترامية الأطراف هادئة مستقرة مما ساعده على القيام بالاصلاحات الكثيرة . توسعت الدولة الاسلامية في الشرق والشمال والغرب ففتحت بلاد ما وراء النهر ، وأصبح المسلمون على أبواب الصين وأصبحت بلاد الأندلس تحت الحكم العربي ، وامتد الاسلام إلى جنوب آسيا الصغرى وتطلع المسلمون إلى فتح القسطنطينية ،دأب الوليد على محاربة الدولة البيزنطية؛ لتأمين حدود دولته معها، وكان أخوه مسلمة بن عبد الملك بطل هذه الحروب، واشترك معه أبناء الخليفة الوليد في منازلة البيزنطيين وفتح حصونهم، ، وكان الوليد يرسل في كل غزوة لبلاد الروم أحد بنيه مما يدل على اهتمامه بهذه الجبهة.

الكلمات المفتاحية: الاندلس ، خراسان ،الذهبي ، قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ، موسى بن نصير، الوليد بن عبدالملك

The Islamic conquests during the Umayyad Caliphate under Walid ibn Abd al-Malik (86-96 AH / 705-714 CE) are elucidated through what Al-Dhahabi mentioned in his book "History of Islam and the Deaths of the Celebrities and Luminaries" (748 AH / 1347 CE)

ASSTLect. Fatima Amer Ali
fatima1988@uomustansiriyah.edu.iq

Prof. Dr. Rahim Khalef Akla
dr.rahim.k@uomustansiriyah.edu.iq

Al-Mustansiriya University , College of Education , Department of History

Abstract

A study was conducted on the Islamic conquests during the reign of Al-Walid ibn Abdul-Malik based on what Al-Dhahabi mentioned in his book "History of Islam and Deaths of Notables and Celebrities" (The study aimed to elucidate Al-Walid's role in building the Umayyad state, spreading Islam, and his political strategies, which were an extension of his father's policies. It also highlighted the role of some leaders whom he employed to strengthen his state and spread Islam beyond the Arabian Peninsula. Al-Walid succeeded his father, who left him a wealthy, resource-rich, powerful, fearsome, unified, and cohesive state, enabling him to implement numerous reforms. The Islamic state expanded eastward, northward, and westward, conquering territories beyond the river, reaching the doors of China, and establishing Arab rule in Al-Andalus. Islam spread to South Asia, and Muslims aspired to conquer Constantinople. Al-Walid consistently fought against the Byzantine Empire to secure his borders, with his brother Maslama ibn Abdul-Malik being a key figure in these wars. The sons of the caliph Al-Walid also participated in battles against the Byzantines, indicating his attention to this Front.

Keywords: Al-Andalus, Khorasan, Al-Dhahabi, Qutayba ibn Muslim, Musa ibn Nusayr,Walid ibn Abd al-Malik.

المقدمة

يؤرخ التاريخ الاسلامي لعدد كبير من الخلفاء الذين كان لهم دور كبير في بناء الدولة الاموية ومن هؤلاء الوليد بن عبد الملك اذا تناول الذهبي من خلال كتابه تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، شخصيه الوليد بن عبدالملك والفتوحات التي شهدتها فترة خلافته ولغرض تسليط الضوء على هذا الخليفة جاء اختياري للموضوع.قسم البحث الى عدة محاور تناولنا في المحور الأول اسم الوليد ونسبه وثانيا مرحلة توليه للخلافة وثالثا الفتوحات التي حدثت في عهده والتي ابتدائها الذهبي بدور قتيبة بن مسلم في فتح خراسان ،وتناولنا رابعا فتوحات الوليد بن عبدالملك في الاندلس،اما خامسا سلطنا الضوء على جهود الوليد بن عبدالملك على محاربة الدولة البيزنطية لتأمين حدود دولته معها ،اما سادسا كان لفتوحات الوليد بن عبدالملك بلاد السند.

استهدف البحث تحليل روايات الذهبي مع باقي الروايات الاخرى التي وردت في المصادر المتقدمة والمتأخرة .

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر الاولية والمراجع الحديثة اوردناها في قائمة المصادر والمراجع

الفتوحات الأسلامية للدولة الأموية في عهد الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-714م) الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-714م) :

اولا : اسمه ونسبه.

هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس عبد مناف ، القرشي ، أبو العباس ، أمه ولادة بنت العباس بن حزن بن الحارث بن زهير العبسي ، كانت ولادته سنة (50هـ/670م) وبويع بالأمر بعد أبيه وبعهد منه سنة (86هـ/705م) وكان أكبر ولده (الذهبي، 2003)

ثانيا : توليته الخلافة.

أعطى الذهبي (الذهبي، 2003، صفحة 917/ج2) إشارة لتولي الوليد بعد أبيه الأمر فذكر قائلا: " وَبَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى مِصْرَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَعَقَدَ بِالْخِلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ لابْنَيْهِ الْوَلِيدِ ثُمَّ سُلَيْمَانَ، وَفَرِحَ بِمَوْتِ أَخِيهِ، فَإِنَّهُ عَزَمَ عَلَى عَزْلِهِ مِنْ وِلَايَةِ الْعَهْدِ، فَجَاءَهُ مَوْتُهُ."

تناولت الروايات التأريخية عزم عبد الملك على نقض بيعة أبيه مروان بن الحكم لأخيه عبد العزيز بن مروان ، عندما فكر في توريث الخلافة لابنه الوليد،كتب عبدالملك الى اخية راجيا منه التنازل عن ولاية العهد غير ان الاخير رد عليه قائلا: "يا أمير المؤمنين إنا قد بلغنا سنا لم يبلغها أحد من أهل بيتك ، إلا كان بقاؤه بعدها قليلا ، وإنا لا ندري أينا يأتيه الموت أولا ، فإن رأيت أن لا تغثث علي بقية عمري فافعل " (البلاذري، 1996، صفحة 249/ج7)

اثارت كلمات عبدالعزيز اخيه عبدالملك بن مروان فرقّ له عبد الملك ،وعلى الرغم من ذلك ،كان كثير التفكير والاستشارة لخلع اخيه وكان يلقى الدعم والتأييد لهذه الخطوة من الشخصيات المقربة لديه أمثال ،روح بن زنباع والحجاج بن يوسف الثقفي، اللذان شجعاه لاتخاذ هذا القرار،بينما نهاه عن ذلك قبيصة بن ذؤيب فقال له: "لاتفعل فإنّك تبعث على نفسك صوت عار ، ولعلّ الموت يأتيه فتستريح منه ،فكفّ عنه ونفسه تنازعه إلى خلعه . فدخل عليه روح بن زنباع ، وكان أجلّ الناس عند عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين لو خلعته ما انتطح فيه عنزان ، وأنا أوّل من يجيبك إلى ذلك . قال : نصبح إن شاء الله . ونام روح عند عبد الملك ، فدخل عليهما قبيصة بن ذؤيب، وهما نائمان ، وكان عبد الملك قد تقدّم إلى حجّابه أن لا يحجبوا قبيصة عنه ، وكان إليه الخاتم والسكّة تأتيه الأخبار قبل عبد الملك والكتب . فلمّا دخل سلّم عليه ، قال : آجرك الله في عبد العزيز أخيك . قال : هل توفّي ؟ قال : نعم . فاسترجع ثمّ أقبل على روح وقال : كفانا الله ما كنّا نريد ، وكان ذلك مخالفا لك يا قبيصة . فقال قبيصة : يا أمير المؤمنين إن الرأي كلّه في الأناة" (الطبري، 1976، صفحة 6/412)

وقبيل وفاة عبدالملك بن مروان ،اوصى أبنه وولي عهده الوليد بوصية مهمة ،حدد له بموجبها الخطوط العامة لسياسته الادارية جاء فيها ، اشار الذهبي (الذهبي، 2003، صفحة 917/ج2)(قائلا:" لا أُلْفِيَنَّكَ إِذَا مِتُّ تَعْصُرُ عَيْنَيْكَ

وَتَحِنُّ حَنِينَ الأَمَةِ، وَلَكِنْ شَمِّرْ وَائْتَزِرْ وَالْبَسْ جِلْدَ نمرٍ وَدَلِّنِي فِي حُفْرَتِي وَخَلِّنِي وَشَأْنِي، ثُمَّ ادْعُ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ، فَمَنْ قَالَ هَكَذَا، فَقُلْ بِالسَّيْفِ هَكَذَا"

ولما مات عبد الملك بن مروان صعد المنبر الوليد ابنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لم أر مثلها مصيبة : "ولا مثلها نعمة فقدت الخليفة وتقلدت الخلافة فإنا لله وإنا إليه راجعون على المصيبة ، والحمد لله رب العالمين على النعمة ، ثم دعى الناس إلى بيعته فبايعوا ، ولم يختلف عليه أحد". (الجاحظ،البيان والتبيان، 2002، صفحة 211)

ثالثا: فتوحات الوليد بن عبد الملك في خراسان

ومن الأمور التي أولاها الذهبي (الذهبي، 2003، صفحة 916/ج2) اهتماماً كبيراً في كتابه هذا هي إمارة قتيبة بن مسلم على خراسان ،يذكر قائلا:"سَارَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ مُتَوَجِّهًا إِلَى وِلايَتِهِ، فَدَخَلَ خُرَاسَانَ، وَتَلَقَّاهُ دَهَاقِينُ بَلْخٍ ،وَسَارُوا مَعَهُ، وَأَتَاهُ أَهْلُ صَاغَانَ بِهَدَايَا وَمِفْتَاحٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَسَلَّمُوا بِلادَهُمْ بِالأَمَانِ".

واصل قتيبة فتوحاته سنة،(87هـ/706م)، فعبر النهر الى مدينة بِيكَنْدَ ، تقدم المسلمون وتقدم خاقان ملك الترك فكانت بين الناس معارك طاحنة ابتدوها بالرماح ثم اقتتلوا بعدها قتالاً شديداً ، وولت الترك من بين أيدي المسلمين وأخذهم السيف ، فقتل منهم مقتلة عظيمة وانهزم الباقون أقبح الهزيمة، ثم نزل قتيبة على مدينة بيكند وفتحها بالسيف ثم جمع غنائمها ، ثم كتب إلى الحجاج يخبره بما فتح الله على المسلمين (ابن خياط، 1993) ،ثم عاد قتيبة الى مرو لكي ياخذ قسطا من الراحة ليبدأ مرحلة جديدة من فتوحاته فواصل حملاته على أقليم بخارى، وفي سنة (88هـ/ 707 م)، اورد الذهبي (الذهبي، 2003، صفحة 918/ج2) قائلا: "غَزَا قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ، فَزَحَفَ إِلَيْهِ التُّرْكُ وَمَعَهُمُ الصُّغْدُ، وَأَهْلُ فَرْغَانَةَ، وَعَلَيْهِمُ ابْنُ أُخْتِ مَلِكِ الصِّينِ، وَيُقَالُ: بَلَغَ جَمْعُهُمْ مِائَتَيْ أَلْفٍ، فَكَسَرَهُمْ قُتَيْبَةُ، وَكَانَتْ مَلْحَمَةً عَظِيمَةً".

وفي سنة (89هـ/708م)،قصد قتيبه بخارى بناءا على توجيهات واوامر الحجاج فتصدى له ملكها فلم يستطيع الاستلاء عليها ، وفي سنة (90هـ/ 709م)، سار قتيبة الى بخارى مرة ثانية وتمكن من فتحها بعد معركة انتصر فيها على جمع كبير من الصغد ومن عاونهم ،وبهذا زين قتيبة اعماله في هذة المرحلة بفتح بخارى والتي كان لها في تاريخ الاسلام شأن عظيم ،اورد الذهبي (الذهبي، 2003، صفحة 921/ج2) قائلا: " غزا قتيبة بن مسلم وردان خداه الْغَزْوَةَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَصْرَخَ عَلَى قُتَيْبَةَ بِالتُّرْكِ، فَالْتَقَاهُمْ قُتَيْبَةُ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ وَفَضَّ جَمْعَهُمْ"

في سنة (91هـ/710م)، سار قتيبة بن مسلم الى مدينة مرو الروذ،في خراسان ، وتمكن من دخولها بسهولة وهرب حاكمها وصلب قتيبة ولديه ، ثم سار إلى الطالقانفحارب قتيبة أهلها يوماً واحداً وتمكن من الظفر بهم وغنم غنائمها واستعمل عليها عمرو بن مسلم ، كما سار إلى الفارياب، فلما اقترب مكنها تلقاه ملكها مذعناً مقراً له بالسمع والطاعة فلم يؤذه قتيبة ورده إلى بلده مكرماً ، ثم سار إلى الجوزجان فتلقاه أهلها كما فعل ملك الفارياب سامعين مطيعين ، إلا ان ملكها هرب بعد سماعه خبر قدوم قتيبة إلى ما قبله ، فاستقبل قتيبة أهل الجوزجان ولم يؤذ أحداً منهم وردهم إلى بلادهم مكرمين ، وبعد سماع ملك الجوزجان ما فعله قتيبة برعيته من الكرم قدم هو الآخر إلى قتيبة سامعاً مطيعاً فصالحه قتيبة عن أرضه ،ثم سار الى بلخ وتمكن من قتل حاكمها وكسب الغنائم منها. (النويري، 2002)

في سنة (92هـ/711م)، استكمل قتيبة بن مسلم فتوحاته وتوجه الى سجستان واغاروا عليها حتى ملأوا أيديهم من الغنائم،فكره ملكها رتبيل مقاتله قتيبة بن مسلم وكتب اليه لمصالحته (الذهبي ،، 2003، صفحة 1038/ج2) ،يذكر ابن اعثم (ابن اعثم، 1990، صفحة 154/ج7) قائلا: "فأجابه قتيبة إلى ذلك ، ووقع الصلح بينهما على خمسمائة ألف درهم ومائتي رأس من الرقيق جوار وغلمان ، فأخذ قتيبة منهم ذلك ، فأخرج منه الخمس فوجه به إلى الحجاج ، وقسم باقي ذلك في المسلمين" .

وفي سنة ،(93هـ/712م)، اورد الذهبي (الذهبي، 2003) بان قتيبة بعد فتحه لبلاد سجستان وكسبه الغنائم منها ، سار لفتح بلاد خوارزم والتي صالحه ملكها على عشرة آلاف رأس.

في حين اشار البلاذري (البلاذري، 1988، صفحة 24/ج3) بان ملك خوارزم كان ضعيفا وتغلب عليه اخيه الاصغرخرزاد ، فلما بلغ ،خوارزمشاه، ملك خوارزم بخبر وصول قتيبة إلى ما قبله بعث إليه طالبا المساعدة منه: " أني

أعطيتك كذا وكذا وادفع إليك المفاتيح على ان تملكني على بلادي دون أخي". فلما ملكه انتفض خرزاد على أخيه وحارب قتيبة ، فتمكن قتيبة من القبض عليه وبعثه إلى أخيه الملك فقتله اخوه،وكان ملك خوارزم ضعيفا فوثب عليه اهل مملكته وقتلوه فولى قتيبة أخاه عبيد الله ابن مسلم خوارزم.

بينما أورد الطبري (الطبري، 1976) روايه مفادها بان ملك خوارزم كتب إلى قتيبة يدعوه إلى ارضه يريد ان يسلمها إليه وبعث إليه بمفاتيح مدائن خوارزم ،واشترط عليه ان يدفع إليه أخاه وكل من يضاده في الحكم، فلما قدم قتيبة لغزو خوارزم أقدم عليه ملكها فصالحه على عشرة آلاف رأس وعين ومتاع وعلى ان يعينه على ملك خام جرد ، فبعث قتيبة إلى ملك خام جرد الذي كان يعادي خوارزم شاه فقاتله فقتله ، وأسر العديد من الأسرى.

بعد ان تمكن قتيبة من بسط، سيطرته على كل ما وراء نهر جيحون ، وتوج ذلك بفتح مدينة سمرقند (93هـ/712م)، كانت أعظم مدائن الإقليم ، كان ملك الصغد قد أرسل إلى قتيبة بعد انتصاره في معركة بخارى سنة(90 هـ/ 709م)،يطلب الصلح فأجابه وصالحه ورجع إلى مرو ،لكنه نقض الصلح وامتنع عن دفع الجزية التي كان قد التزم بها ، مما جعل قتيبة يغضب ، ويقرر أن يضع حدّا لهذا العبث ، وأن يلقّن هذا الملك الغادر درسا لن ينساه وليكون عبرة لغيره ، فجهّز أخاه عبد الرحمن بن مسلم في عشرين ألف مقاتل وسيره أمامه ، ثم تبعه هو في أهل خوارزم وبخارى ، وضرب الحصار على المدينة (ابن مسكويه، 2002).

فلما رأى أهل سمرقند عزمه على فتح المدينة بالقوة كتبوا إلى ملوك الشاش وفرغانة يستغيثون بهم ، اشار الذهبي (الذهبي، 2003، صفحة 1041/ج2) الى ذلك قائلا: "سَارَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى سَمَرْقَنْدَ بَغْتَةً فِي جيشٍ عَظِيمٍ، فَنَازَلَهَا، فَاسْتَنْجَدَ أَهْلُهَا بِمَلِكِ الشَّاشِ وَفَرْغَانَةَ فَأَنْجَدُوهُمْ، فَنَهَضُوا لِيُبَيِّتُوا الْمُسْلِمِينَ، فَعَلِمَ قُتَيْبَةُ، فَانْتَخَبَ فُرْسَانًا مَعَ صَالِحِ بْنِ مُسْلِمٍ وَأَكْمَنَهُمْ عَلَى جَنْبَتَيْ طَرِيقِ التُّرْكِ، فَأَتَوْا نِصْفَ اللَّيْلِ، فَخَرَجَ الْكَمِينُ عَلَيْهِمْ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالا لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ وَلَمْ يَفْلِتْ مِنَ التُّرْكِ إِلا الْيَسِيرُ".

وبعد انتصار المسلمين، تدهورت معنويات الصغد بعد أن رأوا هزيمة أهل فرغانة والشاش ، وهذا النصر قوى من عزيمة المسلمين ورفع معنوياتهم ، وقرر قتيبة تشديد الحصار على سمرقند ، ونصب عليها المنجنيق ، وأحدث بها ثلمة (الطبري،، 1976)، فلما أصبح أمر الناس بالجد في القتال ، فقاتلوهم واشتد القتال ، ولما رأى أهلها أن هزيمتهم أصبحت حتمية طلبوا الصلح ، فصالحهم قتيبة على ألفي ألف مثقال ومائتي ألف كل عام ، وأن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس ، وأن يخلوا المدينة فلا يكون لهم فيها مقاتل ، فيدخلها و بني فيها مسجدا يخطب ، وبالفعل دخل المدينة وحطم ما بها من أصنام ولم يعبأ بتخويفه منها ، حيث قال له أحدهم : لا تتعرض لهذه الأصنام فإن بها أصناما من أحرقها أهلكته ، فقال : أنا أحرقها بيدي . فأمر بإشعال النار ، وكبر ثم أحرقها ، فوجدوا من بقايا مسامير الذهب خمسين ألف مثقال . وهكذا بسط قتيبة السيادة الإسلامية على كل أقاليم ما وراء النهر ثم عاد إلى مرو ليستريح ويريح جنده (ابن اعثم، 1990، صفحة 160/ج7) . وفي سنة(94هـ/713م)، واصل قتيبة حركة الفتح فعبر نهر سيحون،فوجه قسما من جيشه الى الشام وتوجه هو مع القسم الاخر نحو فرغانة ،اشار الذهبي (الذهبي ،، 2003، صفحة 1042/ج2) قائلا: "غَزَا قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ بَلَدَ كَابُلَ وحاصرها حَتَّى افْتَتَحَهَا، ثُمَّ غَزَا فَرْغَانَةَ، فَحَصَرَهَا وَافْتَتَحَهَا عُنْوَةً، وَبَعَثَ جَيْشًا فَافْتَتَحُوا الشَّاشَ"

في سنة (96هـ/715م)، نادى قتيبة في الناس وحثهم على المسير معه لفتح مدينة كاشغر الصينية ، فأجابه الناس بالسمع والطاعة فسار بهم حتى نزل على بلادهم وأدنى أرض تلك المدينة ، فدعا بأحد قواده وضم إليه سبعة آلاف رجل من فارس وراجل ووجه بهم إلى كاشغر ، فساروا حتى نزلوا على تلك المدينة واشتد القتال فيما بينهم ، وتمكن المسلمون من سبي مائتي رأس من الكفار ، فختموا رقابهم ووجه بهم إلى قتيبة، ثم رجع قتيبة من غزوته تلك إلى خراسان (ابن مسكويه، 2002).

نستنتج مما تقدم بان قتيبة بن مسلم الباهلي اتبع سياسة القسوة مع أهل خراسان عامة،كما نلاحظ أيضاً في ان بعض فتوحاته لم يتوقف عند أخذ الغنيمة فقط عند الدخول إلى المدينة المفتوحة ، لاسيما ان من أهداف الفتوحات هي نشر الدين الإسلامي وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية ثم الغنائم ثانيا .

رابعا: فتوحات الوليد بن عبدالملك في الاندلس

عانت الاندلس في الفترة الاخيرة من حكم القوطضعفا سياسيا وتفكك اجتماعيا جعلها سهلة لاي فاتح يقبل عليها ، فقد نجح موسى بن نصير وطارق بن زياد في عبور البحر المتوسط إلى شبه جزيرة أيبريا سنة (92هـ / 711م)، وتمكنا من فتح تلك البلاد التي أطلق عيها المسلمون اسم الأندلس،اورد الذهبي (الذهبي ،، 2003، صفحة 1038/ج2) قائلا: "وَافْتَتَحَ إِقْلِيمَ الأَنْدَلُسِ، وَهِيَ جَزِيرَةٌ عَظِيمَةٌ مُتَّصِلَةٌ بِبَرِّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ، وَالْبَحْرِ الْكَبِيرِ مِنْ غَرْبِيِّهَا وَقَدْ خَرَجَ مِنْهُ بَحْرُ الرُّومِ مِنْ جَنُوبِيِّهَا، ثُمَّ دَارَ إِلَى شَرْقِيِّهَا، ثُمَّ اسْتَدَارَ إِلَى شَمَالِيِّهَا قَلِيلا، وَهِيَ جَزِيرَةٌ مُثَلَّثَةُ الشَّكْلِ، افْتَتَحَ الْمُسْلِمُونَ أَكْثَرَهَا فِي رَمَضَانَ مِنْهَا عَلَى يَدِ طَارِقٍ أَمِيرِ طَنْجَةَ، مِنْ قِبَلِ مَوْلاهُ أَمِيرِ الْمَغْرِبِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ، وَطَنْجَةُ هِيَ أَقْصَى الْمَغْرِبِ، فَرَكِبَ طَارِقٌ الْبَحْرَ، وَعَدَّى مِنَ الزُّقَاقِ لِكَوْنِ الْفِرَنْجِ اقْتَتَلُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَاشْتَغَلُوا، فانتهز الفرصة".

كانت الظروف في عهد الوليد بن عبدالملك مواتيه للفتوحات ،حيث كانت الاحوال العامة للدولة مستقرة ،مما ادى للتوجه الى الجهاد،ونظر للظروف التي كانت تعاني منها الاندلس قام يوليان بالاتصال بطارق بن زياد وعرض عليه فتح الاندلس ،وكان غرضة من ذلك ان العرب بعد فتحهم الاندلس سيعودون الى بلادهم مما يمكن ابناء غطيشة من استعادة حكمهم المغتصب ،اشار الذهبي (الذهبي ،، 2003، صفحة 1038/ج2) الى ذلك قائلا: بَلْ عَبَرَ بِمُكَاتَبَةِ صَاحِبِ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى عَدُوِّهِ"

كتب طارق بن زياد الى موسى بن نصير يستشيره في فتح الاندلس، وبعث موسى بن نصير إلى الوليد بن عبدالملك يستأذنه في فتح هذه البلاد وواصفا له مكانتها من المسلمين مبينا سهولة دخولها بناء على ما أوضحه له يوليان، فأمره الوليد بن عبد الملك بإرسال سرية صغيرة تختبر تلك البلاد كي لا يقع المسلمين في مأزق في تلك البلاد، فأرس موسى بن نصير أحد قادة جنده ويسمى طريف بن مالك فعبر إلى الأندلس في خمسمائة جندي وكان ذلك في رمضان سنة إحدى وتسعين للهجرة، ونزلوا في بلدة سميت باسم القائد طريف وشن المسلمون غارات على الساحل غنموا فيها مغانم كثيرة ثم رجعوا إلى موسى بن نصير بما حصلوا عليه في تلك المعارك (الغرناطي ،المغرب في حلي المغرب ، 1997، صفحة 242/ج1) نجح طارق بن زياد، بالعبور إلى الأندلس على رأس سبعة آلاف مقاتل جلهم من البربر الذين حسن إسلامهم والبربر كانوا يتصفون بالقوة والشجاعة والإقدام، تجمعوا عند جبل سمى بجبل طارق تيمنا باسم قائد الفتح طارق بن زياد، واستولى المسلمون على الجزيرة الخضراء قبالة جبل طارق،اشار الذهبي (الذهبي، 2003، صفحة 1039/ج2)الى الانتصارات التي حققها طارق بن زياد ومآلت اليه هذة الانتصارات من حسد موسى بن نصير لطارق بن زياد، فرأى أن يكون له من هذا الفتح نصيب، قائلا: "فَدَخَلَ طَارِقٌ وَاسْتَظْهَرَ عَلَى الْعَدُوِّ، وَأَمْعَنَ فِي بِلادِ الأَنْدَلُسِ، وَافْتَتَحَ قُرْطُبَةَ، وَقَتَلَ مَلِكَهَا لُذَرِيقَ، وَكَتَبَ إِلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ بِالْفَتْحِ، فَحَسَدَهُ مُوسَى عَلَى الانْفِرَادِ بِهَذَا الْفَتْحِ الْعَظِيمِ، وَكَتَبَ إِلَى الْوَلِيدِ يُبَشِّرُهُ بِالْفَتْحِ وَيَنْسِبُهُ إِلَى نَفْسِهِ، وَكَتَبَ إِلَى طَارِقٍ يَتَوَعَّدُهُ لِكَوْنِهِ دَخَلَ بِغَيْرِ أَمْرِهِ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به، وَسَارَ مُسْرِعًا بِجُيُوشِهِ، وَدَخَلَ الأَنْدَلُسَ وَمَعَهُ حَبِيبُ بن أبي عبيدة الفهري، فتلقها طَارِقٌ وَقَالَ: إِنَّمَا أَنَا مَوْلاكَ، وَهَذَا الْفَتْحُ لَكَ".

ثم يكمل الذهبي (الذهبي ،، 2003، صفحة 1039/ج2) قائلا:"وَأَقَامَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ غَازِيًا وَجَامِعًا لِلأَمْوَالِ نَحْوَ سَنَتَيْنِ، وَقَبَضَ عَلَى طَارِقٍ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَ عَلَى الأَنْدَلُسِ وَلَدَهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ مُوسَى، وَرَجَعَ بِأموالٍ عَظِيمَةٍ، وَسَارَ بِتُحَفِ الْغَنَائِمِ إِلَى الْوَلِيدِ".

اختلف المؤرخين حول طبيعة العلاقة التي كانت بين طارق بن زياد وموسى بن نصير. فبعض المؤرخين، رجحوا وجود علاقة حقد وحسد من جهة موسى تجاه طارق بن زياد، بعد نجاحه في غزو الأندلس. في حين لم يرجح بعضهم حسم الخلاف بالصلح بين القائدين. وقد ذكر ابن عبد الحكم (ابن عبد الحكم، 1989، صفحة 238) قائلا: "وأخذ موسى

بن نصير طارق بن عمرو ، فشدّه وثاقا وحبسه ، وهمّ بقتله ، وكان معتّب الرومىّ غلاما للوليد بن عبد الملك ، فبعث إليه طارق : إنك إن رفعت أمرى إلى الوليد ، وأنّ فتح الأندلس كان على يدىّ ، وأن موسى حبسني ، يريد قتلى ، أعطيتك مائة عبد ، وعاهده على ذلك . فلمّا أراد معتب الانصراف ودّع موسى بن نصير وقال له :لا تعجّل على طارق ولك أعداء ، وقد بلغ أمير المؤمنين أمره ، وأخاف عليك وجده ، فانصرف معتب وموسى بالأندلس .فلما قدم معتب على الوليد أخبره بالذي كان من فتح الأندلس على يدي طارق ، وبحبس موسى إيّاه ، والذي أراد به من القتل ، فكتب الوليد إلى موسى يقسم له بالله لئن ضربته لأضربنّك ، ولئن قتلته لأقتلّن ولدك به ، ووجّه الكتاب مع معتب الرومي، فقدم به على موسى الأندلس ، فلما قرأه أطلق طارقا وخلّى سبيله ، ووفى طارق لمعتب بالمائة العبد الذي كان جعل له".

في حين ذكر البلاذري (البلاذري، 1988، صفحة 228) أن موسى عنّف طارق في خطاب أرسله إليه ينهاه أن يتجاوز قرطبة، إلا أنهما تصالحا بعد ذلك.

كان استدعاء الوليد بن عبدالملك للقائدين، بسبب خلافهما، توجه طارق بن زياد بصحبة موسى بن نصير ومعه جموع من الأسرى والعبيد والعديد من النفائس،اشار الذهبي في الرواية الاولى بأنهما ولمَّا وصلا طبرية بلغهما موت الوليد بن عبدالملك وكانت الغنائم النفيسة نصيب سليمان قائلا: وَمِمَّا وَجَدَ بِطُلَيْطِلَةَ لَمَّا افْتَتَحَهَا: مَائِدَةُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَهِيَ مِنْ ذهبٍ مُكَلَّلَةٌ بِالْجَوَاهِرِ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى طَبَرِيَّةَ بَلَغَهُ مَوْتُ الْوَلِيدِ وَقَدِ اسْتَخْلَفَ سُلَيْمَانَ أَخَاهُ، فَقَدَّمَ لِسُلَيْمَانَ مَا مَعَهُ".

اما في الراوية الثانية اشارالذهب (الذهبي، 2003، صفحة 1039/ج2) قائلا : "وَقِيلَ: بَلْ لَحِقَ الْوَلِيدَ وَقَدَّمَ مَا مَعَهُ إِلَيْهِ".

اتفق مع روايه الذهبي التي اشارت الى وصول القادة الى دمشق ودخولهم على الوليد بن عبدالملك وعلى الرغم من محاولات سليمان بن عبد الملك ولي العهد والذي طلب منهما التأخّر حتى موت الوليد بن عبد الملك الذي كان يصارع الموت. لكنهما تابعا تقدّمهما ودخلا مع الغنائم إلى دمشق،حيث اشار ابن عبدالحكم (ابن عبد الحكم، 1989، صفحة 239) الى الخلاف الذي حدث حول المائدة قائلا: "قدم موسى بن نصير على الوليد بن عبد الملك، والوليد مريض، فأهدى إليه موسى المائدة، فقال طارق: أنا أصبتها، فكذّبه موسى. فقال للوليد: فادع بالمائدة، فانظر هل ذهب منها شيء. فدعا بها الوليد، فنظر فإذا برجل من أرجلها لا تشبه الرجل الأخرى، فقال له طارق: سله يا أمير المؤمنين، فإن أخبرك؛ بما تستدل به على صدقه فهو صادق، فسأله الوليد عن الرجل، فقال: هكذا أصبتها. فأخرج طارق الرجل التى كان أخذ منها حين أصابها فقال: يستدلّ أمير المؤمنين بها على صدق ما قلت له، وأنى أصبتها، فصدّقه الوليد، وقبل قوله، وأعظم جائزته".

كما ذكر المسعودي بان النفائس التي وجدت في الاندلس حملت الى الوليد بن عبدالملك (المسعودي،، 1996، صفحة 97) قائلا :"ففتحت الأندلس في تلك السنة والتي بعدها تولى فتحها طارق بن زياد مولى موسى بن نصير في سنة اثنتين وتسعين أيام الوليد بن عبد الملك ، وقتل ملكهم لذريق وسباهم وغنم ، ووجد في ذلك البيت مائدة سليمان عليه السلام وكانت من ذهب عليها أطواق جوهر مفصلة ، ووجد المرآة العجيبة الغريبة التي ينظر فيها إلى الأقاليم السبعة وهي مدبرة من أخلاط ، ووجد فيها آنية سليمان من الذهب ، والزبور منسوخا بخط يوناني جليل بين ورقات ذهب مفصلا بجوهر ، ووجد فيه اثنين وعشرين مصحفا محلاة كلها بالذهب منها التوراة ومصحفا آخر محلى بفضة فيه منافع الأشجار والأحجار ، وعمل الطلسمات ، وكان مصحف فيه عمل الصبغة وأصباغ اليواقيت ، ووجد فيه فقاعة كبيرة من حجر مملوءة اكسيد الكيميا مختومة بالذهب ، فحمل ذلك كله إلى الوليد بن عبد الملك" .

كما اورد ابن كثير (ابن كثير، 1998، صفحة 328/ج6) قائلا: "وذكر أهل التاريخ أن موسى بن نصير ، الذي فتح البلاد المغربية أيام بني أمية وجد المائدة ، ولكن قيل : إنها مائدة سليمان بن داود مرصعة بالجواهر وهي من ذهب فأرسل بها إلى الوليد بن عبد الملك فكانت عنده حتى مات ، فتسلمها أخوه سليمان "

كما اشار المؤرخين (السهيلي، 1989، صفحة 224/ج1) بان الوليد بن عبدالملك استخدام ماكان في المائدة من ذهب وأطواق الياقوت والزبرجد ، فضرب منها حلى لتزين الكعبة (العلوم، 2004، صفحة 203) .

وبسبب هذا غضب عليهما سليمان بن عبد الملك، لأنه كان يريد أن ينسب الفتح والغنائم لنفسه . وعندما تولّى سليمان الخلافة ، عزل موسى وأولاده ، وقتل ابنه عبد العزيز بن موسى بن نصير الذي شارك في فتح الأندلس .

خامسا: فتوحات الوليد بن عبدالملك في بلاد الروم .

ترك عبد الملك للوليد دولة مترامية الأطراف هادئة مستقرة مما ساعده على القيام بالاصلاحات الكثيرة . توسعت الدولة الاسلامية في الشرق والشمال والغرب ففتحت بلاد ما وراء النهر ، وأصبح المسلمون على أبواب الصين وأصبحت بلاد الأندلس تحت الحكم العربي ، وامتد الاسلام إلى جنوب آسيا الصغرى وتطلع المسلمون إلى فتح القسطنطينية ،دأب الوليد على محاربة الدولة البيزنطية؛ لتأمين حدود دولته معها، وكان أخوه مسلمة بن عبد الملك بطل هذه الحروب، واشترك معه أبناء الخليفة الوليد في منازلة البيزنطيين وفتح حصونهم، ، وكان الوليد يرسل في كل غزوة لبلاد الروم أحد بنيه مما يدل على اهتمامه بهذه الجبهة.

ظلت الحملات تتوالى على بلاد الروم منذ سنة (88هـ / 706م)، ولا يكاد يخلو عام من حملة على الروم، وفي هذا العام فتح مسلمة بن عبدالملك والعباس بن الوليد حصن طوانة وشتوا بها ، وكان حصينا منيعا ، اقتتل الناس عنده قتالا عظيما ثم حمل المسلمون على النصارى فهزموهم حتى أدخلوهم الكنيسة ، ثم خرجت النصارى فحملوا على المسلمين فانهزم المسلمون ولم يبق أحد منهم في موقفه إلا العباس بن الوليد ومعه ابن محيريز الجمحي ، فقال العباس لابن محيريز : أين قراء القرآن الذين يريدون وجه الله عز وجل ؟ فقال : نادهم يأتوك ، فنادى يا أهل القرآن ، فتراجع الناس فحملوا على النصارى فكسروهم ولجأوا إلى الحصن فحاصروهم حتى فتحوه (الذهبي، 2003، صفحة 918/ج2) وفي سنة،(٨٩ هـ/ 707م) ،غزا مسلمة وابن أخيه العباس أيضًا بلاد الروم، ففتح مسلمة حصن عمورية وهرقلة وقونية، ثم رجع مسلمة وسار إلى بلاد الترك من ناحية أذربيجان ففتح حصونًا ومدنًا (الذهبي ،، 2003، صفحة 921/ج2).

وفي سنة ٩٠ غزا مسلمة بلاد الروم ففتح الحصون الخمسة التي بسورية، وغزا العباس بن الوليد بن عبد الملك حتى بلغ أرض الروم. وَفِيهَا غَزَا الْعَبَّاسُ ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَبَلَغَ الأرزق ثُمَّ رَجَعَ.

وفي سنة ،(91هـ/ 709 م)، عزل الوليد عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وأذربيجان وولاها أخاه مسلمة بن عبد الملك بن مروان فقدم مسلمة وانتدب إلى الغزو فغزا إلى أن وصل في هذه السنة إلى الباب من بحر أذربيجان فافتتح مدائن وحصونا كثيرة) (ابن تغري،، د.ت، صفحة 224)

وفي سنة،(٩٣هـ/ 711 م)، افتتح مسلمة بن عبد الملك حصونا كثيرة من بلاد الروم ، منها حصن الحديد وغزالة وماسة وغير ذلك ،اشار الذهبي قائلا: " وَفِيهَا غَزَا الْعَبَّاسُ ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَرْضَ الرُّومِ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ حِصْنًا"، حيث تمكن العباس بن الوليد من فتح سمسطية (الطبري، 1976، صفحة 469/ج6)

وفي سنة،(٩٤ هـ/ 712 م)، اورد الذهبي (الذهبي، 2003، صفحة 1024/ج2) قائلا: وَغَزَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ فَافْتَتَحَ مَدِينَتَيْنِ مِنَ السَّاحِلِ"، حيث تمكن من فتح أنطاكية وقارطة من الساحل من أرض الروم وكما غزا عبد العزيز بن الوليد فبلغ غزالة،وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك سندرة من أرض الروم (ابن خياط، 1993، صفحة 306)، وفي سنة(95هـ /٧١٣ م) غزا مسلمة مدينة باب الأبواب وفتحها وخربها، ثم بناها بعد ذلك بعشر سنين، أو تسع سنين ، وقد انتقضت هذه المدينة فأعادها للمسلمين مرة أخرى، والظاهر أنها استعصت عليه فاستعادها عنوة.) (ابن كثير، 1998، صفحة 113/ج9)

سادسا : فتوحات الوليد بن عبدالملك بلاد السند

في مطلع خلافة الوليد بن عبدالملك ولى الحجاج محمد بن القاسم الثقفي على السند وارسل اليه ستة الاف مقاتل من جند الشام وكانت اولى معاركه والتي انتهت بفتح الديبل، اشار الذهبي (الذهبي ،، 2003، صفحة 1040/ج2) في

احداث سنة (93هـ/ 711م)،قائلا:"وَفِيهَا افْتَتَحَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الثَّقَفِيُّ الدَّيْبُلَ وَغَيْرَهَا، وَلاهُ الْحَجَّاجُ ابْنُ عَمِّهِ، وَهُوَ ابْنُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً"

وَفِيهِ يَقُولُ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ:

إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّمَاحَةَ وَالنَّدَى ... لِمُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ

قَادَ الْجُيُوشَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ حَجَّةً ... يَا قُرْبَ ذَلِكَ سُؤْدُدًا مِنْ مَوْلِدِ (ابن عساكر ، 1998، صفحة 164/ج65)

بعد ان تمكن محمد بن القاسم من فتح هذة المدينة ،حطم مافيها من اصنام واستبقى حامية مكونة من اربعة الاف مقاتل وبنى فيها مسجدا (البلاذري، 1988، صفحة 421) ،سار في جيشه فلقوا الملك صَصَّةَ بْنَ دَاهِرٍ في جمع عظيم ومعه سبع وعشرون فيلا منتخبة ، فاقتتلوا فتمكنوا من هزيمتهم وهرب الملك داهر ، فلما كان الليل أقبل الملك ومعه خلق كثير جدا فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل الملك داهر وغالب من معه ، وتبع المسلمون من انهزم من الهنود فقتلوه . ثم سار محمد بن القاسم فافتتح مدينة الكبرج وبرها ورجع بغنائم كثيرة وأموال لا تحصى كثرة ، من الجواهر والذهب وغير ذلك ' (ابن كثير، 1998، صفحة 104/ج9)بعد هزيمة داهر ،سار محمد بن القاسم يستكمل فتح مدن بلاد السند فتمكن من فتح مدينة راوربعد معركة ، وكان بها امراة لداهر فخافت على نفسها ان تقع أسيرة فأحرقت نفسها وجواريها وجميع اموالها (ابن الاثير، 1429هـ/2008م، صفحة 20/ج4).

سار محمد يريد الرور، فحاصرهم أشهرا ثم فتحها صلحا على الا يقتلهم ولا يعرض لبدهم ، وقال : ما البد الا ككنائس النصارى واليهود وبيوت نيران المجوس ووضع عليهم الخراج وبنى مسجدا بالرور ، وفي سنة (95هـ/ 713 م)، سار محمد بن القاسم الى المُوْلتان، فقاتله أهلها ، ودخلوا المدينة منهزمين وحاصرهم محمد وقد نفذت أزواد المسلمين حتى أكلوا الحمير ثم أتاهم مستأمن فدلهم على ماء منه شربهم فقطع الماء عليهم ، فلما عطشوا نزلوا على الحكم ، فقتل محمد المقاتلة وسبى الذرية ، وكانوا ستة آلاف ، وأصابوا ذهبا كثيرا (البغدادي،، 1981، صفحة 419)، فجمعت تلك الأموال ، فسميت المولتان فرج الذهب، لأنها فتحت في أول الإسلام ، وكان بها ضيق وقحط ، فوجدوا فيها ذهبا كثيرا فاتسعوا به . (المسعودي، 1990، صفحة 49)

ونلاحظ من خلال السياسة التي اتبعها محمد بن القاسم مع سكان مدينة المؤلتان لاينطبق مع تعاليم الاسلام لان هؤلاء اسرى ولايجوز الاسلام قتلهم اما سبي الذراري وبيع الاطفال والنساء فهذا البعيد عن تعاليم الاسلام.

الخاتمة :

1- تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة بعد ابيه فورث دولة مستقرة ساعده ذلك في تحقيق الفتوحات التي جرت في عهده

2- سار الوليد بن عبدالملك على سياسة ابيه في الاعتمادة على قادة تمزوا بالشجاعة والحنكة السياسية حققوا انجازات كثيره في عهده .

3- توسعت الدولة الاموية في عهده وحيث وصلت فتوحاته الى بلاد ماوراء النهر والسند وحيث وصلت جيوشه الى الصين ،فضلا عن الفتوحات في الجهه الغربية حيث ثم فتح الاندلس ووصلت الجيوش الى فرنسا.

4- أتبع قتيبة بن مسلم الباهلي سياسة القسوة مع أهل خراسان عامة ،وعلى الرغم من قيامه بالعديد من الفتوحات ولعل ذلك يرجع الى صعوبة هذا الاقليم .

5- يعتبر فتح المسلمين للاندلس من الاحداث المهمة وامتداد لحركة الفتوح العامة حيث كان لاستقرار الاحوال العامة في الدولة الاسلاميه في عهد الوليد بن عبدالملك

6- أظهرت هذه الفتوحات جهود القائد محمد بن القاسم الثقفي الذي تمكن من الوصول الى بلاد الهند وأخضاع تلك الاقاليم

المصادر :

ابن الاثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم. (1995) *الكامل في التاريخ*. دار الكتب العلمية.

ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (2008).*اسد الغابة في معرفة الصحابة* (.Vol3ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن اعثم، أبي محمد أحمد (1990). *الفتوح* (.Vol1ط). بيروت: دار الاضواء.

البغدادي ، ابو جعفر محمد بن حبيب بن امية. (د.ت). *المحبر* .بيروت: دار الافاق.

البغدادي، أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة. (1981). الخراج وصناعة الكتابة (.Vol1ط). بغداد: دار الرشيد للنشر

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر .(1988). فتوح البلدان. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر .(1996). *انساب الاشراف* (.Vol1ط). دار الفكر.

ابن تغري، أبو المحاسن يوسف بن عبد الله. (د.ت). *النجوم الزاهر في ملوك مصر والقاهرة* (.Vol1ط). مصر: وزارة الثقافة والارشاد القومي.

الجاحظ،، عمر بن بحر بن محبوب (2002). *البيان والتبيان* (.Vol1ط). بيروت: دار ومكتبة الهلال.

ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي. (1992) *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*. دار الكتب العلمية. بيروت.

الحميدي ، محمد بن فتوح بن عبد الله. (1966). *جذوة المقتبس*.الدار المصرية القاهرة.

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم. (1988). *صفة جزيرة الاندلس* . دار السراج .يروت.

ابن خياط. أبو عمرو الشيباني (1993).*تاريخ خليفة بن خياط* .عمان: دار الفكر.

ابن دقماق ، ابراهيم بن محمد بن ايدمر . (2007). *الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين* .بيروت : عالم الكتاب.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله بن احمد (2003). *تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام* (.Vol2ج). دار الغرب الاسلامي.

ابن السراج ، محمد بن عبد الملك الشنتريني. (2008). *جواهر الأداب وذخائر الشعراء* دمشق.

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (1989). *الروض الانف في شرح السيرة النبوية* (.Vol1ط). بيروت: دار الفكر.

الطبري، محمد بن جرير بن زيد (1976). *تاريخ الطبري* (.Vol2ط). بيروت: دار التراث.

ابن عبد الحكم، ابو القاسم عبد الرحمن (1989). *فتوح مصر والمغرب* (.Vol1ط). بيروت: دار الكتاب اللبناني.

ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسين (1998).*تاريخ مدينة دمشق* . دار الفكر. بيروت

الغرناطي ، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك. (1997). *المغرب في حلي المغرب* .دار الكتب العلمية .بيروت.

ابن الفقيه، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق. (1996). *البلدان* . عالم الكتب للطباعة .بيروت.

القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي. (1985). *مأثر الانافة في معالم الخلافة* الكويت.

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم . (1993). *الامامة والسياسة* قم .

القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود. (1998). *اثار البلاد واخبارالعباد*. دار صادر . بيروت.

ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر .(1998). *البداية والنهاية* (.Vol1ط). بيروت: دار احياء التراث البعربي.

المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين. (1990). *مروج الذهب ومعادن الجوهر* . دار الكتاب العالمي .بيروت.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين .(1990).*التنبيه والاشراف*.دار صعب . بيروت.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. (1996). *اخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران*. دار الاندلس للطباعة والنشر .بيروت.

ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (2002). *تجارب الأمم وتعاقب الهمم* طهران.

النهرواني ، محمد بن أحمد بن محمد. (1995). *الاعلام بأعلام بيت الله الحرام* . المكتبة التجارية .مكة المكرمة.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب .(2002). *نهاية الارب في فنون الادب* (.Vol1ط). القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.

ابن الوزان ، الحسن بن محمد الزياتي .(2005). *وصف افريقيا* .القاهرة .

المراجع الثانوية:

بحر العلوم ، محمد مهدي بن مرتضى. (2004). *تحفة الكرام في تاريخ مكة*. تهران.

عبد اللطيف ،عبد الشافى محمد . (2008). *السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي*.دار السلام . القاهرة

These are citations of various historical works and references, including authors and their respective works, covering a wide range of Islamic history and scholarship. Here's the translation:

- Ibn Athir, Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karam. (1995). Al-Kamil fi al-Tarikh. Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
- Ibn Athir, Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karam. (2008). Asad al-Ghaba fi Ma'rifat al-Sahaba (Vol. 3). Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
- Ibn 'Asakir, Abu Muhammad Ahmad. (1990). Al-Futuh (Vol. 1). Beirut: Dar al-Adwa'.
- Al-Baghdadi, Abu Ja'far Muhammad ibn Habib ibn Umayya. (n.d.). Al-Mahbir. Beirut: Dar al-Afaq.
- Al-Baghdadi, Abu al-Faraj Qudamah ibn Ja'far ibn Qudamah. (1981). Al-Kharaj wa San'at al-Katibah (Vol. 1). Baghdad: Dar al-Rashid lil-Nashr.
- Al-Baladhuri, Ahmad ibn Yahya ibn Jabir. (1988). Futuh al-Buldan. Beirut: Dar wa Maktabat al-Hilal.
- Al-Baladhuri, Ahmad ibn Yahya ibn Jabir. (1996). Ansab al-Ashraf (Vol. 1). Dar al-Fikr.
- Ibn Taghri, Abu al-Mahasin Yusuf ibn Abdullah. (n.d.). Al-Nujum al-Zahira fi Muluk Misr wa al-Qahira (Vol. 1). Egypt: Ministry of Culture and National Guidance.
- Al-Jahiz, 'Umar ibn Bahr ibn Mahbub. (2002). Al-Bayan wa al-Tabyin (Vol. 1). Beirut: Dar wa Maktabat al-Hilal.
- Ibn al-Jawzi, Abu al-Faraj Abd al-Rahman ibn Ali. (1992). Al-Muntazam fi Tarikh al-Muluk wa al-Umam. Dar al-Kutub al-Ilmiyya. Beirut.
- Al-Hamidi, Muhammad ibn Fattuh ibn Abdullah. (1966). Jathwat al-Muqtabs. Dar al-Masriyya al-Qahira.
- Al-Hamiri, Abu Abdullah Muhammad ibn Abdullah ibn Abd al-Mun'im. (1988). Safat Jazirat al-Andalus. Dar al-Siraj. Beirut.
- Ibn Khayyat, Abu Amr al-Shaybani. (1993). Tarikh Khalifah ibn Khayyat. Oman: Dar al-Fikr.
- Ibn Dakmaq, Ibrahim ibn Muhammad ibn Idmar. (2007). Al-Jawhar al-Thamin fi Siyar al-Muluk wa al-Sultans. Beirut: Alam al-Kitab.
- Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah ibn Ahmad. (2003). Tarikh al-Islam wa Wafayat al-Mashahir wa al-A'lam (Vol. 2). Dar al-Gharb al-Islami.
- Ibn al-Siraj, Muhammad ibn Abd al-Malik al-Shanturini. (2008). Jawahir al-Adab wa Dhuha' al-Shu'ara'. Damascus.
- Al-Suhayli, Abu al-Qasim Abd al-Rahman ibn Abdullah. (1989). Al-Rawd al-Anif fi Sharh al-Sirah al-Nabawiyyah (Vol. 1). Beirut: Dar al-Fikr.
- Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir ibn Zaid. (1976). Tarikh al-Tabari (Vol. 2). Beirut: Dar al-Thaqafah.
- Ibn Abd al-Hakam, Abu al-Qasim Abd al-Rahman. (1989). Futuh Misr wa al-Maghrib (Vol. 1). Beirut: Dar al-Kitab al-Lubnani.
- Ibn 'Asakir, Abu al-Qasim Ali ibn al-Husayn. (1998). Tarikh Madinat Dimashq. Dar al-Fikr. Beirut.
- Al-Gharnati, Ali ibn Musa ibn Muhammad ibn Abd al-Malik. (1997). Al-Maghrib fi Hily al-Maghrib. Dar al-Kutub al-Ilmiyya. Beirut.
- Ibn al-Faqih, Abu Abdullah Ahmad ibn Muhammad ibn Ishaq. (1996). Al-Buldan. Alam al-Kutub lil-Taba'ah. Beirut.
- Al-Qalqashandi, Abu al-Abbas Ahmad ibn Ali. (1985). Ma'athir al-Anafa fi Ma'alim al-Khilafah. Kuwait.
- Ibn Qutaybah, Abu Muhammad Abdullah ibn Muslim. (1993). Al-Imamah wa al-Siyasah. Qom.
- Al-Qazwini, Zakariya ibn Muhammad ibn Mahmud. (1998). Athar al-Bilad wa Akhbar al-`Ibad. Dar Sadir. Beirut.

- Ibn Kathir, Abu al-Fida Ismail ibn Umar. (1998). Al-Bidaya wa al-Nihaya (Vol. 1). Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
- Al-Mas'udi, Abu al-Hasan Ali ibn al-Husayn. (1990). Muruj al-Dhahab wa Ma'adin al-Jawhar. Dar al-Kutub al-Alami. Beirut.
- Al-Mas'udi, Abu al-Hasan Ali ibn al-Husayn. (1990). Al-Tanbih wa al-Ishraf. Dar Saab. Beirut.
- Al-Mas'udi, Abu al-Hasan Ali ibn al-Husayn. (1996). Akhbar al-Zaman wa Man Abadah al-Hadathan wa Ajayib al-Bilad wa al-Ghamr bi al-Ma' wa al-Imran. Dar al-Andalus lil-Taba'ah wa al-Nashr. Beirut.
- Ibn Miskawayh, Abu Ali Ahmad ibn Muhammad. (2002). Tajribat al-Umam wa Ta'akub al-Humum. Tehran.
- Al-Nuwayri, Ahmad ibn Abd al-Wahhab. (2002). Nihayat al-Arab fi Funun al-Adab (Vol. 1). Cairo: Dar al-Kutub wa al-Watha'iq al-Qawmiyya.
- Ibn al-Wazan, Hasan ibn Muhammad al-Zayati. (2005). Wasf Ifriqiya. Cairo.
- Secondary References

Secondary References:

Secondary References:

- Bahar al-'Ulum, Muhammad Mahdi ibn Murtadha. (2004). Tuhfat al-Kiram fi Tarikh Makkah. Tehran.
- Abdul Latif, Abdul Shafi Muhammad. (2008). Al-Sirah al-Nabawiyyah wa al-Tarikh al-Islami. Dar al-Salam. Cairo.

تـجـارة المـلـح في السـودان الغربــي من القرن الخامس الهجري حتى القرن العاشر الهجري

م.د. فرح مصطفى قاسم حسن الموسوي

farah.m@cois.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد ، كلية العلوم الإسلامية

ملخص البحث

يهدف البحث الى التعرف على اهم مصادر التجارة في السودان الغربي وهي مادة الملح ودور مدن الصحراء في اتساع وانتشار هذه التجارة لاسيما الحاجة الماسة للملح في السودان الغربي وذلك للحاجة الشديدة اليه من قبل سكان هذه المناطق فكلما توغلنا داخل أراضي السودان الغربي كلما زادت الحاجة الماسة اليه وغلى ثمنه الى اضعاف لقلة توافره في السودان الغربي بشكل عام لكون الصحراء تشكل جزء كبير منها إضافة الى ارتفاع درجات الحرارة بشكل كبير، لذا تضمن البحث نقاط واضحة وبسيطة عن موقع بلاد السودان الغربي واهم مناطقها التجارية واشهر القبائل التجارية التي احتكرت هذه التجارة ،كذلك المناطق التي تواجدت بها الملح وأنواع الملاحات في السودان الغربي وكيفية استخراجه من الأرض وطرق نقله .

الكلمات المفتاحية : الملح ، السودان الغربي ، جاو ، أودغست.

Salt trade in western Sudan from the fifth century AH until the end of the tenth century AH

Inst.Prof. Farah Mustafa Qasim Hassan Al-Moussawi

farah.m@cois.uobaghdad.edu.iq
University of Baghdad, College of Islamic Sciences

Abstract

The research aims to identify the most important sources of trade in Western Sudan, which is salt, and the role of desert cities in the expansion and spread of this trade, especially the urgent need for salt in Western Sudan. This is due to the intense need for it by the residents of these areas. The more we penetrate into the territory of Western Sudan, the more urgent the need for it increases and the more expensive its price is due to its lack of availability in Western Sudan in general. Because the desert constitutes a large part of it, in addition to the significantly high temperatures, the research included clear and simple points about the location of Western Sudan, its most important commercial areas, and the most famous trading tribes that monopolized this trade, as well as the areas where salt was found, the types of salt pans in Western Sudan, and how to extract it from it. Land and method of transporting it.

Keywords: salt, Western Sudan, Java, Awdagust.

المقدمة:

كثير منا من يجهل تاريخ بلاد السودان رغم عراقته وجذوره الضاربة في القدم اذ ظهرت به ممالك وامبراطوريات منذ فجر التاريخ ويقسم بلاد السودان الى ثلاث أجزاء لا يقل جزء عن الاخر في الأهمية وهذا يدل على اصالة هذه البلاد.

فالقسم الشرقي يشمل الحوض الاعلى والاوسط لنهر النيل وروافده جنوب بلاد النوبة وهي اول أمم السودان ،اما السودان الاوسط فيمتد شرقا من بحيرة تشاد الى ثنية نهر النيجر في الغرب ،والسودان الغربي يمتد من ثنية نهر النيجر شرقا الى المحيط الاطلسي غربا، وهذا القسم ظهر بشكل واضح لدى الجغرافيين في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي.

في هذا البحث الذي يخص أهمية الملح في السودان الغربي تكلمنا عن السودان الغربي ثالث قسم من بلاد السودان الذي ظهرت به عدد من الممالك القوية التي كونت علاقات تجارية كبرى مع دول الجوار بفضل ما تمتلكه من العديد من الثروات من أهمها الذهب والعبيد اذ كانا اهم سلعتين استخدمتها لشراء والمقايضة بهما مقابل الحصول على الملح .

اذ قسمت البحث الى عدة نقاط تكلمت في الأولى عن الملح بصورة عامة والثانية التعريف بالسودان الغربي واهم الدول التي قامت به ثم النقطة الثالثة تكلمت بها عن اهم المراكز التجارية التي كان لها دور كبير في تجارة الملح وبعد ذلك انتقلت الى صلب الموضوع النقطة الرابعة هي أهمية الملح في السودان الغربي ومدى حاجة السكان اليه وبعدها انتقلت الى طرقه نقله وكانت تستخدم فيه الجمال والسفن ثم طرق استخراجها التي لم تشر اليها المصادر بطريقة واضحة ومفصلة سوى انه يوجد في السودان الغربي نوعان من الملاحات عامة وخاصة بالملك وان القائمين على هذه التجارة هم بربر وعرب ولم يمارسها الافريقي الا بعد القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي ،ثم خاتمة البحث وقائمة للمصادر والمراجع .

ان الصعوبة في كتابة البحث هو المعلومات الدقيقة لم تكن عند المصادر الاصيلة وانما في كتب المراجع التي لا تقل أهمية عنها لان مصادرنا تكلمت عن الجوانب السياسية اكثر كما ان بلاد السودان لم يكن لها الحظ الوافي في المصادر العربية لذلك نجد المعلومة الوفير عند المراجع العربية التي اعتمدت على المستشرقين او الكتب المترجمة لان اكثر من تناول دراسة تاريخ افريقيا جنوب الصحراء هم البرتغاليون والفرنسيون الذين احتلوا بلاد السودان منذ نهاية القرن الثامن الهجري إذ لم تعدُ كتاباتهم عن كونها يوميات لهم في هذه الارض ومشاهداتهم فيها ومن أهمها مارك كيرلانسكي تاريخ الملح في العالم وكتاب أسماء فرجاني تجارة القوافل بين بلاد المغرب وافريقيا جنوب الصحراء خلال القرن 19م وغيرها في هامش البحث فكانت عون لي في كتابة البحث .

أولا: الملح:

عرف الملح بانه الصخرة الوحيدة القابلة للاكل من قبل الانسان استخدم على مر العصور في الاكل وحفظ الطعام وكسلعة تجارية مهمة جدا تساوي وزنها ذهب في بلاد السودان (كيرلانسكي، 2005م، صفحة 8)

فقد اعتبر العبرانيون القدماء ان الملح رمز للعهد بين الله وبني أسرائيل وعرف في التوراة في سفر الأرقام يرد بأنه ميثاق بالملح يرد امام الله ، ويرد الامر نفسه في سفر المدونات بأن أله أسرائيل أعطى تلك المملكة لداوود ولأبنائه من بعده والى الابد بميثاق الملح وفي ليلة الجمعة يغمر خبز(يقصد الطعام) السبت بالملح حفاضاً له (كيرلانسكي، 2005م، صفحة 12)

كما ان المسيح اخبر اتباعه بانهم ملح الأرض وقد استخدمت الكنيسة الملح في التعميد وانها ربطت الملح مع الحياة المديدة والبقاء والمعرفة والحكمة وكانت الكنيسة الكاثوليكية تهب الملح المقدس المعروف بملح الحكمة (كيرلانسكي، 2005م، صفحة 14)

ثانيا : السودان الغربي:

أطلق الرحالة والجغرافيين العرب المسلمون على الاقوام التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى من بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) غربا الى بحر القلزم (البحر الأحمر) شرقا بلاد السودان وهذه التسمية مستوحاة من لون البشرة السوداء كما ان هذه التسمية أطلقت عليهم لكي يميزونهم عن الامازيغ سكان شمال الصحراء (المغرب العربي) (الهمذاني، 1302هـ/1884م) ، صفحة 72) اما تسمية افريقيا جنوب الصحراء فقد أطلقها عليهم المستشرقون.

وقد قسم بلاد السودان الى ثلاث اقسام قسم شرقي وقسم أوسط اما عن موضوع دراسة فهو القسم الثالث والأخير السودان الغربي ويقصد به المنطقة الغربية لبلاد السودان الممتدة من نهر النيجر شرقاً وحتى المحيط الأطلسي غرباً ويحده من الشمال الصحراء الكبرى ومن الجنوب الغابات الاستوائية (اليعقوبي(ت292هـ/904م)، 1420هـ /1999م، صفحة 192) قامت به ثلاث ممالك كان لها دور كبير في نشر الإسلام الاولى مملكة غانة ((الحميري، 1980م، صفحة 134)؛ (الناصري، (1376هـ/1956م)، صفحة 152)ولا يعرف بالضبط تاريخ قيامها يرجح الى القرن الرابع الميلادي وان الإسلام وصل لها في القرن الرابع الهجري وتعرف بأرض الذهب وملكها ملك الذهب ((البكري، (1413هـ/1992م)، صفحة 871)).

اما الدولة الثانية فهي دولة مالي((باري، 2007م.، صفحة 89)) وهي اقوى واغنى الدول الافريقية التي ظهرت في السودان الغربي (636. 886هـ/1238-1481م) وتعرف باسم مليل او ملل (نيان، 1409هـ/ 1988م، صفحة 195)) والثالثة صنغاي((الوزان، (1404هـ/1983م)، صفحة 163)؛ (نيان، 1409هـ/ 1988م، صفحة 23).

أُسست هذه الدولة في إقلم جاو في السودان الغربي (1000.777هـ/1375-1591م) بعد سقوط مملكة مالي (السعدي، (1384هـ/1964م).، صفحة 23) .

ثالثا : المراكز تجارية المهمة في السودان الغرب:

1. مدينة تنبكتو تأسست في القرن 5هـ /11م من قبل قبل قبائل مغربية تسمى الطوارق)خلدون1409 ,هـ1988/م(22 .p , بينما يشير الحسن الوزان((الوزان، (1404هـ/1983م)، صفحة 165) الى القرن 7هـ /13م الى تأسيس هذه المدينة ويشير الى الذي قام ببنائها هي منسا سليمان ومنذ تأسيسها اصبح اقوى مركز تجاري تلتقي فيه تجارة الشمال الافريقي مع الجنوب الافريقي وتتم على ارضها المبادلات والصفقات التجارية وبموقعها على نهر النيجر المطل على المحيط الأطلسي تكون البلدة الوحيدة التي تتحكم بالطرق البرية والنهرية وقد اطلق عليها الاوربيون بانها مدينة صعبة المنال غامضة الاسرار لا يوجد بلد افريقي بجمالها ولا يتجاوزها أي بلد افريقي بملحها وذهبها لا يوجد لها مصدر للثروة عدا تجارة الملح والذهب) حوتية2007 ,م(145 .p ., . .

2. مدينة غاو او جاو من المراكز التجارية المهمة في السودان الغربي تقع على منحنى نهر النيجر تاتيها البضائع المختلفة من الشمال الافريقي وبلاد اوربا وهي أكثر بلاد السودان ذهباً والسلع التجارية الرئيسية بها هي الملح الذي يأتيها تغازة (كاربخال، (1405هـ/1984م).، صفحة 26) .

3. مدينة جنى تقع غرب تمبكتو تاسست في القرن 3هـ /9م محاطة بسور له ثمانية أبواب اغلب سكانها تجار ويأتي اليها العديد من التجار قال عنها السعدي (السعدي، (1384هـ/1964م).، صفحة 12)" هي سوق عظيم من أسواق المسلمين " .

4. أودغيست أسست في القرن 2هـ /8م وهي مدينة كبيرة أهلة رملية تعتبر من الأسواق الكبيرة التي يكثر فيها البيع والشراء اذ أصبحت مركز تجاري هام في كل الارجاء الصحراوية ترد الى أسواقها مختلف البضائع (فرجاني، 2017، صفحة 61).

5. مدينة ايوالاتن وهي عبارة عن مدينة صغيرة خاملة ليس فيها عدد كبير من المساكن سوى ثلاث قرى كبيرة وأكواخ متفرقة بدأ تحتل مكانة تجارية مهمة بعد قيام مملكة مالي وضمتها الى حدودها فأتجهت اليها القوافل وأرتبطت بعلاقات تجارية مع تنبكتو وبافي المراكز (الدالي، (1409هـ/ 1988م).، صفحة 31).

رابعا : أهمية المـــــلح في السودان الغربي:

وقد أشار الدالي (الدالي، التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء، (1409هـ/ 1988م)، صفحة 324) الى ان الملح مادة نادرة في بلاد السودان الغربي يبدل وزنها ذهباً، كما ان كذلك من المعروف ان الناتج عن التجارة ليس فقط تبادل مواد لكن أيضا تأثير بالافكار والاعتقادات ومن المعروف ان شعوب بلاد السودان بصورة خاصة يقدسون الروحية الموجودة فيما حولهم اذ نشأة لديهم الكثير من هذه المعتقدات من خلال هذا الجانب فالمعروف ان للملح قدسية خاصة في الديانات السماوية كما ذكرنا كذلك له قدسية لدى الشعوب المصرية للملح أهمية روحية تستخدم لتحنيط موتاهم فهم ينظرون الى جسد الميت بكونه وعاء يحمل الروح الى الحياة الأبدية فلابد من الحفاظ على هذا الوعاء ليصل تلك الروح الى مكانها النهائي فاستخدموا ملح (كيرلانسكي، 2005م، صفحة 12) ،القوافل التجارية الواردة الى السودان الغربي كانت تشتري العبيد بقطعة ملح اذ كان ثمن العبد الواحد قطعة ملح لا تزيد عن حجم رجله (عثمان، 2000م.، صفحة 95).

كما استعمل الملح في مدن عديدة في السودان الغربي كسلعة للمقايضة في عملية البيع والشراء فكانت قوافل بلاد الشمال الافريقي تبيع جزء من بضائعها بالملح الذي تأخذه الى أفريقيا جنوب الصحراء اذ ان حمولة البعير الواحد من الملح يصل ثمنها الى عشرة مثاقيل من الذهب وقد تتجاوز ذلك بكثير اذ قد تصل في بعض الأحيان الى الأربعين مثقالاً من الذهب الافريقي الخالص وضلت أسعار الملح في بلاد السودان ترتفع الى ان وصلت حمولة البعير الواحد من الملح الى ثمانين مثقالاً من الذهب (زبادية، د. ت، صفحة 98) .

ولندرة الملح في السودان الغربي نجد ان المصادر التي ذكرته تكلمت عنه كونه عملة نادراً جداً تاتي بالمرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد الذهب فقد استخدم في التجارة وتبادل السلع وفي البناء والمقايضات وفي الطعام فقد أشار الكثير من المؤرخين الى هذه الأهمية منهم الوزان (الوزان، (1404هـ/1983م)، صفحة 280) فيقول " ويكثر جداً في بلاد البربر(شمال افريقيا) ولا وجود له في بلاد السودان وأهلها يمسكون بقطعة الملح بيدهم فيلحسونها مع كل مضغة حتى لا يستهلكوه بكثرة".

اما القزويني (القزويني، 1426هـ/2005م).، صفحة 25) يقول " والملح بأرض السودان عزيز جداً والتجار يجلبونه من تغازة الى سائر بلادهم يباع كل وقر بمائة دينار"

خامسا : مناطق الملح في السودان الغربي:

المناطق الداخلية الوعرة اذ كلما توغلنا داخل الودان الغربي يرتفع سعر الملح وذلك لعدة أسباب منها:

1. بعد مناطق استخراج الملح عن المناطق الداخلية.
2. المشقة التي يعاني منها مستخرجي الملح أضافة الى مخاطر الطريق.
3. الحاجة الماسة والضرورية لاهل الجنوب للملح فهم يحتاجون الملح لتعويض اجسامهم عن ما يفقدونه من الملح اثناء التعرق الزائد وذلك بوضعه في الطعام كما يستخدمونه في علاج بعض الامراض ، وقد اثبتت الدراسات الانثروبولوجية ان حاجة جسم الانسان وبالأخص الانسان الأسود الى الملح تفوق حاجة الانسان الأبيض لذلك لايعوضه الملح المستخرج من النباتات لانه يعرق اكثر من الانسان الأبيض فيحتاج الى ما يعوض جسمه. إعطاء الملح للحيوانات لتعويضها عن غياب النباتات المالحة .
4. يستخدم كعملة مقبولة في كل الأسواق حيث يقطع الى وحدات صغيرة وتستطيع ان تشتري به ما تريد من بضائع وسلع (فرجاني، 2017، صفحة 124).

الصحراء

اما البكري (البكري، (1413هـ/1992م)، صفحة 871) تحدث عن الملح بقوله "ومن غرائب تلك الصحراء معدن ملح بينه وبين سجلماسة مسيرة عشرين يوماً تحفر عنه الأرض كما تحفر عن سائر المعادن والجواهر ويوجد تحت قامتين او دونهما من وجه الأرض ويقطع كما تقطع الحجارة ... ويتجهز بالملح الى سجلماسة وغانة وسائر بلاد السودان والعمل فيه متصل والتجار اليه متسايرون وله غله عظيمة " .

فيتبين من ذلك ان أهمية الملح لبلاد السودان الغربي لاتقل أهمية عن اهتمام العالم بالذهب وكان يحمل من الصحراء الى مراكز التجارة الكبرى في السودان الغربي ومنها يوزع الى المناطق الداخلية (غيث، د.ت.، صفحة 126).

وقد أشار الكثير من الرحالة الى حاجة بلاد السودان للملح وأشار ابن بطوطة (بطوطة، 1417هـ/1996، صفحة 441) الى هذه الأهمية بقوله " وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطع ويتبايعون به"

لذلك نجد ان الملح هو السلعة الوحيدة المتفق عليها من قبل المؤرخين التي يدفع السودانيون الكثير في سبيل الحصول عليه (التكتيك، 1998م، صفحة 173)؛ (الرحمن، 10 أبريل 2019م، صفحة 153).

لم تحدد المصادر تاريخ هذه التجارة لكن ان الراجع كانت هذه التجارة موجودة قبل وصول العرب الى بلاد البربر(الشمال الافريقي) فالعربات الرومانية كانت في الالفية الأولى للميلاد تربط ضفتي الصحراء بين المغرب الأقصى وبلاد غانة (عميرة، 2008م.، صفحة 123).

وكانت هذه التجارة بين القبائل البربرية المنتشرة في الصحراء فلا توجد منتجات زراعية ولا صناعية فيبقى الملح هو السلعة الوحيدة التي يصدرها المغرب العربي الى بلاد السودان مقابل الذهب وهذا يفسر كثرة الذهب الذي عثر عليه العرب المسلمون في بلاد السوس (الحميري، 1980م، صفحة 234) اذ حصل حبيب بن ابي عبيدة سنة 116هـ /734م على كمية معتبرة من الذهب فقد ذكر ابن الحكم (الحكم، (1994م).، صفحة 122) هذه الغزوة " ان عامل الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك عبيد الله بن الحباب الذي تولى مهام عمله

116هـ قد استعمل ابنه على السوس الذي ارسل حملة بقيادة حبيباً بن ابي عبيدة الفهري الى السوس وارض السودان فظفر بهم ظفراً لم يرى مثله وأصاب ماشاء من الذهب ".

جزيرة اوليل (المغربي، (1390هـ/1970م).، صفحة 91)

مصدر جداً مهم لتزويد السودان الغربي بالملح ، اذ تحمل منها مراكب الملح الى مصب نهر السنغال الذي يبعد عنها مسافة يوم كامل من الإبحار فيصل الملح الى غانة عن طريق اوغست (الادريسي، (1410هـ/ 1989م).، صفحة 31).

سادسا : طـــــرق نـقــلــه:

يوجد في السودان الغربي مناطق متوفر بها الملح وان التجار العرب والطوارق هم من احتكر مهمة نقله والمتاجرة به فكان الملح ينقل أساساً من شمال دولة مالي الى جنوب السودان الغربي من مدينتي بلما ومن تاودني وكان تزويد السكان بالملح يعتبر من اختصاص السلطان او وكيله حصراً وهو عمل يستحق الاحترام والتقدير نظراً لأهمية الملح البالغة منذ ذلك الزمان كما شكل الملح السلعة الأساسية التي حملتها القوافل العابرة للصحراء وشكل اهم المبادلات التجارية وحافزاً اقتصادياً بلغة فيه مملكة مالي ذروة رخائها الاقتصادي فبصورة عامة كل من كان يسيطر على تجارة الملح كان يتحكم أيضًا في تجارة الذهب (محجوبة، 2021/6/6م.، صفحة 297).

واكثر المدن ملحاً في السودان الغربي مدينة تغازة التي كانت عبارة عن منجم ملح تتطلع اليه كل بقاع السودان الغربي حيث تصدر منه كميات كبيرة الى مدينة تنبكتو وينقل الملح في شكل ألواح كبيرة ليس في وسع البعير حمل الا أثنتين منها لشدة ضخامتها (باري، المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة، 2007م.، صفحة 99)؛ (الكشاط، 1989.، صفحة 79).

وقد وصف لنا (القلقشندي، (د.ت)، صفحة 279) مدينة تغازة وهي قرية لا خير فيها، ومن عجائبها أن بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح وسقفها من جلود الجمال ولا شجر بها، إنما هي رمل فيه معدن الملح يحفر عليه في الأرض فيوجد منه ألواح ضخام متراكبة كأنها قد نحتت ووضعت تحت الأرض تحت الأرض يحمل الجمل منها لوحين ، ولا يسكنها إلّا عبيد مسّوفة الذين يحفرون على الملح، ويتعيّشون بما يجلب اليهم من تمر درعة وسجلماسة، ومن لحوم الجمال ويصل السودان من بلادهم فيحملون منها الملح، ويباع الحمل منه بايوالّاتن بعشرة مثاقيل إلى ثمانية ، وبمدينة مالي بثلاثين مثقالا إلى عشرين وربّما انتهى إلى اربعين مثقالا وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة، يقطعونه قطعا ويتبايعون به. وقرية تغازّة على حقارتها يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التّبر.

اما البكري (البكري، (1413هـ/1992م)، صفحة 887) فقد ذكر لنا عند التكلم عن بلاد السودان " ومن غرائب تلك الصحراء معدن ملح على يومين من المجابة الكبرى وبينه وبين سجلماسة مسيرة عشرين يوما، تحفر عنه الأرض كما تحفر عن سائر المعادن والجواهر، ويوجد تحت قامتين أو دونها من وجه الأرض وتقطع كما تقطع الحجارة، ويسمّى هذا المعدن تاتنتال وعليه حصن مبني بحجارة الملح، وكذلك بيوته ومشارفه وغرفه كلّ ذلك ملح، ومن هذا المعدن يتجهّز بالملح إلى سجلماسة وغانة وسائر السودان ، والعمل فيه متّصل والتجّار إليه متسايرون وله غلّة عظيمة".

يتم نقل الملح عبر قوافل الجمال وبالقوارب على طول الأنهار مثل النيجر والسنغال ، الى ان يجد طريقه إلى المراكز التجارية مثل تمبكتو ، حيث تم إما إرساله جنوبًا أو استبداله بسلع أخرى مثل العاج والجلود ، أيضا النحاس والحديد والحبوب كما ان الملح الموجود بالسودان الغربي لم يكن بالمستوى المطلوب مثل ملح شمال افريقيا فملح السودان الغربي اما يكون من الأحواض التي تعرضت للتبخر أو من مياه البحر ، لكن ملح البحر لم يكن ذا أهمية أو الملح المشتق من رماد النباتات المحترقة مثل الدخن والنخيل كما اعتبرت بلاد السودان هي المصدر الطبيعي الرئيسي للملح الصخري ، إما المكتسب من الرواسب السطحية الناتجة عن عملية التجفيف مثل الموجودة في قاع البحيرات القديمة أو المستخرجة من مناجم ضحلة نسبيًا حيث يتشكل الملح بشكل طبيعي ويتحول إلى ألواح. كان لون هذا الملح رمادي وهو أفضل بكثير من مصادر الملح الأخرى (كيرلانسكي، 2005م، صفحة 41)

تم تحميل الألواح الملحية على الجمال ، وكان كل حيوان يحمل كتلتين يصل وزن كل منهما إلى 90 كيلوغرامًا. يمكن أن تتكون قافلة الجمال من 500 إلى عدة آلاف من الجمال هذه الممارسة بدأت وبشكل متزايد منالقرن الثالث الىالقرن الثامن الهجري/ القرن التاسع إلى

القرن الثاني عشر الميلادي. عندما تصل القوافل إلى مركز تجاري أو مدينة رئيسية في منطقة السودان ، يتم تبادلا لملح مقابل البضائع لإعادتها عبر الصحراء في رحلة العودة ، وعادة ما تشمل هذه الأحمال الذهب والجلود والعاج، أما المناطق الداخلية في غرب افريقيا فكان يتم نقل الواح الملح بالقوارب على طول الأنهار مثل نهري النيجر والسنغال وروافدهما ثم يقطع إلى قطع أصغر ويحمله الحمالون على رؤوسهم إلى وجهته النهائية القرى الداخلية (كيرلانسكي، 2005م، صفحة 40)

وقد ذكر لنا البكري (البكري، (1413هـ/1992م)، صفحة 874) عند التكلم عن مدينة غانة أن ملكها يفرض ديناراً من الذهب عند إدخاله الى البلاد ودينارين من الذهب عند إخراجه .

وقد كان الملح من اهم سلع التجارة الصامتة في السودان الغربي اذ انهم من أمم السودان الداخلة اذ كان التجار الغرباء يصلون الى منطقة معينة يقومون بقرع طبولهم من اجل التجارة مع السكان الذين كانوا مجردين من الملابس يعيشون تحت الأرض يشتغلون في التنقيب عن الذهب وكان هؤلاء السكان يتجنبون وجهاً لوجه أمام التجار الغرباء اذ يضع التجار سلعهم ومن أهمها الملح ثم يتراجعون مختفين بعد ذلك يحضر السكان لمعاينة السلع فان ارتضوا بها قاموا بوضع مقدار من الذهب جوار كل كومة ثم العودة الى أماكنهم ثم يعود التجار فان ارتضوا بكمية الذهب التي تركها السكان قاموا بقرع الطبول لابلاغهم ان المقايضة تمت بنجاح (الطحاوي، 2016م.، صفحة 69).

وقد أشار القلقشندي (القلقشندي، (د.ت)، صفحة 280)الى هذه التجارة بقوله " جاء التّجّار بالملح وضعوه ثم غابوا، فيجيء السّودان فيضعون إزاءه الذهب، فإذا أخذ التجّار الذهب، أخذ السّودان الملح"

اما نقل ملح اوليل فكما أورده الادريسي (الادريسي، (1410هـ/ 1989م).، صفحة 32) لنا "ان المراكب تحمل من جزيرة أوليل الملح الى مصب نهر النيل (السنغال) الذي يبعد مقدار يوم يواصل السير الى المدن سلى وتكرور وبريسي وغانة وسائر بلاد ونقارة وكوغة وجميع بلاد السودان "

لا يعرف عدد المراكب والقوافل التي تصل الى اودغست لكن يرجح ان تكون اعدادها كبيرة جداً وبالأخص عندما يكون وصولها من الصحراء ليس اوليل فقط ويعرف هذا التجمع ب (الازالاي) أي تجمع الجمال باللغة السودانية ومرتين في السنة مرة في فصل الربيع ومرة في فصل الخريف ويبدو ان هذه التجارة كانت حكر على المسلمين والبربر الطوارق لان المصادر لم تذكر أي نشاط للسودان عن هذه التجارة اول من ذكرها هو ابن بطوطة (بطوطة، 1417هـ/1996، صفحة 144)"وصل السودان الى تغازا لحمل ملحها".

سابعا: طرق استخراجه:

لم تذكر المصادر التي تكلمت عن معدن الملح عملية استخراجه لكنها ذكرت لنا ان في السودان الغربي نوعان من الملاحات ملاحات عامة يمتلكها أصحاب المنطقة التي يوجد بها الملح ويأخذ عليه السلطان خراج عند بيعها للتجار والنوع الثاني ملاحات ملك للسلطان ولا يباع ملح أي تاجر الا بعد بيع ملح السلطان (الدالي، التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء، (1409هـ/ 1988م).، صفحة 287).

كما ان القائمين على استخراج الملح في السودان الغربي في تغازا كانوا من عبيد مسوفة (السعدي، (1384هـ/1964م).، صفحة 29) ؛ (التكتيك، 1998م، صفحة 42) حيث ذكر ذلك الوزان (الوزان، (1404هـ/1983م)، صفحة 108) بقوله " يستخرج الملح من حفر تحيط بها اكواخ عديدة يسكنها المستخدمون لاخراج هذا الملح وليسوا من سكان البلدة ،هم من أصل أجنبي يأتون مع القوافل ويقيمون كمنجمين يستخرجون الملح ويحتفظون به حتى تأتي القافلة وتشتريه منهم "

لقد كان بربر مسوفة يبيعون الملح نيابة عن أسيادهم فيأخذون من أثمانه ما يسد حاجتهم اليومية ويحتفظون بالباقي لاولئك السادة ولاشك بان الوضع كان مشابه لبقية السباخ الأخرى وكانت الوسيلى الأساسية لقياس لوح الملح تتمثل بالشبر اذ يقدرونها بالشبر فيقولون خمسه أشبار في طول كل لوح منها وثلاثة أشبار في عرضه وفي الغلظ على الوسط لا رقيقة جداً ولا غلظ على المتعارف بينه في الغلظ والرقة (الحسين، 2007م، صفحة 189)

الخاتمـــــة:

عرف عن تاريخ بلاد السوان بشكل عام من شحة المصادر الموثوقة فان اغلب ما وصل الينا لم يكن مدون فأعتمدوا على الرواية الشفهية في غياب المؤلفات عنها أضافة الى ذلك ان المعلومات التي وصلت مدونة كانت عبارة عن يوميات لمستعمرين برتغاليين وانكليز سجلوا بها مشاهداتهم اليومية لذلك نجد في كثير من الجوانب نقص في المعلومات او قد يكون هنالك تضارب بها بحكم اكثر الكتابات في القرون الأولى من دخول الإسلام لها لم يحدد الرقعة الجغرافية بشكل دقيق الا بعد القرن السادس الهجري .

أما الملح الذي يعد من اهم السلع التي تاجر بها في بلاد السودان وكانت تجارته ذات أرباح طائلة حتى انها قد احتكرت على الملوك ومن ينوب عنهم في الحكم وهذا يبين مدى الحاجة اليه بشكل كبير فقد كانت تتم مقايضته بالذهب والعبيد فنجد المعلومات عنه في السودان الغربي واضحة نوعا ما بحكم علاقاتها التجارية مع بلاد البربر(الشمال الافريقي) التي افاض المؤرخون والرحالة بالكتابات عنها اذ لعبت المدن الصحراوية دور كبير في رواج تجارة الملح لمواقعها الاستيراتيجية أذ كانت محطات لكبريات القواف التجارية القادمة من الشرق وبلاد البربر كما ان لها درو هي الاخر في إيصال تبر السودان الى مناطقهم مما زاد في رواج هذه التجارة اذ تبين ان الشمال الافريقي قد عرف من خلال المصادر التاريخية بكثرة الملح لاسيما في مناطق مسوفة وجداله وفي الجنوب الافريقي كثر الذهب فهذا يفسر لنا توجههم نحو هذه التجارة وحكرهم لها فهم يقايضون الملح بالذهب لحاجة بلاد السودان ولاسيما السودان الغربي له

قائمة المصـــادر والمراجـــع:

كيرلانسكي. (2005م). *تاريخ الملح في العالم*. الكويت: عالم المعرفة.

البكري. ((1413هـ/1992م)). *المسالك والممالك*. بيروت: دار الغرب الأسلامي.

ابن الحكم. ((1994م).). *فتوح مصر والمغرب*. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

ابن بطوطة. (1417هـ/1996). *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*. الرباط: أكاديمية المملكة المغربية.

ابن خلدون. (1409هـ/1988م). *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر*. بيروت: دار الفكر.

ابن سعيد المغربي. ((1390هـ/1970م).). *الجغرافيا*. بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر.

الادريسي. ((1410هـ/ 1989م).). *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*. بيروت: عالم الكتاب.

التكتيك. (1998م). *مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الاسكيا محمد الكبير 1528\1493م*. ليبيا : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

الحميري. (1980م). *الروض المعطار في خبر الاخطار*. بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة.

الدالي. ((1409هـ/ 1988م)). *التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء*. بنغازي: اكاديمية الفكر الجماهيري.

الدالي. ((1409هـ/ 1988م).). *التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء*. بنغازي: اكاديمية الفكر الجماهيري.

السعدي. ((1384هـ/1964م).). *تاريخ السودان*. باريس: مطبعة هوداس.

الطحاوي. (2016م.). *التجارة الصامتة*. الكويت: بحث منشور مجلة العربي العدد690.

القزويني. (1426هـ/2005م).). *آثار البلاد وأخبار العباد*. بيروت : دار صادر.

القلقشندي. ((د.ت)). *صبح الاعشى في صناعة الانشا*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الكشاط. (1989.). *التوارق عرب الصحراء الكبرى*. مركز دراسات وابحاث شؤون الصحراء.

الناصري. ((1376هـ/1956م)). *لاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*. الدار البيضاء: دار الكتاب.

الهمذاني. (،1302هـ/1884م)). *صفة جزيرة العرب*. برلين : مطبعة ليدن .

الوزان. ((1404هـ/1983م)). *وصف أفريقيا*. بيروت: دار الغرب الاسلامي.

اليعقوبي(ت292هـ/904م). (1420هـ /1999م). *تاريخ اليعقوبي*. بيروت: دار الكتب العلمية.

باري. (2007م.). *المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة*. بيروت: دار الكتب العلمية.

باري. (2007م.). *المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة*. بيروت: دار الكتب العلمية.

حوتية. (2007م.). *توات والازواد*. الجزائر: ،دارالكتاب العربي للطباعة والنشر.

زبادية. (د. ت). *مملكة سنغاي في عهد الاسقيين (1493. 1591م)*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .

عبد الرحمن. (10 أبريل 2019م). *تجارة القوافل عبر الصحراء بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال نهاية العصر الوسيط*. الجزائر : بحث منشور،مجلة متون المجلد الحادي عشر ،العدد الأول.

عثمان. (2000م.). *التجارة مابين مصر وأفريقيا*. مصر: المجلس الأعلى للثقافة.

عميرة. (2008م.). *معدن ملح اوليل واستغلاله في العصور الوسطى*. القاهرة: بحث منشور ،مجلة الاتحاد العالم للاثاريين العرب ، العدد 9.

غيث. (د.ت.). *التاثير العربي الإسلامي في السودان الغربي*. ،بيروت : دار الرواد.

فرجاني. (2017). *تجارة القوافل بين بلاد المغرب وافريقيا جنوب الصحراء خلال القرن 19م*. الجزائر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية .

كاربخال. ((1405هـ/1984م).). *افريقيا*. الرباط: مكتبة المعارف الجديدة.

محجوبة. (2021/6/6م.). *الطرق التجارية والعلاقات الاقتصادية بين تونس والسودان الغربي خلال عهد الدولة الحفصية 15741228م*. الجزائر: بحث منشور ،المجلة التأريخية الجزائرية ،جامعة أحمد دراية أدرار.

نيان. (1409هـ/ 1988م). *تاريخ أفريقيا العام*. بيروت: المطبعة الكاثولوكية.

ولد الحسين. (2007م). *صحراءالملثمين وعلاقتها بشمال وغرب افريقيا منذ منتصف القرن الثاني الى نهاية القرن الخامس الهجري* . المغرب.

List of sources and references:

Primary sources

Al-Idrisi, Muhammad bin Muhammad bin Abdullah (d. 560 AH / 1164 AD), Nuzhat Al-Mushtaq fi Penetrating the Horizons, 1st edition, Alam Al-Kitab, (Beirut, 1410 AH / 1989 AD).

Ibn Battuta, Muhammad bin Abdullah bin Muhammad bin Ibrahim Al-Lawati alTanji (d. 779 AH/1377 AD), Tuhfat al-Nadhar fi Oddities of the Lands and Wonders of Travel, edited by: Tom Bremer, Academy of the Kingdom of Morocco, (Rabat, 1417 AH/1996 AD).

Al-Bakri, Abu Ubaid Abdullah bin Abdul Aziz bin Muhammad (d. 487 AH / 1094 AD), Paths and Kingdoms, edited by: Adrian van Leeuwen and Andre Ferry, Dar Al-Gharb Al-Islami, (Beirut, 1413 AH / 1992 AD).

Ibn al-Hakam, Abu al-Qasim Abd al-Rahman bin Abdullah (d. 257 AH/870 AD), Conquests of Egypt and Morocco, Library of Religious Culture, (Cairo 1994 AD).

Al-Himyari, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah bin Abdul Moneim (d. 900 AH / 1494 AD), Al-Rawd Al-Ma'tar fi Khabar Al-Aqtar, ed.: Ihsan Abbas, 2nd edition, Nasser Foundation for Culture, (Beirut, 1401 AH / 1980 AD).

Ibn Khaldun, Abd al-Rahman Muhammad bin Muhammad (d. 808 AH/1405 AD), Diwan al-Mubtada wa al-Khabar fi the History of the Arabs and Berbers and Their Contemporaries of Greater Importance, ed.: Khalil Shehadeh, 2nd edition, Dar al-Fikr, (Beirut, 1409 AH/1988 AD).

Ibn Saeed Al-Maghribi, Abu Al-Hasan Nour Al-Din Ali bin Musa (d. 685 AH / 1286 AD), Geography, ed.: Ismail Al-Arabi, 1st edition, Commercial Office for Printing and Publishing, (Beirut, 1390 AH / 1970 AD).

Al-Saadi, Abdul Rahman bin Abdullah bin Imran (d. 1066 AH / 1655 AD), History of Sudan, Hodas Press, (Paris, 1384 AH / 1964 AD).

Al-Qazwini, Zakaria bin Muhammad bin Mahmoud (d. 682 AH / 1283 AD), Antiquities of the Country and Akhbar Al-Ibbad, 1st edition, Dar Sader, (Beirut, 1426 AH / 2005 AD).

Al-Qalqashandi, Ahmed bin Ali bin Ahmed Al-Fazari (d. 821 AH / 1418 AD), Subh Al-A'sha fi the Construction Industry, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, (Beirut, d.d.).

Carvajal, Lamarmol, Africa, see: Muhammad Hajji et al., New Knowledge Library, (Rabat, 1405 AH/1984 AD).

Al-Maqrizi, Ahmed bin Ali bin Abdul Qadir (d. 845 AH / 1441 AD), Familiarity with News of the Abyssinian Kings of Islam, edited by: Abdel Naim Dhaifi, Al-Azhari Heritage Library, (Cairo, 1427 AH / 2006 AD).

Al-Nasiri, Shihab al-Din Abu al-Abbas Ahmad bin Khalid, Investigation of the News of the Countries of the Far Maghreb, ed.: Jaafar al-Nasiri and Muhammad al-Nasiri, Dar al-Kitab, (Casablanca, 1376 AH/1956 AD).

Al-Hamdhani, Al-Hasan bin Ahmed bin Yaqoub (d. 334 AH / 945 AD), Description of the Arabian Peninsula, Brill Press, (Leiden, 1302 AH / 1884 AD).

Al-Wazzan, Al-Hasan bin Muhammad, Description of Africa, Trans.: Muhammad Al-Hajji, Muhammad Al-Akhdar, 2nd edition, Dar Al-Gharb Al-Islami, (Beirut, 1404 AH/1983 AD).

Al-Yaqoubi, Ahmad bin Abi Jaafar bin Wahb (d. 292 AH/904 AD), History of Al-Yaqoubi, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, (Beirut, 1420 AH / 1999 AD).

Secondary references:

First: book

Barry, Muhammad Fadel Ali, Muslims in West Africa, History and Civilization, 1st edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 2007 AD

Tactic, Jamila, The Islamic Kingdom of Singai during the reign of Askia Muhammad the Great 1493-1528 AD, Libyan Jihad Center for Historical Studies, Libya, 1998 AD.

Houtia, Muhammad Saleh, Touat and Al-Azawad, Dar Al-Kitab Al-Arabi for Printing and Publishing, Algeria, 2007 AD.

Al-Dali, Al-Hadi Al-Mabrouk, The Cultural History of Trans-Saharan Africa, 1st edition, Academy of Mass Thought, (Benghazi, 1409 AH/1988 AD).

Zabadia, Abdul Qadir, The Kingdom of Singai during the Era of the Isqays (1493-1591 AD), D.D., National Publishing and Distribution Company, Algeria.

Othman, Abdel-Qawi, Trade between Egypt and Africa, D. I., Supreme Council of Culture, Egypt, 2000 AD.

Ghaith, Umtair Saad, Arab-Islamic influence in Western Sudan, Dar Al-Rowad, Beirut, D. T.

Ferjani, Asmaa, Caravan Trade between the Maghreb and Sub-Saharan Africa during the 19th Century AD, Faculty of Humanities and Social Sciences, Algeria, 2017.

Al-Kashat, The Tuareg Arabs of the Sahara, 2nd edition, Center for Studies and Research on Desert Affairs, 1989.

. Kirlansky, Mark, The History of Salt in the World, Translated by: Ahmed Hassan Maghribi, D. I., The World of Knowledge, Kuwait, 2005 AD.

Nyan, Gabriel Tamsir, General History of Africa, Catholic Press, (Beirut, 1409 AH/1988 AD).

Ould Al-Hussein, Al-Nani, The Masked Desert and its relationship with North and West Africa from the middle of the second century to the end of the fifth century AH, Morocco, 2007.

Second: Published research

Abdel-Rahman, Qaddouri, Trans-Saharan caravan trade between the Maghreb and Western Sudan during the end of the Middle Ages, published research, Mutoon Magazine, Faculty of Social and Human Sciences, Dr. Moulay Taher Said University, Algeria, Volume Eleven, First Issue, April 10, 2019 AD.

Al-Tahawi, Hatem, The Silent Trade, research published by Al-Arabi Magazine, Kuwait, Issue 690, 2016 AD. 15. Amira, Muhammad, Oleil salt mineral and its exploitation in the Middle Ages, published research, Journal of the World Union of Arab Archaeologists, No. 9, Cairo, 2008 AD.

Mahjouba, Abdul Qadir, trade routes and economic relations between Tunisia and Western Sudan during the era of the Hafsid state 1228-1574 AD, published research, Algerian Historical Journal, Ahmed Draya Adrar University, Algeria, 6/6/2021 AD.

الحياة الاجتماعية في الهند في بعض كتب الجغرافيين والمؤرخين

أ.م.د. فينوس ميثم علي

fynwsmythm@gmail.com

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية الأساسية ، قسم التأريخ

الملخص

تناولت الدراسة لمحة عن الحياة الاجتماعية في الهند في بعض كتب الجغرافيين والمؤرخين خلال القرنين الثالث والخامس الهجريين، من خلال إبراز جوانب عديدة من حياة الملوك مثل قلة ظهورهم أمام العامة، وحرقهم بعد الممات، وعادات وتقاليد الهنود في الزواج، والطعام والملابس، ووسائل التسلية والترفيه.

وقد حاول هذا البحث إبراز صورة واضحة للحياة الاجتماعية في بلاد الهند خلال القرنين الثالث والخامس الهجريين، بشكل أوسع شمولية وعمقاً من خلال كتب الرحالة والجغرافيين المعاصرين لتلك الفترة، مع تحديد الفترة الزمنية التي شملها البحث بنهاية القرن الخامس الهجري.

وقد أتبع الباحث في دراسة الموضوع المنهج التاريخي والوصفي القائم على جمع المادة العلمية من مصادر أصلية مساعدة، كما يقوم المنهج التاريخي بالبحث عن أسباب الأحداث والوقائع التاريخية التي عاشتها الهند قبل وأثناء القرنين الثالث والخامس الهجريين، وأخيراً النتائج التي يتوصل إليها البحث عن هذه الأحداث والنتائج، ويقوم المنهج الوصفي على تحديد الظواهر الاجتماعية ورصدها، ومحاولة التعرف على أوضاعها الاجتماعية خلال الثالث والخامس الهجريين.

الكلمات المفتاحية: الحياة الاجتماعية، الهند، الجغرافيين، الرحالة

Social life in India in some books by geographers and historians

Asst. Prof : Venus Maytham Ali

fynwsmythm@gmail.com

Mustansiriya University, Faculty of Basic Education , Department of History

Abstract

The study dealt with a glimpse of social life in India in some books by geographers and historians during the third and fifth centuries AH، by highlighting many aspects of the lives of kings، such as their lack of appearance in front of the public، their burning after death، and the customs and traditions of Indians in marriage، food and clothing، and means of entertainment and recreation.

This research attempted to highlight a clear picture of social life in India during the third and fifth centuries AH, in a more comprehensive and in-depth manner through the books of contemporary travelers and geographers of that period, specifying the time period covered by the research at the end of the fifth century AH.

In studying the subject, the researcher followed the historical and descriptive approach based on collecting scientific material from original, auxiliary sources. The historical approach also searches for the causes of the historical events and facts that India experienced before and during the third and fifth centuries AH, and finally the results reached by the research on these events and results. The descriptive approach is based on identifying and monitoring social phenomena, and trying to identify their social conditions during the third and fifth AH.

Keywords: social life, India, geographers, travelers

المقدمة

رصد الرحالة والجغرافيون الحياة الاجتماعية في بلاد الهند خلال القرنين الثالث والخامس الهجريين، وقد ورد في نصوصهم جملة من المعلومات حول هذه البلاد شملت جميع جوانبها الاجتماعية على اختلافها، وكانت الهند تمتاز بوفرة إنتاجها النباتي والحيواني

والمعدني ، ووفرة إنتاجها العلمي أيضاً ، ومع توسع حركة الفتوحات الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي في الهند والصين شرقاً، إهتم المؤرخون والرحالة المسلمون بتلك البلاد فزاروها وكتبوا عنها ، وكشفوا لنا العديد من التفاصيل الدقيقة والقيمة في تاريخ الهند ، حتى اعتبرت كتاباتهم وثائق تاريخية هامة.

الحياة الاجتماعية في بلاد الهند.

قدم الرحالة والجغرافيون المسلمون وصفاً دقيقاً عن أحوال المجتمع الهندي في مشاهد متنوعة ، يمكن تصنيفها كما يلي :-

المبحث الأول-نشأة مملكة الهند .

ذكر المسعودي أن الحكم في الهند كان وراثياً ، بحيث يبقى الملك محصوراً في بيت الملك ولا ينتقل إلى غيره ، كذلك كان قدماء الهنود يعتقدون أنهم أهل الصلاح والحكمة ، وأهل البدء إشارة إلى هبوط آدم عليه السلام في بلادهم انطلقت البشرية إلى أنحاء الأرض ، فهم أحق الناس بزعامة البشرية والسيادة على العالم ، ولا ضرر في سبيل ذلك من إبادة من يخالفهم ، أو يعاندهم لتحقيق تلك الغاية، من هنا قد نصبوا عليهم ملكاً (المسعودي، أخبار الزمان، د.ت، صفحة 67/1) (باقر، 2011، صفحة 15/2)

كذلك ذكر المسعودي أن الهند لا تملك الملك عليها حتى يبلغ من عمره أربعين سنه ، ولا تكاد ملوكهم تظهر للعامة إلا كل برهة من الزمان معلومة ، ويكون ظهورها للنظر في أمور الرعية ، لأن في نظر العوام عندها إلى ملوكها خرقاً لهيبتها ، واستخفافاً بحقها (المسعودي، أخبار الزمان، د.ت، صفحة 61/1)، واتفق كلاً من المسعودي واليعقوبي على أن أول ملوك الهند الذي جمعهم وعمل على توحيدهم هو البرهمن الأكبر (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 61/1) (اليعقوبي، 1883، صفحة 92/1)، وقد انفرد اليعقوبي بذكر أن الهنود بعد أن تفرقوا إلى ممالك مختلفة ومتناحرة تعرضوا للغزو الخارجي ، ولما كانوا أصحاب حكمة وعقل فقد أجمعوا على تمليك رجل منهم هو زارح الذي سار إلى بابل بني إسرائيل (اليعقوبي، 1883، صفحة 62/1)، وذكر المسعودي أنه لما مات البرهمن جزعت عليه الهند جزعاً شديداً ، وفزعت إلى نصب ملك عليها من أكبر ولده ، فكان ولي عهده الموصي له من ولده ابنه الباهود، واستمر حكمه إلى مائة سنة ، ثم ملك زامان بعد الباهود فكان ملكه نحواً من خمسين ومائة سنة (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 62/1) (المجيدل، 2019، صفحة 167)

بينما أشار اليعقوبي إلى أن الملك انتقل بعد ذلك إلى الملك فور الذي قتله الإسكندر ذو القرنين (اليعقوبي، 1883، صفحة 96/1)، وذكر المسعودي أن الملك فور انفرد بالحكم إلى أن هلك أربعين ومائة سنه (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 64/1)، وذكر اليعقوبي أن الملك انتقل بعد الملك فور إلى الملك كيهن وكان رجلاً حكيماً ذكياً ملكه الإسكندر بعد فور على جميع أرض الهند (اليعقوبي، 1883، صفحة 97/1)، بينما خالفه في الرأي المسعودي حيث ذكر أن من ملك الهند بعد الملك فور الملك دبشليم (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 64/1)، وقال اليعقوبي أن أهل الهند تواتر عليهم الموت حتى ذهب علماؤهم وضعف الملك حتى تولى هشران الملك (اليعقوبي، 1883، صفحة 99/1)

وبين المسعودي أن الملك بلهيت هو من تولى الملك بعد الملك دبشليم ، واستمر حكمه 80 سنة ، وفي بعض النسخ أنه ملك 130 سنة (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 65/1)، في حين ذكر اليعقوبي إلى الحكم بعد بلهيت إلى ابنه حسر بن بلهيت (اليعقوبي، 1883، صفحة 102/1)، واتفق كلاً من اليعقوبي والمسعودي إلى انتقال الحكم إلى الملك كوش (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 65/1)، أو كورش (اليعقوبي، 1883، صفحة 105/1)، الذي قام بإصلاحات عديدة واستمر حكمه مائة وعشرين سنه (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 65/1)

ووصف المسعودي أحوال الهند بعد كورش قائلاً (ولما هلك هذا الملك أختلفت الهند في آرائها ، فتحزبت الأحزاب ، وتجيلت الأجيال ، وانفرد كل رئيس بناحية ، فملك على أرض السند ملك ، وملك على أرض القنوج ملك ، وتملك على أرض قشمير ملك ، وتملك على مدينة المانكير – وهي الحوزة الكبرى – ملك يسمى بالبلهرا ، وهو أول ملك سمي من ملوكهم بالبلهرا ، فصارت سمه لمن طرأ بعده من الملوك)، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 66/1)

المبحث الثاني- ملوك الهند وحياتهم .

سبق وأن ذكرنا أن كلاً من المسعودي واليعقوبي اتفقا على أن أول الملوك الذي اجتمعت عليه كلمتهم هو الملك البرهمن الذي عرف بالحكمة (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 62/1) (اليعقوبي، 1883، صفحة 92/1)، وهو أول من تكلم في النجوم وأخذ عنه علمها ، والكتاب الأول الذي تسمية الهند (السند هند) وتفسيره دهر الدهور (اليعقوبي، 1883، صفحة 92/1)، وأضاف المسعودي أنه في أيامه ظهرت الحكمة وتقدمت العلماء واستخرجوا الحديد من المعادن ، وضربت في أيامه السيوف والخناجر ، وكثير من أنواع المقاتل ، وشيد الهياكل ، ورصعها بالجواهر المشرقة المنيرة ، وصور فيها الأفلاك والبروج والاثني عشر والكواكب ، وقد بالغ المسعودي في فترة حكم البرهمن حيث ذكر أن حكمه استمر ثلاثمائة سنة وستين سنة ، وأضاف إلى أن أولاده كانوا يعرفون بالبراهمة وظلوا يتمتعون بالاحترام والمكانة العالية بين الهنود حتى عصر المسعودي ، وأختلف الهنود في حقيقة البرهمن فمنهم من يرى أنه آدم عليه السلام وأنه رسول من الله تعالى إلى الهند ، ومنهم من يرى أنه كان ملكاً كباقي الملوك ، وهو الرأي الصحيح كما رجحه المسعودي (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 63/1).

ولم يذكر اليعقوبي أحداً من خلفاء البرهمن ، فقد انتقل بالحديث عن الملك زارح الذي تولى الملك بعد الفوضى التي اجتاحت البلاد ، وظهرت الممالك المتنازعة وتعرضت الهند للغزوات الخارجية ، وقال اليعقوبي بأنه (عظيم الشأن ، جليل القدر ، عظيم ملكه ، وجل سلطانه ، حتى سار إلى أرض بابل ثم تجاوزها إلى ملوك بني إسرائيل)، (اليعقوبي، 1883، صفحة 95/1).

وذكر المسعودي واليعقوبي بعد ذلك الملك فور ، فوصفه المسعودي بأنه أعظم من ملك الهند ، وكان يحكم أكبر ممالكها وهي مملكة المانكير (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 64/1) (اليعقوبي، 1883، صفحة 97/1)، واتفق معه اليعقوبي بأن الإسكندر غزا الهند في عهده ، وأنه قتل على يد الإسكندر في مبارزة فقتله الإسكندر، واستباح عسكره (اليعقوبي، 1883، صفحة 97/1).

وانفرد اليعقوبي بذكر الملك كيهن وذكره بأنه (كان رجلاً حكيماً ذكياً أديباً ملكه الإسكندر بعد فور على جميع أرض الهند ، وكان كيهن قد استعمل الفكر فكان أول من قال بالتوهم وأن الطبيعة تنصرف إلى تتوهمه ، فإن توهمت أنه ينفعها نفعها وإن كان ضاراً ، وكان كيهن يأكل البيش وهم السم القاتل ثم يتوهم أن على قلبه أحمال ثلج ، فلا يضره ذلك البيش)، (اليعقوبي، 1883، صفحة 97/1).

وذكر المسعودي أن الملك دبشليم هو الذي تولى الحكم بعد الملك فور وهو الواضع لكتاب (كليلة ودمنه) ، الذي ينسب لإبن المقنع ، وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقيل غير ذلك (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 64/1).

واتفق المسعودي واليعقوبي على أن كتاب كليلة ودمنه وضع في عهده ، ولكن اليعقوبي أوضح الذي وضع الكتاب هو أحد حكماء الهند وأسمه بيديا ، وليس الملك دبشليم كما ذكر المسعودي (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 65/1) (اليعقوبي، 1883، صفحة 100/1).

وذكر اليعقوبي الملك بلهيت الذي وصفه بأنه صاحب عقل ومعرفة (اليعقوبي، 1883، صفحة 100/1)، وتابعة المسعودي بذكر أنه هو من وضع الشطرنج ورتب لذلك كتاباً للهند يعرف بطرق جنكا يتداولونه بينهم (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 65/1)، وانفرد اليعقوبي بذكر معنى الشطرنج بالفارسية وهو هشت رنج ، وهشت ثمانية ورنج صفح ، وصيرها ثمانية في ثمانية فصارت أربعة وستين بيتاً وصيرها أثنين وثلاثين كلباً مقسومة بين لونين كل لون ستة عشر كلباً وقسم الستة عشر على ست صور فالشاة صورة والغرز صور والغيلان صورة وهكذا ، أما قصة وضعها فإنه لما كان الملك بلهيت لا يعتقد بالقول الشائع في حينة بأن الكواكب هي التي تدبر أمور الكون فقد سأل عن رجل عالم على دين البرهمية ، ثم شكاله الحالة الفكرية التي وصل الناس إليها فوضع له الحكيم الشطرنج (اليعقوبي، 1883، صفحة 102/1)، واتفق كلاً من المسعودي واليعقوبي على أن بلهيت كان يلعب الشطرنج مع الحكماء (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 65/1) (اليعقوبي، 1883، صفحة 102/1).

ومن ملوك الهند أيضاً ملك كوشن أو كورشن الذي ذكر اليعقوبي عنه أنه وجد في خزانه هذا الملك الكتاب الأعظم في معرفة العلل والعلاجات ، واتفق معه المسعودي في أن سندباد الحكيم عاش في عصر هذا الملك (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 65/1) (اليعقوبي، 1883، صفحة 102/1).

بينما انفرد اليعقوبي بذكر بعض الكتب التي ألفها السندباد للملك كوش منها كتاب الوزراء السبعة والمعلم والغلام وامرأه الملك وهو المترجم بالسندباد ، كذلك ألف كوشن كتاب مكر النساء (اليعقوبي، 1883، صفحة 105/1).

وذكر كلاً من المسعودي اليعقوبي أن لقب ملك الهند هو البلهرا، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 66/1) (اليعقوبي، 1883، صفحة 77/1).وذكر المسعودي منفرداً ألقاباً خاصة لكل ملك من ممالك الهند المختلفة فلقب ملك (القنوج) ، هو بؤورة ، وملك القندهار حجج ، وملك قشمير الراني (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 68/1).

وذكر المسعودي أن ملك جزيرة خاقة يلبس الثياب المذهبة ، وعلى رأسه قلنسوة من ذهب مكللة بالجواهر (المسعودي، أخبار الزمان، د.ت، صفحة 65/1)، وتزين ملوك السند والهند تيجانها وأكاليلها وخواتمها وأسورتها بالزمرد البحري (خرداذبه، 1889، صفحة 67)، ويرتدي ملك رهمى الثياب القطنية (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 20/2)، ويضع الملك في أعناقهم القلائد النفيسة التي تحتوي على اللؤلؤ والجوهر وفي آذانهم الأقراط المصنوعة من الجوهر النفيس ، ويتشبه ملوك المائد بالنساء فيلبسون الحلى والجواهر الفاخرة والأسورة والقلائد (السيرافي، 1999، صفحة 93).

وذكر المسعودي أن من عادات أهل الهند إحراق ملوكهم الموتى وذكر حادثة شاهدها بنفسه في جزيرة سرنديب ، فإذا مات الملك صير على عجلة قريبة من الأرض صغيرة البكرة معدة لهذا المعنى ، وشعره ينجر على الأرض ، وامرأة بيدها مكنسة تحثو التراب على رأسه ، وتنادى (أيها الناس ، هذا ملككم بالأمس قد ملككم وجاز فيكم حكمه ، وقد صار أمره إلى ما ترون من ترك الدنيا ، وقبض روحه ملك الموت ، والحي القديم الذي لا يموت في تغتروا بالحياه بعده ، ثم يطاف به في جميع شوارع المدينة ، ثم يفصل أربع قطع ، وقد هيأ له الصندل والكافور وسائر أنواع الطيب ، فيحرق بالنار ، ويذر رماده في الرياح ، وكذلك فعل أكثر أهل الهند بملوكهم وخواصهم ، لغرض يذكرونه)، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 67/1).

وأشار البيروني أن زوجه الملك الميت أنها تحرق شاءت أم أبت معللاً ذلك بقوله (احتراساً من زلة تبدر منهن ، بينما تترك الزوجة العجوز ولا تحرق ، وإذا كان لديها أولاد يشترط على الابن الأكبر أن يتكفل بصيانتها وحفظها)، (البيروني، 1958، صفحة 429)، بينما ذكر السيرافي إن نساء الملك يخيرن فإن شئن احترقن معه وإن شئن لم يفعلن (السيرافي، 1999، صفحة 46).

وقد انقسمت بلاد الهند بين عدد من الممالك الهندية، بعضها يقع في الشمال والجنوب والبعض الآخر في الجزر المجاورة ، وقد تمكن الجغرافيون والرحالة من تحديد مواقعها ويمكن عرض أهمها:-

1-مملكة الكمكن (البلهرا).

تقع مملكة الكمكن على الساحل، ومن أهم مدنها الساحلية صيمور وسوبارة وتانة وكمباي وغيرها، وعاصمتها تُعرف بـ" المانكير"، وهي مدينة داخلية تقع على بعد ثمانين فرسخا من البحر في منطقة جبلية، ويتكون معظم جيشها من المشاة نظرا لموقعها في الجبل وفيها فيلة لا تدرك كثرتها، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 97/1).

وهي أشهر الممالك الهندية لدى الجغرافيين والرحالة المسلمين وملكها من أعظم ملوك الهند على حد قولهم، ويُعرف بـ" البلهرا" أو " البلهرى" ، وهو لقب يُعرف به كل ملك يحكم بلاد الكمكن أو الكمكم، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 97/1).

واتفق ابن خرداذبة والمسعودي على أن بلهرا هو أعظم ملوك بلاد الهند وأن هؤلاء يقرون له بالولاء- على انقسامهم- لشرف السلالة وقوة مملكته لذلك كانوا يتقدمون إليه بالرسل والهدايا ويتوجهون إليه في صلاتهم (خرداذبه، 1889، صفحة 65)، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 97/1).

وذكر ابن حوقل ان مملكة الكمكن تمتد من كمباية على حدود السند في الشمال إلى صيمور جنوبا وأن صاحبها البلهرا كان مولعا بالأمثال وجمعها في كتاب خاص، وأن أكثر سكان هذه المنطقة من الكفار، غير أن فيها كثير من المسلمين، وجرت العادة أن لا يلبي أمورهم إلا مسلم يختارونه ثم يعرضونه على البلهرا، وأشار ابن حوقل إلى أن هذه الامتيازات التي تمتع بها المسلمون في كل الأطراف التي يغلب عليها غير المسلمين وذلك مثل بلاد الخزر والسرير واللان وغيرها، (حوقل، 1938، صفحة 320).

وذكر المسعودي أنه كان يسكن مملكة الكمكن في سنة 304هـ/ 917م نحو عشرة آلاف من المسلمين قاطنين بها منهم السيرافيين وعمانيين وبصريين وبغداديين والبياسرة الذين يراد بهم من ولد من المسلمين بأرض الهند (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 98/1)، وكان حاكمها يهتم اهتماما كبيرا بمناظرة من يرد على بلدة من المسلمين وحتى من غيرهم من أهل الملل المختلفة (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 136/1).

2-مملكة الطافن.

تتحدث مصادر الجغرافيا الاسلامية عن هذه المملكة بوصفها أبرز ممالك بلاد الهند وقد وردت تسميتها على نحو مختلف فهي :" الطافق" عند سليمان التاجر و"الطافن" عند ابن خرداذبة و"الطاقي" عند المسعودي .

وهي من الممالك الصغيرة المجاورة لبلاد التلهرا ومملكة الجزر كوجارات وكانت تربطها علاقات طيبة بباقي الممالك وملكها موادع لهم، كما عُرفت بحسن معاملتها للمسلمين، وكان عدد جيشها قليل لذلك حرصت على علاقاتها الحسنة مع باقي الممالك، وتوصف بجمال نسائها وبياضهن ويعتبرن أجمل نساء بلاد الهند، (خرداذبه، 1889، صفحة 65)، (التاجر، 1992، صفحة 29)، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 203/1).

3-مملكة قمار (خمير).

تقع على طرف الأرض وليست بجزيرة وفيها جبال، ذات سكانية عالية، وهي مجاورة لمملكة المهراج وجزيرته المعروفة بالزابج (جاوة)، وبينهما مسافة عشرة أيام إلى عشرين يوما حسب هبوب الرياح وأكثر أهلها رحالة وتجار، يتاجرون بأفخر أنواع الطيب وينسب إلى بلادهم وهو العود القماري الذي كان يحمل إلى البلاد العربية، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 97/1).

وذكر ابن خرداذبة أن المسافة بينها وبين بلاد الصنف كما "Champas" المجاورة لها مسيرة ثلاثة أيام على الساحل، وأنها بلاد يجلب منها نوع من أنواع العود الذي يعرف بالعود القماري، إلا أن عود بلاد الصنف المجاورة لها أجود منه، كما يجلب منها الأرز (خرداذبه، 1889، صفحة 94).

بينما ذكر أن أبا زيد السيرافي أنها تقع بالقرب من إمبراطورية الزابج (جاوة) وذكر أن ملوكها كانوا يعينون من قبل ملك الزابج المعروف بالمهراج مما يدل على أنها في القرن الرابع الهجري/ التاسع الميلادي تابعة لسلطة مملكة جاوة البحرية (السيرافي، 1999، صفحة 94).

وذكر المسعودي أن أهلها يتميزون بطيب رائحة أفواههم لاستعمالهم السواك، مثل المسلمين كما يحرمون الزنا ، ويعاقبون فاعلها ويجتنبون القاذورات والأنبذة والخمر، وكان أكثر أهل هذه المملكة لا يعتمدون على الدواب في تنقلاتهم لكثرة الجبال في بلادهم فهم يعتمدون المشي (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 94/1).

4-مملكة قنوج.

تقع ضمن المملكة الهندية " الجزر" المعروفة في حدود منطقة كوجارات "Gujarat" شبة الجزيرة الواقعة على الساحل الغربي للهند، ويشتهر أهلها من بين الهنود بأن فيهم أهل علمهم البراهمة وشعراء كبار يغشون الملوك ومنجمون وفلاسفة وكهان وسحرة يبدعون في التخابيل، (السيرافي، 1999، صفحة 127).

وذكر المسعودي أن هذه المملكة كانت تمتد إلى حدود المولتان بأراضي السند وشمالا إلى الكشمير" فهي نحو من عشرين ومائة فرسخ في مثلها" فيها من المدن والقرى الكثير من الضياع بين أشجار وأنهار وجبال ومروج، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 198/1).

بينما ذكر ابن حوقل بأنها تمتد من حدود السند إلى حدود بلاد التبت وأن عاصمة الملك قنوج تقع في الناحية الشرقية وهي إلى بلاد التبت أقرب، كما وصفها بالسحيقة والنائية في منتصف الغابات والصحاري ولا يمكن أن يصلها التجار إلا من أهلها، (حوقل، 1938، صفحة 318).

ومع بداية القرن الخامس الهجري ذكر البيروني المدينة بموقعها وحدودها وذلك لدخولها تحت حكم الدولة الغزنوية، عندما فتحها السلطان محمود بن سبكتكين عام 410هـ/ 1019م، فذكر أنها تُعرف بقنوج، كما تعرف بمدديش أي واسطة الممالك بلغة أهل الهند

وذلك لتوسطها بين البحر المحيط (خليج البنغال) ومنطقة جبال الهيمالايا، كما تُدعى أيضاً أريافرت وتقع غرب نهر الغانج، وكانت عاصمة عظمائهم الجبابرة " الفراعنة" وأشار البيروني أنها بعد ذلك قد أصبحت مدينة خربة ومهجورة من أهلها، (البيروني، 1958، صفحة 97).

وهي مدينة كبيرة وهي مقر راي قنوج، وهو ملك عظيم يطيعه أغلب ملوك الهند، وراي هذا لا يرى أحد أعظم منه، ويقال إن له مائة وخمسين ألف فارس وثمانمائة فيل يقاتل عليها عند الحرب، (مجهول، 1999، صفحة 56).

وذكر المقدسي الذي زار نواحي السند أنها من أهم مدنه في القصبة ولها رياض ومياه غزيرة واسعة ومتجر ربيح "موز رخيص أكلهم الأرز ولبساهم الأزر"، (المقدسي، 2003، صفحة 408).

5- مملكة الزابج (جاوة).

تقع على يمين بلاد الهند ، وهي عبارة عن مجموعة من الجزر الواسعة الصغيرة ، يحكمها ملك يُدعى المهراج، ويلبس أهلها الفوط، منهم الغني والفقيرة ، ومن أهم جزرها جزيرة سربزة أو سريرة (سوطمرة) ، جزيرة "كله" " برزج كرا" الواقعة على الساحل الغربي بماليزيا، وقد كان التجار المسلمين خاصة منهم العمانيون يتردوون على هذه المملكة ويجلبون من جزرها المذكورة خشب البقم والكافور والعاج والصندل والرصاص القلعي والآبنوس، (التاجر، 1992، صفحة 19)، (السيرافي، 1999، الصفحات 89-90).

وذكر ابن خرداذبة ان في جبال الزابج حيات عظام تبلع الرجل والجاموس ومنها ما يبتلع الفيل، بها شجر الكافور تظل الشجرة مائة إنسان وأكثر وأقل ينقب أعلى الشجرة فيسيل منها من ماء الكافور عدة جرار، ثم ينقر أسفل من ذلك وسط الشجرة فينساب منها قطع الكافور وهو صمغ ذلك الشجر غير أنه داخله ثم تبطل تلك الشجرة فتجف، وفي هذه الجزيرة عجائب كثيرة لا تحصى (خرداذبه، 1889، صفحة 40).

وذكر المسعودي بأن بها جزيرة تتميز بخصوبة كبيرة وتقع على خليج عظيم وهو أكبر خلجان الزابج ، وتُعرف هذه المنطقة ظاهرة المد والجزر، ويقع قصر المهراج على ضفة غديرة صغير متصل بهذا الخليج، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 97/1) ، وتحتوي هذه البلاد على قرى كثيرة ومتصلة بصفة منظمة ويصف الرحالة جمال عمارتها وانتظام مبانيها، وسهولة انتقال مدنها وقراها حيث تتوافر فيها (مراكب) وعربات خاصة تيسر ذلك (السيرافي، 1999، صفحة 90).

وذكر البيروني موقع جزائر الزابج، فقال أنها الجزائر الشرقية في بحر الهند، وهي القريبة من حدود الصين، ويسميها أهل الهند "سورن ديب" أي " جزائر الدهب"، وفي موضع آخر ذكر البيروني أن جزائر الزابج تسمى " أرض الذهب"، لأن الذهب الكثير يرسب في غسالة التراب فيمكن استخراج كمية كبيرة من الذهب من كمية قليلة من التراب (البيروني، 1958، صفحة 103).

ومن أهم منتجاتها التي كانت تجلب إلى البلاد العربية ، معدن الرصاص القلعي، وخشب القنا(الخيزران)، والكافور من بالوس (سومطرة)إلى جانب النارجيل (جوز الهند) والموز وقصب السكر، والقرنفل ، كما تجلب من جاوة أفخر الثياب القطنية (خرداذبه، 1889، صفحة 41).

ويوجد بهذه المملكة غدير ويُعرف بـ " غدير لبن الذهب"، ومن عادات ملوك هذه المملكة أنه في صباح كل يوم يأتي الفهرمان (الخادم) إلى الملك بسبيكة من ذهب ويطرحها في غدير القصر المتصل بالخليج الكبير، فإذا كان المد، غمرتها المياه وإذا كان الجزر وتراجعت عنها المياه وظهرت ولمعت تحت الشمس، أمام أنظار الملك ويستمر هذا العمل طيلة حياته وعند موته تخرج كلها وتحصى ثم تذاب وتفرق على أهل بيت المملكة رجالهم ونساءهم وقوادهم وخدمهم على حسب مراتبهم، وما تبقى منه يوزع على المساكين، وقيل أن أهل هذه المملكة يفتخرون بملوكهم الذين يعمرون طويلا وذلك لحصولهم على أكبر قدر من الذهب، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 97/1).

ومن آداب الملوك في هذه المملكة أن لا يجلس بين أيديهم سواء من أهل مملكته أو الممالك الأخرى وحتى من المسلمين، إلا مربعاً ويسمى عندهم " البرسيلا" ومن يمد رجليه أو يجلس غير تلك القعدة فعليه دفع غرامة كبيرة حسب وضعه الاجتماعي (السيرافي، 1999، صفحة 154).

6- مملكة سرنديب " سيريلانكا".

ذكر ابن خرداذبة أن مساحتها ثمانون فرسخا مربعا، فهي شاسعة ومشهورة الذكر، (خرداذبه، 1889، صفحة 62)، وتحتوي سرنديب على الماس والبلور وغيرها من النفائس، كما يجلب منها انواع من الطيب كالعود والمسك، " فلهم فيها دواب تحمل المسك"، فضلا عن شجر جوز الهند والأرز وقصب السكر وغيرها من الصادرات الهندية التي تتميز بها سرنديب (خرداذبه، 1889، صفحة 62)

ويجلب من جبالها كافة الأنواع الثمينة للجواهر" الأحمر – الأخضر – الأصفر"، ويتم استخراج هذه الجواهر من قلب الجبال بفعل المياه التي تدحرجها من الكهوف والمغارات ومسايل المياه، غير ان على هذه المخارج حراسة خاصة باسم ملك هذه البلاد، وأكثر الأوقات التي تظهر فيها هي فترات مد البحر، كما يستخرج من جبالها انواعا من الأحجار انواعا من الأحجار الثمينة، مثلما تستخرج المعادن من المناجم، فينقي الجوهر الملتصق بالشوائب المختلفة، (السيرافي، 1999، صفحة 68).

وقد وصف الرحالة الجغرافي الادريسي هذه الجزيرة في الجزء التاسع من الإقليم الأول، وأبرز أهميتها السياسية والاقتصادية، فهي من أقوى الممالك الهندية لتمتعها بخيرات ثمينة فليس في بلاد الهند من هو أغنى من ملك سرنديب، وهو يتصف بالفطنة ويتحرى العدل والإنصاف والاهتمام بتفقد أمور رعيته، وله ستة عشر وزيرا، اختارهم من كافة الملل التي تنشط في المملكة، أربعة منهم من ملته، وأربعة نصارى وأربعة مسلمين وأربعة يهود وكلهم يمارسون نشاطاتهم التجارية والدينية بحرية، ويهتمون بحل كل ما يعترضهم من مشاكل أو منازعات التي تواجه فئاتهم المختلفة واكل ملة منهم مقر خاص بها تجتمع فيه، وأضاف الادريسي أن هذه الجزيرة من أغنى الجزر الهندية لما تحتويه من الدر النفيس كالياقوت الجليل والماس وكافة أنواع الأحجار الكريمة الموجودة بكثرة في جبالها وفي أوديتها وبحرها، كما يسعى التجار المسلمون إليها كغيرهم لجلب الحرير وأنواع كثيرة من العطور، ومما زاد من أهميتها الاقتصادية المذكورة هو وقوعها في مجرى تجاري حيوي هو المعبر الصغير (خليج المنار)، حيث تمر بين هذه الجزيرة والساحل الهندي المراكب السيارة مدة شهر إلى شهرين، من المراكب الصينية والاسلامية وسائر الممالك الهندية المجاورة، فكانت بمثابة ملتقى لكافة تجار العالم حينها، فشهدت هذه المملكة ازدهارا تجاريا منقطع النظير، (الإدريسي، 2002، الصفحات 74-75).

والجدير بالذكر أن الثروة التي اشتهرت بها سرنديب في القرن الثالث والرابع الهجري، لم تبق على نفس الوتيرة، فذكر البيروني أن مغاص اللؤلؤ الذي اشتهرت به سرنديب فيما مضى من الزمن بط في زمنه، وانتقلت الشهرة إلى بلاد الزنج (أفريقيا الشرقية) التي أصبحت تضم أشهر مغاص في القرن الخامس الهجري، (البيروني، 1958، صفحة 103).

وتضم سرنديب العديد من الأجناس والملل ، وكان الملك متسامحا مع كل فريق منهم، ويسمح لهم بممارسة مختلف شرائع دياناتهم حتى الثانوية (السيرافي، 1999، الصفحات 122-123).

فلم تكن مملكة سرنديب ذات أهمية اقتصادية فقط بل كانت لها أهمية دينية خاصة لدى البوذيين، ففي هذه الجزيرة علماء ومشايخ لهم مجالس علمية خاصة، يجتمعون فيها بطلاب العلم وينقلون إليهم علومهم وشرائعهم وسير أنبيائهم، وبها صنم عظيم لمعبودهم البوذا، صنع من الذهب الخالص (خرداذبه، 1889، صفحة 63)،وبها جبل الرهون، حيث يعبر البراهيميون عباد الهند أن عليه هبط آدم عليه السلام وأثر قدميه في رأس هذا الجبل مغموس في الحجر وهي نحو سبعين ذراعا قدم واحدة، كما يقولون أن أدم خطى الخطوة التالية في البحر (السيرافي، 1999، صفحة 129)؛ (السيد، 1992، صفحة 45)

المبحث الثالث- طبقات المجتمع الهندي .

انفرد المسعودي والبيروني في تناول المجتمع الهندي .

كان النظام الطبقي موجوداً في الهند منذ نشأتها كطبيعة لتوزيع الأعمال على الناس في المجتمع ، واختلاف الحرف فهناك من يعمل في الزرعة ، ومنهم من يتفرغ للحرب ، وهناك فئة تختص بالطقوس الدينية ، وقد خشيت تلك الفئة على امتيازاتها ومصالحها من اختلاط بني جنسها الآرابيين بالعناصر الأخرى وضعت نظام الطبقات وجعلت نفسها على رأسه (الساداتي، د.ت، الصفحات 18/1-21).

ذكر البيروني أن ملوك الهند القدماء كانوا يهتمون بتصنيف الناس طبقات ومراتب يحفظونها عن التمازج ويحظرون الاختلاط عليهم بسببها ، ويلزمون كل طبقة ما إليها من عمل أو صناعة أو حرفة ولا يرخصون لأحد في تجاوز رتبته ويعاقبون من لم يكتف

بطبقته ، وهم يسمون طبقاتهم (برن) ، أي الألوان ويسمونها من جهة النسب (حاتك) أي المواليده ، وهذه الطبقات في أول الأمر أربع أعلاها البراهمة ، وقد ذكروا أن خلقتهم من رأس براهم وهو كناية عن القوة المسماة طبيعة ، والرأس علاوة الحيوان ، فالبراهمة نقاوة الجنس ، ولذلك صاروا عندهم خيرة الأنس، (البيروني، 1958، صفحة 76)، بينما أكتفى المسعودي بذكر أن البراهمة أنهم أبناء برهمن إمام الهنود وملكهم الأعظم مؤسس لمملكة قوية تعتد بالعلم والحكمة والقوة العسكرية، ويذكر ان فترة حكمه امتدت ثلاثمائة سنة وستة وستين، وتوارث أبناءه حكم الهند والكل يعظمهم فهم أعلى أجناسهم وحكمائهم، من شرائعهم أنهم لا يتغذون بشيء من الحيوان ، وفي رقاب الرجال والنساء منهم خيوط صفر يتقلدون بها كحمائل السيوف ، فرقاً بينهم وبين غيرهم من أنواع الهند (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 62).

ومن هذه الأسرة ينحدر كل ملوك الهند المعروفون " البلهرا " والذين تسجد لهم الفئات الهندية تعظيما وإجلالا، بينما لا يسجدون لباقي الفئات، وهم لا يشربون الخمر، (خرداذبه، 1889، صفحة 71)، وذكر البيروني أن البرهمن وافر العقل ساكن القلب ، صادق اللهجة ، ظاهر الاحتمال ، ضابطاً للحواس ، مؤثراً للعدل ، بادي النظافة ، مقبلاً على العبادة ، مصروف الهمة إلى الديانة (البيروني، 1958، صفحة 78).

كذلك ذكر الإدريسي أن الساكهرية هم أشراف الهند والملك يكون فيهم ولا يكون في غيرهم وجميع الأجناس يسجدون لهم عند اللقاء وهم لا يسجدون لأحد (الإدريسي، 2002، صفحة 96/1)، وأوضح البيروني أن الطبقة التي تتلوا هي كشتر ، وقيل أنهم خلقوا من مناكب براهم ويدية ودرجتهم قريبة من درجة البراهمة ، ومن صفات كشتر أنه مهيباً في القلوب شجاعاً ، متعظماً ، ذلق اللسان ، سمح اليد غير مبال بالشدائد حريصاً على تيسير الخطوب (البيروني، 1958، صفحة 77).

وتليهم بيش وقد خلقوا من رجلي براهم وهي إلا أن بعضهم منبوذ ويعمل في المهن الحقيرة كصيد السمك والطيور والوحوش والإسكافة ، والحياكة ، وهؤلاء يسكنون في مناطق خارج المدن والقرى ، ويشتغل البيش بالفلاحة واقتناء السوائم والتجارة (البيروني، 1958، صفحة 78)، وأختتم البيروني حديثة بالطبقة الرابعة وهي شودر وهي بقية المجتمع وتتكون من عدة فئات هي هادي ودرم وجندال وبدهنو فليسوا معدودين في شيء وإنما يشتغلون برذالات الأعمال من تنظيف القرى وخدمتها ، وكلهم جنس واحد يتميزون بالعمل فقط ، ويعتقد الهنود أنهم يرجعون إلى أب شودر وأم برهمن خرجوا منهما بالسفاح فهم منفيون منحطون ، والشودر مجتهداً في الخدمة والتملق متحبباً إلى كل أحد بها ، كذلك بين البيروني أن الشورد هم عبيد البراهمة ولغيرهم من الطبقات ، ويتصرفون بهم في العمل (البيروني، 1958، صفحة 78).

وقد تناول البيروني النظام الإجتماعي (الطبقي) في بعض الجزائر الهندية المسماه بالديبات فذكر أن في جزيرة شاك ديب أربع طبقات أعلاها أرجل ، وتليها كرر ، ثم ببنش ، وأدناها بها نشجت ، وهم منفصلون عن بعضهم ، لا يتزاوجون من غير طبقتهم ولا يختلطون مع غيرهم ، وفي جزيرة كش ثلاث طبقات هي دمن وششن وسين ومندية ، ولم يذكر ترتيب تلك الطبقات ، وفي جزيرة كرونج عدة طبقات وهي بُشكر ، بُشكل ، دهن ، تشاكه ، ولا يتمايزون عن بعضهم ويعيشون معاً (البيروني، 1958، صفحة 187).

المبحث الرابع – العادات والتقاليد .

لكل شعب من الشعوب عادات وتقاليد تتعلق بها وتختلف عن غيرها من الشعوب ،وقد نشأت هذه العادات وفقاً للعوامل الجغرافية والحالات الاجتماعية وظروفها المذهبية ومفاهيمها الأخلاقية فيما يلى سنعرض بعض عادات وتقاليد الهند .

كان الهنود من عاداتهم أن يرشون المريض بالماء ليتعافى، ويقومون بإطالة أظافرهم إشارة إلى عدم العمل والبطامة ، وأحياناً يستخدمونها في حك شعر الرأس ، ويقومون بغسل أرجلهم قبل وجوههم، ومن عادات الهنود أيضاً أنهم يصبغون أسنانهم بالأحمر عن طريق مضغ ورق التنبول، وينفرون من الشخص صاحب الأسنان البيضاء (البيروني، 1958، الصفحات 90-129)، وذكر المسعودى خضب الهنود وشعورهم بالخضاب الأسود المعروف بالهندى ويستمر مفعوله لمدة سنة كاملة، وذكر أن الخليفة هشام بن عبد الملك (ت125هـ|743م) كان يخضب شعره بذلك الخضاب، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 241/1)، وفى مملكة الكامن يقومون بتخريم الآذان (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 164/1)، وفى جزيرة الرابخ يخرمون الأنوف (المسعودي، أخبار الزمان، د.ت، صفحة 64)، كذلك من عادات الهنود أنهم يتيمنون بالظراط

ويتشاءمون بالعطس (البيروني، 1958، صفحة 130) (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 165/1)، كما أنهم لا يهتمون بحبس الريح وإنما يعتبرونه داء، (البيروني، 1958، صفحة 130).

ومن عادات الهنود الاهتمام بالزينة عند الرجال فيلبسون الأساور والخواتم المصنوعة من الذهب في أصابع الأرجل والبنصر (البيروني، 1958، صفحة 130).

الأطعمة والألبسة

أما عن العادات الهندية في الأطعمة فهم يشبهون المسلمين حسب وصف سليمان التاجر في حرصهم على النظافة قبل الأكل، فذكر أن أهل الهند لا يأكلون حتى يستاكون وينظفون أفواههم ويغتسلون كل يوم قبل الغد وأضاف أن أكثر غذائهم قائم على الأرز والنارجيل (جوز الهند)، (التاجر، 1992، صفحة 56).

وذكر البيروني المحظور والمباح من الأطعمة عند الهنود ، أما المباحات من الأطعمة الضأن والمعز والظباء والأرانب ووحيد القرن والجاموس والسمك والطيور المائية والبرية كالعصافير ، والحمام والطاووس ومن المحظورات لحم الأبقار والخيول والبغال والحمير والجمال والفيلة ، والطيور كالدجاج الأهلية والغربان والببغاء وبيضها جميعاً، (البيروني، 1958، صفحة 467)، وذكر البيروني سبب تحريم الهنود لحوم الأبقار لضعف أبدانهم على هضمها ، فيقومون بأكل أوراق التنبول عقب الطعام ومضغ الفوفل ، ليساعدهم على الهضم ، ومن ناحية أخرى فإن البقر هي الحيوان الذي يخدم في الأسفار ينقل الأحمال والأثقال ، وفي الفلاحة بالكرب والزراعة والألبان، كذلك يحرم الهنود اللحوم الميتة وبالأخص إذا ماتت رغم أنفها ، ولكن الإماتة بإمساك النفس فأكلها مباح عندهم (البيروني، 1958، صفحة 468).

وذكرت المصادر الإسلامية أن أهل الهند لا يشربون الخمر، ولا يأكلون الخل لأنه من الشراب (خرداذبه، 1889، صفحة 68)، ويذكر ابن رستة أن تجار الهند الذين تعرف إليهم لا يشربون الشراب قليلة أو كثيرة ويعافون الخل من الأشربة، وقيل أن ملك قمار Khemer(كمبوديا)، كان أكثر الملوك تشددا مع شاربي الخمر، ويوصف بأنه أشد ملوك الهند غيرة وعقوبة، فإذا حدث وأن قام أحد قواده بشرب الخمر تحمى حلقة من حديد في النار ثم توضع على يد المذنب قد تؤدي إلى مقتله، ومن أنواع العقوبات الأخرى قطع اليدين والرجلين والأنف والشفتين والأذنين (رستة، 1891، صفحة 132).

وتناول البيروني عادات الهنود في الطعام فهو يتناولون الطعام فرادى كما أنهم لا يعودون إلى الطعام الزائد ويستخدمون الأواني الخزفية في الطعام ثم يرمونها ، وكان الطعام الرئيسي لسكان جزيرة ديب هو قصب السكر (البيروني، 1958، صفحة 185) ، وذكر السيرافي في رحلته أن الهنود لا يأكلون حتى يستاكون ويغتسلون وهم لا يأكلون الحنطة (السيرافي، 1999، الصفحات 30-31).

وذكر المسعودي أن الهنود تمنع من شرب الشراب ، ويعنفون شاربه ليس من باب التدين ، ولكن حتى لا تذهب عقولهم ، وإذا شرب ملك من ملوكهم شربة استحق الخلع من ملكه ، وإذا تبين أنه أثر على الملك في إدارته لأمور الرعية، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 67)، بينما خالفه البيروني في ذلك حيث ذكر أن الهنود يشربون الخمر أولاً ثم يقومون بتناول الطعام بعد ذلك، (البيروني، 1958، صفحة 229).

الألبسة

ومن ملامح المجتمع الهندي – حسب وصف المصادر الإسلامية _ أن أهل الهند عامة يلبسون فوطتين ويتحلون بأساور الذهب والجوهر الرجال منهم والنساء، (وايرل، 1998، صفحة 166/3)، وكانت طبقة الراجا (الملوك) يتحلون بقدر كبير من الحلى، ويلبسون في أيديهم أساور الذهب المرصعة بالجواهر، كما يضعون في أعناقهم القلائد النفيسة المشتملة على أفخر الجواهر الأحمر والأخضر واللؤلؤ، كما كانوا يلبسون في آذانهم الأقراط من الجوهر النفيس المركب بالذهب فهي بمثابة كنوز وذخائر لديهم ومن مناظر الآبهة ، أما القادة ووجهاء المجتمع الهند فكانوا يرتدون عند خروجهم الحلى الثمينة، لكنها أقل درجة من الملوك، وجميهم يحملون على محامل خاصة يلبسون الفوط ويحملون في أيديهم شيئاً يُعرف بـ" الجترة" وهي مظلة مصنوعة من ريش الطواويس لتقيهم من حر وأشعة الشمس وهم محاطون بخدمهم، (التاجر، 1992، صفحة 59).

وقدم الاصطخري وصفا لملابس أهل الهند حيث يذكر أن زي أهل الهند من المسلمين والكفار أي "الهندوس" واحد، ويتمثل في الفوط والآزر لشدة الحر ببلدانهم كما يتزينون القراطق ويرسلون شعورهم، وتعتبر فئة التجار من الفئة المتميزة بلباسها فهم يلبسون الأقمصة والأردية، وهو زي أهل العراق وفارس (الاصطخري، د.ت، الصفحات 172-173)

ذكر المسعودي أن لباس مملكة الموجة أبيض اللون ، شبيه بلباس أهل الصين، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 165/1)، ويصنع لباس وادي القرنفل من أوراق بعض الأشجار التي تنمو في بلادهم (المسعودي، أخبار الزمان، د.ت، صفحة 52).

وذكر البيروني أن عامة الناس في الهند يرتدون السروايل والبعض الآخر يرتدي سراويل داخلها محشو بالقطن بشكل كثيف ، وتكون محكمة الأغلاق ، ولا يظهر منها سوى القدمان ، ثم يلفون صدورهم بسروال آخر ، ويرتدون في أقدامهم الخفاف، (البيروني، 1958، صفحة 129).

الأعياد

انفرد البيروني بذكر أعياد الهند ، فذكر أن العيد عندهم يسمى زائر وأكثر الأعياد تكون للنساء والوالدان ، ومن أعيادهم :- عيد كشمير يسمى (أكدوس) في اليوم الثاني من شهر جيتر (كانون الثاني) ، وسببه فور ملكها مُتي بالترك وعندهم أنه يملك العالم كله ، وفي اليوم الحادي عشر من شهر جيتر (كانون الثاني) ، يكون عيد (هندولي جيتر) يجتمعون فيه على صنم باسديو ، ويؤرجحون صنمه ، كما كان يفعل به في الأرجوحة وهو صبي ، ويفعلونه في بيوتهم طول النهار ويفرحون ، وبعده عيد (بهند) وهو عيد مخصص للنساء حيث يتزين ويقدمن لأزواجهن الهدايا ، وعيد (كورتر) ، وهو في اليوم الثالث من شهر ببشاك (شباط) ، يغتسلن فيه النساء ويتزين ويسجدن لصنمها ، ويقربن له الطيب ولا يأكلن شيئاً ويتلاعبن بالأرجوحة ، ثم (البيروني، 1958، صفحة 487).

وذكر البيروني أيضاً عيد الربيع الذي يسمى (بسنت) في شهر ببشاك (شباط) ، الذي يقدمون فيه الضيافة للبراهمة ، وفي الثالث عشر من شهر (بهادريت) (حزيران) عيد للنساء يسمى هربالي يضعن فيه النساء الورود والطيب على بعض النباتات ، ويقضين الليل في مرح وسرور ثم يغتسلن ، ويقدمن الصدقات في اليوم التالي ، وفي اليوم السادس عشر من شهر بهادريت (حزيران) ، يقدمن الطعام فيه ، واليوم الثامن لهم عيد آخر يسمى (دروب هر) يغتسلون فيه ويتناولون الحبوبة المنبوتة ليسلم أولادهم ، ويقدمن النساء أمانيهم لطلب الأولاد (البيروني، 1958، صفحة 488).

وفي الحادي عشر من نفس الشهر عيد يسمى (بربت) وهو عيد ديني معظم لدى الهنود ، ومنذ اليوم السادس عشر ولمدة أسبوع يطلقون على تلك الأيام اسم (كراراة) يزينون فيها الأطفال ويعطرونهم ، ويلعبون بأنواع الحيوانات ، وفي نهاية الأسبوع يتزين الرجال أيضاً ، والباقي من الشهر يزينون الأطفال مرة أخرى ، ثم يقومون بتقديم الصدقة إلى البراهمة ويفعلون الخير (البيروني، 1958، صفحة 489).

وفي اليوم الأول من شهر كارتك (شهرآب) لهم عيد يسمى (دبالي) يغتسلون فيه ويأخذون الزينة ويتهادون بأوراق التنبول وبالفوفل ، ويتصدقون ويتلاعبون فرحين حتى نصف النهار ، وفي الليل يكثرون من إيقاد المصابيح في كل موضع حتى يستنير الهواء ((البيروني، 1958، صفحة 490)، وعندهم عيد يسمى (ماهريتج) وهو عيد للنساء ويعرف أيضاً باسم كور في اليوم الثالث من شهر (ماك) ، (تشرين الثاني) ، وتجتمع فيه النساء عند أحد الأصنام العظيمة ويغتسلن بالماء البارد في آخر الليل ، ويرتدين أفخر الثياب ويضعن أفضل العطور ، وفي صباح اليوم التالي يتصدقن ويقمن الولائم والضيافة ، وفي اليوم الأخير التاسع والعشرون من الشهر نفسه يدخل الجميع الماء وينغمسون سبع مرات، وفي عيد سانب يرزاتر في ميدان المولتان يسجد الهنود للشمس وقيل أن رجال الدين البراهمة أكثروا من تلك الأعياد لزيادة الهدايا والضيافات والصدقات المقدمة لهم ((البيروني، 1958، صفحة 490).

والهنود لديهم أيام مقدسة ومن تلك الأيام الأحد يفضلونه لأنه بداية الأسبوع لديهم، وهو معظم لديهم كيوم الجمعة لدى المسلمين ، ومن الأيام المعظمة (أواماس) ويسمونه يوم الاجتماع والإستقبال لنور القمر في الفناء ، ويقوم البراهمة بتقديم قرابين النار للثواب (البيروني، 1958، صفحة 492).

ومن الأيام المقدسة لديهم اليوم الثالث من شهر بيشاك (شباط) ، واليوم التاسع من شهر (كارتك) (آب) ، واليوم الخامس عشر من شهر (ماك) (تشرين الثاني) ، واليوم الثالث عشر من شهر (أشوجج) (تموز) ، ويعتقدون أن الصدقة في أيام بنكال تفوق غيرها من الأيام آلاف السنين (البيروني، 1958، 493)، ولدى الهنود أيام سعيدة مرتبطة بإنتقال الكواكب وعلى الأخص الشمس من برج إلى برج آخر ويسمى هذه الأوقات (سنكرانت) ، أما أوقات الكسوف والخسوف يعتقدون أن مياه الأرض تطهر طهارة ماء نهر كنك ويقومون بإغراق أنفسهم في ماء النهر وخاصة طبقتي (بيش ، وشودر) ، أما برهمن وكشتر فغير مسموح عليهما فعل ذلك (البيروني، 1958، صفحة 494)

أما الأوقات الغير سعيدة والمنحوسة لدى الهنود التي يتشاءمون بها ويمتنعون عن العمل فيها ، أوقات الزلازل ، يقوم الهنود بكسر أواني بيوتهم نفياً للشؤم ، وطرداً للشر ، وقد فسر البيروني سبب تشاؤمهم بسبب تغير طباع الأشياء حيث تخترق الأرض من الصواعق ، وتدخل الحيوانات المفترسة إلى القرى ، وينزل المطر في غير أوانه (البيروني، 1958، صفحة 495), (كبير، 2010، صفحة 100).

الزواج

أشار البيروني أن الزواج عند الهنود يكون في سن صغير ولذلك يعقده الأبوان لأبنائهم ويقيم البراهمة فيه رسوم القرابين والصدقات ويقيمون الأفراح ، ولا يكون بينهما مهر ، بل يدفع الزوج بعض المال المعجل للمرأة دون تحديد لقيمته ، ويكون على حسب القدرة المالية للزوج ، ويمنع الزوج من إسترداد شيء منه إلا ما كان عن طيب خاطر الزوجة ولا يفرق بين الزوجين إلا الموت ولا طلاق لهم (البيروني، 1958، صفحة 469)، كما أشار البيروني أن للزوج أن يتزوج بأكثر من واحدة إلى أربع وما فوق الأربع محرم عليه إلا أن تموت إحدى زوجاته ، ولكن الزوجة إذا مات زوجها فليس لها أن تتزوج ، وعليها أن تختار بين أمرين إما أن تبقى أرملة إلى بقية حياتها وإما أن تحرق نفسها ، ومن الهنود من يرى أن عدد الزوجات حسب الطبقة فيحق للبراهمة الزواج بأربع والكتشر بثلاث والبيش بإثنين والشودر بواحدة (البيروني، 1958، صفحة 470).

وللهنود قانون في النكاح حيث يفضلون تغريب النكاح وكلما كان أبعد كان أفضل ويحرم نكاح ابنه الأولاد أو ابنه أولاد الأولاد أو الأم أو الجدة كما يشمل التحريم الأخت وبنت الأخت والعمة والخالة وبناتهما إلا إذا تباعد النسل لما يزيد عن خمسة بطون متوالية عندها يزول التحريم مع بقاء الكراهة (البيروني، 1958، صفحة 470), (الرحمن، 2014، صفحة 170)

وأكد البيروني أنه يجوز لكل واحد من أهل الطبقات أن يتزوج في طبقته وفيما دونها ولا يحل له أن يتزوج من طبقة فوق طبقته ، ويكون الولد منسوباً إلى طبقة الأم دون الأب ، فإن كانت امرأة البرهمن مثلاً برهمناً كان الولد كذلك وإن كانت شودريه كان شودراً ، ولكنه أشار إلى أن البراهمة في زمنه لا يتزوجون في غير طبقتهم (البيروني، 1958، صفحة 470).

وكان البراهمة يقدمن القرابين للنار طلباً للولد إذا جامعوا زوجاتهم ، كما يقدمون قرباناً آخر بعد الشهر الرابع للحمل ، وآخر بعد الولادة وقبل الإرضاع ، وقربان آخر بعد انقضاء أيام النفاس وعند تسمية الولد ، ولا تتم التسمية إلا بعد طهر المرأة من النفاس، وما دامت المرأة في النفاس لا يؤكل في دراها ولا تقترب من الأنية ولا يوقد ناراً في بيتها ، وتختلف عدد أيام النفاس من طبقة لأخرى للبراهمة ثمانية ، ولكشتر أثنى عشر ، وللبيش خمسة عشر ولشودر ثلاثين ومن دونهم فغير معدود له في الرسوم حد محدود (البيروني، 1958، صفحة 471).

وتناول البيروني الرضاعه وبين أنها قد تصل إلى ثلاث سنوات وعند تمام السنة الثالثة يذبحون عقيقة للطفل ، ويثقبون أذنه في السابعة أو الثامنة من عمره (البيروني، 1958، صفحة 471).

وأشار المسعودي إلى وضع المرأة الهندية ، فذكر أن نساء مملكة الطافن اللواتي يعرفن بالطافنيات يعرفن بجمالهن وشده فتنتهن ، فيتنافسن أهل البحر على شرائهن (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 162/1).

أما عن نساء الملوك فقال البيروني أن العادة عندهن الإحراق شئنا أم أبين وذلك لحمايتهم من الوقوع في الفاحشة ، وقد يستثنى من ذلك النساء العجائز ، وذوات الأولاد إذا تكفل الابن بصيانة الأم وحفظها (البيروني، 1958، صفحة 470).

وذكرت بعض المصادر إباحة الزنا في بلاد الهند ، فذكر المسعودي أن الرجل في جزيرة سرنديب يراود المرأة عن نفسها بعلم أهلها ، ويأتي تجار البحر إلى سرنديب وقد يدعو الواحد منهم ابنه الملك فتأتية بعلم أبيها ، لذا يمنع أهالي سيراف شبابهم من الذهاب إلى

تلك الجزيرة لخوفهم من الوقوع في الفاحشة، ولكن مملكة قمار لم تكن الزنا مباحة لديهم بل حرم الزنا والخمر فيها وعاقب فاعليها بالقتل ((رستة، 1891، صفحة 127)، (خرداذبه، 1889، الصفحات 161-166)، ((المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 63/1)، وذكر البيروني أن الزنا للمحصن في الهند لم يكن مباحاً في الناحية القانونية لديهم فإن العقوبة عليه مخففة ، والسبب في انتشارهم الملوك الذين رأوا فيه مجالاً لزيادة اقتصاد بلادهم من خلال الضرائب التي تدفعها الزانيات للدولة من جهة ، وحماية الرعية من العذاب من جهة أخرى (البيروني، 1958، الصفحات 470-471).

التسلية والترفيه

أشار المسعودي إلى مصادر التسلية والترفيه لدى الهنود فهم يحبون الاستماع إلى الغناء وعندهم آلات موسيقية يطربون بها ، وهي متنوعة منها ما هو للفرح والضحك ومنها ما هو للحزن والبكاء، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، الصفحات 194/1-195)، ويطربون الأغاني للجواري يرقصن عليها، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 63/1)، وكان أهل التبت أكثر الهنود انشغالاً بالرقص وهذه هي الطبيعة التي فطرهم الله عليها حيث أن فيهم رقة وبشاشة دائمة ، ولا يعرفون الحزن حتى في حالة وفاة عزيز عليهم ، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، الصفحات 152-153)، ومن وسائل التسلية عندهم النرد فكانوا يعتقدون أن لعبهم النرد يجلب لهم السعادة وأن الرزق يأتي للإنسان عن طريق الحظ، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 83/1)، وكان أهل سرنديب يكثرون من لعب القمار بالنرد، (المسعودي، أخبار الزمان، د.ت، صفحة 63)، وقيل أن الفقراء منهم قد يقامرون على أصابعهم حيث يقوم الغالب بقطع إصبع المغلوب وقد لا يغادر المغامرون مجلسهما إلا وقد قطعت أصابعهما جميعاً، (السيرافي، 1999، صفحة 82)، ثم ظهرت لعبة الشطرنج عند اختفاء لعبة النرد وتتكون من صور وأشكال بشرية وحيوانية (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 63/1)، وهي بخلاف النرد تقوم على الحزم والعقل والحيلة فليس للحظ فيها مكان ، وقد وضع في لعبة الشطرنج كتاباً من قبل الملك بهيث عُرف باسم طرق جنكا كان كتاباً لتعليم الشطرنج وحيلها وحسابها، (اليعقوبي، 1883، الصفحات 80-81)، وكان الهدف الأساسي من لعبة الشطرنج هو معرفة الإنسان المخلص والمجتهد من الإنسان الكسول والعاجز (المسعودي، أخبار الزمان، د.ت، صفحة 64) ، وأن الحرب هي أفضل وسيلة للتميز بينهما ، فمن خاض الحرب دون الأخذ بالأسباب خسرها وهلك (اليعقوبي، 1883، الصفحات 80-81)، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 83/1)، وكان الهنود يقامرون على ثيابهم وجواهرهم في القمار على لعبة الشطرنج كما هو الحال في القمار بالنرد (المسعودي، أخبار الزمان، د.ت، صفحة 64), (المرزوري، 1942، صفحة 300).

وأعتنى الهنود بالنواحي الروحية ، وبقهر القوى الجسدية ، وتعلقوا بالعلوم الروحية كالسحر والاحتيالات والمهارات اليدوية ، فكان السحر وسيلة للتسلية والترفيه عندهم ، وعرف البيروني السحر لديهم هو إظهار شيء للإحساس أنه خلاف حقيقته من باب التمويه، ولم يكن يعتد به من ضمن العلوم ، وكان الهنود يتعاطونه من باب التسلية والترفيه ، وظناً منهم أنه يجلب لهم الخير ويدفع عنهم الأذى (البيروني، 1958، صفحة 148).

الخاتمة

تُلقى هذه الدراسة الضوء عن مساهمة الرحالة والجغرافيين المسلمين في كتابة جزء هام من الحياة الاجتماعية في بلاد خلال القرنين الثالث والخامس الهجريين ، وقد استخلصنا من دراستنا هذه جملة من النتائج التي يمكن حصرها فما يلي :-

- ساهم كلا من الرحالة والجغرافي في توسيع مداركنا حول المجتمع الهندي بفضل ما وردوه من معلومات عن طريق اتصالهما بالمجتمع الهندي والتعرف على عاداته وتقاليده.
- استطاع الرحالة والجغرافيون المسلمون خلال القرنين الثالث والخامس الهجريين " المسعودي، المقدسي، البيروني، وآخرون"، في طرح معارفهم العلمية بأسلوب أدبي شيق في ذكر المجتمع الهندي، ووصف الأجناس البشرية ومميزاتها ومعتقداتها الدينية.

التوصيات

-الحث على الإهتمام بكتب الرحالة والجغرافيين باعتبارهما مصدراً من أهم المصادر العلمية في عملية التدوين الجغرافي والتاريخي بالنسبة للمؤرخين والباحثين في هذا المجال.

قائمة المصادر والمراجع.

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري. (د.ت). *المسالك والممالك*. القاهرة: الهيئة العامة لقضور الثقافة.

أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني. (1958). *تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة*. الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد.

أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله ابن خرداذبه. (1889). *كتاب المسالك والممالك*. بيروت: دار صاد أفسدت ليدن.

أبو زيد حسن بن يزيد السيرافي. (1999). *رحلة السيرافي*. أبو ظبي: المجمع الثقافي.

أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي. (2005). *مروج الذهب ومعادن الجوهر*. صيدا- بيروت: المكتبة العصرية.

أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي. (د.ت). *أخبار الزمان*. بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.

أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني الإدريسي. (2002). *نزهة المشتاق*. مكتبة الثقافة الدينية.

أبي علي أحمد بن عمر ابن رستة. (1891). *كتاب الأغلاق النفيسة*. ليدن المحروسة: طبع في مطبعة بريل.

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي. (1883). *تاريخ*. ليدن المحروسة: طبع في مطبعة بريل.

أحمد محمود الساداتي. (د.ت). *تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم*. القاهرة: مكتبة الآداب.

أيمن فؤاد السيد. (1992). العرب وطريق الهند حتى أواسط القرن السادس. *مجلة المؤرخ المصري- القاهرة*، ع 8.

ديورانت ول وايرل. (1998). *قصة الحضارة الهند وجيرانها الشرق الأقصى*. بيروت: دار الجيل.

سليمان التاجر.(1992). سلسلة التواريخ ضمن الأخبار رحلات العرب والفرس إلى الهند والصين في الجغرافية الإسلامية. فرنكفورت: منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية.

شرف الزمان الطاهر المرزوري. (1942). *فصول حول الصين والترك والهند منتخبة من كتاب طبائع الحيوان*. لندن: طبعة لندن.

شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي. (2003). *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.

طه باقر. (2011). *مقدمة في تاريخ الحضارة القديمة*. بغداد: دار الورق للنشر المحدودة.

عبد الله شمت المجيدل.(2019). الهند في أدب الرحالة العرب. اتحاد الكتاب العرب التراث العربي، ع 153.

محمد البغدادي الموصلي ابن حوقل .(1938). صورة الأرض. بيروت: دار صادر أفست ليدن.

محمد نصر عبد الرحمن. (2014). *الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

مؤلف مجهول. (1999). *حدود العالم من الشرق إلى الغرب*. بيروت: الدار الثقافية للنشر.

همايون كبير. (2010). *التراث الهندي من العصر الأري إلى العصر الحديث*. أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.

سياسة جروفر كليفلاند تجاه كوبا 1885 – 1897

م.م. كرار عبدالسيد مضموم
Kraarab88@gmail.com

أ. د محمد هاشم خويطر
drmohmedhushimalrobyeai@gmail.com

الجامعة المستنصرية , كلية التربية , قسم التاريخ

الملخص

يهدف هذا البحث الى تسليط الضوء على سياسة جروفر كليفلاند الخارجية خلال سنوات ادارته 1885 – 1897 ، وابرز السياسات الخارجية التي اتخذها خلال سنوات وجودة في الادارة الامريكية وبلاخص فيما يتعلق بالسياسة الخارجية تجاه كوبا ، اذ تعد مشكلات كوبا واحدة من اهم المشكلات الخارجية الامريكية التي اطرت ادارة جروفر كليفلاند بالهم والقلق . من بين أهم العوامل التي أثرت في تعامل كليفلاند مع الثورة الكوبية كان من أهمها الخلافات التي تمت أثارتها داخل الكونغرس الامريكي حول من يتحكم في أتجاه السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية تجاه كوبا , إذ تم الطعن في سلطة كليفلاند في عدة مناسبات والرفض العنيد للانصياع لإرادة الكونغرس من قبله , إذ حافظ على موقف هادئ وثابت في مواجهة وضع شديد التقلب في ما يخص كوبا.

الكلمات الافتتاحية : جروفر كليفلاند ، السياسة الخارجية الامريكية ، كوبا

Grover Cleveland's Cuba Policy 1885-1897

Asst. Lect . Karar Abdel Sayed Madmoum Prof. Muhammad Hashem Khwaiter

Al - Mustansiriya University, College of Education , Department of History

Abstract

This research aims to shed light on Grover Cleveland's foreign policy during the years of his administration 1885-1897 ، He highlighted the most prominent foreign policies he adopted during his years in the American administration، especially with regard to foreign policy towards Cuba ، Cuba's problems are considered one of the most important American foreign problems that faced the Grover Cleveland administration With worry and anxiety . Among the most important factors that influenced Cleveland's dealings with the Cuban Revolution were the disputes that arose within the US Congress over who controls the direction of US foreign policy towards Cuba. Cleveland's authority was challenged on several occasions and he stubbornly refused to submit to the will of Congress. He accepted that, as he maintained a calm and stable position in the face of a very volatile situation regarding Cuba.

Keywords : Grover Cleveland، American foreign policy، Cuba

المقدمة:

تدهورت الاوضاع العامة في كوبا نتيجة اشعال الثورة ضد السلطات الاسبانية التي نبهت الادارة الامريكية من تطور تلك الاحداث ، ركز الباحث الضوء على كوبا خلال سنوات إدارة الرئيس الامريكي جروفر كليفلاند 1885 – 1897، وحفز الباحث الاجابة عن بعض التساؤلات حول الاهمية التي تكتسبها كوبا بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية ؟ وما هي السياسة التي اتخذتها إدارة كليفلاند تجاه كوبا؟ وما هو موقف الادارة الامريكية من الثورة الكوبي ضد السلطات الاسبانية ؟ كل تلك التساؤلات سوف يتم الاجابة عنها تباعاً في طيات البحث.

ان الهدف الرئيسي الذي ركز علية الباحث هو عرض وتحليل السياسة الخارجية الامريكية خلال إدارة كليفلاند تجاه كوبا ، وابرز المعلومات التي تبين موقف كليفلاند من تطور الاحداث فيها. تأثرت السياسة الامريكية الخارجية تجاه كوبا (**Cuba**)* بعاملين

* **كوبا**:يعود اسم كوبا للغة تاينو وتعني الارض الخصبة والوفيرة، عبارة عن أرخبيل من الجزر الواقعة في شمال البحر الكاريبي عند التقاء خليج المكسيك والمحيط الاطلسي، تبلغ مساحتها (109،886 كم^2)، تحدها الولايات المتحدة الامريكية الى الشمال الغربي والبهاما الى الشمال وهاييتي

اساسيين هما: العامل الاقتصادي والعامل الاستراتيجي، بالنسبة للعامل الاقتصادي كانت الولايات المتحدة الامريكية بحاجة الى المنتجات الكوبية وخصوصاً السكر والتبغ كون الولايات المتحدة الامريكية سوقها الرئيسي، فضلاً عن مناجم الحديد الكوبية التي كانت محل تطلع الرأسماليين الامريكيين، وبالنسبة للعامل الاستراتيجي لكوبا، اذ تحتل كوبا موقعاً حيوياً مهم يسيطر على خليج المكسيك من جانب ويتحكم في احدى مداخل قناة بنما المزمع حفرها عبر امريكا الوسطى من جانب آخر، لذلك فان السيطرة على كوبا من اهم الشروط الواجب توفرها للسيطرة على القناة البحرية وعلى امريكا الوسطى وشمال امريكا الجنوبية.

ان موقع كوبا الجغرافي وقربها من الولايات المتحدة الامريكية أثار قلق الامريكيين خلال الانتفاضات الدموية التي دامت ما بين 1868– 1878، هذا ما جعل الرئيس الامريكي يوليسيس جرانت(**Ulysses S. Grant**) *

يتخذ احتياطاته لتعزيز حرس السواحل الاقليمية الامريكية لمنع تقديم المساعدة من داخل الولايات المتحدة الامريكية الى الثوار ، في عام 1869 قدم جرانت عن طريق وزير خارجيته فيش الى اسبانيا عرض تعويض مبلغ مالي قدرة خمسة عشر مليون دولار لتسوية النزاع في كوبا على اساس الغاء العبودية واستقلال كوبا ، رفض الاسبان العرض وحتى فكرة الحديث عن تسوية النزاع قبل ان يستسلم الثوار الكوبيين (عبد الحميد، 2007، صفحة 164).

كان الاسبان يسيطرون على الحكم في كوبا ، اذ تميز حكمهم بالفساد والقسوة الشديدة تجاه الكوبيين ، فضلاً عن انغماسهم في السرقة المتواصلة ، ففرضوا على الصناعة والتجارة الضرائب الباهظة التي اثقلت كاهل المزارعين والصناعيين، وكانت المحاكم أدوات في ايدي السيطرة الاسبانية اما الصحافة فكانت مكممه بشكل محكم، والكنيسة كانت في ايدي المطارنة الاسبان الفاسدين عديمي الكفاءة، ادت تلك الاوضاع الى تجدد الثورة بشكل مستمر تجاه الاسبان (ألان نيفينز، 1990، صفحة 416)، فكانت الولايات المتحدة الامريكية الا ان تهتم بكوبا وما يجري فيها التي تبعد عن شواطئها (95 ميل)، فضلا عن رجال الاعمال الامريكيين الذين كان لديهم مصالح اقتصادية واسعة في صناعة قصب السكر والتبغ الذين يكونون باستمرار مصالحهم متأثره بإحداث الثورات المستمرة ومن سوء السياسة الاسبانية لهم , الى جانب الاسبان عديمي الكفاءات وهي ثمة جيش كبير العدد يعيش على حساب الشعب , وكذلك التعرفة الجمركية للسكر (عبد العزيز سليمان، 1999، صفحة 134) .

أهتمت الادارات الامريكية المتعاقبة ابان السبعينيات من القرن التاسع عشر الى ممارسة سياسة التدخل في الشؤون الكوبية ومساندة ودعم الثوار الكوبيين ضد الاستعمار الاسباني ، اذ كانت الاراضي الامريكية تستخدم كقواعد للمقاتلين الكوبيين هذا الامر اثار غضب الحكومة الاسبانية، وترتب على ذلك الاهتمام انتعاش التجارة وتقدم الصناعة واتساع حملات الاعمار وما تطلبت من المواد الاولية فضلاً عن الايدي العاملة التي ادت بالتالي الى زيادة اهمية كوبا بنسبة كبيرة للولايات المتحدة الامريكية اكثر من السابق (حسين محسن هاشم، 1898–1914، صفحة 54) .

كانت المشكلة الكوبية واحدة من المشاكل الخارجية الامريكية التي اعطت إدارة كليفلاند الكثير من الهم والقلق، وهي واحدة من اكثر الصعوبات الخارجية تعقيداً واثارة للاهتمام، اذ كانت الولايات المتحدة الامريكية تقترب بسرعة من نقطة تحول كبيرة في تاريخها، عندما لم يعد بإمكانها الادعاء بالعزلة في الشؤون الخارجية، هذا النهج بذل كليفلاند قصارى جهده لتأخيره، وأوضحت الازمة الكوبية بشكل أفضل تمسكه من أي مرحلة اخرى من أدارته الثانية بالطرق القديمة وقضية السلام الدولي وكرهه بشدة للتدخل الخارجي أو السياسة الخارجية التوسعية (Allan Nevins , 218, p. 713).

تميزت العلاقات الامريكية الاسبانية في بداية النصف الاول من العقد التاسع على التبادل التجاري فقط، أما العلاقات السياسية فكانت مستقرة الى حداً ما حتى عام (حسين محسن هاشم، صفحة 57)1895، عندما اندلعت الثورة الكوبية الكبير ضد الاسبان في 24 شباط 1895 (Christopher Hull , 1898–1964, p. 25)، تسبب في توتر العلاقات السياسية بين الطرفين، ويعود سبب

من الشرق وجامايكا وجزر كايمان من الجنوب والمكسيك من الغرب. لمزيد من التفاصيل، أنظر: ntoni Kapcia، Cuba Island of Dreams ، Berg Publishers، 2000.

* **يوليسيس إس جرانت:**الرئيس الثامن عشر للولايات المتحدة الامريكية، ولد في 27 نيسان 1822 في مقاطعة كليرمونت في ولاية أوهايو الامريكية ، تولى عدة مناصي منها، وزير حرب الولايات المتحدة الامريكية 1867 – 1869 والقائد العام للجيش الامريكي 1864 – 1869 والرئيس الثامن عشر للولايات المتحدة الامريكية 1869 – 1877، توفي في 23 تموز 1885 . لمزيد من التفاصيل، أنظر: Ronald C. White , American Ulysses A Life of Ulysses S. Grant , Random House Publishing Group , 2016 .

التدخل الامريكية بهذه الثورة بشكل صريح، واخذت تدعم الثوار الكوبيين بذريعة حماية المصالح الامريكية في كوبا، تم توجيه وتغذية الثورة بشكل علني من قبل المجلس العسكري الكوبي (**Cuban Military Junta**) * تحت قيادة خوسيه مارتي (**Jose J. Marti**) (حسين محسن هاشم، صفحة 57) في ولاية نيويورك (حسين محسن هاشم، صفحة 57) ، فضلاً عن مساندة الصحف الامريكية التي أظهرت أعظم عبقريتها الإبداعية في نقل القصص الفظيعة وتأجيج الوضع الداخلي الامريكي ودفعه نحو التأزم بكافة نشراتها الاخبارية (Thomas A. Bailey , 1970, p. 453) .

في 12 حزيران 1895، أصدر كليفلاند تعليماته بالاعتراف بالثورة الكوبي وأعلن حياد الولايات المتحدة الامريكية، ووجه اللوم للمواطنين الامريكيين بعدم مساعدة وتعزيز تلك الثورة ضد الاسبان، أذ كان اعتقاده ان إسبانيا ستكون قادرة على قمع الثورة بالقوة في وقت قصير، لم تثار اي اعتراضات على الاساليب القمعية التي تنتهجها اسبانيا في الجزيرة الكوبية من قبل أدارة كليفلاند (Gerald G. Eggert , 1974, p. 255) .

في 15 حزيران 1895، أعاد كليفلاند التأكيد على سياسة الحياد الأمريكية تجاه الأطراف المتحاربة في كوبا، اذ خشي من أن التخلي عن الحياد سيفتح الطريق للمواطنين الأمريكيين العاديين لمساعدة الثوار، توقع كليفلاند تدفق الإمدادات والأسلحة الأمريكية وشحنها إلى الثوار، بالإضافة إلى العدد من حملات التعطيل التي تهدف إلى تعزيز جيوش الثوار في الميدان، وبالتالي فإن عواقب موقف الحياد الأمريكي ستؤدي على الأرجح إلى نزاع مسلح مباشر مع إسبانيا، وربما مع حلفائها الأوروبيين (Marshall E. Schott ., 1995, p. 77)

بالنسبة لموقف الشعب الامريكي تجاه تطور الاحداث في كوبا ، وجدنا صعوبة التمسك بسياسة الحياد التي اتخذتها الادارة الامريكية، أمر كليفلاند بتسيير دوريات في السواحل الامريكية بشكل كبير لمنع المهربين والمسلحين من الوصول الى الشواطئ الكوبية، واستطاع الحد من ثلثي تلك الحملات الداعمة للمتمردين الكوبيين (حسين هاشم، الصفحات 57-58)، اما من جانب اسبانيا اخذت تشعر بالمرارة تجاه تلك الممارسات، واتهمت الادارة الامريكية بالفشل في الحفاظ على حيادها، واعتبرت معظم الاموال والذخائر التي ابقت الثورة مستمرة جاءت من الولايات المتحدة الامريكية، وصرحت الحكومة الاسبانية قائله : ((**بدون المساعدة الامريكية ستموت الثورة في السنة الاولى من اندلاعها**)) (Alexander De Conde ، صفحة 340) .

بالنظر إلى هذه البدائل ، كان كليفلاند يأمل في أن تمنع سياسته تلك حرباً مكلفة مع إسبانيا وتوفر فرصة للدبلوماسية الأمريكية لإنهاء الثورة في كوبا بشكل سلمي، خلال شهر كانون الاول1895، ظهرت عدة عوامل مهمة في تشكيل المواقف العامة الامريكية فيما يتعلق بالمسألة الكوبية، من الواضح أن الثوار الكوبيين تمتعوا بتعاطف امريكي كبير، اذ انتشرت روايات الفضائح الإسبانية في الصحافة الامريكية وجدت نظرة سلبية إلى حد كبير تجاه اسبانيا بل إن عدد قليل من القادة الامريكيين أدانوا سياسة الحياد التي انتهجها كليفلاند ودافعوا عن سياسة أكثر نشاطاً وتدخلاً للولايات المتحدة الامريكية في كوبا (Marshall E. Schott، صفحة 77)، إذ اتخذ العديد من السياسيين الامريكيين المنتقدين سياسة كليفلاند تجاه كوبا على انه منحاز الى اسبانيا، إذ برر كليفلاند مراراً وتكراراً ان السعي لتحقيق السلام دائماً مقيداً بالتزامات العلاقات الدولية (Hillel Ofek , 2018, p. 150-154) .

يمكن لنا القول، ان سياسة كليفلاند تجاه الازمة الكوبية التي بدت وكأنها تتحدى الرأي العام الامريكي من جانب وقرارات الكونغرس التي تدعم حقوق الثوار من جانب آخر، فضلاً عن نضال الكوبيين من أجل الحرية والتخلص من الهيمنة الاسبانية، فكانت لا مبالاة كليفلاند هو الاطار العام لها. إذ اننا نجازف بالتقليل من شأن نوايا كليفلاند باعتبارها غير مهمة وهامشية في تلك الاحداث، ونتجاهل معارضته الشديدة والمنطقية والمفصلة جيداً للتدخل، إن التزام كليفلاند الثابت بالحياد كان متسقاً مع مفاهيمه عن العدالة الدولية والواجب الوطني التي تمسك بها في الخلافات الدولية السابقة، وأعرب عن اعتقاده أن المصلحة العليا للولايات المتحدة

---

* **المجلس العسكري الكوبي:** مجموعة من القوميين الكوبيين المتجنسين المقيمين في الولايات المتحدة الامريكية المدافعين عن استقلال كوبا، مقرهم العام في ولاية نيويورك الامريكية، يتكون المجلس من ثلاث مجالس تم تأسيسها خلال الاعوام 1848 و1898، لكل واحد منهم قياداته الخاصة، وهدفهم واحد يتمثل في استخدام المساعدات الامريكية المقدمة من الولايات المتحدة الامريكية لتحقيق استقلال كوبا . أنظر:
Alexander D. Conde، Alexander D. Conde، A History of American Foreign Policy، Charles Scribner's Sons، New York، 1963، P 339 .

الامريكية في النزاع هي التهدئة ويجب متابعة هذه المصلحة وفقاً لالتزام أمريكا القانوني بالتنازل عن حقوق اسبانيا السيادية بالنسبة للكوبيين.

اذا رجعنا الى مبدأ مونرو في 2 كانون الاول 1823، اشارت احدى فقراته الى ما يلي : ((**الاقرار بوجود مستعمرة تابعة لدولة اوربية في القارة الامريكية مما يجعل التدخل الامريكي في شؤونها غير مبرر**)) كان كليفلاند يؤمن بهذا المبدأ، إذ دافع عن المواطنين الامريكيين وممتلكاتهم في كوبا (عبدالله حميد، الصفحات 176-177).

شكلت الثورة نزعة خطيرة بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية وبدأت أدارة كليفلاند تنحرج من تطور الاحداث، أثرت الثورة على المصالح الاقتصادية للأمريكيين ، وسرعان ما تبنى الثوار سياسة منهجية التدمير، من خلال افساد الصناعات والموارد ضناً منهم اذا حولوا كوبا الى صحراء فسيتعين على الاسبان التخلي عنها، تم تدمير المزارع مما ادى الى انخفاض محصول السكر بنسب كبيرة (Allan Nevins ، الصفحات 713-714) .

نظرت أدارة كليفلاند الى الثورة على انها مصدر قلق كبير، إذ قام التوسعيون في الداخل والمواطنون الكوبيين المجنسون والمتعاطفون معهم بتزويد الثوار بالمال والبنادق والمعلومات في تحد لقانون الحياد الذي اتخذه كليفلاند ، كان الاسبان على يقظة دائمة ضد تهريب الاسلحة لساحل الجزيرة الكوبية، واعتقال كل من يسعى من الامريكان بسبب انشطتهم الثورية في الجزيرة، ادى الى تعقيد العلاقات مع اسبانيا، تعاملت ادارة كليفلاند مع هذه المشكلة في بعض الاحيان بتغيير تكتيكاتها، الا ان اهدافها ظلت كما هي : يجب استعادة السلام في ظل الحكم الاسباني ويجب انهاء مضايقة المواطنين الامريكيين والممتلكات والتجارة في كوبا، واخذ كليفلاند بمناشد الكونغرس بمنح اسبانيا مزيداً من الوقت لاستعادة رشدها (Gerald G. Eggert ، صفحة 254) .

ناقش مجلس الكونغرس الفضائح الإسبانية ضد المدنيين الأبرياء وقدم توصياته الى لجنة العلاقات الخارجية، ادان السلطة الإسبانية عن اعتقال مواطنين كوبيين يحملان جوازات سفر أمريكية ، واصل اعضاء الكونغرس التحدث علناً عن أدانة إسبانيا في عدد من الولايات الامريكية ، فضلاً عن تنظيمهم مسيرات جماهيرية وجمع التبرعات تكريماً للمتمردين الكوبيين ، كان كليفلاند يراقب تصرفات هؤلاء القادة بقلق متزايد، وفي خطابه أمام الكونغرس شدد على التزام الادارة الامريكية بالاعتراف بالسيادة الاسبانية في كوبا، وفي نفس الوقت ادان عمليات التعطيل المقصودة لأغلب مفاصل الدوائر الحكومية التي تنطلق داخل الولايات المتحدة الامريكية، وأوضح كليفلاند أنه ينوي منح الحكومة الاسبانية وقتاً كافياً للاعتذار وسياسته التي تهدف الى عدم استفزازهم في الوقت الحالي (Donald Thompson ، 2008، صفحة 25).

أجتمع الكونغرس مرة أخرى في كانون الاول 1895 مع تجدد الثقة في قدرات الولايات المتحدة الامريكية على تسهيل استقلال كوبا، وقدمت عدة قرارات تتناول المسألة الكوبية الى لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ للنظر فيها (Marshall E. Schott، صفحة 87)، استاء كليفلاند من تدخل الكونغرس في سلوك السلطة التنفيذية في الشؤون الخارجية (عبد الحميد، صفحة 173)، اذ قال:((**اذا اعلن الكونغرس الحرب على اسبانيا فإنا بصفتي القائد الاعلى للقوات المسلحة لن أعبئ الجيش**)) (Quoted in : Thomas A. Bailey , 1970, p. 453) .

كان أول قرار وصل الى مجلس الشيوخ في 28 كانون الثاني 1896 هو قرار من السيناتور جون مورغان (**John T. Morgan**))* الذي منح حقوق الحرب للمتمردين الكوبيين، والقرار الثاني الذي تمت مناقشته المقدم من السيناتور جيمس كاميرون (**James D. Cameron**) * الذي يطلب من الرئيس كليفلاند العمل مع الحكومة الاسبانية من أجل الاعتراف باستقلال كوبا .

---

* **جون تايلر مورغان:** ولد في 20 حزيران 1824 في مدينة أثينا في ولاية تينيسي الامريكية، اكمل دراسة القانون وأنظم الى نقابة المحامين ، كان عضواً في الحزب الديمقراطي ، عرف في سياسته التوسعية، تم انتخابه عضواً في مجلس الشيوخ الامريكي لاحد عشر دوراه 1877 – 1899 ، توفي في 1 حزيران 1907 . لمزيد من التفاصيل، أنظر:=
August C. Radke، John Tyler Morgan Expansionist Senator 1877 – 1907، University of Washington=، 1953.

* **جيمس دونالد كاميرون** : ولد في 14 أيار 1833 في منطقة ميدلتاون في ولاية بنسلفانيا الامريكي، اكمل دراسة الماجستير من كلية برينستون في الآداب عام 1855، تسنم عدة مناصب منها ، وزير حرب الولايات المتحدة الامريكية الثاني والثلاثون 1869 – 1877، ورئيس اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري 1879 – 1880 ، وعضو في مجلس الشيوخ الامريكي 1877 – 1897 ، توفي في آب 1918 . لمزيد من التفاصيل، أنظر:

سعت إسبانيا إلى تجنيد القوى الأوروبية لصالحهم في أطار تحالف يعارض التدخل الأمريكي في كوبا، كانت الخطة المرسومة هي أن اصدار إسبانيا بيان توضح أسباب عدم حق الولايات المتحدة الامريكية في التدخل في الشؤون الكوبية، وتطلب من القوى الأوروبية الموافقة على البيان، لم تتلقى حكومة مدريد سوى ردود التحذير، إذ أعرب السفير البريطاني هنري وولف (**Henry D. Wolff**) 1*، عن أمله في أن يكون البيان مصاغ بعناية شديدة حتى لا تتضمن مقترحات من شأنها أن تتعارض مع السياسة المستقرة للولايات المتحدة الامريكية، وحذرت الحكومة النمساوية من خطر الأعمال الباهظة والعنيفة التي تقوم فيها إسبانيا التي تتبناها كديمقراطية غير مقيدة فيما يتعلق بمسألة السياسة الخارجية الامريكية التي حولها الرأي العام في الولايات المتحدة الامريكية هو بلا شك حساس للغاية .

قدم كليفلاند رسالته السنوية في 2 كانون الأول 1896 الى الكونغرس الدليل الأكثر وضوحاً على قلق الإدارة وغضبها من تلك الاحداث، بدأ الحديث أن إسبانيا غير قادرة على استعادة السيطرة الكاملة على كوبا ، ومن جانب آخر قدم الثوار ((**حكومة على الورق فقط**))، وحذر من أن الوضع الفوضوي يهدد المصالح الأمريكية، وتمسكه في رفض منح أي حقوق حرب للمتمردين، أو الاعتراف باستقلال كوبا، أو إمكانية شراء الجزيرة، وأضاف لا يمكن النظر في التدخل المباشر في الوقت الحاضر، داعياً إلى حله المفضل المتمثل في الحكم الذاتي ونصح إسبانيا بالاستفادة من هذا العرض الأمريكي ، وحذر من أن الموقف المتوقع للولايات المتحدة الامريكية ربما لن يستمر طويلاً وربما يأتي الوقت في إنقاذ كوبا من الدمار الكامل ، ولم يحدد كليفلاند الوقت الذي يجب أن تتعهد فيه الولايات المتحدة الامريكية باستعادة السلام إلى كوبا (Walter Lafeber , 1967, pp. 295-996) .

واضاف قائلاً :((**ان الادارة الامريكية مدعوة باستمرار لحماية المواطنين الامريكيين، المطالبة بتعويضات عن الاضرار التي لحقت بالأشخاص والممتلكات وطلب التفسيرات والاعتذار عن أفعال المسؤولين الاسبان، ويترتب على الادارة الامريكية مراقبة خط طويل من ساحل البحر لوقف الحملات غير القانونية، لا يمكن الافتراض بشكل معقول أن الموقف المتوقع حتى الان للإدارة الامريكية سيستمر الى أجل غير مسمى، في حين اننا حريصون على منح كل الاحترام الواجب لسيادة اسبانيا، لا يمكننا أن ننظر الى الصراع المعلق بجميع سماته، وان نفهم بشكل صحيح علاقاتنا الوثيقة الحتمية به ونتائجه الحتمية، دون النظر في ذلك من خلال مجريات الأحداث قد ننجر مثل هذه الحالة غير العادية وغير المسبوقة، كما سنضع حداً لمريضتنا في انتظار اسبانيا لإنهاء الثورة اما بمفردها أو من خلال تعاوننا الودي عندما يتضح عدم قدرة أسبانيا على التعامل بنجاح مع الانتفاضة**)) : Quoted in) (F. R. U. S, 1896, p. 7.

كانت رسالة كليفلاند مهمة لعدة أسباب ، تشبثه بالأمل في أن يكون الحكم الذاتي الكوبي أفضل حل لجميع الأطراف المعنية، وحذر وهدد إسبانيا بأنها يجب أن تغير سياستها بسرعة وتوافق على الطلب الأمريكي ، سيكون الأوان قد فات عندما تدمر الثورة كوبا تماماً أو أجبرت المشاعر الأمريكية على التدخل وربما ضمها ، كما حافظ على حرية أمريكا في التصرف في حالة رفض إسبانيا منح الحكم الذاتي ، أبلغ بوضوح وبساطة أنه إذا لم تنهِ إسبانيا النزاع قريباً ، فسيتعين ربما على الولايات المتحدة الامريكية التدخل ، يكون كليفلاند قد أعلن هذا من أجل الضغط على إسبانيا لمنح إصلاحات فورية ، واثبات موقفه المساند من موقف الكونغرس ، لكن تظل الحقيقة أن رسالة كليفلاند كانت تهديداً مكشوفاً بالتدخل المؤجل .

ركز النقاش في الكونغرس حول قرار مورغان وكاميرون على وحشية الجيش الاسباني وضرورة حماية المصالح والاستثمارات الامريكية في كوبا، من خلال أظهار الحماسة الوطنية داخل المجلس، جاد مؤيدو القرار باستخدام الجيش الامريكي لإنهاء الفضائح الاسبانية في كوبا واجبار اسبانيا على الخروج منها، اذ شهد المجلس هجوماً وحشياً معارضاً تلك القرارات بقيادة السيناتور جورج هور

Rossiter Johnson ، The Biographical Dictionary of America ، Vol II American Biographical Society ، Boston ، 1906 .

* **هنري دروموند وولف**:ولد في 12 تشرين الاول 1830 في مالطا، أنظم الى حزب المحافظين ، تسنم مناصب عدة اهمها، المندوب السامي البريطاني في مصر 1885-1887، ومبعوث فوق العادة ووزيراً مفوضاً الى طهران 1888-1891، وسفيراً في مدريد عام 1892 - 1900، توفي في 11 تشرين الاول 908 . لمزيد من التفاصيل، أنظر:
Hugh Chisholm ، Encyclopedia Britannica ، Vol 28 ، Cambridge University Press ، P 775 .

(**George F. Hoar**)1* يوجين هيل (**Eugene Hale**) * اتهموا مؤيدي مشروع ذلك القانون هندسة أزمة خارجية لتحقيق مكاسب سياسية خاصة (Donald Thompson Jr , p. 30) .

قدم اولني تحذيره الى كليفلاند , قائلاً : ((**أن السياسيين الامريكيين من جميع الاطياف بمن فيهم الكونغرس كانوا يدعمون التدخل الامريكي في ذلك النزاع، ومن جانب اخر اخذوا يجذبون النسيم الشعبي الذي اخذ يدعم الثوار الكوبيين، كما اشار باستخفاف بقوله بدأ الكونغرس يميل بشكل غريب الى عكس مسار الدستور ، وأرسال رسائل تحذيرية الى السلطة التنفيذية لعدم تلقي التوجيهات**)) (Hillel Ofek , p. 150).

أقر مجلسي النواب والشيوخ قرار مورغن وكاميرون، أذ كان تصويت مجلس الشيوخ (64) مقابل (6) مع امتناع (10) عن التصويت، بينما كان تصويت مجلس النواب (247) مقابل (27) مع امتناع (80) عن التصويت، كان التأييد الساحق لهذا المشروع مهماً من حيث إضفاء الشرعية في أذهان الجمهور على حق أمريكا في التدخل في كوبا، والمشاركة النشطة للرئيس من أجل تحقيق الاستقلال، بالنظر الى ان هذه القرارات غير ملزمة، أذ علم الكونغرس أنه من غير المحتمل ان يتبع الرئيس كليفلاند توصيات تلك القرارات، أذ كان كليفلاند قد أعلن بالفعل أنه يؤمن بالسيادة الإسبانية على كوبا (Hillel Ofek , Op, pp. 150-151) .

لم يلتزم كليفلاند بتلك الاصوات بتبني القضية لصالحه، على الرغم من تعرضه للتشهير من قبل أعضاء كلا المجلسين، ان تصريحاته بشأن هذه المسألة نقلت تصميمة القوي لصالح سياسة عدم التدخل، كان سياسته ترتكز على قناعاته الخاصة، اذ اعتقد ان ادارة كليفلاند مضطرة لمتابعة مصالحها الاساسية ضمن حدود القانون الدولي، حتى عندما تكون هذه الطاعة مهددة بإغراءات حسنة النية، وان كانت مضللة بنهاية المطاف، وادرك ان الصراع في كوبا يدمر مالكي العقارات الامريكية وينذر بمستقبل قاتم للتجارة الامريكية في الجزيرة (Donald Thompson Jr, p. 30) .

برز معارضو الاعتراف من الجنوب بشكل بارز، أذ كان هنري سانت جورج (**Henry S. George**)*العضو الوحيد في لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الذي عارض قرار الاعتراف بحقوق الحرب، خلال المناقشة في مجلس النواب ناشد جورج الكونغرس أن يحترم مبدأ عدم التدخل الأجنبي كما دعا إليه الآباء المؤسسون، وأشار إلى أن الكلام الفارغ والتعاطف قد يؤديان إلى حرب مكلفة مع إسبانيا، بالإضافة إلى ذلك، انتقد أولئك الذين أيدوا القرار بسبب الاختباء وراء تعبيراتهم عن التعاطف لإخفاء نيتهم الحقيقية لغزو كوبا .

في الكونغرس كان هناك مد متصاعد من المشاعر اتجاه الكوبيين لصالح التدخل الصريح من قبل الولايات المتحدة الامريكية لتحريرهم، أذ أصدر المجلس قراراً في 6 نيسان 1896 لصالح الاعتراف بالقتال، وحث ادارة كليفلاند على تقديم المساعي الحميدة لإسبانيا من أجل الاستقلال الكوبي، اكتفى كليفلاند باقتراح التعاون بهدوء مع إسبانيا لإحلال السلام في كوبا على أساس الحكم

---

* **جورج فريسبي هور**: محامي وسياسي أمريكي، ولد في 29 آب 1826 في مدينة كونكورد في ولاية ماساتشوستس الامريكية، اكمل دراسة الحقوق في جامعة هارفارد عام 1849، تم قبوله في نقابة المحامين، كان عضواً في مجلس الشيوخ الامريكي دورتين 1857 – 1858 و 1877 – 1893 ، عضواً في مجلس النواب الامريكي مرتان 1852 – 1853 و 1869 – 1877 ، توفي في 30 أيلول 1904 . لمزيد من التفاصيل، أنظر :
Hugh Chisholm، Vol 13 ، Op. Cit. ، PP 542 - 543 .

* **يوجين هيل**:ولد في 9 حزيران 1836 في بلدة تيرنر في ولاية مين الامريكية ، اكمل دراسة القانون عام 1857 ، تولى عدة مناصب منها، عضو في مجلس النواب الامريكي ثلاث مرات 1879– 1880 و1867– 1868 و1869 – 1880، رئيس المؤتمر الجمهوري في مجلس النواب 1877 – 1879، وعضو في مجلس الشيوخ 1881 – 1911 ، عضو المؤتمر الجمهوري في مجلس الشيوخ 1908 – 1911، توفي في 27 تشرين الاول 1918 . أنظر:
Jeffrey R. Carson and Sue A. Kohler، Sixteenth Street Architecture ، ol II ، U.S. Government Printing Office ، Washington، 1988 ، PP 152 – 153 .

* **هنري سانت جورج**: سياسي امريكي، ولد في 5 نيسان 1853 في مدينة وينشستر في ولاية فيرجينيا الامريكية، اكمل كلية الحقوق من جامعة واشنطن عام 1876، عمل كأستاذ للقانون الدستوري عام 1897، ومن ثم عميد كلية الحقوق في جامعة واشنطن 1903-1905، كان عضواً في مجلس النواب الامريكي لمرتين 1889– 1897 و 1922 – 1932 ، توفي في 23 تموز 1932. لمزيد من التفاصيل ، أنظر:
John William Kaye، The Life Correspondence of Henry ST. George Tucker Richard Bentley ، London ، 1890 .

الذاتي، رفضت اسبانيا عن طريق وزير خارجيتها كارلوس أودونيل (**Carlos O'Donnell**) * اذ قال:((**أن حكومته ترى من الافضل لتهدئة أوضاع كوبا ، اعتماد تدابير فعالة لمنع انطلاق حملات الدعم والاسناد المنطلقة من الولايات المتحدة الامريكية**)) ، أذ كانوا يخشون من أن الولايات المتحدة الامريكية تريد فصل كوبا من أجل السيطرة عليها.

من بين العوامل المختلفة التي أثرت في تعامل إدارة كليفلاند مع الثورة الكوبية، كان من أهمها الخلافات التي تم أثارتها في الكونغرس حول من يتحكم في اتجاه السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية، تم الطعن في سلطة الرئيس كليفلاند في عدة مناسبات والرفض العنيد للانصياع لإرادة الكونغرس من قبله، لذلك من المثير للاهتمام أن نلاحظ، من ناحية مهمة، أن كليفلاند لم يكن بعيدا عن خصومه في الكونغرس على الرغم من الرغبات الأولية في عدم التدخل في الشؤون الداخلية الإسبانية في كوبا، أظهر مسار الأحداث استعداداً متزايداً للقيام بذلك ، تم انتقاد الإدارة بسبب الأفعال التي قامت بها وتوجه السياسة الخارجية الغير مرضية لهم ولتوجهاتهم .

في خضم ذلك الجدل، رفض كليفلاند العمل على القرار المتزامن الذي يعترف بدعم الثوار ، واصل كليفلاند ووزير خارجيته أولني، تطبيق قوانين الحياد بصرامة أثناء العمل نحو حل دبلوماسي سلمي للأزمة الكوبية، في 1 نيسان 1896، أرسل أولني رسالة دبلوماسية إلى الوزير الإسباني إنريكي دي لوم (**Enrique De Lome**) 1*، توضح بالتفصيل موقف الإدارة فيما يتعلق بالثورة ، أعرب فيها عن خيبة أمل الرئيس كليفلاند لأن إسبانيا لم تفِ بوعودها لسحق الثورة بسرعة، وتابع أولني أن حجم وطول مدة الثورة ألحق أضراراً بالغة بالقدرات الإنتاجية للجزيرة منذ بدايتها ، أذ انخفضت القيمة الإنتاجية للسلع الكوبية بنسبة 75٪ ومع ذلك، طمأن أولني إسبانيا بأن ادارة كليفلاند ليست لديها رغبة التدخل نيابة عن الثوار بسبب المخاوف من أنهم غير قادرين على الحكم الذاتي وأنهم سيورطون الجزيرة في حرب عرقية، وبالتالي، حث أولني إسبانيا على سن إصلاحات داخل الجزيرة، بعد شهرين ردت الحكومة الإسبانية برفض مطلق لمطالب أولني (Marshall E. Schott , p. 96) .

في أوائل تشرين الأول 1896، تساءل دي لوم الذي اتخذ توجهاً جديداً لمعرفة صدق وتوجه الادارة الامريكية ، قائلاً : ((**كيف يمكن للولايات المتحدة الامريكية أن تتعاون مع إسبانيا في ضمان الإصلاحات في كوبا**)) ، أجاب أولني , ((**أن الإصلاحات يمكن وضعها في ديباجة اتفاقية تجارية جديدة بين إسبانيا والولايات المتحدة الامريكية ، كجزء من حث الولايات المتحدة الامريكية على إبرام المعاهدة**)) ، من الواضح أن دي لوم اعتبر الخطة مجدية، لكنه أصر على أن تتضمن المعاهدة أحكاماً بشأن التجنس من أجل إنهاء الانتهاك الاحتيالي لهذا الحق من قبل الكوبيين (Gerald G. Eggert , p. 264).

بعد أن رفضت إسبانيا ذلك العرض، سعى كليفلاند للحصول على معلومات من القنصل العام المعين حديثاً في هافانا فيتزهوغ لي (**Fitzhugh Lee**) *، توقع كليفلاند أن يقوم لي بتقييم عادل ودقيق للوضع العسكري على الأرض وتقديم تحليل ثاقب للإحداث، توصل لي إلى أن الحرب كانت الى طريق مسدود وأن إسبانيا لا يمكنها أبداً إخضاع الثوار بالكامل، كما أكد أن الثوار لن يقبلوا أي إصلاحات إسبانية دون الاستقلال المطلق ، ومن أجل إنهاء النزاع، اعتقد لي أن الولايات المتحدة الامريكية يجب أن تعرض شراء

---

* **كارلوس أودونيل:** دبلوماسي وسياسي إسباني، ولد في 1 حزيران 1834 في مدينة فالنسيا الإسبانية، أكمل دراسة القانون، تسنم منصب وزير الخارجية الاسباني لأربع مرات الاولى 1879 – 1879 والثانية 1890 – 1892 والثالثة 1895 – 1896 والرابعة 1896 – 1897، توفي في9 شباط 1903 . لمزيد من التفاصيل ، أنظر:
Duque De Tetuan ، Revista Hidalguia Numero ، Edicion Hidalgoya ، Madrid ، 1972 ، P 774 .

* **إنريكي دوبوي دي لوم** : دبلوماسي وسياسي أسباني ، ولد في 23 آب 1851 في فالنسيا الاسبانية، تسنم منصب المبعوث الاسباني فوق العادة والوزير المفوض في الولايات المتحدة الامريكية لثلاث مرات دورات الاولى في عهد الرئيس تشستر ارثر 1883 – 1884 والثانية بنيامين هاريسون 1892 – 1893 والثالثة جروفر كليفلاند 1895 – 1898 ، توفي في 1 تموز 1904 . أنظر :
Mario G. Losano ، Viaggiatori Spagnoli ، Madrid ، 2012 ، PP150 – 152 .

* **فيتزهوغ لي** : ولد في 19 تشرين الثاني 1835 في مقاطعة فيرفاكس في ولاية فيرجينيا الامريكية ، تسنم منصب حاكم فرجينيا الاربعون 1886 – 1890 ، في نيسان 1896 تم تعيينه من قبل كليفلاند قنصل عام في هافانا مع اضافة واجبات ذات طابع دبلوماسي وعسكري له ، توفي في 28 نيسان 1905 ، لمزيد من التفاصيل ، أنظر :
Edward Longacre ، Fitz Lee A Military Biography of Major General Fitzhugh Lee ، Da Capo Press ، 2005 .

الجزيرة من إسبانيا، ليمكن بعد ذلك تنظيم جمهورية تحت إشراف امريكي، اعربت إسبانيا عن ارتياحها لعدم وجود رغبة للإدارة الامريكية للتدخل في المسألة الكوبية (Gerald G. Eggert , p. 259).

أثارت تقارير لي من انزعاج كليفلاند، أذ كان يأمل أن توفر الظروف في الجزيرة فرصة لمبادرات دبلوماسية مستقبلية، أما بالنسبة لاقتراح لي لشراء الجزيرة، فقد أعطى كليفلاند الإجراء القليل من الاهتمام الجاد اتجاهه معبراً عن ذلك بالقول:((**بما أن الولايات المتحدة لا ترغب في شراء الجزيرة ، فسيكون من الحماقة شرائها وتسليمها إلى الكوبيين الأصليين، الذين يشك في أنهم غير قادرين على الحكم الذاتي**)) (Quoted in : Marshall , p. 97) .

امر كليفلاند اولني ان يتواصل مع دي لومي ، اذ ارسل اولني بلاغ في 4 نيسان 1896 صادر من الرئيس كليفلاند، جاء فيه : ((**... إن مصلحة الولايات المتحدة الامريكية في الوضع الحالي في كوبا لا تخضع إلا لمصلحة إسبانيا نفسها هنالك العديد من الآراء المصرة على التدخل في النزاع هو الحل الفوري ، وواجب الادارة الامريكية الآن النظر فيما إذا كانت الظروف الحالية ستبرر مثل هذا التدخل في الوقت الحاضر ، ومع ذلك ، إن الهدف من هذا البلاغ ليس مناقشة التدخل أو اقتراح التدخل أو تمهيد الطريق للتدخل ، والهدف هو العكس تماماً لاقتراح ما إذا كان لا يمكن إيجاد حل للمشكلات الحالية مما سيمنع كل فكرة عن التدخل بجعله غير ضروري ، ما ترغب الولايات المتحدة الامريكية في القيام به ، إذا أمكن الإشارة إلى الطريق ، هو التعاون مع إسبانيا في التهدئة الفورية للجزيرة على خطة مثل ترك إسبانيا حقوقها في السيادة، والتي ستؤمن لشعب الجزيرة كل هذه الحقوق والسلطات للحكم الذاتي المحلي ولتحقيق هذه الغاية ، تعرض الولايات المتحدة وستستخدم مساعيها الحميدة في الوقت وبالطريقة التي يُنظر إليها على أنها أكثر استحساناً ويعتقد أن وساطتها لا ينبغي رفضها في أي جهة ، حيث لا يمكن لأي شخص أن يسيء فهم الغرض منه أو يسيء الثقة فيه**)) (Quoted in : Henry James, 1923, p. 171) .

كرر كليفلاند معارضته للاعتراف بحكومة الثوار المفترضة لأنها تخلت عن كل محاولاتها لممارسة وظائفها كما يقتضي القانون الدولي، ثم وجه تحذيراً شديد اللهجة لإسبانيا، مؤكداً أن صبر الادارة الامريكية على عدم قدرة إسبانيا على استعادة سلطتها السلمية على الجزيرة بأكملها وصل إلى مرحلة حرجة، رغم الرغبة الموجودة لدى الأمريكيين في تدخل الولايات المتحدة الامريكية النشطة لحماية استثماراتهم في الجزيرة، اخذ يحذر من أنه إذا أصبحت سلطة إسبانيا غير فعالة تماماً ، وأصبحت الحرب ضرورية من أجل فرض السلام، فستضطر الولايات المتحدة الامريكية إلى التدخل لأسباب إنسانية ، لم يمثل تحذير كليفلاند لإسبانيا أي تغيير مهم في موقف الحكومة الاسبانية على الرغم من لهجة الرسالة الأكثر صرامة تجاه إسبانيا، ما زال الرئيس يرفض الاعتراف بالحقوق القتالية للمتمردين الكوبيين، أذ اعتبر الاعتراف مستحيل لأن الثوار لم يكن لديهم حكومة يعترفون بها، ليس من المستغرب أن يرى وزير دي لومي أن الرسالة مواتية لإسبانيا بشكل واضح، وأن كليفلاند لم يخطط لأي إجراء آخر بشأن المسألة الكوبية خلال الأشهر الأخيرة من منصبه (Marshall E. Schott , p. 101).

في التعامل مع المشكلة الكوبية، حقق كليفلاند العديد من الانجازات الصغيرة، كانت احد هذه الانجازات ذات اهمية كبرى ، لقد طبق قوانين الحياد الصارمة وقام بحماية الحقوق الامريكية والممتلكات في كوبا، ومارس الضغط على اسبانيا للتعهد بتغيرات دستورية في كوبا، وقبل كل شيء حافظ على السلام. وإذا قلنا أن سياسة كليفلاند الخارجية كانت سلبية ولم تحظ بدعم العديد من أعضاء الكونغرس، الا انها حافظت على موقف هادئ وثابت وبعيد عن الحرب في مواجهة وضع شديد التقلب. علاوة على ذلك، فإن الإطار القانوني الذي حاول كليفلاند تطبيقه طوال مدة وجوده في المنصب يجب اعتباره ناجحاً فيما يتعلق بكوبا.

الخاتمة :

عاشت كوبا أوضاعاً سيئة نتيجة السيطرة الاسبانية عليها ، فكان الحكم الاسباني في كوبا يغلب علية طابع الفساد والعنف ومحاربة كل الحركات التي تهدف الى استقلال المؤسسات الكوبية ، فعملت اسبانيا على غلق كوبا امام العالم الخارجي وأحكمت السيطرة عليها.

يمكن الجزم أن اساس السياسة الامريكية الخارجية المتبعة من قبل جروفر كليفلاند تهدف في الاساس المحافظة على مبدأ مونرو وعدم التدخل في شؤون الدول الخارجية ، واكد على سياسة الحياد الامريكية تجاه الاطراف المتحاربة، وركز في سياسته هو الابتعاد عن الوقوع في حرب مكلفة مع اسبانيا، وعمل على ترسيخ مبدأ الدبلوماسية لإنهاء الثورة في كوبا بطريقة سلمية .

المصادر والمراجع

المصادر العربية

عبدالله حميد مرزوك حسين العتابي , العلاقات السياسية بين الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا 1895 – 1902 , اطروحة دكتوراه , كلية التربية ابن رشد , جامعة بغداد , 2007, ص 164 ..americon .(150–154) *Hillel Ofek .*

ألان نيفينز و هنري ستيل كوماجر , موجز تاريخ الولايات المتحدة , تر. محمد بدر الدين خليل , ط1 , الدار الدولية للنشر والتوزيع , القاهرة , 1990 , ص 416 .

حسين محسن هاشم .(1898–1914) .جامعة بغداد :رسالة ماجستير.

عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين , تاريخ الولايات المتحدة الامريكية من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين , دار الفكر العربي , القاهرة , 1999 , ص 134 ..(1923) *Quoted in : Henry James.*

حسين محسن هاشم القصير , السياسة الأمريكية تجاه كوبا 1898 – 1914 , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب , جامعة بغداد , 2006 , ص 54 ..America .(1970) *Thomas A. Bailey .*

عبدالله حميد مرزوك حسين العتابي , المصدر السابق , ص ص 176 – 177..london .(1974) *Gerald G. Eggert .*

المصادر الاجنبية

Christopher Hull , The Palgrave Macmillan British Diplomacy and US Hegemony in Cuba 1898 – 1964 , London , 2013 P 25 .

Thomas A. Bailey , A Diplomatic History of The American People , New Jersey , The United Stated of America , 1970 , P 453 .

Quoted in : F. R. U. S. (1896).

Gerald G. Eggert , Richard Olney Evolution of A Statesman , The Pennsylvania State University Press University , Park and London , 1974 , P 255 *Christopher Hull* . (1898-1964). london.

Marshall E. Schott , The South and American Foreign Policy 1894 – 1904 Regional Concerns During the Age of Imperialism , PhD thesis (Unpublished) , University of Louisiana , 1995 , P 77 .

Hillel Ofek , A Just Peace : Grover Cleveland William McKinley and the Moral
Basis of American Foreign Policy , The University of Texas at Austin , 2018 , PP 150 - 154 .

Donald Thompson Jr , The Partisan politics that led to the Spanish-American War , PhD thesis (Unpublished) , Eberly College of Arts and Sciences , West University , Virginia , 2008 , P 25 .

Walter Lafeber , The New Empire: An Interpretation of American Expansion 1860 – 1898 , Cornell University Press , 1967 , PP 295 – 296.

Quoted in : F. R. U. S. Papers Relating to the Foreign Relations of the United States , 7 December 1896 , Message of the President .

Samuel Flagg Bemis , A Diplomatic History of the United States , Henry Holt and Company , New York , 1936 , P 421 ؛ Keane A. Clyde , The Guyana-Venezuela Territorial Controversy: the International Approaches of the Government of Guyana 1966 – 1992 , Thesis phD , Westfield College , The University of London , P. 439 .

دولة الرفاهية والرأسمالية الشعبية : دراسة مقارنة بين سياسة كليمنت أتلي ومارغريت تاتشر

أ.م.د. كريم عجيل الزاملي

kareem.a.falh@aliraqia.edu.iq

الجامعة العراقية ، كلية الاداب ، قسم التاريخ

ملخص

نحاول في هذه البحث تسليط الضوء على مرحلتين تاريخيتين من تاريخ بريطانيا الاولى مرحلة تولي كلمنت اتلي منصب رئاسة الوزراء وسعيه الى تطبيق سياسة جديدة في بلاده في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية بما ينسجم مع توجهات حزب العمال الذي ينتمي له , اما المرحلة الثانية هي مرحلة مارغريت تاتشر رئيسة وزراء عن حزب المحافظين فقد ايضاً تولت المسؤولية في مرحلة تاريخية مهمه تمثلت في انقسام العالم الى محورين الاول رأسمالي , والثاني شيوعي وسط تراجع دور بريطانيا العالمي.

على الرغم من تباعد المدة التاريخية بين كليمنت اتلي(1945_1951) ومارغريت تاتشر (1979_1989) نحاول في هذه الدراسة ايجاد نقاط التقارب والتقاطع بين سياستهما نظراً لدور تلك الشخصيتين في قيادة حزبيهما وبريطانيا فكلاهما صاغة نظرية حكم بما ينسجم من توجه حزبهما والافكار التي يؤمنان بها .

يمكن القول ان كلا السياستين دولة الرفاهية والرأسمالية الشعبية , قد جاءتاً كاستجابة للظروف التي تمر بها بريطانيا نتيجة تدهور الاوضاع الاقتصادية في البلاد وكان تطبيقهما قد اسهم بشكل كبير في ايجاد حلول لتلك الاوضاع المتدهورة.

على الرغم من الاختلاف الكبير بين السياستين من ناحية المنطلقات الايدلوجية والتطبيق , لكنهما كانتا قد استهدفتا نفس القطاعات الصناعية ونفس الشرائح الاجتماعية , وكلاهما شمل قطاع الصناعة والصحة والسكن واصلاح والتعليم و القضاء على البطالة.

من هذا المنطلق نلاحظ ان الحزبين الرئيسيين حاولا حل المشاكل التي تمر بها البلاد وفق فلسفته الخاصة ووفق برنامجه الانتخابي

الكلمات المفتاحية : تاتشر , اتلي , بريطانيا

The prosperity and popular capitalism state : A comparative study between the policies of Clement Attlee and Margaret Thatcher

Asst. Prof. Kareem Ajeel al-Zamili, Ph.D

Al-Iraqia University, College of Arts, History Department

Abstract

The history of Britain has received attention from researchers due to its role in global history, and this interest has become clear from studies examining all areas of life, whether economic, political, or social, and following up on all developments that Britain has witnessed.

From this standpoint, we are trying in this study to shed light on two historical stages in the history of Britain. The first is the stage of Clement Attlee assuming the position of Prime Minister and his endeavor to implement a new policy in his country in the post-World War II period, in line with the tendencies of the Labor Party to which he belongs. As for the second stage It is the era of Margaret Thatcher, Prime Minister of the Conservative Party. She also assumed responsibility at an important historical stage, which was represented by the division of the world into two axes, the first capitalist and the second communist, amid the decline of Britain's global role.

Keywords : Thatcher, Attlee, Britain

المقدمة

نال تاريخ بريطانيا اهتماماً من لدن الباحثين نظراً لدورها في التاريخ العالمي , واتضح هذا الاهتمام من تطرق الدراسات لجميع مجالات الحياة سواء كان منها الاقتصادي ام السياسي ام الاجتماعي ومتابعة جميع التطورات التي شهدتها بريطانيا.

ومن هذا المنطلق نحاول في هذه البحث تسليط الضوء على مرحلتين تاريخيتين من تاريخ بريطانيا الاولى مرحلة تولي كلمنت اتلي منصب رئاسة الوزراء وسعيه الى تطبيق سياسة جديدة في بلاده في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية بما ينسجم مع توجهات حزب العمال الذي ينتمي له , اما المرحلة الثانية هي مرحلة مارغريت تاتشر رئيسة وزراء عن حزب المحافظين فقد ايضاً تولت المسؤولية في مرحلة تاريخية مهمه تمثلت في انقسام العالم الى محورين الاول رأسمالي , والثاني شيوعي وسط تراجع دور بريطانيا العالمي.

على الرغم من تباعد المدة التاريخية بين كليمنت اتلي(1945_1951) ومارغريت تاتشر (1979_1989) نحاول في هذه الدراسة ايجاد نقاط التقارب والتقاطع بين سياستهما نظراً لدور تلك الشخصيتين في قيادة حزبيهما وبريطانيا فكلاهما صاغة نظرية حكم بما ينسجم من توجه حزبهما والافكار التي يؤمنان بها .

ومن اشكاليات اختيار الموضوع نثير مجموعة تساؤلات ومنها:

1- هل اسهمت ظروف بريطانيا في وصولهما الى الحكم.

2- هل استطاعا كل من كليمنت أتلي ومارغريت تاتشر صياغة فلسفة خاصة فيهما من تجربتهما الخاصة في الحياة.

3- هل اسهم كليمنت أتلي ومارغريت تاتشر في النهوض بحزبيهما وصولهما على الحكم نظراً لخطابهما السياسي.

4- هل استطاعا احداث تغيراً في البنية الاجتماعية والاقتصادية لبريطانيا خلال مدة حكمهما .

5- هل نجحا في تطبيق نظريتهما في الحكم خلال مدة توليهما مهام رئاسة الوزراء.

نحاول في هذه الدراسة مناقشة تلك الاشكاليات من خلال الاعتماد على منهج التحليل والاستنتاج بعيداً عن السرد , وقد تكونت الدراسة من مقدمة ومبحثان وخاتمة , جاء المبحث الاول تحت عنوان (كليمنت أتلي و سياسة دولة الرفاهية) , بينما كان جاء المبحث الثاني تحت عنوان (مارغريت تاتشر وسياسية الرأسمالية الشعبية) , وسلطت الخاتمة الضوء على اهم الاستنتاجات التي توصلت لها الدراسة.

المبحث الاول : كليمنت اتلي وسياسة دولة الرفاهية

كليمنت أتلي (3 كانون الثاني 1883 – 8 تشرين الاول 1967) ولد في لندن وهو الابن السابع من ثمانية ابناء من عائلة تنتمي الى الطبقة الوسطى , كان والده محامياً معروفاً ولديه علاقات تجارية واسعة , درس كليمنت أتلي في جامعة اكسفورد , واثناء تدربه كمحامي في منظمة خيري شبابية تدعى (هيليبيري هاوس) في عام 1905 , قام بزيارات منتظمة الى حي ايست اند الفقير الذي يقع في شرق لندن لاعمال خيرية (Dickens, 2018, p. 5) , وقد شهد الفقر الذي تعيشه المنطقة , وكانت تلك الزيارات بمثابة نقطة تحول في حياته , الامر الذي اثر في تشكيل ارائه السياسية وتركت تلك التجربة اثراً عميقاً في شخصية كليمنت أتلي , واصبح عضواً نشيطاً في لجنة الرعاية المدرسية , وقام بتنظيم وجبات مدرسية مجانية وقام بزيارت عائلات لطلبة عرفوا بالفقر , وكان يصف نفسه بأنه اشتراكي , لذلك صرف من ماله الخاص على بعض الطلبة ممن عرفوا بالفقر المادي وكان سببا في انضمامه الى حزب العمال عام 1909 (McIvor, Rachel Reeves and Martin, 2014, p. 47) .

وعند صدور قانون التأمين الوطني الالزامي الذي شمل المرض والبطالة , عمل كليمنت أتلي كمفسر لهذا القانون , وفي عام 1912 عمل محاضراً في قسم العلوم الاجتماعية والادارية في كلية لندن للاقتصاد , قام بتدريس التقنيات العملية للعمل الجماعي (McIvor, Rachel Reeves and Martin, 2014, p. 48).

وعند اندلاع الحرب العالمية الاولى (1914- 1918) عمل كلمنت أتلي في الجيش البريطاني , وكان برتبة نقيب في الكتيبة السادسة من اللواء 38 من الفرقة 13 (الغربية) , وتم إرساله للقتال في حملة جاليبولي في تركيا , ثم ارسل مع القوات البريطانية التي دخلت لاحتلال العراق, و في نيسان عام 1916 اصيب بشظايا في ساقة أثناء اقتحام خندقاً للقوات العثمانية أثناء معركة حنا إرساله

على اثرها إلى الهند للعلاج , ثم عاد إلى بريطانيا , و في شباط عام 1917 , تمت ترقيته إلى رتبة رائد , وامسى معروفًا باسم "الميجور أتلي" , وخلال عام 1917 استمر في تدريب الجنود داخل مواقع مختلفة من بريطانيا , بعد الشفاء التام من إصاباته , تم إرساله إلى فرنسا في حزيران عام 1918 للخدمة في الجبهة الغربية في الأشهر الأخيرة من الحرب , وفي كانون الثاني عام 1919 ترك الجيش وعاد الى مدينة ستيبني , وعمل محاضر في كلية لندن للاقتصاد , فضلاً عن ذلك أصبح عمدة مدينة سينيستي عام 1919, وهي اكثر مناطق لندن فقراً(Dickens, 2018, p. 6) .

حاول كليمنت أتلي ان يقدم نفسه كسياسي يساري ويهيئ نفسه لمهنة سياسية وطنية , كما قدم نفسه كمفكراً في حزب العمال عندما اصدر في نهاية عام 1920 كتاباً حول العمل الجماعي تحت عنوان الاخصائي الاجتماعي The Social Worker , وتطرق فيه الى موضوعات عدة منها: الخدمة الاجتماعية والمواطنة , مؤسسات خيرية , تنظيم العمل الاجتماعي , الخدمة الاجتماعية بالتعاون مع السلطات الحاكمة المركزية والمحلية , مؤهلات وتدريب الاخصائي الاجتماعي , وقد مثلت تلك الموضوعات اهم محاور الكتاب (Attlee, 1920, p. 252).

على الرغم ان الكتاب لم يحقق نسبة مبيعات عالية اذ بيعت اقل من 700 نسخة فقط , الا انه كان كتاباً مثيراً للاهتمام , نظراً لعرضه بعض المشاكل الاجتماعية , ووضع اسساً للعمل الجماعي وخدمة المجتمع , فضلاً عن ذلك مثل الكتاب فلسفة وراوية كليمنت أتلي حول الدور الصحيح للدولة , والفرد والاسرة , والقطاع الخاص , ووجه نقداً للجمعيات الخيرية التي تدعم الفقراء بسبب اساليبهم القديمة القائمة على فكرة الاحسان , ودعا مؤسسات الدولة الى اخذ دور اكبر في دعم الفقراء عن طريق فكرة الخدمة الاجتماعية التي تستند على العدالة الاجتماعية للمواطنين (Dickens, 2018, p. 12), ودعا كليمنت أتلي الجمعيات الخيرية ومؤسسات الدولة الاعتماد على اخصائيين اجتماعيين وهؤلاء المختصين اسماهم العامل الاجتماعي والذي عليه ان يتمتع مؤهلات منها التعاطف وهذا التعاطف يجب ان يكون مبني على فهم ظروف حياة الناس ومعرفة مستواهم الاقتصادي , وان يكون للعاملين الاخصائيين قدرة على تقيم سياسة الدولة وتحديد نقاط القوة والضعف في تلك السياسة (Attlee, 1920, p. 119) .

وتوصل الى استنتاج مفاده أن اكثر أشكال العمل الاجتماعي فعالية هي تنظيم العمال الذاتي لأنفسهم ويشكل " أهم حركات التقدم الاجتماعي " , وهذا التقدم يتم عن طريق العمل المشترك بين المواطنين ومؤسسات الدولة بعيداً عن النظام البيروقراطي في ادارة مؤسسات الدولة والشركات الخاصة (Attlee, 1920, p. 252) .

أنتخب كليمنت أتلي عضواً في مجلس العموم البريطاني عام 1922 ممثلاً عن دائرة لايم هاوس في ستيبني في ذلك الوقت , كان كليمنت أتلي معجبًا بشخصية الزعيم العمالي رمزي ماكدونالد Ramsay MacDolnald وساعده في انتخابه كزعيماً لحزب العمل في انتخابات لذلك شغل منصب السكرتير الخاص لرئيس الوزراء في البرلمان خلال عام 1922 , بعد ذلك شغل منصب (وزير اصغر) وكيل وزارة الخارجية للحرب في حكومة حزب العمال الأولى بقيادة ماكدونالد عام 1924 ، في عام 1927 , تم تعيينه عضوا في لجنة سيمون التي اشتركت فيها اغلب الاحزاب السياسية , ومثل كليمنت اتلي حزب العمال بترشيح من ماكدونالد, وهي لجنة ملكية أنشئت لدراسة إمكانية منح الحكم الذاتي للهند , وخلال عمله في اللجنة توصل الى استنتاج بأن الحكم البريطاني غريب على الهند ولا يمكن لبلده ان تقدم خدمات للهند تمكنه من التطور اقتصادية او اجتماعياً , لذا كان متعاطفاً بشكل كبير مع استقلال الهند , بعد ذلك شغل منصب وزير دولة في حكومة ماكدونالد الثانية , وحصل أتلي على منصب مستشار دوقية لانكستر في اذار 1931, وهو المنصب الذي شغله لمدة خمسة أشهر حتى , عندما سقطت حكومة العمل نتيجة لخسارته 200 مقعداً برلمانياً , ولم يتبقى لها في البرلمان سوى 52 نائب , كان كليمت أتلي واحد من القادة القلائل الذي احتفظوا بمعقدهم بعد هزيمة حزب العمال في انتخابات 1931 بسبب فشل الحزب في التعامل مع الازمة المالية نتيجة للكساد الكبير التي ضرب الاقتصاد العالمي , واصبح نائب رئيس الحزب , وعندما قدم جورج لابنسر استقالته في عام 1935 , اصبح كليمنت أتلي زعيماً للحزب (Dickens, 2018, p. 9) .

وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية (1939- 1945) تشكلت حكومة ائتلافية بقيادة ونستون تشرشل اصبح كليمنت أتلي نائب لرئيس الوزراء (شريف، 2005), وفي اثناء تواجده في منصبه كان دوره متابعة الشؤون الداخلية لبريطانيا , نظرا لانشغال رئيس الحكومة بشؤون الحرب ومتابعة الدبلوماسية الخارجية والسياسة العسكرية (Dickens, 2018, p. 19) .

قام حزب العمال بحملته الانتخابية ورفع شعار " دعونا نواجه المستقبل" وضعوا أنفسهم كحزب في وضع أفضل لاعادة بناء بريطانيا بعد الحرب , كما روج حزب العمال الى دولة الرفاه التي تمثل سياسة اقتصادية واجتماعية ديمقراطية مختلفة عن السياسة الرأسمالية التي كان يتبناها حزب المحافظين , الذي ركزه في حملته بالكامل حول ونستون تشرشل باعتباره بطلاً للحرب (Symonds, 2010, p. 22).

اصدر حزب العمال بياناً انتخابياً وعد فيه الناخبين بأجراء اصلاحات اقتصادية وخاصة في مجال الصناعات والطاقة والنقل والتخطيط , بشكل تفصيلي لتأميم القطاعات الاقتصادية والاجتماعية وتشغيل اكبر عدد من العمال , وفي ذلك الاطار القى كليمنت أتلي خطاباً قال فيه : " الانتخابات القادمة ستكون اعظم اختبار في تاريخنا للحكم والحس السليم لشعبنا , الامة تريد الغذاء والعمل والمنازل .. بل اكثر من ذلك تريد طعاماً جيداً بكثرة , وعمل مفيد للجميع , ونظام تعليمي يمنح كل صبي وفتاة لتطوير افضل .. ان مشاكل وضغوط عالم ما بعد الحرب تهدد امننا وتقدمنا بكل تأكيد كما هددهم الالمان " (Byrne, 2012, p. 23) .

كما اكد كليمنت أتلي في خطابه على ان حزب العمال عن الحرية – حرية العبادة – وحرية التعبير – وحرية الصحافة , وتعهد بأن يحافظ على تلك الحريات وتوسيعها , وانه يعمل مرة اخرى على اعادة الحريات المدنية الشخصية وحرية النقابات التي كانت موجودة قبل الحرب , واضافه ان هنالك بعض الحريات المزعومة التي لن يتهاون فيها حزب العمال وهي : حرية استغلال الاخرين , وحرية دفع الاجور الضعيفة , ورفع قيمة الارباح بدون ضوابط قانونية , وحرية حرمان الناس من وسائل العيش الكامل والسعيدة والصحية , كما اكد على ان الامة تحتاج الى اصلاحات هائلة وبرامج كبيرة لتحديث واعادة تجهيز منازلها ومصانعها والانهار , ومدارسها , والخدمات الاجتماعية , وبين ان حزب العمال يضع مصلحة المجتمع اولاً, والمصالح المقطعية للشركات الخاصة , وانه عازم على وضع حد لحرية الاقتصاد ووضع رغبات ومصالح البريطانيين فوق مصالح الشركات (Wilfred, 1964, p. 43) .

اثر خطاب كليمنت أتلي في الجماهير التي ارادت وضع حد للتقشف في زمن الحرب , وعدم العودة الى الكساد الاقتصادي , وكانت الجماهير البريطانية تواقه الى التغير من اجل حياة معيشية افضل , لذلك حقق كليمنت أتلي وحزب العمال انتصار في الانتخابات على حساب المحافظين بقيادة ونستون تشرشل , عندما حصل على اثنا عشر مليون صوت ما يعادل 48 % بواقع 393 عضو في مجلس النواب , مكنته من تشكيل الحكومة العمالية الاولى بعد الحرب (Wed, 2005) .

شرع كليمنت أتلي بتطبيق سياسته بأنشاء دولة الرفاهية welfare state من المهد الى اللحد Cradle to grave , اذ كان يعتقد أن دولة الرفاه الاجتماعي تتحقق بتوفر رعاية اجتماعية وهذه الرعاية مرتبطة ببرنامج اقتصادي واسع , من خلال معالجة اسباب الفقر , ودعم النقابات العمالية بشكل يمكنها من مساومة الشركات , من اجل رفع اجور العمال , فقد اعتقد بأن البطالة هي مرض المجتمع الصناعي , وأن تبني مشروع دولة الرفاهية جاء كردة فعل على ظروف بريطانيا ما بعد الحرب العالمية الثانية وكحالة وسطية بين الصراع الناشئ بين النظام الرأسمالي والنظام الشيوعي , واذا ما اراد تطبيق دولة الرفاهية علية القيام بالاتي (McIvor, Rachel Reeves and Martin, 2014, p. 53) :

1- تنظيم وتوجيه الفعليات والنشاطات الاقتصادية بالاتجاه الذي يخدم الصالح العام .

2- من اجل القيام بدور فاعل في المجتمع يجب على الدولة امتلاك وسائل الانتاج عن طريق التأميم .

3- تنظيم العلاقة مع النقابات العمالية لانها تمثل العمال عن طريق تقديم المعونات وأسهام النقابات في تحقيق الانسجام بين الادارات الرأسمالية والعمال .

4- تنظيم السياسة المالية العامة , بما يضمن استخدام الانفاق العام والضرائب والقروض لتحقيق اهداف دولة الرفاه .

5- توفير فرص عمل من اجل تحقيق التشغيل الكامل لتحسين وضع الفقراء من خلال تقليل حجم البطالة (الحسني و علي، 2006، الصفحات 103-104) .

قدم حزب العمال برنامجاً اصلاحياً الاكثر اهمية في تاريخ بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية , اذ تضمن ذلك البرنامج اصلاحات اقتصادية واجتماعية , واصدار عدداً من القوانين والتشريعات وتطبيقيها وكان من اهمها تقليص او تجريد بعض صلاحيات اعضاء مجلس اللوردات, والتفكير بجدية حيال طرح مشروع لائحة لاصلاح مجلس اللوردات, لاسيما ما يتعلق باللوائح العامة التي تتم الموافقة عليها وتمرر من اعضاء مجلس العموم , فضلا عن ضرورة تقديم لائحة لاصلاح النظام الانتخابي (الموسوي، 2007، صفحة 249) , في اطار اقامة دولة الرفاهية التي روج لها كليمنت أتلي اثناء حملته الانتخابية عن طريق التوظيف الكامل وتحفيز الدولة للاقتصاد و تقديم الخدمات الصحية والاجتماعية وكما يلي :

اولاً : قانون الخدمة الصحية الوطنية عام 1946 , يعد من اشهر انجازات حكومة كليمنت أتلي اذ وفر رعاية صحية مجانية لجميع البريطانيين عن طريق أنشاء الخدمة الصحية الوطنية , يمول من القطاع العام ويقدم العلاج مجاناً للجميع , وقد حظي القانون بشعبية كبيرة (يحيى، 1978، صفحة 235) , فضلاً عن اسهمه في زيادة معدل العمر , الا ان القانون وجه بعض المعارضة بسبب ذهاب الناس الى الطبيب لحالات لم تكن طارئة , مما حمل الاطباء فوق طاقتهم في أثناء عملهم , وقد عارضت الجمعية الطبية البريطانية القانون وبينت ان الاطباء سينظر لهم كضباط بأجر , كذلك عارض حزب المحافظين القانون تحت ذريعة ان بعض العلاج المجاني كان متاحاً في بعض المستشفيات, لذا تأخر تطبيق القانون لمدة عامين , وشرعت الحكومة بتنفيذه في شهر تموز عام 1948 , وعن طريق الرعاية الصحية تم معالجة اسنان ثمانية ملاين وخمسمائة شخص و وزع اكثر من خمسة ملايين نظارة طبية خلال السنه الاولى من تطبيق القانون , كما عملت الحكومة على تحسين سكن العاملين في التمريض والاطباء , وتوفير ستون الف سرير للمرضى وتوفير لقاحات للطلبة والمرضى المصابين بالسل والامراض المعدية والالتهابات , وتوفير الدعم للمكفوفين زادت حكومة كليمنت أتلي الانفاق الصحي خلال المدة من 1948- 1951 من سته مليار الى احدى عشره مليار جنيه استرليني بزيادة قدرها اكثر من 50% , اي ما يعادل 2.1% الى 3.6% من اجمالي النتاج المحلي (Wed, 2005) .

ثانياً : قانون التأمين الوطني عام 1946 , يعد احد اهم ركائز دولة الرفاه , فقد شمل التأمين كل مواطن بريطاني بغض النظر عن دخله وشمل العاطلين عن العمل ايضاً , وبذلك تكون دولة الرفاهية وسيلة لتقليل من حدة الفقر وتوسيع نطاق الامن الاجتماعي , وفي ذلك الاطار اكد على ضرورة اكدت حكومة كليمنت أتلي على التعاون مع النقابات العمالية من اجل التنسيق بين اصحاب العمل و الموظفين لمعالجة البطالة والاجور المنخفضة , لكي لا يصبح التأمين والرعاية الاجتماعية بديل للعمل فالأجور والوظائف الجيدة يتم القضاء على البطال (Blackburn, 2007, pp. 9-10) .

ثالثاً : التأميم : كان حزب العمال يؤكد ان احد اهدافه السيطرة على الصناعة عن طريق الملكية المشتركة بين الحكومة والقطاع الخاص , وتأميم جزء من الاقتصاد البريطاني وخاصة في الصناعات التحويلية , وبالفعل اعلن في عام 1945 تأميم 20% من الاقتصاد البريطاني , وتعهد كليمنت أتلي وحزب العمال بتأميم بنك انكلترا وصناعات الوقود والطاقة والحديد والصلب والنقل , وتوفير العماله الكاملة وبأجور عادلة ولا سيما عمال حفر مناجم الفحم البالغ عددهم قرابة مليون عامل يعانون من ظروف عمل خطيرة , لذا فقد طرحت لائحة تأميم صناعة الفحم Iron and Stee , وتعد من اسرع اللوائح التي مررت في البرلمان خلال حقبة الحكومة العمالية , اذ انها طرحت للقراءة الاولى في مجلس العموم في التاسع عشر من كانون الاول 1945ومررت خلال اربعة اشهر فقط, بين طرحها في القراءة الاولى والمصادقة الملكية عليها. وقد تضمنت اللائحة ثلاثة مواد, الاولى, تضمنت تشكيل مجلس ادارة من تسعة اعضاء يتولى مهمة ادارة المناجم, والثانية, تتضمن مناقشة الامور المتعلقة بصرف التعويضات للمساهمين, والثالثة, تتعلق بمناقشة مشاكل صناعة الفحم من تذبذب الانتاج وانخفاض او ارتفاع الاسعار وسبل المعالجة (العاني، 1996، صفحة 225) .

لذا شرعت الحكومة بتطبيق تعهداتها فأصدرت قانون تأميم صناعة الفحم عام 1946 , حددت بموجبه اسبوع العمل لعمال المناجم بخمسة ايام فقط , واعطاء راتب تقاعدي للعمال المعاقين , كذلك اصدرت قانون المدن الجديدة عام 1946 , واعطى هذا القانون الحق للمجالس المحلية في شراء الالزامي للاراضي , من اجل اعادة تخطيط المدن من جديد بما ينسجم مع خطط التنمية كما طرحت الحكومة لوائح لمشاريع عامة اجتماعية واقتصادية وقد دفعت كثرة التعديلات التي طالت لائحة تخطيط المدن والبلدات Town and County

Planning Bill التي طرحتها الحكومة العمالية في سنة 1947, وبذلك تم تأميم حقوق التنمية عن طريق انشاء سلطات تخطيط قوية بعد اصدار قانون تخطيط المدن والبلاد العام في عام 1947 , واصبحت شركات تنمية تمارس سلطات قوية في الاستحواذ وتأميم الاراضي الزراعية بحجة تطبيق التنمية الشاملة للبلاد واعادة تخطيط وتطوير المناطق الحضرية والزراعية (Thompson, 2007, pp. 87-89) .

كما اصدرت قانون تأميم الكهرباء 1947 , وقانون تأميم السكك الحديدة والنقل لمسافات طويلة 1947 , فضلاً عن التعديلات التي طالت لائحة النقل والمواصلات TheTransport Bill والتي طرحت في آيار من السنة نفسها , والتي بلغ مجموعها 240 تعديلاً على مواد اللائحة , على الحكومة العمالية واعضاء مجلس العموم المؤيدين للاصلاح (Carlin, 2012, p. 67) .

ان عملية التأميم خلال حكم كليمنت أتلي كانت تتم بشكل جزئي مما اربك الهيكل الاداري في بعض الشركات , ولاسيما ان حزب العمال قد انتقد بشكل كبير أنشاء المجلس الوطني للفحم على اعتباره يمثل شركة عامة لتشغيل عمال مناجم الفحم , بالمقابل من ذلك اسهمت عملية التأميم في تطوير بعض الشركات المتلكئة اذ وفر التأميم دعماً حكومياً لتلك الشركات , فضلاً عن توفير ظروف جيده لعمل المناجم والمزارعين , وتحسين الظروف المعاشية ورفع مقدار الاجور لثلاثة ونصف مليون عامل , مما اسهم في زيادة حجم الانتاج بشكل كبير , اذا زاد حجم الانتاج الزراعي خلال العامين 1947- 1951 بنسبة 20% , بالاعتماد على الوسائل الحديث في الزراعة , بفضل الدور الكبير لمجلس الاجور الزراعية الذي أنشئ عام 1948 وقام بتحديد الحد الادنى للاجور وتوفير القروض للعمال الزراعيين بنسبة تصل الى 90% من تكلفة بناء منازلهم وتوفير الخدمات لتلك المنازل , مما اسهم في تجاوز ازمة نقص الغذاء التي مرت بها بريطانيا والعالم بعد العرب العالمية الثانية (Grady, 2013) .

رابعاً : التعليم , اجرت حكومة كليمنت أتلي اجراءات اصلاحية في مجال التعليم , واصبح التعليم الثانوي مجاني لاول مرة , وتم رفع سن ترك المدارس الى خمسة عشر عام في عام 1947 , واعطاء وجبات الطعام المجانية لطلاب المدراس , واقد اسهمت تلك الاجراءات في زيادة ملحوظة في عدد طلبة المدارس والجامعات , لذا شرعت الحكومة بأنشاء عدد من المدارس اذ تم بناء 928 مدرسة ابتدائية جديدة بين عامين 1945 – 1950 , وتعيين قرابة خمسة وثلاثون الف في مجال التعليم , وتحسين رواتب المعلمين مما ادى الى زيادة في الانفاق الحكومي على قطاع التعليم بنسبة قرابة 50% اذ زاد الانفاق من سته ونصف مليار الى عشرة مليارات جنية استرليني خلال مدة حكومة كليمنت أتلي (Wallis, 2009, p. 119) .

خامساً : السكن , نفذت حكومة كليمنت أتلي برنامجاً كبيراً لبناء المنازل من اجل توفير سكن لملايين البريطانيين الذين هدمت منازلهم اثناء الحرب , فضلاً عن الذين لم يكونوا يملكون منازلاً من قبل , وفي ذلك الاطار اصدرت الحكومة قانون الاسكان عام 1946 , والذي تضمن توفير دعماً من خزينة الدولة لبناء المساكن للعمال ذو الاجور المنخفضة , وبالفعل اجز بناء قرابة مليون منزل خلال المدة من 1945-1951 , وكانت تلك المنازل تقدم بأسعار مدعومة للعمال , وبذلك نجحت حكومة كليمت أتلي في حل القضية الاكثر تعقيداً في بريطانيا انذاك (Thompson, 2007, p. 90) .

ولابد من الاشارة هنا الا ان حكومة كليمنت أتلي اجرت اصلاحات جذرية في السياسة الداخلية خلال المدة من 1945- 1951 , فقد اصدر البرلمان اكثر من مئتين قانون , منها : قانون خدمات الاطفاء لعام 1946 وقد نظم عمل عمال الاطفاء وتقعدهم عن العمل , قانون أنشاء معهد وطني لعمال المنازل عام 1946 , ويعزز المعهد تعزيز قدرات عمال المنازل كحرفة , كذلك قانون العدالة الجنائية عام 1948 , ونظم سجن الاحداث وادارة السجون وتحسين مراكز احتجاز المتهمين , وقانون تعويض العمال الذي صدر عام 1948 , وقد نص على تعويض العمال الذين تعرضون الى امراض مزمنة او الاصابة نتيجة العمل , قانون الشحن التجاري عام 1948 والذي نص على تحسين ظروف البحارة والعملين في السفن البحرية , قانون المرأة المتزوجة عام 1949 , ونظم فيه سن الزواج والنفقة عن الطلاق وتوفير الدعم المالي لتربية الاطفال , فضلاً عن ذلك ان الحكومة قد ضمنت جيع القوانين بند يطلب من ارباب العمل السماح للعمال بالانضمام الى النقابات العمالية (Thane, The working class and state “welfare” in Britain, 1880-1951, 1984) .

تجدر الاشارة هنا الا ان تطبيق قوانين دولة الرفاه احتاجت الى اموالاً كبيرة و, تحديد سياسة مالية جديدة عن طريق زيادة الصادرات وتقليل الواردات من اجل تحسين ميزان المدفوعات , كذلك زيادة الضرائب على الاغنياء اكثر من الطبقة الوسطى والفقراء , وقد هدفت من

تلك السياسة الضريبية تقليل الفجوة بين طبقات المجتمع البريطاني , كما انها واجهت النقص في العملة الصعبة (الدولار) عن طريق بيع بعض الاستثمارات الخارجية , لسد بعض الاحتياجات الخاصة وتوفير المواد الاولية الداخلة في الصناعة , كما ان الحكومة سعت الى توفير المال لتطبيق دولة الرفاه والتنمية الاقتصادية عن طريق الديون الخارجية والمعونات الاقتصادية (الخفاجي و مشاي، 2017، صفحة 10) .

يمكن القول ان حكومة كليمنت أتلي نجحت في خلق نوع من السياسة التوافقية بين النظام الرأسمالي والنظام الشيوعي , وأتضح ذلك من خلال قمع اضراب لندن في تموز عام 1949 الذي كان يقوده الشيوعيون , عندما ارسلت الحكومة 13000 جندي لقمع التوسع السوفيتي, والذي يدعمه الحزب الشيوعي البريطاني واعتبرته الحكومة البريطانية تهديداً حقيقياً للأمن القومي , لان الاضراب لم يكن بسبب ظلم وقع على العمال بل هدفه مساعدة النقابات الشيوعية في كندا التي كانت تنظم حركة الاضراب , لذا شرعت حكومة كليمت أتلي قانوناً خاصاً يتيح لها انهاء الاضراب على الفور (Thane, 2012, p. 29) .

المبحث الثاني : مارغريت تاتشر وسياسة الرأسمالية الشعبية

ولدت مارغريت هيلدا روبرتس Margaret Hild Roberts في الثالث عشر من تشرين الاول عام 1925 في لينكولنشاير Lincolnshier , وكان والدها يعمل عضواً في المجلس المحلي , وينتمي الى الطبقة المتوسطة الدنيا , تعيش في شقة فوق محل والدها في حالة تقشف (Norgaard, 2008, p. 8) , وعلى الرغم من ذلك , حرص والداها شأنهم شأن كثير من الاباء على ان تكمل تعليمها الجامعي (نصيف، حزيران 1979، صفحة 31).

استطاعت دخول جامعة اكسفورد بفضل المنحة الدراسية , التي حصلت عليها , ونالت شهادة البكالوريوس في علم الكيمياء , وتلبية لرغبة والدها اخذت محاضرات في السياسة الدولية في جامعة نوتنغهام (Norgaard, 2008, p. 8) , كما أنها اهتمت بقراءة مجلد فريدريش هايك Friedrich Hayek (1899–1992) "الطريق إلى العبودية" The Read to SerSdom الصادر عام 1944, خلال سنوات دراستها في جامعة أكسفورد , الذي شمل انتقادات شديدة للاشتراكية والسلطة النقابية والممارسات الشيوعية للاتحاد السوفيتي (Norgaard, 2008, p. 2) .

شاركت في الحياة السياسية في الجامعة بسبب كونها خطيبة بارعة وبعد ان قرأت افكار حزب المحافظين فكرت بالانضمام له , وقد اصبحت رئيس جمعية المحافظين في عام 1947, لذا تم دعوتها للمؤتمر السنوي لحزب المحافظين عام 1948 في مدينة دارتفود Dart ford, وهنالك تعرفت على رئيس حزب المحافظين ونستون تشرشل والذي طلب منها الانضمام رسمياً الى الحزب فوافقت من غير تردد متأثرة بشخصيته (الفتلاوي، 2016، صفحة 13) , التي كان لها رأي خاص فيه , فعندما سألوها عنه قالت " تشرشل محارب عظيم , رجل لايعرف الياس ولا الهزيمة ..هكذا يبدو في الظاهر مع سيجارة وابتسامته التي لا تختفي ابداً " (نصيف، حزيران 1979، صفحة 32).

قررت مواصلة حلمها في دراسة القانون , وبعد أن حصلت على شهادة القانون في عام 1953, عملت مارغريت تاتشر محامية متخصصة في قانون الضرائب (Norgaard, 2008, p. 5).

حصلت تاتشر على مقعد في مجلس العموم البريطاني عام 1959, بعد فوزها بالانتخابات عن مدينة فينجلي Finchley , وفي الثامن عشر من تشرين الاول 1959 , ألقت كلمة بوصفها ممثلة عن دائرتها الانتخابية , وركزت فيها على دور البرلمان في الحفاظ على الحريات المدنية , بدلاً من التفكير في الامور الادارية العامة , وكذلك ركزت على حرية الصحافة , واعطاء المؤسسات الاعلامية التابعة للقطاع الخاص والعام حرية اكبر , لمتابعة اجتماعات مجالس الحكومة المحلية , وكانت وسائل الاعلام والصحافة تدعمها وتشجعها لذلك حظيت باهتمام ودعم جماهيري كبيرين ؛ لأن تاتشر دعمت قوانيين تقضي على البطالة , والحد من التضخم , ودعم الجنيه الاسترليني امام الدولار والسعي الحثيث الى رفع قيمته النقدية (الفتلاوي، 2016، صفحة 20).

عرض رئيس الوزراء هارولد ماكميلان HaroldMacmillan (جوي، 2011، صفحة 29) في تشرين الاول عام 1961 , عليها منصب وكيل الوزارة البرلمانية المعاشات والتقاعد والتأمين الوطني , وبذلك كانت اصغر امراة تشغل هذا المنصب , واستطاعت تحقيق نجاح عن توليها هذا المنصب , في مسالة التقاعد والمعونات الاقتصادية والمالية (الفتلاوي، 2016، صفحة 23).

وفي عام 1964 اصبحت تاتشر الناطق الرسمي باسم المعارضة , حول موضوع التقاعد والمعونات , وفي عام 1966 اصبحت وزيراً في حكومة الظل , وفي 1967 اصبحت وزيرة للوقود والطاقة في حكومة الظل (جوي، 2011، صفحة 27) , وعندما استمر حزب العمال في تاميم المؤسسات الحكومية من القطاع الخاص , وكان المرشح في هذه المرة معامل صناعة الحديد والصلب , وشركات الطاقة الكهرباء , والغاز والنفط في بحر الشمال , ردت تاتشر في تشرين الاول عام 1968 في خطاب القته امام مجلس العموم البريطاني بقولها " هنالك اخطار حقيقة من ممارسة الدولة لسياسة الاجماع " (الفتلاوي، 2016، صفحة 24).

من الواضح أن تاتشر كان لديها تصور واضح عن سياسة الدولة , بحكم عملها في حكومة الظل ؛ لذلك حذرت من تاميم الشركات , كما انها ركزت على متابعة نفقات الدولة , ومحاسبتها في هدر المال العام , ومتابعة شؤون الضرائب من قبل البرلمان .

كما تولت تاتشر في كانون الاول عام 1968 مهمة وزير النقل في حكومة الظل واستمرت لمدة عام , وبعد ذلك في تشرين الاول 1969 اصبحت وزير التعليم والعلوم في حكومة الظل , وبعد هزيمة حزب المحافظين في الانتخابات البرلمانية في تشرين الاول عام 1972, تولت تاتشر مهام وزير البيئة و الاسكان في حكومة الظل , وقد كان لها نشاط في مجال السكن , اذ نادت بخفض فوائد الرهن العقاري الى حد اقصاه(9.5%) , ومساعدة المستأجرين على شراء منازل , من خلال خصم يصل الى (33%) , فضلا عن تشجيع الادخار من خلال رفع الفائدة للمواطنين (الفتلاوي، 2016، صفحة 25) .

وفي الحادي عشر من شباط عام 1975 فازت تاتشر بمنصب رئيس حزب المحافظين , بعد منافستها مع ادوارد هيث Edward Heathوالذي شغل منصب رئيس للوزراء من عام 1970 – 1974, الرئيس السابق للحزب , وبهذا اصبحت أول امراة تتسلم رئاسة حزب , ليس في بريطانيا فقط , بل في قارة أوربا (الفتلاوي، 2016، الصفحات 11-12)من الواضح أن تاتشر استطاعت الفوز بسبب نشاطها السياسي , ونجاحها في حكومات الظل , وما قامت به من تحركات سياسية واجتماعية واقتصادية .

لابدَّ من الاشارة إلى أن بريطانيا في نهاية السبعينيات كانت تعاني من مشاكل اقتصادية وسياسية كبيرة , فنظامها الاقتصادي كان مزيج من الاشتراكية والرأسمالية , فقد تم تاميم اجزاء واسعة من البلاد , بما فيها توفير رعايا شاملة للمواطنين , وامست النقابات تتمتع بسلطة واسعة في البلاد (كادن، 5 نيسان 2013) , الى حدٍّ أنَّها كانت توصف بانها دولة داخل دولة (نصيف، حزيران 1979، صفحة 33).

عند وصول تاتشر الى زعامة المحافظين بدأت تصوغ نظريتها السياسية , في محاولة لتطبيق ما كانت تؤمن به من أفكار . ففي التاسع عشر من حزيران 1975 ألقت تاتشر كلمة في مؤتمر كنسنغتون Kensington التنظيمي الذي عقده حزب المحافظين في لندن , وقد وجهت نقداً شديداً ضد سياسة الاتحاد السوفيتي حين قالت " ان الروس يعكفون على السيطرة والهيمنة على العالم اجمع , وأنها [روسيا] تسعى وبأي وسيلة لتصبح الامة والامبراطورية الاقوى بين دول العالم ... ان بريطانيا وحلفائها يواجهون خطراً حقيقياً , وتهديداً استراتيجياً , منذ نهاية الحرب العالمية الثانية " (الفتلاوي، 2016، صفحة 30) .

لقي هذا الخطاب اصداء عالمية واسعة , ولاسيما وزارة الدفاع السوفيتية , التي ردت على ذلك الخطاب , وعبر صحيفة كراستايا زفيزدا (النجم الاحمر) الناطقة باسم الجيش الروسي , باطلاق لقب (المرأة الحديدية) على مارغريت تاتشر, وسرعان ما انتشر هذا اللقب كثيراً في مدة وجيزة في كل انحاء العالم عبر راديو موسكو (Campbell, 2013, pp. 88-89) (Stepney, 2014, p. 136) .

يمكن القول أن تاتشر قد صرحت عن توجهاتها السياسية في مجال العلاقة مع الاتحاد السوفيتي , ويبدو أن هذه القناعة لم تكن وليدة الصدفة أو الحاجة السياسية الى تلك الموقف بل أنها نتيجة افكار قد تأثرت بها منذ طفولتها , وتصورها حول خطر الشيوعية , وعلى اعتبار ان الاشتراكية صورة من الشيوعية , بل انها ارادت ان تلمح بأن توجهات بعض أعضاء حزب العمال الحاكم يتماشى مع الفكر

الشيوعي , على اعتبار أنهم لم يبالوا بخطر الشيوعية على بريطانيا , على الرغم من تحذيرات وزارة الدفاع البريطانية , كما انها وضّحت بشكل جلّي أن الروس يعانون من مشاكل اقتصادية وسياسية , واجتماعية , لذا أرادت من الحكومة التركيز على تلك الجوانب .

رفضت تاتشر المحافظة القديمة , وتبنت أرائها الخاصة , وكانت تتجلى في كيفية صنع مجتمع بريطاني حديث , وقد عرفت هذه الافكار باسم الفلسفة التاتشرية او ما اطلق علية (الرأسمالية الشعبية), وكانت واضحة جدا ومنسقة. واستندت عقيدتها على الليبرالية الكلاسيكية , إلى جانب قيم المحافظة التقليدية القوية. وشملت هذه الأفكار: إعادة إدخال القيم المحافظة التقليدية مثل الوطنية والواجب والصناعة واحترام سيادة القانون , كرد فعل على تحرر المجتمع في عقد الستينات , ولكنها كانت على عكس التفكير التقليدي المحافظ , الذي كان يفرض التغيير التدريجي والبطيء , فقد كانت تاتشر تحبذ التغييرات السريعة والجذرية (Norgaard, 2008, p. 15) .

تم دمج هذه القيم المحافظة التقليدية مع الليبرالية الكلاسيكية , القائمة على اقتصاد السوق الحر , أي حرية قوى العرض والطلب. دعمت تاتشر نظام الرقابة المشددة على المعروض من النقود , من أجل السيطرة على التضخم , عن طريق تطبيق النظرية النقدية والتي تؤكد على أن الأموال المتداولة في الاقتصاد ترتبط بصورة مباشرة مع مستويات الأسعار , وفقا لهذه النظرية يسبب المعروض النقدي المفرط التضخم , اي يجب ان يتساوى المتداول من النقود مع عدد السلع والخدمات المعروضة (جورجيو، 2014، الصفحات 38-39).

فضلا عن ذلك كانت تاتشر تعتقد أن الحرية الفردية هي جزء لا يتجزأ من الاقتصاد الحر, إذ إن الرأسمالية , وقوى السوق تعمل تلقائيا لصالح المجتمع ككل, وأن تدخل الدولة يدمر الحرية , ويقوضها (Norgaard, 2008, p. 17) .

كما انها كانت ترى أن القوة النقابية تهدد النمو الحر للاقتصاد البريطاني. كما رأت ان الدولة المرفهة تؤدي إلى الإفراط في الإنفاق الاجتماعي , وتزيل الاعتماد على الذات (Norgaard, 2008, p. 2) .

في الواقع قدمت تاتشر مجموعة كاملة من البرامج الجديدة للسياسة البريطانية , كانت تشريعاتها النقابية ذكية , وكانت عناصر "الرأسمالية الشعبية" مبتكرة وشعبية بين مؤيدي العمل التقليدي , ولكن طغت هذه المبادرات الشعبية إلى حد ما على آثار سياستها الاقتصادية , ومن الملاحظ ان الفلسفة التاتشرية Thatcherism كانت قد اعتمدت على ثلاثة ركائز وهي (الهوية القومية , الامن الخارجي والداخلي , التحديث الاقتصادية) كانت التاتشرية استجابة لفشل التجربة الاشتراكية الديمقراطية (Agar, 2010, p. 10) وصلت تاتشر الى (10 داوننغ ستريت) وهي تحمل صفات مميزة منها :

أوّلاً : كان لديها تصور واضح للعديد من السياسات الرئيسية , وكانت مستعدة لفرضه (الموندوجي، 1998، صفحة 205) , كونها مستعدة للدفاع عن وجهات نظرها حتى وان كانت ضد رغبات زملائها في مجلس الوزراء او المستشارين من موظفي الدولة (الموندوجي، 1998، صفحة 251) , ولم تقف عند ذلك , فقد الغت هيئة مراجعة السياسة المركزية (الموندوجي، 1998، صفحة 305) .

وفي الوقت ذاته عزمت تاتشر بعد فوزها في الانتخابات العامة عام 1979 , على التغيير الجذري في بنية الاقتصاد البريطاني , التي كانت في تراجع على مدى سنوات مما أدى الى وصف بريطانيا ب"رجل أوروبا المريض" وكادت بريطانيا تصبح احدى دول العلم الثالث بسبب سيطرة النقابات العمالية وسياسة التاميم التي اتبعتها الحكومات السابقة (بريطانيا : بدأت المواجهة بين عمال الفولاذ والسيدة الحديدية، 6 اذار 1980), وكانت ترى انه لايمكن لبريطانيا ان تؤدي دوراً في السياسة الدولية , من دون دور اقتصادي كبير , ولابد أن يبدأ التغير من الداخل البريطاني , ثم الانطلاق الى السياسة العالمية (دارك، 1987، الصفحات 92-93) (Abercrombie, Warde, Deem, (Penna, & Soothill, 2000, pp. 92-93) .

شجبت مارغريت تاتشر السياسة الاقتصادية التوافقية , عندما أصبحت رئيسا للوزراء تبنت سياسة اقتصادية تسمى (المدرسة النقدية) , حددت المدرسة النقدية التضخم والسيطرة على أسعار الفائدة من أجل الحد من الائتمان (UK,p.107) , اذ كان معدل التضخم مرتفعاً في الاعوام التي سبقت وصول تاتشر لرئاسة الحكومة , قد أنخفض بشكل كبير من 20 % الى 6 % في عام 1980 , وقد ساعد ارتفاع سعر الفائدة في كبح جماح التضخم , إلا أن السبب الرئيسي في ارتفاع معدلات البطالة , هو ان العديد من الشركات لم تستطع تمويل أسعار الفائدة الكبيرة وأجبروا على اشهار الإفلاس (الزاملي، 2017، صفحة 77) .

وتألفت الخطة تاتشر الاقتصادية من ثلاثة محاور , الاول : خفض الدعم الكامل على الصناعات المربحة , القادرة على العمل في نظام تهيمن عليه قوى السوق (Norgaard, 2008, p. 22) .

ثانيا : أرادت تاتشر إحداث تغيير في هيكل الملكية في المجتمع البريطاني , وكانت مقتنعة بأن القطاع العام يحد من النمو الاقتصادي , من خلال الوقوف في طريق القطاع الخاص , بسبب الاستهلاك الكبير من العمالة ورأس المال , ونتيجة لذلك كان لا بد من تقليص القطاع العام , وبالتالي تمت خصخصة حوالي نصف ما كانت عليه في الملكية العامة في عام 1979 وعام 1980. وكان الغرض من خصخصة الشركات المملوكة للدولة إزالة احتكارها , وبالتالي خلق المزيد من الخيارات الاستهلاكية , وجعل الخدمات أرخص. كانت الخصخصة أيضا مفيدة لمالية الدولة , لأنها ساعدت على تحقيق التوازن في الموازنة العامة (Norgaard, 2008, p. 23) .

وكانت السمة الثالثة لمحرك اقتصاد تاتشر: مكافأة النجاح , فقد خفضت إدارة تاتشر ضريبة الدخل لتخفض إعانات البطالة. عملت تاتشر على تحفيز روح المبادرة لدى العمال , وهذا من شأنه أن يجعل البطالة غير جذابة , وتشجيع العاطلين عن العمل على اغتنام فرص العمل بأجور منخفضة , وبالتالي الحد من البطالة. في سنوات حكم تاتشر, تغير العبء الضريبي بشكل كبير , وتراجع معدل ضريبة الدخل بشكل كبير من 83٪ في عام 1979 إلى 40٪ في عام 1987. وكان من أجل توفير حافز للعمل , وإعطاء حرية اختيار طريقة انفاق الناس لأموالهم الخاصة. للتعويض عن فقدان عائدات ضريبة الدخل , وزيادة العبء الضريبي على الإنفاق , ارتفعت ضريبة القيمة المضافة من 8 في المئة إلى 17.5 في المئة وارتفعت اشتراكات التأمين الوطني من 6.5 في المئة إلى 10 في المئة (Abercrombie, Warde, Deem, Penna, & Soothill, 2000, pp. 192-199) .

حققت سياسة تاتشر الاقتصادية انخفاض معدل التضخم , وكان واضح في ارتفع الأداء الاقتصادي العام في بريطانيا , بشكل ملحوظ في عام 1980 , وكان معدل النمو السنوي 3.8٪ مقارنة مع معدل النمو السنوي يبلغ نحو 1٪ لعام 1970 (Norgaard, 2008, p. 21).

جاءت تاتشر إلى السلطة وهي مصممة على الحد من نفوذ النقابات العمالية , لانها كانت تعتقد أنها السبب الرئيسي في تدهور الاقتصاد البريطاني , على العكس من رؤساء الوزراء الذين سبقوها (UK,p219) , لانها شهدت مصير الإدارات السابقة لذلك قررت أن تتناول المسألة النقابية من خلال الحذر بتجريد نقابات السلطة ببطء , بالنسبة لها كانت النقابات مؤسسات ديمقراطية وهجومية دمرت حرية الناس و من خلال نهجها الدقيق في قضية النقابات سعت لدعم القطاع العام (Norgaard, 2008, p. 21) .

وكانت المرحلة الأولى مواجهتها مع النقابات , وقانون العمل 1980, الذي أعطى للأفراد الحق في الانسحاب من عضوية الاتحاد على أساس اعتراض شخصي أو ديني أو فلسفي . ثانيا : تم تحريم استخدام إجراءات التعاطف على نطاق واسع . وأخيرا, تم منح أرباب العمل الحق في استدعاء الشرطة , إذا وجدوا ان هناك اعتصاماً يخص أعضاء النقابة , ووضع حراساً يقفون خارج مقر النزاع , ومنع النقابات من استخدام السلاح في الاضرابات (Abercrombie, Warde, Deem, Penna, & Soothill, 2000, p. 135).

بدأت المرحلة الثانية مع طرح قانون العمل عام 1982, اذ تم منح أرباب العمل الحق في إيقاف أي عمل يهدف إلى إنشاء أو الحفاظ على الاتحاد فقط , كما أعيد تعريف النزاع الصناعي , بحيث حصر في المسائل المتعلقة تحديدا بمسائل العمل القانونية , وأخيرا تم إزالة حصانة النقابات من دعوى مدنية , مما أعطى أصحاب العمل الحق في المطالبة بالتعويض من النقابات , التي اتخذت إجراءات غير قانونية , بينما كان قانون النقابات 1984 , الجزء المهم والأخير من تشريعات تاتشر النقابية , فقد نص على تعريض النقابات للمساءلة أمام أعضائها , كما يتعين على جميع النقابات أن تستمر بالاقتراع العادي , وأعطاء أعضاء النقابة الحق في أن ينتخبوا جميع المديرين التنفيذيين في النقابة بالاقتراع السري . كما ان أي أضراب بحاجة إلى دعم أغلبية أعضاء النقابة , وبالتالي يحظر ممارسة العمال للإضراب اذا لم يحظ بدعم الاغلبية (Abercrombie, Warde, Deem, Penna, & Soothill, 2000, p. 115) .

يمكن القول ان تاتشر باصدارها قوانيين عمالية قاسية ضد الاضراب عن العمل من اجل رفع الاجور , كان هدفها الحد من نشاط النقابات وترويض مطالب العمال , لقد جاء نجاح التاتشرية , في الاحاطة بالعمال والنقابات وضرب اضراباتهم وخاصة اضراب عمال

المناجم (نصيف م.، 1989، صفحة 113) , ولاسيما ان النقابات كان بمقدورها ان تسقط اية حكومة بفضل سطوتها ونفوذها الواسعين (دارك، 1987، صفحة 16) .

من جملة السياسات الرأسمالية , التي سعت مارغريت تاتشر لتنفيذها , عقب وصولها الى الحكم , ضمن ما عرف "الرأسمالية الشعبية" ولاقت هذه السياسات شعبية كبيرة بين السكان , هو "حق الشراء" , وبموجبه قدمت المجالس المحلية سكن للغالبية العظمى من السكان , الذين لا يستطيعون تحمل نفقات شراء منازلهم , ونتيجة لذلك تكونت في بريطانيا لسنوات عديدة مجالس المستأجرين , ولكن مع تزايد دخل الطبقة الوسطى والطبقة العاملة انتهت هذه الازمة (Norgaard, 2008, p. 27) .

في عام 1980, صدر قانون الإسكان , الذي منح مستأجري سكن المجلس حق شراء منازلهم. تبعا لطول فترة اقامة المستأجرين هناك يمكنهم شراء منازلهم مع خصم كبير يصل الى 60 % للمنازل و 70 % للشقق. وكانت حصيلة عمليات بيع سكن المجلس ملكا للمجالس المحلية , ولكن كجزء من قانون الإسكان , منعوا من إنفاق المال على إعادة استثمار إسكان المجلس الجديد , وبالتالي خلق نقص في توفير السكن وخاصة في لندن , وقد كان قانون الإسكان لعام 1980 جزءاً من خطة تاتشر و الغرض منه تغيير سياسة بريطانيا من أمة المستأجرين لأصحاب المنازل , وبالتالي تشجيع الناس على الاعتماد على الذات , وتنمية الشعور بالمسؤولية الشخصية تجاه وطنهم. حيث أعربت عن أملها تغيير المشهد السياسي , وكان معظم أصحاب المنازل يميلون الى التصويت لصالح حزب المحافظين , بينما كان المستأجرون أكثر ميلا إلى التصويت لصالح العمال, وفي الواقع جاءت نصف أصوات حزب المحافظين في سنوات حكم تاتشر من الطبقة العاملة , وكان الغرض النهائي من قانون الإسكان لعام 1980 تغيير الدعم, على سبيل المثال ارتفعت مستويات المعيشة بشكل كبير طوال عام 1980, وتحققت تخفيضات ضريبية يستفيد منها جميع فئات المجتمع البريطاني , بشكل يقود إلى تقليص دور المجالس المحلية في توفير الخدمات. وكان أغلبية مجالس العمال المحلية شوكة في عيون حكومة تاتشر, التي كانت تعتزم تقليل تأثيرهم (Norgaard, 2008, p. 27).

حقق قانون الإسكان لعام 1980 نجاحاً باهراً , ولكن كان له العديد من الآثار الجانبية السلبية . أولا : خفض المساكن الرخيصة بشكل كبير, مما جعل من المستحيل تقريبا بالنسبة للناس العاديين العثور على منازل بأسعار معقولة في المدن الكبيرة , ونتيجة لذلك حصل نقص حاد في العاملين في القطاع العام مثل رجال الشرطة ومعلمي المدارس والممرضات في لندن. ثانيا, اثار نقص المساكن في لندن وجنوب شرق البلاد ارتفاع كبير في أسعار العقارات, مما جعل أصحاب الأملاك أكثر ثراء , وكان الفقراء يزدادون فقرا , لذلك يمكن القول أن عمليات بيع سكن المجلس هو الذي سبب عدم المساواة الاجتماعية . وعلى الرغم من النتائج السلبية أثبت "حق الشراء" نجاحاً كبيراً , حينما نال استحسان الغالبية العظمى من الجمهور (konomen, p. 6)

يمكن القول ان تاتشر حققت في سياسة التحديث الاقتصادي نجاحاً واسعاً , باتباعها (استراتيجية السوق) للنهوض بالاقتصاد البريطاني . لقد انفصلت التاتشرية عن المبادئ الكنزية للادارة الاقتصادية القومية , مفضله عليه الاسواق المفتوحة و السياسية النقدية , وظل منطق السوق الحر قوياً في التاتشرية (نصيف م.، 1989، صفحة 116) , واستطاعت تحويل بريطانيا وبشكل جذري من بلد نصف اشتراكي الى واحد من اكبر اقتصاديات العالم ليبرالية (كادن، 5 نيسان 2013، صفحة 3) .

وتجدر الاشارة هنا الى ان مارغريت تاتشر قامت ببيع القطاع العام الى شركات القطاع الخاص , ومن اهمها شركة الفولاذ البريطانية British Steel , وشركة الهاتف British Telecom , وشركة الغاز British Gas وهيئة المطارات البريطانية British Airways , وشركة السيارات رولز رويس Rolls Royce و جاغوار Jaguar (خازم، 1988، صفحة 30) .

على اثر تلك السياسات اتهمت مارغريت تاتشر من قبل بعض المحافظين, وبالخصوص حزب العمال , الذي كان يصرح دائما بانها , تطبق سياسة قصيرة الأمد هدفها الحصول على الأموال للموازنة (Nunn, 2002, p. 70) , لكن الرد الاعنف كان من قبل عمال النقابات , الذين قاموا باضرابات عدة اهمها اضرب عمال الفولاذ, وعمال مناجم الفحم , الذين كانوا يعتقدون أن سياسة تاتشر هذه سوف تؤدي الى زيادة عدد العاطلين لاكثر من مليوني عاطل , وان هذه السياسة قد تؤدي الى تقسيم بريطانيا على قسمين : شمالي عمالي فقير وجنوبي مزدهر (بريطانيا : بدأت المواجهة بين عمال الفولاذ والسيدة الحديدية، 6 اذار 1980، صفحة 38) , لكنها دافعت عن نفسها وبررت ذلك

بانها بهذه الاجراءات تنقذ الشركات من الافلاس وتنعش الاقتصاد البريطاني , وتخفف العبء عن دافعي الضرائب (خازم، 1988، صفحة 30) , واستخدمت مختلف الوسائل , مرة عن طريق وسائل الاعلام , عندما كانت تتعامل بحذر مع النقابات , بحيث لا تؤثر القرار على الرأي العام البريطاني , و كذلك تحييد المثقفين في الصراع , عن طريق التصريح بأن تحركات العمال سياسية , تعيق الاجراءات الاقتصادية , والتي تهدف الى تغير جذري في الواقع الاقتصادي بالبلاد (Tait, 2013, pp. 2-3) .

لم تكتف مارغريت تاتشر بذلك , بل انها استخدمت القوة من اجل منع الاضرابات , وذلك عن طريق الاستعانة بالجيش والشرطة لفضها , وقررت على سبيل المثال اغلاق عدد من مناجم الفحم , واوعزت لقوات الامن خزن كميات كبيرة وكافية من الفحم (GOUIFFES, 2007, pp. 134-140), بالمقابل من ذلك , كرمت العمال المنتجين , وقسمت ارباح الشركات الرابحة على العمال , لذلك حققت تاتشر نجاحات وتطبيق سياستها , بالمقابل استمرت اضرابات في شركات اخرى , ومناسبات اخرى لكن على العموم استطاعت تاتشر الحد من نفوذ النقابات العمالية (العاني ج.، 2010، صفحة 16) .

من الواضح أن مارغريت حاولت الافصاح عن فلسفتها السياسية , ورؤيتها للمجتمع البريطاني , والوضع الاقتصادي للبلد من خلال التركيز على الصناعة , واستثمار الموارد الأولية , كما أنها حاولت توجيه انتقاد الى سياسة الحكومة السابقة , خصوصاً تلك المرحلة التي سيطرة عليها حزب العمال , وهنا نلاحظ أنها حاولت التركيز على النساء ربات البيوت , ولكسبهنَّ إلى جانبها وخلق قاعد انتخابية واسعه (الزاملي، 2017، صفحة 67) .

الخاتمة

من خلال عرض موضوع الدراسة يتضح لنا ان مفهوم دولة الرفاهية هي مجموعة من السياسيات التي نظر لها ونفذها كليمنت أتلي واستهدفت تلك السياسة معالجة الواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي كانت تمر فيه بريطانيا مابعد الحرب العالمية الثانية , وهذه السياسة كانت جزءً من الفلسفة التي امن بها كليمنت أتلي وحزب العمال من خلفه , وقد شملت كل مجالات الحياة بهدف ايجاد نوع من المساوات بين افراد الشعب والقضاء على البطالة وتوزيع الثروات بشكل عادل .

بالمقابل من ذلك نلاحظ ان الرأسمالية الشعبية هي جزء من الفلسفة التاتشرية , التي كانت تنظر لها وتؤمن بها مارغريت تاتشر وهي بطبيعة الحالة جزء من سياسة واهداف حزب المحافظين , وقد هدفت تلك السياسة الى النهوض بواقع بريطانيا الاقتصادي والاجتماعي , اذ شهدت بريطانيا قبل وصول تاتشر الى الحكم تراجعاً كبيراً بسبب اوضاعها الاقتصادية كنتيجة لتضخم دور النقابات العمالية وتراجع في الانتاج بسبب سياسة التأميم .

يمكن القول ان كلا السياستين دولة الرفاهية والرأسمالية الشعبية , قد جاءتاً كأستجابة للظروف التي تمر بها بريطانيا نتيجة تدهور الاوضاع الاقتصادية في البلاد وكان تطبيقهما قد اسهم بشكل كبير في ايجاد حلول لتلك الاوضاع المتدهورة.

على الرغم من الاختلاف الكبير بين السياستين من ناحية المنطلقات الايدلوجية والتطبيق , لكنهما كانتا قد استهدفتا نفس القطاعات الصناعية ونفس الشرائح الاجتماعية , وكلاهما شمل قطاع الصناعة والصحة والسكن واصلاح والتعليم و القضاء على البطالة.

من هذا المنطلق نلاحظ ان الحزبين الرئيسيين حاولا حل المشاكل التي تمر بها البلاد وفق فلسفته الخاصة ووفق برنامجه الانتخابي , فضلاً عن ذلك ان شخصيتي كليمنت أتلي و مارغريت تاتشر قد تميزتا بصفات قيادية اسهمت في بلورة افكار حزبيهما وفق نظرية سياسة خاصة في كل واحداً منهما , وقد اسهم خطابهما في وصول حزبيهما الى سدت الحكم .

مما سبق يتضح ان كليمنت أتلي ومارغريت تاتشر قد وضعا فلسفة حكم خاصة في بريطانيا وهذه الفلسفة كانت قد استندت الى نظريات عالمية, فقد صاغ كليمنت أتلي فلسفة حزب العمال بشكل منسجم مع الواقع البريطاني اذ مثلت دولة الرفاه حالة وسط بين النظام الشيوعي والنظام الرأسمالي عن طريق تأميم بعض مجالات الاقتصاد وايجاد نوع من الشراكة بين المواطن والدولة مع الحفاظ على الملكية الخاصة للافراد . كذلك صاغت مارغريت تاتشر النظرية الرأسمالية بما ينسجم مع الشعب البريطاني من خلال تبنيها سياسة الرأسمالية الشعبية التي هدفت منها تطوير القطاع الخاص وتنمية الاقتصاد البريطاني.

ومن الواضح انهما استطاعا احداث تغيراً في الواقع الاجتماعي والاقتصادي في بريطانيا خلال مدة حكمهما بالرغم من اختلاف حزبيهما وفلسفتهما ومرحلتهما التاريخية , وظروف وصولهما للسلطة , لكن ما يوحدهما هو النهوض بالواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في بريطانيا , وتبنيهما لسياسة شعبية , وقد نجحا في احداث تغييراً في بريطانيا بما ينسجم مع فلسفتهم الخاصة وتوجهات حزبيهما العمال والمحافظين , والتي كان محورها توفير فرص عمل للعاطلين وتوفير سكن للفقراء , والنهوض في واقع التعليم والصحة والخدمات العامة .

قائمة المصادر

اولاً : المصادر باللغة الانكليزية

Abercrombie, N., Warde, A., Deem, R., Penna, S., & Soothill, K. (2000). *Contemporary British Society.* Lancaster: John Wiley.

Agar, J. (2010). *Thatcher Scientist.* London: Department of Science and Technology Studies, University College London.

Attlee, C. R. (1920). *The Social Worker.* London: G. Bell and Sons.

Blackburn, S. (2007). *A Fair Day's Wage for a Fair Day's Work? Sweated Labour and the Origins of Minimum Wage Legislation in Britain.* Aldershot: Ashgate.

Byrne, L. (2012). *New foundations for a new Beveridge : the right and responsibility to work'.* London: London School of Economics.

Campbell, J. (2013). *he Iron Lady Margaret Thatcher from grocers Daughter to prime minister.* penguin Books.

Carlin, W. (2012). *A progressive economic strategy.* London: Policy Network.

Dickens, J. (2018, January). Clement Attlee and the Social service Idea : Modern messages for social work in England. *the British Journal of Social Work*.

GOUIFFES, F. (2007). *MARGARET THATCHER and THE MINERS.* France: Creative Commons.

Grady, F. (2013). *'From Attlee to Miliband: can Labour and unions face the future?', Clement Attlee Memorial Lecture.* Oxford: University College.

McIvor, Rachel Reeves and Martin. (2014). *Clement Attlee and the foundations of the British welfare state.*

Norgaard, A. H. (2008). *Thatcherism and Reaganism : A comparative study of Margaret Thatcher and Ronaid Reagan.* USA: Lnstitut for Erhvervskommunikation.

Nunn, H. (2002). *Thatcher, Politics and Fantasy: The Political Culture of Gender and Nation.* London: Lawrence & Wishart.

Stepney, P. (2014). *The Legacy of Margaret Thatcher—A Critical Assessment.* Finland: University of Tampere ،Tampere.

Symonds, T. (2010). *Attlee: A Life in Politics.* London: I. B. Tauris.

Tait, R. (2013). *Margaret Thatcher and Media Policy.* UK: School of Journalism, Media and Cultural Studies, Cardiff University.

Thane, P. (1984). The working class and state "welfare" in Britain, 1880-1951. *The Historical Journal*, pp. 877- 900.

Thane, P. (2012). *The "Big Society" and the "big state": creative tension or crowding out? ',Twentieth Century British History* . London.

Thompson, J. (2007). *Political economy, the labour movement and the minimum wage, 1880-1955' in Tanner, The Strange Survival of Liberal England.* Cambridge: Cambridge University Press.

Wallis, E. (2009). *From the Workhouse to Welfare* . London: Fabian Society.

Wed, G. (2005). 60 years Ago – the British Turned left. *BBC*.

Wilfred, H. (1964). *The Government of Britain.* London: Hutchinson University.

ثانياً : المصادر باللغة العربية

بريطانيا : بدأت المواجهة بين عمال الفولاذ والسيدة الحديدية. (6 اذار 1980). *مجلة الوطن العربي*، 59.

احمد خليل الحسني، و خالد حسين علي. (2006). اشكالية دولة الرفاه بين الاسباب والنتائج. *مجلة القادسية للعلوم الادارية والاقتصادية*.

ارشد حمزة حسن عبد الله الفتلاوي. (2016). *الاوضاع الداخلية لبريطانيا خلال عهد مارغريت تاتشر 1979-1990* . القادسية: كلية التربية , جامعة القادسية.

الشريفي ، محمد شريف. (2005). *ونستون تشرشل ودوره في السياسة البريطانية حتى سنة 1945*. بغداد: كلية الاداب, جامعة بغداد.

ثروة جهان وكريس بابا جورجيو. (مارس, 2014). ماهي المدرسة النقدية ؟ *مجلة التمويل والتنمية*، الصفحات 38-39.

جابرييل ايه الموندوجي. (1998). *السياسات المقارنه في وقتنا الحاضر نظرة عالمية*. لبنان: مطابع شركة الطبع والنشر اللبنانية.

جلال يحيى. (1978). *الدول الغنية الرأسمالية الغربية والاشتراكية واليابان*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

جواد العاني. (2010). البحث عن نموذج اقتصادي جديد. تأليف جواد العاني، *لاقتصاد بين نظريتين السوق الاجتماعي والاسلامي نحو خطاب اسلامي ديمقراطي مدني*. عمان: دار المنهل.

ربيع حيدر طاهر الموسوي. (2007). *تطور البرلمان البريطاني 1911-1949*. بغداد: كلية الاداب - جامعة بغداد.

سوزان رحيم جوي. (2011).السياسة الداخلية في عهد حكومتي حزب العمال البريطاني 1964-1970 البصرة: جامعة البصرة - كلية الدراسات التاريخية.

فولغفانغ كادن. (5 نيسان 2013). مارغريت تاتشر : الرأسمالية صعبة المراس. *مجلة الغد*.

كريم عجيل الزاملي. (2017). *العلاقات السياسية البريطانية الامريكية في عهد مارغريت تاتشر ورونالد ريغان (1979-1989)* . بغداد: جامعة بغداد- كلية التربية للعلوم الانسانية.

مجدي نصيف. (1989). المتغيرات في أوربا الغربية (هل بدأ انحسار موجة التاتشرية). *مجلة المنار*، 113.

مشتاق طالب الخفاجي، و صلاح خالف مشاي. (اذار, 2017). لتطورات الاقتصادية في بريطانيا خلال حكومة حزب العمال (1945 - 1951). *مجلة العلوم الانسانية / كلية التربية للعلوم الانسانية*.

منير نصيف. (حزيران 1979). مارجريت تاتشر أقوى امرأة في أوروبا. *مجلة العربي*، 31.

نشأت كامل محمد العاني. (1996). *التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بريطانيا (1945-1951)*. بغداد: كلية التربية, جامعة بغداد.

يوسف خازم. (1988). مارغريت تاتشر ماضية في سياساتها. *مجلة التضامن*، 30.

رحلات البحث عن الذهب في بلاد السودان الغربي قبل الاسلام

أ.د. كريم عاتي الخزاعي أ.د. اسماعيل حامد اسماعيل

m@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية جامعة الاسكندرية

ملخص الدراسة:

اهتم الإنسان الأفريقي بالحصول على الذهب أو المعدن النفيس، والبحث عنه، وعن مناجمه مهما كانت الأخطار منذ أقدم العصور، وذلك نظرًا لأهمية الذهب في حياة الإنسان بشكل عام خاصة الاجتماعية والاقتصادية. ويبدو ذلك الاهتمام واضحًا لاسيما في البلاد الواقعة في جنوب الصحراء الكبرى التي تعد واحدة من أكثر البلاد شهرة بالذهب، وهي ذاتها البلاد التي تكونت فيها العديد من الدول والممالك الكبرى التي ازدهرت بفضل الذهب، وتجارته، وسيطرة حكام تلك البلاد على تجارة الذهب عبر الصحراء منذ ما قبل الإسلام. لقد ناقشت تلك الدراسة العديد من الموضوعات ذات الأهمية التي ترتبط بالذهب، وأهميته، وكذلك رمزيته في تلك البلاد، وكذا كيف بدأ الاهتمام بالذهب، والبحث عنه منذ أقدم العصور. كما تناولت الدراسة الشعوب والقبائل القديمة التي اهتمت بالذهب والبحث عنه، إضافة للحديث عن أهم الوسائل التي استخدمها الإنسان في البحث عن الذهب لاسيما الثيران، والخيل، وكذلك الإبل الذين لعبوا دورا مهما في الوصول لمناجم وأسواق الذهب، حيث شكلت كلٌ منها مرحلة مهمة من مراحل البحث عن المعدن النفيس في جنوب الصحراء الكبرى. كما رصدت تلك الدراسة أهم الرحلات والمغامرات التي قام بها التجار القادمون من شمال الصحراء إلى أسواق الجنوب من أجل الحصول على المعدن النفيس، وما هي التحديات والمخاطر التي واجهتهم لتحقيق تلك الغاية.

الكلمات المفتاحية: الذهب، تجار الملح، الصحراء الكبرى، بلاد السودان الغربي، الفينيقيون، البربر، الجرمنتيون، الخيل، الإبل...الخ.

Journeys to search for gold in Western Sudan before Islam

Dr. Karim Ati Al-Khuzai **Dr. Ismail Hamed Ismail**

Al-Mustansiriya University, College of Education **Alexandria University**

Abstract:

African peoples have been interested in obtaining gold, searching for it, and searching for its mines, regardless of all the dangers, since ancient times, due to the importance of gold in human life in general, especially the social and economic ones . This interest appears clear, especially in the countries located south of the Sahara, which is one of the most famous countries for gold, and it is the same country in which many major countries and kingdoms were formed that flourished thanks to gold and its trade, and the control of the rulers of those countries over the trans-Saharan gold trade since before Islam. This study discussed many important topics related to gold, its importance, as well as its symbolism in that country, as well as how interest in gold and the search for it began since ancient times. The study also dealt with the ancient peoples and tribes that were interested in gold and searching for it, in addition to talking about the most important means that humans used in searching for gold, especially bulls, horses, and camels, who played an important role in reaching gold mines and markets, as each of them constituted an important stage in the research stages. This study also monitored the most important trips and adventures undertaken by merchants coming from the northern desert to the markets of the south in order to obtain the gold, and what were the challenges and risks they faced to achieve that goal.

Keywords: Gold, salt merchants, Sahara, western Sudan, Phoenicians, Berbers, Garamantes, horses, camels... etc.

المُقدمة:

تعالج تلك الدراسةُ إحدى الإشكاليات المهمة التي ترتبط بالذهب في القارة الأفريقية منذ ما قبل الإسلام لاسيما في بلاد السودان الغربي، وهي بلاد غرب أفريقيا حاليًا، وكيف بدأت العلاقة بين سكان تلك القارة خاصة في جنوب الصحراء من جانب، والذهب من جانب آخر. حيث صار الذهب جزءًا لايتجزأ من حياة الإنسان في بلاد جنوب الصحراء عامةً، وهي ما تُعرف باسم بلاد السودان Land of Sudan، خاصة غرب أفريقيا. من المؤكد أن البحث عن الذهب لم يكن مرتبطًا بالوجود العربي الإسلامي هناك فحسب، بل حاول تجار شمال أفريقيا البحث عنه في أقصى الجنوب منذ القدم، رغم التحديات والمخاطر العديدة التي كانت تواجه هؤلاء التجار وقوافلهم، وهؤلاء التجار هم الذين اشتُهر أكثرهم في الغالب باسم: تجار الملح، إذ كان الملح السلعة الرئيسية التي كانت تستخدم للمقايضة بالذهب، إضافة لسلع أخرى عديدة.

لقد اهتم التجار والمغامرون منذ أقدم العصور، لاسيما الفينيقيون والبربر، بارتياد دروب الصحراء بحثًا عن الذهب في أسواق الجنوب. من ثمة لم يكن من المُستغرب أن تتعدد الرحلات والمغامرات جنوبًا من أجل ذلك المأرب. وتهدف الدراسة للحديث عن المعدن النفيس، وأهميته في جنوب الصحراء، وارتباطه بتجارة الملح منذ القدم، ومحاولات تجار الشمال الذهاب لأسواق الجنوب للبحث عنه مهما كانت مخاطر تلك الرحلات الشاقة عبر الصحراء منذ ما قبل الإسلام. وتحاول تلك الدراسة الإجابة عن بعض التساؤلات المهمة التي ترتبط بالإشكالية التي نحن بصددها، ولعل من أبرز تلك التساؤلات: ما الصعوبات والمخاطر التي واجهت التجار في الذهاب للجنوب بحثًا عن الذهب منذ القدم؟ وما الوسائل التي استخدموها للذهاب لأسواق الجنوب؟ وما أهم الرحلات التي قام بها التجار والمغامرون لبلاد جنوب الصحراء للحصول على الذهب قبل الإسلام؟

أولاً- الذهبُ وأهميته في بلاد جنوب الصحراء:

شَّكل الذهبُ أحد الموارد المهمة التي تقوم عليها الحياة الاقتصادية في جنوب الصحراء عامة، وفي بلاد السودان الغربي خاصة. وتتحدث المصادرُ من جانب آخر عن الذهب، وأصله، لاسيما في مصنفات اللُغويين القدامى، نظراً لأهمية هذا المعدن، وقيمته (البيروني، 2021م، صفحة 9). يذكر البعضُ للتفريق بين التبر والذهب، أن التبر ما كان من الذهب غير ما مضروب أو مسبوك (ابن منظور، 2014م، صفحة 210). وقالوا: لا يُقال تبرٌ إلا للذهب، وبعضهم قال للفضة أيضًا (المصدر السابق، صفحة 210). ولنتعرف على المزيد فيما يخص الفرق بين التبر والذهب، قال ابن جني: لايُقال له تبرٌ حتى يكون في تراب معدنه أو مكسورًا (الزهري، د.ت، صفحة 118). وأشار اللُغويون لوجود ثمة فرُوقٍ واضحة بين الذهب والتِبر، فكلاهما يُعبر عن حالة متباينة على غرار الذهب المسبوك، أو غير المسبوك، أو الذهب الخام. ومن المعلوم أن الذهبُ يُقال له في بعض اللغات الأفريقية، مثل لغة وعكري، وهي من لغات شعوب الماندي* في غرب أفريقيا: كيّ Ky، واشتق منه اسم: كيّ- مع، أو كيمع Ky –ma'a (السعدي، 1898، صفحة 9). وهو لقبُ مشهور منذ أيام مملكة غانة Kingdom of Ghana (469-600هـ)، وهو لقب يعني: ملك الذهب*، وعن هؤلاء الملوك، يقول القاضي كعت: "وكيَمَع في لغة وعكري: ملك الذهب، وكي هو الذهب، ومع: الملك" (كعت، صفحة 134).

تذكر المصادرُ السودانية أن أول حكام غانة كان اسمه: كيمع: "وأولُ سلطان في تلك الجهة هو قيمع، ودار إمارته غانة، وهي مدينةٌ عظيمةٌ في أرض باغن" (السعدي، 1898، صفحة 9). يعتقد البعضُ أن اللقب المحلي "كيمَع" الذي كان يحمله حكام غانة كان يُقصد به على الراجح: "ملك الذهب"، ويبدو أن بدء استخدام هذا اللقب، في رأي البعض، يرجع لحوالي القرن 2هـ/8م (طرخان، صفحة 28). بأية حال، عَرف الإنسانُ الأفريقي المعادن، وسَبكَها، والعمل في المناجم منذ آلاف السنين، فالعمل بالتعدين بشتى صنوفه، وأنماطه، أمرٌ قديمٌ بسبب أهمية المعادن في حياة الإنسان، وتتحدث الدراساتُ الحديثةُ عن عصر ما قبل التاريخ في أفريقيا،

* الماندي: هي الشعوب التي اشتهرت باسم شعوب الماندانغو أو الماندنغ..الخ، والتي ينتسب لها أكثر الشعوب في بلاد السودان الغربي (غرب أفريقيا). لغة الوعكري: وهي من لغات شعوب الماندي أو الماندنغو أي الذي يتحدثون لغة الماندي أو ماندي.

* أشار لتلك التسمية القاضي محمود كعت صاحب كتاب تاريخ الفتاش (للمزيد، انظر محمود كعت: تاريخ الفتاش، مطبعة بردين، أنجي، 1913م ص134). وانظر أيضا إبراهيم طرخان: امبراطورية غانة الاسلامية، الهيئة المصرية العامة للنشر والتأليف، وزارة الثقافة، القاهرة، 1970م، ص28.

وعن وجود مناجم للمعادن تؤرخ لتلك الحقبة القديمة، وهو ما يُشير لنشاط تعديني قام به الإنسان الأفريقي (بولم، 1974م، صفحة 11).

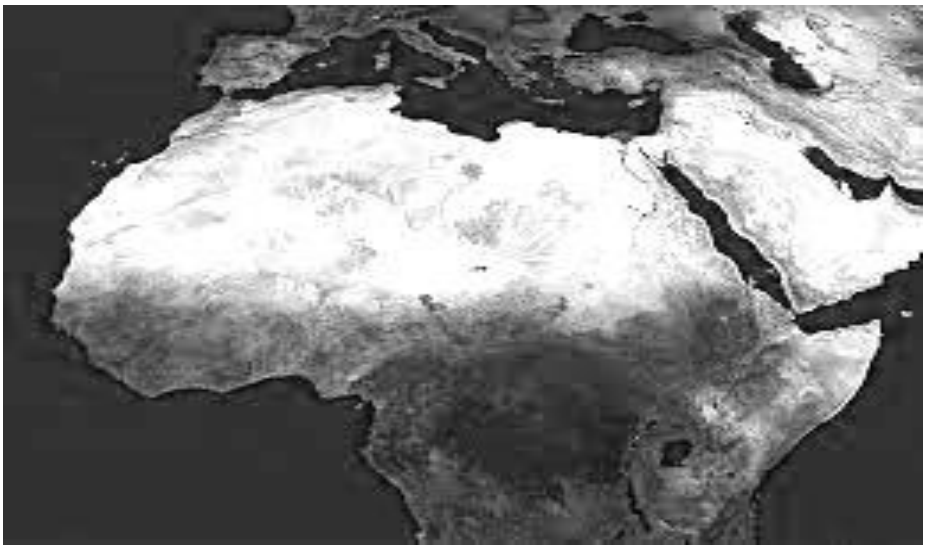

شكل 1- صورة تصور الصحراء الكبرى وامتدادها الواسع حيث توجد العديد من مناجم الذهب في الجنوب

وبحسب بعض الدراسات الحديثة، فإن الإنسان كان قد عرف الذهب، واستخراجه منذ قرابة الألف 3 ق.م، أي أن معرفة الإنسان بالذهب والصناعات المرتبطة به ترجع لحوالي 5 آلاف سنة (Shawe, 1857, pp. 5–6). يجدر بالذكر أن الذهب يشار إليه بأنه سيد المعادن، وهو أبرزها، وأكثرها قيمة، إذ ارتبط الذهب بالإنسان، وحياته، وثرائه، والإشارة لمدلولات الرفاهية والثراء. كما ارتبط ذلك المعدنُ بالموروثات الشعبية، والحكايات والميثولوجيات في العديد من مجتمعات جنوب الصحراء، وهو ما يتوافق مع طبيعة تلك البلاد التي تميل للبساطة (فيرني، 2002م، صفحة 59). كما ساهم الذهب وازدهار تجارته بتأسيس العديد من الممالك في جنوب الصحراء، وكان أبرزها: ممالك غانة، ومالي، وصنغي...الخ.

ثالثًا- رؤَادُ التجارة والبحث عن الذهب في بلاد جنوب الصحراء قبل الإسلام:

ارتبط الذهبُ في آراضي أفريقيا منذ القدم بالعديد من الشعوب والقبائل القديمة، وكذلك الإثنيات التي سكنت آراضي القارة لاسيما بلاد جنوب الصحراء، ويأتي في مقدمتهم التجار والمغامرون الفينيقيون والبربر والجرمنتيون..الخ. يعد الفينيقيون من أبرز الشعوب التي اهتمت بالبحث عن الذهب في أسواق بلاد جنوب الصحراء منذ القدم، ولهذا كان الكثيرون من التجار من الباحثين عن الذهب من الفنيقيين. من جانب آخر، يبدو من الصعوبة بمكان أن نتعرَّف بشكلٍ واضح على تلك الكيفية التي اكتشف بها سكان جنوب الصحراء للذهب، ومتى كان ذاك الاكتشاف، فهو أمر يشق على أي باحث، ويبدو صعب المنال في ضوء المصادر. إلا أن بعض روايات التراث الشفاهي ربما تكون المصدر الذي ربما تحمل في ثناياها أسرار الذهب الصحراوي، وبعضًا من غموضه، وطلاسمه، وكيف اكتشفه السكان المحليون، وفي أي حقبة زمنية، وفي عصر أي من الحكام في بلادهم. ولدينا العديد من الروايات الشفاهية ترتبط بذلك لاسيما في غرب أفريقيا، ومن أبرزها تلك الروايات الخاصة بمملكة وجدو القديمة Kingdom of Wagadu [*].

تُشكل مملكةُ وجدو القديمة الكيان السياسي الأقدم الذي تأسس في آراضي غانة، وهي لاتزال حقبة من أكثر حقب غرب أفريقيا غموضا. لقد ظهرت في بلاد غرب أفريقيا العديدُ من المرويات التي يغلب عليها الطابع الميثولوجي، أو ربما الخُرافي أيضًا، فيما يخص تصور بعض الشعوب هناك حول الذهب، وكيف ظهر في بلادهم، وهو ما يتوافق مع ثقافة تلك الشعوب، والبيئة التي ارتبطوا بها. وإذا ما

[*] مملكة وجدو: أو وجادو أو وكد تعد أقدم الممالك التي أسسها السوننك في غانة، وعن تأسيس السوننك لها، يقول موسى كامرة: "زعموا أن كيفية ابتداء كد أن أهلها قبل سكناها هاجروا يطلبون مسكنا راكبين خيولهم، يجولون حتى مروا تحت نسر على شجرة، لاريش له، وسالهم النسر عن حاجتهم، فقالوا نطلب مسكنا. فقال أعرف مسكناً يكثر فيه الذهب والفضة كالمطر، قالوا دلنا عليه، قال لا أقدر على الطيران لانحصاص ريشي بالجوع.

رجعنا لبعض تلك المرويات، وكذا بعض الحكايات ذات الطابع الميثولوجي، فإنه لدينا العديد من الأساطير، ولعل من أبرزها ما يُقال لها أسطورة الثعبان بيدا، وكذلك تعرف بأسطورة أمطار الذهب. وارتبطت تلك الأسطورة بمملكة وجدو (في غانة) التي اشتهرت بأنها مملكة الذهب منذ العصور القديمة، وعن تأسيسها، وما حيك حولها من الحكايات، يذكر شارل مونتي: "يعتبرهم الآخرون (أي السوننك) مؤسسين للإمبراطورية الأقدم حيث يحتفظ أهل المنطقة بذلك في ذاكرتهم، فإمبراطورية وجدو عند السوننك والتقاليد التاريخية إذا أمكن القول قد حفظها المتخصصون المحليون الذين يسميهم العوام من السوننك الجيسيرو، ويُبجل هؤلاء التراثيون بلقب فيدي، ويمكن أن تترجم بلغتنا المعلم، أو السيد.." (مونتي، 2018م، صفحة 21). تذكر الميثولوجيات الشعبية في أرض غانة أن الثعبان بيدا كان حامياً لبلاد وجدو، وكما كان حاميًا للأسرة الحاكمة التي اشتهرت بـ"أسرة سيسي" أو سيسيه Cisse. تذكر الأسطورة أن الثعبان كان يعطيهم الحماية مقابل أن يقدم أهل البلاد له قرباناً، أو أُضحية Hoocauste سنويًا، وهذا القربان عبارة عن فتاة عذراء من أجمل فتيات البلاد (David, p. 55). تحكي الأسطورة أنه كان يوجد ثمة شرطٌ آخر في هذا الاتفاق، وهو أن يمد ذلك الثعبان (بيدا) أهل غانة بالذهب في مقابل هذا القربان الذي يُقدم له (Gulihem, pp. 26-27). وكان تقديم القربان مع بدء موسم الأمطار، وكان الناس يعتقدون أن استقرار بلادهم كان بفضل ذلك الثعبان المقدس الذي يمنح بلادهم الذهب (مونتي، 2018م، صفحة 43). أما فيما يخص رواد استكشاف الذهب في جنوب الصحراء، ورواد الرحلات والمغامرات صوب أسواق الجنوب منذ القدم، فيأتي في مقدمتهم الفينيقيون، والجرمنتيون والبربر..الخ.

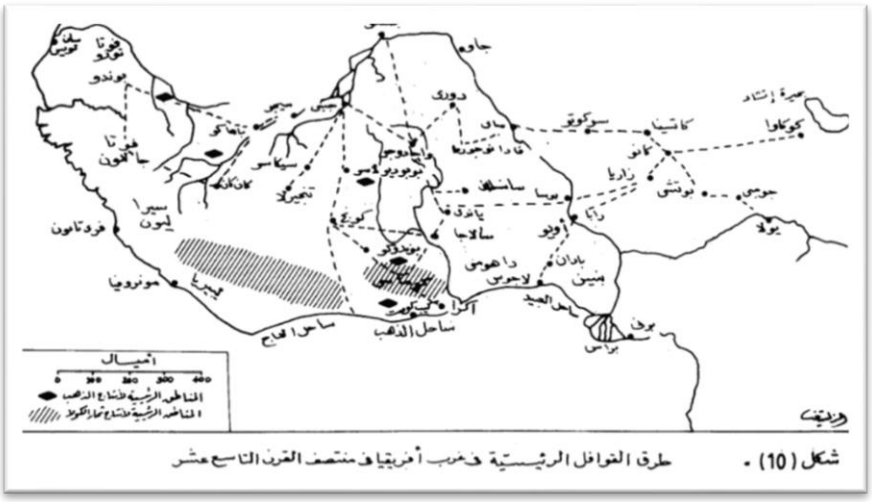

شكل 2- طرق القوافل الرئيسية في غرب أفريقيا

فالفينيقيون، فهم أقوامٌ مشهورون بالتجارة، واستكشاف رحلات البحار منذ أقدم العصور، ولما سيطروا على بلاد شمال أفريقيا، وأسسوا مملكة قرطاج، فكان للفينيقيين علاقات تجارية مع قبائل البربر بالصحراء (أوليفر، صفحة 59). واستفاد الفينيقيون زمن تطور الزراعة في بعض مناطق الصحراء الكبرى لاسيما في الشمال، وهو ما ساهم في ازدهار الحركة التجارية التي قاموا بها (المصدر السابق، الصفحات 59-60). بأية حال ارتبطت حركة القوافل التجارة ارتبطت بالصحراء والسكان القاطنين بها منذ حقب تاريخية بعيد لعلها ترجع على أقل تقدير لحوالي الألف الأخيرة قبل الميلاد، والألف الأولى للميلاد. أخذت تلك القوافل أشكالاً متباينة عبر التاريخ، حيث استخدم سكان الصحراء العجلات أو العربات التي تقودها الخيول أو ألحمير في بدايات الأمر بهدف اختراق دروب ومسالك الصحراء من شمال أفريقيا وحتى المناطق الجنوبية منها. ومع قدوم الإبل لمناطق شمال أفريقيا، صارت تلك الإبل الوسيلة الأثيرة لسكان الصحراء بهدف الذهاب لأسواق الجنوب، حيث توجد مناجم الذهب. وعن دور التجار الفينيقيين في ازدهار التجارة في شمال الصحراء، يقول فيلبسون: "كان الفينيقيون تجارًا عظامًا، ووفرت مستعمراتهم حافزًا لتجارة البربر مع مرتفعات الصحراء الوسطى، واحتمالاً مع غرب أفريقيا" (فيلبسون، صفحة 277).

من المؤكد أن الفينيقيين كان لهم دور في تأسيس العديد من المحطات التجارية على ساحل المحيط الأطلسي بهدف تسهيل التجارة مع الجنوب بهدف الحصول على الذهب الأفريقي (البرينسي، صفحة 167). لاريب أن الفينيقيين، أو بمعنى آخر القرطاجيين، كانوا يدركون أهمية الذهب الأفريقي في توطيد دعائم مملكتهم في شمال أفريقيا، وهي مملكة قرطاج، وأنهم كانوا على قناعة بأهمية الذهب في رخاء بلادهم (المصدر السابق، صفحة 167). يرى المؤلفُ أن الفينيقيين كانت نقطة تميزهم في التجارة البحرية التي برعوا فيها، ومن ثم دانت لهم السيادة على التجارة على سواحل شمال أفريقيا، والبحر المتوسط، وفي المحيط الأطلنطي، وفي الغالب لعب سكان المناطق الصحراوية ومنهم بربر الصحراء دور الوساطة التجارية بين الفينيقيين وسكان غرب أفريقيا وجنوب الصحراء لأن الفينيقيين لم يكونوا معتادين على مسالك الصحراء الوعرة، بينما كانوا سادة التجارة البحرية في العالم القديم. ويمكن القول بأن واحة غدامس أسهمت من جانبها بدور مهم في التجارة بين شمال وجنوب الصحراء خلال حقبة العصر الفينيقي (أبو القاسم، 2000م).

وتشكل منطقة غدامس- في ليبيا حاليا- مركزاً تجارياً مهمًا آنذاك، وكانت تعد بمثابة منطقة عبور (ترانزيت) بين مناطق الشمال الأفريقي لاسيما تونس وليبيا، وبلاد السودان الغربي والأوسط (المصدر السابق، صفحة 495). ويرجح أنه في العصر القرطاجي حيث سيطر الفينيقيون على شمال أفريقيا، فمن المعتقد أنه لم تنقطع العلاقات بين شمال الصحراء وجنوبها، حيث كانت التجارة والهجرات من جانب والإغارات من جانب آخر تتجه من الشمال حتى الجنوب لاسيما من فزان عن طريق الجرميين حتى حوض نهر النيجر، أو بجوار الساحل جنوبًا على البحر الأحمر، وبالقرب من مناطق القرن الأفريقي (دافيدسون، صفحة 13).

وكان العاج، وجلود الحيوانات، والرقيق، سلعا أساسية كان يأتي بها تجار الشمال من أسواق غرب أفريقيا منذ القدم، بينما كانوا يحملون لأسواق الجنوب المصنوعات الزجاجية والمعدنية، ومنتجات الفخار، من ثم صارت التجارة بين الشمال والجنوب مصدر أرباح طائلة للتجار الفنيقيين، وازدهرت حواضرهم التجارية الواقعة على السواحل، يقول فيليبسون: "ازدهرت المستعمراتُ الفينيقيةُ على قاعدة الأرباح التي حققتها هذه التجارة بدعم قدمته زراعة النباتات الحبيبية في السهول التونسية المسُيطر عليها من قبل حكام مملكة قرطاج بدءًا من القرن 5 ق.م، وما بعده، نتيجة ذلك تم استقطاب البربر المستقرين في المناطق الساحلية إلى أفق الثقافة والتقنية الفينيقية، وظهرت إلى الوجود ممالك البربر المستقلة شكليًا لكنها تابعة للفينيقيين" (فيلبسون، صفحة 277).

ويُعتقد أن الفينيقيين كانوا قد أقاموا علاقات تجارية مباشرة مع سكان جنوب الصحراء، وأنهم أقاموا طرقًا تجارية مع السكان المحليين في هذه البلاد، إذ كانت لدى الفينيقيين رغبة في البحث عن أسواق تجارية جديدة، وكذلك مناطق إنتاج المواد الخام، ولهذا تبدو منطقية وجود علاقات مع سكان جنوب الصحراء (سيد الناصري، صفحة 12). يذكر هيرودوت في القرن 5 قبل الميلاد أن بعض قاطني شمال الصحراء كانوا يقومون برحلات للجنوب. لعل منها خبر يتحدث عن رحلة قام بها خمسة أفراد من سكان جنوب ليبيا، وأنهم توغلوا في مناطق جنوب حتى وصلوا لمدينة تجارية تقع بالقرب من نهر عظيم، لعله في الغالب نهر النيجر، ويعتقد أن تلك المدينة كانت في الغالب تمبكتو في مالي حاليا (المصدر السابق، صفحة 12).

ويرى البعضُ أن تلك المدينة ربما كانت منطقة قريبة من موقعها، لأن تمبكتو لم تكن قد بنيت بعد، أي القرن 5 ق.م، إذ تأسست مدينة تمبكتو مع الإسلام، وانتشاره في غرب أفريقيا بحسب المصادر الأفريقية ذاتها، مثل "تاريخ السودان" للسعدي، و"تاريخ الفتاش" للقاضي كعت، وغيرهما (ابن بطوطة، صفحة 608). ويذكر السعدي (القرن 10هـ/16م) أن تمبكتو كانت قد نبتت ونشأت في حضن الإسلام، وأنها ما دُنست بالوثنية قط، ولاسجد على أديمها لغير الله (السعدي، 1898، الصفحات 20-21). بأية حال ارتبط ظهور الخيل وبروز دورها في شمال وجنوب الصحراء بأحد الشعوب القديمة، وهم الجرمنتيون، أو الغارامنت (حندوقة، صفحة 65)Geramantes، وكذا يُقال لهم الجرميون والكرامانيون (أنظر: احاديث هيرودوت عن الليبيين، صفحة 62). تلك التسمية نسبة لمنطقة جرمة، ويعتقد البعض أن الجرمنتيين هم أجداد بربر الطوارق الذين يقطنون الصحراء (بولم، 1974م، صفحة 34). أقام الجرمنتيون حضارتهم في واحة فزان، وكانت حاضرتهم جرمة (الفاخوري، 2012م).

يشير البعض إلى أن تسمية الجرمنتيين أو الكرامنيين (أكرا- أمون) قد تعني بالأمازيغية: حقل أمون، أو ربما مقر أمون، وهو المعبود المصري القديم المعروف لاسيما في طيبة (الأقصر حالياً) (أنظر: احاديث هيرودوت عن الليبيين، الصفحات 62-63)،

وهو ما يشير للتأثيرات الحضارية لمصر القديمة على سكان الصحراء. ويصف هيرودوت الجرمنتيين بأنهم شعب ذوي كثرة في عددهم، كما يذكر أنهم يعتمدون بشكل رئيس على حرفتي الزراعة والتجارة (Herodotus, p. 364) [1]. يذكر المؤرخ هيرودوت (القرن 5 ق.م) أنهم يقومون بنشر طبقة من التراب على الملح بهدف تخصيب التربة ثم يقوموا بزراعة التربة (Ipid, p. 364) [2]. لقد اختلفت الآراء والفرضيات التي أوردها الباحثون في العصر الحديث حول شعب الجرمنتيين، وأصل هذا الشعب الأفريقي، فمن قال إنهم في الأصل من بلاد الشام، وأنهم هاجروا بعد أن تغلب الملك داوود (1010-970 ق.م) على جالوت قائد العمالقة في حوالي القرن 10 ق.م (حندوقة، الصفحات 62-3).

بينما يرى آخرون أن الجرمنتيين كانوا من أصول مصرية، وكانوا تحديداً كانوا من سكان واحة سيوة غرب الآراضي المصرية (المصدر السابق، صفحة 63). وقيل غير ذلك من الفرضيات والآراء، إلا أنه من المؤكد، أن الجرمنتيين القدامى هم أسلاف قبائل الطوارق المعروفين في الصحراء. ويمكن الإشارة إلى أنه خلال العصر الفينيقي، أي بعد تأسيس قرطاج في شمال أفريقيا، كان الجرمنتيون يحملون لسكان سواحل البحر المتوسط بعض السلع المهمة لهذه البلاد كالريش، وبيض النعام، والرقيق التي أتوا بها من الأسواق الواقعة في جنوب الصحراء (بولم، 1974م، صفحة 34).

أما عن قبائل البربر، فهم من أهم المكُوِّنات الإثنية القديمة التي سكنت الصحراء، أو صحراء الذهب، ومن ثم كان لها اليد الطولى في نمو وازدهار تجارة الذهب والبحث عنه منذ أقدم العصور، ويذهب البعضُ إلى أن أقدم من قطن الصحراء الكبرى هم الزنوج الأفارقة، ثم صارت السيادة فيها بعد ذلك مع دخول الإبل لقبائل البربر.

ترجع أهمية البربر إلى أنهم كانوا من أقدم من اهتم بتجارة الذهب عبر الصحراء، والبحث عنه في أسواق جنوب الصحراء، ولما دخل العرب شمال أفريقيا مع قدوم العرب الذين أخذوا ينافسون البربر في تجارة الذهب مع الأفارقة المحليين في الجنوب*. وكان انتاج الذهب بكم كبير في مناجم الجنوب يحفز الكثيرين من تجار الشمال على القدوم مهما كان طول الأسفار*. ولقد تباينت الفرضيات حول البربر أو من يُقال لهم الأمازيغ حاليًا، وأصلهم الإثني، فمن قال إنهم ربما كانوا في الأصل من جذور عربية (ابن حزم، 2009، صفحة 495).

ثمة رأيٌ آخر يذهب إلى أنهم ينتسبون لجماعات من الفينيقيين القُدامى هاجرت من سواحل فينيقيا القديم (سواحل الشام)، ثم استقروا في بعض المناطق في شمال أفريقيا (ابن الفقيه، صفحة 81) (المقريزي، 2006م، الصفحات 144-145). وربما كان البربر يشكلون منذ القدم خليطاً ديموغرافياً من الفينيقيين وبعض الجماعات العربية القديمة التي هاجرت إلى شمال أفريقيا قبل الإسلام، ولعل ذلك هو الرأي الذي يميل إليه المؤلف. يؤيد ذلك الإتجاه أن عدداً من الباحثين، يشير إلى أنه حدثت هجرات قديمة بين سكان جزيرة العرب، وشمال أفريقيا، حيث إن جماعات من جزيرة العرب Arabia كانت قد هاجرت قديمًا إلى شمال الصحراء، أي أنهم كانوا في الغالب من بين الجماعات العربية القديمة المهاجرة من مواطنها الأولى (جزيرة العرب)، ثم استقروا في المناطق الشمالية من الصحراء حيث

---

[1] Herodotus: The Persian Wars, Vol. 1V, P. 364.

[2] Herodotus: Vol. 1V, P. 364.

* وكان انتاج الذهب بكم كبير في مناجم الجنوب يحفز الكثيرين من تجار الشمال على القدوم مهما كانت الصعوبات والتحديات، ومهما كان طول الأسفار. ولعلنا نحاول إدراك هذا الشغف بذهب الجنوب من خلال التعرف على انتاج الذهب في بعض المناجم بحسب الدراسات الحديثة. فعلى سبيل المثال كانت إنتاج بعض المناجم مثل بامبوك وبيوري على سبيل المثال في السودان الغربي خلال العصر الوسيط يبلغ قرابة 1000 كيلوجرام من الذهب، أو حوالي طن من الذهب، وهو رقم كبير مقارنة بالامكانيات البسيطة والبدائية المتاحة آنذاك لاستخراج الذهب. فكان ذلك حافزًا كبيرًا لتجار شمال أفريقيا ومصر للذهاب لأسواق جنوب الصحراء للحصول على الذهب. (انظر، الموسوعة الثقافية، دار الشعب، القاهرة، 1972، ص615.

* Michael Kevane: Gold Mining and Economic and Social Change in West Africa, Santa Clara University, Oxford University Press, 2015. P. 342. كان إنتاج بعض المناجم مثل بامبوك وبيوري على سبيل المثال في السودان الغربي خلال العصر الوسيط يبلغ قرابة 1000 كيلوجرام من الذهب، أو حوالي طن من الذهب، وهو رقم كبير مقارنة بالامكانيات البسيطة والبدائية المتاحة آنذاك لاستخراج الذهب. فكان ذلك حافزًا كبيرًا لتجار شمال أفريقيا ومصر للذهاب لأسواق جنوب الصحراء للحصول على الذهب، انظر

Michael Kevane: Gold Mining. P. 342

كان يعيش الكثير من البربر (ك. ماكفيدي، صفحة 35). لاريب أن هذا الرأي يبدو على قدر من الأهمية.

ويؤكد هذا الرأي على وجود صلات حضارية قديمة بين العرب والبربر بشكل لاجدال فيه، ولهذا صار كلاهما يعدون بمثابة سادة تجارة الذهب ومحتكريها عبر الصحراء منذ أقدم العصور. يعتقد ثلةٌ آخرون من الباحثين أن القبائل والبطون البربرية ربما كانوا قد سكنوا مناطق تلك الصحراء الشاسعة الامتداد منذ حوالي 3000 سنة (س. إبشتين، صفحة 77). ويبدو من الراجح أنه بمرور الزمن جرت جماعات من البربر القادمين من شمال أفريقيا للجنوب، ولاسيما لبلاد السودان، أو السودان الغربي. تُشكل تلك الهجرات بدورها مزيجاً عرقياً وإثنياً متنوعاً بين الجماعات المهاجرة من جانب، والشعوب الأفريقية المحلية من جانب آخر. لقد لعب المهاجرون من بلاد المغرب وشمال أفريقيا دوراً مهماً في تأسيس ممالك جنوب الصحراء. وارتبط تأسيس العديد من الدول والممالك الأفريقية الواقعة في جنوب الصحراء (مهران، 2016، صفحة 39 ومابعدها).

كما ارتبطت الصحراء، على غرار تلك الموجودة في غانة القديمة، وباقي بلاد السودان الغربي، وبلاد النوبة، وفي بلاد البجة، وكذا في مناطق الصحراء بالقرب من زيمبابوي بالذهب، ومناجمه، وتجارته، وكانت تلك المناطق هي الأبرز التي ازدهرت فيها تجارة الذهب خلال العصر الوسيط في القارة، وكذلك في العالم القديم، بل وحتى يومنا هذا. من ثمة كان للذهب دورٌ مهم في ثراء هذه البلاد، وتأسيس الممالك الأفريقية في هذه الفيافي الشاسعة الامتداد (كامرة، الصفحات 30-31). وكان سكان السودان الغربي من أكثر الشعوب التي انتشرت فيها تلك النوعية من صنوف التراث الشعبي المرتبط في ذات الآن بالموروث الميثولوجي من أيام الأسلاف، وهو ذلك الموروث الذي يختلط بالطبع مع بعض الأحداث الحقيقية التي وقعت بالفعل، وتُعَد غانة واحدةً من أكثر الممالك التي ظهرت في غرب أفريقيا عراقة وقدماً (Divid C. Conrad, 1983).

يقسم البعضُ غرب افريقيا والشعوب القاطنة بها لعدة تقسيمات جغرافية وديموغرافية: الأول، يعرف بالسفانا الغربية la Occidentale Savane، أما الثاني: فهو الذي يطلق عليه شعوب السافانا الوسطى la Savane Central (Halimatou, 2015, p. 66). بينما الثالث، فهم المعروفون بشعوب الغابات Peuples de la Foret (Ipid, p. 66). ويُحدد الجُغرافيون القدامى موقع تلك المملكة من جُغرافيا بأنها من بلاد الصقع الثالث من المعمور بالأرض (الزهري، د.ت، صفحة 125). تذكر المصادر أنه تبلغ المسافةُ بين مدينة غانة من جانب، والبحر الأعظم، ويقصد به: المحيط الأطلنطي، غرباً من جانب آخر زُهاء ثمانية أيام (المصدر السابق، صفحة 125).

شكل 3- خريطة تصور أهم طرق التجارة الصحراوية التي تؤدي لمناجم الذهب في جنوب الصحراء،
طرخان: البرتغاليون في غرب أفريقيا، ص15

ولعبت العديدُ من القبائل الأفريقية المحلية، في ذات الوقت، دوراً مهماً في ازدهار التجارة، لأنهم يدركون أن تجارة الذهب هي الأساس الذي تقوم عليه حياتهم الاقتصادية، ورفاهيتهم، وهو ما أدركه حكام غرب أفريقيا منذ القدم. ويأتي في مقدمة تلك الشعوب: الماندنغو، أو الماندنغ، وبطونهم وفروعهم التي أسهمت اسهامًا لايمكن إنكاره في ازدهار تجارة الذهب بين شمال وجنوب الصحراء. وينسب للعديد من الفروع التي تنتسب للماندنغو ازدهار التجارة بصفة عامة، والذهب خاصة، لاسيما السوننك، والديولا، والونغارة (الونقارة)...الخ، وكلهم من فروع الماندنغو في غرب أفريقيا. وسكن الماندنغو فيما بين أرض التكرور والصنغاي التي تمتد من شرق

نهر النيجر، وأعالي نهر السنغال في الغرب، ومنطقة الغابات في أقصى الجنوب (كامرة، صفحة 38).

ثالثًا- وسائلُ البحث عن الذهب في بلاد السودان الغربي قبل الإسلام:

تعددت الوسائلُ التي استخدمها التجار القادمون من شمال الصحراء صوب آراضي الجنوب بغرض التبادل التجاري لاسيما للحصول على الذهب من قاطني تلك البلاد، ولعل من أقدم تلك الوسائل التي استخدمت في الغالب لتلك الغاية الثيران، ثم استخدم التجار الخيل، وتحديدًا العربات التي تجرها الخيل، غير أنه وبسبب التغيرات المناخية التي حدثت في مناطق جنوب الصحراء ومع قلة الأمطار وانقطاعها في أكثر أقاليم الصحراء استخدم التجار الإبل للذهاب إلى أسواق الجنوب. ويمكن ملاحظة تلك الوسائل من خلال الرسوم الصخرية التي تم الكشف عنها في شتى أقاليم الصحراء الكبرى.

قسم العلماء كل مرحلة من مراحل تطور الفن الصخري باسم الحيوانات التي برز دورها في كل منها. وتعد المرحلة المعروفة بحقبة رعي البقر، وتسمى أيضاً "عصر الثيران" من أهم مراحل تطور الفن الصخري التي تظهر أهمية الثيران خلال تلك الحقبة العتيقة من تاريخ سكان الصحراء، وهي تمتد من الناحية الكرونولوجية لما بين حقبة الألف 5-4 ق.م، وكان إنسان الصحراء يعتمد آنذاك على جمع الحبوب، وصيد الحيوانات، والطيور، وصيد الأسماك (الربيعي، صفحة 193). يطلق البعضُ عليها البعض "الحقبة البقرية"، لأنها تتميز بكثرة وجود رسوم ونقوش تصور مناظر رعي الأبقار، وتربيتها، وتلك الرسوم يحددها البعض بحوالي الألف 6 ق.م (فيرني، 2002م، صفحة 89).

وتطابق تلك الحقبة ما يقال له العصر الحجري الحديث (النيوليثي) حتى الألف الثاني ق.م، وربما حتى الألف الأخير ق.م (المصدر السابق، صفحة 89). يجدر بالذكر أن الرسوم الموجودة في الصحراء الجزائرية المترامية الأطراف مجتمع رعاة البقر، وكانت كل جماعة تعمل على زيادة قطعانها مما أدى للتنافس والصراع مع بعضها البعض، وهو ما نتج عنه قيام ما يمكن أن يكون تنظيمات شبه قتالية لحماية قطعانهم لاسيما الأبقار (جراية محمد، صفحة 103). ثم مرت تجارةُ الذهب بالصحراء بالعديد من التطورات، والأنماط المتباينة التي ترتبط داخل البيئة الصحراوية التي لها تأثير مهم جدًا على النشاط الاقتصادي وأنماطه، لاسيما تجارة القوافل، وحتى نوعية الحيوانات والدواب التي كان يستخدمها قاطنو الصحراء في رحلاتهم ما بين الشمال والجنوب بهدف البحث عن الذهب، وكانت أكثر الحيوانات التي تستخدمها القوافل آنذاك: الثيران، والخيل، وكذلك الإبل، وذلك عبر آلاف السنين.

شكل 4- أحد مناظر الثيران الموجودة على جدران صخور الصحراء الكبرى

يشير العلماءُ لما يطلق عليه "عصر الخيل" Era of Horses، أو تلك المرحلة التي بدأت تظهر فيها رسوم الخيل في الفن الصخري، من أبرز مراحل تطور الفن الصخري بشكل عام، إذ إنها تشكل الحقبة الخاصة بإرهاصات أو البدايات المبكرة الحقيقية للتجارة الصحراوية بين الشمال والجنوب، من ثم بدايات التواصل الحضاري والثقافي بين السكان بالصحراء. وتبدأ تلك المرحلةُ بعد حوالي منتصف الألف 2 قبل الميلاد، ولاريب أن الخيل كانت قد دخلت آراضي أفريقيا عن طريق مصر، وأنها جاءت في الغالب لأرض مصر من آراضي آسيا (بولم، 1974م، صفحة 35). ويُطلق العلماء على تلك المرحلة المهمة تسمية: "عصر الجرمنتيين"

(فيلبسون، صفحة 194)، بينما يُحددها آخرون مع نهايات الألف 2 ق.م، ومع بواكير الألف الأول ق.م (فيرني، 2002م، صفحة 91).

في الغالب، استمر السكان بالصحراء في الاعتماد على الخيل في زمن الوجود الروماني في هذه البلاد، وحتى القرن الأول الميلادي على أقل تقدير (ويدنر، 2001م، صفحة 26). من المعلوم أن مصر كانت من أقدم البلاد في أفريقيا التي عرفت الخيل، كما أن المصريين عرفوا استخدام العجلات التي تجرها الخيل منذ حوالي سنة 2000 ق.م (بوزنر، 1996، الصفحات 347-348)، هذا النوع من العربات يُطلق عليها Chariot Horse-down وهي ذات العربات التي ظهرت فيما يبدو مع قدوم الهكسوس الغزاة (Lynne , 1977, pp. 15-16). ويحدد البعضُ وجود الخيل في شمال أفريقيا، وباقي مناطق الصحراء بحوالي سنة 1200 ق.م (ب. دافيدسون، صفحة 10). يذكر أحد الدارسين أن الصحراء كانت قد عرفت 4 فترات من السُكنى خلال عصرها المزدهر، وكان أولهم قوم كانوا يعملون بالصيد، تبعهم أخيراً قوم يرعون الماشية، "وهؤلاء أو خلفاؤهم حصلوا على الخيل في حوالي سنة 1200 ق.م" (المصدر السابق، صفحة 10). ويرجع بعض الباحثين وجود الخيل بالصحراء لمدة بعيدة جداً قد تصل لحوالي 30 ألف سنة (أنظر: احاديث هيرودوت عن الليبيين، صفحة 64)، وهو رأيٌ يحمل بلاريب الكثير من المبالغة غير المنطقية، إلا أنه من المؤكد أن الخيل كان لها وجود قديم بالصحراء منذ ألف أو 2000 سنة قبل الميلاد على أكثر تقدير.

تذكر الرواياتُ الشفاهية في غانة أن سكان وكد، وهي ذاتها مملكة وجدو، كانت لديهم الخيول قبل تأسيس تلك مملكة غانة، وهو ما يشير لذيوع الخيل في التراث الأفريقي القديم. وتذكر بعض الروايات الشفاهية الخاصة بشعب السوننك*، أن سكان المملكة كانوا يبحثون عن أرض يسكنون فيها، ثم قابلوا نسراً ليس له ريش (كامرة، صفحة 252). ثم تحدثوا مع النسر عن حاجتهم، فأخبرهم أنه يعلم أرضاً طيبة، وبها الكثير من الذهب كأنه المطر، واتفق معهم أن يطعموه حتى ينموا له الريش، من ثم يمكنه أن يذهب بهم لتلك الأرض، ثم أطعموه من لحوم الخيول حتى سمن، وبعد ذلك نما ريشه (المصدر السابق، صفحة 252). أما عن وجود الخيل، تذكر تلك الأسطورة الأفريقية: "فجعلوا كل أسبوع يتناوبون فيه بمُهرٍ من الخيل سمين يأتون للنسر به، فيقتلونه، فمازالوا هكذا حتى سمن النسر" (المصدر السابق، صفحة 252). تشير أسطورة الثعبان بيدا الغانية المعروفة لوجود الخيل فيما قبل تحول سكان البلاد للإسلام، وأن الفتى مامادو الذي تمكن من قتل الثعبان لينقذ حبيبته التي كان من المفترض أن يلتهمها الثعبان بحسب الأسطورة، ثم هرب الفتى مع حبيبته على متن فرسه (مونتي، مملكة وجدو بين الاسطورة والتاريخ، 2018م، الصفحات 46-49). على هذا، تؤكد الأساطير الأفريقية القديمة أن شعوب السودان الغربي كانوا يعرفون الخيل منذ أقدم العصور، غير أنه ليس بالإمكان تحديد ذلك الوقت على وجه اليقين، ولاريب أن ذلك يؤرخ لما قبل الإسلام وانتشاره في آراضي غرب أفريقيا بقرون عديدة.

* السوننك: من أقدم شعوب وقبائل غرب أفريقيا، وهم من فروع الماندنجو أو الماندي، ينتسب لهم تأسيس مملكة غانة التي تعد أقدم ممالك غرب أفريقيا. وللمزيد عن السوننك، انظر طرخان: امبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970م ص28. ج. نياني: تاريخ أفريقيا العام، المجلد الرابع، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ أفريقيا العام (اليونسكو)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م، ص29. أحمد الشكري: مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية، معهد الدراسات الأفريقية (الرباط)، 1997م.

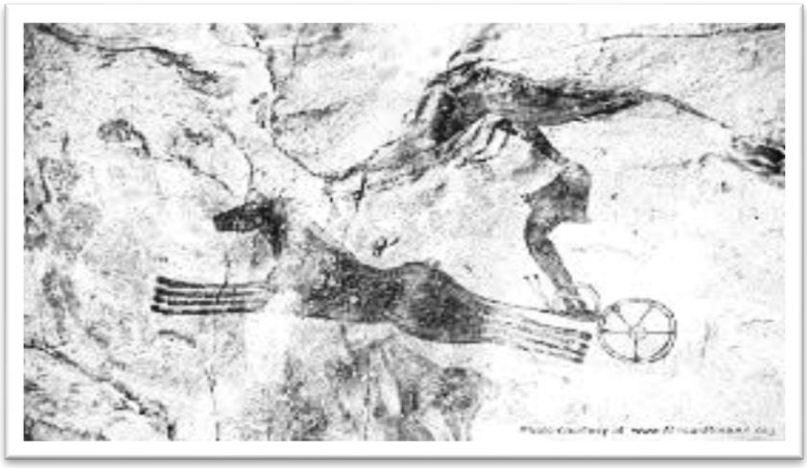

شكل 5- رسوم صخرية لأحد الخيل يجر إحدى العربات بالصحراء - لوحات طاسيلي

لاريب أن استخدام الخيل وظهورها بالصحراء يُشكل ما يمكن أن يُعد بمثابة الارهاصات المبكرة لحركة القوافل باستخدام الخيل في الانتقال، وحمل البضائع فيما بين شمال الصحراء وجنوبها. تتميز تلك المرحلة بظهور الخيل التي كانت تجر العربات ذات العجلات، ومعلوم أن الرسوم والمناظر الخاصة بهذه العربات تظهر في العديد من المناطق التي تمتد من صحراء ليبيا وحتى الصحراء الموريتانية في الغرب، مروراً بمنطقة أيير في النيجر، وكذلك في منطقة أدرار إفوجاس التي تقع في آراضي مالي حالياً (فيرني، 2002م، صفحة 91). من المؤكد أن الخيل ظلت تستخدم في نقل السلع التجارية التي تحملها القوافل الذاهبة لأسواق جنوب الصحراء حتى القرن الأول قبل الميلاد على أقل تقدير (ويدنر، 2001، صفحة 26). وربما بعد ذلك، وهو ما تؤكده رواية هيرودوت الذي زار صحراء ليبيا بعد سنة 449 ق.م، ويذكر أن سكان صحراء ليبيا القدامى، وهم الجرمنتيون، كانوا يركبون العربات التي تجرها الخيل، وكانوا يطاردون بها أهل الكهوف من الإثيوبيين بحسب قوله، والمقصود بهم سكان غرب أفريقيا (حندوقة، صفحة 65). وتتسم الفنون الصخرية التي تؤرخ لعصر الخيل أنه في بعض الأحيان كانت رسوم الخيل تبدو ذات امتداد واسع، ففي وادي جرات، يوجد رسم يؤرخ لتلك المرحلة، وهو على امتداد حوالي 9 أمتار (ج. كي . زيربو، صفحة 671). ظل استخدام الخيل بالصحراء حتى أيام الرومان فيما يعتقد، ويحدد البعضُ أنه في حوالي منتصف القرن الأول ق.م، لم يعد في الإمكان أن تعيش الخيول والثيران في الصحراء كما كان الحال من قبل، بسبب التغيرات المناخية التي حدثت (ويدنر، 2001، صفحة 26).

ولندرك أهمية ما ورد في المصادر التاريخية حول الخيل، وانتشار العربات التي تجرها الخيل، نذكر بعضاً مما ورد في كتاب هيرودوت (مجلد4، فقرة 183): "وانطلاقاً من أوجلة وعلى مسافة عشرة أيام أخرى، يوجد تل ملحي..ويسكن هنا قوم يسمى الكرامنيون (الجرمنتيون)*، وهم، أي الجرمنتيون، شعب كثير العدد..يطارد هؤلاء الكرامنيون على عرباتهم ذات الخيول الأربعة الإثيوبيين التروكلوديت الذين يسكنون الكهوف الذين يتميزون بالجري السريع لايضاهيهم في ذلك أي حد" (Herodotus, p. 364). كما يذكر هيرودوت متنا آخر (مجلد 4، فقرة 189) في غاية الأهمية، حيث يذكر أن الإغريق هم من أخذوا عن سكان الصحراء، فكرة العربات التي كانت تجرها الخيل: "اقتبس الإغريقُ عن الليبيين لباس ودرع تماثيل أثينا..ومن الليبيين أيضًا تعلم الإغريق قيادة العربات ذات الخيول الأربعة.." (Ipid, p. 367).

يمكن أن نخلص إلى أن الخيل كان لها تأثير لافت على نمو النشاط الاقتصادي، لاسيما ما يرتبط بتجارة القوافل فيما بين شمال وجنوب الصحراء الكبرى لاسيما قبل الحقبة التي ظهرت فيها الإبل. كما أسهمت الخيل بدورها في إحداث مزيد من توثيق الروابط والصلات الحضارية والثقافية بين سكان شمال وجنوب الصحراء، خاصة مع ازدياد حركة التجارة بين ضفتي الصحراء، وقدوم سكان شمال أفريقيا لأسواق الجنوب بحثاً عن الذهب الذي ذاعت شهرته في شمال الصحراء منذ القدم، وهو ما ساهم في إحداث أنواع من

* الكرامنيون: ويقصد بها الجرامنتيين أو الجارامنت حيث يختلف نطق الاسم من ترجمة لأخرى في كتاب هيرودوت كما هو واضح من خلال كثرة الأشكال التي يكتب بها اسم هذا الشعب الأفريقي القديم.

المزج الحضاري والتلاقح الثقافي بين السكان في كل من الجنوب والشمال. ومع حدوث التغيرات المناخية، وتحول الصحراء لصورتها الحالية، قل الاعتماد على الخيل بمرور الزمن، من ثم برز دور الإبل في تلك الحقبة، إذ صارت البديل الملائم بشكل كبير لطبيعة الصحراء خلال تلك الفترة بدلاً من الخيل (أوليفر ر.، الصفحات 69-70). يجدر بالذكر أن المراحل الخاصة بالفن الصخرى بالصحراء تنتهي بما يُطلق عليه عصر الإبل Age of Camel، وهي الحقبةُ التي تُشكل البداية الحقيقية لازدهار تجارة القوافل. ويمثل ظهورُ الإبل نقلةً تاريخية في حركة القوافل بين شمال وجنوب الصحراء.

وتُعد آراضي آسيا الموطن الأول للإبل لاسيما في بلاد جزيرة العرب (Toby Wikinson, 2008, p. 47)، ومن المُعتقد أن هذه الفترة ترجع لحوالي القرون الأولى الميلادية (هنري لوت، صفحة 12) (أنظر: احاديث هيرودوت عن الليبيين، صفحة 194). ومن الراجح أن الإبل كانت قد وصلت في الغالب إلى آراضي شمال أفريقيا عن طريق آراضي مصر، وهي التي عرفت الإبل بدورها منذ عدة قرون ق.م (فيرني، 2002م، صفحة 91). يشير البعضُ، ومنهم دونالد ويدنر، بأن الرومان هم الذين أدخلوا الإبل إلى مناطق الصحراء من بلاد آسيا الصغرى (ويدنر، 2001م، صفحة 26)، وهو رأي ينقصه بعض الدقة في رأي المؤلف. يُحدد البعضُ بدوره وجود الإبل في أفريقيا منذ حوالي القرن 9 ق.م (Toby Wikinson, 2008, p. 47)[3]. لعل من أقدم بقايا الإبل التي كُشف عنها في مناطق الصحراء بالقرب من قصر أبريم بأسوان في مصر (Ipid, p. 47).

ويبدو من المهم أن نؤكد أن المصادر كما أوضحنا آنفاً تشير إلى أن الخيل وربما الثيران، ظلت تستخدم في الصحراء حتى القرون المتأخرة قبل الميلاد في القوافل التجارية، وهو ما يبدو بشكل أو بآخر من المصادر اليونانية وغيرها، وليس من المُستبعد البتة أن الخيل ظل سكان الصحراء وتحديداً التجار يستخدمونها في ذات الآن الذي ظهرت فيه الإبل لمدة لانعرف مداها على وجة اليقين أو التحقيق، وإن يرى البعضُ أن مكانة الخيل قد قلت لصالح الإبل في أقاليم الصحراء شمالاً وجنوبًا على السواء منذ حوالي منتصف القرن الأول قبل الميلاد (ويدنر، 2001م، صفحة 26). إلا أنه من المؤكد أن الخيل ظلت تستخدم جنباً لجنب مع الإبل بشكل أو بآخر لبعض الوقت ولفترة زمنية لانعلمها، حتى أدرك تجار أنه لامناص من أن الإبل تشكل الوسيلة الأنجع في قيادة قوافل التجارة عبر الصحراء نظراً للفوارق الواضحة بين الطبيعة البيولوجية لكل من الخيل والإبل، إذ إنهم أدركوا أن الإبل هي أكثر قدرة وتحملاً وجلداً على عبور طرُق الصحراء التي تتسم بوعورتها وقسوتها أكثر من الخيل. لعله من المؤكد، في رأي المؤلف، أن ذلك التحول في مكانة كل من الخيل والإبل، كان مرتبطًا بشكل لاخلاف عليه بالتغيرات المناخية، وتطورها، إذ أصبحت الصحراء وأقاليمها فيما يبدو على حالتها الحالية لحد بعيد، واختفت السافانا تماما، ولم يعد الغطاء الأخضر بها كما كان في الماضي القريب، وهو ما جعل مهمة الخيل تبدو أكثر مشقة في عبور الصحراء.

شكل 6- مناظر تصور قافلة من الإبل على الجدران الصخرية بالصحراء

من ثمة صارت الإبل الحل المناسب أمام التجار لعبور دروب الصحراء الكبرى إلى أسواق الذهب في أقصى الجنوب، وعن تلك

[3] Toby Wikinson: Dictionary of Ancient Egypt, P. 47.

الفترة الانتقالية، والتي شهدت المرحلة ما بين سيادة الخيل وأفولها كوسيلة رئيسية لتجارة الصحراء من جانب، وقدوم الإبل إلى أقاليم الصحراء من جانب آخر، يذكر دونالد ويدنر: "كان في الإمكان تربية الخيول على نطاق واسع حتى العصر الروماني، وفي حوالي سنة 46 ق.م، لم يعد في الإمكان أن تعيش الخيول والثيران بالصحراء، وحل الرومان المشكلة بأن جلبوا الإبل من بلاد آسيا الوسطى، غير أن سفن الصحراء هذه لم تكن كثيرة أو ذات أهمية حتى القرن الرابع بعد المسيح" (المصدر السابق، صفحة 26)، لكن من المتُعارف عليه أن الإبل إلى سكان الصحراء الكبرى جاءت في الغالب من كل من مصر وبلاد جزيرة العرب.

رابعًا- أهمُ رحلات البحث عن الذهب في السودان الغربي فيما قبل الإسلام:

شهدت أقاليم جنوب الصحراء الكبرى حيث تكثر بها مناجم الذهب وأسواقه العديد من أشكال الرحلات والمغامرات فيما بين سكان شمال وجنوب الصحراء الكبرى، سواءً كانت رحلات ذات طبيعة استكشافية لمعرفة أسواق الذهب ومناجمه، أم أنها كانت رحلات تجارية، وهي الرحلات التي قام بها عدد ليس بالقليل من الرحالة والمستشكفين القدامى، وكذلك إضافة لرحلات أخرى قام بها التجار منذ أقدم العصور، بعد أن نالت تلك البلاد شهرة واسعة بفضل وجود مناجم الذهب، وأسواقه، وهو الأمر الذي أشار إليه العديد من المؤرخين اليونان والرومان.

من المؤكد أن التواصل بين الشمال والجنوب كان أمرًا معتادًا، وكان الذهب يشكل المأرب الكبير لتجار شمال الصحراء. يبدو من الأدلة الأثرية التي تؤكد ذلك أنه تم الكشف في بعض المناطق التي ترجع لأيام القائد القرطاجني هانيبال، في حوالي سنة 406هـ، إذ تم الكشف عن كميات كبيرة من مصنوعات العاج، وعدد من الزنوج الأفارقة في إيطاليا وصقلية واليونان، مما يدل على استمرار التواصل بين سكان الشمال والجنوب (طرخان ا.، 1963). مما لاريب فيه أن قوافل الإبل ظهرت قبل الميلاد، وأشار لتلك الرحلات المؤرخون القدامى مثل هيرودوت (ت: حوالي 450 ق.م)، واستربون (حوالي 64 ق.م)، وبليني (23-79م)، وبطليموس الجغرافي في حوال القرن 2م، وغيرهم (أوليفر، صفحة 97). ويعتقد أوليفر أنه لو ربطنا ذلك بملاحظات هيرودوت لتوصلنا لدلائل واضحة تشير لوجود علاقات منتظمة بين شعوب البحر المتوسط وسكان شمال أفريقيا من جانب، وزنوج أفريقيا من جانب آخر منذ القرن 5 الميلادي على الأقل (المصدر السابق، صفحة 97).

ولقد كانت القوافل التي يرسلها الفينيقيون إلى مناطق جنوب الصحراء، تستخدم الطريق التجاري القريب من مدينة جرمة الواقعة في الصحراء الليبية، وهي التي كانت حاضرة الجرمنتيين، وكانت القوافل التجارية تحمل السلع من الشمال ومنها الزجاج والملح والنبيذ والقمح للسكان الأفارقة في جنوب الصحراء (الناصري، صفحة 13).

وسوف نتحدث عن أهم تلك الرحلات القديمة التي قام بها التجار والرحالة القدامى إلى أسواق الذهب، وهي التي ترجع لعدة قرون قبل الميلاد. وتعد رحلة البحار الفينيقي المدعو باسم إيتوبال الصوري Ithobal of Tyre واحدة من أقدم الرحلات الاستكشافية في التاريخ، ولقد كانت تهدف بشكل أساسي للكشف عن آراضي قارة أفريقيا، أو في الغالب سواحل البلاد المعروفة باسم: بلاد السودان (أي بلاد جنوب الصحراء)، وتؤرخ تلك الرحلة بحسب البعض لحوالي سنة 600 ق.م، إذ إنه في تلك السنة حدثت واحدة من يمكن أن توصف بأنها واحدة من أروع الرحلات البحرية في العالم القديم، وكانت تلك الرحلة بناءً على طلب حكام مصر القدامى، إذ من اللافت أنها كانت قد بدأت من أرض مصر، وهي رحلة بحرية كان قد أرسلها ملك مصر نخاو الثاني Nechao II (طرخان، الصفحات 12-13).

من المؤكد أن تلك الرحلة كانت بهدف استكشاف السواحل الأفريقية كافة شرقا وغربا وحتى جنوبا في المقام الأول، ومن المعتقد أنها كان من أهدافها الذهاب لبلاد بونت في الجنوب، وهي البلاد التي كانت تشتهر بالذهب، وهي البلاد التي كان يعرفها المصريون القدماء منذ أقدم العصور، منذ حقبة الأسرة الرابعة على أقل تقدير، أي منذ حوالي القرن 24 ق.م، لقد قاد تلك الرحلة البحار الفينيقي المشهور إيتوبال، وهو الرحالة الذي يعرف في ثنايا كتب التاريخ باسم إيتوبال الصوري Ithobal of Tyre *

وكانت تلك الرحلة تضم بحارة من المصريين والفينيقيين في ذات الآن بقيادة إيتوبال، بدأت تلك الرحلة من سواحل البحر الأحمر، ثم اتجهت لسواحل شرقي أفريقيا، ثم إلى سواحل جنوب القارة، ثم لسواحل غرب أفريقيا، ومنها عبرت السفن المصرية التي كان يقودها الفينيقيون بقيادة إيتوبال إلى أعمدة هرقل، وهو مضيق جبل طارق حاليا، ثم البحر المتوسط (طرخان، صفحة 13). ولقد استغرقت تلك

* الصوري نسبة لمدينة صور، وكانت احدى المدن الفينيقية الكبرى على سواحل بلاد الشام، وهي تقع في لبنان حاليا.

الرحلة بحسب بعض المصادر قرابة ثلاثة سنوات، ويقال إن البحارة الذين كانوا في تلك الرحلة كانوا يقومون بالاستقرار عند بعض السواحل الأفريقية لاكتشاف تلك البلاد، ولهذا كانوا يقومون بالزراعة والحصاد من أجل توفير طعامهم خلال تلك الرحلة الطويلة (المصدر السابق، صفحة 13).

ويتحدث هيرودوت عن رحلات التجار القرطاجيين لمناطق كانت تشتهر بالذهب، وكانت تقع خلف أعمدة هرقل، وهي منطقة جبل طارق، ولعله يقصد بذلك المناطق التي كانت تقع فيها مدن سجلماسة أو وادي درعة، أو بالقرب منهما، وهاتان المنطقتان من أشهر المحطات التجارية التي ترتبط بتجارة الذهب (البرينسي، صفحة 167). ويقول هيرودوت عن استخدام طريقة التجارة الصامتة في موضوع التبادل التجاري: "يوجد خارج أعمدة هرقل منطقة في ليبيا يعيش فيها سكان يأتي إليهم القرطاجيون، ويفرغون بضائعهم على شاطيء البحر، ثم يعودون إلى سفنهم، ويوقدون نارًا ذات دخان لإخبار السكان الأصليين. وعندما يشاهد هؤلاء الدخان يقتربون من الشاطيء ويضعون بجانب السلع القرطاجية ذهبا مقابل البضائع، ثم ينسحبون بعيدا عنها.." (هيرودوت، صفحة 100).

ويذكر هيرودوت أن التجار القرطاجيين كانوا ينزلون مرة أخرى من سفنهم إلى الشاطيء، وكانوا يتأملون الذهب الذي وضعه التجار الأفارقة، فإذ ظهر لهم أن كمية الذهب توافق قيمة البضاعة، فكانوا يأخذون الذهب، ويعودون لسفنهم، وعندها تنتهي المعاملات التجرية بالحصول على الذهب (المصدر السابق، صفحة 100). بيد إنه إذ رأي التجار القرطاجيون أن قيمة الذهب تبدو أقل من البضاعة التي وضعوها، فكانوا يتركون الذهب، ثم يعودون لمراكبهم، عندها يعود التجارة الأفارقة، ثم يقومون بزيادة المعروض من الذهب إلى أن يقتنع التجار القرطاجيون (هيرودوت، صفحة 100).

ثم ينهي هيرودوت تلك الرواية المهمة إلى بعض الوسائل والطرُق الأخلاقية التي كان يستخدمها التجار الشماليون مع أندادهم الأفارقة في أقصى الجنوب، وهي أن لايقوم أحدهم بأخذ السلعة التي يريد إلا بعد أن يتأكد من رضاء الطرف الآخر "طيلة هذه العملية لايخدع أحدهما الآخر، فالقرطاجيون لايأخذون الذهب إلا بعد أن يوافق قيمة بضائعهم، كما أن السكان الأصليين لايمسون البضائع إلا بعد أن يوافق قيمة بضائعهم، كما أنهم لايمسون البضائع إلا بعد أن يأخذ القرطاجيون ذهبهم" (المصدر السابق، صفحة 100). لاشك أن ما يذكره هيرودوت هو من أقدم ما ورد في المصادر التاريخية عما يقال لها التجارة الصامتة، أو التبادل الصامت، وهي التي أفاضت المصادر التي تؤرخ للعصر الوسيط في الحديث عنها، أي بعد أيام هيرودوت بحوالي 15 قرنًا على أقل تقدير.

ولعل من بين أهم الرحلات التي قام بها الفينيقيون لبلاد جنوب الصحراء تلك التي قام بها أحد الرحالة القرطاجيين القدامى المعروفين، ومن الواضح أنه لم يكن رحالة عاديًا، بل كان من أكابر القوم، وهو الملك هانون Hannon، وقيل: كان اسمه هانو (طرخان، الصفحات 12-13). ويقال إن هانون كان قد أبحر من بلاده، وكان معه في تلك الرحلة قرابة 60 سفينة بحرية صوب سواحل غرب أفريقيا (المصدر السابق، الصفحات 12-13). وخلال تلك الرحلة وصل الملك هانون إلى الآراضي القريبة من مصب نهر السنغال، ثم حاول التوغل للمزيد داخل بلاد جنوب الصحراء حتى وصل لآراضي سيراليون الحالية بحسب بعض المؤرخين (ابراهيم طرخان، 1970، صفحة 6). ولقد أقام هانون الفينيقي العديد من المحطات التجارية، وقد وصف لنا البلاد التي كان قد شاهدها بعد أن عاد لبلاده، ويعتبر هانون من أقدم من تحدث عن نظام التجارة الصامتة المعروف في هذه البلاد (المصدر السابق، صفحة 6).

كما كان للتجار الفزانيين دورٌ مهم في اكتشاف الذهب والبحث عنه في جنوب الصحراء، ويشير مصطلحُ الفزَّانيين لسكان واحة فزان بالصحراء الليبية، وهي تقع في الجنوب من إقليم طرابلس، وهي تضم العديد من الواحات، وترتبط تلك الواحة بحضارة الجرمنتيين القدامي، أو الغارامانت (ليفيتسكي، صفحة 320). كان لتلك الواحة أهميةٌ كبيرة في تجارة الصحراء منذ ما قبل القرن الخامس قبل الميلاد على أقل تقدير، حيث يذكر هيرودوت أن بعض الجماعات من سكان واحة فزان، وهم في الغالب فيما يرى المؤلف من الجرمنتيين، وهم من الشعوب المعروفين في تلك المنطقة، كانوا يذهبون بعرباتهم إلى أسواق جنوب الصحراء، وكانت العربات التي يقومون بقيادتها تبدو ضخمة فيما يبدو، وكان يجر كل عربة منها أكثر من فرس، ويقال كان عددهم 4 من الخيل لكل عربة (أوليفر، صفحة 67). بينما تظهر بعض الرسوم أو النقوش، من جانب آخر، أن بعض العربات كان يقودها فرس واحد فقط لا أكثر، وهو أمر طبيعي بلاريب.

بيد أن رواية هيرودوت تؤكد ذات الفكرة التي تصورها الرسوم الصخرية من وجود علاقات تجارية قوية بين شمال وجنوب الصحراء

منذ القدم، وفي تعليقه على رواية هيرودوت، يقول رولاند أوليفر: "هذا التقرير يوضح بما لايقبل الشك صحة ما ترويه الرسوم العديدة على الصخور التي وجدت مرسومة على طريقين رئيسيين كلاهما يقود إلى ثنية نهر النيجر العظيم، وكانت عبارة عن عربات تجرها الخيول، وكان الطريق الأول من فزان، والثاني من جنوب مراكش" (المصدر السابق، صفحة 67).

من ناحية أخرى، كان الرحالة أسبامتريس من نبلاء بلاد فارس القدامى، وكان هذا النبيل الفارسي يعيش في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، ويقال إن هذا النبيل بعد أن تم إعدام الملك الفارسي أكزاركسيس في حوالي سنة 465 ق.م (طرخان، البرتغاليون في غرب افريقيا، صفحة 13). ولعل هذا الرجل الذي ينتسب لطبقة النبلاء الفرس كان من بين من تورط في قتل ملك فارس، لهذا يقال إنه أراد أن يكفر عن فعلته بالطواف حول سواحل القارة الأفريقية (المصدر السابق، صفحة 13).

ومن المؤكد أنه لم تنقطع الرحلاتُ التي قام بها السكان من القاطنين لمناطق شمال أفريقيا سواء كانت من الرحلات الاستكشافية، أم كانت من الرحلات التجارية صوب جنوب الصحراء الكبرى حيث تقع أسواق ومناجم الذهب في هذه البلاد، إذ يذكر أحد المؤرخين الإغريق القدامى، وهو الذي اشتهر باسم أثنايوس Athenaeus، أن أحد الرحالة الفينيقيين، أو القرطاجيين، كان يدعى باسم: ماغو، أو قيل: ماجو Mago، وكانت رحلاته عبر الصحراء الأفريقية صوب مناطق الجنوب ثلاث مرات حيث توجد أسواق الذهب (المصدر السابق، صفحة 12).

وتتحدث المصادر التاريخية عن رحلة أخرى مهمة وهي التي قام بها القائد الروماني سويتونيوس بولينيوس Suetonius Paulinus في سنة 50 قبل الميلاد، وكانت تلك الرحلة ضمن عدد من الرحلات الأخرى التي قام بها القادة الرومان، وكانت الغاية منها الوصول إلى مناطق الجنوب خاصة في عمق الصحراء، وإلى بلاد السودان، ويقال إن القائد الروماني توغل في آراضي الصحراء جنوب جبال الأطلس، حتى وصل إلى أحد الأنهار يقال له نهر جير Gir River (طرخان، البرتغاليون في غرب افريقيا، صفحة 13).

كما أرسلت الامبراطوريةُ الرومانية حملة صوب جنوب الصحراء، وكان يقودها قائد روماني اسمه سبتيموس فلاكوس Septimus Flaccus في حوالي سنة 19 قبل الميلاد، وكانت الغاية من تلك الرحملة أن تصل إلى تخوم بلاد السود، أو بلاد السودان (المصدر السابق، صفحة 13). ويقال إن تلك الحملة بدأت من منطقة جرمة، وهي حاضرة شعب الجرمنتيين الذين كانوا يسكنون في آراضي الصحراء الليبية، ولقد وصلت تلك الحملة لبلاد جنوب الصحراء خلال رحلة طويلة وشاقة دامت فيما يقال قرابة 3 شهور، ويقال إن الرومان استخدموا الجبال في تلك الرحلة (المصدر السابق، صفحة 13).

الخاتمة:

وبعد تلك الإطلالة التاريخية في ثنايا تلك الجدراسة التاريخية، يمكننا الخروج ببعض الاستنتاجات المهمة:

– نالت مناطق جنوب الصحراء الكبرى أهمية كبيرة عبر التاريخ بفضل شهرتها بكثرة وجود مناجم، ووجود أكبر أسواق الذهب لاسيما في بلاد السودان الغربي، أو ما يقال لها بلاد غرب أفريقيا بحسب المصطلح الحديث.

– جذب الذهبُ في بلاد جنوب الصحراء الكبرى العديد من الرحالة والمغامرين للقدوم إلى هذه البلاد للبحث عن المعدن النفيس منذ عدة قرون قبل الميلاد، وهو ما تشهد به العديد من الروايات التي وردت في ثنايا المصادر التاريخية.

– حاول السكان في بلاد شمال الصحراء الوصول لمناجم الذهب في أقصى جنوب الصحراء الكبرى، وذلك منذ حقبة زمنية بعيدة، ولهذا كانت رحلات البحث عن الذهب في بلاد جنوب الصحراء لم تنقطع منذ أقدم العصور، وحتى قدوم العرب والمسلمين، حيث ازدهرت تجارة الصحراء بشكل لافت، وهو ما ساهم في الازدهار الاقتصادي في ممالك بلاد السودان الغربي بفضل ازدهار تجارة الذهب.

– لعبت الثيران والخيول دورا مهما في ازدهار الصلات التجارية بين السكان في كل من شمال وجنوب الصحراء الكبرى، لاسيما خلال الحقبة التي سبقت وقوع التغيرات المناخية، وهي التغيرات التي تسببت في قلة الأمطار، وهو ما جعل أكثر الآراضي في بلاد شمال أفريقيا تتحول إلى حالتها الصحراوية الحالية.

– ومع حدوث التغيرات المناخية الحادة التي ضربت الأقاليم الواقعة في بلاد شمال أفريقيا، ومن ثمة تحول الصحراء الكبرى إلى ما

هي عليها الآن، وهو اضطر السكان في هذه البلاد إلى ترك الثيران والخيل كوسيلة للانتقال صوب الجنوب، ثم الاعتماد على الإبل التي تتوافق طبيعتها مع طبيعة الصحراء بشكل أفضل من الثيران والخيل، ومن ثم صارت الإبل الوسيلة الأساسية والمناسبة للتبادل التجاري بين الشمال والجنوب بهدف الحصول على الذهب الأفريقي.

المصادر والمراجع:

David, C. (n.d.). *Ghana & aL mORAVIDS.*
Divid C. Conrad. (1983). *Conrad & Humphery J. Fisher: Ghana & Al Moravids.*
Gulihem, M. (n.d.). *Histoire de .*
Halimatou, M. A. (2015). *La Metropole Village de Ouagadougou Explorer les Potentiels d' un Territoire, Supports de Processus de Projet Architectural, These du Doctorat.*
Herodotus. (n.d.). The Persian Wars.
Herodotus. (n.d.). *The Persian Wars.*
Ipid. (n.d.).
Lynne , S. (1977). *1000 Great Events, Hamlyn, London.* London.
Shawe, D. R. (1857). *Introduction to Geology & Resources of Gold and Geochemistery of Gold.* U.S.
Toby Wikinson. (2008). *Dictionary of Ancient Egypt, Thames & Hudson World of Art, Printed in China.*

ابراهيم أبو القاسم. (2000م). مراكز طرق القوافل بين شمال افريقيا ووسطها. *مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة* (صفحة 495). القاهرة: طريق التجارة العلامية عبر العالم العربي.

ابراهيم حندوقة. (بلا تاريخ).

ابراهيم طرخان. (1963). البرتغاليون في غرب افريقيا. *مجلة كلية الاداب/ جامعة القاهرة*، صفحة 13.

ابراهيم طرخان. (1970). قيام امبراطورية مالي الاسلامية. *مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم*، صفحة 6.

ابن الفقيه. (بلا تاريخ). *مختصر كتاب البلدان.*

ابن بطوطة. (بلا تاريخ). رحلة ابن بطوطة.

ابن بطوطة، و عبد الرحمن السعدي. (بلا تاريخ). رحلة ابن بطوطة.

ابن حزم. (2009). *جمهرة انساب العرب.* شركة نوابغ الفكر.

ابن منظور 2014) .م .(*لسان العرب* .الهيئة المصرية العامة للكتاب.

البرينسي. (بلا تاريخ). *القرطاجيون والذهب الافريقي.*

البيروني2021) .م .(*الجماهر في معرفة الجواهر، سلسلة التراث الحضاري* .القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الزهري. (د.ت). *الجغرافية.* القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

السعدي. (1898). *تاريخ السودان.* مطبعة بردين.

المصدر السابق.(n.d.) .

المقريزي. (2006م). *البيان والاعراب.* دار الحديث.

الناصري. (بلا تاريخ). دور مصر التاريخي بين شبه الجزيرة العربية وأفريقيا.

أنظر: احاديث هيرودوت عن الليبيين. (بلا تاريخ).

أوليفر. (بلا تاريخ). موجز *تاريخ أفريقية.*

ايمان مهران. (2016). *مدخل لدراسة الثقافة التقليدية* . القاهرة.

ب. دافيدسون. (بلا تاريخ). *أفريقيا القديمة.*

تاديور ليفيتسكي. (بلا تاريخ). *دور الصحراء الكبرى واهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب، تاريخ افريقيا العام.* بيروت: طبعة اليونسكو.

ج. كي . زيربو. (بلا تاريخ). *الفن الصخري*.

جبار حميد الربيعي. (بلا تاريخ).

جراية محمد. (بلا تاريخ). *الصحراء الجزائرية*.

جورج بوزنر. (1996). *معجم الحضارة المصرية القديمة*. القاهرة.

دافيدسون. (بلا تاريخ). أفريقيا القديمة.

دنيس بولم. (1974م). *الحضارات الافريقية*. بيروت: دار مكتبة الحياة.

دونالد ويدنر. (2001). *تاريخ افريقيا جنوب الصحراء*. القاهرة: مكتبة الوعي للنشر.

دونالد ويدنر. (2001م). *تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء*. القاهرة: مكتبة الوعي العربي .

رولاند أوليفر. (بلا تاريخ).

س. إبشتين. (بلا تاريخ). *الصحراء*.

سيد الناصري. (بلا تاريخ). دور مصر التاريخي بين شبه الجزيرة العربية وافريقيا.

شارل مونتي. (2018م). *مملكة وجدو بين الاسطورة والتاريخ*. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

شارل مونتي. (2018م). *مملكة وجدو بين الاسطورة والتاريخ*. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

طرخان. (بلا تاريخ). *البرتغاليون في غرب افريقيا*.

طرخان. (بلا تاريخ). *امبراطورية غانة*.

فيرني. (2002م). *الاركيولوجية في افريقيا الغربية*. نواكشوط.

فيلبسون. (بلا تاريخ). *علم الآثار الافريقية*.

ك. ماكفيدي. (بلا تاريخ). *اطلس التاريخ الافريقي*.

كامرة. (بلا تاريخ). *زهور البساتين*.

مبروكة سعيد الفاخوري. (2012م). المملكة الجرمية في فزان منذ القرن الخامس قبل الميلاد وحتى القرن السادس الميلادي. *جامعة سبها للعلوم الانسانية*، صفحة 111.

محمود كعت. (بلا تاريخ). *تاريخ الفتاش*.

هنري لوت. (بلا تاريخ). *لوحات تسيلي*.

هيرودوت. (بلا تاريخ). *ج4، فقرة 196*.

وسائل إرساء الدعوة الإسماعيلية بين فئات المجتمع المصري

م.م. لقاء حبيب شويل الشمري ا.د. حكمه لفتة صكر الكناني

leqaahabeeb@uomustansiriyah.edu.iq dhkmhlfth@gmail.com

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم التاريخ

المستخلص:

اعتمد الخلفاء الفاطميون في سبيل إرساء دعوتهم الاسماعيلية بين فئات المجتمع في مصر على مجموعة رئيسية من الوسائل الدعائية التي كان لها دور عميق الأثر في تحقيق اهداف سياستهم المذهبية والسياسية مستغلين كافة الظروف والاوضاع التي كان يعيش فيها المجتمع المصري، بالإضافة الى سلطتهم المطلقة التي فرضوها على كل جوانب الحياة في البلاد المصرية، شكل القضاء والتعليم أبرز تلك الوسائل كان لمجالس الحكمة دور كبير في دعم الاتجاهات المذهبية والسياسية التي يؤيدها الخلفاء الفاطميون في أطار سعيهم للسيطرة فكرياً وسياسياً على العالم الاسلامي، عن طريق تأهيل الدعاة في دار الحكمة التي أسست في الاصل لخدمة المذهب الاسماعيلي المذهب الرسمي للدولة الفاطمية، ودفعهم في مختلف بلاد الاسلام لبث العقيدة الاسماعيلية الفاطمية ويمهدوا بهذه الدعاية الدينية للنفوذ السياسي بصفة فعالة ومنظمة ، فضلاً عن السياسة التي اتبعها الخلفاء الفاطميون في مصر وحرصهم على دمج كل فئات المجتمع بما فيهم اهل الذمة في كافة مجالات الحياة والتي كانت بداية لعهد جديد قائم على التسامح الديني والمذهبي .

الكلمات المفتاحية : الإسماعيلية ، الفاطميون، القضاء

Abstract

The Fatimid caliphs relied on a set of main propaganda methods to establish their Ismaili doctrine among the various sectors of Egyptian society, profoundly impacting the achievement of their religious and political goals. They exploited all the circumstances and conditions prevailing in Egyptian society, along with the absolute authority they imposed on all aspects of life in the country. The judiciary and education were the most prominent of these methods. The "Majalis al-Hikmah" (Councils of Wisdom) played a significant role in supporting the religious and political orientations endorsed by the Fatimid caliphs in their pursuit of intellectual and political control over the Islamic world. They prepared missionaries in the "Dar al-Hikmah" (House of Wisdom), originally established to serve the Ismaili doctrine, the official doctrine of the Fatimid state, and dispatched them across various Islamic lands to propagate the Ismaili Fatimid creed. This religious propaganda effectively and systematically paved the way for political influence. Additionally, the policy adopted by the Fatimid caliphs in Egypt and their efforts to integrate all segments of society, including the "Ahl al-Dhimma" (non-Muslims), in all fields of life marked the beginning of a new era based on religious and sectarian tolerance.

Keywords: Ismailism, Fatimids, judiciary

المقدمة :

عندما قرر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله(341-365هـ/953-975م) فتح مصر، عمل على تكثيف دور الدعاة الإسماعيليين فيها، فأنفذ إليهم أعلاماً من دعاة الإسماعيلية الأكفاء (المقريزي، 1998، صفحة 96) والذين عملوا على التمهيد للخطوة التالية، والمتمثلة بإرسال جيشه بقيادة جوهر الصقلي لفتحها.

منذ دخول الخليفة المعز لدين الله الى مصر سنة 362هـ/972م (ابن خلكان، 1994، صفحة 227)، اتبع الخلفاء الفاطميون طرقاً متعددة لنشر الدعوة الإسماعيلية في مصر، واستخدموا لهذا الغرض وسائل متعددة ومتنوعة، مستغلين بذلك كافة الظروف والأوضاع التي كان يعيش فيها المجتمع المصري، بالإضافة الى سلطتهم المطلقة التي فرضوها على كل جوانب الحياة في البلاد المصرية.

استهدف البحث معرفة الوسائل الدعوية والدعائية التي اعتمد عليها الخلفاء الفاطميون، والتي يمكن من خلال رصدها وتتبع مساراتها التاريخية الكشف عن السياسة المذهبية التي اتبعوها في مصر.

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر الاولية والمراجع الحديثة أوردناها في قائمة المصادر والمراجع.

أولاً: التحفيز السياسي

يراد بالتحفيز السياسي جميع الأنشطة والخطابات الدعوية والدعائية التي قام بها الدعاة الإسماعيليون ورجال الدولة الفاطمية والخلفاء، وهدفت الى تشجيع المكونات النخبوية الخاصة والفئات الاجتماعية العامة في مصر – مادياً ومعنوياً– لدفعها للقبول بحكم الخلافة الفاطمية.

كما هو معلوم، فقد كان السواد الأعظم من المسلمين في مصر قبل دخول الفاطميين على المذهبين المالكي والشافعي، مع أقلية كانت على المذهب الحنفي، وبرغم الفروق الفقهية بين هذه المذاهب الثلاثة إلا إن عقيدتها واحدة باعتبارها جميعاً من مذاهب أهل السنة، التي تختلف قطعاً مع عقيدة الشيعة عموماً، والمذهب الإسماعيلي الشيعي على وجه الخصوص، لاسيما في المسائل المتعلقة بالحكم والإمامة والخلافة، فالعقيدة السنية لا تنظر الى هذه المسائل باعتبارها محورية، وإن كانت لا تغفل أهميتها، في حين تدور العقيدة الإسماعيلية حول (الإمام) (عطاالله، 1989م، صفحة 105).

على غرار المذاهب الشيعية الأخرى، كان الإسماعيلية يقولون بإمامة علي بن أبي طالب(عليه السلام) نصاً ووصية، إما جلياً أو خفياً، ويعتقدون أن الإمامة لا تكون إلا في عقبه حصراً، ولا تخرج عن نسله وسلالته أبداً، ولا تخرج عنهم إلا بظلم يقع عليهم من غيرهم، أو بتقية من عندهم، ومن ثم، فقد جعلوا من قضية الإمامة قضية أصولية تدخل في صلب العقيدة والدين، وبدون الاعتقاد بها لا تصح العقيدة ولا يصح الدين (الشهرستاني، 1404هـ).

شكل هذا الاعتقاد الأصل الرئيسي الذي انطلق منه المذهب الإسماعيلي في دعوته، والأساس الذي أقام الفاطميون دولتهم عليه، إذ قدموا أنفسهم للناس باعتبارهم من آل بيت رسول الله (ﷺ)، وأحق الناس بالولاية والإمامة، فضلاً عن المسائل التعبدية والشرعية التي يفترقون بها، وتنكرها جميع مذاهب أهل السنة بدورها (حسن، ابراهيم، 1958م، صفحة 326).

قبل دخولهم مصر، كان الفاطميون يدركون تماماً التركيبة المذهبية القائمة في المجتمع المصري، فضلاً عن التعددية الدينية التي يتسم بها، ولهذا حرصوا كل الحرص على بث دعاتهم في مصر وتكثيف نشاطهم الدعوي هناك باتباع طرائق وأساليب تشجع المصريين على القبول بالخلافة الفاطمية (الكندي، 2003م، صفحة 293)، من خلال التركيز على انتساب الفاطميين للبيت النبوي، وتأييد مذهبهم بآيات قرآنية واحاديث نبوية لعلمهم المسبق والراسخ بمدى حب المصريين لآل البيت، وكثرة احتفائهم بهم (القرماني، 1992، صفحة 430).

في هذا الاتجاه، عمل دعاة الإسماعيلية في مصر على تمجيد الخليفة المعز لدين الله، وكرمه وسخاء عطاءه، وحرصه على إقامة الدين والعدل (المقريزي، 1998، صفحة 88) (كاشف، 1950، صفحة 336) (كيرة، 2004، الصفحات 42-43).

كان للتنظيم الدقيق للدعاة الإسماعيليين دور بالغ وعميق الأثر في تحقيق أهداف سياسة التحفيز داخل الجهاز الحاكم في مصر نفسه، ذكر المقريزي أن دعاة الإسماعيلية كانوا قد التقوا بكافور، وأخذوا منه البيعة للخليفة الفاطمي المعز لدين الله، وكذلك من كثير من وجوه القوم ، وسائر الأولياء والكتاب (المقريزي، 1998، صفحة 76).

كما تشير مصادر تاريخية أخرى، الى أن من دعاة الإسماعيلية من تمكن من اختراق مراكز حساسة في بنية الدولة الإخشيدية، ومنها اتصالهم بأحد أبناء الإخشيد وتمكنهم من استمالته لصفهم، عندما كان كافور مسيطراً على الحكم، إذ استغل أحد الدعاة ذلك، وقال له: "هؤلاء القوم قد طمعوا فيك والمعز لك مثل الوالد، فإن شئت كاتبته ليشد منك ويكون من وراء ظهرك، فقال الحسن: إي والله قد أحرقوا قلبي فكتب إلى المعز" (ابن تغري، د.ت، صفحة 73).

نجح الدعاة الإسماعيليون حينذاك في نشر الأخبار، التي ظلت تتردد في مصر بأن جيش الخليفة المعز لدين الله قادم لا محالة، وهذا ما جعل الغالبية من المصريين يتقبلون الأمر تدريجياً، وبعد وفاة كافور مباشرة صاروا يترقبون قدومه، بل أن الكثير منهم كانوا يرجون ذلك بالفعل، ما دفع بعض النخبة من الإخشيديين والعلماء وكبار القوم في المجتمع المصري الى مراسلة الخليفة المعز لدين الله ، يطلبون منه المجيء لحكم مصر، وضمنوا له دخولها بدون قتال (الانطاكي، 1990، صفحة 122).

لقد تحقق بذلك للخليفة المعز لدين الله ما أراده، ووصل إليه ما كان ينتظره بالفعل ويستعجل حصوله قبل أن تسبقه جيوش القرامطة الى مصر (المقريزي، 1998، صفحة 88)، وبمجرد ما أن وصلته رسائل المصريين أمر قائد جيشه بالتحرك الى مصر.

عمل جوهر الصقلي في مصر على تطبيق سياسة التحفيز السياسي والمذهبي نفسها، حيث حرص على كسب ود العامة في مصر، وجذبهم بطرق ووسائل شتى، هدفت الى استمالة أكبر عدد ممكن منهم الى المذهب الإسماعيلي، مع منح الأمان لكل من بقي على مذهبه ودينه، ورفع الكثير من الضرائب، وسارع الى بناء مدينة القاهرة، وشق الطرق والجسور، وتعمير المساجد، وتنظيم السكة والأسواق وغير ذلك مما جعل الناس تطمئن الى الدولة الفاطمية، وتقبل بها فعلاً (ابن حمادة، د.ت، الصفحات 146-150).

إضافة الى ذلك، حرص جوهر على مراعاة المسائل المذهبية، فتعمد في بداية فترة حكمه بالنيابة لمصر ألا يثير حفيظة العامة بفرض تطبيق المذهب الإسماعيلي، فأمر بأن تكون للإسماعيلية مساجدهم الخاصة، وأمر ببناء الجامع الأزهر، ثم مضى في فرض تطبيق أحكام الفقه الإسماعيلي بشكل تدريجي (النويري، 1423هـ، الصفحات 122-130).

كان الخليفة المعز لدين الله هو من رسم سياسة التحفيز السياسي، لذا فقد سار عليها هو نفسه في مصر، فاكتفى بأن يتقبل المصريون حكمه وقيام الدعوة الإسماعيلية في بلادهم بغض النظر عن اعتناقهم لها من عدمه، فلم يعمد إلى فرض مذهبه، ونشر الدعوة في مصر إلا في حدود ضيقة، واكتفى بشرح تعاليم وأحكام المذهب للناس، مؤسساً بذلك بداية لعهد جديد قائم على التسامح الديني والمذهبي، كما حرص على ادماج أهل الذمة من النصارى واليهود في كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية العامة في مصر (القفطي، 2005، صفحة 86، 218) (ابن ابي أصيبعة، 1987، الصفحات 545، 547-548).

بالاستفادة من التجربة الفاطمية في المغرب، رأى الخليفة المعز لدين الله ضرورة في اتباع سياسة قائمة على التسامح الديني والمذهبي في مصر، واعتبارها من أهم أدوات التحفيز السياسي، لاسيما في تعامله مع أهل السنة عندما قرروا مواجهة احتفال الشيعة بيوم غدير خم سنة 362هـ/973م، بالاحتفال بذكرى يوم دخول رسول الله (ﷺ) غار ثور هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، وبالغوا في اظهار الزينة، ونصب القباب، وايقاد النار، فلم يمنعهم من ذلك حتى لا يثير غضبهم مع علمه المسبق بأن أهل السنة إنما قاموا بذلك للتصدي لمذهبه (سرور، 1960، صفحة 77).

كذلك كان تعامل الخليفة المعز لدين الله مع أهل الذمة، ولعل أفضل مثال على ذلك، عندما طلب منه بطريك القبط السماح له ببناء كنيستين في الفسطاط وقصر الشمع، كتب له بذلك، وأعطاه من بيت المال ما يعينه على عمارتهما (المقريزي، 1998، الصفحات 96-97).

كان الخليفة المعز لدين الله ومعظم خلفاء الدولة الفاطمية يهتمون للغاية بدعم الدعوة الإسماعيلية، وينفقون عليها الأموال الطائلة بسخاء (ماجد، عبدالمنعم، 1985، صفحة 277)، الأمر الذي يتجلى في عهد الخليفة العزيز بالله (365-386هـ/975-996م)، الذي اتبع السياسة المذهبية نفسها التي اتبعها والده المعز لدين الله من قبل في مصر، فكان عهده عهد استقرار سياسي ورخاء اقتصادي وتسامح مذهبي وديني وثقافي، وقد اتسم عهده بالإنفاق على أنشطة الدعوة الإسماعيلية في مصر (المقريزي، 1998، الصفحات 283-342).

استمر الخليفة العزيز بالله في سياسته اللينة تلك لثلاث سنوات، ثم انقلب عليها وبدأ في العمل على نشر المذهب الإسماعيلي في مصر، فأمر القضاة بالعمل بموجب أحكامه، وألزم كل موظفي الدولة بذلك وجعله شرطاً لبقائهم في

وظائفهم، ما حمل الكثير منهم الى التحول الى الإسماعيلية (المقريزي، 1998، صفحة 286)، وفي الوقت نفسه قرر بأن يكون الأزهر جامعة تدرس الفقه الإسماعيلي، جنباً الى جنب مع المذاهب الأخرى، كما فرض قول (حي على خير العمل) في الأذان، وبالغ في الإنفاق على الاحتفالات والأعياد الشيعية، ووسع نطاق الدعوة الإسماعيلية مستعيناً في ذلك بالشعراء والأدباء والعلماء وكبار موظفي الدولة (الانطاكي، 1990، صفحة 193).

بدأت سياسة التحفيز السياسي والمذهبي تتراجع تدريجياً في عهد الخليفتين الظاهر لإعزاز دين الله(411-427هـ/1020-1035م) والمستنصر بالله(427-487هـ/1035-1049م)، بالرغم من حرصهما على اظهار أكبر قدر من التسامح الديني، فلم يمنعا أهل السنة من الأذان بطريقتهم، ولم يمنعاهم كذلك من حقهم في إقامة شعائرهم المذهبية، وظل الأمر كذلك حتى تقلد الوزارة بدر الجمالي، والذي كان معروفاً بشدة تعصبه للإسماعيلية، فتعسف في سياسته ضد المذاهب الأخرى وأهل الذمة، وعمد الى فرض الشعائر الشيعية بشكل مطلق (ابن تغري، د.ت، صفحة 79)، ومع ذلك، فقد سارت الأمور من بعده على نحو مختلف.

ثانياً: القضاء

كان الخليفة الفاطمي هو الرئيس الأعلى لكل القضاة، بل وكان من الخلفاء الفاطميين من باشر القضاء بنفسه في بعض الأحيان (ابن تغري، د.ت، صفحة 78)، في الوقت نفسه الذي ظلت فيه جميع الوظائف القضائية تحت سلطتهم المباشرة، فاحتفظوا بحق تقليد القضاة لأنفسهم، ولم يخولوه لغيرهم، فالخليفة هو رأس السلطة الدينية، وجميع شؤون المذهب في يده، والقضاء بالذات كان تحت اشرافه المباشر، وهو من يعين القضاة والدعاة ويختارهم بنفسه، ويعزلهم أيضاً (ابن خلدون، الصفحات 232-233) (عطاالله، 1989م، الصفحات 107-108).

شكل القضاء واحداً من أهم المجالات التي كانت تنتمي وظائفها الى (الوظائف الدينية)، وهي الوظائف التي كان يولى عليها رجال الدعوة الإسماعيلية، وكانت تعتبر ضمن الوظائف العليا لـ (أرباب الأقلام) (القلقشندي، 1409هـ، صفحة 625).

بالرغم من ذلك، فقد تركزت الوظائف الدينية- وظائف السياسة المذهبية- في مجالي القضاء والدعوة، فكان القضاء الدعامة الرئيسية الأولى للسياسة المذهبية التي اتبعتها الدولة الفاطمية في مصر، من حيث ارتكزت وظائف القضاء على التشريع المذهبي الإسماعيلي، ومن ثم فقد كانت وظيفة القضاة محددة بالعمل على تكريس المذهب وأحكامه اجتماعياً، في حين ارتكزت وظائف الدعوة على العقيدة الإسماعيلية (ماجد، عبدالمنعم، 1985، صفحة 135)، وبلا شك، فإن ذلك يدل على أن عمل القضاة والدعاة كان متكاملاً في تحقيق أهداف السياسة المذهبية الفاطمية.

عندما دخل جوهر الصقلي مصر، كان على القضاء فيها أبو الطاهر الذهلي*،فأبقاه جوهر وأقره على ذلك، حتى لا يثير المصريين من اهل السنة وكسب ولائهم وتأييدهم وتحاشي اغضابهم، كما أنه لم يكن هناك فوارق كبيرة بين المذهبين في الناحية القضائية لأن كلا المذهبين يعتبران القران الكريم المصدر القضائي الأول، وسنة رسول الله (ﷺ) هي المصدر الثاني، ولما قدم الخليفة المعز لدين الله الى مصر سنة (362هـ/972م) وجد جوهر قد أقر الذهلي على القضاء، فاجتمع به واقره على ولايته في القضاء (القضاعي، 1999م، صفحة 363) (الدواداري، 1961م، صفحة 363)، واتخذ اجراءات عديدة لتثبيت أركان الدولة الفاطمية وكان القضاء ممن شملته تلك الاجراءات، خاصة فيما يتعلق بالمواريث وتقسيم التركات وفق المذهب الاسماعيلي (القرشي، 1985، صفحة 151).

اقتضت سياسة الخليفة المعز لدين الله في بداية حكمه لمصر، تقليد القضاء لقاضيين أحدهما سني والآخر اسماعيلي، تجنباً لإثارة حفيظة المصريين من هذه الناحية، ولكنه أنهى بشكل فعلي تفرد القضاة من أهل السنة بمنصب

* هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر الذهلي (٢٨٠-٣٦٧هـ/٨٩٣-٩٧٨م)، فقيه مالكي محدث، تقلد قضاء مصر في عهد كافور الإخشيدي سنة 348هـ/ 960م، أقره جوهر والخليفة المعز على القضاء في مصر، أقام الذهلي بمصر إلى أن توفي بسبب فالج أصابه. ينظر: الكندي، كتاب الولاة والقضاة في مصر، ص355

القضاء في مصر، إذ أشرك مع الذهلي قاضياً آخر من المذهب الإسماعيلي وهو ابن أبي ثوبان المغربي*، لينظر في مظالم المغاربة، وجعل مرجع الاثنين في مسائل القضاء الى القاضي النعمان المغربي، ثم وسع الخليفة المعز لدين الله اختصاصات ابي ثوبان المغربي لينظر في القضايا المشتركة بين المغاربة والمصريين (المقريزي، 1998، صفحة 273).

ولما توفي ابن أبي ثوبان ،خاطب الخليفة المعز أبا الحسن علي بن النعمان* بالقضاء، وأنزله في النظر في الأحكام مع أبي طاهر الذهلي (ابن خلكان، 1994، صفحة 207).

بسبب إصابة القاضي الذهلي بالفالج*، تفرد أبو الحسن علي بن النعمان بقضاء الدولة الفاطمية في عهد الخليفة العزيز بالله، وبقي في منصبه حتى توفي سنة374هـ/ 984م (الكندي، 2003م، الصفحات 493-494).

من بعد ذلك، صارت وظيفة قاضي القضاة- أعلى منصب قضائي في الدولة الفاطمية- حكراً على قضاة الإسماعيلية، وأول من تقلد هذا المنصب في مصر الفاطمية، وخوطب بهذا اللقب هو أبو الحسن علي بن النعمان (السيوطي، 1967م، صفحة 141)، وبذلك أنفرد علي بن النعمان بمنصب القضاء في مصر وعين عنه وكلاء يحكمون باقي مدن مصر وفقاً للمذهب الإسماعيلي (القرشي، 1985، صفحة 216).

كان تقليد قاضي القضاة من مهام الخليفة نفسه في عصر الخلفاء الأقوياء، ولكن لما سيطر الوزراء من أرباب السيوف على الدولة، صار هذا اللقب للوزير نفسه الذي كان يلقب بـ (كافل قضاة المسلمين)، وأول من حمل هذا اللقب هو الوزير بدر الجمالي، وكان الوزراء هم من يقلدون القضاة، (ابن طوير، 2010م، الصفحات 107-108).

بالرغم من احتكار منصب القضاء للقضاة الإسماعيليين، فقد تقلد منصب قاضي القضاة في الدولة الفاطمية بعض القضاة من أهل السنة، إذ قلد الخليفة الحاكم بأمر الله هذا المنصب سنة 405هـ/1014م، للقاضي أبي العباس بن أبي العوام الفقيه الحنفي*.

بيد أن الحاكم بأمر الله اشترط على ابن أبي العوام الحكم بالمذهب الإسماعيلي، وأن يحضر معه في مجلس القضاء أربعة من القضاة الإسماعيلية عينهم الخليفة، لمراقبة قضاءه ومدى التزامه بأحكام المذهب الإسماعيلي (المقريزي، 1998، الصفحات 603-604).

عندما استبد وزراء السيوف بالدولة، قرر بعضهم تعيين قضاة من جميع المذاهب كما حصل سنة 525هـ/1131م (ابن طوير، 2010م، صفحة 71)، فقد خرج الوزير احمد بن الأفضل عن تقليد القضاء لفقيه اسماعيلي، فرتب أربعة قضاة من مختلف المذاهب فولى أثنان من الشيعة أحدهما اسماعيلي المذهب والأخر أمامياً أثنا عشري ، كما ولى أثنان من اهل السنة أحدهما شافعي والأخر مالكي المذهب ،وجعل الوزير لهم الحرية في أن يحكم كل منهم بمقتضى مذهبه (النويري، 1423هـ، صفحة 155)،إلا إن الخليفة الحافظ لدين الله تمكن من ابطال هذا العمل سنة (526هـ/1031م)، وأعاد وظيفة القضاء الى قاض واحد من المذهب الإسماعيلي (المقريزي، 1998، صفحة 169).

---

* وهو أبو سعيد عبد الله بن محمد بن أبي ثوبان المغربي**(341- 364هـ/ 952- 975م)**، كان ممن قدموا مع الخليفة المعز لدين الله من بلاد المغرب، فتولى النظر في مظالم المغاربة في مصر، ثم تبسط في الأحكام بين المصريين، لقبه المعز لدين الله بـ (قاضي مصر والإسكندرية).ينظر: ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر، ص119

* هو علي بن النعمان بن محمد بن منصور المغربي ثم المصري**(ت: 374 هـ/ 985م)**، ولّي القضاء بعد أبيه، وكان متفنناً في عدة علوم، شاعراً، تولى القضاء سنة 366هـ/977م، وازدادت عظمته عند الحاكم بأمر لله، إذ كان يقوم بمهام القضاء والدعوة معا الى أن توفي. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 8، ص404

* داء معروف يرخي بعض البدن، الفلج : الفحج في الساقين واصل الفلج النصف من كل شيء. ينظر:ابن سيده ، ابو الحسن علي بن اسماعيل المرسي ،(ت:458هـ/1066م)، المحكم والمحيط الاعظم، تحقيق: عبدالحميد هنداوي،(بيروت: دارالكتب العلمية ،2000م)، ج7، ص432؛ ابن منظور ، لسان العرب،ج2،ص346

* أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن يحيى بن الحارث بن أبي العوام السعدي **(ت: 415هـ)** ، فقيه حنفي، ولي القضاء في عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي .ينظر : ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر، ص71-72.

وفي سنة 547هـ/1152م تقلد منصب قاضي القضاة قاض شافعي آخر، هو أبو المعالي بن نجا القرشي*، وكان يحكم بالمذهب الشافعي وحده، رغم اشتراط الفاطميين الحكم بالمذهب الإسماعيلي (ابن حجر، 1998)، ويعلق ابن حجر على ذلك فيقول :" مع أنهم كانوا يشترطون على من ولي القضاء ان لا يحكم الا بمذهبهم " (ابن خلكان، 1994، صفحة 308).

ثالثاً: مجالس الحكمة

جسدت الدعوة الإسماعيلية العقيدة والمذهب الرسمي للدولة الفاطمية في مصر، وطبقاً للتعاليم الدعوية الأساسية، فلابد من تعليم ونشر تعاليم الدعوة لكل أتباع المذهب، وتأهيل كل منهم بحسب موقعه، ونطاق ارتقاءه العلمي والوظيفي، وهو ما دفع الخلفاء الفاطميين في مصر الى تنظيم ما يعرف بـ (مجالس الحكمة) (المقريزي، 1998، صفحة 162)، والتي أصبحت بعد ذلك من أهم الوسائل الدعوية، التي ارتكزت عليها السياسة المذهبية الفاطمية في مصر (عطاالله، 1989م، صفحة 140).

ومجالس الحكمة هي مجالس تعليمية ودعوية منظمة، كان يديرها ويشرف عليها داعي الدعاة في المذهب الإسماعيلي، ويقوم فيها بإلقاء محاضرات على أتباع المذهب يعرفهم من خلالها بعقائد الإسماعيلية، مذهبهم في الفقه والتأويل الباطن للدين، في إطار ما يعرف عندهم بـ (علوم أهل البيت)، والتي تعد من علوم الأسرار التي ينبغي ألا تخرج الى غير أتباع المذهب (الأولياء)، ولهذا تسمى أيضاً (مجالس الحكمة التأويلية) (حسين، 2014م، صفحة 57).

كان القاضي النعمان قد أشار الى أن الخليفة المعز لدين الله في أول حكمه لمصر، أخرج له كتباً في علم الباطن وأمره أن يقرأها على الناس في كل يوم جمعة في مجلس في القصر، وأنه تولى القيام بمجالس الحكمة (القاضي النعمان، 1978م، صفحة 574).

كانت مجالس الحكمة أنموذجاً للتعليم الحكومي الذي تشرف عليه السلطة السياسية، كما تخضع لإدارة وإشراف مباشر من قبل داعي الدعاة في الدولة الفاطمية (القلقشندي، صفحة 558).

وكانت من أهم المواضيع الواردة في مجالس الحكمة والتي طرحها الدعاة الفاطميون بكثرة هي الولاية والوصاية ،فلا يكاد الدعاة يجدون فرصة في معرض كلامهم الا تطرقوا فيها الى ولاية الامام علي بن ابي طالب(ﷺ) الخليفة بعد رسول الله (ﷺ)، ومن بعده ولده ثم الخلفاء الفاطميون باعتبارهم احفاد الرسول (ﷺ) عن طريق ابنته فاطمة الزهراء والامام علي(X)، وهي احد مبادئ الشيعة عامة والاسماعيلية خاصة، ثم الامامة التي كانت شعار الدولة الفاطمية ودعامة رياستها الدينية والزمنية تؤكد اهميتها وقداستها في كل مناسبة، فقد كانت تمثل أهم مبادئ الدعاية الفاطمية وأرسخ قواعدها (المؤيد، 1994م، صفحة 33، 113، 105).

يعزى ذلك الى ما عرف عن الخلفاء الفاطميين من ميل شديد الى الاحتفاظ بمركزهم الروحي والديني كرؤساء للدين والمذهب، قبل أن يكونوا خلفاءً وحكاماً، فلم يفرقوا بين الإمامة الدينية والسياسية، بل اعتبروهما وجهان لحقيقة واحدة، تجسدها عقيدة الإمامة الإسماعيلية، ولهذا كانوا يحرصون على الصلاة بالناس، وإلقاء خطب الجمع والأعياد، ومشاركة العامة في المناسبات والاحتفالات الدينية (عطاالله، 1989م، الصفحات 134-135).

توسعت مجالس الحكمة من حيث عددها، ما دفع الفاطميين الى تقسيمها وتصنيفها الى طبقات ومستويات علمية متعددة ومتدرجة، لتتمكن من تغطية الأعداد الكبيرة من الأفراد الذين كانوا يلتحقون بها، وبحسب المقريزي، فقد كانت مجالس الحكمة تعقد برئاسة داعي الدعاة في القصور، وكان الخليفة الحاكم بأمر الله قد خصص لها يومان في الأسبوع، ثم جعلها ثلاثة أيام، يوم الأحد لعامة الرجال، ويوم الأربعاء للنساء، ويوم الثلاثاء للأشراف وذوي الأقدار (المقريزي، 1998، صفحة 57).

---

* هو مجلي بن جميع بن نجا القرشي المخزومي الأرسوفي **(ت: 550هـ)**،كان فقيها شافعيا عارفا بالمذهب، ولما ولي القضاء سار فيه سيرة حسنة، ولم ينقم عليه شيء ولما ولي الصالح طلائع بن رزيك الوزارة صرفه، وذلك في شعبان سنة تسع وأربعين. ينظر: ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر، ص322-323

الخاتمة :

1. كان للتنظيم الدقيق الذي انتهجه دعاة الاسماعيلية دور بالغ الأثر في تحقيق اهداف سياسة التحفيز المذهبي والسياسي للدولة الفاطمية في مصر، وفي عهد سيطرة الوزراء غابت سياسة التحفيز المذهبي ، إذ لم يكونوا يهتموا لشؤون الدعوة الإسماعيلية، بل جعلوها في موضع التوظيف من قبلهم، يوظفونها كما يشاؤون لمصلحتهم، ويتجاهلونها متى ما كان ذلك في صالحهم، إذ عمل البعض منهم على اعمال المذاهب السنية بدلاً عن المذهب الإسماعيلي، فيما ذهب آخرون منهم الى فرض تطبيق المذهب الإمامي، الأمر الذي أدى الى اضعاف المذهب الإسماعيلي وانصراف الناس عنه، حتى انتهى الأمر بزوال سلطان الفاطميين كله من مصر.

2. كان القضاء بمثابة الوجه الآخر للدعوة الإسماعيلية، حيث كان على رأس أهم الوسائل التي استخدمها الخلفاء الفاطميون في تنفيذ وتحقيق أهداف وتطلعات سياستهم المذهبية، الأمر الذي دل عليه بوضوح جلي اقتران منصب قاضي القضاة بمنصب داعي الدعاة، وحينما ولي القضاء قضاة من المذاهب الفقهية الأخرى كان الخلفاء الفاطميون يشترطون عليهم الحكم بأحكام المذهب الإسماعيلي، والامتناع عن الأخذ بغيره من المذاهب الإسلامية، وهي السياسة التي اتبعها الفاطميون في مصر منذ حكمها جوهر الصقلي بالنيابة عن الخليفة المعز لدين الله، وكل ذلك لإجبار القضاة بشكل مباشر وعامة الناس بشكل غير مباشر على تطبيق التعاليم الإسماعيلية.

قائمة المصادر

ابن ابي أصيبعة. (1987). *عيون الانباء في طبقات الاطباء*. بيروت – لبنان: دار مكتبة الحياة.

ابن الاثير. (1997م). *الكامل في التاريخ* (المجلد ط1). (تح: عمر عبدالسلام، المحرر) بيروت: دار الكتب العربية.

ابن تغري. (د.ت). *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*. مصر: وزارة الثقافة والارشاد القومي/ دار الكتب.

ابن حجر. (1998). *رفع الاصر عن قضاة مصر*. القاهرة: مكتبة الخانجي.

ابن حزم. (بلا تاريخ). *جمهرة انساب العرب*.

ابن حمادة. (د.ت). *اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم*. (تح: التهامي نقرة وعبدالحليم عويس، المحرر) القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع.

ابن خلدون. (بلا تاريخ). *تاريخ ابن خلدون* (المجلد ج1).

ابن خلكان. (1994). *وفيات الاعيان وانباء الزمان* (المجلد ج5). بيروت: دار صادر.

ابن زولاق. (2000م). *فضائل مصر واخبارها وخواصها* (المجلد ط2). القاهرة: تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي.

ابن طوير. (2010م). *نزهة المقلتين في اخبار الدولتين*. بيروت: المعهد الالماني للابحاث الشرقية.

الانطاكي. (1990). *تاريخ الانطاكي المعروف بـ (صلة التاريخ اوتيخيا)*. طرابلس: تح: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس.

الدواداري. (1961م). *كنز الدرر وجامع الغرر الدرة المضيئة في اخبار الدولة الفاطمية*. القاهرة.

السيوطي. (1967م). *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة* (المجلد ط1). بيروت: دار احياء الكتب العربية.

الشهرستاني. (1404هـ). *الملل والنحل*. بيروت: تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة.

القاضي النعمان. (1978م). *المجالس والمسايرات*. بيروت: دار المنتظر .

القرشي. (1985). *تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من عيون الاخبار* (المجلد ج6). بيروت: دار الغرب الاسلامي.

القرماني. (1992). *اخبار الدول وآثار الاول في التاريخ* (المجلد ط1). بيروت: تح: احمد حطيط وفهمي سعد، عالم الكتب.

القضاعي. (1999م). *الانباء بأبناء الانبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الامراء* (المجلد ط2). بيروت: المكتبة العصرية.

القفطي. (2005). *اخبار العلماء باخبار الحكماء*. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.

القلقشندي. (1409هـ). *صبح الاعشى* (المجلد ج3).

الكندي. (2003م). *كتاب الولاة والقضاة* (المجلد ط1). بيروت: تح: محمد حسن محمد اسماعيل ، دار الكتب العلمية.

المصدر نفسه. (بلا تاريخ).
المقريزي. (1998). *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار* (المجلد ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.
المؤيد. (1994م). *المجالس المؤيدية*. القاهرة: مكتبة المدبولي.
النويري. (1423هـ). *نهاية الارب في فنون الادب* (المجلد ط1). القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.
النويري. (1423هـ). *نهاية الارب في فنون الادب* (المجلد ط1). القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.
جمهرة انساب العرب. (بلا تاريخ).
حسن، ابراهيم. (1958م). *تاريخ الدولة الفاطمية* (المجلد ط2). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
حسين. (2014م). *في أدب مصر الفاطمية* (المجلد ط1). القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
حمزة عبداللطيف. (1947م). *الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول*. القاهرة: دار الفكر العربي.
سرور. (1960). *مصر في عصر الدولة الفاطمية*. القاهرة: مكتبة النهضة.
سلطان. (1999م). *الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي*. القاهرة: دار الثقافة العلمية.
عطاالله. (1989م). *الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي* (المجلد ط1). القاهرة: دار الفكر العربي.
كاشف. (1950). *مصر في عصر الاخشيديين*. القاهرة: مطبعة جامعة قؤاد الاول.
كيرة. (2004). *حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي*. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
ماجد، عبدالمنعم. (1985). *نظم الفاطميين ورسومهم في مصر* (المجلد ط3). القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

اخبار هولاكو وحملاته من خلال كتاب مختصر تاريخ الدول لابن العبري

ليث مدلول جبار **أ.م. خالدة حمود سلمان الجبوري**

leathalmosoe2487@gmail.com drkaleda74@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم التاريخ

المستخلص:

يعد كتاب مختصر الدول لابن العبري ت٦٨٥ هـ / ١٢٨٥م من الكتب المهمه في دراسة تاريخ المغول ،حيث كان المؤلف من الشخصيات التي عاصرت الغزو المغولي لدول المشرق الاسلامي على يد هولاكو ، وقد اختاره قان هولاكو حفيد جنكيز خان لقيادة حملة القضاء على الإسماعيلية والسيطرة على بلاد فارس. وكان معروفاً بقوته الشديدة وقلة هيبته، مما دفع القان إلى إزاحته من العاصمة. وقد صاحبت حملات هولاكو مجازر بشرية فظيعة، ولم يكن لديه أي شفقة تجاه من يقف في طريقه. قاد هولاكو خان الغزو المغولي لبغداد عام 1258، مما أدى إلى سقوط الخلافة العباسية. حيث دون الاحداث التاريخية منذ دخول هولاكو بغداد واحتلاله باقي مدن خراسان ومدن الشام والجزيرة الفراتية. وقد تناول ابن العبري الاحداث بنوع من الاختصار ويعد هذا الامر اضافة جديدة للتدوين التاريخي في القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي ، وقد كان هولاكو من اكثر اهم الشخصيات المغولية فهو المؤسس للدولة الايلخانية لذلك كانت حياته حافلة بكثير من الاحداث المهمة في تاريخ المغول منذ عبوره نهر جيحون وحتى وصوله الي بغداد واسقاط الخلافة العباسية وقتل اخر الخلفاء العباسيين وبعدها توجه نحو المدن الاخرى ليكمل طريقه نحو مدن الجزيرة الفراتية وبلاد الشام ومصر.

الكلمات المفتاحية: ابن العبري ، هولاكو ، بغداد ، الشام

News of Hulagu and his campaigns through the book Brief History of States by Ibn al-Abri

Laith Madloul Jabbar, A.M. Khaleda Hamoud Salman Al-Jubouri

lethalmosoe2487@gmail.com drkaleda74@uomustansiriyah.edu.iq

Al-Mustansiriya University , College of Education , Department of History

Abstract

The book Mukhtasar al-Dawl by Ibn al-Abri, d. 685 AH / 1285 AD, is one of the important books in the study of the history of the Mongols, as the author was one of the figures who lived through the Mongol invasion of the countries of the Islamic East at the hands of Hulagu. He was chosen by Qan Hulagu, the grandson of Genghis Khan, to lead the campaign to eliminate Ismailism and control Persia. . He was known for his extreme strength and lack of prestige, which prompted the Qan to remove him from the capital. Hulagu's campaigns were accompanied by terrible human massacres, and he had no compassion for those who stood in his way. Hulagu Khan led the Mongol invasion of Baghdad in 1258, leading to the fall of the Abbasid Caliphate. Where he recorded the historical events since Hulagu entered Baghdad and occupied the rest of the cities of Khorasan, the cities of the Levant, and the Euphrates Peninsula. Ibn al-Abri dealt with the events in a kind of brevity, and this matter is considered a new addition to the historical record in the seventh century AH and the thirteenth century AD. Hulagu was one of the most important Mongol figures, as he was the founder of the Ilkhanid state. Therefore, his life was full of many important events in the history of the Mongols since his crossing of the Oxus River. Until he arrived in Baghdad and overthrew the Abbasid Caliphate and killed the last Abbasid caliphs, after which he headed towards other cities to continue his way towards the cities of the Euphrates Peninsula, the Levant and Egypt.

Keywords: abn aleibrii, hulaku , baghdad , alshaam

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد واله الطيبين الطاهرين ، من خلال بحثنا قمنا بدراسة شخصية هولاكو وهو من اهم الشخصيات المغولة من خلال احد اهم المصادر السريانية للمؤرخ ابن العبري حيث تعد هذه الدراسة تمثل وجهة نضر المصادر المسيحية لدراسة التاريخ المغولي ، وقد ذكرنا بدراسة نشأة وحياة هولاكو ومراحل تقدمه نحو مدن الشرق واحتلاله لها. واحتلال هولاكو سمرقند واحتلاله لبغداد واستشارته للمنجمين ومقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله ، ثم تحدثنا عن توجه هولاكو نحو مناطق الجزيرة الفراتية ميافارقين وبلاد الشام وماردين

أولا: جلوس هولاكو على كرسي الحكم

ترتبط حياة هولاكو في منغوليا بحقبة ما بعد الحروب الداخلية التي خاضها جنكيزخان وقام بتوحيد القبائل المغولية في سنة (600 هـ / 1204م) حيث لا يوجد عن حياة هولاكو في هذه المدة المبكرة الا النتف القليلة في كتب التاريخ ، وفي وقت ولادة هولاكو في سنة (613 هـ / 1216م) كانت الحروب والاستعدادات لها قائمة على قدم وساق؛ لان جنكيزخان كان يفكر في احتلال الغرب والسيطرة على الطريق التجاري الذي يربط الصين وايران والذي كان يقع تحت سيطرة الدولة الخوارزمية اكبر الدول الاسلامية في المشرق(حيدر، 2003، صفحة 36)

ومن دون اي شك ان مثل هذه الاوضاع المحيطة بهولاكو قد تركت اثرها في نشأته لكونه حفيد جنكيزخان واحد افراد الاسرة التي سيطرت على الحكم ، فما ان اتم هولاكو الثالثة عشر من عمره حتى باشر جده الحرب على الدولة الخوارزمية في سنة (616 هـ / 1219م) في حرب ضروس استمرت حوالي ست سنوات اذ كان برفقته ابناءه الاربعه بما فيهم تولوي والد هولاكو(ابن الاثير، 1997، صفحة 180)

وقد اثر هذا الامر في تكوين شخصية هولاكو حيث قضى هو واخوته طيلة الستة سنين من الحرب بعيدين عن ابيهم والذي ترك امر رعايتهم والاهتمام بهم الى امهم سيورقيتي حيث اخذت على عاتقها تربيتهم وتوجيههم بالشكل المغولي الائق (الهمذاني، 1983، صفحة 300/1)

كانت زوجة تولي خان سيورقيتي بيكي في غاية العقل والكفاءه والحكمة، وذات رأي حسن ودهاء واضح ونباهه لذلك كان لها دور مهم في تربية الاولاد وضبطهم وتنظيم شؤنهم فضلا عن تنظيم شؤن الجيش والرعية(الهمذاني، 1983، صفحة 170)

وقد تمكن هولاكو من ان يحظى بقرب جده والاخذ منه والتعرف على انتصاراته اذ ذكر الجويني (الجويني، 1985، صفحة 155/1) انه عندما كان هولاكو يبلغ التاسعه من العمر واخيه قوبلاي الحادية عشر من عمره شاركا جدهما في احدى رحلات الصيد على ضفاف نهر ايميل وكانا يعرضان ما يصطاداه على جدهما من اجل ان يبارك لهما في صيدهم حيث يخلط دمهم مع دم ما صاداه ويخرج دم من اصبعهم وبحركة ماكرة قام هولاكو بشد يده بقوة على يد جده مما جعل جده ينتبه الى قوته الجسمانية والطبيعية.

وتعد وفاة جنكيز خان سنة (624 هـ / 1227م) حدثا مهما لهولاكو في ايام صباه اذ ترجع تلك الاهمية الى تولي اباه تولي الابن الاصغر لجنكيزخان منصب القانية مؤقتا لما يقارب سنتين حتى وقت انعقاد القورلتاي الجديد (الجويني، 1985، صفحة 177)

وبعد وفاة جنكيز خان بمدة ليست بالكثيرة توفي تولي خان سنة (630هـ/ 1232م) فنشأ هولاكو يتيما على اثر فقدان والده(ابن العبري، 1983، صفحة 434)

ثانيا: توليه الحكم

ذكر ابن العبري(ابن العبري، 1983، صفحة 460) في توجه هولاكو بأمر القاان الى البلاد الغربية قائلا: وفي سنة (651هـ/1253م) توجه الايلخان هولاكو من نواحي قرقورم الى البلاد الغربية ، وسير معه مونككا قاان الجيوش من كل عشرة اثنين وصحبه اخوه الصغير سنتاي اغول.

بعد اعتلاء منكو خان العرش المغولي بعد وفاة كيوك خان ، وجه انظاره الى توسيع امبراطوريته لذلك فقد كلف اخويه قوبلاي خان وهولاكو بقيادة حملتين لاستكمال فتح البلاد التي لم تستطيع المغول من فتحها في عهد جنكيزخان(الهمذاني، 1983، صفحة

234/1)، فقد عهد القاان الى هولاكو بالقضاء على الإسماعيلية(*)والسيطرة على بلاد فارس والقضاء على الخلافة العباسية واوكل لاخيه الاخر قوبلاي فتح اقاليم الصين الجنوبية حيث يعرف بمهارته السياسية والعسكرية حيث رأى الخان انه الانسب لقيادة الحملة لفتح بلاد الصين حيث عرف عنه اهتمامه الشديد بمظاهر الحضارة الصينية ، كذلك تلقيه التعليم على يد معلمين صينيين(الذهبي، 1993، صفحة 25/48)

ومن اهم الاسباب في اختيار هولاكو على رأس هذه الحملة ما ذكره بعض المؤرخون كرشيد الدين الهمذاني (الهمذاني، 1983، صفحة 233/1)"وكان الخان يتوسم في اخيه هولاكوخان مخايل الملك ويرى في عزائمه مراسم الغزو والفتح" وذكر الجويني (الجويني، 1985، صفحة 237/2)قائلا: " ولقد ادرك ملك الارض منكوقاان شمائل اخيه هولاكو في قدرته العالمية ، وترسم عزماته في امكانية غزو العالم".

مع ذكر الاسباب اعلاه الا انه يوجد اسباب اخرى دعت القاان الى اختيار هولاكو لقيادة الحملة حيث اراد القاان ان يبعد هولاكو من العاصمة قرقورم لانه كان يشكل تهديدا له بوجوده الى جانبه هناك حيث عرف عن هولاكو شدة البأس وعدم الهيبة من اي شيء فأخذ العمل على ابعاده عن طريق ابعاده بتحميله مسؤلية قيادة الحملة الجديدة ، بدليل ما اورده الهمذاني والجويني لعبارة مع هذا اوصاه في الظاهر بان يعود الى مقره الاصلي حينما يفرغ من انجاز مهمته. (حيدر، 2003، صفحة 75)

مع اسباب شخصية من قبل القاان واسباب تتعلق بشخصية هولاكو العسكرية والقيادية تم اختياره لقيادة الحملة الكبرى على بلاد فارس.

وذكر ابن العبري (ابن العبري، 1983، الصفحات 460-461)(الهمذاني، 1983، صفحة 238/1)عن استعدادات حملة هولاكو قائلا: " وفي سنة651هـ توجه هولاكو ايلخان من نواحي قرقورم الى البلاد الغربية ، وسير معه مونككا قاان الجيوش من كل عشرة اثنين وصحبه اخوه الصغير سنتاي اغول ومن جانب باتو بلغاي بن سبقان ومن ناحية الخطا الف بيت من صناع المنجنيقات واصحاب الحيل في اصلاح الات الحرب".

وقام بارسال رجال مختصين في الالات القاذفه للنفط والمواد الحارقة الاخرى رماة السهام وارسل معه المرشدين لكي يختبرون معه الطريق الذي يمر من قراقورم حتى نهر جيحون كما ارسل معه عدد من صناع الجسور وحفر الخنادق وغيرها. (الهمذاني، 1983، صفحة 237/1)

ثالثا: حملة هولاكو نحو بغداد

ذكر ابن العبري(ابن العبري، 1983، صفحة 472)عن توجه هولاكو نحو بغداد بعد سلسلة من المراسلات وامر هولاكو بايجو نوين(*) وسونجاق نوين ليتوجها في مقدمته على طريق اربل(*) وتوجه هو على طريق حلوان ، وخرج الدويدار من بغداد ونزل بجانب ياعقوبا(*).

(*) الاسماعيلية : أسم لجميع الفرق التي قالت بامامة اسماعيل بن جعفر ومحمد بن اسماعيل ابنه "عليهما السلام" ولهذه الفرقة أسماء أخرى هي القرامطة، والتعليمية، والباطنية، والسبعية، والملاحدة وغيرها، ومحمد بن اسماعيل (عليه السلام) عندهم الأمام السابع ولهذا سميت بالسبعية لتمييزها عن الاثني عشرية، فالأمام جعفر الصادق "عليه السلام" نص على ان تكون الأمامة لأبنه أسماعيل "عليه السلام" من بعده إلا أن اسماعيل "عليه السلام" توفى في حياة أبيه وبذلك انتقلت الإمامة الى ابنه محمد بن اسماعيل بن جعفر "عليه السلام" لأن الإمامة لاتكون إلا في الاعقاب ولاتنتقل من الاخ الى أخيه، فضلاً عن ان محمد بن أسماعيل "عليه السلام" كان اكبر سناً من عمه الأمام موسى الكاظم "عليه السلام"، أول حركة اسماعيلية ناجحة ظهرت في اليمن على يد الحسين بن حوشب الملقب بمنصور اليمن الذي أسس أول دولة أسماعيلية في التاريخ، ثم الحركة الاسماعيلية في البحرين سميت بالقرامطة. ولمزيد من التفاصيل ينظر: (الأشعري، 1963، صفحة 60)

(*)بايجو نوين: وهو من القواد المشهورين في الجيش المغولي ، كان من قوم يسوت ، وصل جيشه سنة 640 هـ الى اروم وحارب كيقباز الاول ، وامره هولاكو سنة 650 هـ ان يتجه نحو ايران ثم كان عضده في غزو بغداد. (الجويني، 1985، صفحة 264/2)

(*)اربل : قلعة حصينة ومدينة كبيرة في فضاء الارض ، ولقلعتها خندق عميق وهي طرف في المدينة على تل عال من التراب عظيم واسع الرأس وفي هذه القلعة سوق ومنازل وجامع للصلاة ، وهي شبيهة بقلعة حلب الا انها اوسع رقعة تعد من اعمال الموصل . (الحموي، 1995، صفحة 138/1)

وقد بلغ الدويدار ان بايجو نوين عبر دجلة ونزل بالجانب الغربي و ظن ان هولاكو قد نزل هناك فرحل عن ياعقوبا ونزل قرب بايجو ، ولقي عسس المغول اميرا من امراء الخليفة وهو ايبك الحلبي فحملوه الى هولاكو(ابن العبري، 1983، صفحة 472)

فأمنوه المغول وطلبوا منه ان يتكلم بالصحيح ، فسار امام العسكر ويدليهم على الطريق ، فقام بأرسال رسالة الى بعض اصحابه يخبرهم بها انهم لا طاقة لهم بهولاكو وجنوده الكثيرة(ابن العبري، 1983، صفحة 472)

فعندما وصلت رسالتا يبك الحلبي اجابوه "من يكون هولاكو وما هي قدرته ببني العباس من الله ملكهم ولا يفلح من يعاندهم ولو اراد هولاكو الصلح لما داس ارض الخلافة ولما افسد فيها ، وبعد ان وصل فليعد الى همذان ونحن نتوسل بدويدار ليخضع لامير المؤمنين لعله يعفوا عن هولاكو" (ابن العبري، 1983، صفحة 472)

وعند وصول رسالتهم الى هولاكو ضحك واستدل به على غبائهم (ابن العبري، 1983، صفحة 472) وعند عبور سوغو نجاق وبايجو نوين دجلة وصلت الاخبار الى البغداديين ان هولاكو عبر الى الطرف الغربي ، فعاد الدويدار وجيشه الى بغداد وفي طريقه عند حدود الانبار تقابل الجيشان المغولي وجيش الخليفة فكسروا جيشه وقتل كثيرا من جيش الدوايدار فهرب ودخل بغداد(الجويني، 1985، صفحة 366/2) (ابن العبري، 1983، صفحة 473)

وفي منتصف شهر محرم من سنة (656 هـ/1258م) نزل هولاكو بنفسه على باب بغداد ، وقد بنى المغول في الجانب الغربي سورا عاليا وبني بوقتامور وسونجاق نوين وباجو نوين بالجانب الغربي ، وحفروا خندق كبير داخل السور ونصبوا المنجنيقات قرب باب بغداد ورتبوا العرادات(*) والات النفط(ابن العبري، 1983، صفحة 473) (البطيطي، 1972، صفحة 85)

وقد طوقت التتار دار الخلافة يرمونها بالنبال من كل جانب حتى اصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه ، وكانت من جملة حظاياه جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة ، فانزعج الخليفة من ذلك وامر بزيادة الستائر(ابن كثير، 1988، صفحة 233/13)

ولما عاين الخليفة العجز في نفسه والخذلان مما اصحابه ، ارسل صاحب الديوان وابن درنوش الى خدمة هولاكو ومعهم تحف قليلة ، وقالو : ان سيرنا الكثير يقول قد هلعوا وجزعوا كثيرا ، فعد وصولهم سأل هولاكو عن الدويدار(*)وسليمانشاه(*) (ابن العبري، 1983، صفحة 474) .

وقد سير الخليفة الوزير ابن العلقمي ، وقال له انت طلبت احد الثلاثة وها انا قد سيرت اليك الوزير وهو كبيرهم ، فرفض هولاكو وقال له اني لما كنت في همذان طلبت احد الثلاثة والان انا لم اقنع بواحد(ابن العبري، 1983، صفحة 474) (الجويني، 1985، صفحة 364/2)

وذكر ابن الطقطقي نصا عن الحرب بين المغول وجيش الخليفة قائلا: "حدثني ملك الدين محمد بن ايدمير قال : كنت في عسكر الدويدار الصغير لما خرج الى لقاء التتار بالجانب الغربي من مدينة السلام ، وفي واقعتها سنة ست وخمسين وستمائة قال : فالتقينا بنهر بشير من اعمال الدجيل فكان الفارس منا يخرج للمبارزة وتحته فرس وعليه سلاح تام كأنه الجبل ، ثم يخرج اليه من المغول

(*)ياعقوبا : هو قرية كبيرة على بعد عشرة فراسخ من شمال شرق بغداد على حافة نهر ديالى ويسميها الناس اليوم بعقوبية . (الحموي، 1995، صفحة 325/1) (ابن العبري، 1983، صفحة 472)

(*)العرادات : ومفردها عرادة الة اصغر من المنجنيق تستخدم لرمي الاحجار الى مسافات بعيدة لغرض هدم الاسوار او ضرب المعسكرات او الجند المهاجمين . (ابن الفوطي، 1997، صفحة 233)

(*)الدويدار : اشتهر في اواخر الدولة العباسية دويدران اولهما الدويدار الكبير وهو علاء الدين الطبرسي الظاهري كان دويدار الخليفة الظاهر حظيا عنده ، فلما استخلف المستنصر بعد الظاهر ثابر على تقديمه وتقريبه . وقد مات علاء اليدن الدويدار الكبير وخلف ولدين هما مجاهد الدين ايبك الدويدار الصغير ، ومعنى الدويدار حامل الدواة اي دواة الخليفة وكان قائد جيش الخليفة عند دخول المغول لبغداد ولم يحسن التصرف ولم يبدي اي كفاية وتحطم الجيش على يديه في الجانب الغربي . (خصباك، 1968، صفحة 20)

(*)سليمان شاه بن برجم الايوائي : وكان رئيسا لقبائل التركمان ايوه المستوطنين على حدود كردستان ولورستان ، وكان احد قواد المستعصم المشهورين وذلم بعد وفاة اقبال الشرابي ، وقد اشار على المستعصم برفض مهادنة المغول والاستعداد للقائهم ، ونظرا لاهميته في دولة المستعصم كان هولاكو في رسائله للخليفة يطلب سليمانشاه، وكان ذو المام كبير بعلم النجوم والفلك كما كان ينظم الشعر. (الجويني، 1985، صفحة 364/2) (الهمذاني، 1983، صفحة 290/1)

فارس تحته فرس كأنه حمار وفي يده رمح كأنه المغزل وليس عليه كسوة ولا سلاح فيضحك منه كل من رأه ، ثم ما تم النهار حتى كانت لهم الكرة فكسرونا كسرة عضيمة" (ابن الطقطقي، 1997، صفحة 85)

وهجم المغول من قرب البرج العجمي(*) وبوقاتيمور من الجانب الغربي وسونجاق نوين وبايجو نوين من جانب البيمارستان العضدي ، وامر هولاكو جنوده ان يرمون السهام في داخل المدينة حيث كتبوا عليها كل العلويين والداذنشمدية وكل من لم يقاتل فهو امن على نفسه وحريمه واموله (ابن العبري، 1983، صفحة 474)

بهذا العمل قام هولاكو بخداع الناس داخل بغداد ويقلل من عزيمتهم في مقاومة المغول واحداث بلبلة داخل المدينة ، حيث كانت هذه السهام نداء لهم اذ كل من طائفة السادة والعلماء ولمن لا يحاربون المغول(الجويني، 1985، صفحة 368/2)

واشتد القتال على بغداد من جميع الجوانب الى اليوم 26 من محرم ، وحاصروا النهر ليلا ونهارا حتى لا يهرب منه احد ، فقاموا بحصار بغداد عن طريق المنافذ المائية ومنع السفن من دخول او الخروج من بغداد، وحاول الدويدار الهرب عن طريق النهر فمنعه المغول فتراجع عن الهرب ووقعت ثلاث من سفنه في ايديهم(الجويني، 1985، صفحة 368/2)

حملة هولاكو نحو الشام وشمال العراق

توجه هولاكو نحو الجزيرة الفراتية

ولكي يعزز هولاكو سلطته على حكام الامارات والاقاليم ارسل اليهم رسائل يعرفهم بسقوط بغداد وما حل بدار الخلافة العباسية من الدمار والخراب ، حيث بعث الى بدر الدين لؤلؤ بعض القتلى من قيادات جيش الخليفة لكي يعلقها على باب الموصل. (الغامدي، 1984، صفحة 67)

وتحدث ابن العبري(ابن العبري، 1983، صفحة 482)عن توجه هولاكو نحو مناطق الجزيرة الفراتية قائلا:" ولما ملك هولاكو بغداد ورتب بها الشحاني والاولاة انفذ بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل اليه ابنه الملك الصالح اسماعيل ، فأظهر هولاكو عبسه وقال : انتم بعد في شك من امرنا ومطلتم نفوسكم يوما بعد يوم وقدمتم رجلا واخرتم اخرى لتنظروا من الظافر بصاحبه فلو انتصر الخليفة وخذلنا لكان مجيئكم اليه لا الينا ".

واخذ هولاكو يهدد صاحب الموصل قائلا: " قل لابيك قد تعجبنا منك عجبا كيف ذهب عليك الصواب وعدل بك ذهنك عن سواء السبيل واتخذت اليقين ظنا وقد لاح لك الصبح فلم تستصبح" (ابن العبري، 1983، صفحة 482) (الذهبي ش.، 1985، صفحة 182/23)

عاد الملك الصالح الى الموصل وبلغ اباه ما اخبره هولاكو من رسالة زاجرة ايقن اباه بدر الدين ان المنايا قد اقبلت عليه ، وذلت نفسه وهلع هلعا شديدا ، فأنتبه من غفلته وقام بأخراج جميع ما في خزانته من جواهر والالئ وصادر من رعاياه الاموال واخذ حتى الحلي التي عند حظاياه وسار الى هولاكو بجبال همذان(ابن العبري، 1983، الصفحات 482-483)

فأحسن هولاكو قبوله واحترمه لكبر سنه ورق قلبه ، وقدمه الى ان اصعده اليه على العرش واذن له ان يضع بيده في اذنيه حلقتين كانتا معه فيها درتنا يتيميتان، فأقام عنده اياما وعاد الى الموصل مسرورا مبرورا ومذعورا مما شاهد من عظمة هولاكو وهيبته وذكاءه(ابن العبري، 1983، صفحة 483)

(*)برج العجمي : وهوالبرج المنسوب الى الشيخ الزاهد الفقيه الواعظ محي الدين عبد القادر الجيلي المعروف بالكيلاني ، وكان يعرف عند اهل بغداد بالعجمي لانه جاء من بلاد جيلان وهي بلاد اعجمية ، حيث قال اقمت في البرج المسمى الان البرج العجمي احدى عشرة سنة ولطول اقامتي فيه سمي ببرج العجمي . (الكازروني، 1970، صفحة 272).

توجه هولاكو الى مدينة ميافارقين[*] سنة (656 هـ/ 1258م)

نقل ابن العبري (ابن العبري، 1983، صفحة 483) (القلقشندي، 1985، صفحة 105/2)عن توجه الاشرف بن الملك الغازي بن الملك العادل صاحب ميافارقين الى صاحب حلب الملك الناصر وطلب منه ان ينصره ليمنع المغول من الدخول الى الشام ، فأستخف به ولم يسمع مشورته وسوفه بالكلام وامتنع عن نصرته.

وعرض عليه ان يبعث معه رسولا الى هولاكو لكي يتوسط اليه عند هولاكو الا ان الملك الاشرف رفض عرضه قائلا:" لقد جئتك بأمر ديني تعوضني عنه بأمر دنيوي ولو اردت هذا لكنت اوجه عنده منك ، فأني رأيت وجه مرتين" (ابن شداد، 1987، صفحة 485/3)

ان الملك الاشرف كان واحدا من الملوك القلائل الذين وقفوا بوجه المغول ومقاومتهم ومواجهتهم اذا هاجموه ، فقد اعتمد على امكانيات بلاده الذاتيه فقط ، وعندما شعر المغول على تصميمه لقتالهم ، بعثوا اليه رسولا لكي يشاغلوه سياسيا وكان هذا الرسول قسيسا مسيحيا ، فقال الملك الاشرف بقتله وصلبه فكان هذا الامر اعلان الحرب على المغول(ابن العبري، 1983، صفحة 483)

وقد اصر الملك الكامل على الدفاع عن المدينة مهما كلفه الامر وقد حث ابناء مدينته على الجهاد قائلا :" سوف لا ابخل عليكم بالذهب والفضة ، والغلال الموجودة في المخازن وسأؤثر بها كل المحتاجين ، فأني بحمد الله لست كالمستعصم عبدا للدينار ، والدرهم ، الذي طوح براسه ، ويملك بغداد بسبب بخله وشحه" (الهمذاني، 1983، صفحة 319/2)

وقد ايقن هولاكو انه لا يمكنه ان يدخل الى الشام الا بعد ان يقضي على صاحب ميارفاقين ، فقام بتجهيز جيش كبير ووضع على رأس هذا الجيش ابنه اشموط وتوجه الجيش المغولي نحو المدينة سنة (656 هـ / 1258م) (ابن العبري، 1983، صفحة 483) (ابن خلدون ، 2003، صفحة 422/5)

وصلت عساكر المغول بسرعة الي مدينة ميارفاقين ، حيث ارسلوا المغول في طلب الملك الكامل لكن انكر اهل ميارفاقين وجوده، فحفر المغول الخنادق ونصبوا المجانيق (ابن شداد، 1987، صفحة 489/3) (ابن دقماق، 1999، صفحة 241)

وينقل ابن العبري (ابن العبري، 1983، صفحة 483) الحادثة قائلا:" وفي يوم وليلة بنى المغول حول مدينته سورا وحفروا خندقا عميقا ثم نصبوا عليها المنجنيقات وابتدأوا بالقتال وقاتلوا قتالا شديدا من الجانبين ، وعندما رأى المغول ان المدينة لم يمكنهم اخذها بالقتال ابطلوا القتال وحاصروها ومنعوا الناس من الدخول او الخروج".

وقد حاول المغول بكل الطرق والوسائل ان يثنوا الملك الكامل عن عناده ويثنوه عن القتال واصراره على المقاومة وعدم استسلام ، ومن تلك الاساليب محاولة جبانة وبعيدة عن اعراف الحروب ، وهي في سنة (657 هـ/ 1259م) تمكنوا من الاستيلاء على قلعة اليمانية[*] وانزلوا منها حريم السلطان الكامل واولاده واقاربه(اليونيني، 1992، صفحة 343/1)

واتوا بهم الى تحت اسوار المدينة، وكلموا الملك وطلبوا منه ان يسلم اليهم المدينة ووعدوه بالامان له والى اهله فرد عليهم مالكم عندي الا السيف ، وبهذا الامر برزت قوة وشجاعة الملك الكامل وايمانه بقضيته وجهاده المغول مهما كلفه الامر(نعمان، 2022، صفحة 269)

ولطول مدة الحصار حصار المغول لمدينة ميارفاقين والذي استمر اكثر من سنة ونصف ، وقيل عشرين شهرا ، فقد نفذت عن الاهالي الاقوات والازواد وعم القحط فيها وانتشرت الاوبئة واشتد الجوع والغلاء(نعمان، 2022، صفحة 269)

وينقل ابن العبري (ابن العبري، 1983، صفحة 316) نصا عن حصار المدينة قائلا:" وحكى لي احد اعيان ميافارقين الذي افلت منها افلات المحراك من اتون النار قال : اشتهيت يوما ان اكل طعاما من حنطة ولحم بقر مع اهلي فدفعت خمسمائة غرش ناصري حتى تمكنت من طبخ قدر واحد كاف لنا جميعا".

([*])ميافارقين: بفتح الميم وتشديد الياء ثم الف وراء مهملة ثم قاف مكسورة بعدها ياء ونون ، وتقع مدينة ميافارقين ضمن اقليم الجزيرة والتي تسمى بالجزيرة الفراتية وهي البلاد الواقعة في اعالى العراق وجوار بلاد الشام بين نهري دجلة والفرات لذلك سميت بالجزيرة ، وقد اقترن اسمها بأسم الفرات نضرا لهيمنة نهر الفرات على اغلب اراضيها . (الاصطخري، 2004، صفحة 52) (الرويشدي، 1989، صفحة 121)

([*])القلعة اليمانية : وهي قلعة القلاع الموجودة في ديار بكر والقريبة من ميارفاقين . (ابن شداد، 1987، صفحة 458/3)

وهذا النص يبين مدى الحصار الشديد الذي فرضه المغول على اهالى المدينة ، وبهذه المقاومة التي ابداها اهل المدينة مفضلين الموت على الاستسلام للمغول "دخل التتار فوجدو السكان قد ماتوا جميعا عدا سبعين شخصا نصف احياء ..فقبضوا على الملك الكامل وقطعوه اربا اربا وكانوا يضعونها في فمه حتى هلك سنة (657 هـ/1259م) وكان رجلا زاهدا ورعا" (الهمذاني، 1983، صفحة 323/1)

وروى ابن العبري (ابن العبري، 1983، صفحة 483) ان هولاكو قد قتل الملك الاشرف وبعد ذلك ندم على قتله ويرجع السبب ما رأى منه المقاومة والشجاعة والصمود ولم يستطيع هولاكو كسب هكذا شخص الى جانبه ، وبمقتل الملك الكامل احتل المغول المدينة ، وتوجهوا نحو باقي المدن في الجزيرة الفراتية.

توجه هولاكو نحو الشام سنة (658هـ/1258)

بعد ان انتهى هولاكو من احتلال ميافارقين قام بأرسال رسالة الى الملك الناصر صاحب حلب يتوعده ويهدده بقوة وسطوة المغول ونقل ابن العبري(ابن العبري، 1983، صفحة 484) نصا قال (وفي 657هـ ارسل هولاكو ايليجة الى الملك الناصر صاحب حلب قول فيها : يعلم الملك الناصر اننا نزلنا بغداد في سنة ست وخمسين وستمائة وفتحناها بسيف الله واحضرنا مالكها وسألناه مسألتين فلم يجب الى سؤالنا فلذلك استوجب منا العذاب).

ذكر ابن العبري(ابن العبري، 1983، صفحة 486) بعض ايات القرأن الكريم التي استخدمها هولاكو بتهديده للملك الناصر قائلا: "كما قال في قرأنكم ﴿ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوم حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِم (سورة الرعة، الاية 11). وصان المال فأل الدهر به الى ما أل واستبدل النفوس النفيسة بنقوش معدنية خسيسة. وكان ذلك ظاهر قوله تعالى وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرا وَلَا يَظلِمُ رَبُّكَ أَحَد (سورة الكهف، الاية 49). لاننا بقوة الله بلغنا الارادة ونحن بمعونة الله في الزيادة ، ولا شك ان نحن جند الله في ارضه خلقنا وسلطنا على من حل عليه غضبه ، فليكن فيما مضى معتبر وبما ذكرناه وقلناه مزدجر فالحصون بين ايدينا لا تمنع والعساكر للقائنا لا تضر ولا تنفع ، ودعاؤكم علينا لا يستجاب ولا يسمع ، فاتعظوا بغيركم وسلموا الينا اموركم قبل ان ينكشف الغطا "

وبعد هذا التهديد شاور الامراء في ان يذهب اليه او لا فلم يمكنوه فبقي خائفا مذعورا لا يعلم ما يصنع ، فقام بأرسال ابنه ومعه الاموال الكثيرة والهدايا والتحف ، وبقي هناك من اول الشتاء الى اخر الربيع(ابن العبري، 1983، صفحة 486)

ثم عاد الى ابيه وهو يحمل رسالة من قبل هولاكو الى ابيه يذكر فيها " قد قال ملك الارض : نحن للملك الناصر طلبنا لا لولده فالان ان كان قلبه صحيحا معنا يجيء الينا والا فنحن نمشي اليه" (ابن العبري، 1983، صفحة 486) (القلقشندي، 1985، صفحة 104/2)

عند سماع الملك الناصر الرسالة بقي متردد فيما يعمل لان الامراء من المماليك لم يمكنوه من المشي اليه ، والناصر قد ارتابه ووقع في قلبه الخوف والرعب والجزع فلم يجلس في مكانه (ابن العبري، 1983، صفحة 486)

وفي سنة (658هـ/1259م) توجه هولاكو الى الشام ومعه اربعمائة الف مقاتل ، ونزل على حران وملكها وكذلك على مدينة الرها حيث لم يجد مقاومة تذكر ، وتقدم نحو مدينة سروج وانهم لم يهادنوا المغول فقتلوا جميعهم(ابن العبري، 1983، صفحة 486) (المقزيزي، 1997، صفحة 508/1)

وتقدم هولاكو ونصب جسرا على الفرات قريبا من مطلية واخر عند قلعة الروم واخر عند قرقيسياء ، وعبرت العساكر كلها وقتلوا عند مدينة منبج مقتلة عظيمة ، ثم تفرقت العساكر على القلاع والمدن(ابن العبري، 1983، صفحة 486)

توجه هولاكو على رأس جيش كبير لمحاصرة حلب ، وجريا على عادة المغول ارسل المغول رسالة الى الملك المعظم والي حلب يطلبون اليه تسليم المدينة ووعدوه ان يؤمنون على حياته ، فلم يجبهم وصمم على محاربتهم (عبد المعطي، 2008، صفحة 294)

وهرب السلطان الناصر صاحب حلب الذي من المفترض ان يبقى ان يدافع عن المدينة ، فأخذ اهله واولاده ونساءه وكل ما يعز عليه وتوجه الى دمشق في مدن الكرك والشوبك فحمل عبئ محاربة المغول على الملك تورنشاه ، وكان رئيس اساقفة حلب في ذلك الوقت ابن العبري ، فسارع الى المغول وقدم طاعته الى هولاكو(ابن العبري، 2007، صفحة 142) (عبد المعطي، 2008، صفحة 294)

واما اهل دمشق فخرج اعيانها الى المغول وسلموها اليهم بالامان ، فلم يقتلون احد منهم وامنوهم(ابن العبري، 1983، صفحة 487) (ابن الوردي، 1996، صفحة 199/2)ونزل هولاكو بنفسه على حلب وبنى عليها سيبا ونصب المنجنيقات ووجد ضعفا في احد اسوارها قرب باب بغداد فأكثر القتال والزحف عليه ، وفي ايام قلائل ملكها وقتل اكثر من الذين قتلهم في بغداد في كانون الثاني من سنة (658هـ/ 1259م) (ابن العبري، 1983، صفحة 487)

ويذكر المقريزي(المقزيزي، 1997، صفحة 422/1)في حصار حلب قائلا:" ان التتر حاصروا حلب سبعة ايام ، واخذوها بالسيف واستباحوا فيها دماء الخلق ، حتى امتلاء الطرقات من القتلى ".

واستمرت قلعة حلب بالمقاومة على الرغم ما تعرضت له من هجوم وحشي من قبل المغول ، ومما زاد الامر تعقيدا ان هولاكو اعطى الى اهل حلب الامان ، ان نزلوا الى امره وفتحوا الابواب ، فنفذ اهالي حلب امر هولاكو فدخلها وخربها وقتل جميع من فيها وهدم اسوارها وجوامعها فأصبحت موحشة لا يوجد فيها حياة(المقزيزي، 1997، صفحة 422/1)

رحل هولاكو الى قلعة حارم ، وطلب منهم ان يسلمونها اليه حتى يؤمنهم على انفسهم ، فلم يصدقوه فطلبوا منه رجلا مسلما يحلف لهم ويكون صاحب دين يطمأن اليه حيث يحلف اليهم بالطلاق والمصحف ان لا يدنوا الى احد منهم بسوء وهم ينزلون وسلمون اليه القلعة (ابن العبري، 1983، صفحة 487)

فسألهم هولاكو من تريدون ان يحلف لكم فطلبوا منه ان يحلف اليهم فخر الدين الوالي بقلعة حلب ، فأنه رجل مؤمن خير وصادق ، فتقدم اليهم هولاكو وحلف اليهم بكل ما يريدون (ابن العبري، 1983، صفحة 488)

ففتحوا الابواب امام هولاكو ونزل الناس جميعهم ، وسلموا القلعة الى المغول ، فتقدم هولاكو بقتل فخر الدين الوالي اولا ثم امر بقتل جميع من كان داخل القلعة من الصغار والكبار والرجال منهم والنساء حتى الطفل الصغير في المهد (ابن العبري، 1983، صفحة 488)

توجه هولاكو نحو ماردين

عند وصول هولاكو الى ماردين ارسل في طلب صاحب ماردين الملك السعيد نجم الدين ايلغازي ، فأبى ولم ينزل اليه وسير اليه ابنه مظفر الدين لانه كان في خدمة هولاكو هو والملك الصالح ابن السلطان بدر الدين عندما كان بشام(ابن العبري، 1983، صفحة 488)

وقد اصاب الملك السعيد القلق وعدم الثقة والاطمئنان ، كذلك اراد كسب بعض الوقت فقرر استرضاء هولاكو متحاشيا الاصطدام به ولو بعض الوقت ، فأرسل اليه وفدر رسميا برأسة ولده المظفر حاملا الهدايا ومعه قاضي القضاة مهذب الدين والامير سابق الدين بلبان ، وحملهم رسالة تتضمن الاعتذار عن الحضور بسبب المرض (ابن تغري بردي، 1963، صفحة 54/7)، وان حيلته لم تنطلي على هولاكو اذ قال:" ليس مرضه بصحيح ، وانما هو يتمارض مخافة الملك الناصر صاحب الشام ، فأن انتصرت عليه اعتذر لي بزيادة المرض ، وان انتصر علي كانت له اليد البيضاء عنده" (ابن تغري بردي، 1963، صفحة 54/7)

ارسل الملك السعيد صاحب ماردين الى قائد المغول الذي كان محاصرا لقلعة ماردين رسالة قائلا فيها:" كنت عزمت على الطاعة والحضور الى الملك ، ولكن حيث انتم عاهدتهم الاخرين ثم قتلتموهم بعد ان اطمأنوا الى عهدكم وامانكم ، فأني الان لا اثق بكم والقلعة بحمد الله مشحونة بالذخائر والاسلحة ورجال الترك وشجعان الكرد" (الهمذاني، 1983، صفحة 325/1)

عندها امر قائد جيش المغول بنصب المناجيق ، واستمروا بالقتال وضرب الحجارة ورمي السهام ، واستمرت الحرب بين الطرفين لمدة ثمانية اشهر ، وكان الملك السعيد متأكدا من حصانة قلعته(الهمذاني، 1983، صفحة 325/1)

وان ثقة صاحب ماردين بالنصر وشجاعة رجاله ومناعة قلعتها وحصانتها ، والمقاومة التي ابداها السكان في ماردين ، حيث لم يمنحون المغول الفرصة من الدخول الى المدينة مما دفع المغول من توجيه قواتهم نحو دنيسر(*) (الهمذاني، 1983، صفحة 325/1) وارزن(*)القريبة منها زلم يتمكن المغول من الدخول لهما فقد واجه المغول مقاومة شديدة ، ونتيجة لطول الحصار قلت الاقوات داخل القلعة فظهر الوباء والغلاء فيها ومات الكثير منهم بسببها (ابن العبري، 1983، صفحة 488)

(*)دنسير : بلدة مشهورة من نواحي الجزيرة ، تحت جبل ماردين هوائها صحيح . (ابن عبد الحق، 1991، صفحة 538/2).

(*)ارزن : مدينة مشهورة قرب خلاط لها قلعة حصينة . (ابن عبد الحق، 1991، صفحة 55/1).

ولو لا ان وقع فيها الوباء والموت وموت السلطان واكثر اهلها لما استطاع المغول ان يأخذونها لا في سنتين ولا في ثلاثة ، ولما مات السلطان نزل ابنه الملك المظفر وسلم كل ما في القلعة من الاموال والخزائن الى هولاكو (ابن العبري، 1983، صفحة 488)

ويذكر رشيد الدين الهمذاني(الهمذاني، 1983، صفحة 325/1)رواية مقتل الملك السعيد على يد ابنه قائلا:" ومرض الملك السعيد وكان له ولدان اكبرهما مظفر الدين وهو شاب عاقل كان يقول لوالده من المصلحة النزول من القلعة اذ ليس في الامكان مقاومة هذا الجيش ، فلم يصغ اليه فسقى الابن والده دواء ساما اثناء الحديث فمات".

وبهذا قد سقطت المدينة التي ابدت مقاومة كبيرة وسطرت اروع الصور في الدفاع عن البلد وكان للملك السعيد اروع البطولات اذ اصر على عدم تسليم المدينة للمغول حتى قتل رافضا الذل والاستسلام.

الخاتمة

1. كان كتاب ابن العبري من الكتب المهمة التي دونت التاريخ المغولي فكان من المعاصرين للاحداث عن قرب
2. دون ابن العبري عن هولاكو واحتلاله لمدن خراسان والمشرق الاسلامي ودخوله لبغداد رغم كتابه كان يختصر الاحداث نوعا ما
3. اثنى ومدح ابن العبري هولاكو وزوجته سيورقتي خاتون واعتبرهم من الاشخاص العظماء لانهم كانو يميلون الى المسيح ويعطفون عليهم لان سيورقتي زوجة هولاكو كانت مسيحية
4. لم يتطرق هولاكو الى تفاصيل معركة عين جالوت وكيف انتصر المسلمون عليهم وهذا الامر معروف من مؤلف مسيحي كان يعيش في بلاط المغول وتقرب منهم.

المصادر

ابن الاثير، ابو الحسن علي ابي الكرم. (1997). *الكامل في التاريخ* (المجلد 1). (عمر عبد السلام، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طبطبا (1997). *الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية* (المجلد 1). (عبد القادر مايو، المحرر) بيروت: دار القلم العربي.

ابن العبري، غريغوريوس ابن اهرون . (1983). *تاريخ مختصر الدول*. بيروت: دار الرائد اللبناني.

ابن العبري، غريغوريوس ابن اهرون. (2007). *مخطوطة تاريخ الازمنه*. (شادية توفيق حافظ، المحرر) القاهرة: المركز القومي.

ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق. (1997). *الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة*. المكتبة العربية.

ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر. (1996). *تاريخ ابن الوردي* (المجلد 1). دار الكتب العلمية.

ابن تغري بردي، يوسف بن عبد الله. (1963). *النجوم الزاهرة*. مصر : وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد . (2003). *العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر*. بيروت: دار الكتب العلمية .

ابن دقماق، صارم الدين ابراهيم. (1999). *نزهة الانام في تاريخ الاسلام* (المجلد 1). (سمير طبارة، المحرر) بيروت: المكتبة العصرية.

ابن شداد، عز الدين محمد بن علي. (1987). *الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة* . (يحيى عبارة، المحرر) دمشق: وزارة الثقافة السورية .

ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي . (1991). *مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع* (المجلد 1). (علي محمد البجاوي، المحرر) بيروت: دار الجيل .

ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر. (1988). *البداية والنهاية* (المجلد 1). (علي شيري، المحرر) دار احياء التراث العربي.

الأشعري، سعد بن عبدالله بن أبي خلف. (1963). *المقالات والفرق*. (محمد جواد مشكو، المحرر) طهران: مطبعة حيدري.

البطيطي، حسين بن علي. (1972). *احوال التتار و المغول*. (رسول جعفريان، المحرر) قم.

الجويني، علاء الدين عطت ملك. (1985). *تاريخ جهنكشاي* (المجلد 1). (محمد التونجي، المحرر) حلب: دار الملامح للطباعة والنشر.

الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت. (1995). *معجم البلدان* (المجلد 2). بيروت: دار صادر.

حيدر، عبد الرحمن فرطوس. (2003). *الايلخان هولاكو ودوره في قيام ونشأة الدولة الايلخانية ،اطروحة دكتوراه غير منشورة*. بغداد: جامعة بغداد /كلية الاداب .

خصباك، جعفر حسين. (1968). *العراق في عهد المغول الايلخانيين* (المجلد 1). بغداد: مطبعة العاني.

الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد احمد. (1985). *سير اعلام النبلاء* (المجلد 3). (شعيب الارناؤوط، المحرر) مؤسسة الرسالة.

الذهبي، محمد ابن احمد. (1993). *العبر* (المجلد 2). (عمر عبد السلام التدمري، المحرر) بيروت: دار الكتب العربي.

الرويشدي، سوادي عبد محمد. (1989). *الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية*. بغداد: دار الشؤن الثقافية .

الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي. (2004). *المسالك والممالك* . بيروت: دار صادر.

الغامدي، عبد الله. (1984). *جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين ، اطروحة دكتوراه غير منشورة*. جامعة ام القرى.

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد. (1985). *مأثر الانافة في معالم الخلافة* (المجلد 2). (عبد الستار احمد فراج، المحرر) الكويت: مطبعة الكويت.

الكازروني، ظهير الدين علي محمد. (1970). *مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منهى دولة بني العباس* . بغداد: مديرية الثقافة العامة.

المعطي، فؤاد عبد. (2008). *المغول في التاريخ*. دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع.

المقزيزي، أحمد بن علي بن عبد القادر. (1997). *السلوك لمعرفة دول الملوك*. بيروت: دار الكتب العلمية.

نعمان، رعد اسماعيل. (2022). موقف مدينة ميارفاقين من الغزو المغولي (656- 658 / 1258- 1260) .

الهمذاني، رشيد الدين فضل الله. (1983). *جامع التواريخ* (المجلد 1). دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع.

اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد. (1992). *ذيل مرآة الزمان* (المجلد 2). القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

Arabic Translated References:

Al-Ash'ari, Saad bin Abdullah bin Abi Khalaf. (1963). *Articles and teams.* (Mohammad Javad Mashko, editor) Tehran: Heydari Press.

Al-Batiti, Hussein bin Ali. (1972). *The conditions of the Tatars and Mongols*. (Rasoul Jafarian, editor) Qom.

Al-Dhahabi, Muhammad Ibn Ahmed. (1993). *Lessons* (Volume 2). (Omar Abdul Salam Al-Tadmuri, editor) Beirut: Dar Al-Kutub Al-Arabi.

Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad Ahmed. (1985). *Biographies of Noble Figures* (Volume 3). (Shuaib Al-Arnaout, editor) Al-Resala Foundation.

Al-Ghamdi, Abdullah. (1984). *The Mamluk Jihad against the Mongols and the Crusaders, unpublished doctoral thesis*. Umm Al Qura University.

Al-Hamdhani, Rashid al-Din Fadlallah. (1983). *Jami' al-Tawarikh* (Volume 1). Arab Renaissance House for Printing, Publishing and Distribution.

Al-Hamwi, Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut. (1995). *Dictionary of Countries* (Volume 2). Beirut: Dar Sader.

Al-Istakhri, Abu Ishaq Ibrahim bin Muhammad Al-Farsi. (2004). *Paths and kingdoms.* Beirut: Dar Sader.

Al-Juwayni, Aladdin Atta Malak. (1985). *History of Jahnakshay* (Volume 1). (Muhammad Al-Tunji, editor) Aleppo: Dar Al-Malameh for Printing and Publishing.

Al-Kazrouni, Zaheer al-Din Ali Muhammad. (1970). *A brief history from the beginning of time to the end of the Abbasid state*. Baghdad: Directorate of General Culture.

Al-Maqzizi, Ahmed bin Ali bin Abdul Qadir. (1997). *Behavior to know the countries of kings*. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Al-Moati, Fouad Abdel. (2008). *Mongols in history*. Arab Renaissance House for Printing, Publishing and Distribution.

Al-Qalqashandi, Ahmed bin Ali bin Ahmed. (1985). *Muthār al-Ināfā fi Ma'ār al-Ilām al-Khilāfah* (Volume 2). (Abdul Sattar Ahmed Farraj, editor) Kuwait: Kuwait Press.

Al-Ruwaishidi, Sawadi Abd Muhammad. (1989). *Social and economic conditions in the countries of the Euphrates Peninsula*. Baghdad: House of Cultural Affairs.

Al-Yonini, Qutb al-Din Abu al-Fath Musa bin Muhammad. (1992). *The Tail of the Mirror of Time* (Volume 2). Cairo: Dar Al-Kitab Al-Islami.

Haider, Abdul Rahman Fartous. (2003). *Ilkhan Hulagu and his role in the establishment and emergence of the Ilkhanid state, unpublished doctoral thesis*. Baghdad: University of Baghdad/College of Arts.

Ibn Al-Atheer, Abu Al-Hasan Ali Abi Al-Karam. (1997). *Complete History* (Volume 1). (Omar Abdel Salam, editor) Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.

Ibn Abd al-Haqq, Safi al-Din Abd al-Mu'min al-Baghdadi. (1991). *Observatories to find out the names of places and places* (Volume 1). (Ali Muhammad Al-Bajjawi, editor) Beirut: Dar Al-Jeel.

Ibn al-Futi, Kamal al-Din Abu al-Fadl Abd al-Razzaq. (1997). *Unifying incidents and beneficial experiences in the seventh century*. Arabic Library.

Ibn al-Taqtaki, Muhammad bin Ali bin Tabtaba (1997). *Al-Fakhri in Royal Literature and Islamic Countries* (Volume 1). (Abdul Qader Mayo, editor) Beirut: Dar Al-Qalam Al-Arabi.

Ibn al-Wardi, Omar bin Muzaffar bin Omar. (1996). *History of Ibn al-Wardi* (Volume 1). House of Scientific Books.

Ibn Duqmaq, Sarim al-Din Ibrahim. (1999). *Nuzhat al-Anam in the History of Islam* (Volume 1). (Samir Tabbara, editor) Beirut: Modern Library.

Ibn Kathir, Abu Al-Fida Ismail bin Omar. (1988). *The Beginning and the End* (Volume 1). (Ali Shiri, editor) Arab Heritage Revival House.

Ibn Khaldun, Abdul Rahman bin Muhammad bin Muhammad. (2003). *Lessons, collections of the subject, and news in the days of the Arabs, Persians, Berbers, and those who contemporaneously had the greatest authority*. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Ibn Shaddad, Izz al-Din Muhammad bin Ali. (1987). *The dangerous relationships in mentioning the princes of the Levant and the Peninsula.* (Yahya Abbara, editor) Damascus: Syrian Ministry of Culture.

Ibn Taghri Bardi, Youssef bin Abdullah. (1963). *Bright stars*. Egypt: Ministry of Culture and National Guidance.

Khasbak, Jaafar Hussein. (1968). *Iraq during the reign of the Ilkhanid Mongols* (Volume 1). Baghdad: Al-Ani Press.

Noman, Raad Ismail. (2022). *The position of the city of Mayarfaqin towards the Mongol invasion* .(1260-1258 / 658-656)

The son of the Hebrew, Gregory Ibn Aharon. (1983). *Brief history of countries*. Beirut: Dar Al-Raed Al-Lubani.

The son of the Hebrew, Gregory Ibn Aharon. (2007). *Manuscript of the History of Time*. (Shadia Tawfiq Hafez, editor) Cairo: The National Center.

الجغرافية الطبيعية لمدينة مقدشو وأوضاعها السياسية

مروة حامد حمد أ. د. انعام حسين احمد

Layanlayanlayan141@gmail.com dr.anaam@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم التاريخ

الملخص

تناول هذا البحث التسمية اللغوية والتاريخية والاصطلاحية لمقدشو مستندا على اقوال اللغوين والجغرافيين والرحالة، كذلك تطرق إلى الجغرافية الطبيعية لمقدشو من حيث الموقع الجغرافي والاحوال المناخية ومصادر المياه وأهمية موقعها الجغرافي الاستراتيجي.

كذلك تناول البحث النشأة التاريخية لمدينة مقدشو متطرقاً إلى الأوضاع السياسية فيها وطبيعة نظام الحكم في مدينة مقدشو في (القرن الثاني الهجري)

الكلمات المفتاحية: السياسة ، مقديشو ، التاريخ ، الجغرافية

The physical geography of the city of Mogadishu and its political situation

Marwa Hamed Hamad **Prof. dr Inaam Hussein Ahmed**

Layanlayanlayan141@gmail.com dr.anaam@uomustansiriyah.edu.iq

Al-Mustansiriya University , College of Education , Department of History

Abstract

This research dealt with the linguistic, historical and etymological nomenclature of Mogadishu based on the sayings of linguists, graphologists and travelers, as well as identifying the physical geography of Mogadishu in terms of its geographical location, climatic conditions, water sources and the importance of its geographical location.

As well as research on the historical origins of the city of Mogadishu, heading to the political trends in it and the nature of the government system in the city of Mogadishu in (the second century AH

Keywords: politics, Mogadishu , the date , Geography

المقدمة

يعتبر تاريخ إفريقيا بشكل عام ومنطقة الشرق الإفريقي منها بالخصوص حافلا بالأحداث والوقائع الشيقة، كونها منطقة ذات استقطاب كبير بسبب احتكاكها بالعالم الإسلامي وبالدول الأسيوية، لذا سعى كل الاثنين للاتصال بها لأغراض تختلف باختلاف الأهداف والطموحات وقد حقق هذا الاتصال لكل من الاثنين مبتغاه فمثلا بالنسبة للعالم الإسلامي مع بعض المناطق من القرن الإفريقي، وكان هذا الأخير حتى قبل ظهور الإسلام بكثير، غير أنه أصبح بشكل مختلف عما كان في السابق بعد ظهور الإسلام وبالتحديد في البدايات الأولى من انتشار الإسلام ونذكر على سبيل المثال الاتصال العربي الإسلامي بمدينة مقديشو خاصة في العصور الوسطى، فقد شهدت المنطقة العديد من الهجرات العربية والإسلامية إليها منذ مطلع القرن الثاني للهجرة الموافق للقرن السابع الميلادي.

ففي أواخر عهد الدولة الأموية وعقب مقتل زيد بن علي العابدين عام (122هـ /740م)، أضطهد بني أمية أتباعه الشيعة الزيدية فلاذوا بالفرار إلى اليمن وهجر البعض الأخر إلى منطقة الصومال، واستقروا هنالك وبقوا حوالي مئتي عام، ثم عرفت المنطقة وصول أكبر الهجرات العربية والإسلامية على مستوى الساحل الصومالي وأعني بهذا الأمر الهجرة التي حدثت خلال العصر العباسي (132-

656هـ) والمعروفة بهجرة الإخوة السبعة المنحدرين من قبيلة عربية تدعى قبيلة الحارث، و كانت هذه الهجرة في مطلع القرن العاشر وبالتحديد في حوالي عام (301هـ/913م) بحيث قدموا من المنطقة المعروفة بالإحساء عاصمة دولة القرامطة، على متن سفن محملة بالرجال والزاد.

وبعد أن وطئت أقدام الإخوة السبعة منطقة الصومال راودهم الأمل في تكوين وطن جديد خاص بهم خصوصاً وأن نفوسهم كانت تتشوق للاستقرار بعدما حرموا منه في موطنهم الأصلي، هذا الأمر أجبرهم على الإستلاء على كل سواحل (بنادر) بعدما قاموا بتأسيس مدينة (مقديشو)، وجعلوها عاصمة لدولتهم الجديدة، وامتد نفوذهم حتى جنوبي (ممبسة).

ونتج عن إرساء الإخوة السبعة دعائم دولتهم الجديدة نشر الدين الإسلامي واللغة العربية في تلك المنطقة، وبذلك أصبحت مدينة مقديشو من أرقى الحواضر الإسلامية على الإطلاق، بسبب الامتزاج الاجتماعي بين القبائل المحلية والقبائل العربية الوافدة، وبهذا أصبحت مدينة مقديشو بمثابة درة كامنة في أعماق البحار لم يصل إليها الباحثين والمؤرخين ولازالت معالمها مجهولة لديهم بالرغم من الإنجازات الكبيرة التي قدمتها للإسلام والمسلمين.

ومن هنا تبرز أهمية الموضوع والتي تتمثل في الدور الحضاري والريادي الذي لعبته مدينة مقديشو في ربط الصلات بين شرق إفريقيا والجزيرة العربية، وتكمن أهمية الموضوع في أنه يعالج الدولة المقديشية من جوانبها الجغرافية والسياسية التي لا طالما غفل عنها المؤرخين، وكذلك إظهار مدى دور المسلمين والعرب في منطقة الشرق الإفريقي بالعموم ومقديشو بالخصوص، خاصة وأن للإسلام باع في ذلك وقد جعل منها حضارة إسلامية تشغف إلى تقليدها الكثير من الحضارات.

المبحث الأول

الجغرافية الطبيعية لمدينة مقدشو

أولاً: اصل التسمية:

1.التسمية لغوياً

بالرغم من ان الأدلة متوفرة على ان مقدشو كانت مدينة مزدهرة العمران ومركزا تجاريا مهما تقصده السفن العربية زمنا طويلا، فأن اسمها لم يرد في كتب الجغرافيين العرب التي وصلت الينا قبل معجم **البلدان** (ياقوت الحموي، 1415هـ/1995م، صفحة 173/5).

اختلف البعض في ضبط اسم مقدشو فهناك من ضبطها مَقْدَشو، وهناك من ضبطها مقدشوه وثالث مَقْدِشُو، ورابع مِقدَشُو وخامس مَقْدشا (ابن المجاور، 1416هـ/1996م، صفحة 117/1)

وقد ضبط الجغرافيون اسمها لغوياً على النحو الاتي مقدشو بالفتح ثم السكون، وفتح الدال، وشين معجمة واخرها واو. (ياقوت الحموي، 1415هـ/1995م، صفحة 173/5).

اما ابن المجاور فقد ذكرها باسم مقدشوه في اخرها هاء، وكرر هذا الاسم مراراً برسمه **(ابن مجاز، 1996، الصفحة 117/1-148)**

وأشار أبو الفداءبضبط اسمها على النحو التالي: "مقدشو بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال وضم الشين المعجمة وفي اخرها واو". (ابو الفداء، د.ت، صفحة 16) .

واوردها ابن حجر العسقلاني وضبطها على الشكل التالي: مقدشو بكسر الميم وفتح الدال وضم الشين. (العسقلاني، د.ت، صفحة 1384/4)

وقد وردت عند اللغويين أيضا باسم مقدشو وضبطوها على النحو التالي: "مقدشو، بفتح الميم وكسر الدال المهملة، والعامة تفتحها، وضم الشين". ويقال أيضا مقدشا (الزبيدي، د.ت، صفحة 390/17)

وهذا يبين ان الجغرافيين واللغويين قد اختلفوا في ضبط اسم المدينة رغم انهم ذكروا اسمها وكتبوه في مؤلفاتهم.

2. التسمية اصطلاحاً:

ان اصل كلمة مقدشو (مقعد الشاه)، أي المكان الذي يسكنه الحاكم العجمي، فلما كثر الاستعمال حذفت العين من اسم مقدشو ثم ركبت الكلمتان من كلمة عربية والأخرى عجمية فصار (مقدشاه) ثم قلبت الالف من شاه الى واو فأصبح مقدشوه وفيهم من يحذف الهاء فيقول: مقدشو (العيدروس، د.ت، صفحة 43)

3.أسماء أخرى لمقدشو:

عرفت مدينة مقدشو بأسماء أخرى مثل حمر وان هذا الاسم اقدم من اسم مقدشو (المصدر نفسه، صفحة 43) وهناك رأي حول اسم حمر اذ ان كلمة حمر اسم اخر لمدينة مقدشو وكانت أيضا تطلق كلمة حمر على نوع من الخيول الضارب لونها الى الأحمر وهذا النوع من الأنواع المفضلة من بين عالم الخيول، ولعل سبب التسمية جاء بسبب تواجد مثل هذه الخيول في مدينة مقدشو واشتهرت ببيع الخيول ومرابطتها فيها. (عيسى، 1995، صفحة 16)

ومن الآراء الأخرى ذلك الرأي الذي يشير في معناه " التراب الأحمر" الذي تشهر به كثير من الأماكن في مقدشو خصوصا جنوب المدينة (المصدر نفسه، صفحة 16)

ويروي العيدروس قصة اسطورية طويلة في تفسير اسم حمر نسبة الى الذهب الأحمر او الناقة الحمراء.

ومن الأسماء التي اشتهرت بها مدينة مقدشو أيضا اسم بنادر (العيدروس، د.ت، صفحة 43) وان كان هذا الاسم يشمل بقعة أوسع من مقدشو ومع ذلك اشتهرت مقدشو باسم بنادر (سالم، 1963، صفحة 356)

ثانياً: الموقع الجغرافي

تتباين أهمية الموقع الجغرافي لكل مدينة من المدن تبعاً لمجموعة من العوامل، أهمها مساحة المدينة وشكلها، ومدى اطلالها على مناطق بحرية مفتوحة على المحيطات، وما تملكه من سواحل، وعلاقتها مع مدن كبرى من عدمه، فضلاً عن مصادر التنوع الجيولوجي والمناخي، ونحن بصدد مدينة مقدشو سوف نتناول هذه المحاور (اللهيبي، بغداد، صفحة 16)

ومقدشو موقعها بين الإقليم الأول من الأقاليم السبعة وخط الاستواء ومن حيث القياس يبلغ طول المدينة اثنتان وسبعون درجة والعرض درجتان (ابن سعيد، 1970، صفحة 82)

ومن حيث الموقع فيتفق الجغرافيون على أنّ موقع مدينة مقدشو في الساحل الشرقي لافريقيا اول بلاد الزنج في جنوب اليمن في وسط بلاد البربر تطل على بحر الهند الاعظم وقد عرفت المنطقة التي قامت فيها لدى الجغرافيين العرب باسم ساحل الزنج او بلاد الزنج وذلك نسبة الى سكانها من الزنج وهي من اجل مدن بلاد الزنج (المصدر نفسه، صفحة 82)

وتذكر المراجع الحديثة موقع مدينة مقدشو على الساحل الغربي للمحيط الهندي وتحيط بها المياه من جهتي الشرق والجنوب والمنطقة المواجهة للساحل تقدر بعشرين كلم مربع وتبعد عن خط الاستواء بحوالي ثلاث عشر كيلو متر (ياقوت الحموي، 1415هـ/1995م، صفحة 173/5)

اما من حيث الموقع الفلكي فان مقدشو تقع اثنان درجة شمالا من حيث خط العرض، وخمس واربعون درجة شرقا من حيث خط الطول وتبعد عن خط الاستواء شمالا بحوالي 120 ميلاً (المصدر نفسه، صفحة 174/5)

أما المسافات بين مدينة مقدشو والمدن الأخرى فيذكر ابن المجاور المسافة بين عدن ومقدشو موسم واحد وبين مقدشو وكلوة موسم ثاني ومن مقدشو الى القمر موسمان. (ابن المجاور، 1416هـ/1996م، صفحة 135/1)

ويذكر ابن بطوطة بعد ان سافر من زيلع الى مقدشو بحرا مقدراً تلك المسافة بخمس عشرة ليلة. (ابن بطوطه، 1996، الصفحات 115-114/2)

ثانياً: الأهمية التجارية لموقع مقديشو:

ان الأهمية التجارية لموقع مقديشو تكمن على انها تقع على ساحل بحر الهند فتكون ملتقى المحيط الهندي بخليج عدن والمرتحل الى بلاد الزنج يمر بها لانها اول مدينة في بلاد الزنج وهذا الموقع جعل منها حلقة وصل بين بلاد العرب وبلدان المحيط الهندي على الساحل الشرقي لافريقيا (ابن عبدالحق، 1991، صفحة 1297/3) كما انها تحكمت في طرق التجارة عبر باب المندب وبحر القلزم

فان مدينة مقديشو واهميتها الاستراتيجية على بحر الهند مثلت الركيزة الأساسية في اقتصاد مدن بلاد الساحل الشرقي لافريقيا فقد فكانت مقديشو هي المهيمنة على طرق التجارة في بحر الهند (المشتري، 2008م، صفحة 177) ، وبذلك يصف ابن سعيد أهميتها قائلا:" مدينة الإسلام المشهورة في ذلك الصقع والمترددة الذكر على السن المسافرين". وهي بذلك تعد من اهم مدن الساحل الشرقي لافريقيا. (ياقوت الحموي، 1415هـ/1995م، صفحة 343/1)

ثالثاً: مناخ مدينة مقدشو:

ذكر القلقشندي موقع مدينة مقدشو بين الإقليم الأول من الأقاليم السابعة وخط الاستواء (القلقشندي، 1987، صفحة 320/5) ولا شك ان لهذا الموقع تأثيراً كبيراً على مناخ المدينة سواء من حيث درجات الحرارة او سقوط الامطار ولعل هذا الموقع القريب من خط الاستواء قد اكسبها خصائص ارتفاع درجات الحرارة المستمرة طوال العام (سالم، 1963، صفحة 55) اما الامطار فكانت متذبذبة وهذا يرجع الى ان موقع مدينة مقدشو يقع في ساحل شرق افريقيا. (القزويني، د.ت، صفحة 62)

ثالثاً: مصادر المياه في مدينة مقدشو:

يخترق مدينة مقديشو نهر عظيم شبيه بنيل مصر في زيادته وكثرة مياهه في الصيف وهو يخرج من بحيرة كورا ومصبه ببحر الهند على القرب من مقدشو (القلقشندي، 1987، صفحة 320/5)

وهو معوج ومستقيم ويخرج منه العديد من الأنهار ما تصير به تلك الجهات كالديار المصرية والهندية في كثرة خيراتها وينصب من مقدشو في شرقيها ويكون طوله نحو الفي ميل (ابو الفداء، د.ت، الصفحات 152-153)

المبحث الثاني

الأوضاع السياسية في مقديشو

أولاً: النشأة التاريخية لمدينة مقدشو

ان اقدم رواية اشارت الى وجود المدينة ورود اسمها في وثيقة تاريخية قديمة ذكرت اسم المدينة ضمن الاحاديث والروايات التي حوتها هذه الوثيقة عند تناولها ذكر المنطقة في العصور القديمة مثل كتاب الطواف حول البحر الارتيري او دليل البحر الارتيري وهو كتاب لمؤلف مجهول يعتقد انه كان ملاحاً من الإسكندرية في (القرن الأول الميلادي)، وهذا الملاح المتجول وصف بعض الموانئ والمتاجر وكذلك الشعوب الساكنة في المناطق والمدن الساحلية المطلة على المحيط الهندي وبعض الأماكن والمدن المشرفة على بحر القلزم، وجاء ذكر موقع مدينة مقدشو باسم ازانيا والتي من ضمن ارضها سيرابيو موقع مقدشو قديماً (سالم، 1963، الصفحات 330-332)

وهناك روايات أخرى تعد مدينة مقدشو مقراً لحكومة كان يحكمها اسعد الحميري قبل ظهور الإسلام (العيدروس، د.ت، صفحة 365)

اما في العصور الإسلامية فقد كان الوجود العربي بساحل بنادر قبل تاريخ تأسيس مدينة مقدشو حيث عثر على عدد من مشاهد المقابر التي يعود تاريخها الى بداية العصور الإسلامية مصحوبة بالخط العربي يعلوه "بسم الله الرحمن الرحيم" هذا قبر سيدة تدعى فاطمة بنت عبد الصمد يعقوب المتوفاة عصر يوم السبت (22 جمادي الأول سنة 101هـ/ 719م)، واخر على قبر سيدة تدعى خديجة بنت مقدام محمد المتوفاة في (5 ذي الحجة سنة 138هـ/ 755م) (علي ، د.ت، صفحة 21)

وقد أشار عيسى في كتابه نقلاً عن وثيقة اطلع عليها فيها نسب رجل يسمى إسماعيل بن عمرو بن محمد ورد فيها ان هذا الرجل من بني عفان وانه نزل او هاجر الى مقدشو سنة (149هـ/ 766م). (عيسى، 1995، صفحة 21)

كانت أولى الهجرات الكبيرة والمؤثرة هي هجرة الزيدية التي وصلت الى الساحل الشرقي في النصف الأول من (القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي) وذلك بعد مقتل زيد بن علي بن الحسين الذي خرج على الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك (105-125هـ/ 723-742م)، سنة (121هـ/ 738م) (الطبري، 1986، صفحة 193/4)

وقد أشار عيسى في كتابه نقلاً عن وثيقة اطلع عليها ان اول من هاجر من العرب المسلمين هم جماعة الزيدية الذين نفوا من البلاد العربية لانهم اتبعوا تعاليم شخص كان يدعى زيداً لكنه هزم وقتل سنة (122هـ/ 740م)، فخرج جماعة من اتباعه الى ساحل شرق افريقيا لاسيما مقدشو. (عيسى، 1995، صفحة 24)

وفي أواخر (القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي) قدمت هجرة بني الحارث من شرق الجزيرة العربية واستقرت بالساحل الشرقي لافريقيا ويعزى لهم تأسيس مدينة مقدشو سنة (295هـ/ 907م)، والتي أصبحت عاصمة لامارة إسلامية اخذت تمد نفوذها على الساحل الشرقي شمالا وجنوبا وتؤسس المدن والمراكز الإسلامية

ثم اخذت تتطور مقدشو في عهد بني الحارث وقاموا ببناء سور لحمايتها وكانت لها علاقات مع المدن الساحلية حتى سفالة (الزيلعي، 2018م، صفحة 55) وازدهرت مقدشو وتعدد بنائها وتوسعت المدينة حتى أصبحت حيين وهما حي حمر وين وحي شنغاني، وحي حمر وين كان حياً عربيا اذ يسكنه العرب المهاجرون، واصبحت مبانيه بالطراز المعماري الإسلامي، اما حي شنغاني فكان حياً فارسياً اذ استقرت فيه اسر من نيسابور من بلاد فارس (العيدروس، د.ت، الصفحات 45-46)

اما الهجرة الثانية التي كان لها الأثر الكبير على مقدشو وما جاورها من بلاد الساحل الافريقي فهي الهجرة التي قدمت من بلاد فارس وتؤرخ هذه الهجرة في النصف الثاني من (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، وقامت بهذه الهجرة اقوام من بلاد فارس لا سيما من شيراز

ويجدر بالذكر ان هذه الهجرة الفارسية لم تتم من مدينة شيراز وحدها رغم انها حملت اسم تلك المدينة الى ان تلك الهجرة قد رافقتها جماعات أخرى من المهاجرين الفرس الذين قدموا من بعض المناطق الفارسية الأخرى ولا سيما من مدينة سيراف (حوراني، د.ت، صفحة 228)

وعن تلك الهجرة وكذلك الحقبة التي وقعت خلالها تشير الرواية التي أوردها صاحب كتاب السلوة في اخبار كلوة : " يذكر اهل التواريخ فيما زعموا ان اول من وصل كلوة سفينة فيها أناس يزعمون انهم من بلاد شيراز من بلاد العجم وقيل كانوا سبعة مراكب (مؤلف مجهول، 1985، صفحة 27)، وعلى هذا فانه حسب ما ورد في تلك الرواية الانفة فان تلك الهجرة الشيرازية تعتبر من اقدم الهجرات المعروفة التي وصلت الى شرق افريقيا بصفة عامة وربما اقدمها جميعا سواء اكانت هذه الهجرات قامت بها جماعات وبطون عربية الأصل ام كانت قد قامت بها جماعات أخرى من غير العرب مثل الفرس.

وفي ذات الوقت تذكر تلك المصادر ان أصحاب هذه المراكب التي قامت بالهجرة الشيرازية كانوا من ذات العائلة حيث كانوا ست اخوة بينما كان صاحب المركب السابعة هو والد هؤلاء الاخوة انفي الذكر (المصدر نفسه، صفحة 30)

ومن جانب اخر وفيما يرتبط بالدوافع التي كانت وراء تلك الهجرة الشيرازية وكذلك أسبابها فانها ليست واضحة بشكل كبير ويكتنفها الكثير من الغموض بسبب قلة الإشارات التاريخية. غير ان بعض المصادر تشير الى ان السبب وراء خروج هؤلاء المهاجرين القادمين من شيراز يرجع في المقام الأول الى سلطان شيراز خلال (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، وكان يدعى السلطان الحسن بن علي (المصدر نفسه، صفحة 30)

وهذا السلطان هو والد الاخوة الستة أصحاب تلك المراكب التي حملت هؤلاء المهاجرين القادمين من بلاد فارس الى ساحل شرق افريقيا (المصدر نفسه، صفحة 30)

وتذكر بعض الروايات التاريخية ان السلطان الحسن بن علي كان قد رأى ذات يوم رؤية أرقته واصابته بالهم حيث رأى السلطان في منامه كانه فأر لها خرطوم من الحديد وكانت تلك الفأرة تقرض جدران القصر الذي يسكن فيه السلطان وابناؤه بهذا الخرطوم ولما استيقظ السلطان الحسن بن علي من حلمه ذهب به الظن الى ان تلك الرؤية هي إشارة يقينية الى ما سيقع في بلاده من الخراب والدمار ومن ثم سقوط ملكة في تلك البلاد التي يحكمها (المصدر نفسه، صفحة 30).

وتشير المصادر التاريخية التي تناولت تلك الحادثة ان سلطان شيراز جمع أبناؤه الستة ثم اخبرهم بما رأى في ذلك الحلم واكد لهم ان بلادهم سوف يقع بها الخراب وان ملكهم سيزول (المصدر نفسه، صفحة 30).

واقترح الاب على أبنائه امرا يرى انه بمثابة الحل الأمثل لهذه المصيبة التي يمرون بها والتي تهدد ملكهم اذ اقترح على أبنائه انه لابد من الرحيل عن هذه البلاد حيث قال: الاب لابنائه " اني أرى الانتقال من هذه البلاد الى بلد اخر... (المصدر نفسه، صفحة 30).

وعن بداية الرحلة هذه يقول صاحب كتاب السلوة في اخبار كلوة :" فلما كان الغد احضر سلطان شيراز جميع اولادة مع كافة الامراء والوزراء واهل الحل والعقد فاتفق الجميع على الانتقال مع سلطانهم فتجهز السلطان مع اهل بيته وبعض امرائه ووزرائه وبعض رعيته فتوجهوا من طريق البر الى بعض البنادر (الموانئ) وركبوا سبعة مراكب وسافروا متوجهين الى ارض الله تعالى فرمى الله بهم الى ارض السواحل فتفرقت المراكب ودخل كل مركب في بلاد وهذا القول اقوى دليل على انهم كانوا ملوكا في بلدهم ورد على من انكر ذلك... (المصدر نفسه، صفحة 30) .

واستقر كل واحد منهم في منطقة من مناطق الساحل واشترى الاب كلوة وتملكها وملك ابناءه على بقية المراكز وتوارثوا الحكم فيها (المصدر نفسه، صفحة 30)

ومن خلال الوثيقة العربية التي عثر عليها البرتغاليين في مدينة كلوة عام (910هـ/ 1505م)، اذ جاء فيها اخبار عن الهجرة الشيرازية وبعد وصولهم الى ساحل شرق افريقيا كانت مقدشو من اوائل المناطق التي وطئتها اقدامهم، وخضعت لنفوذهم في فترة وجيزة كل الشريط الساحلي الممتد من مقدشو حتى منبسي (جيان، 2005، الصفحات 84-85).

أصبحت مدينة مقدشو في عهد الاسرة الشيرازية سلطنة قوية ذات شوكة ونفوذ ونظام سياسي واضحت صاحبة السيادة على كل سكان ساحل بنادر واصابت قدرا عظيما من الثروة والجاه حتى قال عنها ابن سعيد:" مدينة الإسلام المشهورة في ذلك الصقع المتردد على السنة المسافرين". مما يدل على انها لم تكن مركزا تجارياً فحسب بل أصبحت منارة للثقافة والحضارة الإسلامية في شرق افريقيا. (ابن سعيد، 1970، صفحة 82)

يتبين من ذلك ان الهجرة كانت العامل الأهم في تأسيس المراكز الإسلامية على طول الساحل والتي تحولت بعد ذلك الى امارات وممالك كما تبين عدم وجود تنظيمات قبلية متماسكة في القرون الهجرية الأولى لتقف بوجه هذه الهجرات الامر الذي سهل على المهاجرين الاستقرار وبناء المراكز التجارية أي ان استقرار العرب في شرق افريقيا حدث بكل هدوء دون اللجوء الى العنف او الحرب (فليح، 2010، صفحة 61)

ثانياً: الأوضاع السياسية في مدينة مقدشو

كانت مملكة الزنج عموما تتمتع بشيء من التنظيم السياسي اذ كان الملك يختار من الرب في زعمهم لاقامة الملك والعدل ومتى ما حاد عن ذلك وجار في حكمه قتلوه وحرموا عقبه من الملك، وليس لهم شريعة يرجعون اليها بل رسوم لملوكهم وأنواع من السياسات يسوسون بها رعيتهم (المسعودي، 1430هـ/2009م، صفحة 15/2)

ولعل اهم ما ينبغي ابرازه هنا ان الإسلام قد انتشر على طول الساحل الشرقي لافريقيا بالوسائل السلمية المتمثلة بالتجارة ولم يدخلها جندي مسلم واحد .

وبعد هجرة جماعة الاخوة السبعة في أواخر (القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي) واجهت في بداية امرهما في مقدشو بعض الصعوبات أهمها ان الزيدية الذين كانوا قد سبقوهم واستولوا على أجزاء من ساحل بنادر وبدأوا في نشر مبادئهم وافكارهم (البراوي، 1963، الصفحات 26-27) لا سيما انهم من الشيعة المتعصبين لهذا المذهب (الدينوري، 1992، صفحة 28) بينما كان الاخوة السبعة على المذهب الشافعي (مؤلف مجهول، 1985، صفحة 28). وقد دافع الزيديون عن عقيدتهم وحاربوا جماعة الاخوة السبعة الا انهم غلبوا على امرهم في النهاية وهزموا امام الاخوة السبعة سنة (330هـ/ 948م) (جيان، 2005، صفحة 84).

وبعد ان تغلب الاخوة السبع على الصعاب التي واجهتهم في بداية امرهم حاولوا تنظيم الأمور في مدينة مقدشو ووضع حد لهجمات القبائل على التجار من العرب والفرس وأصبحت مقدشو في عهد الاخوة السبع عاصمة لساحل بنادر الذي ضم بعض المناطق وأصبحت تابعة لها مثل مركة وبروة بالإضافة الى الأراضي المحيطة بهم (شلبي، 1978، الصفحات 6/395-396).

وكان امتداد مقدشو واتساعها قد غطى على جميع أجزاء الساحل المعروف ببلاد الزنج (ياقوت الحموي، 1415هـ/1995م، صفحة 343/1) اما اكبر المناطق التي خضعت لسيطرة مقدشو في عهد الاخوة السبعة هي مركه وجعلوها من اكبر مدنهم السياسية (المقريزي، 1895، صفحة 39)

اما مدينة بروة فهي الأخرى خضعت لحكم الاخوة السبعة وتوسعت في عهدهم (العيدروس، د.ت، صفحة 29).

وفي منتصف (القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي) بدأت سلطة الاخوة السبعة في التدهور والانحلال نتيجة الصراعات الداخلية التي حدثت بين زعمائها حتى اذا جاء الشيرازيون الفرس الى الساحل لم يجدوا سوى قوة عسكرية ضعيفة وعدم وجود قوة موحدة تقف في وجه الشيرازيين الذين وصلوا الى مقدشو ومركة وبراوة وسيطروا على هذه المناطق والمناطق الساحلية الأخرى تحت زعامة علي بن الحسن الشيرازي (مؤلف مجهول، 1985، صفحة 30).

وتمكنوا من السيطرة على هذه المناطق بسهولة ويسر ثم واصلوا زحفهم الى مدينة كلوة حيث اسسوا سلطنة الزنج الإسلامية الا ان الشيرازيين ابقوا على كل النظم الموجودة في تلك البلاد دون تغيير واكتفوا بوضع حاميات عسكرية قوية وفرضوا على تلك المدن الجزية التي تدفع سنويا (المصدر نفسه، صفحة 30).

ولم يتمكن الشيرازيين من البقاء في مقدشو ومركه وبراوة وزحفوا جنوبا وذلك لان تلك المناطق التي تركوها لم تكن صالحة لاستقرارهم اذ ان الامطار لم تكن غزيرة فأبحروا جنوبا الى كلوة واسسوها (مؤلف مجهول، 1985، صفحة 30).

وفي منتصف (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) تولى سلطنة مقدشو زوزن وكان حاكما جائرا وجبارا على رعيته ولم يصلح البلاد وقد عاشت مقدشو في عهدة موجة من الفوضى والاضطرابات والقحط حتى زالت سيطرته (العيدروس، د.ت، صفحة 94)

وفي (القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي)، ضعفت سلطة مقدشو وأصبحت عبارة عن مشايخ فيصفهم ياقوت الحمويقائلا:" طوائف لا سلطان لهم لكل طائفة شيخ يأتمرون له". (ياقوت الحموي، 1415هـ/1995م، صفحة 343/5)

وفي القرن (السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي)، جاءت اسرة المظفر وهي من قبيلة بني نبهان العربية الذين كانو يحكمون في عمان وعاصمتها مسقط وقد أصابها الاضمحلال والتفكك وذلك عندما قامت بعض القبائل العربية الأخرى بطردها عن حكم مسقط فادى ذلك الى فرار سليمان بن المظفر الى ساحل شرقي افريقيا واستقر هو واتباعه في مدينة بات واقاموا سلطنة هناك وحكموا جزاء كبيرا من الساحل الشرقي متخذين من بات مقرا لسلطنتهم وذلك بعد ان استطاع اول امير لهم وهو سليمان بن المظفر من ان يتزوج ابنة إسحاقحاكم بات في ذلك الحين وعن طريق زوجته ورث الملك كما يقال ان والدها تنازل له عن الحكم فاصبح الحاكم الشرعي لبات ومن ثم نقل سلطانه من عمان الى شرق افريقيا (المقريزي، 1895، صفحة 44)

وقد نمت هذه السلطنة واتسعت في عهد أبنائه واحفاده ففي عهد السلطان محمد الثاني بن احمد (690- 732هـ/ 1291-1331م)، توسعت سلطنته شمالاً بعد حملات ناجحة قام بها اخضع فيها كل المدن الساحلية التي تقع شمال بات حتى مقدشو (المصدر نفسه، صفحة 44)

واستطاعت هذه الامارة ان تبسط سيطرتها على مقدشو حوالي سنة (722هـ/ 1322م) (مجموعة مؤلفين، 2009، صفحة 289/3) ، وذكر جيان انه حكم مدينة مقدشو تسع شيوخ من بني المظفر. (جيان، 2005، صفحة 188).

وكان الرحالة ابن بطوطة قد زار مقدشو في القرن الثامن الهجري وذلك في اثناء حكم ابي بكر بن الشيخ عمر بن المظفر وفي عهد هذا الشيخ (السلطان) بلغت مقدشو ذروة مجدها ووصفها ابن بطوطة بانها متناهية في الكبر ولها صلات اقتصادية وثيقة مع مصر. (ابن بطوطه، 1996، الصفحات 115/2-116)

وقد ذكر ابن بطوطة معلومات عن سلطان مقدشو قائلاً:" ومن عوائده أنه متى وصل مركب يصعد إليه صنبوق السلطان، فيسأل عن المركب من أين قدم، ومن صاحبه، ومن ربّانه، وهو الرايس، وما وسقه، ومن قدم فيه من التجار وغيرهم، فيعرف بذلك كلّه ويعرض على السلطان، فمن استحقّ أن ينزله عنده أنزله". (المصدر نفسه، صفحة 115/2)

ثالثاً: طبيعة نظام الحكم في مدينة مقدشو في (القرن الثاني الهجري)

كانت مدينة مقدشو تدار من قبل شيوخ العشائر فكان لكل طائفة منهم شيخ يأتمرون بأمره فهم طوائف لا ملك ولا سلطان لهم انما يدبر امورهم المقدمون على اصلاح امورهم فالشيخ هو القائم فيهم ويرجع كل الامر اليه والمشايخ هم المتقدمون على جميع السكان ولا يعملوا شيء بدون شيوخهم واذا قصد التاجر مقدشو لابد له من ان ينزل على احد الشيوخ ويستجير به فيقوم بجميع احواله فكان اذا حدث امرا او قرروا عمل شيء اتفق من كل قبيلة ممثل وهناك يعملون المشورة ثم يقررون ما يتفقون عليه". (المصدر نفسه، الصفحات 115/2-120)

كان يأتي الشيخ وهو على رأس الهرم ومن ثم يأتي الوزراء والامراء والقضاة ووجوه الاجناد في الترتيب الذي ذكرت فيه". (المصدر نفسه، الصفحات 118/2-120)

وتضرب بين يدي الشيخ الطبول والأبواق والأنفار، ويسير وأمراء الأجناد أمامه وخلفه، والقاضي والفقهاء والشرفاء معه، ويدخل إلى مشوره على تلك الهيئة، ويقعد الوزراء والأمراء ووجوه الأجناد في سقيفة اعدت لهم، وللقاضي بساط لا يجلس معه احد عليه، والفقهاء والشرفاء معه". (ابن بطوطه، 1996، صفحة 118/2)

وبعد صلّاة العصر مع الشيخ يأتي جميع الأجناد ويقفوا صفوفا على قدر مراتبهم، ثم تضرب الأطبال والأنفار والصّرنايات وعند ضربها لا يتحرّك أحد ولا يتزحزح عن مقامه، ومن كان ماشيا وقف فلم يتحرّك إلى الخلف ولا إلى الأمام، فإذا افرغ من ضرب الطّبول انصرفوا". (المصدر نفسه، صفحة 118/2)

ثم يدخل الشيخ إلى داره ويقعد القاضي والوزراء وكاتب السرّ وأربعة من كبار الأمراء للفصل بين الناس وأهل الشكايات، فما كان متعلّقا بالأحكام الشرعيّة حكم فيه القاضي وما كان من سوى ذلك حكم فيه أهل الشورى وهم الوزراء والأمراء، وما كان مفتقرا إلى مشاورة السلطان كتبوا إليه فيه فيخرج لهم الجواب من حينه على ظهر البطاقة بما يقتضي نظره وتلك عادتهم دائما". (المصدر نفسه، صفحة 120/2). فكان اختصاص هذا المجلس هو حفظ الامن، وتطبيق العدالة والفصل في الاحكام الشرعية وتسير أمور الناس.

وساد ونظام المشيخة في (القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) ". (المصدر نفسه، صفحة 115/2) حيث كان يطلق على السلطان لقب الشيخ، وهو نظام عربي قديم يعتمد على عراقة النسب والكرامة والشجاعة والمروءة وقد نقل هذا النظام المهاجرين العرب الى ساحل شرق افريقيا (العرافي، 1982، صفحة 85)

الخاتمة:

1. استنادا إلى ما ذكرته المصادر الجغرافية واللغوية المتقدمة فان التسمية السائدة للمدينة في فترة الدراسة هي مقدشو.
2. ان اصل كلمة مقدشو مشتقة من مقعد الشاه أي المكان الذي يسكنه الحاكم العجمي بحكم سيطرة الفرس الشيرازيين عليها حتى القرن السابع الهجري فاصبحت تعرف باسم مقدشو كما ذكر ياقوت الحموي. وللأسف لم تسعفنا المصادر التي بين أيدينا عن اصل التسمية اصطلاحاً لذا عولنا في هذا الجانب على المراجع الحديثة.
3. يتميز مناخ المدينة بصيف حار جداً فهي حارة طوال العام وتكون كذلك كثيرة الرطوبة لقربها من البحر مع قلة في الامطار
4. كانت توجد دوافع عديدة لهجرة البشرية إلى مقديشو، ومنها الدوافع السياسية، وكذلك أسباب أخرى ذات طابع اقتصادي، وربما كان لهذه الهجرات أيضا أسباب دينية غير انه لم يرد لها ذكر واضح في المصادر التاريخية التي تحدثت عن الهجرة الشيرازية وبناء على هذا يتضح ان نشأة هذه المدينة لم يرتبط باسرة او مذهب وانما كان نتيجة عوامل متداخلة.
5. ان مقدشو عملت بنظام الوزارة وكان الوزير مهمته الاشراف على شؤون الإدارة والمال، اما القضاء فيتبين انه كان مستقلاً عن السلطة وكان يطبق التعاليم الإسلامية، وعلى الرغم من عدم ورود معلومات كافية عن التنظيم الإداري في هذه المدينة الا انه يتبين من خلال ما ذكرنا أعلاه انها كانت تدار بجهاز اداري دقيق وكان الوزراء من اهم موظفيه الى جانب القضاة والولاة، كذلك يتبين انهم عملوا بنظام الشورى الإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع

ابو الحسن علي بن موسى (ت: 685هـ/ 1286م) ابن سعيد. (1970). *كتاب الجغرافيا*. بيروت: منشورات التجاري للطباعة والنشر.

ابو محمد عبدالله (ت : 276هـ/ 889م) الدينوري. (1992). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

احمد بن علي احمد الفزاري (ت: 821هـ/1418م) القلقشندي. (1987). *صبح الاعشى في صناعة الانشا*. بيروت: دار الفكر.

احمد بن علي بن محمد (ت: 852هـ/1448م) العسقلاني. (د.ت). *تبصير المنتبه بتحرير المشتبه*. بيروت: المكتبة العلمية.

احمد بن علي عبدالقادر (ت: 845هـ/ 1441م) المقريزي. (1895). *الالمام باخبار من ارض الحبشة من ملوك الاسلام*. مصر: مطبعة التأليف.

احمد شلبي. (1978). *موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية*. القاهرة.

اسماعيل بن علي بن محمود (ت732هـ/ 1331م) ابو الفداء. (د.ت). *تقويم البلدان*. باريس: دار الطباعة السلطانية.

الزيدي. (د.ت). د.م.

العرافي. (1982). *معالم الحضارة الاسلامية في شرق افريقيا في العصور الوسطى*. د.م: مجلة الدراسات الافريقية.

.مجلة الدراسات الافريقية :م.د .*معالم الحضارة الاسلامية في شرق افريقيا في العصور الوسطى* .(م1982) .س .ا ,العرافي

المسعودي. (1430هـ/2009م). *مروج الذهب* . بيروت: دار الانوار.

المصدر نفسه. (بلا تاريخ).

جمال الدين (ت : 690هـ/1291م) ابن المجاور. (1416هـ/1996م). *صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر*. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

جورج فضلو حوراني. (د.ت). *العرب والملاحة في المحيط الهندي*. القاهرة: يحيى الخشاب.

جيان. (2005). *ساطنة عمان وافريقيا الشرقية وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية*. د.م: دار اللفضيلة للنشر والتوزيع.

حسن علي فليح. (2010). *زنجبار دراسة تاريخية للوجود العماني في شرق افريقيا*. بغداد: مجلة كلية الرتبية الاساسية/ الجامعة المستنصرية.

حسين حمزة اللهيبي. (بغداد). *مدينة سيراف دراسة في احوالها العهامة 132-656هـ* . 2023: رسالة ماجستير غير منشورة/ الجامعة المستنصرية- كلية التربية.

حمدي السيد سالم. (1963). *الصومال قديما وحديثا*. مقدشو: الدار القومية للطباعة والنشر.

راشد البراوي. (1963). *الصومال الكبير حقيقة وهدف*. القاهرة: المكتبة العصرية.

زكريا بن محمد بن محمود (ت: 682هـ/ 1283م) القزويني. (د.ت). *اثار البلاد واخبار العباد*. بيروت: دار صادر.

شهاب الدين ابو عبدالله (ت 626هـ/ 1228م) ياقوت الحموي. (1415هـ/1995م). *معجم البلدان*. بيروت: دار صادر.

عبد المؤمن (ت: 739هـ/1328م) ابن عبدالحق. (1991). *مراصد الاطلاع*. بيروت: دار الجيل.

عبدالرحمن شيخ محمود الزيلعي. (2018م). *الصومال عروبتها وحاضرها الاسلامية*. دبي: قنديل للطباعة والنشر والتوزيع.

علي بن ابي بكر بن محمد العيدروس. (د.ت). *بغية الامال في تاريخ الصومال*. أسيوط: شركة مطبعة السلام.

عيسى. (1995). *تاريخ الصومال في العصور الوسطى*. القاهرة: مطبعة الامام.

مجموعة مؤلفين. (2009). *موسوعة سفير للتاريخ الاسلامي*. د.م: دار أسامة.

محمد بن جرير يزيد بن كثير (ن: 310هـ/ 922م) الطبري. (1986). *تاريخ الرسل والملوك*. بيروت: دار الكتب العلمية.

محمد بن عبدالله بن محمد (ت: 779هـ/1377م) ابن بطوطه. (1996). *رحلة ابن بطوطة* . الرباط: اكادمية المملكة المغربية.

محمد عمر المشتري. (2008م). *بلاد القرن الافريقي*. طرابلس: مطبعة وحدة الكتاب.

محمود صالح علي . (د.ت). *صفحات من تاريخ مقديشو*. الصومال: مركز مقديشو للبحوث والدراسات.

مؤلف مجهول. (1985). *السلوة في اخبار كلوة*. عمان: وزارة التراث القومي والثقافي.

The reviewer

A group of authors, Safir Encyclopedia of Islamic History, Dr. Edition, Dar Osama (D. M.: 2009 AD.(

Abul-Fida, Ismail bin Ali bin Mahmoud (d. 732 AH/1331 AD), Taqmiyim al-Buldan, he took care to correct it, Raynaud and Baron Mac Cockayne, Dr. Edition, Royal Printing House (Paris: D.T.(.

Al-Aidaroos, Ali bin Abi Bakr bin Muhammad Al-Aidaroos Al-Nadhari Al-Alawi, with a view to hopes in the history of Somalia, d., ed., Al-Salam Press Company (Assiut: d.d.(.

Al-Arafi, Al-Sir Sayyid Ahmed, Landmarks of Islamic Civilization in East Africa in the Middle Ages, Journal of African Studies. Issue 2, (D. M.: 1982 AD.(

Al-Asqalani, Ahmed bin Ali bin Muhammad bin Ahmed (d. 852 AH / 1448 AD), Insight into the Liberation of the Suspect, edited by Muhammad Ali Al-Najjar, Dr. I, Scientific Library (Beirut: D. T.(

Al-Barawi, Rashid, Greater Somalia, Khaqiqa wa Hadaf, 1st edition, Al-Matbabah Al-Asriyya (Cairo: 1961 AD), p. 10; Hassan, Ibrahim Hassan, The Spread of Islam on the African Continent, Dr. I, Dar Al-Fikr (Cairo: 1963 AD.(

Al-Dinuri, Abu Muhammad Abdullah bin Muslim bin Qutaybah (d. 276 AH / 889 AD), edited by Tharwat Okasha, 2nd edition, Egyptian General Book Authority (Cairo: 1992 AD(

Ali, Mahmoud Saleh, Pages from the History of Mogadishu, d. I, Mogadishu Center for Research and Studies (Somalia: D.T.(

Al-Lahibi, Hussein Hamza, the city of Seraf, a study of its general conditions 132-656 AH, unpublished master's thesis, Al-Mustansiriya University, College of Education (Baghdad: 2023 AD.(

Al-Maqrizi, Ahmed bin Ali bin Abdul Qadir (d. 845 AH / 1441 AD), familiarity with news from the land of Abyssinia from the kings of Islam, Dr. I, Al-Ta'if Press (Egypt: 1895 AD.(

Al-Masoudi, The Meadows of Gold and Minerals of the Jewel, edited by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, 1st edition, Dar al-Anwar (Beirut: 1430 AH/2009 AD.(

Al-Qalqashandi, Ahmed bin Ali bin Ahmed Al-Fazari (d. 821 AH / 1418 AD), Subh Al-A'sha fi the Construction Industry, edited by Yusef Ali Al-Taweel, 1st edition, Dar Al-Fikr (Beirut: 1987 AD.(

Al-Qazwini, Zakaria bin Muhammad bin Mahmoud (d. 682 AH / 1283 AD), Antiquities of the Country and News of the People, Dr. Edition, Dar Sader (Beirut: DT.(

Al-Tabari, Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Kathir bin Ghalib Al-Amli (d. 310 AH/922 AD), History of the Messengers and Kings, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya (Beirut: 1986 AD.(

Al-Zayla'i, Abdul Rahman Sheikh Mahmoud, Somalia, its Arabism and its Islamic Civilization, 1st edition, Qandil Printing, Publishing and Distribution (Dubai: 2018), p. 55.

Anonymous author (he was alive in the tenth century AH / sixteenth century AD), Al-Salwa fi Akhbar Kalwa, edited by Muhammad Ali Al-Salibi, Dr. I, Ministry of National and Cultural Heritage, (Amman: 1985 AD.(

Falih, Hassan Ali, Zanzibar, a historical study of the Omani presence in East Africa, Journal of the College of Basic Education, Al-Mustansiriya University, Issue 64, (Baghdad: 2010 AD.(

Hourani, George Fadlo, Arabs and Navigation in the Indian Ocean, in Antiquity and the Early Middle Ages, translated by Yacoub Bakr, reviewed by Yahya Al-Khashab, (Cairo: D.T.(.

Ibn Abd al-Haqq, Abd al-Mu'min bin Abd al-Haqq Ibn Shama'il al-Quta'i al-Baghdadi (d. 739 AH/1338 AD), Marasid al-Tir'a, 1st edition, Dar al-Jeel (Beirut: 1991 AD.(

Ibn al-Mujawar, Jamal al-Din Abu al-Fath Yusuf ibn Ya'qub ibn Muhammad al-Dimashqi (d. 690 AH/1291 AD), Description of the Lands of Yemen, Mecca, and some of the Hijaz, called the History of the Clairvoyant, reviewed and footnotes by Mamdouh Hassan Muhammad, Dr. I, Library of Religious Culture (Cairo: 1416 AH/1996 AD.(

Ibn Battuta, Muhammad bin Abdullah bin Muhammad bin Ibrahim Al-Lawati Al-Tanji (d. 779 AH / 1377 AD), The Journey of Ibn Battuta (The Masterpiece of the Species in the Curiosities of the Lands and the Wonders of Travels), D, Ed., Academy of the Kingdom of Morocco (Rabat: 1996 AD(

Ibn Saeed, Abu Al-Hasan Ali bin Musa Al-Maghribi (d. 685 AH / 1286 AD), Book of Geography, edited by him and his introduction and commentary on it, Ismail Al-Arabi, 1st edition, Publications of the Commercial Office for Printing, Publishing and Distribution (Beirut: 1970 AD.(

Issa, The History of Somalia in the Middle and Modern Ages, Dr. I, Al-Imam Press (Cairo: 1965 AD(

Jian, The Sultanate of Oman and East Africa, Historical, Geographical and Commercial Documents, translation, Youssef Kamal Pasha, 1st edition, Dar Al-Fadhila for Publishing and Distribution (D. M.: 2015 AD.(

Muhammad, Omar Al-Mukhtar, Bilad Al-Horn of Africa, 1st edition, Wahdat Al-Kitab Press (Tripoli: 2008 AD.(

Salem, Hamdi Al-Sayyid, Somalia in the past and in the present, Dr. I, National Printing and Publishing House (Mogadishu: 1963), p. 356.

Shalabi, Ahmed, Encyclopedia of Islamic History and Islamic Civilization, D, ed., (Cairo: 1978 AD.(

Yaqut al-Hamwi, Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut bin Abdullah al-Rumi (d. 626 AH/1228 AD), Mu'jam al-Buldan, 2nd edition, Dar Sader (Beirut: 1415 AH/1995 AD).

الحماية النبوية في الفترة المكية

مصطفى عبدالله أحمد أ.م.د. نهاد حميد اللعيبي

Mustafaabdallahmed@gmail.com dr.nihad.hameed@uomustansiyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم التاريخ

ملخص

الهدف الاساسي لهذه الدراسة تسليط الضوء على الحماية النبوية في الفترة المكية وقد تناولت هذه الدراسة التدخلات الإلاهية والعمليات البطولية للمسلمين وغير المسلمين التي كان هدفاها الحفاظ على حياة النبي (ﷺ) وحراسته وتبيان ابرز الاحداث التي هددت امن النبي (ﷺ) من زعماء المشركين واليهود وقد كان منهاج هذه الدراسة وصفيا للأحداث واعتمدت على التسلسل التاريخي للحوادث ابتداء من مولد النبي (صل الله عليه واله وسلم) حتى الهجرة النبوية ومن الله التوفيق.

Prophetic protection in the Meccan period

Asst Prof. Nihad Hamid Al-Luaibi Mustafa Abdullah Ahmed

Al-Mustansiriya University / College of Education / Department of History

Abstract

The primary goal of this study is to shed light on the prophetic protection in the Meccan period. This study dealt with the divine interventions and heroic operations of Muslims and non-Muslims, whose goals were to preserve the life of the Prophet (may God bless him and his family and grant them peace), guarding him, and identifying the most prominent events that threatened the security of the Prophet (may God bless him and his family). (peace and blessings of God be upon him) from the leaders of the polytheists and the Jews. The method of this study was descriptive of the events and relied on the historical sequence of events starting from the birth of the Prophet (may God bless him and his family and grant them peace) until the Prophet's migration. May God grant success.

مقدمة

ان الامن في مكة حضي باهتمام كبير وليس في الفترة النبوية فقط بل منذ فترة تسبق ذلك الوقت بكثير فقد كان دعاء نبي الله ابراهيم (عليه السلام) يركز على الجانب الامني حيث قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ (سورة ابراهيم : 35) وفي موضع اخر قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (سورة البقرة : 126) ولم تغفل كتب السيرة والتاريخ في نقل بعض المعلومات والمواقف في الجانب الامني للنبي (صل الله عليه واله وسلم) لأنه لا يمكن الاستغناء عنها في كل زمان ومكان ففي هذه الدراسة الحماية النبوية في الفترة المكية سعيت الى إظهار المواقف الإلاهية وتتبع الجهود البشرية في حراسة النبي (صل الله عليه واله وسلم) وتسلط الضوء عليها.

ومن اهم التساؤلات التي حاولت مناقشتها هو ما هو مفهوم الامن؟ وما هي أهميته في حياة النبي (صل الله عليه واله وسلم) وما هو دور اقرباء النبي(صل الله عليه واله وسلم)؟ وغير ذلك من التساؤلات وسأبينها بشكل مفصل.

لقد اعتمدت هذه الدراسة على العديد من المصادر والمراجع والدراسات الحديثة المتنوعة فقد تم الاعتماد على السيرة النبوية لابن هشام الطبقات الكبرى لابن سعد والسيرة النبوية لابن كثير واما المراجع والدراسات الحديثة الامن والمخابرات نظرة إسلامية للنميري وكذلك التربية الامنية وتطبيقاتها في السيرة النبوية ما قبل الهجرة لمضوي.

وقد تم تقسيم البحث الى مقدمة و ثلاثة مباحث فالمبحث الاول تعريف الامن والمبحث الثاني الحماية الإلاهية والمبحث الثالث الحماية البشرية ثم تأتي الاستنتاجات.

المبحث الاول: تعريف الامن:

١. الامن في اللغة

ان كلمة الامن من الكلمات التي تحمل دلالات متعددة في معانيها فان الامن في معاجم اللغة له دلالات كثيرة فقد دلت على **الهدوء النفسي يعني ضد الخوف** حيث يذكر الفراهيدي (الفراهيدي، د.ت، صفحة 388) الامن قائلا: "أمن: الأَمنُ: ضدّ الخوف" وقال الجوهري (الجوهري، 1987، صفحة 2071) : "الأَمانُ والأَمانَةُ بمعنىً. وقد أَمِنْتُ فأنا آمِنٌ. وآمَنْتُ غيري، من الامن والامان ... والأَمْنُ: ضدُّ الخوف" وكذلك ما قاله الرازي (الرازي، 1979، صفحة 133) : "الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق".

ودلت على الاطمئنان حيث قال الزمخشري (اساس البلاغة، 1998، صفحة 35): "وفلان أمنة أي يأمن كل أحد ويثق به، ويأمنه الناس ولا يخافون غائلته". وكذلك ذكر ابن منظور (ابن منظور، 1414هـ، الصفحات 21-22): "الأمان والأمانة بمعنى. وقد أمنت فأنا أمن، وآمنت غيري من الأمن والأمان والأمن: ضد الخوف والأمانة: ضد الخيانة "

2. الامن اصطلاحا

ان كلمة الامن " من الكلمات ذات الدلالة المباشرة، إذ تعرف حقيقته عند النطق به، ولكن شدة وضوحه وكثرة استخداماته وكثرة تعريفاته واشتقاقاته، أضفت عليه نوعا من الغموض" (مضوي، 2017م، صفحة 241) ولهذه تعددت تعريفاتها الاصطلاحية **منها ما دل على حفظ امن الدولة** "هو تأمين سلامة الدولة ضد أخطار خارجية وداخلية قد تؤدي بها إلى الوقوع تحت سيطرة أجنبية نتيجة ضغوط خارجية أو انهيار داخلي" (الكيالي، 1990م، صفحة 331)

و**ما دل على حفظ اسرار الدولة على** أنه "الإجراءات الأمنية التي تتخذ لحفظ أسرار الدولة وتأمين أفرادها ومنشآتها ومصالحها الحيوية في الداخل والخارج، والإجراءات الأمنية تتطلب درجة عالية من التدريب واليقظة والحذر والمهارة، للوقاية من نشاط العدو المتربص" (نميري، 1996م، صفحة 6) (دحلان، د.ت، صفحة 28)

ثانيا: حماية الرسول (صل الله عليه واله وسلم) في مكة

المبحث الثاني: الحماية الالهية

لقد تكفل الله عز وجل بحماية النبي (صل الله عليه واله وسلم) من المشركين والمعادين وهذه الحماية الالهية كان يجهر بها النبي (صل الله عليه واله وسلم) وتثبته اذا تعرض الى اذى حيث يذكر ان احد رجال قريش نثر التراب على راس النبي (صل الله عليه واله وسلم) فلما نثر على رأس الرسول (صل الله عليه واله وسلم) التراب دخل رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) داره والتراب على رأسه قامت إليه ابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) فجعلت تغسل التراب عن رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) وهي تبكي (المرعشي، 1412هـ، الصفحات 291-292) (هيكل، 1428هـ، صفحة 265) ورسول الله (صل الله عليه واله وسلم) يقول لها: "لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباك" (ابن هشام ، صفحة 64) (ابن كثير، 1976م، صفحة 123) (ابن حبان، 1973، صفحة 55).

ان الحماية الالهية لنبي (صل الله عليه واله وسلم) من الاعداء والمشركين في مكة تكررت وتنوعت وتصورت في مواقف عديده ونذكر بعض هذه المواقف التي حافظ الله بها على نبيه (صل الله عليه واله وسلم) واكرمه بالحماية الالهية منها موقف ام جميل بنت حرب* عندما "أنزلت: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ (سورة الشعراء: 214) صعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، على الصفا فقال: " يا معشر قريش فقالت قريش: محمد على الصفا يهتف، فأقبلوا واجتمعوا فقالوا: ما لك يا محمد قال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقوننى قالوا: نعم أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذبا قط، قال: فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد يا بنى عبد المطلب يا بنى عبد مناف يا بنى زهرة، حتى عدد الأفخاذ من قريش، إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين وإنى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله، قال: يقول أبو لهب: تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله،

* ام جميل بنت حرب: وهي أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان زوجة ابو لهب عم النبي (صل الله عليه واله وسلم) وكانت من اشد اعداء الاسلام. ابن كثير, السيرة النبوية, ج1, ص461

تبارك وتعالى:﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۞ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۞ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۞فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدٖ۞﴾ " (ابن سعد، 2001م، الصفحات 169-170) (الطباطبائي، د.ت، صفحة 334) وان " أم جميل، حمالة الحطب، حين سمعت ما نزل فيها، وفي زوجها من القرآن، أتت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها فهر من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر: أين صاحبك فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت: مذمما عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك فقال: ما رأتني لقد أخذ الله ببصرها عني" (ابن هشام ، صفحة 6) (الكلاعي، 1420هـ، صفحة 211)

ويروى ان ام جميل قد "جاءت إلى أخيها أبي سفيان في بيته وهي مضطرمة: أي متحرقة غضبى فقالت له: ويحك يا أخمس: أي يا شجاع أما تغضب أن هجاني محمد، فقال سأكفيك إياه، ثم أخذ سيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت: هل قتلته فقال لها: يا أخية أيسرك أن رأس أخيك في فم الثعبان قالت: لا والله، قال: فقد كان ذلك يكون الساعة. أي فإنه رأى ثعبانا لو قرب منه صلى الله عليه وسلم لالتقم رأسه أن رأس أخيك في فم ثعبان قالت: لا والله، قال: فقد كاد ذلك يكون الساعة أي فإنه رأى ثعبانًا لو قرب منه صلى الله عليه وسلم لالتقم رأسه" (الحلبي، 1427هـ، صفحة 12) (الخلوتي، د.ت، صفحة 535) فهذه الموقف تتجلى به الحماية الالهية للأمين محمد (صل الله علية واله وسلم).

وكذلك موقف النبي (صل الله عليه واله وسلم) مع ابو جهل* عندما راه يصلي" قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قال فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا" (مسلم بن الحجاج، د.ت، صفحة 2154) (الموصلي، 2023، صفحة 399) وفي رواية " فحل من الإبل والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فهم بأن يأكلني" (ابن اسحاق، 1987، صفحة 200)

وان هذه التدابير الالهية في حماية النبي (صل الله عليه واله وسلم) امام ابو جهل تتجدد وتتكرر في موقف عظيم يبين مدى هذه التدبير الرباني في قصة الرجل الاراشي* الذي جاء الى مكة فاشترى منه ابو جهل بضاعة فمطلة وتأخر دفع اثمانها فاقبل الاراشي ووقف "على ناد من قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في ناحية المجلس فقال يا معشر قريش من رجل يوديني على أبي الحكم بن هشام فإني غريب ... وقد غلبني على حقي فقال أهل المجلس ترى ذلك الرجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يهزءون به لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة اذهب إليه فإنه يوديك عليه قال فأقبل الأراشي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عبد الله إن أبا الحكم بن هشام غلبني على حق لي قبله وأنا غريب ابن سبيل وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يوديني عليه ليأخذني لي حقي منه فأشاروا إليك فخذلي حقي منه يرحمك الله فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فلما رآه أهل المجلس قام معه قالوا لرجل ممن كان معهم اتبعه وانظر ماذا يصنع قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابه فقال من هذا قال محمد فاخرج إلي فخرج إليه وما في وجهه رائحة ولقد انتقع لونه قال أعط هذا الرجل حقه قال لا تبرح حتى أعطيه الذي له قال فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للأراشي الحق بشأنك فأقبل الأراشي حتى وقف بذلك المجلس فقال جزاه الله خيرا فقد والله أخذ لي الذي لي وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقص عليهم القصة ثم لم يلبثوا أن جاء أبو جهل فقالوا ويلك ما لك ما رأينا مثل ما صنعت قط قال ويحكم ما هو والله إلا أن ضرب علي بابي وسمعت صوته فملئت رعبا ثم

---

* ابو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي وكان أشد الناس محاربة وعداوة للنّبيّ (صلّ الله عليه واله وسلم) وكان من اشراف وسادات قريش ومن أبطالها في الجاهلية أدرك الإسلام و يكنى ابو الحكم فدعاه المسلمون بأبي جهل وقتل في معركة بدر مع المشركين. الزركلي, خير الدين بن محمود بن محمد, (ت١٣٩٦هـ), الأعلام, دار العلم للملايين, ط5, (د.م,٢٠٠٢م), ج5, ص87.

* الاراشي : يعود نسبة الى إراش بن الغوث بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ وإراش بطن من خثعم. السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، (ت٥٨١هـ)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، ط١، (بيروت,٢٠٠٠م)، ج٣، ص٢٣٦.

خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط والله لو أبيت لأكلني" (الاصبهاني، 1409هـ، صفحة 196_197) (السهيلي، صفحة 237) .

وتتجدد هذا المنع الالهي للنبي (صل الله عليه واله وسلم) مع ابو جهل عندما دافع النبي (صل الله عليه واله وسلم) عن الرجل الزبيدي حيث " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد ومعه أبو بكر، وعمر، وسعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنهم، إذ أقبل رجل من بني زبيد، وهو يقول: يا معشر قريش، كيف تدخل عليكم مادة أو جلب وأنتم تظلمون من دخل إليكم ... حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ظلمك قال: أبو الحكم، طلب مني ثلاثة أجمال، هي خيار إبلي، فلم أبعه ... فليس يبتاعها أحد مني اتباعا لمرضاته، فقد أكسد سلعتي وظلمني. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأين أجمالك قال: هي هذه بالحزورة* . فابتاعها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ... وأبو جهل جالس في ناحية من السوق، لا يتكلم. ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا عمرو، إياك أن تعود لمثل ما صنعت بهذا الأعرابي، فترى مني ما تكره. فجعل يقول: لا أعود، يا محمد. فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقبل عليه أمية بن خلف* ومن حضر من المشركين، فقالوا: لقد ذللت في يد محمد، حتى كأنك تريد اتباعه. فقال: لا أتبعه، والله، أبدا، إنما كأن انكسارى عنه لما رأيت من سحره: لقد رأيت عن يمينه وشماله رجالا معهم رماح يشرعونها إلي، لو خالفته لكانت إياها" (البلاذري، صفحة 130) (المقريزي، 1999، صفحة 237)

فهذين الموقفين بين النبي (صل الله عليه واله وسلم) وابو جهل يبين لنا كيف تدخلت العناية الإلهية في ارهاب ابو جهل وخاف من ما راه التدبير الالهي.

وكذلك " النضر بن الحارث* ممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعرض له فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يريد حاجته نصف النهار في حر شديد فبلغ أسفل من ثنية الحجون* وكان يبعد إذا ذهب لحاجته فرآه النضر بن الحارث فقال: لا أجده أبدا أخلى منه الساعة فأغتاله قال: فدنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف راجعا مرعوبا إلى منزله فلقيه أبو جهل فقال: من أين الآن فقال النضر: أتبعت محمدا رجاء أن أغتاله وهو وحده ليس معه أحد فإذا أساود* تضرب بأنيابها على رأسه فاتحة أفواهها فهالتني فذعرت منها وولیت راجعا" (الاصبهاني، 1409هـ، صفحة 204) (السيوطي، د.ت، صفحة 215)

وان حماية الله يمكن ان نلاحظها عندما قرر الهجرة الى يثرب واجتمع راي قريش على قتل النبي (صل الله عليه واله وسلم) وتفرقوا على ذلك اتى جبريل النبي (صل الله عليه واله وسلم) فقال : " لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه قال: فلما كان العتمة من الليل اجتمعوا على بابه فترصدوه متى ينام فيثبون عليه فلما رأى رسول الله ص مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي" فنام مكانة (الطبري، صفحة 372) (الاصبهاني، 1409هـ، صفحة 200) "وخرج رسول الله ص، فأخذ حفنة من تراب ... وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رءوسهم، وهو يتلو هذه الآيات من يس : ﴿يسٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (سورة يس : ﷺ) إلى قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا

---

* الحزورة: موضع بمكّة يلى البيت. البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، (ت٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، ط٣، (بيروت,١٤٠٣هـ)، ج٢، ص٤٤٤.

* أمية بن خلف : هو احد عظماء أهل الكفر في مكة من بني حذافة بْن جمح وَكَانَ أحد المطعمين لجيش المشركين في معركة بدر وقتل في معركة بدر نفسها كافرا. البَلَاذُري, أحمد بن يحيى بن جابر, (ت٢٧٩هـ), جمل من أنساب الأشراف تحقيق: سهيل زكار, ورياض الزركلي, دار الفكر, ط1, (بيروت,١٩٩٦ م),ج10, ص246.

* النضر بن الحارث : هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار يكنى أبا فائد وهو أشد قريش معاداة للنبي (صل الله عليه واله وسلم) بالتكذيب والأذى وكان صاحب أحاديث ونظر في كتب الفرس ومخالطة النصارى واليهود فلما سمع كلام النبي (صل الله عليه واله وسلم) وقت مبعثه يتهمه ويقول: إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين. البلاذري, انساب الاشراف, ج1, ص139.

* ثنية الحجون : موضع بمكة عند المحصب. الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، (ت٩٠٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، دار السراج، ط٢، (بيروت, ١٩٨٠م)، ص١٨٨..

* أساود: العظيم من الحيات وقد غلب حتى اختلط بالأسماء فقيل في جمعه الأساود. الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، (ت ٥٣٨هـ)، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، ط٢، (لبنان, د.ت)، ج٢، ص٢٠٨.

فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (سورة يس: 9) حتى فرغ رسول الله ص من هؤلاء الآيات، فلم يبق منهم رجل الا وقد وضع على رأسه ترابا ثم انصرف" (الطبري، صفحة 373) (الاصبهاني، د.ت، صفحة 68)

المبحث الثالث: الحماية بشرية

أ .قبل البعثة

تنقل لنا كتب السيرة النبوية عند بعض الجهود البشرية والترتيبات الشخصية لمن كان حول النبي (صل الله عليه واله وسلم) من جهود في توفير الامن له والحماية ومنها " أن اليهود مروا على حليمة فقالت: ألا تحدّثوني عن ابني هذا فإني حملته كذا ووضعته كذا ورأيت كذا كما وصفت أمّه. فقال بعضهم لبعض: اقتلوه فقالوا أيتيم هو قالت: لا هذا أبوه وأنا أمه فقالوا: لو كان يتيماً قتلناه" (الشامي، 1993، صفحة 378) (الحلبي، 1427هـ، الصفحات 139-140) ويبرز الدور الكبير من قبل حليمة في تدارك الامر في الحفاظ على النبي (صل الله عليه واله وسلم) من خطر اليهود ويتجدد التهديد الامني لحياة النبي (صل الله عليه واله وسلم) في سوق عكاظ حيث نزلت مع النبي (صل الله عليه واله وسلم) في " سوق عكاظ فرآه كاهن من الكهان، فقال: يا أهل عكاظ، اقتلوا هذا الغلام، فإن له ملكا فراعت* به أمه ... فنجاه الله" (الصنعاني، 2013م، صفحة 7) (البيهقي، 1988م، صفحة 88).

ان الجهد البشري في الحفاظ على محمد (صل الله عليه واله وسلم) قد وصل الى مدى واسع حيث نجد ان سيف بن ذي يزن* قد اوصى عبد المطلب في التكثيف من جهده وحماية لمحمد صل الله علية وال وسلم وخاصه من اليهود حيث قال له "فاحفظ ابنك واحذر عليه من اليهود فأنهم له عدى ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا" (ابن هشام ، صفحة 320) (الازرقي، صفحة 149)

ان عبد المطلب كان يوصي بان يكون محمد (صل الله عليه وال وسلم) في كفالة ابو طالب لأنه عبدالله ابو النبي (صل الله عليه وال وسلم) كان اخو ابو طالب من الاب ولام (ابن اسحاق، 1987، صفحة 66) وان ابو طالب كان مشتركا مع عبد المطلب في كفالته (صل الله عليه واله وسلم) في حياة عبد المطلب (الحلبي، 1427هـ، صفحة 168).

كذلك يتضح موقف عمه في الحماية عندما خرج النبي (صل الله عليه واله وسلم) معه إلى الشام* " أبا طالب خرج في ركب إلى الشام تاجراً، فلما تهيأ للرحيل، وأجمع السير صب* له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بزمام ناقته وقال: يا عم إلى من تكلني لا أب لي ولا أم فرق له أبو طالب وقال: والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً ... فخرج به معه، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام، وبها راهب يقال له بحيرا* في صومعة له، وكان أعلم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة ... فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيرا مما يمرون به قبل ذلك لا يكلمهم ولا يعرض لهم، حتى إذا كان ذلك العام نزلوا به قريباً من صومعته، فصنع لهم طعاماً كثيراً وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته في الركب، حين أقبلوا وغماما تظله من بين القوم، ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبا منه، فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة، وتهصرت* أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم فقال: إني قد صنعت لكم طعاما يا

---

* راعت: أفزعت. حلو, محمد يحيى, البردة شرحا وإعرابا وبلاغة لطلاب المعاهد والجامعات, مراجعة: محمد علي حميد الله, دار البيروتي, ط3, (دمشق,١٤٢٦هـ), ص160.

* سيف بن ذي يزن: وهو احد ملوك اليمن تولى حكم اليمن بعد الانتصار على الحبشة وقد وفد اليه عبدالمطلب بن هاشم يهنئونه بالانتصار وادرك حكمه ولادة النبي (صل الله عليه واله وسلم)، الحميري، نشوان بن سعيد، (ت ٥٧٣هـ)، السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة (شرح لقصيدة نشوان الحميري: ملوك حمير وأقيال اليمن)، تحقيق: علي بن إسماعيل المؤيد، وإسماعيل بن أحمد الجرافي، دار العودة، ط٢، (بيروت,١٩٧٨م)، ص١٤٩_١٥٤.

* الشام: وهي تسمية عرفت تاريخيا لبلاد الشام وهي الان تشمل سورية والأردن ولبنان وفلسطين. البلادي, عاتق بن غيث بن زوير, (ت١٤٣١هـ) معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ, دارمكة، ط1, (مكة المكرمة, ١٩٨٢م), ص167.

* صب : الصبابة رقة الشوق، السهيلي، الروض الانف، ج٢، ص١٤١.

* بحيرا: هو راهب نصراني من اهل الشام وكان عالما من علماء النصرانية . النويري, أحمد بن عبد الوهاب بن محمد, (ت ٧٣٣هـ), نهاية الأرب في فنون الأدب, دار الكتب والوثائق القومية، ط1, (القاهرة,١٤٢٣ هـ), ج16, ص90.

* الهصر: الجذب والإمالة والكسر والدفع والإدناء وعطف شيء رطب كالغصن ونحوه. الفيروزآبادى، القاموس المحيط، ص٤٩٨.

معشر قريش، وأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم، وحركم وعبدكم، فقال له رجل منهم: يا بحيرا إن لك اليوم لشأناً ما كنت تصنع هذا فيما مضى، وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم فقال له بحيرا: صدقت قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما تأكلون منه كلكم صغيركم وكبيركم، فاجتمعوا إليه، وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده، قال: يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي هذا، قالوا له: يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام هو أحدث القوم سنا، تخلف في رحالهم، قال: فلا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، فقال رجل مع القوم من قريش: واللات والعزى إن هذا للؤم بنا، يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن الطعام من بيننا ثم قام إليه فاحتضنه، ثم أقبل به حتى أجلسه مع القوم، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده في صفته، حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا قام بحيرا فقال له: يا غلام أسألك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: لا تسلني باللات والعزى شيئاً، فو الله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما، فقال له بحيرا: فبالله إلا أخبرتني عما أسلك عنه، قال: سلني عما بدا لك، فجعل يسأله ... فلما فرغ منه أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك قال: ابني قال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه قال: مات وأمه حبلى به، قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود ... فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن فأسرع به إلى بلاده، فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام" (ابن اسحاق، 1987، الصفحات 73-75) (العسكري، 1380هـ ، الصفحات 75-76).

وفي رواية اخرى " فبينما هو قائم عليهم، وهو يناشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه، فالتفت فإذا هو بسبعة نفر قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم قالوا: جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليها ناس، وإنا اخترنا خيرة، بعثنا إلى طريقك هذا، قال لهم: هل خلفتم خلفكم أحدا هو خير منكم قالوا: لا، إنما اخترنا خيرة لطريقك هذا، قال: أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه، هل يستطيع أحد من الناس رده! قالوا: لا، فتابعوه وأقاموا معه، قال: فأتاهم، فقال: أنشدكم الله، أيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب، فلم يزل يناشده حتى رده" (الطبري، الصفحات 278-279) (ابن الخراط، 2001م، صفحة 278) فهذه المجهودات البشرية ساعدت في الحماية والامن الشخصي للنبي (صل الله عليه واله وسلم) قبل البعثة النبوية.

ثانيا : بعد البعثة

بدأ المجهود الامني عند المسلمين لحماية النبي (صل الله عليه واله وسلم) منذ وقت مبكر من تاريخ الدعوة الاسلامية وان هذه الدور الامني كان يتولاه اصحاب النبي (صل الله عليه واله وسلم) فكانوا يحرسونه فقد كان رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) " يخرج إلى الكعبة أول النهار ويصلي صلاة الضحى. وكانت تلك صلاة لا تنكرها قريش. وكان إذا صلى في سائر اليوم، بعد ذلك، قعد علي أو زيد* يرصد له وأن أبا طالب فقد عليا، فقالت له فاطمة بنت أسد*

أمه: قد رأيته يلزم محمدا، وأنا أخاف أن يأتيك من قبل محمد في أمر ابنك ما لا تطيقه فقال: ما كان ابنى ليغتاب علي بأمر. واتبع أبو طالب أثر النبي صلى الله عليه وسلم وأثر علي، فوجدهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العصر في شعب أبي دب* أو غيره " (البلاذري، صفحة 113) (المقريزي، 1999، صفحة 380)

وعندما تعرضت الدعوة النبوية للتكذيب والمحاربة من قبل زعماء قريش الا انها لم تصل في بادي امرها الى تهديد شخصي للنبي (صل الله عليه واله وسلم) حتى اخذه ينشر مبادئها ويتعرفوا على شريعتها وعندما وجدوها تخالف الهتهم وتعيب ديانتهم اخذوا يعادونها

---

* زيد: هو زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن يزيد بن امرئ القيس الكلبي مولى رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) فقد اعتقه وتبناه وقد اسلم وشهد بدرا واستشهد يوم مؤتة في سنة الثامنه للهجرة. الطبراني, سليمان بن أحمد بن أيوب, (ت٣٦٠هـ), المعجم الكبير, تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي, مكتبة ابن تيمية, ط2, (القاهرة, د.ت), ج5, ص83.

* فاطمه بنت اسد: وهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف زوجة أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عم النبي (صل الله عليه واله وسلم) وأمها فاطمة بنت هرم. ابن سعد, الطبقات, ج8, ص40_41.

* شعب أبي دب: وهو شعب من شعاب الحجون بمكّة، البكري، معجم ما ستعجم، ج٢، ص٥٤٠.

ويتعرضون لصاحبها يقول الطبري (الطبري، صفحة 322) (المارودي، 1409هـ ، صفحة 241): " فصدع رسول الله ص بأمر الله، وبادى قومه بالإسلام، فلما فعل ذلك لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه بعض الرد فيما بلغني حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك ناكروه وأجمعوا على خلافه وعداوته إلا من عصم الله منهم بالإسلام".

ان موقف بني عبد المطلب لم يظهر منهم موقفا رافضا للدعوة الا من قبل ابو لهب ويتضح هذه الموقف عندما جمعهم في داره حيث جمع " بني عبد المطلب... فاجتمعوا له وهم يومئذ أربعون رجلاً أو ينقصون فيهم أعمامه: أبو طالب وحمزة والعباس، وأبو لهب الكافر الخبيث ... ثم قال: كلوا باسم الله، فأكل القوم حتى نهلوا عنه، فما رؤي إلا آثار أصابعهم، والله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اسقهم يا علي ... فشربوا حتى نهلوا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لهد* ما سحركم صاحبكم فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب، فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ما قد سمعت قبل أن أكلم القوم، ففعلت، ثم جمعهم له، فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالأمس ... ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بني عبد المطلب، والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة " (ابن اسحاق، 1987، صفحة 146) (الصدر، 1994م، صفحة 105) فيتضح ان بني عبد المطلب لم يكن لهم موقف رافض او معادي للدعوة الا ما كان من ابي لهب

فعندما بدا امن النبي (صل الله عليه واله وسلم) يهدد حس عمه ابو طالب بالخطر على ابن اخيه فكان يرسل معه كل يوم مجموعه من رجال قريش لحمايته ويقيمون بحراسته (الطبراني، صفحة 256) (ابن عدي، 1997م، صفحة 261) وكان فتيان بني هاشم مستعدين و مستميتين في تنفيذ اوامر ابوطالب في الدفاع عن الرسول (صل الله علية واله وسلم) مهما كانت حتى لو كان ضحيتها قتل كل زعماء قريش.

حيث يروى ان في احد الليالي فقد النبي (صل الله عليه واله وسلم) " وجاء أبو طالب وعمومته إلى منزله فلم يجدوه، فجمع فتيانًا من بنى هاشم وبنى المطّلب ثمّ قال: ليأخذْ كلّ واحدٍ منكم حديدة صارمة ثمّ ليتبعني إذا دخلتُ المسجد، فلينظر كلّ فتًى منكم فليجلس إلى عظيم من عظمائهم فيهم ابن الحَنْظَلِيّة، يعنى أبا جَهل، فإنّه لم يغب عن شرّ إن كان محمّد قد قُتل، فقال الفتيان: نفعل، فجاء زيد بن حارثة فوجدَ أبا طالب على تلك الحال، فقال: يا زيد أحسست ابن أخى قال: نعم كنتُ معه آنفًا، فقال أبو طالب: لا أدخل بيتى أبدًا حتى أراهُ، فخرَج زَيدٌ سريعًا حتى أتى رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، وهو فى بيت عند الصَّفَا ومعه أصحابه يتحدّثون، فَأَخْبَرَهُ الخبر، فجاء رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، إلى أبى طالب، فقال: يابن أخى أين كنت أكنتَ فى خيرٍ قال: نَعَمْ، قال: ادخل بيتك، فدخل رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، فلمّا أصبح أبو طالب غَدا على النبىّ، صلى اللّه عليه وسلم، فأخذ بيده فوقف به على أندية قريش، ومعه الفتيان الهاشميون والمطّلبيون، فقال: يا معشر قريش هل تدرون ما هَممتُ به قالوا: لا، فأخبرهم الخبر، وقال للفتيان: اكشفوا عمّا فى أيديكم، فَكَشَفُوا، فإذا كلّ رجل منهم معه حديدة صارمة، فقال: واللّه لو قتلتموه ما بَقَّيْتُ منكم أحدًا حتى نتفانى نحن وأنتم، فانكسر القوم وكان أشدّهم انكسارًا أبو جهل " (ابن سعد، 2001م، صفحة 172) (الذهبي، 1985م، صفحة 125)

ويبدوا ان عمه ابو طالب لم يكتفي بتامين الحماية الشخصية للنبي (صل الله عليه واله وسلم) بل انه انتقل الى البحث عن اساليب امنية اخرى فقد خاف ابو طالب على ابن اخية من الغدر ومكر المشركين فاستخدم اسلوب تضليل مكان النبي (صل الله عليه واله وسلم) فقد " كان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد مكرا به واغتياله، فإذا نوم الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بني عمه فاضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه" (البيهقي، 1988م، صفحة 312) (ابن الاثير، 1898م، صفحة 593) وقيل ان ابا طالب كان يأخذ بيد علي (عليه السلام) ويأتيه إلى فراش رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) ويأمره بالمبيت على الفراش (ابن ابي حديد، 1967، صفحة 64) (الشرواني، 1414هـ، صفحة 61) (الحائري، 1385هـ، صفحة 465) (الاصبهاني، 1409هـ) (الحائري، صفحة 237)

ان هذه الترتيب الامني الذي قام به ابو طالب من تغير مكان نوم النبي (صل الله علية واله وسلم)لا شك انه حس امني عالي

* لهد : تعني الصدم الشديد في الصدر فأورثه داء أفسد عليه رئته. الفراهيدي، العين، ج٤، ص٢٥.

لتلك الفترة التي يعيشونها وكانت بمثابة المرة الاولى لنوم الامام علي (عليه السلام) في فراشة وتكرر نوم الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) مرة ثانية في فراشه ليلية الهجرة (الطوسي، 1414هـ)

وكانت حماية النبي (صل الله عليه واله وسلم) مستمرة من قبل إصحابه وخاصة في اثناء الصلاة كما فعل علي بن ابي طالب وزيد بن حارثة (البلاذري، صفحة 113) (المقريزي، 1999، صفحة 380) كان النبي (صل الله عليه واله وسلم) في الكثير من الاحيان يجلس قرب الكعبة مع أصحابه (الحلبي، 1427هـ، صفحة 445) وهذه الامر كان يوفر له ايضا منعه بشريه. ومن صور الدفاع عن النبي (صل الله عليه واله وسلم) ما حدث مع ابو لهب الذي كان " أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ... وكان يطرح القذر والنتن على باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فرآه حمزة بن عبد المطلب وقد طرح من ذلك شيئا فأخذه وطرحه على رأسه، فجعل أبو لهب ينفض رأسه ويقول: صابئ أحمق " (البيهقي، 1988م، صفحة 319) (الشامي، 1993، صفحة 462)

ويذكر ان" رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى في الحجر قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رأسه بالسيف" (ابن شبة، 1399هـ، صفحة 300) وايضا روي ان الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) كان يقوم على راس النبي بالسيف حتى يأمره بالقعود (المفيد، د.ت، صفحة 159) (البحراني، 1413هـ، صفحة 97)

وقد اشارت العديد من الروايات التي تبين ان لعم النبي (صل الله عليه واله وسلم) ابو لهب دور في حماية النبي (صل عليه واله وسلم) حيث روي (ابن اسحاق، 1987، صفحة 277): ان أبو طالب دعا " عليا (عليه السلام) فقال له: يا بني اذهب إلى عمك أبي لهب فاستفتح عليه فإن فتح لك فأدخل وإن لم يفتح لك فتحامل على الباب واكسره وادخل عليه فإذا دخلت عليه فقل له: يقول لك أبي: إن امرءا عمه عينه في القوم فليس بذليل، قال فذهب أمير المؤمنين (عليه السلام) فوجد الباب مغلقا فاستفتح فلم يفتح له فتحامل على الباب وكسره ودخل فلما رآه أبو لهب قال له: ما لك يا ابن أخي فقال له: إن أبي يقول لك: إن امرءا عمه عينه في القوم ليس بذليل فقال له: صدق أبوك فما ذاك يا ابن أخي فقال له: يقتل ابن أخيك وأنت تأكل وتشرب فوثب وأخذ سيفه فتعلقت به أم جميل فرفع يده ولطم وجهها لطمة ففقئ عينها، فماتت وهي عوراء وخرج أبو لهب ومعه السيف فلما رأته قريش عرفت الغضب في وجهه، فقالت: ما لك يا أبا لهب فقال: أبايعكم على ابن أخي ثم تريدون قتله واللات والعزى لقد هممت أن أسلم، ثم تنظرون ما أصنع فاعتذروا إليه ورجع " فهذه الرواية تبين ان ابو لهب قام بدور الحماية للنبي (صل الله عليه واله وسلم) في حياة ابو طالب وبطلب منه.

وفي روايات اخرى تبين ان ابو لهب قام بدور الحماية بعد وفاة عمه ابوطالب الذي كان كما وصفه ابن هشام (ابن هشام ، صفحة 46) (السهيلي، صفحة 16) : " كان به عضدا وحرزا في أمره، ومنعة وناصرا على قومه" فلما هلك عمه ابو طالب نالت قريش من النبي (صل الله عليه واله وسلم) من الاعتداء والاذى مالم تكن تجرأ على فعله في حياة عمه ابو طالب (ابن هشام ، صفحة 46) (السهيلي، صفحة 16) وقد روي ان ابو لهب هو الذي تولى حماية بعد وفاة عمه حيث ذكر ابن سعد (ابن سعد، 2001م، صفحة 179) (ابن الجوزي، صفحة 11) قائلا: " لما توفى أبو طالب وخديجة بنت خُوَيلد ... اجتمعت على رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم، مُصيبتان فَلَزم بيته وأقلّ الخروج ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تَطمع به، فبلغَ ذلك أبا لَهب فجاءه فقال: يا محمّد امضِ لما أردتَ وما كنتَ صانعًا إذ كان أبو طالب حيًّا فاصنعه، لا واللّات لا يوصل إليك حتى أموت وسَبّ ابنُ الغيطلة النبىّ، صلى اللَّه عليه وسلم، فأقبل عليه أبو لهب فنالَ منه، فولّى وهو يصيح: يا معشر قريش صَبأ أبو عُتبة فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبى لهب، فقال: ما فارقتُ دينَ عبد المطّلب ولكنى أمنع ابن أخى أن يُضام حتى يمضى لما يريد، قالوا: قد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم: فمكث رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم، كذلك أيّامًا يذهب ويأتى لا يعترض له أحدٌ من قريش، وهابوا أبا لهب".

وان هذه الروايات التي ذكرت بقيام ابو لهب بدور الحماية للنبي (صل الله عليه واله وسلم) لا تصح الاستدلال بها وانها بصورة واضحه تعارض القران الكريم الذي ذكر مصير ابو لهب وزوجته ام جميل وعداوتهما للنبي (صل الله عليه واله وسلم) حيث قال تعالى : ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴾ (سورة المسند: 1-5).

وان عداوة ابو لهب للنبي (صل الله عليه واله وسلم) بدأت منذ بداية الدعوة كما ذكرنا سابقا ومواقفه المناهضة للدعوة كثيرة وتعارض الروايات السابقة منها ما ذكر ان رسول الله (صل الله عليه واله سلم) كان في سوق ذي المجاز وهو يقول: "يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا ورجل يتبعه يرميه بالحجارة قد أدمى كعبيه وعرقوبيه، وهو يقول: يا أيها الناس لا تطيعوه فإنه كذاب، فقلت:

من هذا قالوا: غلام بني عبد المطلب، فقلت: من هذا الذي يتبعه يرميه بالحجارة قالوا: هذا عبد العزى أبو لهب " (ابن خزيمة، د.ت، صفحة 82) (ابن حبان، 1973، صفحة 984).

الاستنتاج

1_ القول بان الامن يفهم منه هو الوصول الى درجة عالية من الاطمئنان النفسي والروحي والجسدي.

2_ ان السيرة النبوية دللت بان الحياة النبوية حفت بجهود امنية عالية سواء كان ذلك قبل البعثة النبوية او بعدها.

3_قد ساهمت المجهودات بكل انواعها وجوانبها من الحفاظ على سلامة النبي (صل الله عليه واله وسلم) بالرغم من المخاطر البشرية التي كانت تسعى اللى قتله.

4_ كان للأعراف القبلية والتقاليد العرفية الاثر الواضح في الحفاظ على امن النبي (صل الله عليه واله وسلم) من قبل عشيرته اقرباءه.

5_امتلك المسلمين حس امني كبير ساعده بشكل مباشر في حماية النبي (صل الله عليه واله وسلم) في مواقف عديده.

المصادر والمراجع:

ابن ابي حديد. (1967). *شرح نهج البلاغة*. د.م: دار احياء الكتب العربية.

ابن اسحاق. (1987). *السير لابي اسحاق الفزاري*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن الاثير. (1898م). *اسد الغابة في معرفة الصحابة*. بيروت: دار الفكر.

ابن الجوزي. (بلا تاريخ). *المنتظم*.

ابن الخراط. (2001م). *الاحكام الشرعية الكبرى* . السعودية: مكتبة الرشد.

ابن حبان. (1973). *الثقات* (المجلد ط1). حيدر آباد: دار المعارف العثمانية.

ابن خزيمة. (د.ت). *صحيح ابن خزيمة*. بيروت: المكتب الاسلامي.

ابن سعد. (2001م). *الطبقات الكبير* (المجلد ط1). القاهرة.

ابن شبة. (1399ه). *تاريخ المدينة لابن شبة*. د.م.

ابن عدي. (1997م). *الكمال في ضعفاء الرجال*. بيروت: المكتبة العلمية.

ابن كثير. (1976م). *السيرة النبوية* (المجلد ج2). بيروت: دار المعرفة.

ابن منظور. (1414ه). *لسان العرب* (المجلد ط3). بيروت: دار صادر.

ابن هشام . (بلا تاريخ). *السيرة النبوية*.

اساس البلاغة (المجلد ط1). (1998). بيروت: دار الكتب العلمية.

الازرقي. (بلا تاريخ). *اخبار مكة*.

الاصبهاني. (1409ه). *دلائل النبوة*. الرياض.

الاصبهاني. (د.ت). *سير السلف الصالحين*. الرياض: دار الراية.

البحراني. (1413ه). *مدينة معاجز*. د.م: مؤسسة المعارف الاسلامية.

البلاذري. (بلا تاريخ). *انساب الاشراف*.

البيهقي. (1988م). *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*. د.م: دار الكتب العلمية.

الجوهري. (1987). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية* (المجلد ط4). بيروت: دار العلم للملايين.

الحائري. (1385ه). النجف: المطبعة الحيدرية.

الحائري. (بلا تاريخ). *شجرة الطوبى*.

الحلبي. (1427ه). *السيرة الحلبية انسان العيون في سيرة الامين المأمون*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الخلوتي. (د.ت). *روح البيان*. بيروت: دار الفكر.

الذهبي. (1985م). *سير اعلام النبلاء*. د.م: مؤسسة الرسالة.

الرازي. (1979). معجم *مقاييس اللغة* (المجلد ج1). د.م: دار الفكر.

السهيلي. (بلا تاريخ). *الرياض الانف*.

السيوطي. (د.ت). *الخصائص الكبرى*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الشامي. (1993). *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الشرواني. (1414هـ). *ماروته العامة من مناقب اهل البيت (ع)*. د.م: مطبعة المنشورات الاسلامية .

الصدر. (1994م). *فدك في التاريخ*. د.م: مركز الغدير للدراسات الاسلامية.

الصنعاني. (2013م). *المصنف*. د.م: دار التأصيل.

الطباطبائي. (د.ت). *الميزان في تفسير القران* (المجلد ج15). قم.

الطبراني. (بلا تاريخ). *المعجم الكبير*.

الطبري. (بلا تاريخ). *تاريخ الرسل والملوك*.

الطوسي. (1414هـ). *الامالي*. قم: دار الثقافة.

العسكري. (1380هـ). *ابو طالب حامي الرسول وناصره*. النجف: مطبعة الاداب.

الفراهيدي. (د.ت). *العين*. د.م: دار ومكتبة الهلال.

الفهر. (بلا تاريخ). *الحجر ملء الكف، الجوهري ، تاج اللغة*. (ج2، المحرر)

الكلاعي. (1420هـ). *الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (ص)*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الكيالي. (1990م). *موسوعة السياسية* (المجلد ط3). بيروت: المؤسسة العربية.

الماوردي. (1409هـ). *أعلام النبوة*. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

المرعشي. (1412هـ). *ملحقات احقاق الحث*. قم: مطبعة الخيام.

المفيد. (د.ت). *الاختصاص*. قم.

المقريزي. (1999). *امتاع الاسماع بما للنبي من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الموصلي. (2023). *مسند أبي يعلى الموصلي* (المجلد ج8). القاهرة.

دحلان. (د.ت). *السمات الشخصية لرجال الامن لدى السلطة الوطنية الفلسطينية وعلاقتها ببعض المتغيرات*. غزة: رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الاسلامية.

سورة ابراهيم : 35. (بلا تاريخ).

سورة البقرة : 126. (بلا تاريخ).

سورة الشعراء: 214. (بلا تاريخ).

سورة المسند: 1-5. (بلا تاريخ).

سورة يس : 1-4. (بلا تاريخ).

سورة يس: 9. (بلا تاريخ).

مسلم بن الحجاج. (د.ت). *صحيح مسلم*. القاهرة: دار احياء الكتب العربية.

مضوي. (2017م). *التربية الامنية وتطبيقاتها في السيرة النبوية*. مجلة علوم التربوية/ جامعة الجزيرة.

نميري. (1996م). *الامن والمخابرات نظرة اسلامية*. د.م.

هيكل. (1428هـ). *حياة محمد*. د.م: المجمع العلمي لاهل البيت.

الحياة الاجتماعية في الإمارة الشيرازية

نور حسن فارس أ.د. كريم عاتي الخزاعي

Nh6046804@gmail.com

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم التاريخ

الملخص

تناولت الدراسة الحياة الاجتماعية في مناطق الإمارة الشيرازية وكيفية نشأة الحياة الاجتماعية في الإمارة الشيرازية والتي تمثلت في امتداد نفوذ السلطنة وفئات المجتمع في الإمارة الشيرازية والتي تمثلت بمجموعة الوطنيين والمستوطنون العرب والهنود وطبقة المولدون والاعراس والمناسبات التي تمثلت في مراسيم الزواج التي كانت تختلف من بلد الى آخر.

وقد خلصت الدراسة الى أن الحياة الاجتماعية في الإمارة الشيرازية في أن الاسلام نجح كدين ، ومنهج للحياة في تزويد مجتمع الإمارة من الاخاء والتجانس الاجتماعي، فأصبحت الرابطة الدينية هي التي ربطت بين أفراد المجتمع الشرقي.

الكلمات المفتاحية: مراكب الشيرازين – كلوة – هجرات – استراتيجية

Social life in the Shirazi emirate

Nour Hassan Fares Mr. Dr. Karim Ati Al-Khuzaie

Al-Mustansiriya University , College of Education , Department of History

Abstract

The study dealt with social life in the regions of the Shirazi Emirate and how social life emerged in the Shirazi Emirate, which was represented by the extension of the Sultanate's influence and the groups of society in the Shirazi Emirate, which were represented by the group of patriots, Arab and Indian settlers, the born class, and weddings and events represented by marriage ceremonies that differed from one country to another.

The study concluded that social life in the Shirazi Emirate is that Islam succeeded as a religion and a way of life in providing the Emirate's society with brotherhood and social harmony, so the religious bond became what linked the members of Eastern society.

المقدمة

تصنفت الدراسات الاجتماعية على أنها من الدراسات المهمة وعلى وجه الخصوص في التخصصات الانسانية التي تخضع لمنهج البحث التاريخي والتي يمكن عدها عماد الكثير من الدراسات السياسية والادارية والاقتصادية والفكرية والعمرانية فضلاً عن الدراسات التاريخية الاخرى كونها تعتمد بالأساس على طبيعة تلك المجتمعات لذلك وجدنا الاختلاف في الكثير من العادات والتقاليد ومظاهر السكان ، فالاجناس البشرية والتركيبية السكانية مختلفة من بلد الى آخر مع العلم أن التركيبة السكانية وفئات المجتمع تعتمد في ذلك على طبيعة المجتمع وتعدد اجناسه فضلاً عن المعتقدات الدينية .

لقد انصبت اهتمام الدراسة في الحياة الاجتماعية لسكان الأمارة الشيرازية في سواحل شرق إفريقيا عن أهم الموضوعات التاريخية لبلدان ساحل شرق إفريقيا حيث شملت فئات المجتمع في الامارة الشيرازية واعطته أهمية كبيرة في رسم ملامح الشعب الامارة والتطرق الى المعتقدات والعادات والتقاليد في المأكل والملبس والمظاهر الاجتماعية الاخرى من الافراح والاحزان ومراسيم الزواج والاطعمة والأشربة ودور المرأة في هذه الامارة الشيرازية ومالها من أهمية كبيرة فقي الساحل الافريقي الشرقي وهذا بدأ واضحاً في مظاهر الحياة الاجتماعية ولاحظنا في حياتنا اليومية بقيت الكثير من هذه العادات والترسبات التي كانوا يمارسونها في حياتهم قبل الاسلام وانتقلت الى بعد اسلامهم لذلك كان التطرق الى الحياة الاجتماعية في اطارها العام في ساحل شرق أفريقيا.

الحياة الاجتماعية في الأمارة الشيرازية

أولاً: امتداد نفوذ السلطنة

ينتسب الشيرازيون الى (شيراز) (Shiraz) (الاصطخري، 1927، صفحة 92) مدينة تقع في بلاد فارس ، أقامها المسلمون الأوائل بعد الفتوحات . وتعد (شيراز) مدينة بأرض فارس وهي مدينها العظمى ودار مملكة فارس ، وينزلها الولاة والعمال وبها الديوان والمجنى وهي مدينة أسلامية بناها محمد بن القاسم بن ابي عقيل ابن عم الحجاج (الحميري، 1984، صفحة 351).

وتعد (شيراز) من أهم المدن الفارسية ،ويجعلها البعض بمثابة المدينة الكبرى في هذه البلاد (وفيقة، 2020، صفحة 314).

ويفسر بعض الباحثين الى الشيرازيين هم في الغالب من الفلاحيين سواء كانوا بحريين او زراعيين وأصبحوا أسياد الأرض في العديد من المناطق لذا كانوا يميزون انفسهم على انهم مميزون عن كل العرب المهاجرين والافارقة (الاصطخري، 1927، صفحة 262). وتتركز أكثر نسبه من الشيرازيين في كل من بيمبا وشمال زنجبار (مجهول، 1405هـ/1985م، صفحة 59).وابتدأ السلطان علي بن الحسين في توسيع ملكة ، فأستولى على جزيرة لامو (عبدالرحمن، 1389هـ/1970م، صفحة 259).

وكان الشيرازيون يتبعون في حكمهم كل النظم التي كفلت للمواطنين الحياة الكريمة ، حتى أن المذهب الشافعي ابقوا عليه ، وضل هو المذهب السائد على طول ساحل شرقي أفريقيا ،ر غم السلاطين والأمراء كانوا من الشيعة (الدمشقي، 1408هـ/ 1988م، صفحة 218) وهذا يشير الى مرونتهم وبعد نظرهم في سياسة شعوبهم .

حيث تحرك السلطان علي بن الحسن وأبناؤه نحو مالندي وشيدها ، ولقد ذكر الحميري محاسنها بقوله : " أنها مدينة كبيرة وحرفة أهلها الصيد براً وبحراً وعندهم معدن الحديد يحترقونه ويعملونه وهو جل مكسبهم وتجارتهم بالاضافة الى كونها مدينة ساحلية هامة (الحميري، 1984، صفحة 544).

وبعد أن أخذ السلطان علي بن الحسين قسطاً من الراحة أستأنف سيرة نحو ممبسة واتخذها قاعدة ومركزاً للاشراف على الامارات التي استولى عليها نظراً لتوسط موقعها بين كلوة وسلطنة مقديشو المنافس التقليدي لسلطنة كلوة ، مما يجعلها الباب الأمامي الذي يدخل منه المغيرون من الشمال لمهاجمتها ولقد أكد الحميري على أهمية هذه الجزيرة بقوله : " وفي هذه المدينة سكنى ملك الزنج" (المصدر نفسه، صفحة 522).

ومن ممبسة أرسل السلطان على اساطيله لاحتلال جزر كومورو (القمر) في مضيف موزمبيق ،وتمكن من تكوين مستعمرات هامة في تلك الجهات تابعة لسلطنته (سر الختم، 1416هـ/ 1995م، صفحة 65)، ولقد أثنى الدمشقي على هذه الجزر قائلاً : " وبها معادن الذهب والياقوت" (الدمشقي ش.، 1408هـ/ 1988م، صفحة 216).

كما أرسل ابنه داود الى جزيرة زنجبار حيث نجح في وسط نفوذ الشيرازيين عليها عام (576م) فأصبحت زنجبار منذ ذلك التاريخ إمارة تابعة لكلوة (المصدر نفسه، صفحة 427).

وتعتبر هذه الجزيرة من أحسن المرافئ في أفريقيا فمنها يسهل الاتصال بموانئ شرقي أفريقيا وجنوبها وكذلك مصر والصين (سر الختم، 1416هـ/ 1995م، صفحة 65).

ولقد أكد ياقوت الحموي على أهمية هذه الجزيرة بقوله " هي جزيرة عظيمة بأرض الزنج واليها تقصد المراكب من جميع النواحي" (دائرة المعارف الاسلامية، د.ت، صفحة 23).

كما خضعت جزيرة بمبا في القرن التاسع الهجري لسلطان كلوة وهي جزيرة ذات أهمية كبيرة تقع الى الشمال من زنجبار وتبعد عنها أثنين وثلاثين ميلاً وعرضها أربعة عشر ميلا ويضعها البرتغاليون بأنها مأهولة بالمسلمين وتكثر بها غدران المياه والمزروعات بها وفيرة جداً حيث يوجد بها الأرز والذخن والبرتغال ومعظم أنواع الفواكة (نوال حمزة، 1407هـ/ 1987م، صفحة 27).

كانت سفالة هي آخر الامارات التي خضعت لسيطرة الشيرازيين وذلك لعامل البعد الجغرافي لأن سفالة هي أخر مدينة في الجنوب ولايمكن الوصول إليها قبل المرور والعبور بالبلدان الأخرى ،ولذا يقول المسعودي بلاد سفالة هي اقاصى بلاد الزنج (دائرة المعارف الاسلامية، د.ت، صفحة 127) . ويقول القلقشندي مبيناً أهميتها وقاعدتها سفالة (القلقشندي، 1407هـ/ 1978م، صفحة 321). ولقد أكد ابن خلدون على أهمية هذه الامارة بأن جعلها تساوي وتوازي بلاد الزنج جميعاً حيث قال عنها " بلاد الزنج وبلاد سفالة" (ابن خلدون، 1407هـ/ 1987م، صفحة 358) نظراً لما فيها من معدن الذهب الذي كان مطلب الجميع وقتذاك وفي كل الأوقات.

وبذلك امتدت سلطنة كلوة الاسلامية من مقديشو شمالاً وسفالة جنوباً علاوة على الجزر المواجهة لهذه المنطقة من الساحل الأفريقي (رجب، د.ت، صفحة 31)، حتى اطلق عليها بعض المؤرخين الأوروبيين لفظ الامبراطورية (دونالدل، د.ت، صفحة 106).

2-فئات المجتمع في الأمارة الشيرازية.

أن الامارة السلامية في ساحل شرقي أفريقيا ، كانت تضم مجموعة من سكان يمكن تقسيمها الى ثلاث مجموعات وهي كمايلي:

1-الوطنيون: ويمثلون في قبائل الجالا التي وفدت الى هذه المنطقة في القرون الأولى للميلاد وهي عناصر من أصل حامي وعناصر خاصة أخرى. (حسن ابراهيم، 1964، الصفحات 183-184)

2-المجموعة الثانية: المستوطنون العرب والهنود.

3-المجموعة الثالثة: وهي طبقة المولدين وهم العنصر السواحيلي الذين وجدوا نتيجة اخلاط العرب والفرس بالوطنيين الأفارقة وخاصة عندما قل عدد النساء العربيات في شرقي أفريقيا مما أدى الى ظهور العنصر السواحيلي ويقسم السواحيليون أنفسهم الى قسمين :

أ. الانتساب الى زيد بن علي ويفخرون بأصلهم العربي. (المصدر نفسه، صفحة 283)

ب. السواحيليون الجنوبيون : ويدعى هؤلاء الانتماء الى أسرة الحسن الشيرازي ،ويفخرون بماضي دولة الزنج المجيدة في كلوة. (مجهول، 1405هـ/1985م، الصفحات 27-28)

اما عن اللغة فنظراً لاختلاط سكان شرقي افريقيا الأصلية بالعرب وغيرهم نشأت في مناطق هذا الساحل لغة غرفت اللغة السواحيلية (المسعودي، د.ت، صفحة 19) . وهي عبارة عن مركب لغوي من أصل بافتوى مطعم بألفاظ عربية ، دون بها الأدب الشعبي حوالي القرن السادس عشر الميلادي ،ولتلك اللغة ثلاث لهجات ، لهجة ممبسة ، لهجة زنجبار ،ولهجة الغرب (حسن ابراهيم، 1964، الصفحات 239-243).

ويثنى المسعودي على الزنوج في مجال اللغة بقوله : الزنج أولو فصاحة وفيهم خطباء بلغتهم يقف الرجل الزاهد منهم فيخطب على الخلق الكثير فيهم ويرغبهم في القرب من بارئهم ويبعثهم على اطاعته ويرهبهم من عقابه وصولته (المسعودي، د.ت، صفحة 19).

وكان اول من ملك هذه الامارة السلطان علي بن الحسين بن علي الملقب بـ (أغوميح) وكان ذلك في أواسط القرن الثالث من الهجرة السنوية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام (مجهول، 1405هـ/1985م، الصفحات 27-28).

ويقال في سبب الهجرة الشيرازية الى هذه البلاد ان علي بن الحسن الشيرازي كان من ام أثيوبية أو زنجية ، وكان محتقراً من اخوته الستة الذين كانوا من أم فارسية تنتمي الى بيت من بيوت فارسية المرموقة ، وكانوا يعيرونه بسواد بشرة أمه (رجب ، 1419هـ/1999م، الصفحات 302-303)، ولما كان هذا الرجل هماماً لا يرضى الضيم والمذلة ، فقد عزم على الرحيل من شيراز تخلصاً من كراهية أخوته وزاد رايئهم له ، فجمع أولاده وأناساً أخرين رغبوا في اتباعه ، واتجهوا الذهب ووصل في ابحاره حتى دخل جزيرة كلوة ، فأخذ في تحصينها كي يستطيع الدفاع عنها (وفيقة، 2020، الصفحات 300-303).

وكان ورود السفن الفارسية والعربية التجارية وغيرها الى هذه المنطقة أمراً مألوفاً ومعروفاً منذ القدم . وازداد الأمر بعد ظهور الاسلام (المصدر نفسه، صفحة 303)، ولقد أشار المسعودي الى ذلك بقوله : " إنه لايقطعه (المحيط الهندي) الا السيرافيون والعرب" ولقد ركب المسعودي نفسه سفينة سيرافية (فارسية) من جزيرة قنبلو (مالاجاش) أقلعت به من هذه الجزيرة في عام (304هـ/ 916م) وشقت بحر الزنج (المحيط الهندي) (المسعودي، د.ت، صفحة 5).

وعندما وصل الشيرازيون الى الساحل الشرقي لأفريقيا دخلوا في حروب طاحنة مع جماعة الاخوة السبعة العربية الذين كانوا قد أسسوا لهم دولة قوية في مقديشو وسواحلها الممتدة شمالاً وجنوباً، وهي المنطقة المعروفة في العصور الوسطى بأسم منطقة (بنادر) ، كما كان لهم نفوذ في المنطقة الجنوبية حتى ممبسة واستقر ذلك الصراع العنيف بين الفريقين ردحاً من الزمن ،وانتهى الأمر باستسلام العرب بعد ان دمر الشيرازيون مدنهم وقلاعهم (سر الختم، 1416هـ/ 1995م، الصفحات 62-63).

ثانياً: الاعراس والمناسبات

1-مراسيم الزواج

اختلفت مراسيم من بلد الى آخر لكن مع ذلك تشابهت في اغلب مراسيمها الا في بعض التفاصيل التي تعود الى عادات البعض كما توارثوها جيل بعد جيل وما كانوا عليه قبل الاسلام لكن مع ذلك بقيت الكثير من الترسبات الوثنية الى عصور متأخرة ومنها ماهو مستمر حتى الان تبعا للثقافة الدينية لتلك المجتمعات لكن الصفة الغالبة في بعض الاحيان هو الالتزام بالعقد الشرعي بغض النظر عن طريقة الازواج واقامة المراسيم فضلاً عن دفع المهر ونوعه (شقرون، د.ت، صفحة 133).

لقد وصف سكان جنوب الصحراء على انهم اكثر الناس انحلالاً مع عدم الالتزام بالحدود الاخلاقية في ممارسة الزواج (الوزان، د.ت، صفحة 534).

وهذا الامر من الطبيعي ان يكون في مجتمع وثني قبل انتشار الإسلام وترسيخه في قلوبهم لقد ذكر الادريسي قائلاً: " وهم أكثر الناس فساداً ونكاحاً واغزرهم ابناء وبنات وقلما توجد منهم امرأة وتبعتها أربعة اولاد وخمسة وهم في ذاتهم كالبهائم لايبالون بشيء من امور الدنيا الا بما كان من لقمة او نكحة وغير ذلك لايخطر لهم ذكره على بال (المصدر نفسه، صفحة 534)، فالنص يشير الى طبيعة المجتمع وكونهم كالبهائم يدلل على ان النساء عن عرضة للرجال وانها لم تكن مرتبطة برجال معين وما معها من اولاد وربما لا تعرف اباءهم.

أما في المناطق الساحل الشرقي كانت هناك ديانات مختلفة مع التنوع القبلي ادى بالنتيجة الى اختلاف عادات الزواج في المجتمعات الاسلامي مع العلم ان الوزان في حديثه عن طبيعة العلاقات الزوجية في الساحل الشرقي ذكرهم قائلاً : " ليس لاحدهم زوجة خاصة به أو منفردة ففي النهار يرعون الماشية او يزرعون الارض وفي المساء يجتمعون مابين عشرة الى اثنى عشر رجلاً وامرأة في كوخ وينام كل منهم مع التي تعجبه اكثر من غيرهم" (الوزان، د.ت، صفحة 534)، مع العلم ان الوزان كانت رحلته الى السودان الاوسط في وقت متأخر من انتشار الاسلام وبالتحديد في القرن العاشر الهجري لكن هذا لايعني ان تلك الرواية تنطبق على المجتمع الاسلامي وذلك لوجود ديانات وثنية كثيرة فبالتالي من المرجح ان تكون تلك الرواية مقتصرة على اتباع الديانات الوثنية لاغيرهم من اتباع الديانات السماوية (الادريسي، د.ت، صفحة 110).

فالزواج في المجتمع غير المسلم ممن كانوا على الديانات الوثنية كانت لهم عادة تعرف بالزواج التجريبي ويستمر لمدة سنتين او ثلاث سنوات فاذا حملت العروس في هذا الزواج يكون المولود لأسرة الام وبعد ذلك يدفع العريس المهر الذي يكون في الغالب من الماشية وتقام بعد ذلك مراسيم الزواج (ابو شعيشع، د.ت، صفحة 150).

اما في الغرب فكانت عادة الزواج كما هو الحال في المجتمعات الغير مسلمة قبيل خضوعها للمؤثرات الثقافية الاسلامية وكان يتسم بالفوضى فلايوجد تحديد لعدد الزوجات حتى أن صاحب كتاب الاستبصار اشار الى احد ملوك الغرب قبل انتشار الاسلام قائلاً: " وله من النساء عدد كثير" (مجهول، 1405هـ/1985م، صفحة 219).

هذا فضلاً عن العامة الذين كانوا يتناكصون بطريقة لاتختلف عن البهائم من حيث تعدد الأزواج واختلافهم (الوزان، د.ت، صفحة 219).

لقد اختلف عادات الزواج في الساحل الشرقي من منطقة الى اخرى ومن مدى الى اخرى ولم يكن الزواج محدداً بسن معين خاصة بالنسبة للبنين التي كانت تتزوج صغيرة واحياناً أقل من عشر سنوات وكان الزواج اثناء الطفولة أمراً شائعاً بين الكثير من القبائل كما هو الحال بالنسبة للرجال قد يتزوجون وهم صبية ولايشترط قبول الفتاة في الزواج (الكنتي، د.ت، الصفحات 754-755).

أ-اختيار الزوجة

اختلفت عادات السكان في اختيار الزوجة في السودان الشرقي من بلد لأخر ومن قبيلة الى اخرى حتى ان بعض القبائل قد جعلت الاختيار مقروناً برضا البنت مع العلم هناك من منعوا الزواج من الاقارب وكل من لهم صلة رحم بهم. وفي الغالب يكون الاختيار بيد الشاب بعد التعرف على الفتاة سواء في المناسبات او في الاحتفالات العامة فضلاً عن التعرف عليها في اوقات ومراسيم الحصاد التي يجتمع فيها الناس (نور احمد، 2004، صفحة 83).

كون المجتمعات خليطاً من ديانات مختلفة يتزوج كل بحسب عقيدته سواء من المسلمين او غيرهم من الديانات السماوية الوثنية (الدمشقي ش.، 1408هـ/ 1988م، صفحة 79).

مع العلم لم يؤثر الاسلام في تلك الحقبة في عادات المجتمع في مراسيم الزواج الا طفيفاً فتقام مراسيم الزواج طبعاً للعادات القديمة مقرونة ببعض الطقوس الاسلامية (علي، 1981، صفحة 279). لذلك بقيت طرق الاختيار مختلفة بين ان يقوم الشاب هو باختيار الفتاة بعد التعرف عليها او أن يقوم الأهل بأختيار الزوجة لقد جرت العادة في بعض اجزاء السودان الشرقي مثل دار فور على سبيل المثال وبسبب الاختلاط بين الشاب والشابات في الحقول الزراعية ومنذ الصفر فيحدث الارتباط بينهم وبعدها يقوم الشاب بأرسال أهله الى بيت تلك الفتاة من أجل خطبتها (التونسي، 1965، الصفحات 228-229). مع العلم ان الغالب في الاختيار يتم عن طريق الاهل دون تدخل الازواج فهم مسلبوا الارادة (زناتي، د.ت، الصفحات 50-52).

أما في مناطق جنوب السودان كان الزواج قائماً كما في دول شرق افريقيا والبلدان المجاورة الاخرى فلا يوجد سن معين محدد للخطبة قد تكون في مرحلة الطفولة المبكرة او المتأخرة وقد تكون قبل البلوغ او بعده والصورة النمطية في هذه الحالة ان يقوم الاخ لأخيه او لأخته أنني اعطي فلانه الى فلان ويقوم والد الابن بتقدم بقرة مرضعه كنفقة لخطبته ابنه وترسل كسوة الى جانب بعض الهدايا وعندما تبلغ الفتاة يحدد المهر وتاريخ عقد الزواج (ادريس، د.ت، صفحة 69).

لم تكن طريقة الاختيار واحدة عند بعض القبائل يتم الاختيار من قبل الولد والبنت بحضور ذويهم في لقاء خاص بينهم فاذا توافق الطرفان يقوم أهل الشاب بإرسال وسيط يسمى (الورناق) دورة كوسيط بين الاسرتين لتحديد يوم الخطوبة (المصدر نفسه، صفحة 217).

ب-الخطبة وعقد القران

تجري الخطبة بعد اني يقع الاختيار على الفتاة من قبل الشاب او ذويه تأتي المرحلة الاولى من مراحل الزواج وهي ان يقوم أهل الشاب بأرسال احد رجال الاسرة او احد اقاربهم من أجل الاتفاق الاول ومعرفة مدى قناعتهم ورضاهم (التونسي، 1965، صفحة 229). الاتفان وتحديد المهر الذي يختلف من حيث الكمية والنوعية فالبعض جعله من الابقار اي ما يقارب 30-40 بقرة بحسب جمال الفتاة ومكانتها الاجتماعية (مراد، د.ت، صفحة 308).

وهناك من يطلب الاموال الكثيرة مع العلم ان تلك الاموال تذهب الى ذوي الفتاة ويعقدون لها على شيء قليل (التونسي، 1965، صفحة 229)، وكما هو معروف ان عقد القران يكون بواسطة احد رجال الدين (السيد، صفحة 62). ويتم في بيت احد العروسين ليتم بعدها احياء تلك الليلة في حفلة عشاء يقيما العريسان بهذه المناسبة (الخويلدي، د.ت، صفحة 159).

كذلك الحال في المناطق الساحل الشرقي او ربما هو عرف عام أن يحضر الأهل وشيخ القرية لقراءة الفاتحة وعقد القرآن (ادريس، د.ت، صفحة 70).. واحياناً تكون الخطبة وعقد القران قبل بلوغ الفتاة سن الزواج لذلك على الرجل كسوتها بالمعروف في تلك المدة كلها وقد تزيد عن السنتين او ثلاث سنوات وأن الشائع في هذا المجتمع أن الابن يتزوج بحسب رغبته واختيار والده ومن عاداتهم ان يخضع الرجل لأوامر أهل المرأة التي تصدر قبل الزفاف وذلك بالعمل في الزراعة أو بناء مسكن ليكون دلالة صادقة على رغبته في العروس (الابقاري، د.ت، صفحة 203).

ومن العادات المرتبطة مراسيم الزواج أقامة حفل الخطوبة والقران يشهد عليه عدلان (لطيف، صفحة 212)، وكان عقد الزواج يتم على وفق ما تقتضيه الشريعة الاسلامية من الشهود على العقد على سبيل المثال هناك عقد يرجع تاريخه الى عام (1077هـ) يوضح لنا كيفية عقد الزواج جاء فيه " الحمد لله وحده ولايبقى إلا وجهه والصلاة والسلام على رسول الله وبعد : فليعلم من وقف على هذا الكتاب من القضاة والفقهاء والطلبة وغيرهم من جماعة المسلمين ان عائشة بنت محمد الشكاط قد تأهلت ابنتها من الحسن بن محمد بن احمد سداسية بمحضر الشهود فهم خير بن عيسى بن المختار ومحمد البكري بن مومات والمبارك بن محمد بن جابر بن مؤمن بن عبدالله وقع هذا وثبت بتاريخ المكمل مائة وسبعة وسبعون بعد الالف (1077هـ) من الهجرة النبوية" (الشكاط، د.ت، الصفحات 112-113).

ج-مراسيم الزفاف

اختلفت مراسيم الزفاف هي الاخرى بين شعوب بلاد السودان بأختلاف قبائلهم واماكن سكناهم لكن جرت العادة في السودان الشرقي هي ان يقوم أهل العريس بدعوة عامة للأهل والأقرباء والمعارف مع اعداد وليمة الزفاف حيث تجتمع النساء والرجال ليقيموا حفلات من الرقص والطعام والشراب فترقص النساء والرجال معا وبعد ان يأكلوا ويشربوا يزفون العروس الى دارها (التونسي، 1965، الصفحات 228-229)، ويستقبلها العريس واهله وينثرون بين قديمها النقود والحلوى ثم تؤخذ الى غرفتها الخاصة لتتم باقي مراسيم الخاصة وادخال العريس عليها وجرت العادة عندهم ايضاً ان يقدم العريس لها هدية عند دخوله عليها قد تكون من الاموال او الذهب كل بحسب درجة غناه (الخويلدي، د.ت، صفحة 161)، مع العلم ان تلك العادات لم تكن شاملة كون بلدان السودان مختلفة الثقافات والعادات حتى الاسلامية منها ساد هذا العرف الاجتماعي في الكثير من البلدان.

أن من عادات سكان مدينة دنقلا هي ان يقوم الزوجان او العريسان بزيارة النيل في اليوم الثالث او في اليوم السابع وشاركهما الأهل والجيران وخلال سيرهم يقومون بالتغني بمآثر الاجداد او الاغاني الشعبية (محمد، د.ت، صفحة 62)، ولم يكن الحال مختلف عنه في بلاد النوبة ففي صبيحة يوم العرس يتوجهون الى نهر النيل لأقامة بعض المراسيم (ابراهيم، 2018، صفحة 106).

أما في المناطق جنوب السودان فكانت عادات مراسيم الزفاف عند بعض القبائل هو أن تحمل الزوجة على الاكتاف الى بيت زوجها اذا كان الزواج داخل الحي او القرية او على الخيل اذا كان زوجها في حي أو قرية أخرى ولاتدخل العروس البيت المعد لها الا بعد أن يختم فيه القرآن الكريم راجين في ذلك طرد الشياطين ونزول البركة والذرية الصالحة.

في اليوم الثاني من الزواج تقوم الزوجة بالطبخ لزوجها ايذاناً في بداية حايتهم الجديدة فضلاً عن ترغيبها للفتيات بالاسراع في الزواج ولاتخرج من غرفة زوجها الا بعد اسبوع من تاريخ الزواج ولاتزور والديها الا بعد مضي أكثر من شهرين (الدالي، صفحة 209).

اما في المناطق الغربية فكانت العروس تزف الى بيت زوجها على حصان مسرج ويستمر الفرح سبعة أيام يطعم فيه العريس ضيوفه مع العلم ان حجم الانفاق يعود الى حالة العريس الاقتصادية ومكانته الاجتماعية فالملك سني على عندما خطب أهم سلطان جني من ابنها أقام فرحاً استمر سبعة أيام يقيم فيها الولائم للشيوف بسخاء وقدم لزوجته شتى أنواع الحلي ولأهلها أصنافاً من الطعام وزفها على حصان مسروج واهداه بعد ذلك لابن زوجته سلطان جنبي بجميع مستلزماته وقد أصبح فيما بعد عادة عند أهل المدينة (مجهول، 1405هـ/1985م، صفحة 7) . وكان الأعراس تقام بالاغاني الجماعية بين الرجال والنساء وازياء متبرجة (سعد، صفحة 69).

يقام الاحتفال في ليلة العرس بعد جلب الزوجة الى بيت زوجها مع اعداد وليمة يجتمع فيها الاهل والاقارب والاصدقاء (وناس، صفحة 164). ومن اداب وليمة الزواج ان يحضر كل من يدعى اليها وعليه الحضور حتى لو كان صائماً صيام تطوع أما ان كان هناك اي عائق كأذى سيحلق به فيجوز له أن يتخلف ولا يدخل الا من دعي بأذن ويستخدم في تلك الليلة الزمار والسيوف من اجل البهجة (درويش، صفحة 166) مع العلم ان بعض المجتمعات في المناطق العربية التي تقدم ولائم الزفاف لايأكل منها أهل العريس ولا الاغنياء من الضيوف وبعد هذا الامكر من العيوب على الاغنياء او ذوي الاحوال الميسورة عند تناولهم طعام العريس (المصدر نفسه، صفحة 73).

2-الاعياد والاحتفالات

بعد انتشار الاسلام في بلاد افريقيا جنوب الصحراء وقيام المماليك الاسلامية كان من طبيعي ان يمارس المسلمون مراسيم الفرح في الاعياد الاسلامية المعروفة لديهم فضلاً عن احتفالاتهم الخاصة .

ان لكل مجتمع من المجتمعات عاداته وتقاليده وله كذلك اعياده الدينية التي يحتفل بها ولسكان الشرق الافريقي ايضاً عاداته وتقاليده ففي الاعياد ومختلف المناسبات تخرج القبائل في صفوف منتضمة تحت امره زعمائها وترقص الرقصات الوطنية ونتشبه الى حد كبير الرقصات العربية وهناك من يحتفل بعيد النيروز (صورا، صفحة 117).

يذكر ان سكان الساحل الشرقي كانوا يحتفلون بمولد النبي محمد (ص) ليعبروا عن ذلك بإقامة حلقات الذكر والمديح والاناشيد وعد مناقبة ، كما كانوا يحتفلون بمراسيم الزواج وختان الاولاد وليلة القدر واعياد الفطر والاضحى وفوق ذلك كله يقيمون احتفالات سنوية

للأولياء فضلاً عن اقامة الاذكار في مساء ليلة الاثنين ويوم الجمعة عقب الصلاة مستعملين في ذلك الآلات الموسيقية (العراقي، صفحة 99).

مع كون السودان الشرقي وتحديداً بلاد الحبشة التي تمثل الجزء الاكبر منه غالبية سكانها من النصارى كانوا هم الاخرون لهم اعيادهم الخاصة التي تقام فيها مراسيم الاحتفال ومن اهم اعيادهم عيد مريم العذراء وفي هذا العيد يصحوا الناس في السحر يلبسون احسن لباسهم ويخرجون قبل مطلع الفجر قاصدين الكنائس يصلون امام تمثال العذراء ويستمعون الى قصتها (السيد، صفحة 154). واذا ما قضيت الصلاة من هذا اليوم ينتشرون في الحقول ويرقصون رقصات دينية وصفها بعض الرحالة على أنهم في يوم عيد العذراء يخرج الاحباش رجالاً ونساء الى الخلاء زرافات ووحدانا وتقف كل جماعة على السندس الاخضر على محيط دائرة كبيرة ثم يرقصون على نغمات أغانٍ خاصة. (صورا، صفحة 11)

وللنصارى اعياد أخرى معروفة لكل منها طقوسه ومراسيمه فعيد الميلاد يقام وسط احتفال رسمي يحضره الامبراطور ورجال الدين وكافة رجال الكنيسة والرهبان وتملا قوارير الكنيسة بالنبيذ والعسل الابيض يشرب جميع الحاضرين ثم يدخل الامبراطور بهو المأدبة الرسمية في القصر وتقام مأدبة عامرة شتى أنواع الطعام والشراب يتصدرها كبير البلاط الامبراطوري او الامبراطور في اثناء الطعام تقام حفلة موسيقية صادحة (بهنساوي، صفحة 212).

أن من الاعياد الاخرى التي ذكرها المقريزي في جنوب السودان هي : " عيد السقانين وهو اليوم الذي نزل فيه المسيح من الجبل ودخل بيت المقدس وبعده بأربعة أيام عيد الفصح وهو اليوم الذي خرج فيه موسى وقومه من مصر وبعده بثلاثة ايام عيد القيامة وهو اليوم الذي خرج فيه المسيح من البئر بزعمهم وبعده بثمانية ايام عيد الجديد وهو اليوم الذي ظهر فيه المسيح لتلامذته بعد خروجه من القبر وبعده بثمانية يوماً عيد السلاق وهو اليوم الذي صعد فيه المسيح الى السماء ولهم عيد الصليب وهو اليوم الذي وجدوا فيه خشبة الصليب... ولهم ايضاً عيد الميلاد وعيد الذبح... تعد هذه من أهم الاعياد والمناسبات الدينية للنصارى بعيداً عن صحة الاعتقاد فهي تمثل اعيادهم الدينية والوطنية.

كذلك للنصارى اعياد أخرى كثيرة تقام فيها مراسيم الفرح فبعضها تكون بحضور الامبراطور وأخرى على المستوى الشعبي ورجال الدين فتعم الافراح أغلب المدن في مثل تلك المناسبات (خشيم، الصفحات 187-193) الاسرة السليمانية.

اما في المناطق الساحل الأفريقي فلم تكن الاحتفالات في الأعياد الاسلامية في شرق السودان لدى المسلمين مختلفة عن باقي بلدان الجنوب الافريقي ففي ليلة العيد يقضي الناس جزءاً من ليلتهم في سمر وطرب يطلبون فيها السهر ويمتد الى الصباح الباكر وتشبه ايام الاعياد الدينية عندهم يوم التتويج وجلوس الملك على العرش يبيت أغلب الناس في حاضرة الدولة ويسمع الصخب والغناء والرقص على دقات الطبول وفي مختلف انحاء المدينة (الدكو، صفحة 231).

3-وسائل التسلية والترفيه

ان طبيعة النفس البشرية في الغالب تميل الى التسلية والمرح الذي اختلفت وسائله تبعاً لطبيعة المجتمعات وأرثها الحضاري والديني فالقزويني في حديثه عن بلاد السودان الشرقي وبالتحديد بلاد الزنج وصفهم قائلاً: " ولايرى زنجي مفعوماً الفم لايدور حولهم الطرب يشملهم كلهم".

أن محبة الرقص مشتركة بين جميع القبائل فهي مرتبطة بالقضايا الدينية وتأخذ بعض الحفلات الطابع التنكري وهم على العموم لديهم القدرة الهائلة على التخفي والظهور بمظهر الحيوانات او غيرها فضلاً عن تقليد أصوات الاشخاص والحيوانات وفي مهرجاناتهم المسلية كذلك يلبسون جلد النعام واصوات الغناء تعلو المكان مع استخدام انواع مختلفة من الموسيقى (مراد، المجتمعات الافريقية، الصفحات 348-349)، مع العلم ان قبيلة الشلو تقوم بتدريب اطفالها منذ الصغر على استخدام الآلات الموسيقية والعزف عليها وفي الغالب يعزف عليها الرجال والنساء في أوقات الفراغ من أجل التسلية ربما بعد قضاء يوم متعب (نوال، صفحة 49).

حتى أن التونسي وصف سكان بلاد الغور وطريقهم في أوقات الفرح قائلاً: " وتعطف النساء حفوفاً وكل صف من النساء يقابله صف من الشبان وتخرج النساء التي معهن الطبول فيضربن ويقلن من كلامهن فيبرز صف من صفوف النساء يمشن هوناً ويرقصن بأكتافهن ويتقاصرون الى الارض حتى يجلب الى صف الرجال فكل شابة تعمد شاباً حتى تصنع وجهها في وجهه وتهز رأسها نحوه حتى تضربه بضفائرها في وجهه. (التونسي، 1965، صفحة 231)

ان هناك أكثر من رقصة في بلاد السودان الشرقي كان تختلف في بعض الاحيان الرجال والنساء معاً في جو يسوده الغناء والرقص والاختلاط المريب والغالب في حالة سكر مع العلم ان النساء الجميلات وبنات الاكابر يرقصن مع أمثالهن من الشباب والعامة كذلك بعضهم مع البعض الآخر ومن هذه الرقصات رقص الجيل الذي تتقابل فيها النساء مع الرجال ويرقص بأكتافهن ويضربن بأرجلهن ورقص اللنقي وفيه تغني النساء والشابات والشباب يرقصون وهم يضربون ارجلهم الارض ويرقص ك منهم برجليه اليمنى واليسرى ورقص الشكندري الذي يختلط فيه كذلك الشباب والشابات وان كل رجل منهم يأخذ شابه امامه وتنحني هي ويمسك خصرها هذا فضلاً عن رقصات العبيد التي تسمى البندلة وهم يرقصون معاً (المصدر نفسه، صفحة 232).

لقد ذكر بوركهان في لاحلاته سكان مدينة الدامر* / قائلاً: وادهشني أن اكتشف عدداً من مشارب البوظة وبيوت اللهو منبثة في ارجاء المدينة برغم تزمت الفقهاء وصرامتهم، فالواضح من النص ان السكان قد اعتادوا اللعب واللهو والطرب على الرغم من كونهم مسلمين مع العلم ان الرحلة كانت من القرن الثامن عشر الميلادي حتى ان بوركهارت كان متعجباً كون المدينة عرف عن فقهائها التزمت لكن مع ذلك لم يمنع السكان من ممارسة الغناء واللهو والتسلية فكيف كان الحال في القرون الاولى لانتشار الاسلام.

ان من وسائل التسلية والترفيه التي يمارسها المجتمع الحبشي في السودان الشرقي لعبة الجوكس وهي مثل ركوب الخيل وهذه اللعبة عبارة عن نوع من المبارزة التي تسن لها قوانين تشبه القتال في الكر والفر وهي تتكون من فريقين متنافسين ليلعبوا في مباريات شائقة فيقوم احد الفريقين بركوب حصان بعد أن يأمر تابعة بربط السرج بالخيط جيداً ولايلعب هذه اللعبة رجل قوي الذراع لأنه حينما يرمي العصا بقوة تجاه ظهر احد الاشخاص الرفيق الآخر قد يتعرض للموت لان هذا الصديق ربما لايستطيع ان يمسك هذه العصا الطافرة وهو يدور حول حصانه وخصمه يطارده (بهنساوي، صفحة 218). الخشب والجلد ويستخدم فيها سبيب ذيل الخيل او الزراق والنقارة التي وصفت على أنها طبلة كبيرة تصنع من النحاس والفخار وتجلد كذلك بجلد ثور يتم استخدامها في المناسبات والالة الاخرى هي الدولة وهي طبلة كبيرة الحجم تصنع من الفخار وتجلد كذلك بجلد ثور او البقر هذا فضلاً عن المزمار الذي يصنع من الخشب وكان في الغالب يستخدمه الفونج وعلى وجه الخصوص الرعاة في البادية السودانية (الحاج، صفحة 218).

اما في المناطق الامارة الشيرازية اختلفت وسائل التسلية واوقات المرح فضلاً عن الغاية من ممارستها لقد اعتاد الناس الترويج عن أنفسهم في الغالب بعد العودة من أعمالهم الشاقة يجتمعون في بيت من بيوت أحدهم او في الغناء العام سواء في الليل أو النهار على طوال السنة يتخلل تلك المجالس تقديم المشروبات الماء والشاي وتسمى هذه بجلسات السمر التي يعقدها الكبار اما الصبية من الاولاد والبنات يقضون جل اوقاتهم في السهر باللعاب مختلفة في فناء القرية او الحب من مطاردة ومصارعة وقفز وقد يجتمع بعضهم عند كبار السن والبصائر من النساء ويقصون لهم الحكايات (الابقاري، د.ت، الصفحات 218-219).

تعد وسائل التسلية والترفيه في المناطق الوسطى من المظاهر المهمة في الحياة الاجتماعية كونها تابعة من كيان المجتمع ذاته فقد عرف المجتمعات الافريقية عامة حب الرقص والغناء، في أيام الاحتفالات كان الغناء والرقص ودق الطبول يسمع في مختلف أنحاء المدينة (الدكو، صفحة 231). يبدو أن المجتمع قد اعتاد على اللعب والمرح حتى أصبح كالعادة لدى السكان ذكر ذلك الوزان قائلاً: " من عاداتهم الترهص في المدينة في اثناء الليل بين الساعة الثانية والعشرين والواحدة صباحاً وهم يعزفون بالآت موسيقية ويرقصون" (العسيري، صفحة 106)

كان أهل الأمارة يجتمعون رجالاً ونساء لممارسة الرقص والغناء في أوقات الفراغ كنوع من الترويج عن النفس واختص سكان بنوع من الغناء يسمى (الدوبين) وهو نوع من الشعر المنظم بأوزان الزجل وشاع هذا النوع من الغناء في السودان الشرقي والسودان الأوسط كذلك عرفت الامارة نوع آخر من الغناء يسمى (النوم أو النميم) يعني في المسافرين على ظهور الإبل الذي تميز بالحنية والشوق وهناك غناء المطرق الذي كان مخصصة بالملوك او أكابر القوم مع العلم أن غناء الدوبيت يعد جزءاً من نتائج التأثير العربي في السودان على مدى قرون طويلة واتخذوا منه كوسيلة للتعبير عن وجدانهم.

* الدامر: قرية في حوض النيل في السودان الشرقي وصفت بأنها كبيرة متناسقة البيوت ومنتظمة الشوارع يسكنها عرب من عشيرة ال مجذوب الدين يرجعون في اصلهم الى شبه الجزيرة . بوركهارت ، رحلات ، ص205.

ومن وسائل التسلية الاخرى في مملكة الامارة الشيرازية اللعبة بالسيف عن طريق المبارزة هذا فضلاً عن وسائل التسلية للأطفال تضع الالعاب من الفخار او اللعب امام المنزل حتى أن الاباء والامهات قد اعتادوا الجلوس مع ابنائهم وقص القصص عليهم (ابراهيم، 1964).

4-الاحتفالات

لكل مجتمع من المجتمعات عاداته وتقاليده وأعياده الدينية والوطنية التي يحتفل بها، والتي تنبع من معتقداته ،ولسكان شرقي أفريقيا نوعان من التقاليد ، الأول ناتج عن الديانة الاسلامية والثاني عن حياة المواطنين (المسعودي، د.ت، صفحة 308).

ففي الاعياد الدينية والمناسبات ، تخرج القبائل في صفوف منتظمة تحت إمرة زعمائها وترقص الرقصات الوطنية وتشبه الى حد كبير الرقصات العربية. وكانوا يحتفلون بمولد النبي (ص) فإقامة الذكر والمديح ،ويحتفلون بليلة القدر وأعياد الفطر والاضحى والمناسبات الاجتماعية كالزواج وغيره ،وكذلك يقيمون الحلويات للاولياء وهي احتفالات شتوية (العراقي، صفحة 99).

وذكر ترمنجهام أن سكان شرقي أفريقيا يقيمون الاذكار مساء ليلة الاثنين ويوم الجمعة عقب الصلاة مستخدمين في ذلك الآلات الموسيقية في بعض الأحيان.

وتقام احتفالات الزواج وعقد القران داخل المسجد بواسطة فقيه او احد رجال الدين الاسلامي ،وتقام احتفالات كبيرة والفتيات القرشيات لايتزوجن من القبائل الوطنية او حتى القبائل المختلفة.

احتفظت كلوة ومقديشو بنفس الاحتفالات في تحية الحاكم بطريقة متشابهة والاحوال التي يصفها ابن بطوطة في مقديشو، يمكن ان تكون أكثر عمومية وإن ما أوردة عن موانئ شرقي أفريقيا الاخرى التي زارها ، يعطي فكرة عن وضع كلوة منها والعادات السائدة حول الساحل ، فيمكن أن تقيس الاحتفالات في كلوة بما كان يجري في مقديشو (بطوطة، صفحة 154).

ومن الاشياء الهامة التي أوردها ابن بطوطة ، تقاليد السلطنة ،وأشار الى معاوني السلطان من الأمراء والقضاء والفقهاء والوزراء ، وما يتبع من مراسيم عند استقبال السلطان لكبار الزوار فتدق الطبول وغيرها من الآلات الموسيقية (المصدر نفسه، الصفحات 180-182).

وقد احتفظت كل من كلوة ومقديشو بنفس الاحتفالات في تحية الحاكم بطريقة مشابهة ، ومن المحتمل ان سلاطين كلوة يكونوا قد خصصوا بعض التلاميذ الصغار من أجل استخدامهم في أداء الاحتفالات ، لأن كلوة كانت بحاجة الى إدارة خاصة لتبجيل الملكية فيها مثل المدن الأخرى (السيد، صفحة 155).

ويشير فريمان الى قصة استقبال داؤد بن سليمان لأخيه الحسن عندما كان غائباً له عند عودته من الحجاز ، من أن داؤد وقف محيياً لأخيه في هيئة خاصة تحية الملكية، أن ذلك من الدلالات المبكرة على أن كلوة قد نمت فيها احتفالات البلاط ، وأن الاحتفالات في كلوة كانت نفس الشيء الذي وصفه ابن بطوطه في مقديشو ،وان قصصة عن موانئ شرق أفريقيا الاخرى التي زارها تعطي فكرة عن وضع كلوة بينها وبين العادات السائدة حول الساحل (المصدر نفسه، صفحة 156).

5-الالبسة في الإمارة الشيرازية

فيما يتعلق بملابسهم ، فهي تختلف تبعاً لطبقات المجتمع فالاغنياء يلبسون ملابس حريرية وعمائم ، بينما لباس الرجال العادي لايتعدى قميصاً وفوطاة تشد الى الوسط وتتدلى حول الجزء الاسفل من الجسم ، وكانوا يلبسون عباءات طويلة زرقاء تحتها ملابس أخرى، فلسلطان له كسوة والقضاة والوزراء لهم كسوتهم (بطوطة، صفحة 161) وفي كلوة كانوا يرتدون ثياباً فاخرة مزينة بخيوط الذهب وقطن جيد وعمائم تركية جميلة (السيد، صفحة 152).

وفي مالندي كان معظمهم يلبس الملابس الفضفاضة، مثل العباءة ومعها الزنار والعمائم من الأنواع الجيدة، وبعضهم عراة غير أنهم يغطون العورة بقطع من القماش المصنوع من الحرير والقطن وهذه الاقمشة ترد اليهم من مملكة Cambay في سمال غرب الهند (بطوطة، صفحة 152).

وعند وصول فاسكو الى موزمبيق أول ماوقع عليه بصره هو شيخ موزنبيق وحاشيته ، وكانوا يرتدون ثياباً من المخمل وملابس حريرية موشاه بخيوط الذهب وعمائمهم من الحرير، وسيوفهم وخناجرهم مطعمة بالفضة (المصدر نفسه، صفحة 152).

وجرت العادة أن يعصب السلطان رأسه بعصائب من حرير تدور برأسه مع بقاء وسط رأسه مكشوفاً ، أما الجنود والأمراء فلهم عصائب من قطن يعتصبونها على هذا الوضع ،ويلبس الفقهاء العمائم ويلبس العامة الكوافي البيضاء (المصدر نفسه).

أما النساء ، فكن يتحلين بالذهب والفضة ،وتلبس النساء العديد من الأسواران في أيديهن ، وخلاخل في أرجلهن، وحلقات في أذهن وقد وصف دورن باريوسا (حوقل، صفحة 247) أن سكان كلوة يرتدون ملابسهم بهندام في حلل من الحرير والقطن موشاة بالذهب ،ونساؤهم يتحللن بكثير من الذهب والفضة في سلاسل يلبسنها بأيديهن وأرجلهن وأقراط من الجواهر في أذنهن.

كما عثر أثناء التنقيب في آثار كلوة على بعض أدوات الزينة من ذهب وفضه وزجاجات الكحل (حوقل)، وفي أثار مدينة جيدي عثر على عدد من قواوير ماء الورد –ترجع في أصلها الى سوريا– في كلوة ومافيا وزنجبار، وقد ذكر ابن بطوطة انه عند استقباله رش عليه ماء الورد كترحيب بالضيوف ، كما وجدت أعداد من الصناديق مصنوعة من خشب الصندل والكافور ، كانت تستخدم لحفظ الملابس (بطوطة، صفحة 152).

حيث أن الشعوب والمجتمعات الانسانية تختلف من بلد الى آخر ومن قارة الى أخرى من حيث الملبس والمأكل والمسكن فضلاً عن العادات والتقاليد الاخرى ناهيك عن طريقة التعبير في أفراحها واحزانها حيث تعتمد في الدرجة الاساس على مالتلك الشعوب من ارث ديني وحضاري وثقافي الذي ينعكس بدوره على مظاهر الحياة الاجتماعية (هاني علي، صفحة 145).

وكات الجغرافية الواسعة لسكان الساحل الافريقي الشرقي والتي تضم الكثير من الأجناس البشرية مع اختلاف مظاهر حياتهم الاجتماعية وقلة المعلومات الواردة عن الكثير من التفاصيل التي وجدت في بلد وفقدت في الاخر جعل الحديث مقتصراً على أهم تلك المظاهر الأساسية ومن أجل وحدة الموضوع لذلك سيتم الحديث عن أهم تلك المظاهر الاجتماعية بدءاً في السودان الشرقي (العمري، صفحة 34).

أ–ملابس الطبقات العليا

من الطبيعي تكون الطبقة العليا في جميع المجتمعات سماتها الخاصة التي تميزها عن عامة الناس ففي السودان الشرقي كان الملك وأمراء الجند والفقهاء لهم لباسهم الذي يميزهم فالملك يتعصب على رأسه بعصابة من حرير والأمراء والجند يتعصبون بعصابة من القطن وهناك من يلبس قميصاً أو ثوباً مضبطاً او سراويل الا أن الغالب منهم يلبسونها غير مضبطة ويأتزرون بها (المصدر نفسه، صفحة 35).

وعلى الرغم من التشابه الواضح في بعض الألبسة لسكان السودان الشرقي الا أن هناك اختلافاً من وقت لآخر بفعل التأثيرات المتبادلة بين كل من تلك اللبدان العربية الاسلامية فضلاً عن تطور العلاقات التجارية حيث أختلفا لباس سكان بلاد الحبشة من الشرق الافريقي فكان الاعيان يضعون القبعات على رؤوسهم تميزاً عن العامة ومنهم من يأتزر بقطعة قماش أبيض اللون وكذلك الحال أبناء الطبقة الخاصة يلبسون السراويل* مع الازر (الحموي، 1935، صفحة 76).

أما في مناطق الساحل الأفريقي الشرقي فنجد الملوك قد اهتموا بأرتداء أفخر الثياب وأغلاها وظهروا للناس في أنهى حلة وفي اجمل زينة فقد ارتدى ملوك الامارة الشيرازية الثياب المصنوعة من الصوف والقطن المطرز بالخرز السوسي ورضعت بالديباج الرفيع (سعيد، صفحة 95). مع العلم أن العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والساحل الشرقي أثرت بشكل ملحوظ في ملابس الطبقة العليا فسلطان الامارة ذكر ملابس ابن سعيد قائلاً: " والثياب كان تحمل له من الخضرة التونسية" (الملاح، صفحة 220).

من المعلوم أن الملابس كانت مختلفة بين العامة والطبقات العليا فضلاً عن التفاوت الطبقي وأحوال المعيشة وهذا الأمر لم يقتصر على بلد دون آخر تلك الظاهرة كانت وما زالت عامة في جميع المجتمعات البشرية فملوك الكانم عرف عنهم لبس العمائم والشاشية فضلاً عن الطيلسان . أما علماؤهم فكانوا يلبسون العمائم ذات اللون الاخضر ولبس رجال الطيلسان الذي يصنع من

* السراويل: ومفردها سروال وهو ما يلبس من قماش حول الخصر وصولاً الى القدمين ،وغالباً ما تلبسه النساء، الا أن كبار القوم من الرجال كالفقهاء ورجال الدولة يلبسونه ،ويكون من القطن أو من غيره وهو واسع فضفاض ولبس السروال قديم يلبس عند العرب قبل اسلامهم. انظر: دوزي ، المعجم الوسيط ، ص171.

الصوف والعباءة التي كانت تلبس عند السفر هذا فضلاً عن لبسهم الجبة . أما قادة الجيش كانوا يلبسون العمائم ولكنهم يضعون فوقها القلانس كما هو الحال في طبقة التجار فقد لبسوا ملابس اشبه بملابس العلماء (العسيري، الصفحات 91-93).

ب-ملابس الطبقة العامة

ام المتتبع لسكان الساحل الشرقي من أكثر الشعوب والأجناس البشرية تجرداً من الملابس وبالتأكيد لهذا الفعل أسباب مختلفة ارتبطت بطبيعة لباسهم مع وجد الاختلاف من بلد الى آخر في طبيعة اختيار الملابس الذي اعتمد في بعض الأحيان في الخلفية الدينية لهم أو صلاتهم التجارية مع البلدان الاخرى قبل انتشار الاسلام في بلدانهم الذي وصف البكري لباس بلاد الحبشة والزنج يشكلون الجغرافية الاكبر مساحة من بلاد السودان الشرقي على ان لباسهم في الغالب يتكون من جلود النمور فذكر ذلك قائلاً : " وعندهم جلود النمور الحمر وهي لباسهم" (الاصطخري، 1927، صفحة 321).

والسبب في ذلك ربما يعود لكون تلك البلاد كانت مشتهرة بصناعة هذا النوع من الملابس منذ زمن مبكر بعد أن أشار السيرافي الى ذلك قائلاً : " أرض الحبشة التي تجلب جلود النمور البربرية منها وهي احسن الجلود وأنقاها".

فالسرافي مع كونه من المتقدمين الا أنه وصفهم بالاشتهاد في هذا الملبس ولم يقتصر هذا النوع على بلاد الحبشة بل تعدى ذلك حتى بلاد الزنج الى سفالة قد عرفت تلك البلاد بلبس جلود النمور (القزويني، صفحة 2).

لقد كانت الصفة الغالبة لسكان السودان الشرقي هو التعري سواء في بلاد الحبشة أو النوبة والبجة (مجهول، 1405هـ/1985م، صفحة 202). أن الطبيعة المناخ في بلاد السودان ربما كان هو أحد الأسباب المهمة التي جعلت أهل تلك البلاد لايرتدون الملابس لقد ذكر ذلك القزويني قائلاً: " بلاد السودان ... أرضها محترقة لتأثير مسامته لرؤوسها وأهلها عراه لايلبسون من شدة الحر " (القزويني، صفحة 24).

فالطبيعة المناخية يمكن عدها سبباً مهماً في تأثيرها على لباس السكان لكن مع ذلك لايمكن عدها أهم تلك الاسباب فمن المرجح القول أن السبب المباشر هو كون سكان الجنوب الافريقي لاتوجد رسالات سماوية على أرضهم فأتباع الديانات السماوية يتصفون بحسن المظهر ولباسهم التام وبذلك يمكن القول ان ظاهرة التعري وجدت لاسباب دينية ومناخية فضلاً عن انعزال أهل تلك البلدان عن العالم الخارجي ولم يكن أهل الحبشة والزنج وحدهم من وصفوا بالعراة فكان سكان بلاد النوبة هم الآخرون عراه ولايلبسون اي شيء ذكر ذلك الحموي قائلاً: " وهم وعلوه عراة لايلبسون ثوباً البتة انما يمشون عراة" . لكن اللافت في الأمر أنهم مصرون على تلك العادة او ربما يعتبرون اللباس من الاشياء المعيبة التي لايمكن التستر بها ولانعرف تفسيراً لذلك الا ربما لكونهم ولدوا ونشأوا على هذه العادة فالحموي أشار الى هذه الظاهرة قائلاً: " فلو قطع الرجل أو المرأة على أن يستنز أو يلبس ثوباً لايقدر على ذلك ولا يفعله".

أما سكان بلاد مدينة دنقلة من بلاد النوبة فكانت هي الاخرى أهلها عراة وبعضهم يأتزر بالجلود ذكر ذلك القزويني قائلاً: " دنقلة مدينة عظيمة بلاد النوبة.... وأهلها عراة مؤتزرون بالجلود والنمور عدهم كثير يلبسون جلودها" (القزويني، صفحة 39).

يبدو أن أهل دنقلة كانوا يلبسون الجلود حتى منتصف الجسد واللبس يعود في ذلك كونهم من النصارى وأصحاب ديانه سماوية جعلتهم يتخلون عن عادات السكان الأصلية حتى وإن كانوا متأثرين بهم وهذا الأمر نفسه قد حدث في بلدان أخرى من بلاد الجنوب الافريقي فوجدنا الكثير من المسلمين قد بقوا على الكثير من العادات الوثنية حتى بعد دخولهم في الاسلام ، لكن بمرور الزمن كان للوجود الاسلامي الاثر الكبير في تغير الكثير من العادات والتقاليد الوثنية مع الابقاء على بعض العادات التي لاتتعارض مع احكام الاسلام (احمد، 1966، صفحة 251).

أما سكان البجة فكانوا هم الآخرين كباقي سكان الشرق الأفريقي وصفوا على أنهم كانوا عراة (الفداء، صفحة 96)، لقد ذكرهم ابن الوردي قائلاً: " البجة وأهلا تجاور الحبشة من الشمال وهي بين الحبشة والنوبة وهم السواد عراة الاجسام"). حتى وصفوا على أنهم لافرق بينهم وبين الحيوانات لكونهم حفاة عراة لا يوجد أي شي يشترون به" (نقري، صفحة 296). ذكرهم المقريزي قائلاً : " البجاة قوم لادين لهم ولاعقل ورجالهم ونساؤهم ابداً عراة وعلى عوراتهم خرق وكثير منهم لايسترون عوارتهم".

من الطبيعي ان يختلف الملبس من مكان الى آخر بين ابناء البلد الواحد تبعاً للظروف المعيشية والطبيعية هذا فضلاً عن اجواء بلاد السودان ففي الجنوب الشرقي من السودان ونتيجة للأثر الاسلامي تغيرت ملابس السكان فأصبحوا يلبسون الحرير وملابس القطن

فضلاً عن قميص طويل ابيض وقلنسوة وثوب خارجي غامق اللون وقبقاب مرتفع وكان ذلك بفضل تأثير الاسلام في الشرق الأفريقي (بولم، صفحة 93).

كانت بلاد الحبشة وممالكها الاسلامية مقصد للتجار من مصر واليمن والعراق حتى أن تلك الممالك كانت عليها قطائع لملك امحرة " من القماش الحرير والكتاب" (العمري، صفحة 32)، وهذا دليل على وجود تلك الانواع من الاقمشة التي اصبحت لباساً لعامة الناس ونتيجة للأثر الاسلامي العربي في تلك البلاد ووصف المقريزي سكان البجة بأنهم " يتزينون بزي العرب"

2-الأطعمة والأشربة

كانت وما زالت المحاصيل الزراعية بأنواعها تمثل الغداء الرئيسي لأغلب سكان المعمورة فسكان بلاد الحبشة الذين يمثلون العدد الاكبر لسكان الشرق الأفريقي كانت معايشهم وطعامهم الاساس يعتمد على الشعير والذرة والدخن والعدس هذا فضلاً عن المدن الساحلية التي كان الصيد بشكل جزءاً أساسياً من طعامهم فضلاً عن لمنتوجات الحيوانية من البان وغيرها لقد ذكر الادريسي بلاد الحبشة قائلاً: " أكثر معايشهم مما تذخره لاقواتها من الشعير والذرة والدخن واللوبيا والعدس... ومن مدن الحبشة الساحلية ميزتها مما يتصيده اهلها من السمك ومن الالبان وسائر الحبوب التي يجلبونها من قراهم" (الادريسي، د.ت، صفحة 43).

لقد ذكر القزويني طعام أهل الحبشة بعد أن وصف بلادهم بالصحراوية قائلاً: " أكثر أراضيهم صحارى لعدم الماء وقلة الأمطار وطعامهم الحنطة والدخن وعندهم الموز والعنب والرمان" (القزويني، صفحة 20).

لم يكن سكان السودان الشرقي على مستوى واحد من المعيشة ونوع الطعام فهناك مدن اخرى ذكرت على انها كانت تقتات على الضفادع والحشرات والقاذورات وهذا ماذكر ابن الوردي في حديثه عن ةأهل مدينة بربر قائلاً: " وبعض أهل بربرة يأكلون الضفدع والحشرات والقاذورات ويتصيدون في البحر عموماً بشباك صغيرة".

لم يكن بعض سكان بربرة وحدهم من يأكل هذا النوع من الطعام فكانت هناك مدن ساحلية أخرى يقتات أهلها على الضفادع والفئران وحيوانات أخرى (الادريسي، د.ت، صفحة 58). يبدو واضحاً أن هؤلاء ليس من المسلمين. انما هم اتباع الديانات غير السماوية وربما صعوبة العيش اجبرتهم على تناول مثل هذه الأنواع من الأطعمة فضلاً عن افتقار بلدانهم للمحاصيل الزراعية انعكس ذلك سلباً على المستوى المعيشي وفي نفس الاطار ذكر القزويني ان طعام أهل الحبشة على الرغم من ذكرة الموز في بلادهم الا أنهم لا يأكلونه هو والدجاج.

من الطبيعي ان يكون الطعام مختلفاً بين طبقات المجتمع فضلاً عن الاختلاف الحاصل بين طعام المدن والارياف فأبن بطوطة عند ذهابه الى السودان الشرقي ونزوله عند سلطان مقديشو وصف الطعام الذي قدم له قائلاً: " وضع الطعام فأكلنا وطعامهم الارز المطبوخ بالسمن يجعلونه في صحفة خشب كبيرة ويجعلون فوقه صحاف الكوشان وهو الادام من دجاج واللحم والحوت والبقول ويطبخون الموز قبل نضجه في اللبن والحليب ... " (بطوطة، صفحة 117) ،وهذا هو طعام الطبقات العليا في المجتمع مع العلم انهم يستخدمون اللبن والليمون والفلفل واطعمة اخرى وتقدم مع الارز على مائدة ومن عاداتهم هو تقديم الطعام ثلاث مرات في اليوم (بطوطة، صفحة 117)، وهذه عادة غالبية السكان.

كان سكان بلاد الحبشة وعلى وجه التحديد مسلموا ممالك الطراز الاسلامي يتكون طعامهم من شحوم البقر والماعز وشرابهم اللبن الذي يستخدم في بعض الاحيان للتداوي فضلاً عن اعتمادهم الكبير على نباتات القمح والشعير والحمص والعدس والذرة والباقلاء الذي يزرع عند نزول الامطار هذا زيادة على تناولهم لحوم الطيور والدجاج حيث ذكرهم العميري قائلاً: " ويأكلون من لحوم الطير والحمام والعصفور وغراب الزرع والدجاج البري والجمل والسمك... " (العمري، صفحة 87). وهذا فضلاً عن الكثير من النباتات التي عرفت بها بلاد الحبشة مع وجود الكثير من الفواكه (المصدر نفسه، الصفحات 98-99).

وذكر المقدسي بأن لديهم الهمة لاتتوفر في بلدان أخرى حيث ذكرهم قائلاً: " ولهم فواكه آخر وأغذية وأطعمة وحشائش لاتوجد عندنا" (محمد ب.، 1980، صفحة 241)

يذكر ان عدد من سكان السودان الشرقي كان غذائهم الرئيسي هو لبن البقر الذي يمزج مع نوع من انواع الفول يسمونه (كوردلا) ثم الذرة التي تؤكل مع لحوم الغزلان والسمك ولتسهيل بلع ذلك الطعام اللزج حيث كانوا يخلعون الاسنان الاربعة السفلى منذ الصغر

بواسطة احدى الحراب التي يصيدون بها السمك ومن أحب الاطعمة لديهم شرب دم الماشية حيث يربطون الثورة ويقومون بقطع احد الاوردة بالحراب لسيل الدم منه في أناء (مراد، المجتمعات الافر يقية، د.ت، صفحة 309).

كان طعام سكان مدينة كلوة الاسلامية يتألف من الارز المطبوخ بالزيت واللحم المشوي والخضراوات وكان متوفر فيها الماشية والماعز والدجاج والسمك والخبز يصنع من دقيق الارز على شكل رغيف مستدير فضلاً عن المحار والبطاطس التي كانت تجلب من الصين (عبدالرحيم، صفحة 153).

لقد عرفت بعض المدن من السودان الشرقي الحبشي ومنذ زمن مبكر بأفتقار أهلها وقلة عيشهم مثل سكان مدينة بربرة (الادريسي، د.ت، صفحة 480) . واستمرت حتى القرون المتأخرة فالرحالة بوركهارت ذكر بأنهم كانوا لا يزرعون الا قليل من الخضراوات كالبصل واللوبيا والبامية واما الفواكه فلا يزرعون منها شيئاً واعتبر النبق البري على انه الفاكهة الحديدة التي نعد غذاءهم الاساسي مع البهائم والقمح لايزرع عندهم.

لم يحدث ذلك الاختلاف في نوع الاطعمة في مجتمع الشرقي الافريقي ففي ايام مملكة الفونج الاسلامية كونهم كانوا يعتمدون على الاطعمة التي تنتج مصلياً ما عدى التوابل التي كانت تستورد من الهند. فمن الاطعمة المعروفة لديهم الخبز والكسوة*، والفطير*، والمطاطيل*، أم رصاد*، القراصنة*، البوسيب* ، الملاح* ، البلية، وغيرها انواع اخرى من الاطعمة التي مثلت مثل الغذاء الاساسي لسكان الشرق الافريقي على امتداد التاريخي.

الخاتمة

بعد توفيق من الله عزوجل في دراستنا لموضوع الحياة الاجتماعية في الأمارة الشيرازية توصلنا في نهاية البحث الى:

1. أن التركيب الاجتماعي للأمارة لشرقي أفريقيا انه قد تعايش فيه جماعات مختلفة الأعراف من فرس ، وهنود، وأفارقة يعيش هذا الخليط في المدن الساحلية ، وفي منطقة القرن الافريقي.
2. كانت الأسرة الحاكمة من التجار ، والزراع ، والجنود من العرب والفرس والهنود المهاجرين.
3. واتضح ان المجتمع انقسم الى عدة طبقات ، أول هذه الطبقات هم اعرب الذين استقروا منذ فجر الاسلام، وطبقة المولدون كانوا هؤلاء هم العنصر السواحيلي.

---

* الكسرة : الخبز المصنوع من الدرة ويرجع اصلها الى العهد المروي . قاسم عون الشريق، قاموس اللهجة العامية في السودان ، القاهرة، 1985.

* الفطير: وهو الخبز الذي يصنع غالباً من دقيق القمح والذرة وهو غير مختمر أي لم يخمر عجينته ومن انواع الفطير المطبق ويصنع من دقيق القمح ويطبخ بالزيت ، الحاج ، لمحات من تاريخ مملكة الفونج ، ص116.

* المطالي: اقراص من الخبز فردها مطالة تصنع من الدقيق المعجون باللبن والروب او الماء وكانت تغطي بالجمر حتى تنضج مختار مظاهر الحياة الاجتماعية في سلطنة الفونج ، ص132.

* أم رصاد: هي الكسرة بالماء ومعناه في شمال ووسط السودان عامة والمقصود انه طعام بسيط يختلف اعداده من مكان الى اخر ففي كردفان تسمى أم رصاع وهي الكسرة الفطيرة بالماء وهي ابسط أتنواع الركل في النبل الأبيض تعني الكسرة الخميرة بملاح الروب الخالي من الزبد الفضلي. د. ضيف الله بن محمد الجعلي، الطبقات في خصوص الاولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان ، ط3، جامعة الخرطوم ، 1985، ص86 ؛ هاني علي ، الحياة الاجتماعية، المصدر السابق، ص189.

* القراصنة : اقراص مستديرة تضع في القالب من الذرة والقمح وتسمى في بعض الاحيان العصارة او سمبوسة وهناك من يصنعها من الدخن تؤكل من لبن البقر الفضلي . الطبقات في خصوص الاولياء والصالحين والعلماء ، ص112؛ الحاج ، لمحات من تاريخ مملكة الفونج ، ص118.

* البوسيب : نوع من الخبر الجاف تختلف هيئة من مكان لآخر وله معان ثلاثة أولاً خبز فطير جاف ثانياً كسرة مخلوطة بالذرؤية المجففة وثالثا الورج يحفظ في برام يقدم للضيوف في ساعات المتأخرة من الليل ويؤكل البوسيب باللبن والماء . الحاج ، لمحات من تاريخ الفونج ، ص118.

* الملاح: وهو الاسم السوداني للطبيخ الذي يؤتدم او يؤكل به الكسرة واللقمة والعصدة ويعد الطبخ من الخضراوات واللحم واللب منفردة او مجتمعة ومن الامثلة ملاح الوكية ، الملوخية (او الخدرة) ورق اللوبيا السبروق ... الخ . الحاج ، لمحات ، ص117 ؛ مختار ، المظاهر الحياة الاجتماعية في سلطنة الفونج ، ص132.

4. اختلاط العرب بالوطنيين الأفريقيين الذي تكلم هذا العنصر اللغة العربية واللهجات الأفريقية وهي السواحيلية ، حيث كان العرب في السواحل الأفريقية يكونون طبقة مميزة تمثل الطبقة الحاكمة السيادة.

5. واتضحت من الدراسة ان الأسلام نجح كدين ، ومنهج للحياة فغي تزويد مجتمع الإمارة في الساحل الشرقي على اختلاف اعرافهم وألوانهم ، وروابط قوية من الاخاء والتجانس الاجتماعي ، فأصبحت الرابطة الدينية هي التي ربطت بين افراد المجتمع الشرقي.

6. تناولت الدراسة بعض العادات والتقاليد التي لها صلة وثيقة في الاسلام وتوطيد العلاقات التجارية ، حيث توطدت العلاقات التجارية وازدهر النشاط الاقتصادي بين المناطق الغربية والمناطق الشرقية .

وهذه بعض الاستنتاجات التي توصلت اليها ، وهناك الكثير منها في ثنايا الرسالة لم نوردها حتى لانثقل خاتمتها والله ولي التوفيق.

المصادر :

ابراهيم. (1964). *افريقيا الارض والناس.*

ابن بطوطة. (بلا تاريخ). *تحفة الانظار في غرائب الامصار.*

ابن حوقل. (بلا تاريخ). *صورة الارض.*

ابن سعيد. (بلا تاريخ). *الجغرافية.*

ابن نقري. (بلا تاريخ). *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.*

ابو ابراهيم بن محمد (367هـ/978م(الاصطخري. (1927). *ممالك الممالك.* ليدن.

ابو الحسن علي (ت 346هـ/ 957م) المسعودي. (د.ت). *مروج الذهب ومعادن الجوهر.* بيروت: المكتبة المصرية.

ابو العباس بن علي (821هـ/1418م) القلقشندي. (1407هـ/ 1978م). *صبح الاعشى في صناعة الانشأ.* بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.

ابو الفداء. (بلا تاريخ). *المختصر في اخبار البشر.*

ابو خشيم. (بلا تاريخ). *الدين والمجتمع الحبشي في عهد الاسرة السليمانية.*

ابو شعيشع. (د.ت). *برنو في عهد الاسرة الكانمية.*

احمد سعيد وفيقة. (2020). *الهجرة الشيرازية الى ساحل شرق افريقيا.* بحث منشور في مجلة (وقائع تاريخية).

الابقاري. (د.ت). *الحضارة الاسلامية في مملكة باقرمي.*

الادريسي. (د.ت). *نزهة المشتاق.*

الحاج. (بلا تاريخ). *السلطة والمجتمع.*

الحسن بن محمد (ت 956هـ) الوزان. (د.ت). *وصف افريقيا .*

الخويلدي. (د.ت). *التأثير العربي الاسمي في شرق افريقيا .*

الدالي. (بلا تاريخ). *قبائل الهوسا دراسة وثائقية.*

الدكو. (بلا تاريخ). *الثقافة الاسلامية في تشاد .*

الشكاط. (د.ت). *وثيقة عقد زواج ابنتها .*

العراقي. (بلا تاريخ). *معالم الحضارة الاسلامية .*

العسيري. (بلا تاريخ). *حياة الاجتماعية في مملكة الكانم.*

العمري. (بلا تاريخ). *مسالك الابصار.*

القزويني. (بلا تاريخ). *آثار البلاد وأخبار العباد.*

المصدر نفسه. (بلا تاريخ).

الملاح. (بلا تاريخ). *التحولات.*

باي بن عمر بن محمد (ت 1282هـ/ 1345م) الكنتي. (د.ت). *مخطوطة النوازل.*

بن احمد (ت 380هـ/990م) محمد . (1980). *احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم*. دمشق: وزارة الثقافة والارشاد القومي.

بهنساوي. (بلا تاريخ). *السلطة والمجتمع الحبشي*.

بولم. (بلا تاريخ). *الحضارة القديمة*.

حسب الله احمد. (1966). *قصة الحضارة في السودان*. القاهرة.

حسن حسن ابراهيم. (1964). *انتشار الاسلام في القارة الافريقية*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

حوراء موسى ادريس. (د.ت). *الوضع الاجتماعي والاقتصادي لسلطنة كانم*. اطروحة دكتوراه غير منشورة .

حياة السيد. (بلا تاريخ). *مملكة كلوة الاسلامية*.

دائرة المعارف الاسلامية. (د.ت). القاهرة: مج 5.

درويش. (بلا تاريخ). *دور المرأة السياسي والحضاري في دولتي مالي وصنغي*.

زكي عبدالرحمن. (1389هـ/1970م). *الاسلام والمسلمون في أفريقيا* . القاهرة.

زناتي. (د.ت). *الاسلام والتقاليد القبلية في افريقيا*.

سعد. (بلا تاريخ). *الحياة الاجتماعية والاقتصادية في السودانالعربي*.

سيد العراقي سر الختم. (1416هـ/ 1995م). *سلطنة كلوة الاسلامية تاريخها وحضارتها 1975هـ/1515م*، . مجلة بيادر ملف ثقات ابداع.

شقرون. (د.ت). *بلاد السودان في كتب الجغرافيين والرحالة العرب والسملمين* .

شمس الدين ابي عبدالله (ت 727هـ) الدمشقي. (1408هـ/ 1988م). *نخبة الدهر في عجائب البر والبحر*. بيروت: دار احياء التراث العربي.

شمس الدين ابي عبدالله (ت727هـ) الدمشقي. (1408هـ/ 1988م). *نخبة الدهر في عجائب البر والبحر*. بيروت: دار احياء التراث العربي.

صورا. (بلا تاريخ). *الصومال الكبير*.

عبدالرحمن بن محمد بن جابر (ت 808هـ/ 1405م) ابن خلدون. (1407هـ/ 1987م). *مقدمة ابن خلدون*. القاهرة: دار المهضة مصر للطبع والنشر.

عبدالرحيم. (بلا تاريخ). *مملكة كلوة الاسلامية*.

لطيف. (بلا تاريخ). *العناصر المغربية في السودان الغربي*.

مجهول. (1405هـ/1985م). *السلوة في اخبار كلوة*. عمان: وزارة الثقافة والارشاد.

محمد بن عمر (ت 1274هـ/ 1857م التونسي. (1965). *تحشيد الاذهاب بسيرة بلاد العرب* . القاهرة: الدار المصرية للنشر والتوزيع.

محمد. (د.ت). *الجذور التاريخية والاجتماعية لمنطقة دنقلا*.

محمد عبدالحليم رجب . (1419هـ/1999م). *العروبة في افريقيا الشرقية*. دار النهضة.

محمد عبدالحليم رجب. (د.ت). *العروبة والاسلام في أفريقيا الشرقية* .

محمد عبدالمنعم الحميري. (1984). *الروض المعطار في خبر الاقطار*. بيروت: مكتبة لبنان.

محمد عوض ابراهيم. (2018). *بلاد التوبة أرض الحضارات* .

محمد نور احمد. (2004). *ذكريات صياد نصف قرن من الزمن بين الغابات والجبال*. الخرطوم: وزارة الثقافة.

مراد. (بلا تاريخ). *المجتمعات الافريقية*.

مراد. (د.ت). *المجتمعات الافر يقية*.

موسى حسن علي. (1981). *الصومال والاسلام*. السودان: رسالة ماجستير غير منوشرة جامعة الخرطوم ، كلية الاداب.

نوال. (بلا تاريخ). *نظم الحكم والادارة في مملكة السلو*.

هاني علي. (بلا تاريخ). *جنوب الصحراء*.

وايدنر دونالدل. (د.ت). *تاريخ الفريقيا جنوب الصحراء*. القاهرة: مؤسسة سجل العرب.

وناس. (بلا تاريخ). *تمبكتو وأثرها في العصور الاسلامية المتأخرة*.

ياسين الحموي. (1935). *الحبشة*. دمشق: مطبعة المصرية.

يوسف نوال حمزة. (1407هـ/ 1987م). *الجهاد الاسلامي في شرق أفريقيا*. السعودية: رسالة دكتوراه غير منشورة.

عفت عنان ودورها الفكري والاجتماعي في تركيا ١٩٠٨-١٩٨٥

م.م. نور عبدالحسن خادم حسين م.م, طارق حامد مجبل

taraq.hamed1996@gmail.com

كلية التربية الأساسية ، جامعة بابل كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة الانبار

الملخص

تعد عفت عنان من أبرز الشخصيات النسائية في تركيا منذ مطلع الجمهورية وبداية تأسيس دولة تركيا الحديثة من قبل مصطفى كمال أتاتورك في عام ١٩٢٣م ، أخذت عفت عنان على عاتقها النهوض بواقع المرأة التركية من خلال إبراز دورها في حرب الاستقلال التركية فضلا عن دور النساء في تأسيس الجمهورية ومساندة الجيش في كافة صنوفه ، وقد أصبحت عفت عنان رائده للنساء اللاتي يعشن في تركيا، عملت أيضًا على مساعدة النساء التركيات في ممارسة حياتهن الطبيعية سواء الاجتماعية أو الثقافية ، ولم تكن عفت عنان وحدها من تبنت فكرة الدفاع عن حقوق المرأة التركية ووضعها الاجتماعي والسياسي والثقافي وإنما ظهرت شخصيات نسائية كان لها الأثر الكبير في تركيا وهي نزيهة محي الدين وغيرها من النساء .

الكلمات المفتاحية: عفت عنان، تركيا، دورها الفكري ، دورها الاجتماعي.

Iffat Anan and her intellectual and social role in Türkiye 1908-1985

Asst. Lect.Noor Abd al Hassan Khadem Asst.Lect Tariq Hamid Mejbil

Abstract

Effat Anan is considered one of the most prominent female figures in Turkey since the beginning of the Republic and the beginning of the founding of the modern state of Turkey by Mustafa Kemal Ataturk in 1923 AD. Effat Anan took it upon herself to advance the status of Turkish women by highlighting their role in the Turkish War of Independence as well as the role of women in establishing the Republic. And supporting the army in all its forms. Effat Anan became a pioneer for women living in Turkey. She also worked to help Turkish women practice their normal lives, whether social or cultural. Effat Anan was not the only one who adopted the idea of defending the rights of Turkish women and their social, political and cultural status, but rather Female figures emerged who had a great impact in Turkey, including Naziha Mohieddin and other women.

Keywords: Iffat Anan, Türkiye, its intellectual role, its social role

المقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: عفت عنان هي شخصية عاشت وشعرت بالأيام الصعبة لحرب البلقان عام 1912في طفولتها . وشهدت نقطة التحول الأكثر أهمية في حياتها عندما التقت بالرئيس مصطفى كمال أتاتورك .حققت عفت عنان، باعتبارها ابنة أتاتورك بالتبني، نجاحًا كبيرًا. وقد طوّرت عفت عنان، التي كلفها أتاتورك بالعمل في مجال التاريخ "الهوية الوطنية التركية" .وقد اتخذت مكانتها في تاريخ الجمهورية التركية من خلال الدور الذي لعبته في أطروحة التاريخ التركي، التي تحدد التأريخ العرقي وتعد مثالاً عليه .عنان، التي عملت أيضا في مجال حقوق المرأة، لم تلعب دورًا نشطًا في حصول المرأة التركية على حقوقها الاجتماعية والسياسية فحسب، بل درست أيضا عملية حصول المرأة التركية على حقوقها كمؤرخة وأنتجت أعمالا حول هذا الموضوع قدرت أكثر من ثلاثين دراسة ما بين كتب ومقالات وغيرها، وكان من أسباب اختيار الموضوع هو التركيز على شخصية عفت عنان التي كانت أبرز من كتب عن حقوق المرأة التركية وأيضا عن سبب كتابتها للتاريخ التركي .وقد قسم البحث إلى مبحثين ، تطرق المبحث الاول الى نشأة عفت عنان وتعليمها الابتدائي والثانوي والجامعي وسفرها إلى خارج تركيا من أجل اكمال مشروعها العلمي ، أما المبحث الثاني فقد تحدث عن كتابات عفت عنان حول المرأة التركية وحقوقها

منذ بداية الإسلام حتى نشأة تركيا الحديثة في عام ١٩٢٣م، حيث لقيت عفت عنان دعم كبير من قبل رئيس الجمهورية التركية مصطفى كمال أتاتورك خلال كتابتها تاريخ تركيا فضلا عن كتابتها عن حقوق المرأة التركية ومكانتها في المجتمع التركي .

المبحث الاول :- النشأة والتعليم

ولدت عائشة عفت عنان في 30 تشرين الاول 1908، في منطقة كيسيندير وكانت "كيسيندير" إحدى مدن سنجق سالونيك في عهد الإمبراطورية العثمانية خلال تلك المدة . كان والدها إسماعيل حقي بك (إسماعيل حقي بك: ولد (17 أبريل 1881 – 28 أبريل 1950)، من شومن. تقع في شمال بلغاريا ، التحق بمدرسة الزراعة، ثم التحق بمدرسة إسطنبول هالكالي الزراعية العليا. تخرج من هذه المدرسة عام 1905 وجاء إلى كيسيندير، مكان عمله الأول، حيث تزوج من شيهزان هانم، تابع إسماعيل حقي بك تعليم أبنائه ودعمهم، دعم لجنة الاتحاد والترقي وشارك في حركات الحرية (MACAR, 2019, pp. 44–46)

من منطقة شومن الواقعة في شمال شرق بلغاريا، يشتغل مفتش غابات،كانت والدتها شيهزان هانم، حفيدة امر الله افندي محافظ دويران ، وكان شقيقها اسمه أحمد ريشات أوزماي (İnan، 2017، صفحة 28) .

بدأت عفت عنان رحلتها عندما كان عمرها أربعين يومًا فقط، وتم تعيين إسماعيل حقي بك لأول مرة في مدينة دويران في سنجق سالونيك، ثم إلى فودينا (إديسا)، ونتيجة لحروب البلقان عام 1912 (هي حرب نشبت بين الدولة العثمانية ودول اتحاد البلقان المكون من بلغاريا وصربيا واليونان والجبل الأسود، اندلعت الحرب في أكتوبر 1912 وانتهت في 30 أيار 1913 بتوقيع معاهدة لندن. أدت الحرب إلى هزيمة الدولة العثمانية وإعلان قيام الدولة الألبانية، للمزيد ينظر (تميم، 2017، صفحة 38) انتهت الهيمنة العثمانية في البلقان واضطر الآلاف من الأتراك الذين يعيشون في البلقان من الهجرة إلى الأناضول. ومن بين إحدى العائلات التي هاجرت إلى الأناضول هي عائلة عفت عنان التي كانت تبلغ من العمر آنذاك اربع سنوات.(ÜNALP, 2017, pp. 95–96)

كانت عائلتها تغيير مكانها باستمرار بسبب مهنة والدها, انتقلت العائلة إلى إنقرة عام 1912 ثم إلى آدابازاري عام 1913، التحقت عفت عنان بالمدرسة. ونتيجة تعيين إسماعيل حقي بك في أنقرة، لم تتمكن من الذهاب إلى المدرسة سوى يوم واحد. انتقلت العائلة إلى أنقرة عام 1913، ثم ذهبت إلى ميهاليجيك وعادت إلى أنقرة عام 1916. ثم إلى بيجا في عام 1917, وكانت تبلغ عشرة سنوات من العمر (Gümüşsoy، 2011، الصفحات 2–3) توفيت والدتها عام 1915 اثر اصابتها بمرض السل واصبحت يتيمة الام (Afeصفحة 9)

كانت جدتها ووالدها مهتمين جدًا في تربيتها لكي تصبح معلمة وبفضل توجيهات والدها المستمرة وتدريبه كمفتش غابات مستنير، في عام 1920 حصلت عفت عنان على شهادة الدراسة الابتدائية بتفوق . (UZUN، 2018)

أنهت دراستها الابتدائية في مدرسة فتيات بورصة في عام 1925 وبدأت العمل في مدرسة ابتدائية في أزامير، قابلت مصطفى كمال أتاتورك (ولد ١٨٨١م في مدينة سلانيك، كان والده موظفاً بسيطاً وفي التاسعة من عمره توفي ولده تولت تربيته أمه، دخل الكلية الحربية وتخرج منها عام ١٩٠٥ برتبة نقيب يوزباشي) والتحق بالقيادة العامة للجيش في اسطنبول عام عام ١٩١١، شارك في حرب البلقان ١٩١٢ – ١٩١٣ ، وشارك في الحرب العالمية الأولى وتقلد عدداً من المناصب العسكرية كان آخرها قائداً للجيش السابع، ثم أصبح مفتشاً عاماً للقوات العثمانية في شرق الأناضول، قاد الحركة الوطنية في تركيا بع احتلال الحلفاء لها على أثر انهيار الدولة العثمانية، وتمكن من تحرير الأراضي التركية وأسس جمهورية تركيا الحديثة عام ١٩٢٣ وأصبح أول رئيس لها حتى وفاته عام ١٩٣٨) (مجبل، 2023، صفحة 15) : للمزيد من التفاصيل ينظر (العبيدي، 2010، صفحة 18) ، (الزين، 1982، الصفحات 9– 11) في نفس العام خلال زيارته لأزامير (ÜNALP، 2017، صفحة 33).

جاء مصطفى كمال إلى إزمير في 11 تشرين الأول 1925 لتلبية دعوة من المعلمين ، عندما علم مصطفى كمال أن والدة عفت عنان من دويران، زاد أسئلته إلى عفت عنان وذكر أخيرًا أن عم عائشة هانم (جد عفت عنان) أنقذه من موقف صعب في دويران. على الرغم من أنه ليس من الواضح ما هو الخطر الذي واجهه مصطفى كمال في هذه المنطقة قبل الملكية الدستورية (İnan، 2017، صفحة 101).

كان هذا الاجتماع مع (مصطفى كمال في عام ١٩٢٥) أهم نقطة تحول في حياتها ، عندما كانت فتاة صغيرة تبلغ من العمر سبعة عشر عامًا. وبفضل هذا اللقاء، قد تطورت حياتها في اتجاه مختلف تمامًا. واصلت عفت عنان ، وهي معلمة عادية، حياتها

باعتبارها الابنة المتبناة للرئيس مصطفى كمال ، لم تتوقف عفت عنان عن العمل حتى نهاية حياتها، حققت نجاحاً كبيراً بفضل سماح أتاتورك ودعمه لمواصلة تعليمها، ذهبت إلى لوزان وتعلمت القراءة والكتابة باللغة الفرنسية بالإضافة إلى العديد من الدروس الأخرى. وحظيت بشرف السفر إلى العديد من الدول الأوروبية في سن السابعة والعشرين (UZUN، 2018، الصفحات 10-13).

عملت في مجال حقوق المرأة في عام 1930 عقد أول مؤتمر لها في جمعية الموقد التركي حول الحقوق الانتخابية للمرأة التركية لكن تم اغلاق الجمعية عام 1931وتم تغيير اسمها في نفس العام الى جمعية الفحص التاريخ التركي،وفي عام 1935 تغيير اسمها الى الجمعية التاريخية التركية، وتم تعيينها نائباً لرئيس المؤسسة (الجبوري، 2023، صفحة 132)؛ (ÇETİNKAYA، 2022، صفحة 348).

اكملت تعليمها عفت عنان بقسم التاريخ المعاصر والحديث بكلية العلوم الاجتماعية والاقتصادية بجامعة جنيف ، في تموز 1938 تخرجت بعد تقديم اطروحتها بعنوان التاريخ الاقتصادي للعصر التركي العثماني ،ثم حصلت على درجة الدكتوراه في تموز 1939في قسم علم الاجتماع بنفس الجامعة اجتيازت امتحان الأساتذة المشترك عام 1942 واصبحت بروفيسورة عام 1950 (الجبوري، 2023، صفحة 132)

صدر كتابها عن حقوق المرأة التركية باللغة الانكليزية والفرنسية من قبل اليونسكو وذلك في عام ١٩٦٢، أذ ترجم ذلك الكتاب إلى تسع لغات اجنبية حول العالم ، وفي عام 1940، تزوجت من رفعت عنان دكتور امراض النساء والتوليد وولدت ابنتها آراي وأبنها دمير (الجبوري، 2023، صفحة 132)

وفاتها :- توفيت عفت عنان في ٨ حزيران ١٩٨٥ عن عمر بلغ أكثر من ٧٦ عاما وذلك في العاصمة التركية أنقرة. (الجبوري، 2023، صفحة 132)

المبحث الثاني: عفت عنان ودورها الفكري والاجتماعي في تركيا:

كانت حقوق وواجبات المرأة التركية من أهم القضايا في حياة عفت عنان العملية .وبحسب مذكرات عنان، فقد كانت مهتمة بحقوق المرأة التركية ، والمرأة قبل أن يوجهها أتاتورك إلى دراسات التاريخ كانت مهتمة (بتمثيل النساء التركيات في المجتمع) بتمثيلهم الأكبر في المجتمع ، فكرت في العمل على قضية المرأة التركية. (İnan، 2017، الصفحات 107-109)

ولهذا السبب، بالإضافة إلى دراساتها التاريخية، ركزت دائما على الحقوق والأوضاع الاجتماعية والسياسية للنساء،التركيات ، كان أول مؤتمر لها في الجامعة التركية الذي أكد على حق المرأة في التصويت .أحد التعليقات الأكثر لفتًا للانتباه على شخصية عفت عنان وتأثيره يعود إلى سانجار .وفقًا لسانجار، كانت عفت عنان "نموذجًا يحتذى به "من إنتاج الدولة، وكانت فعالة لأنها كانت مدعومة بـ "إرادة الذكور ."ومن ناحية أخرى، ذكرت دوراك باشا أن عفت عنان كانت تعمل دائمًا على مكافحة وجهات النظر ضد حقوق المرأة و المشاركة في المجال العام والسياسي، لكنها كتبت في مذكراتها عن حصول المرأة على حقوقها، وذكرت أنها تحاول إظهار ما لديها من حصة مهمة في هذه العملية (Ayşe Durakbaşa، 2014، صفحة 147).

جذبت عفت عنان الانتباه بخطبها ومؤتمراتها خلال المؤتمر الدولي السابع عشر للأنثروبولوجيا وآثار ما قبل التاريخ، حيث كانت المشاركة الوحيدة من الإناث هي عفت عنان. وقد أجرت صحيفة يونيفيرسول مقابلة مع عفت عنان، وبالإضافة إلى تقديم عنان على أنها ابنة أتاتورك بالتبني وباحثة مخلصة، ذكرت أنها كانت واحدة من أشد العاملين في مجال حقوق المرأة؛ ومع ذلك، أكدت أن كل هذا لم يجعل عفت عنان مختلفًا كثيرًا عن "النساء الأخريات في البلاد "اللاتي عملن على تأسيس الحياة الحديثة في تركيا (Afeصفحة 35؛ Afetinan، Atatürk ve Türk Kadın Haklarının Kazanılması: Tarih Boyunca Türk Kadınının Hak ve Görevleri، 1975).

عندما يتم فحص أعمال إينان حول حقوق المرأة، يمكن استخلاص الاستنتاجين الأساسيين التاليين فيما يتعلق حول جودة الدراسات :أولاً، تم إعداد عمل عفت عنان من منظور قومي وليس من منظور نسوي .ثانيًا، بينما كانت عنان تعمل في مجال حقوق المرأة، لم تصعد إلى الواجهة من خلال نضالها من أجل الحصول على حقوق المرأة، ولكن من خلال كتابة التاريخ الوطني للمرأة التركية .في حين أن أهم أعمال عنان في كتابة تاريخ المرأة التركية هو كتابها الذي يحمل عنوان " أتاتورك واكتساب حقوق المرأة التركية : حقوق وواجبات المرأة التركية عبر التاريخ "، فقد كتبت أيضًا مقالات عديدة وعقدت مؤتمرات وندوات مختلفة حول هذا

الموضوع (Afetinan، Atatürk ve Türk Kadın Haklarının Kazanılması: Tarih Boyunca Türk Kadınının Hak ve Görevleri، 1975، صفحة 5)

بشكل عام، نرى أن موضوعين رئيسيين يبرزان إلى الواجهة في أعمال عفت عنان النسائية، أحدهما الحقوق المكتسبة خلال فترة الجمهورية، والآخر هو تاريخ هذه الحقوق وتاريخ حقوق المرأة التركية .في كتابها، حقوق وواجبات المرأة التركية عبر التاريخ، والذي يعد أعظم أعمالها حول حقوق المرأة، درست عنان المرأة التركية في الفترات التالية :المرأة التركية قبل الإسلام، والمرأة التركية ما بعد الإسلام، والمرأة التركية في العصر العثماني والمرأة التركية في الفترة الجمهورية (Afetinan, Atatürk ve Türk Kadın Haklarının Kazanılması: Tarih Boyunca Türk Kadınının Hak ve Görevleri, 1975, p. 5)

المرأة التركية قبل الإسلام :

في الكتاب، الذي كتبته في الستينيات، أثناء دراسة الوضع الاجتماعي والسياسي للمرأة التركية قبل ظهور الإسلام، نظرت عنان أيضًا إلى الحيثيين، وبالتالي دعمت ادعاء الملكية الأولى للأناضول من خلال النساء، وهي الأطروحة التاريخية التي قالها ساهمت أيضًا في إنشاء عنان والحثيين والأناضول .وبغض النظر عن مسألة الملكية الأولية للبلاد، فإنها تميل أيضًا إلى استخدام قضايا المرأة وحقوق المرأة أيديولوجياً وفي مقال آخر، استخدمت عنان وضع المرأة والأساطير معًا لمناقشة المطالبة بالملكية الأولى للأناضول بحجة أن أسطورة الأمازون يمكن أن تنشأ في الأناضول، حيث عاشت مجتمعات مثل الحثيين، و كانت المرأة تعتبر مساوية للرجل من حيث العمل والحقوق، ادعت عنان أن آريس، والد الأمازون في الأساطير، كان في تراقيا و أن الأساطير كانت متسقة مع الهجرات التركية في هذا الصدد .ووفقا له، ليس من قبيل الصدفة أن يدخل البيشنك الأناضول بهذه الطريقة (Afetinan، Atatürk ve Türk Kadın Haklarının Kazanılması: Tarih Boyunca Türk Kadınının Hak ve Görevleri، 1975، صفحة 120)

بحثت عنان عن العصر الذهبي للمرأة التركية في المجتمع التركي قبل الإسلام .وتناقش في دراستها أن المرأة في المجتمعات التركية ما قبل الإسلام كانت تتمتع بالعديد من الحقوق والحريات على المستوى الاقتصادي والتجاري والقانوني وحتى السياسي .على سبيل المثال، توضح عنان أنه في الحثيين، كان بإمكان النساء إصدار سندات إذنية، وإدارة الأعمال التجارية نيابة عن أزواجهن التجار، وأن الأسرة تأسست على أساس الزواج الأحادي . (Afetinan, Atatürk ve Türk Kadın Haklarının Kazanılması: Tarih Boyunca Türk Kadınının Hak ve Görevleri, 1975, p. 120)

خلال هذه المدة، التي كانت عصرًا ذهبيًا، كانت المرأة التركية كانوا ناشطين سياسيا .وفقًا لعنان، كان أحد المصادر التي استخدمها كثيرًا لانتقاد العصر والعقلية العثمانية هو الافتقار إلى الأمان في الزواج الطلاق، فالعصر الحثي كان متقدماً مقارنة بالعصر العثماني في هذا المجال؛ لأن الزواج عند الحيثيين كان مقيدًا بالقانون، وتحدد قواعده .أعطت عنان عشرة مواد قانونية أعدت حول هذا الموضوع في ذلك الوقت .بما في ذلك السومريين في المجتمعات التركية ما قبل الإسلام، تلفت عنان اهتماما خاصا إلى وضع المرأة في الأسرة عند السومريين، والمرأة التركية، التي كانت المنتجة عند السومريين كما عند الحثيين، شاركت في زواج أطفالها كأم، ويشير إلى) انها إذا لم توافق فلن يتم الزواج (Afetinan, Atatürk ve Türk Kadın Haklarının Kazanılması: Tarih Boyunca Türk Kadınının Hak ve Görevleri, 1975, p. 12) ، وهكذا في رأي عفت عنان، فإن فترة ما قبل الإسلام هي العصر الذهبي للمرأة التركية من حيث وضعها الاجتماعي والثقافي والوضع السياسي في التاريخ .تم تصور المرأة التركية، التي كانت محور منزلها وعائلتها عبر التاريخ، على أنها منتجة وتاجرة ومحاربة وأبطال ومؤثرة وناشطة سياسي في فترة ما قبل الإسلام عفت عنان ليس وحدها في هذه الآراء (Afetinan، Atatürk ve Türk Kadın Haklarının Kazanılması: Tarih Boyunca Türk Kadınının Hak ve Görevleri، 1975، صفحة 12)

المرأة التركية في العصر الإسلامي:

تتم مناقشة المرحلة الرئيسية الثانية في تاريخ المرأة التركية على أنها الفترة التي تلت تبني الإسلام .وذكرت عنان أن الأحكام التي فرضها الإسلام قد حسنت وضع المرأة مقارنة بأوضاع المرأة في المجتمع العربي ما قبل الإسلام، إلا أنه عندما نظرت إلى الأمر من منظور حقوق المرأة التركية ووضعها الاجتماعي، قالت: على أساس أن طاعة المرأة المطلقة للرجل مطلوبة في الإسلام والتزامات مثل

الحجاب، فهو يقترب من الفترة الإسلامية بشكل أكثر سلبية ومع ذلك، على الرغم من كل الأمثلة التي قدمتها، تتجنب عنان اتخاذ موقف مباشر ضد الإسلام (Afetinan، Atatürk ve Türk Kadın Haklarının Kazanılması: Tarih Boyunca Türk Kadınının Hak ve Görevleri، 1975، صفحة 30).

حاولت عفت عنان إظهار تراجع مكانة المرأة في الإسلام في ضوء الاقتباسات الطويلة من كوتادغو بيليج .وبناء على ذلك، في كوتادغو بيليج، فإن "فتاة المنزل التي لم يمسها أحد ولم ير وجهها أحد "مقبولة للزواج .في الواقع، وفقًا لهذا العمل، أصبحت الطفلة الآن غير مرغوب فيها .تقتبس عنان الجملة التالية حول هذا الموضوع" :سيكون من الأفضل لو لم تولد الفتاة، إذا ولدت ولم تعيش ." عنان التي حاولت الكشف عن التحول الاجتماعي الذي شهده المجتمع التركي بعد الإسلام من خلال كوتادغو بيليج، وجد في نفس العمل علامات على أن حقيقة أن المرأة لم تعد تغطي نفسها تسبب مشاكل (Afetinan، Atatürk ve Türk Kadın Haklarının Kazanılması: Tarih Boyunca Türk Kadınının Hak ve Görevleri، 1975، صفحة 35).

ركزت عنان على أمثلة من بيئة القصر فيما يتعلق بحقوق المرأة وتاريخ المرأة التركية، مستشهدًا في الغالب بنساء القصر أو النساء المتميزات اللاتي لهن مكانة مؤثرة في المجتمع .وذكرت أسماء العديد من النساء، خاصة من العصر السلجوقي .من خلال التركيز على صفات هذه الأسماء، فإن الهدف هو إظهار ما يمكن أن تكون عليه المرأة التركية في التاريخ، بالإضافة إلى الإشارة إلى ما يمكن أن تكون عليه في ذلك الوقت وفي المستقبل .وذكر أسماء زوجة طغرل بك، ألتون كان خاتون، وأخت ألب أرسلان، جوهر خاتون، وزوجة مليكشاه، تيركن خاتون، وقالت عنان إنه من خلال هؤلاء النساء، كانت المرأة التركية متدينة، وخيرية، وذكية، وحازمة، ومضحية بالإضافة إلى ذلك، فإن النساء اللاتي أصبحن "متمردات "مثل جوهر خاتون والنساء اللاتي أصبحن زوجات مباشرات للسلطان وناضلن لجعل أبنائهن سلاطين، مثل زوجة مليكشاه، تيركن خاتون، أظهرن لعنان أن المرأة التركية لعبت أيضًا دورًا نشطًا سياسيًا في التاريخ .وكما يظهر مثال تيركين خاتون، فإن المرأة لها رأي حتى داخل الأسرة الحاكمة .بالإضافة إلى هؤلاء، هناك أيضًا نساء "عالمات "يتمتعن بمعرفة واحترام واسعين في علم الفلك، مثل منجم خاتون، أو نساء يمكنهن كتابة القصائد الفارسية، مثل أرجوفان خاتون. (Afetinan، Atatürk ve Türk Kadın Haklarının Kazanılması: Tarih Boyunca Türk Kadınının Hak ve Görevleri، 1975، الصفحات 38-40)

ذكرت عنان، التي درست حقوق المرأة التركية ومكانتها الاجتماعية عبر التاريخ من أقدم المجتمعات التركية إلى السلاجقة، أنه فقط مع قبول الإسلام في هذه الفترة، كانت حدود المرأة محدودة من الناحية النظرية .وقد طور فكرة أنه لا يوجد كانت القيود، ولكن تم التغلب على هذا القيد في الممارسة العملية بفضل الالتزام بالعادات التركية .كما في أطروحة التاريخ التركي، فقد حددت في تاريخ المرأة التركية نقطة تحول مهمة في رحلة العرق التركي من العصر الذهبي إلى الفترة الجمهورية، وهي الفترة التي لوحظ فيها الفساد، هذه الفترة هي فترة الإمبراطورية العثمانية و في سعيهم للتخلص من إرث الإمبراطورية، وجه الموظفون الجمهوريون أعينهم إلى الماضي البعيد والجغرافيا الأوسع في دراساتهم التاريخية من أجل إظهار الانفصال عن الماضي القريب (Afetinan، Atatürk ve Türk Kadın Haklarının Kazanılması: Tarih Boyunca Türk Kadınının Hak ve Görevleri، 1975، صفحة 57)

المرأة التركية في العهد العثماني :

وبحسب إينان، التي تتناول القضية من منظور حقوق المرأة، عاشت المرأة في المرحلة الأولى من الإمبراطورية العثمانية حياة منفتحة ونشيطة، تمامًا كما كان الحال في العصر السلجوقي .وقد قبلت عنان أن العامل الذي يميز فترة الإمبراطورية العثمانية عن غيرها من الفترات في فترة ما بعد الإسلام،هو أن سبب الانحدار الاجتماعي للمرأة التركية في الدولة العثمانية هو النفوذ البيزنطي والفارسي، ورأت أن دخول الحياة المنغلقة وممارسة الحريم إلى الإمبراطورية من خلال هذين المصدرين. (Afetinan، Atatürk ve Türk Kadın Haklarının Kazanılması: Tarih Boyunca Türk Kadınının Hak ve Görevleri، 1975، صفحة 57)

وهكذا، لا تظهر الهوية التركية ولا الإسلام نفسه كعائق أمام الوضع الاجتماعي للمرأة التركية .وكانت المشكلة هي الابتعاد عن العادات والثقافة التركية والنفوذ البيزنطي، خاصة بعد فتح إسطنبول١٤٥٣ .وذكرت عنان، التي تولي أهمية لملابس النساء التركيات عبر التاريخ، ففي العصور الأولى للإسلام، كان واجب تغطية الرأس يقتصر فقط على تغطية الرأس أثناء الصلاة، كما تم تضمين الحجاب واليشمك في الحياة العثمانية لاحقًا .هذا النمط من الملابس، الذي يأتي من فارس وبيزنطة، لم يُشاهد في النساء الأتراك

الأوائل في الأناضول (Afetinan، Atatürk ve Türk Kadın Haklarının Kazanılması: Tarih Boyunca Türk Kadınının Hak ve Görevleri، 1975، صفحة 60)

تُظهر عنان أنه نتيجة لتأثير ثقافتين أجنبيتين، بدأت المرأة التركية تعيش حياة مغلقة لأول مرة وقت في التاريخ خلال الفترة العثمانية .حتى الإمبراطورية العثمانية، لم يكن لدى النساء مثل هذه الحياة المنغلقة ولم تكن ممارسة الحريم موجودة .في هذه الفترة، سلطة المنزل تعود للرجل، أما الإدارة فهي ملك للمرأة .ولا يوجد مبدأ المساواة بين الجنسين في الميراث .وكانت شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد .للرجل الحق في الطلاق متى أراد، وليس للمرأة حق أو أي شيء يمكنها أن تفعله حيال ذلك (Afetinan، Atatürk ve Türk Kadın Haklarının Kazanılması، Tarih Boyunca Türk Kadınının Hak ve Görevleri: 1975، الصفحات 61-62) .

تتحدث عنان في دراستها عن النساء اللاتي قاتلن إلى جانب رجالهن، اللاتي لم يكن مغطيات بالكامل، وكان لهن الحق في أن يكون لهن رأي .في بعض جوانب إدارة الأسرة، من كان لديه ختم على الاتفاقيات الرسمية، من يمكنه إصدار الأوامر وتنفيذها، والذي يمكنه حتى الزواج من أكثر من رجل واحد؛ لقد أعطت تاريخ التحول إلى امرأة لم تستطع مغادرة منزلها مع "رجلها"، وعاشت وماتت في بيئة ضيقة للغاية، وعاشت حياة منغلقة مرتبطة تمامًا بالمنزل، وكان لا بد من تغطيتها بالكامل .ويظهر هذا التحول في السرد على شكل تراجع مفاجئ وحاد .عفت عنان، التي قالت إن النساء في الإمبراطورية العثمانية من القرن الخامس عشر إلى القرن التاسع عشر لم يكن لديهن حياة اجتماعية وفكرية خارج الأسرة، قسم النساء العثمانيات إلى قسمين :نساء القصر والمدينة ونساء الفلاحات والبلدات، وذكرت أن امرأة القصر تتمتع بشخصية مثيرة للاهتمام تتماشى مع طموحاتها السياسية، وكتب أن القصور الغنية تدمر الحياة الأسرية بتقليدها؛ وزعم أن المرأة التي يمكنها ويجب عليها أن تمثل المرأة التركية هي امرأة القرية والبلدة وهي منتجة ولها حصة مهمة في العمل الزراعي .وبما أن المرأة القروية تعمل في الحقول، كأحد متطلبات هذه الحياة، فإنها لا تتستر بالكامل كامرأة المدينة ولا تهرب من الرجال .وفقًا لعنان، حافظت نساء اليوروك على تقاليد آسيا الوسطى على قيد الحياة ولعبت دورًا واقعيا من خلال ركوب الخيل وحماية الأسرة .وفقًا لعنان، في القرنين الخامس عشر والتاسع عشر .وبين القرون لم يكن للمرأة حياة فكرية .وفقا لعنان، التي أظهرت أن النساء العثمانيات طالبن بشكل خاص بحقوقهن الاجتماعية في القرن التاسع عشر، كان هذا القرن هو البداية من صحوة المرأة التركية (Afetinan، Atatürk ve Türk Kadın Haklarının Kazanılması: Tarih Boyunca Türk Kadınının Hak ve Görevleri، 1975، صفحة 70) .

فإن جريدة هانملارا محسوس، التي كان لها مكانة مهمة في نضال المرأة العثمانية من أجل حقوقها، لم يكن لها مساحة كبيرة في أعمال إينان مثل كوتادغو بيليج، ورحلة ابن بطوطة، وحتى قصص نصر الدين خوجا، ولم يتم استخدامها كمصدر . .إحدى النساء اللاتي خضعن للرقابة في أعمال عفت عنان هي خالدة أديب هانم .ومع ذلك، فإن وضع خالدة أديب يختلف عن النساء العثمانيات الأخريات، فقد لعبت أدوارًا مهمة خلال فترة الإمبراطورية العثمانية وأثناء فترات حرب الاستقلال والجمهورية .أسست خالدة أديب هانم جمعية تيالي نيسفان عام 1909، والتي "هدفت إلى زيادة معرفة وثقافة المرأة "وعملت على تحسين الوضع الاجتماعي للمرأة خلال العصر العثمانية (Afetinan، Türkiye Cumhuriyeti ve Türk Devrimi، 1991، صفحة 47).

المرأة التركية في العصر الجمهوري :

أعمال عفت عنان خلال الفترة الجمهورية، وهي المرحلة الأخيرة من تاريخ المرأة التركية، هي بالطبع أعلى فترة بالنسبة للمرأة التركية .حاولت عنان، التي كانت قوميًا وكماليًا قبل كل شيء، تأكيد وتمجيد الفترة الكمالية طوال حياتها في جميع مجالات عمله . ترى عنان أن فترة أتاتورك هي الفترة الأكثر سامية التي تم فيها تحقيق أعظم تقدم للمرأة التركية .وتحاول بأن المرأة التركية اكتسبت الحقوق خلال هذه الفترة ووصلت إلى "المكانة المتفوقة "في هذا الصدد، قسم عنان الحقوق الممنوحة للمرأة في فترة الجمهورية إلى قسمين" :القانون المدني)والقانون المدني (والقانون العام الحقوق السياسية (Afetinan، Türkiye Cumhuriyeti ve Türk Devrimi، 1991، صفحة 50).

وفقًا لعفت عنان مع القانون المدني الذي دخل حيز التنفيذ في عام 1926، "حصلت المرأة التركية على العديد من حقوقها الأساسية على أعلى مستوى (Afetinan، Türkiye Cumhuriyeti ve Türk Devrimi، 1991، صفحة 165).

أعطى القانون المدني للرجال دورًا أكبر، لاسيما عندما تنظيم الحياة الأسرية .وبموجب هذا القانون فإن الرجل هو رب الأسرة وبالتالي عليه مسؤوليات كثيرة .ومع ذلك، تقول عنان أن المرأة عامل مهم للغاية في ضمان وحدة الأسرة .وبحسب القانون فإن الرجل يمثل وحدة الأسرة .عمل المرأة يعتمد على موافقة الرجل .إذا أرادت المرأة العمل رغماً عن زوجها، فإنها تحتاج إلى أمر من المحكمة . وعلى الرغم من كل هذه النقاط الإشكالية وأوجه القصور، فإن عفت عنان تتبنى القانون وما يجلبه .وعلى الرغم من أن المرأة لا تزال محرومة من حقوقها السياسية، إلا أنها حصلت على فوائد قانونية بفضل القانون المدني .أثناء تفسير القانون المدني، كتبت عنان أن المرأة "تتمتع بشخصية مدنية "بهذه الطريقة (Afetinan، Türkiye Cumhuriyeti ve Türk Devrimi، 1991، صفحة 169).

,لم يتم فصل الشخصية التي أعطاها القانون المدني للمرأة عن "مؤهلات الزوجة والأم ."ما يجعل الفترة الجمهورية أكثر أهمية في نظر عنان من حيث حقوق المرأة هو أن المرأة استعادت حقوقها السياسية وتم الإعلان عن ذلك لقد تمكنوا مرة أخرى من إظهار النشاط السياسي الذي أظهروه منذ أقدم العصور (Afetinan، Türkiye Cumhuriyeti ve Türk Devrimi، 1991، صفحة 165). أجرت عنان انتخابات في الصفوف التي يدرسها، وفقا لقانون البلدية، وفي نهاية هذه العملية الانتخابية، اعترض أحد الطلاب على إينان، مبينا أن المرأة ليس لها الحق في التصويت والترشح وفقا للنظام الحالي قانون .شرحت عنان الضيق والحزن الذي شعرت به بسبب هذا الحادث لأتاتورك، وبمناسبة هذا الحدث، مُنحت المرأة حق التصويت في الانتخابات البلدية في 3أبريل 1930ولم يتم منح المرأة في تركيا حتى عام 1934منحه الحق العام في التصويت والترشح.وبحسب سنجار، هناك وجهتا نظر تفسران سبب حصول المرأة على حق التصويت والترشح في عام 1934بدلاً من عام .1924وبحسب سنجار، فإن الرأي الأول كان أيضاً بمثابة شرعية في حد ذاته .ووفقاً لهذا الرأي، الذي دافعت عنه عفت عنان أيضاً، فإن الجو السائد، وخاصة في مجلس الأمة الكبير عام 1924، لم يكن في وضع يسمح له بقبول حصول المرأة على حقوقها السياسية .ولذلك، أولا وقبل كل شيء، يجب أن يكون البرلمان والجمهور على استعداد لمنح الحقوق السياسية للمرأة .ووفقاً لوجهة النظر الثانية الأكثر انتقاداً، فإن الإدارة، التي رفضت مطالب حقوق المرأة في العشرينيات من القرن الماضي، قبلت هذه الحقوق لإظهار أن تركيا كانت تقف إلى جانب الديمقراطيات الليبرالية ضد الفاشية المتزايدة، حيث أصبحت السياسة الدولية متوترة بشكل متزايد في الثلاثينيات . .من ناحية أخرى، قال سانجار إنه بما أن النظام الكمالي قد اتخذ طابعًا استبداديًا مغلقًا بحلول عام 1934، فإن اكتساب الحقوق لا يمكن اعتباره تحسنًا في وضع المرأة .ومن الواضح أنه لم تكن هناك أجواء في البرلمان في عام 1924للموافقة على حقوق المرأة في التصويت والترشح للانتخابات (Afetinan، Cumhuriyetin Ellinci Yılında Köylerimiz ,"öylerimizde Türk Kadını، 1978، صفحة 83).

أدى عمل عنان والجهود المماثلة إلى ضمان تتريك المرأة حتى عام .1934يذكر في مذكرات عنان أنه على الرغم من أن (Afetinan، Cumhuriyetin Ellinci Yılında Köylerimiz ,"öylerimizde Türk Kadını، 1978، صفحة 65)

.أتاتورك ودائرته كانوا يناقشون الاعتراف بحق المرأة في الانتخاب والترشح لعضوية البرلمان منذ عام 1930، إلا أنه تم تأجيله حتى عام 1934بسبب الأحداث السياسية في تلك الفترة .وأوضحت عنان في مذكراتها أيضًا كيف علمت أنه سيتم اتخاذ قرار منح المرأة حق الاقتراع العام .وبناءً على ذلك، في إحدى ليالي عام 1934، جاء أتاتورك إلى مكتبة عنان مع عصمت إينونو (سياسي وعسكري ورجل دولة تركي، ولد في أزمير، في 24 سبتمبر 1884 ، وأصله من بيتليس، في شرقي تركيا وهو كردي الأصل رفيق أتاتورك في تأسيس الجمهورية التركية. أكمل تعليمه العسكري عام 1906، وكافح من أجل استقلال تركيا. شارك في صد القوات اليونانية، التي غزت تركيا، عام 1921. ومثل تركيا في توقيع معاهدة لوزان عام 1923، وتولى رئاسة أركان الجيش التركي، خلال الفترة من 1920 إلى 1922. ومع قيام الجمهورية التركية، أصبح إينونو رئيساً للوزراء، وذلك من عام 1923 وحتى عام 1924. واختير للمنصب نفسه، من عام 1925 وحتى عام 1937، وذلك أثناء فترة رئاسة مصطفى كمال أتاتورك. ثم انتخب عام 1938 ، رئيساً للجمهورية، بعد وفاة أتاتورك حتى عام ١٩٥٠ (ياسين، 2006، صفحة 14).

وطلب من عنان تقبيل يد عصمت إينونو وأن الحكومة ستقدم اقتراحًا بشأن حق المرأة في التصويت في الانتخابات البرلمانية . وبالنظر إلى هذه الرواية، حقوق المرأة في الاقتراع العام تم محو نضالات المرأة والنساء أنفسهن في عملية الفوز بالبلاد، وتم تسليط الضوء على الدولة في شخصيات أتاتورك وإينونو .ومن الأمثلة الجيدة على هذا التفسير الرسمي لقضية المرأة، الذي صاغته امرأة، ما

قالته عنان في الاجتماع الذي نظمته معلمات مدرسة أنقرة الثانوية للبنات عند حصول المرأة على حق الاقتراع العام" :لذلك، نحن نساء فينيكس بحاجة إلى التعبير عن ولائنا والامتنان لمجلس الأمة الكبير (UZUN، 2018، صفحة 116).

أرادت عنان استخدام سنوات الحرب لتبرير غياب النضال، إلى جانب تأثير المنظور القومي عنان، التي كانت تبحث عن أساس يضفي الشرعية على المرأة التركية، التي لم تناضل مثل المرأة البريطانية، للحصول على حقوقها، وجد هذا الأساس في حرب الاستقلال .إن النساء التركيات، اللاتي قاتلن إلى جانب الرجال في الحرب وأنقذن الوطن، يتحملن بطبيعة الحال مسؤولية النظام الجمهوري الذي أسسنه مع الرجال .وفي هذا الصدد، تحل تجربة حرب الاستقلال في عفت عنان محل غياب النضال من أجل حقوق المرأة .إن حرب الاستقلال ليست مجرد موضوع مهم بالنسبة لعفت عنان في ذلك الوقت، عندما تم الاعتراف بحقوق المرأة، انتشرت فكرة مشاركة المرأة في الدفاع عن الوطن مع الرجل في حرب الاستقلال وبالتالي يجب أن تحصل على حقوقها .في اقتراح القانون الذي أعطى المرأة الحق في التصويت والترشح في الانتخابات البرلمانية عام 1934، جعل رئيس الوزراء إينونو نفس الحجة أساسًا رسميًا عندما ذكر أن المرأة التركية نجحت في اجتياز الامتحان من خلال النضال من أجل تحرير الشعب .جنبا إلى جنب مع الرجال في حرب الاستقلال (Afetinan، öylerimizde Türk Kadını ,"Cumhuriyetin Ellinci Yılında Köylerimiz، 1978، صفحة 65) .

وبحسب الخبر الذي نشرته صحيفة الزمان بتاريخ 18كانون الأول 1934، فإن ربع النساء اللاتي سيتم انتخابهن سيتم اختيارهن من "النساء ذوات الخبرة والمستنيرات والمعروفات بعلمهن وحكمتهن"، في حين أن الثلاثة أرباع المتبقية ستكون من القرويون الذين "شاركوا بالفعل في الحرب في حرب الاستقلال، حتى أنهم حملوا الذخيرة على ظهورهم وحصلوا على الأوسمة (Zaman Gazetesi, 18 Aralık 1934).

كان تأثير حرب الاستقلال عظيمًا جدًا لدرجة أن النساء اللواتي يناضلن من أجل حقوق المرأة لم يحاولن إثبات أنه ينبغي للمرأة أن يحصلون على حقوقهم السياسية بكونهم بشراً، كما فعلت نساء الحركة النسوية الأولى في أوروبا .ولا يبدو أن المرأة التي شاركت في الدفاع عن الوطن مع الرجل خلال الحرب ودفعت ثمن قيام الدولة الجديدة، بحاجة إلى موارد أخرى أو أسس أخرى للحصول على جنسيتها وحقوقها السياسية .تركز عفت عنان بشكل خاص على هذا .وترتكز أهمية حصول المرأة على حقوقها، بتفسيره القومي، على مقولة أتاتورك" :إذا لم تسير اللجنة الاجتماعية نحو نفس الهدف بكل نسائها ورجالها، فليس هناك إمكانية علمية أو إمكانية علمية لها أن تفعل ذلك ."يرتكز فكر عنان على أهمية حصول المرأة على حقوقها (Afetinan، üyük ‘Nutuk’ta Atatürk’ün Gençliğe، 1966، صفحة 517).

وكما يمكن أن نرى، لم يتم إعداد أعمال عنان النسائية من منظور نسوي، ولكن من منظور قومي .وفقًا لأحد التفسيرات، فإن عنان، التي تمثل نموذج المرأة المثالي الذي أنشأته الجمهورية، عملت على اكتساب حقوق المرأة منذ العصور الأولى، ولكنها عملت أيضًا على هذه القضية ضمن الحدود الرسمية وبطريقة مقبولة، كما فعلت طوال الوقت .فكرت عفت عنان في البداية في النضال من أجل حقوق المرأة بدلاً من العمل على التاريخ .إلا أنه لم يبني أبدا خطابا جذريا حول هذه القضية، التي كانت دافعه الأساسي، ولم يكن يميل نحو "المطالب الجذرية ."لم تترك عنان طاولة أتاتورك في أفكاره وعمله في مجال حقوق المرأة .لقد أكد إينان دائمًا على أهمية دور أتاتورك في الحصول على حقوق المرأة .عنان، التي مجدت الثورة التركية من خلال تحقيق حقوق المرأة، خلقت أيضًا نموذجًا مثاليًا للمرأة التركية من خلال عملها .كان على المرأة التركية، التي كان عليها أن تعيش حياتها المنزلية والخارجية معًا، أن تحتفظ بمكانتها الاجتماعية بشكل مزدوج .تعتقد إينان أن المرأة التركية يمكن أن تتخلى عن جنسها في المجال العام وتصبح المواطنة التي تريد أن تتحول إليها، وتخدم الأمة التركية باعتبارها نصف الأمة (Meşe، صفحة 33) .

الخاتمة:

ظهرت عفت عنان كامرأة تركية وباحثة في التاريخ خلال عملية التغيير والتحول التي حدثت بعد تأسيس الجمهورية التركية عام ١٩٢٣، وتم التأكيد على وجه الخصوص على أطروحة التاريخ التركي لعفت عنان وواجباتها في إنشاء الجمعية التاريخية التركية وعملها كعضو في اللجنة الوطنية التركية لليونسكو .تعد عفت عنان، التي قدمت مساهمات كبيرة في عملية حصول المرأة على حق

التصويت والترشح في تركيا وفي تحديث المرأة التركية، وهي واحدة من الأشخاص القلائل الذين سجلوا تجاربها خلال تلك الفترة .كتب عفت عنان، الذي له ما يقرب من أربعين كتابًا وما يقرب من مائة وعشرين مقالًا في مختلف الصحف والمجلات، عن أتاتورك.

أن عفت عنان كانت تذهب إلى المؤتمرات والاجتماعات العامة المتعلقة بالتاريخ كلما سنحت لها الفرصة، وتبقى في جنيف للدراسة عندما تكون الجامعة مغلقة حتى لا تتخلف عن فصولها الدراسية، بل وتذهب إلى جامعة باريس للتزود بالمعلومات التاريخية، ايضا تظهر لنا بعض الدورات بوضوح اهتمامها بالتاريخ وإصرارها على العمل. وفضلت عفت عنان الرد بالوثائق بدلا من التزام الصمت في مواجهة تصريحات المعلمين الخاطئة والتي لا أساس لها من الصحة حول "خدمات الأتراك للحضارة" رأت عفت عنان أن هذه المسؤولية واجب وطني. كانت عفت عنان تنظر إلى مصطفى كمال أتاتورك على أنه "المنقذ" الذي بدأ النضال الوطني ضد القوى الاستعمارية ونفذ العديد من الإصلاحات من خلال تأسيس الجمهورية كانت ابنة أتاتورك بالتبني.

قائمة المصادر:

Atatürk ve Türkiye Cumhuriyeti Tarihi Dergisi Journal of Atatürk and the **.(2017) .Afet İnan** **.İstanbul: Remzi Kitabevi *.History of Turkish Republic***

Afetinan .(1966) .üyük‘ Nutuk’ta Atatürk’ün Gençliğe .*Belleten*.30 صفحة ،

Afetinan .(1975) .*Atatürk ve Türk Kadın Haklarının Kazanılması :Tarih Boyunca Türk Kadınının Hak ve Görevleri* .İstanbul: Millî Eğitim Basımevi.

Afetinan .(1975) .*Atatürk ve Türk Kadın Haklarının Kazanılması :Tarih Boyunca Türk Kadınının Hak ve Görevleri* .İstanbul: Millî Eğitim Basımevi.

Afetinan .(1978) .*öylerimizde Türk Kadını ,”Cumhuriyetin Ellinci Yılında Köylerimiz* .Ankara: Tarih Kurumu Basımevi.

Afetinan .(1991) .*Türkiye Cumhuriyeti ve Türk Devrimi* .Ankara: Türk Tarih Kurumu Basımevi.

ELÇİN MACAR .(2019) .*TÜRK MİLLİYETÇİLİĞİ BAĞLAMINDA AFET İNAN’IN TARİH ÇALIŞMALARI VE KADINABAKIŞI* .İSTANBUL: YILDIZ TEKNİK ÜNİVERSİTESİ SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ.

Emine Gümüşsoy .(2011) .*Atatürk’ün Yakınındaki İki İsim: Afet İnan ve Ali.*

Halide Edib Ayşe Durakbaşa .(2014) .*Türk Modernleşmesi ve Feminizm* .İstanbul :İletişim Yayınları.

İlknur Meşe .(بلا تاريخ) .İki Kurgusal Metin Olarak Otobiyografi ve Tarih: Afet İnan .*Örneği ,”Fe Dergi 4.*

Rezzan ÜNALP .(2017) .*Afet İnan ve Atatürk , Atatürk ve Türkiye Cumhuriyeti Tarihi Dergisi Journal of Atatürk and the History of Turkish* .İstanbul: Remzi Kitabevi.

Satuk Buğra ÇETİNKAYA .(2022) .*rken Cumhuriyet’in Ulus İnşasında Bir Figür: Afet İnan’ın Tarih, Yurttaşlık ve Kadın Haklarına Dair Fikirleri* .Ankara: Ankara.

smail UZUN .(2018) .*VE UYGULAMALARI İLE ATATÜRK’ÜN MANEVİ KIZI AFET İNAN* .İzmir: DOKUZ EYLÜL.

حسن علي خضير العبيدي. (2010). *تركيا ودول الجوار الشرق الاوسطي 1988-1998*. الموصل : جامعة الموصل.

خديجة بو طيبه و زينب تميم. (2017). *حروب البلقان 1912-1913*. الجزائر : جامعة زيان عاشور.

طارق حامد مجبل. (2023). *العلاقات التركية – المصرية 2002- 2013*. بغداد: دار اكاديموس.

علاء طه ياسين. (2006). *عصمت اينونو ودوره السياسي في تركيا 1884-1973*. سامراء: جامعة سامراء.

مصطفى الزين. (1982). *اتاتورك وخلفاؤه* . بيروت: دار الكلمة للنشر.

ميمونة ابراهيم الجبوري. (2023). *دور المرأة في المجتمع التركي* . تكريت : جامعة تكريت.

المتاحف التاريخية ودورها المعرفي في تعزيز الحوار والتواصل الحضاري بين شعوب العالم: المتاحف المتنقلة أنموذجاً

أ.م.د.هشام سوادي هاشم السوداني
husham.hashim@uninevah.edu.iq
رئاسة جامعة نينوى

أ.د.ابتهال عادل إبراهيم الطائي
dr_hesham71@uokirkuk.edu.iq
قسم التاريخ ، كلية الآداب ،جامعة كركوك

ملخص:

تعد المتاحف من بين أهم الوسائل وأدوات تحقيق التواصل الحضاري بين ثقافات وحضارات الشعوب في عصرنا الحالي وهي من بين أهم الركائز الثقافية ذات الفاعلية الكبيرة وهي ذاكرة للشعوب في مختلف عصورها ولا تقتصر أهميتها على عرض المقتنيات الآثارية القديمة بغية الأطلاع عليها فقط وإنما أصبح لها أهمية كبيرة في تربية الأجيال وتعريفهم على تاريخهم وبث روح الوطنية والاقتداء بسير قادة الامم والشعوب من علماء اطباء قادة عسكريين كان لهم الفضل الكبير على أوطانهم وشعوبهم فضلا عن ضرورة تحقيق الأستفادة المعرفية وتوسيع نطاق الثقافة والأدراك العام للأجيال وهذا بطبيعة الحال ينسجم مع التيار العام السائد في تحقيق وتعزيز الحوار و التواصل بين شعوب العالم بمناطقه المختلفة بطرق مختلفة ومنها المتاحف المتنقلة.

فبدأت الكثير من المتاحف باللجؤ الى عدم تحديد نفسها وتقييدها داخل مبانيها ؛ فتجدها تتحرك لتنتقل الى الجماهير وتعد قضية طبيعة رواده من أهم القضايا التي تواجه المتاحف في جميع أنحاء العالم الأن لكي تستطيع أن تؤدى نشاطها التعليمي ؛التربوي؛ الثقافي والإنساني بعيداً عن جدران المتحف.

الكلمات المفتاحية : متاحف ؛ تاريخ ؛ متاحف متنقلة ؛ نشأتها ؛ أنتشارها ؛فائدتها

Museums History and their cognitive role in promoting dialogue and cultural cross-fertilization among the peoples of the world: mobile museums as a model

Hesham SwidHeshm **Prof. Ibtihal Adel Ibrahim Asst.Prof.**

University of Ninevh **University of Kirku**

Museums are among the most important means and tools for achieving civilized communication between the cultures of peoples in our current era, and they are considered a cultural pillar of great effectiveness and a memory for civilizations of all their eras. Its history and the need to benefit from knowledge and expand the scope of understanding and general awareness of generations, and this is of course consistent with the prevailing general trend in communication between regions of the world in different ways, including museums, starting with introducing students and their families to their importance and changing the stereotypical view of them. For fun and viewing only, museums have become places that play their educational, research and scientific role, all of which contribute to the promotion of civilized dialogue

Keywords: museums; history; mobile museums; their origins; their spread; their usefulness

هدف الدراسة :

- الحاجة الضرورية والفعلية لنقل المعرفة والثقافة لأكبر شريحة مجتمعية ممكنة يصعب وصولها الى المتاحف المركزية أو لعدم وجود المتاحف الثابتة في مناطقها.
- تعريف الطلبة ؛مدرسيهم وذويهم بأهمية المتاحف المتنقلة .

– تغير النظرة النمطية للمتاحف فهي أمكان للتعلم وزيادة المعرفة والأدارك على أعتبار أن المتاحف تشكل أفكارا وليست قطعا آثارية للمتعة والمشاهدة فقط .

– أمكانية توظيف المتاحف لتؤدي دورها البحثي والعلمي في إجراء الدراسات والبحوث والتي تصب جميعها في تعزيز الحوار الحضاري .

مدخل تاريخي :

المتحف لغة يعرف بإنه مفردة ليست من مبتكرات العصر الحديث فعرف اليونان مفردة ميوزيون mouseion الذي تم أطلاقه على معبد تم تشييده على تل هيليكون قرب أكربول أثينا وفي اللغة العربية فالمفردة مشتقة من "أتحفه به"أي أهداه اليه ومفردة التحفة بمعنى هدية أو شيء ثمين (الهام خضر عباش شبر، مها عبد الستار السامرائي ، و أسراء سعد فهد الجبوري) .

أما الجانب الإصطلاحي بإنه المكان الذي يضم مجموعة من النصوص التاريخية ؛الكتب ؛الهدايا واللوحات الفنية فضلا عن المعروضات والإشياء النفيسة التي تم الحصول عليها عن طريق الشراء أو الهدايا ولهذا كانت فكرة نشؤ المتحف لغرض حفظ الأشياء الثمينة للتراث الثقافي للأمم على مر العصور بغية معرفة وأدراك مراحل تطور البشرية ومعرفة أنجازاتها الحضارية (الرحيم، "دور المتحف في تثمين التراث المادي "، المدية –2013). فالمتاحف تلعب دوراً مهما في سبيل تجاوز الأختلاف والتميز الثقافي وإيجاد منهجيات مثمرة تتيح التعايش المشترك وتحقيق الوئام الأجتماعي كقوة دافعة لإيجاد مساحة يتقاسم فيها المجتمع إنسانيته المشتركة وفي الوقت نفسه يحقق التعلم ويتقبل أقصى قدر ممكن من التنوع (جوندولا أفيناريوس و وسوزان كامل ، –2020)

أما ظروف ظهور المتاحف التاريخية فيعود ذلك الى عصر الحركة الإبداعية الرومانتيكية وزيادة الميل الى التاريخ ودراساته والعاطفة الوطنية المتزايدة مع الأهتمام بالآثار المحلية الوطنية ظهرت المتاحف التاريخية للإيحاء بالتفاخر الوطني والقومي والتظاهر بقوة السيطرة الأستعمارية كمتحف فرساي الذي خصص جناح منه للأعمال الفنية التي تصور المعارك وجناح آخر للأعمال التي تصور الحروب الصليبية وللمعارك الفرنسية الخاصة بغزوها للأقطار العربية كما تإسس في باريس متحف تاريخ مدينة باريس المسمة بإسم متحف كارناف ليه تم حفظ المجموعات المتعلقة بتاريخ العاصمة الفرنسية وكان ذلك عام(1860م) كما أسس نابليون الثالث (1808–1873م)متحف الحكام الفرنسيين منذ عهد الميروفنجيين (575–752م)الى عهد نابليون الأول وكان ذلك في مبنى قصر اللوفر عام(1862م) لكن المتحف أغلق عام (1872م) بعد الهزيمة التي لحقت بفرنسا أمام جيوش المانيا فضلا عن ذلك هناك متحف الآثار الوطنية في قصر "سان جرمان أن لاي "الذي يضم آثارا رومانية وآثاراً تخلد قدماء الغاليين ويعود تإسيسه الى عهد الأمبراطور نابليون الثالث (1868 م)كما ظهرت في المانيا المتاحف التاريخية كمتحف الجرماني في مدينة "نورنبرغ"عام (1853 م)وقد حرص الملك فريدريك الثاني الكبير (1712 –1786 م)على تإسيس متحف تاريخي في مدينة "شاوس ميوزيوم" في برلين الغربية وضم آثاراً وأعمالا فنية ذات قيمة تاريخية وشهد عام (1921م) تإسيس العديد من المتاحف التاريخية في العواصم الأوربية بعدما شهدت المتاحف الأثرية أزدهارها الكبيرفي النصف الأول من القرن التاسع عشر . (زهدي، 1988، الصفحات 107–106)

وظائف المتحف:

يعرف المتحف بإنه بودقة أنصهار للأشكال المعرفة الحضاريةالمتنوعة في العالم وتسعى الى نشرها عن طريق أداء المهام الرئيسة والمتمثلة بجمع التراث المعرفي ؛حفظه وتوثيقه [1] (التراث، 2010)وتخزينه ؛العرض المتحفي [2]الأمن والحماية وأخيرا والتعريف به من خلال المعارض [3]والأنشطة التثقيفية (جوندولا أفيناريوس و وسوزان كامل ، –2020، صفحة 17) فإن نشاطات المتحف لا تقتصر على ما تقدم وإنما

ترجمة معاني المعروضات وتاريخها وتوصيلها وتعليمها للزوار[4] (عياد موسى العوامي، 1984، صفحة 62) فضلا عن إقامة الكثير من البرامج التعليمية والبحوث والدراسات لمعرفة إتجاهات الجمهور وأحتياجاتهم وعمل عروض تتناسب مع معظم فئات الزوار لاجل تزويدهم بمعارف ومهارات جديدة (عياد موسى العوامي، 1984، الصفحات 4-5)

فالمتحف مؤسسة تربوية غير تجارية "غيرربحية "لا تهدف الى تحقيق الكسب المادي وإنما تسعى الى تحقيق الهدف التربوي؛التثقيفي (غيشي، ؛1994؛1994؛2013) والتعليم وهو بمثابة معهد دائم يعمل على جمع وحفظ الآثار ذات القيمة التاريخية أو الفنية أو العلمية والاشياء النادرة والقديمة وعرض التراث الإنساني بمختلف أشكاله الى الأجيال المعاصرة واللاحقة خوفا عليها من الضياع والأندثار فضلا عن تحقيق التعلم والمتعة (محمد, عائشة فاطمي؛عبد الرحمن بن أبراهيم الشاعر ؛رفعت موسى، -2002الرياض-1992-الجزائر -2017) وهذا يقودنا للتعرف على أنواع المتاحف [5]

بالنسبة للطلبة فلغرض تحقيق الفائدة والأستمتاع لزوار المتحف وتحديدا فئة الطلبة فهو يسعى الى تقديم الأعمال الفنية المتنوعة ذات المضامين الجمالية ؛الفنية ؛التاريخية ..الخ ويرافق ذلك تقديم المعلومات بطرق لا تنسى وتترسخ في أذهان الطلبة (فالحي، 2017).

ويجب التفرقة بين نوعين من المتاحف وهي :

أولا: متاحف مركزية شاملة للخزن ويعتمد في أنشاؤها على إقامة متحف مركزي تقوم عليه سلطة إدارية ويركز على جمع المعلومات والمحافظة عليها لأطول مدة ممكنة فضلا عن توفير النماذج الفردية كما وتحتوي على كافة النماذج المماثلة في المتاحف الصغيرة كما يخزن فيه القطع النادرة والمهمة مع التاكيد على سلامة المحافظة على النماذج التي بداخلها وسهولة ضبط الحرارة والرطوبة بها (محمود معوض تمام، 2016)

ثانياً: متحف عرض الأعمال

وهي المتاحف التي تهتم بعرض العينات على إختلاف إنواعها وتتسم بكون معروضاتها تكون ثابتة في أماكن ثابتة وفق نظام محدد تمكن المشاهد من رؤية الأعمال بالترتيب وموجودة في كل وقت من الأوقات التي يزور فيها المتحف ومما يلاحظ على جميع المتاحف تخصيص غرف للتخزين الى جانب صالات العرض التي يتم فيها عرض المقتنيات هناك أماكن للخزن. (محمود معوض تمام، 2016، الصفحات 282-283)

ومن متاحف العرض- المتاحف المتنقلة – فقد يحتوي المتحف على مقتنيات متكررة أو نادرة ومخزونة في خزانة المتحف فالعرض المؤقت يعني نقلا مؤقتاً من مكان لأخر ويتطلب عرضها أستخدام خزانات وجدران الرفوف المصممة بطريقة يسهل تفكيكها أو إعادة تركيبها (حملاوي، دون سنة) (نوفل، 2019-2020).وعادة ما تقام خارج حدود المتحف حيث ينقل المتحف المتنقل نشاطاته الى المؤسسات بمختلف أشكالها وحتى الساحات العامة والحدائق سعيا الى خلق أهتمام كبير بالتراث الثقافي والحضاري والعمل على نشره (بينغت، 1994) وعادة ما تكون معروضاتها محدودة يراعى فيها أن تكون مكتفية ذاتيا بكل مستلزمات العرض وتأمين المقتنيات من التعرض للكسر أو التلف وهذا (أدامز فليب ، 1993) يتطلب مراعاة أخذ كل الأحتياطات والأجراءات عند نقلها وتحويلها بشكلا ملائم وعلى وجه الخصوص تقنيات تغليفها من أجل ضمان حمايتها من الأضرار الميكانيكية ؛المناخية وحتى البشرية (فوزي رشيد و تقي الدباغ ، 1979) وطرائق العرض في المتحف يتوجب عليها أن تدخل الزائرين وخصوصا الطلبة الى أعماق التاريخ (محمد سعيد المرتجي، 2017).وأن تشعرهم بحجم المنجز الحضاري لبلدهم وكيف عاش أجدادهم وكيف أبدعوا وأرتقوا في السلم الحضاري والمعرفي وأن يتحسسوا التراث المعماري على سبيل المثال من

خلال نماذج متحفية منتقاة للعمارة عبر العصور المختلفة كالمعابد؛الزقورات ؛مساجد؛كنائس ؛حصون ؛قلاع ؛مزارات ؛بيوت تراثية ؛خانات وغيرها (حريز، 2018).

الخدمات التي يقدمها المتحف المتنقل للمؤسسات :

يهدف المتحف المتنقل الى تقديم خدمة للمراكز الإجتماعية ؛النوادي ؛المكاتب ؛المراكز التعليمية كما يمكن للمتاحف الدائمة تقديم عروض للمناطق ذات الجذب الجماهيري مثل دور السينما ؛الحدائق العامة ؛الميادين وحتى للبلدان والقرى البعيدة فضلا عن الدول الأجنبية مثل ما حدث عند عرض الآثار المصرية في الولايات المتحدة الأمريكية ؛اليابان ؛إيطاليا وإنجلترا (محفوظ)

مواضيع المتاحف المتنقلة :

ومواضيعها تكون محدودة في جوانب معينة كالزراعة ؛الصناعة ؛التكنلوجية ...الخ ويتركز هدفها على جذب أكبر عدد ممكن من المهتمين والمتخصصين من طلبةالعلم والمعرفة وبذلك يجدد المتحف نفسه بنفسه ويجذب أعداد كبيرة من الدارسين نتيجة لتغير نمط العرض (النواوي، ,ص157 2010). فهي بذلك تساعد على تقدم البحث العلمي بما تنشره من معلومات تكون بمثابة مرجع علمي فضلا عن الكتب ؛النشرات ؛المجلات ؛الدوريات التي تسهم في نشر الثقافة وتقدم البحث العلمي (تقي الدباغ و فوزي رشيد، 1079,ص8)

هناك وسائل وطرق لتسهيل فهم المقتنيات المتحفية :

يلجأ أمين المتحف الى أستخدام أساليب وطرق تعمل على تسهيل فهم المقتنيات المتحفية وتسهيل فهم الوظائف التي كانت تؤديها منها

- أستعمال الرسم لأكمال الصور الأثرية .
- أستخدام الكرتون القاسي أو الجص لإكمال القطعة الأثرية شرط أن تظل الحدود الخاصة بالاكمالات واضحة يمكن أدراكها بسهولة لأن الأشياء المحدثة لن تكون حيادية تماما وحتى لا تعتبر من المتممات للأثر .
- عمل نماذج جبسية للقطع لتعرض في المتحف على أن يشار الى أن تلك النماذج حديثة .
- عمل رسومات توضيحية ومخططات وخرائط للمكتشفات الأثرية سواء المعمارية منا أو اللقى الصغيرة وهي بذلك تقدم خدمة مهمة تعليمية تربوية وتحقق فوائد علمية وتاريخية وتوضيحية للمواقع الآثارية (أسماء حسين عبد الحميد محمود ، 2017)

المحور الأول : التعريف بالمتاحف المتنقلة كجهة فاعلة في الحوار الحضاري والتلاقح المعرفي وهذا يتطلب توافر عدد من الشروط اللازم تواجدها في المتاحف لتحقيق الدور التربوي ؛البحثي والعلمي مما يساهم في تحقيق الحوار الحضاري بين مختلف شعوب العالم مع الأشارة الى تاريخ تطور المتاحف المتنقلة.

تعرف المتاحف المتنقلة Mobile Museum :

يعرف المتحف المتنقل بإنه أحد أنواع المتاحف الذي يصنف أستنادا الى طبيعة فضائه أو المجال الذي يشغله فهو بمثابة الذراع للمتحف القائم حيث يتولى نقل عروض وخدمات المتحف خارج مكان الثابت فهو يماثل المتحف الأفتراضي الذي قد يكون ملحقا بالمتحف الثابت فهو متحف متنقل يتم تناقل معروضاته بين مناطق مختلفة داخل البلد الواحد أو يتسع نشاطه ليشمل دول العالم ينقل معروضاته لغرض نقل تجربته للمجتمع (راشد، 2024) فهو أذن "وحدة مجهزة للنقل والإستخدام بشكل دوري بغرض نقل أنشطة المتحف الى وجهات جديدة متعددة خارج مقر المتحف الإساسي وتستند في القيام بتأدية دورها الممثل في إتاحة

الولـوج للمتحـف عبـر تقـديم العـروض والأنشـطة المختلفـة المخولـة بهـا داخـل هـذه الوحـدة أو حولهـا " (محمد جمـال راشـد ، –القـاهرة 2021)وهنـاك العديـد مـن الأشـكال التـي تشـير الـى المتحـف المتنقـل منهـا Travelling Museum ؛أتـوبيس المتحـف Museum Bus ؛ معامـل العلـوم المتنقلـة والـذي عـرف بالولايـات المتحـدة منـذ عـام(1909م)والـذي كـان يسـتخدم فـي أول أمـره للعـروض التـي كانـت تنقـل عـن طريـق الشـاحنات لتقـام فـي مكـان ثابـت أو صـالة للعـرض ثـم أصـبح قـرين للمتـاحف المتنقلـة Mobile science laboratories المتحـف المتنقل على عجلات Museum on Wheels. (محمد جمال راشد ، –القاهرة 2021، صفحة 509)

الغاية من المتاحف المتنقلة :

تـوجز فكرتـه بالسـعي الـى الوصـول لجميـع فئـات المجتمـع وكسـر العوائـق والحـواجز بمختلـف أشـكالها وصـورها الجغرافيـة ؛الثقافيـة وحتـى الأقتصـادية والوصـول الـى منـاطق وفئـات إجتماعيـة مختلفـة فـي القـرى ؛الأحيـاء النائيـة والمنـاطق البعيـدة عـن دائـرة المتحـف الجغرافـي بحيـث يكـون مـن الصـعوبة بمكـان علـى سـكان تلـك المنـاطق البعيـدة الوصـول الـى المتحـف وخصوصـا لأفـراد الـذين لـم يسـبق لهـم زيـارة المتحـف أو أؤلئـك الأفـراد الـذين لـديهم فكـرة خاطئـة عنـه علـى أعتبـار بإنـه مكـان نخبـوي يسـتهدف فقـط الـزوار الأجـاني ؛المثقفـين والطبقـة الأرسـتقراطية فتغيـر وجهـة النظـر الخاطئـة لـدى بعـض فئـات المجتمـع الـذين يعزفـون عـن أرتيـاد المتـاحف لأسـباب أقتصـادية نظـرا لضـعف الـدخل وأمكانيـاتهم الأقتصـادية المحـدودة أو لأسـباب ثقافيـة فالفئـات الأقـل ثقافـة وتعليمـا أحيانـا كثيـرة مـا تجـد صـعوبة فـي تفهـم وأدراك الرسـالة الثقافيـة والحضـارية والتعليميـة للمتحف فكسر الحواجز التي قد تمنع وتحيل بين تلك الفئات وبين الوصول الى المتحف في أماكنه الثابتة

فهـو نمـط أرتـبط بسـعي المتحـف الـدائم لتحقيـق رسـالتها فـي الوصـول للجمهـور كسـرا لحـاجز البعـد المكـاني الـذي يعـد مـا نعـا فـي بعـض الأحيـان وهـي فكـرة تطـورت عـن العـروض المتنقلـة بـين المتـاحف بالإنتقـال الـى خـارج حيـز المتحـف المكـاني الـى إمـاكن التجمعـات وخصوصـا المـدارس ؛الجامعـات ؛الإنديـة الإجتماعيـة والرياضـية ؛الحـدائق ؛مقاصـد التسـوق والترفيـه فكـان لابـد مـن وجـود حلـول بديلـة مـن قبـل إدارة المتحـف لغـرض تحقيـق التواصـل مـع المجتمـع خـارج نطـاق جمهـور الـزوار الفعليـين وإسـتقطاب فئـات جديـدة مـن المجتمـع وهـذا إسـتلزم تخطـي المتحـف لنطـاق حيـزه المكـاني لغـرض الوصـول الـى فئـات جديـدة مـن المجتمـع والسـعي لـدمجها مـع المتحـف لغـرض تشـجيع زيارتـه ممـن لـم يسـبق لهـم زيارتـه للمتحـف أو لـم يتبـادر لأذهـانهم التفكيـر فـي زيـارتهم ومـا لبثـت أن تطـورت هـذه الفكـرة بشـكل كبيـر متمـثلا بـالمتحف المتنقـل بصـوره المتعـارف عليـه حاليـا والـذي يهـدف بشـكل أكثـر للوصـول للمنـاطق النائيـة التـي لا تتـوفر فيهـا المتـاحف (محمد جمـال راشـد ، –القـاهرة 2021، الصـفحات 507–508). ونحـن فـي القـرن الواحـد وعشـرون يتوجـب علـى المتـاحف إعـادة النظـر فـي طبيعتهـا وإعـادة تقيـيم علاقاتهـا مـع عامـة الجمهـور كمـا يتعـين أيضـاً تقيـيم مكانتهـا علـى صـعيد التفكيـر الحـالي المتعلـق بالثقافـة والمجتمـع ويمكـن التعامـل مـع بعـض المتـاحف حاليابوصـفها أمـاكن يـتمكن النـاس مـن خلالهـا أستكشـاف والتعـرف علـى القضـايا المتعلقـة بالهويـة والثقافـة الوطنيـة (جونـدولا أفينـاريوس و وسـوزان كامـل ، – 2020، صفحة 17).

الأهمية التربوية والتعليمية للمتاحف المتنقلة:

فالزيـارت المجمعـة للمـدارس ؛الشـركات والمؤسسـات تولـد روحـا مشـتركة وإحساسـا جماعيـا ويشـكل وسـيلة لتوحيـد الأفـراد حـول تـراثهم ويسـاهم فـي تحقيـق التواصـل المعرفـي عـن طريـق تجميـع التـراث الأنسـاني فـي مكـان واحـد يمكـن للزائـر مـن مشـاهدة ورؤيـة وسـماع كـل المعلومـات عـن المـوروث والتـراث الحضـاري فـالمتحف هـو المكـان التربـوي التعليمـي المفتـوح للزائـر كـل حسـب تخصصـه فضـلا عـن دور المتحـف للأجيـال القادمـة تحكـي لهـم تـاريخهم اتبـرز سـمات شخصـية أجـدادهم عـن طريـق زيـادة الـوعي المعرفـي لـدة الطلبـة بعرضـه للصـور عـن الأحـداث التاريخيـة الخـرائط المتعلـق بـذلك باسـلوب مبسـط ؛وسـهل وبإقـل وقـت وجهـد ممكـن فـلا يمكننـا تقـدير

الفائدة العلمية والتعليمية للمشاهدات الواقعية والميدانية لما يلقى من معلومات نظرية داخل فصول المدارس أو قاعات المحاضرات (محمد يسرى إبراهيم دعبس ، 2004 ,ص31-32)

تاريخ تطور المتاحف المتنقلة :

يعود تاريخ ظهور المتاحف المتنقلة منذ إنتهاء الحرب العالمية الثانية لكن جذور المتاحف المتنقلة تمتد بعيدا في أعماق التاريخ الى القرن الثامن عشر والتاسع عشر حيث شهدت ولادة أنواع جديدة من المتاحف فضلا عن أتساع نطاق فائدة وأهمية المتحف داخل المجتمع وعند تزايد أعداد رواده وأستقطابه لفئات عمرية جديدة دفع البعض لأبتكار وسائل وأنشطة جديدة لغرض لفت أنتباه المجتمع وحثهم على القدوم والتردد للمتاحف ومن بين تلك الأفكار هو التوجه نحو الخروج للمجتمع ومخالطت جميع فئاته خارج فضائه (جوندولا أفيناريوس و وسوزان كامل ، -2020، صفحة 19) وكان للمتاحف تجاربها في هذا المجال.

متحف فيكتوريا وألبرت:

اللذان كانا من أقدم المتاحف التي بادرت الى إقامة العروض المتنقلة والمؤقتة وإقتراض المقتنيات فيما بين المتاحف عندما تم إنشاء قسم خاص لذلك عام (1851م)بأقامة أول معرض في لندن وهو المعرض الكبير للأعمال الصناعية لكل الأمم ثم كانت الخطوة التالية على تقديم العروض الخارجية في الساحات الخاصة بالإسواق في لندن والتي يتجمع حولها الجمهور عندما تم تقديم معرض عن النسيج الهندي والذي جاءت فكرته لدعم الأقتصاد الإنكليزي وتعد تلك الخطوة الولادة الحقيقية للمتحف المتنقل (راشد، 2024، الصفحات 306-307)فقد تولدت الفكرة أي إقامة المتحف المتنقل عندما كانت هناك رغبة من المتحف للمشاركة في الأنشطة المختلفة وخصوصا الخارجية منها لغرض الوصول الى أماكن تجمع وتمركز السكان فكان ذلك سببا في تطوير الفكرة للأشكال المبكرة للمتحف المتنقل أذا بدأت المبادرات بعرض وتوظيف المقتنيات الأصلية "العروض المتحفية " [6]في تحفيز وتشجيع تلك الأنشطة وضمن نطاقات خارجة عن المتحف وفي أماكن غير أعتيادية .

متحف سانت لويزميزوري :

بينما يعد متحف سانت لويزميزوري المتحف التعليمي الأول عندما بدأ بتقديم العروض المتنقلة[7] فكان أول معرض متنقل له في فورست بارك على حافة المدينة عام (1905 م) وكان المتحف ينقل بواسطة عربة تجر بواسطة الحصان فقد أستخدم في نقل مقتنيات المدرسية ويعد من أوائل المتاحف التي كرست لتقديم المقتنيات بصورة متنقلة وقد تم التعارف على أسمه بمتحف المدرسة أو المتحف المتنقل وقد بدأ نشاطه عندما بادر أحد المعلمين وهو صاحب الفكرة بتقديم المجموعات العلمية والتعليمية والعمل على إقراضها للمدرسين والطلاب لغرض الإفادة والتعلم منها وقد أستقبل سبعون الف طفل من طلاب المدارس المحلية وفي ختامه تم أطلاقة مبادرة لإنشاء متحف تعليمي (محمد جمال راشد ، -القاهرة 2021، صفحة ص808) .ثم شهد المتحف تطورا تدريجيا ليشهد أنتشارا كبيرا له منذ منتصف القرن العشرين وتزايد الرغبة والحاجة الى إقامة العروض في الحدائق والساحات لتحقيق أهداف تعليمية وكانت أستجابة وتلقي الجمهور له كبيرة جدا ثم أخذت بالتطور فكان أول متحف متنقل قام به متحف كليفلاند للتاريخ الطبيعي عام(1947م) فقد سعى الى تقديم عروضه في عربة شحن تنتقل من مكان الى آخر (راشد، 2024، صفحة ص307) وقد لاقى نجاحا ورواجا كبيرا وسعت الكثير من المتاحف الى تطبيق فكرته فإنشا متحف للفنون الجميلة في ألبونز عام(1948 م) وفي عام (1949م)أقيم أول متحف متنقل في بولندا بواسطة المتحف القومي في وارسو أما عام (1953 م) أقيم أول متحف متنقل للفن ملحق بمتحف فرجينا للفنون الجميلةوقد شهدت المتاحف المتنقلة التابعة لمتاحف العلوم نشاطا كبيرا لدوره الساند للعملية التعليمية ويعد متحف فرجينا من المتاحف الرائدة في هذا المجال منذ عام (1965 م) ثم تزايد أعاد تلك المتاحف في

كثيرمن دول العالم (راشد، 2024، صفحة ص314) وما قام به متحف ثريا لسيد المتنقل "متحف العربة " فهو أول متحف مقام على عربة متنقلة في العالم ومن ثم يمكن أستخدامها لعرض المقتنيات الصغيرة الحجم بينما المقتنيات الكبيرة أذا ما أضيفت للمعرض فيتم عرضها أمام العربة واللوحات الإيضاحية للشرح والتقديم والأعمال الثنائية الإبعاد فكانت تعلق على الجوانب الخارجية للشاحنة أثناء أفتتاح المتحف (محمد جمال راشد ، –القاهرة 2021، صفحة ص509) فضلا عن الأستعانة بالبانارات والمواد الإيضاحية بجوار العربة ومن ثم كان بالأستطاعة ليس فقط التوسع في المجال المتاح للعرض بل إقامة عدد من المحاضرات العلمية المرتبطة بموضوعات العرض لعدد كبيرمن الحضور فضلا عن التقديم للمعروضات التي يشاهدها الزوار بعد ذلك داخل العربة مما يساعد على التقليل الوقت للمستهلك داخل المعرض وهذا النموذج كان مستخدما لمتحف التاريخ الطبيعي فكان يروج لمتحف كليفلاند الى جانب دوره الأساسي في نشر المعرفة والثقافة (راشد، 2024، الصفحات ص313-314)

المحور الثاني :المتاحف المتنقلة ودورها في بلورة الأدوار الجديدة للمتاحف وهي تحقيق أمكانية أن يذهب المتحف للزائر وذلك بإن يجهز المتحف معرضا يتنقل على مختلف المناطق أو المدارس التي لا تزور المتاحف وبهذا يتحقق التواصل والتفاعل لتعزيز حوار الحضارات والتي تعد شكلا من إشكال تبادل وفهم الحضارت وبمكانة الحوار بينهما فلم يعد مقبولا في عصرنا الحالي أن يقتصر دور المتحف على عرضه للقطع الآثارية مع الأشارة لنماذج من جهود المؤسسات التي ترعى إقامة المتاحف المتنقلة فالمتحف هو الفضاء المعرفي الواسع والأمثل في تعارف الناس وأختلافهم و لتحقيق التواصل الحضاري والذي يجمع بين طياه التراث المادي واللامادي ومكان يتجمع فيه الزوار من مختلف المناطق على أعتبار أنه المكان الذي بإمكانه أن يوصل شيء ما رأي ؛رسالة؛معرفة ومعلومة وعدم جعلها حكرا على فئة معينة فهو يحقق التواصل الحضاري والتواصل البشري (حميدي، 2016-2017).

تعد المتاحف المتنقلة من أهم الطرق للأشباع العلمي والثقافي معا وخصوص للمناطق البعيدة والمتطرفة عن العمران الحضري فضلا عن هميتها للتعريف الثقافي لمقتنيات الدول وما يحيطها من دول خارجية وتحقيق فرصة مهمة للجامعات كي تتبادل بفنونها وأمكانياتها مع مقتنيات الجامعات الآخرى ولا يخف أنعكاساته الثقافية والتعليمية معا .ونظرا للأعباء الأقتصادية التي تتكبدها الدول من جراء إنشاء المتاحف الثابتة وخدماتها لاجل ذلك أتجهت الأنظار نحو توفير الخدمة المتحفية المتخصصة كتوفير العربات المتنقلة بين المناطق المختلفة كونها تمثل البديل الثقافي لمثيلتها الثابتة والتي تهدف من تنقلها تقديم خدمة تعليمية وتثقيفية لقطاع كبير من الجماهير خصوصا في البيئات المختلفة (عواد)

تزايد الوعي باهمية المتاحف المتنقلة:

لغرض تحقيق الدور المتحفي التعليمي بالتكامل مع المؤسسات التعليمية والتربوية والذي أكدت عليه منظمة اليونسكو :"لقد تزايد الوعي بإهمية توسعة الفرص التعليمية والإلتزام الإخلاقي وجعل القيم الثقافي ممكنة الوصول والولوج للجميع بدون أي أعتبارات للتباين الإجتماعي أو الحواجز الجغرافية ",فمساهمة المتحف المتنقل أصبحت ضرورة أساسية لغرض إكمال العملية التعليمية في ظل إفتقار الكثير من المدارس لمعامل الأبحاث العملية والتطبيقية ؛المكتبات ؛القاعات التي تقام عليها الأنشطة التطبيقية والعملية للعلوم والمعارف وهذا ما دفع اليونسكو لدعم فكرة إقامة المتاحف المتنقلة والعمل على الأسهام في تطويرها (محمد جمال راشد ، –القاهرة 2021، صفحة ص508). فالتربية المتحفية أصابها التطور الكبير منذ النصف الثاني من القرن العشرين وخاصة في الستينيات عندما بدأت المتاحف تسعى لتطوير برامجها والأقسام التعليمية المرتبطة بها والسعي الى إيصال المعلومة بوسائل تعليمية مساعدة كالفيديو ؛كمبيوتر وغيرها فكان

لابد بالتبعية من أن يتغير شكل بعض المتاحف وزاد الأهتمام ببناء المتحف ليناسب دوره التعليمي والثقافي (بليغ) .

هناك عاملان يؤثران في تصميم المتحف وهما :

أولا:الجمهور

ويعتبر من أهم العوامل في التصميم الأولي لأي مبنى متحفي أذ يحدد نوع المتحف وطابعه وحجمه وأمتداده وخطوط السير فيه ولهذا وجب تقييم الجمهور المنتظر على أساس السن والمستوى الثقافي – الإجتماعي والعلمي والوقت الذي يمكن قضاؤه والأستفادة من المادة العلمية وتحقيق الترفيه والتثقيف معا .

ثانياً:طبيعة المعروضات

تغيرت أشكال المتاحف ومعارضه ووظائفها بإختلاف الزمان والمكان وما تقدمه من خدمات للمجتمع أما بالنسبة للمعروضات فغالبا ما نجد في المتاحف الكبرى تنوعا في المادة المعروضة لغرض أرضاء أكبر قدر من الميول والأتجاهات فالمتحف لا يقاس بكثرة مرتادية وإنما بما يحققه لهم من نفع وفائدة علمية والمتاحف الكبرى تخصص قاعة خاصة للعروض المؤقتة وقد تكون المعروضات التي يضمها المتحف المتنقل من مقتنيات المتحف نفسه. (النواوي، ,ص157 2010)

مميزات المتاحف المتنقلة :

تتميز المتاحف المتنقلة بالمرونة بالحركة والتنقل من مكان الى آخر والقدرة على إتاحة الفرصة للزوار للتفاعل والأستجابة مع المعروضات عن طريق التعامل المباشر معها ولمسها في كثير من (محمد جمال راشد ، –القاهرة 2021، صفحة ص509)وجرت العادة أن يتكررإقامتها في عدة إماكن على شكل عروض متنقلة تقام في عربات أعدت لأجل ذلك أو شاحنات النقل أو المقاطير أو المناطق المفتوحة (راشد، 2024، صفحة ص308)

كما أن المعروضات التي يضمها المتحف المتنقل تكون أعدادها صغيرة من المقتنيات المتحفية المعروضة والمخزونة سواء أكانت القطع متكررة أم نادرة وبما أن العرض المتنقل يقوم على فكرة نقل المقتنيات من مكان الى آخر فيجب عليه أن يتصف بتحقيق الأكتفاء الذاتي وبالقدرة على التكييف فالجدران والخزانات والرفوف وغيرها ويجب تصميمها بحيث يمكن من خلالها فتحها وإعادة تركيبها غير أن هذه المعدات غالية الثمن وبدونها يفقد العرض المتنقل أهميته (عبد الحق معزوز ، 1997).

وهناك عدد من الأمور التي يجب أن ياخذ بنظرها بعين الأعتبار منها طبيعة المكان كإن يكون شارع أو حديقة أو نادى أو مدرسة أومكان عام ونطاق أتساع المكان أو ضيقه في المناطق التي من المتوقع أن يقام فيها المتحف المتنقل زيارته من أجل تلافي مشكلة التنقل أو الحركة فعلى سبيل المقال المتحف المتنقل والذي صمم من قبل مدينة متشجن كان يبلغ طوله 70قدم فقد واجه الكثير من المشاكل فيما يخص أماكن تثبيته لخدمة الزوار فمراعاة أختيار المكان المناسب مسالة مهمة جدا بحيث يكون نقطة جذب اليه هذا من جانب ومن جانب آخر التصميم الداخلي يجب أن يوفر الحماية الكاملة للمقتنيات داخل السيارة وللزوار المترددين على المتحف ويراعى أن يكون تصميم المدخل الخلفي للسيارة "مدخل المتحف"بحيث يعمل كمصعد لمساعدة الزوار من ذوي الإعاقة أوتصميم مصعد مائل يسمح بامكانية الصعود بالكرسي المتحرك فضلا عن مراعاة ظروف التهوية ؛درجات الحرارة والرطوبة داخل المتحف المتنقل كما يجب أخذ بعين الأعتبار التوصيلات بمصادر الطاقة الكهربائية اللازمة لتشغيل المتحف خاصة عند الأستعانة بالاجهزة الكهربائية والشاشات في تقديم العروض المتحفية (راشد، 2024، صفحة ص322)

أنواع المتاحف المتنقلة :

المتاحف المتنقلة قسما منها يكون تابعا لأحد المتاحف وفي بعض الأحيان قائما بذاته دون الأعتماد على مقر دائم أو ثابت أذ أن الكثير من المتاحف المتنقلة أو التي يتم بناءها في أماكن مناسبة بالوجهات المستهدفة أي يقتصر دور المتحف على النشاط المتنقل فقط ويشمل المتحف المتنقل على التصنيفات الفرعية التالية :

- وقد أستخدمت بعض المتاحف السيارات التي صممت خصيصا لذلك فهي بمثابة متحف ثابت في عربة متنقلة (عبد الحق معزوز ، 1997، صفحة ص39) وهو الأكثر شيوعاً ومحدد بتصميم معين وهو السيارة التي ينتقل بها ويستخدم العديد من السيارات المختلفة في الحجم والتصميم ويمكن فقط مضاعفة مساحة المتحف الثابت في عربة متنقلة أذا ما كان تصميم الشاحنة معد ليسمح بفتح الجانبين وأستخدام تدعيما بطول الشاحنة .
- متحف قابل لإعادة التركيب وهو يستخدم الشاحنة فقط في عملية نقل المقتنيات من موقع لأخر (نوفل، 2019-2020، صفحة ص32)بينما يتم توظيف المقتنيات بالترتيب الذي يتميز بسلاسته وبساطته في الوجهات التي يستهدفها ووفق المجال المتاح سواء أكانت العروض في مكان مفتوح أو داخل أحد المباني أي يصمم العرض بقدر من الحرية لأعادة تركيبه بالصورة التي تتلائم وطبيعة الأماكن المتنقل اليها .
- النمط المفاجيء :يعد نمط جديدا ظهر مع بداية القرن الواحد وعشرون في نيويورك ثم أخذ بالأنتشار منذ العقد الأول للقرن الواحد والعشرين ويعد شكلا من أشكال المتحف المتنقل الذي يسعى الى تقديم العروض التي تركز على موضوع محدد بعينه ومن ثم أختيار مكان ما لأستضافة العروض كالنوادي ؛الساحات ؛المتاجر الكبرى ؛المكتبات محطات القطار ....الخ ويعتمد بشكل أساسي على عنصر المفاجئة للجميع الذي لا يتوقع أن يصادف العروض المتحفية في تلك الأماكن وبالصورة المقدمة بها ويركز على عنصر التفاعل والمشاركة مع القائمين عليها من قبل الزوار والعامة في النقاشات التي تدور حول المعرض (محمد جمال راشد ، -القاهرة 2021، صفحة ص510).
- متحف الحقيبة المتنقلة "الحقيبة المتحفية ":وهي حقيبة صغيرة تجهز ببعض المقتنيات الصغيرة سهلة التناول والتنقل من مكان الى آخر المدارس ؛الأندية ؛الحدائق ..الخ وتكون النماذج تقليدا لبعض المقتنيات وفي العادة يكون المعلم أو الأمين المصاحب لرحلة متحف الحقيبة بإعداد مجموعة من البرامج التعليمية والموضوعات المتعلقة بالمقررات الدراسية أو الأهداف التعليمية (محمد جمال راشد ، -القاهرة 2021، صفحة ص511).

مدة العرض :

وتتراوح مدة العرض بين يومين كأدنى مدة وأسبوع كأقصى حد فهي ذات بعد تربوي وبيدغوجي وتحسيسي ؛وتعميمي موجهة أساساً للتلاميذ والطلبة على ة جه الخصوص وعامة الناس على وجه العموم والغاية منها نشر الثقافة المتحفية وتربية النشيء وتحسيسهم بأهميةالتراث في تكوين شخصية الفرد والمجتمع (فاطمي، الجزائر -2017).

نماذج لأنتشار المتاحف المتنقلة في العالم و الوطن العربي:

شهدت المتاحف المتنقلة نجاحا ورواجا كبيرا في الدول الاوروبية المختلفة لتحكي موضوع بعينة او لإبراز قيمة فنية بعينها او حدثاً تاريخياً، ويمكن ان ينتقل لاكثر من مكان ولمدد محددة؛ وقد يكون المتحف عبارة عن اتوبيس او مقطورة او قطار او حتى سفينة؛ وهي التي تعمل على توصيل الرسالة المتحفية للناس ويمكن ان تنتقل للمدارس والمكتبات فهذا التصميم العملي للمتحف يعمل على الدعم والانتشار الثقافي على المستويات الشعبية المختلفة ويكون متاحاً للجميع فعل سبيل المثال متحف ليفربول بانجلترا

مثلا ؛ نجد ان المتحف يمتلك سيارة عبارة عن متحف متحرك يتنقل في أنحاء ليفربول المختلفة ، حاملاً أوراق عمل وأفلاما تسجيلية ونماذج للقطع الفنية التي يحتويها المتحف ؛ كما يحتوى هذا المتحف المتحرك على ورشة عمل ومسرح صغير للسماح للاطفال بممارسة لعبة الأدوار التاريخية. (حسن، 2018)

العراق وتجربة المتحف المتنقل

وتحت عنوان "العراق القديم".. اكتشافات حديثة"، أعلن المتحف بريطاني المتنقل عزمه عرض 80 قطعة اثرية نادرة من حضارات العراق القديم. الذي سيكون متنقلا بين عدّة متاحف في مناطق مختلفة من بريطانيا مثل "متحف غريت نورث"، و"متحف نوتنغهام"وسلّط المعرض الضوء بشكل خاص على نتائج مشروع "مخطط العراق" الذي طوّره المتحف عام (2015 م)بالتعاون مع آثاريين عراقيين بهدف إعادة إعمار وترميم الآثار التي دمّرها تنظيم "داعش" في سنوات الحرب ويتناول المعرض نتائج مشروعي العمل الميداني للمخطط في مدينتي جيرسو السومرية (تل تيلوه)، ودربند القديمة والأبحاث الأثرية في هاتين المدينتين التي يعود تاريخهما إلى حوالي 4000 عام.وشمل المعرض عرضاً لتمثال للملك غوديا "يعود تاريخه الى حدود عام (2130ق.م)أحد أشهر ملوك السومريين لسلالة لكش التي كانت تحكم جنوب بلاد الرافدين، وقد تمّ شراؤه من قبل المتحف في الثلاثينيات القرن الماضي وفقاً لبيان المتحف. وعرضت أيضاً بعض المكتشفات الجديدة مثل مجموعة من الأقماع المنقوشة، والتعاويذ، والحلي، ولأن عرضها خارج العراق محظور فسيتمّ تمثيلها عبر الصور الفوتوغرافية وإعادة البناء من خلال الفيديو، إلى جانب مجموعة مقتنيات المتحف من الآثار العراقية التي نُقلت إليه في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات العشرين,ويتناول الجزء الأخير من المعرض التدمير الأخير للتراث الثقافي للعراق على يد داعش، بهدف تقييم وتوثيق مواقع التراث الثقافي التي تضرّرت أو دُمّرت (الأخبارية، 3\2\2020)

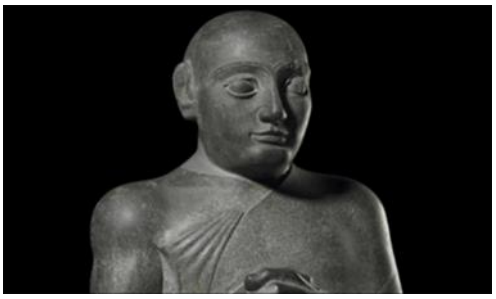

تمثال الملك كوديا

نجد المتحف المتنقل فى نامبيا يقدم العديد من الخدمات منها:

- تقديم تدريب أولى ومجموعة من الوسائل والمستلزمات لمساعدتهم فى تنفيذ العروض.
- تشجيع المدرسين الأخرين على استخدام المتحف.
- تقديم المساعدات لترتيب الزيارات.
- إقامة شبكة فى جميع انحاء المناطق الريفية حتى يمكن تحقيق الاكتفاء الذاتى قدر المستطاع ؛ وبذلك يسمح للخدمة المتحفية فى إطالة وقت تقديم العون فى الاماكن الاكثر بعداً.
- أساليب جديدة فى تعليم التاريخ والعلوم.
- تدعيم الروابط بين المتحف القومي وجمعية المتاحف غير الحكومية (حسن، 2018)

والمتاحف المتنقلة تناسب المناطق التى تبعد عن المتاحف بمسافات كبيرة ؛ فلا يستطيع تلاميذ المدارس زيارة المتاحف بسهولة ؛ كذلك تناسب البلدان التى لا تستطيع بناء متاحف اقليمية ؛ وفى تقرير لمنظمة اليونسكو العالمية يتضح لنا ان التعليم عن طريق المتحف المتحرك قد لاقى نجاحا فى دول افريقية متعددة ؛ يعتمد اعتمادا كبيرا فى توصيل المعلومات الثقافية المرجوة عن طريق استخدام حافلة كبيرة عبارة عن متحف متنقلة (حسن، 2018)

ثم كانت تجربة المتحف الجوّال الثقافي في القشلة، الذي استحدث منذ عقدين وأعيد افتتاحه الثاني في الشهر السادس من عام ٢٠١٢، بهدف تسليط الضوء على المسروقات من التحفيات والأثريات التي هُربت وبيعت إلى أشخاص ودول، وهي اليوم موجودة في متاحف العالم، هذا المتحف أخذ على عاتقه تصوير تلك التحف المسروقة وتحويلها إلى صور مصغرة من خلال فعاليات الشباب عبر تشجيعهم ودعمهم وتتضمن الأعمال الموجودة في المتحف الجوال فنوناً تشكيلية وبصرية وسمعية وأعمالاً يدوية وخزفية وفخارية وغيرها من الأعمال الحرفية والفنية للكثير من الفنانين فضل في دعم المتحف الجوال، وللأستاذ هاشم طراد الفضل الكبير في إحياء فكرة عرض نماذج من الآثار المسروقة من خلال تصويرها بطريقة فنية تمثل تراثاً لعراق مصغر لكل من يراه من الزوار ومن محبي الفن والأدب والثقافة في شارع الثقافة (المتنبي)، حيث أن العاملين فيه والفنانين الذين كانت لهم بصمة جميلة جعلوا من هذا المتحف واحة خضراء فيها كل الورود اليانعة من خلال أعمال المبدعين فيه.. وكان للمتحف الجوّال ثلاثون مشاركة أو مايزيد في بغداد ومنها في القاعة الآشورية والمتحف الوطني والعتبة الحسينية، وفي يوم بغداد كان له العديد من المشاركات الفعالة على مدى خمس سنوات... زوار المتحف من العرب والأجانب والسفراء والفنانين ورواد المتنبي من الأدباء والمثقفين وشرائح المجتمع المهتمة كافة بتلك الأمور الفنية (فرج، 22, يناير 2018)

يتضح لنا مما تقدم أن المتاحف المتنقلة هي متاحف تعليمية تعتمد في توجهاتها على المشاركة والتفاعل المباشر بين الجمهور والمعروضات والأفكار المساقة عبرها لخدمة العملية التعليمية عن طريق تقديم وسائل تطبيقية للعلوم المختلفة لتصل الى الفئات العمرية المختلفة ومنهم الطلبة وأماكنية الوصول اليهم فى أماكن تجمعهم فى النوادى والحدائق والشواطىء والميادين فى الأجازات الصيفيه الطويلة.فضلا عن دورها بين الدول مما يساهم في تفعيل الحوار الحضاري وتبادل المعارف فهي حلقة وصل ما بين الشعوب تتيح لهم فرصة لألقاء النظر معمقة على ما تزخر به الموروثات من كنوز فطريق العرض المميزة تهدف الى تعزيز وأدامة التنوع الثقافي والحضاري وستشكل تلك المتاحف أداة أتصال حقيقية وقوية تتخطى الحدود وتنشر السلام بين دول العالم .

شكل (1): مُتحف العربة المتنقلة لمُتحف ترياليد في كلايفلاند، الولايات المتحدة. أرشيف الصحافة لسنة 1947م.

نقلا عن راشد ,المتحف المتنقل 314

: نموذج لمُتحف متنقل يتم إقامته على مساحة واسعة في الحدائق والساحات العامة بما يتيح مساحة أكبر لمشاركة
تفاعليهم مع المعرض والورش المصاحبة التي تنصب في شكل خيم في جوار المُتحف لإستيعاب أكبر عدد ممكن.

شكل رقم 2 متحف الطفل في بنرسكا نقلا عن راشد,المتحف المتنقل ,ص323

نموذج لمُتحف متنقل في مقطورة تم تثبيته في الوجهة المحددة. وفيه تم مضاعفة مساحة الم
موازية للجانبين الطولين للشاحنة. المتحف المتنقل للمتحف التايوني للآداب، تايون.

شكل رقم 3نقلا عن راشد,المتحف المتنقل ,ص322

ائب من عروض المتحف المتنقل داخل العربة. مبادرة متاحف علي الطريق (الشارقة، 2019).

شكل رقم 4 نقلا عن راشد ,المتحف المتنقل ,ص323

المراجع

إبراهيم عبد السلام النواوي. (,ص157 2010). *علم المتاحف* . القاهرة : المجلس الأعلى للآثار .

أدامز فليب . (1993). *دليل تنظيم المتاحف إرشادات علمية ,ترجمة محمد عبد الرحمن* . القاهرة,ص235 : الهيئة المصرية العامة للكتاب .

أسماء حسين عبد الحميد محمود . (2017). "الأساليب الأرشادية في المتاحف ". تأليف *المتاحف العربية* (صفحة ص96). الدوحة : المنظمة العربية للمتاحف .

الهام خضر عباش شبر، مها عبد الستار السامرائي ، و أسراء سعد فهد الجبوري . (بلا تاريخ). الأهمية الأقتصادية للمتاحف المتنقلة ودورها في تنمية السياحة الثقافية مع الأشارة الى العراق . *الجامعة المستنصرية اكلية العلوم السياحية*.

آمال لعيدي ومريم حميدي. (2016-2017). دور المتحف في تشكيل الهوية الثقافية دراسة ميدانية -متحف سيدي علي -ص57-58. مستغانم ، الجزائر : كلية العلوم الأجتماعية والأنسانية ,جامعة عبد الحميدبن باديس .

أمل عبد الخالق محمود عواد. (بلا تاريخ). تفعيل دور الثقافي في التصميم الداخلي للمتاحف المتنقلة ",ص1.

بسام محمد حسن. (2018). *جريدة أبو الهول السياحية ,العدد 2*.

بشير زهدي. (1988). *المتاحف*. دمشق: منشورات وزارة الثقافة.

بلغيث نوفل. (2019-2020). *المتحف ومساهمته في حفظ التراث المحلي متحف ناصر الدين نموذجا ,ص32*. مستغانم : رسالة ماجستير غير منشورة تخصص أدارة إعمال ,جامعة عبد الحميد بن باديس .

ترجمة فريق سوربون من إجل التراث. (2010). *توثيق المجموعات المتحفية دليل التوثيق لمتاحف البلدان النامية* . منشورات اليونسكو باللغات الثلاثة العربية –الأنكليزية والفرنسية .

تقي الدباغ ، و فوزي رشيد. (1079,ص8). *علم المتاحف* . بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي .

جوندولا أفيناريوس ، و وسوزان كامل . (–2020). "لغات المتاحف ". تأليف *كتاب الملتقى العربي للتراث الثقافي* (صفحة ص19). الشارقة : المكتب الإقليمي لحفظ التراث الثقافي في الوطن العربي .

راندا بليغ. (بلا تاريخ). "التربية المتحفية في مصر والعالم ",ص85. تأليف *دراسات في آثار الوطن العربي* . القاهرة –دون تاريخ .

زهدي ؛سمر محمد علي ؛أسماء الزبد ؛نيكول غيشي. (؛1994؛1994؛2013). *المتاحف ,ص77 وما بعدها ؛تفعيل التربية المتحفية لتنمية الوعي الثقافي لتلاميذ المرحلة الأعدادية ؛"أهمية المتحف في العملية التربوية "؛المهمة التربوية للمتاحف* . جامعة القاهرة ؛عمان ؛عمان : رسالة ماجستير قسم أصول التربية ؛دراسة مقدمة لمؤتمر الأيكوم الدولي بعنوان المتاحف والحضارة والتنمية .

سكوغ بينغت. (1994). "المعارض المتنقلة ودور المتاحف في محيطها الخارجي ". تأليف *متاحف حضارة وتنمية* (صفحة ص358). عمان : دائرة الآثار العامة في المملكة الأردنية الهاشمية .

شذى فرج. (,22 يناير 2018). *"المتحف الجوال ...أعمال فنية تذكر بآثار العراق المنهوبة "* . بغداد: شبكة الأعلام العراقي .

صالح فالحي. (2017). "إنشاء المتاحف ". تأليف *المتاحف العربية* (صفحة ص24). الدوحة : المنظمة العربية للمتاحف .

عائشة فاطمي. (العدد 3, الجزائر –2017). "دور المؤسسة المتحفية في حفظ التراث الأثري ",ص14. *مجلة هيرودتس للعلوم الأنسانية* .

عبد الحق معزوز . (م6,العدد 1418, 1997). "المتحف عامل أتصال ",ص39. *حوليات المتحف الوطني للآثار* .

عصام محمد محفوظ. (بلا تاريخ). أنواع المتاحف . لندن ، بريطانيا .

علي حملاوي. (دون سنة). *علم المتاحف* . الجزائر : ديوان المطبوعات .

فوزي رشيد ، و تقي الدباغ . (1979). *علم المتاحف* . بغداد,ص139–140: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي .

قناة السومرية الأخبارية. (3\2\2020).

لعمى عبد الرحيم. (المدية –2013). "دور المتحف في تثمين التراث المادي ". *مجلة البحوث والدراسات العليا ,فرع فن وحفظ التراث ,جامعة الدكتور يحيى فارس* ، الصفحات مجل7,العدد 1,ص5.

م محمود معوض تمام. (أغسطس , 2016). "الإستفادة من الأجندة السياحية كإدارة للتسويق المقصد السياحي المصري ". *مجلة البحوث السياحية* ، الصفحات ,ص282.

محمد جمال راشد . (العدد24, –القاهرة 2021). "تصنيف المتاحف وفقا لطبيعة الحيز الذي تشغله ". *مجلة حولية الأتحاد العام للآثاريين العرب* ، صفحة ص510.

محمد جمال راشد ؛سعد الحجي ؛لعمى عبد الرحيم. (العدد 1,مجلد 22 ؛العدد 3–4,مجلد 30, 2021؛2014). "أنواع المتاحف ومعايير تصنيفها "؛"متاحف الآثار ودورها "؛المصدر السابق . *مجلة الأتحاد العام للآثاريين العرب ؛مجلة جامعة دمشق* ، الصفحات ص 769–735؛ص557,ص3.

محمد جمال راشد. (مجلد 16,العدد 27, 2024). "المتحف التنقل نشأته ,فكرته ,وأهدافه ". *مجلة كلية الآثار ,جامعة دمياط* ، صفحة ص308.

محمد سعيد المرتجي. (2017). "المتحف وأساليب العرض ". تأليف *المتاحف العربية* (الصفحات ,ص82 وما بعدها). الدوحة : المنظمة العربية للمتاحف .

محمد يسرى إبراهيم دعبس . (2004 ,ص31–32). *متاحف العالم والتواصل الحضاري دراسات وبحوث في أنثربولوجيا المتاحف* . إسكندرية : الملتقى المصري للأبداع والتنمية .

محمد, عائشة فاطمي؛عبد الرحمن بن أبراهيم الشاعر ؛رفعت موسى. (العدد 3, -2002الرياض-1992-الجزائر -2017). "دور المؤسسة المتحفية في حفظ التراث الأثري "؛"مقدمة في تقنية المتاحف التعليمية "؛مدخل الى فن المتاحف. *مجلة هيرودتس للعلوم الأنسانية والإجتماعية ؛مجلة كلية التربية جامعة الملك سعود*، الصفحات (عياد موسى العوامي، 1984)؛ص4ص,ص3؛ص43.
مقدمة في علم المتاحف عياد موسى العوامي. (1984). *ليبيا*. طرابلس,ص62.
نعيم الزيدي وجمعة حريز. (العدد 66, 2018). "دور المتاحف في دعم الذاكرة الأجتماعية ". *مجلة دراسات في التاريخ والآثار* ، صفحة ص82 وما بعدها .

الهوامش :

[1] . يعد التوثيق "من رقم القطع ؛السجل المتحفي ؛السجلات الورقية الرقمية التي ترتبط مع بعضها البعض ومع بيئة المتحف حاجة ضرورية لغرض إيصال رسائل محددة منها تاريخية ؛إجتماعية ؛دينية وإقتصادية فعند نقل القطع الأثرية من مكانها وسياقها تقل إهميتها ويصبح أكثر إعتمادا على الوثائق المرتبطة بها فتبدأ حياة جديدة ويتم دراستها وعرضها ومن ثم ترميمها ومن ثم إعارتها نقلها ويتم وضعها الى جانب المقتنيات الأخرى وبالتالي ضرورة تميزها عن غيرها ينظر :توثيق المجموعات المتحفية دليل التوثيق لمتاحف البلدان النامية , ,ص5

[2] . يهدف الى تحقيق أهداف المتحف عن طريق إيصاله رسالته للجمهور فهو الوسيلة الإعلامية الناجحة في توصيل المعلومات بوسائل وطرق علمية حديثة ؛سهلة وجذابة ولتفادي التكرار والإطالة مما يؤدي الى ملل الزائر سواء أكان العرض دائمي أو مؤقت أو متنقل ويكون ذلك بإستخدام وسائل عرض مختلفة تتناسب وطبيعة المواد المعروضة مثل البطاقات الشارحة ؛الرسومات ؛الخرائط ؛الجسمات فضلا عن الوسائل السمعية والمرئية ووسائل الإضاءةينظر رفعت موسى محمد ,ص43.

[3].[3] فالمعارض تعد من أهم وسائل الأتصال والأعلام فضلا عن دورها الدعائي والإشهاري لأنشطة المتحف المتنوعة فالمعارض بمختلف أنواعها المتنقلة –الدائمة والمؤقتة تلعب دوراًكبيراًفي جلب وإستقطاب الزوار من الجمهور الواسع الذي ينتمي الى فئات مختلفة من شرائح المجتمع ولا سيما خلال مدة إقامة المعارض ينظر آدمز فيليب,المتحف والزائر ,ترجمة محمد حسن عبد الرحمن ,الهيئة العامة للكتاب ,القاهرة -1994,ص113.

[4] . فالمتاحف ترحب بالزوار وتعمل على تمكين مختلف الجماهير من التعرف والإطلاع على المقتنيات لتجسد التنوع والأختلاف فضلا عن تعزيز المشاركة السياسية وأتخاذ منظور أخلاقي وفقاً لجوهر علم المتاحف المهم والجديد والذي عرف بالممارسات النشطة في إدارة المتاحف أفيناريوس و كامل ,المصدر السابق ص18.

[5] ويتوافرعدد من المعايير التي وضعت لأجل تصنيف المتاحف وفقا لطبيعة الحيز الذي تشغله وهي:مجال الأختصاص ؛طبيعة المجموعة المتحفية ؛الفضاء الذي يشغله المتحف ؛طبيعة الزوار المستهدفة ؛مهمة المتحف وأخيرا الملكية "الهيئة المالكة "للمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر محمد جمال راشد,"أنواع المتاحف ومعايير تصنيفها "مجلة الأتحاد العام للآثاريين العرب ,م22,ع1,القاهرة-2021,ص735-769؛ فالمتاحف تتحدد أكثر أنواعها بطبيعة التراث المعروض وتنوع معروضاتها مع الأخذ بعين الأعتبار الموقع؛الحجم ؛النظام والشكل فاستنادا الى تقسيم جورج هنري ريفريه قسم المتاحف الى متاحف فنون؛علوم إنسان ؛علوم طبيعية ومتاحف العلوم وتقنياتها وهناك عدة تصنيفات آخرى متبعة في دول العالم تدور حول مجالات الرئيسة منها الفنون ؛التاريخ والعلوم وهو التصنيف المتبع في المتاحف البريطانية عن هذا الموضوع سعد الحجي ,"متاحف الآثار ودورها "مجلة جامعة دمشق ,م30 ,العدد3-4,دمشق-2014,ص557؛ لعمى عبد الرحيم ,المصدر السابق ,ص 3.

[6] تعد العروض المتحفية من بين أهم مراحل تأسيس وتشكيل المتاحف وهناك عددمن الأصول لا بد من مراعاتها لغرض تحقيق الرؤية والتصور الجيدان للزائر ولاجل تحقيق الغرض الأساسي من إقامة المتاحف وتحقيق وصول رسالتها الى الجماهير فإذا كانت المعروضات جيدة كان وصول المعلومات أسهل للمتلقي وبالتالي كانت رسالة المتاحف أكثر تاثيراًووضوحاً ينظر المتاحف في مصر والعالم العربي ,ص42

[7] ولغرض التفرقة بين المتاحف المتنقلة والعروض المتنقلة التي تمثل معرض متنقل يحمل فكرة واحدة ينقل ليعاد إقامته في متحف أو صالة عرض بينما يعد المتحف المتنقل وحدة مجهزة للنقل لغرض نقل أنشطة المتحف داخل تلك الوحدة أو حولها "الشاحنة أو الباص "وعلى هذا الأساس يتضح الفرق بين الأثنين على الرغم من قيامهم الأثنان معا على التنقل الا أن طبيعة كل منهما والأهداف المرجوة مختلفة ينظر راشد ,تصنيف المتاحف المصدر السابق ,ص509

ليديا بيكر ودورها النسوي في بريطانيا 1827-1890
(دراسة تاريخية)

أ.م. وفاء خالد خلف

wafaa@mustansirigha.ed.iq

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم التاريخ

الخلاصة

تعد ليديا بيكر من أوائل النساء اللاتي ادين دوراً مهماً في المجتمع البريطاني ، وبذلت جهداً كبيراً من اجل التحرر لحصول المرأة على حقوقها ومكانتها في المجتمع ، وان تكون في سياق مهم ، وناضلت من اجل إيجاد فرص تعليم وتحسين أوضاع الفتيات والنضال من اجل حق الاقتراع ، وتحتل ليديا بيكر مكانة مشرفة في المجتمع وافراده المخلصين اذ ما وصلت اليه دون خوف او تردد وبعد أن وضفت يدها على طريقة النجاح ، لم تنظر الى الوراء ابداً على الرغم من العمل والجهد المتواصل الذي بذلته كان طويلاً وشاقاً, ولم يمكنها من رؤية الثمار الكاملة لأعمالها, لكن البذرة التي غرستها على تلك الأرض كانت بشق الأنفس ، لكن نتاجها اثمر الكثير من العمل الذي كان هو الأساس لشق طريق العلم وبناء نهضة الشعوب .

الكلمات المفتاحية: الحرية، التصويت، الجمعية

Lydia Becker and her rolle of the movement women 1827-1890
(historical study)

Assistant Professor Wafa Khaled Khalaf

College of Education , Al-Mustansiriya University , Department of History

Abstract

Lydia Baker is considered one of the first women to play an important role in British society. She made a great effort for the liberation of women to obtain their rights and place in society, and to be in an important context. She fought to find educational opportunities, improve the conditions of girls, and struggle for the right to vote. She occupies Lydia Baker holds an honorable position in society and its loyal members, as she reached it without fear or hesitation, and after adding her hand to the path to success, she never looked back, despite the continuous work and effort that she exerted. It was long and arduous, and did not enable her to see the full fruits of her labors, but The seed that I planted on that land was hard-earned, but its result yielded much work that was the basis for paving the way to science and building the renaissance of peoples.

Keywords: freedom, voting, association

المقدمة

سعت المرأة عبر المراحل التاريخية على الكفاح في مناطق العالم المختلفة من اجل مساواتها بالرجل في المعاملة ، وكانت هناك عدة قضايا التي برزت في القرن العشرين من اجل حق المرأة ابرزها حق المرأة بالتعليم وحصولها على وظيفة او عمل معين ، وكذلك التصويت في الانتخابات وترشيح نفسها ، وتعد هذه الأمور من عناصر البرنامج السياسي الليبرالي وحضيت بالاعتراف ووضعت قانوناً وطبقته في معظم المجتمعات ، الا ان المرأة لا تزال تواجه أموراً تمنعها من ان تحصل على هذه الحقوق في الكثير من مناطق العالم ، وقد نجحت الحركة النسائية على مدى سنوات طويلة في مختلف المستويات والإفادة من بعض البرامج المعينة بدلاً من بقائها على الهامش .

وتعد ليديا بيكر واحدة من النساء اللاتي كان لهن دور مؤثر في المجتمع، اهتمت بعلم الفلك وعلم الأحياء نتيجة تأثرها بالمناطق التي سافرت أليها ، وقد كرست حياتها للعلم والتعلم, وكانت لديها رغبة شديدة من أجل تغيير تفكير وأوضاع المرأة في المجتمع وفي جميع المجالات وسعت جاهدة الى نجاح حق تصويت المرأة في البرلمان, وقد توفيت ورغم عدم رؤيتها لثمار نجاح هذا الموضوع .

اولاً : السيرة الذاتية ليديا ارنست

1-ولادتها ونشأتها

ولدت بيكر Lydia Ernestine Becker في 24 شباط 1827 في شارع كوبر (cooper street) في مانشستر Manchester، وهي الابنة الكبرى لارنيست هانيبال بيكر Larnest Hannibal Baker ، إذ نشأت وترعرعت من أسرة كبيرة تألفت من خمسة عشر طفلاً، وكانت عائلتها من الطبقة المتوسطة، والدها من أصل الماني والدها ارنست هانيبال بيكر من مواليد تورينجيا Thuringia ، وقد انتقل الى انكلترا عندما أصبح شاباً وذلك بسبب اشتهار مانشستر كمدينة تجارية، ورغب بتحسين دخله نتيجة كثرة عدد أفراد عائلته وقد استقر فيها من أجل الاعمال التجارية فيها. أما والدتها ماري Marie فقد كانت تنتمي لعائلة لانكشاير Lancashire القديمة وهي من عائلة دونكوفنس Duncovance في منطقة هوليوود Hollywood (Holmes, 2012, p. 5)

قضت ليديا سنوات قليلة من حياتها الأولى في مانشستر، ولكن عندما كانت صغيرة جداً انتقلت العائلة الى منطقة الثام ، Al-Tham وهي منطقة قريبة من اكرينجتون Accrington. وكانوا يعيشون في منزل واسع وكبير يعلو الأرض على مسافة مرتفعة ويبدو في منظرهِ كأنه قصر من قصور الخيال. وكان يطل على بيندل هيل Pendle Hill والأجواء الريفية الساحرة والداعية الى الحرية والجمال فقد قضت ليديا أغلب حياتها للعيش في هذا المنزل وقد كتبت ماري والدة ايديا عن ابنتها ايدي"ا الصغيرة مصدر عظيم للراحة و المتعة لنا ". غادرت ليديا هذه الأجواء وتوجهت الى منطقة ريديش Reddit وذلك بسبب عمل والدها واضطراره الى أن يبقى لعدة سنوات فيها حوالي ثلاثة عشر سنه)1837-1850(وذلك بسبب اعمال طباعة كاليكو Calico print قام بها السيد بيكر اضطر للقيام بهذا الأمر (Holmes, 2012, p. 5). لكنهم عادوا مرة أخرى الى الثام. وقد أوضحت احدى شقيقات بيكر عن مدى الحياة السعيدة والهادئة التي كانوا يعيشونها في ريديش بقولها: "كانت حياتنا في ريديش هادئة وخالية من الأحداث، وسط المناظر الطبيعية الجميلة والزهور. وقد أثرت الاضطرابات في الحياة السياسية في تلك المدة علينا الى حدٍ ما. وأتذكر الإثارة عندما حدث ذلك".

"كان يُعتقد ان الجارتين* (حسن، 2021، صفحة 10) قد يجدون طريقهم الى وادينا المسالم، وهو أيضاً عام الثورات عام 1848، عندما وصل لويس فيليب (الخفاجي، 2016، صفحة 15)* الى انكلترا بصفته السيد سميث، وتم اعادة انتاج المناقشات العاصفة المرتبطة برابطة مكافحة قانون التجارة بشكل مُصغر في دائرة الأحداث لدينا " (Holmes, 2012, p. 5)

2- تعليمها

بعد أن أكمل الوالد عمله، عملت العائلة الى مغادرة ريديش والعودة الى الثام وذلك عام 1850، وكانوا مستمتعين بالعودة والأجواء الريفية الجميلة المليئة بالمناظر والرحلات والمشي وبفعل البيئة فقد عملت ليديا على دراسة نباتات المنطقة وقد كانت شغوفة جداً بعملها وأوضحت اختها عندما كانت تتعرف على أشياء جديدة: "كان علم النبات وعلم الفلك دائماً دراستها **المفضلة**. وكما عبرت عنها صديقة شبابها كما عرفت ليديا واصبحت كل زهرة صغيرة تنمو"(Holmes, 2012, p. 5) وظلت السعادة ترافقها وهي تنظر وتعمل بين الأزهار في الريف. كانت محبه للدراسات العلمية في علم النبات وعلم الفلك وكانت مُحبة للعلم، وقد تلقت تعليمها في المنزل مثل باقي أفراد المجتمع، وذلك بسبب الأوضاع التي كانت سائدة في تلك المدة إ لقد قضت مده من الوقت في مدرسه داخليه في ليفربول Liverpool ولا توجد معلومات كافيه عنها وقد عانت من نقص الهدف والاحباط الفكري واوضحت هذه المشاعر من خلال رساله

* الجارتيه :يطلق عليهم أصحاب الحركه الجارتية او غضبه او مقاومه قوانين الحبوب وقد قام هؤلاء الأشخاص بالتحرك داخل بريطانيا من اجل إقناع أصحاب الصناعة بان قوانين الحبوب التي كانت قد صدرت عام ١٨٢٢ تعرقل نمو التجارة وكذلك إيضاح للشعب بان قوانين الحبوب تزيد اسعار المواد الغذائية.

* لويس فيليب : (١٧٧٣-١٨٥٠)ملك فرنسا (١٨٣٠-١٨٤٨)اعتلى العرش الفرنسي على إثر ثوره تموز عام ١٨٣٠ .لقب بالملك المواطن .قرب خلال حكمه في البرجوازية لم يحظ حكمه بقبول الجميع مما أدى إلى تعرضه لعده محاولات اغتيال ابان مده حكمه الذي انتهى بقيام ثوره عارمه ضده أطاحت بعرشه مما أدى بالتالي إلى خلعه والتجاءه وعائلته إلى بريطانيا التي بقي فيها حتى وفاته عام ١٨٥٠ .

كانت قد بعثتها الى احد معارفها عندما ذهب اخوها الى اكسفورد oxford لدراسة العلوم :"انا افرح بنجاحه ولكن لدي قناعه انه لو كانت نفس الفرص قد وضعت في متناول يدي... كان بإمكاني أن أفعل الكثير وربما كنت سأحاول في وقتها مكانه موحده في العالم في مهنه مشرفه لنفسي ومفيده للآخرين بدلا من أن أكون غامض تعارضت مع قواي الفكرية المبذولة بسبب الافتقار إلى المعرفة بالكلاسيكيات والرياضيات وعقل نصف متعطش للعوز من الأشياء التي كان من الممكن أن اتهامها بنفسي " (parker, 2001, p. 631)ولكن هذا الأمر بدأ بالتغير سيما بعد التغيرات التي طرأت على بريطانيا في المجال الاقتصادي كان لابد من إجراء تغيرات في مجال التعليم والذي كان فرديا في منازل الاغنياء او عن طريق مدارس تكون خاضعه لمؤسسات اهليه او دينيه يتم الاعتماد في تمويلها على المنح والتبرعات و نتيجة لهذه الظروف فقد اتسم التعليم بالصفة الدينية وسيطرت رجال الكنيسة (الوائلي ط.، صفحة 152)عليه وتطورت الأمور بعد ذلك وظهور قانون التصويت وتوسعت الإصلاح البرلماني (الوائلي ط.، صفحة 10) لذا توجب أن يتوسع التعليم بل وتحديثها ايضا ورغم المحاولات الجادة والمستمرة في هذا المجال ظل التعليم حتى عام ١٨٧٠يعتمد على العائلة وقدرتها المادية فكانت أغلب العوائل الغنية تقوم بإرسال أولادها للمدارس مقابل اجر مادي بينما يفضل إغلبيته الفقراء عدم ارسال اولادهم للمدارس لان ذلك يكلف من الناحية المادية مبالغ كبيره تكون الاسرة احوج لها تصرفها واستغلالها بدلا من التعليم (الوائلي ط.، صفحة 153)

اذ لم يكن الاهتمام بالتعليم بصورة كبيرة وواسعة لاسيما الفتيات الأمر الذي شكل لها هذا الأمر تحدياً ورغبة قوية من أجل العلم والتعلم.

توجهت الى منطقه تورنجيا Thuringia في المانيا يا وذلك بعد دعوة كانت قد لبتها من أقاربها وقد كانت زيارتها طويلة، وكان ذلك عام 1844 وكانت بيكر قد بلغت عمر السابع عشر وهو عمر الحماس والفضول وحس التفكير والنقد كانت قد حظيت بشرف قراءة الرسائل التي أرسلتها الى دائرتها المحلية خلال تلك المدة ويظهر لنا أنها تمتلك في تلك السن قوى غير عادية في الملاحظة والتفكير الذكي، وكانت قد قرأت الادب الانكليزي والتاريخ اضافة الى اللغة المُتقنة للمدة التي كتبت فيها تجعل الافتقار الى الفكاهة والميل للعمل الجاد لعقليتها التي برزت وكانت دائمة التفكير والتحليل والمعرفة وكانت تختلف عن بنات جيلها اللواتي كُنَّ يفكرن بالتسلية والفكاهة حتى انها لم يكن لديها صديقات وقد راسلت أخواتها وسألتهن عن الأخبار السياسية وقالت: "أفتقد الصحف أكثر كل وسائل الراحة الانكليزية مجتمعه ". (Holmes, 2012, p. 6)

عادت ليديا الى أسرتها في نهاية عام ١٨٤٥ بعد تطور التعليم دخلت مدرسة مانشستر وامتازت بالدولة والذكاء وعملت على كتابه مقالات وبحوث ذات قيمة كبيرة ونشرت ورقه بحثيه علميه حول موضوع البستنه و اهتمت بالدراسات العلمي .ولابد من القول أن الجهود الشخصية لم تكن وحدها هي الأساس في هذا التقدم الذي حظيت به ايديا وإنما كانت مدفوعة بحماس وتأييد عمها الذي اعوضها عن غياب والدها إذ أشرف على تربيتها وتعليمهم وأظهرت تفوقا منذ صغرها، واستطاعت من تعزيز هذه الثقة الممنوحة لها من قبل عمها وان تثبت له جدارتها فطالعت العديد من المؤلفات وامتلاك ثقافه واسعه اضافه الى عمتها صوفي Sufi والتي كانت إرسالها وأخبرها عن أوضاعها وأعمالها وابتسمت السنوات الخمسة عشر الاخيرة التي قضتها ايديا باحداث مؤلمه إذ فقدت والدتها في عام ١٨٥٥،ورافق ذلك عبئ ثقيل وقع عليها ووفاة شقيقها أرنست Ernest في البرازيل عام ١٨٥٧ والذي يبلغ من العمر ٢٢ عاما اثر لدرجه كبيره وكان قد توفي لها ثلاثة أشقاء في مرحله الطفولة وأثرت هذه الأحداث عليها ولم تسمح بذكرها وأخذت تعطي دروساً في اللغة الألمانية معلمة، وكان اسلوبها جيد وسهل وتأخذ الأمور بنظرة ثاقبة وليست سطحية وفي عام 1862 حصلت على مدالية ذهبية من جمعية البستنة في جنوب كنيسنغتون Kensington في لندن لأفضل مجموعة من النباتات المجففة التي تم انتاجها لمدة عام. وكانت خطة عملها هو تجفيف النباتات بسرعة كبيرة تحت ضغط كبير وفي الحرارة، وكانت المنافسة مفتوحة لبريطانيا ، وكانت تعلم ان الخوض في علم النبات ذات فائدة ومتعة كبيرة وكانت على دراية عالية وكبيرة بالنباتات، وكانت لديها مراسلات مع عالم الطبيعة الشهير السير تشارلز داروين Charles Darwin * (داروين، ٢٠٢٠، صفحة 25) ومناقشتها له(عن بعض الحقائق

* تشارلز داروين: Charles Robert Darwin. ولد في 14 شباط 1809 في لندن كان مُحباً للعلم والتعلم درس حتى أكمل جامعة المسيح كامبريدج مدرسة الطب (1818–1825) وتخصص بالالهيات عام 1928 والطب في تشرين الأول 1825، حاصل على بكالوريوس في الفنون وهو

التي لاحظتها في النباتات وقد اصبح تعاون بينهما (parker, 2001, p. 327) (Holmes, 2012, p. 7) مما لاشك فيه فقد أحدثت الثورة الصناعية* (الزيدي، ٢٠٠٤، صفحة ٧٤٣)تغيرا كبيرا في المجتمعات وقد دخلت إلى بريطانيا بصوره أسرع من غيرها، وانت الى توجه النساء الى المصانع واخذت يعملن بجد الا انه لم يكن هناك تقدير لهذا العمل بل كانت الاوضاع سيئة على جميع الأصعدة، الذي دفع بالعديد من النساء من أجل تغير أوضاعهم لذا فقد تم إنشاء أول جمعيه نسائية من الطبقة المتوسطة الآتي كن في المناطق الصناعية من أجل محاربه العبودية والمعاملة المهمة، وازدادت إعداد الجمعيات، حتى فكرت ليديا بان تعمل على توحيد هذه الجمعيات النسائية الصغيرة واخراجها في اتحاد نسائي كبير ينادي بحقوق الإنسان وهو ما تم بالفعل (جرجي و واخرون، ١٩٨٢، صفحة 122).

وقد استمرت حياة ليديا في التنقل إذ ذهبت العائلة للعيش في مانشستر، وذلك عام 1865، وبعد عام أو عامين حاولت حث النساء على الدراسة العلمية وايجاد ما فيها من فائدة كبيرة للمجتمع عامة والمرأة خاصة، لكن النتائج لم تكن مشجعة للغاية، إذ كان عدد الأعضاء أقل بكثير مما كان متوقعاً من قبلهما (Holmes, 2012, p. 15)، لقد كانت تلك السنوات التي قضتها بالبحث والتقصي والمساعي العلمية ودقتها الشديدة واهتمامها بالتفاصيل اثبتت انها لا تُقدر بثمن في عملها التنظيمي وقدرتها الفكرية وأعطاها احساس بالتوازن تجاه الخيبات والاخفاقات التي قد تواجهها وهي من أساليب الحياة وهو أشبه ببريطانيا التي اعتمدت على قوتها الاقتصادية وسيادتها البحرية واكتفت ذاتياً فقد استطاعت أن تستغل الأوضاع من اجل تحقيق ذاتها (عبد الله و تماضر، 2016)

وكانت المرأة لا تحصل على حقوقها البسيطة في داخل المنزل أيضاً، إذ انها كانت تدفع ثمناً باهظاً من أجل غضب الزوج حتى ان قانون الطلاق الذي صدر عام 1857 لم يكن منصفاً للمرأة إذ انه معياراً مختلفاً بين الجنسين، هذه القرارات والأحداث دفعت النساء بمختلف المستويات للرغبة في التغيير والتعبير عن استيائهن، ومن هنا بدأت البذرة الأولى للمطالبة بحق المرأة في التصويت، ثم بعد ذلك اصبحت الرغبة بالتغيير في الوضاع من قبل النساء والرجال، وكانت النسوة يناضلن من اجل الحصول على فرصة للتعليم العالي وفتح المزيد من المهن أمام النساء، وكانوا يدركون تماماً أهمية الاقتراع (Holmes, 2012, p. 9)

لقد كان هناك وعي متزايد بكفاح النساء في القرن التاسع عشر، وقد قدم جون ستيوارت ميل John Stuart Mill * (وندي و ريتشارد ، 2011)، عام 1866 عريضة للدفاع عن حقوق النساء الى البرلمان البريطاني وهو صاحب كتاب استعباد النساء وحققت جهداً كبيراً عام 1866 نجح مشروع الاصلاح الذي تم اقتراحه من أن يستوعب كل السياسيين وكان هدفه الأساسي هو الامتيازات وكان يشمل مجلس النواب.

لقد وجدت النساء المدافعات عن حق المرأة في التصويت الفرصة السانحة من أجل فرض رأيهن ومطالبهن في صفوف المواطنين خاصة بعد تهيؤ الظروف المناسبة منها وقوف جون ستيوارت ميل في مجلس العموم* (الكيالي، صفحة ٣٢٨)، هذا وقد تم تشكيل

كاتب وجيولوجي صاحب نظرية التطور لدى الانسان والتي لها تأثير كبير على الفكر البشري ومتزوج وله أربعة أبناء ظهرت اهتماماته المبكرة الى العلن في مؤلفات وكتب، توفي في 19 نيسان 1882.

* الثورة الصناعية : هي عمليه التغير السريع الذي شهدته اوربا منذ اواخر القرن الثامن عشر، حيث شهدت اوروبا نهضه حديثه في مجالات مختلفة كالعلوم والابحاث والآلات التي تعمل على زياده الانتاج واختصار الوقت الامر الذي ادى الى الانتقال من الزراعة الى الصناعة.

* جون ستيوارت ميل ١٨٠٦-١٨٧٣ ولد في ٢٠/ما بس ١٨٠٦ في ازلنقتون في لندن، وهو الابن الاكبر لأسرته التي أنجبت تسعه أبناء والده كان من المعروفين بالعلم والمعرفة. تأثر بالفلاسفة والمفكرين الفرنسيين كان لتربيته العلمية اثر كبير في تربيته العقلانية سيما أن والده منعه من الاختلاط مع بقيه أقرانه من اجل العلم .تعلم اليونانية والاتينية منذ نعومه أظفاره. كان غذاؤه الفكري يرتشفة .من سياسه والده والعلم والأدب الكلاسيكي ويحب الفلسفة وكان قوله المعروف بان السعادة هي الغاية الحميدة للوجود البشري .وقفت بشده ضد الخضوع التام للنظام وكان يكره ضيق الأفق عمد على كتابه مقالات ونقد وخاض ميدان السياسة وطالب بحق التصويت المراءة .

* مجلس العموم البريطاني :هو مجلس يتم انتخابه بطريقه الاقتراع السري المباشر يتألف من ٦٥٠ عضو ويتم انتخاب المجلس بطريقه الدوائر الانتخابية أو مناطق التصويت، وهم يشغلون مقاعدهم لحين انتخاب أعضاء آخرين بعد اربع سنوات، ويتم انتخاب أعضاء برلمان آخرين بعد اربع سنوات ويتم انتخاب أعضاء البرلمان اما عن طريق انتخابات عامه تجري في جميع الدوائر الانتخابية أو عن طريق انتخابات تكميلية تحدث عند حدوث حاله وفاه لأحد أعضاء المجلس .تطور مجلس العموم البريطاني في مرحله ما كانت بريطانيا تسمى انكلترا خلال القرن الرابع عشر، وقد

لجنة عمل من النساء المشهورات من أجل ترويج عريضة برلمانية من جنستون Genston ، بعد ان استشاره السيد جون ستيورات ميل في هذا الموضوع ووعد بتقديمه حتى تمكنوا من جمع تواقيع ما يصل الى مئة اسم وبأقل من اسبوعين قد حصلوا على 1499 توقيع وكانت تضم اسماء معينة وقد اندهش جون ستيوارت من هذا الأمر حتى انه قال:"آه يمكنني التلويح بهذا بفعالية" (Holmes, 2012, p. 10) دلالة على الثقة العالية التي مُنحت له من اجل هذا الأمر وكذلك النسبة العالية من النساء الراغبات بالتغير (Holmes, 2012, p. 10)

ثانياً : انشطتها العلمية

1-انضمامها للجمعية البريطانية للعلوم British Society for Science

تأسست هذه الجمعية في ٢٧/ايلول١٨٣١ في بريطانيا من قبل ويليام فيرون هاركورت William Fearon Harcourt قدمت العديد من الأبحاث العلمية لاحقا .هدفها الاهتمام بالمسائل العلمية وتم اجتماعها من قبل اللورد ميلتون Lord Milton رئيس جمعية يوركشير Yorkshire Society الفلسفية وحضر الاجتماع العديد من الأشخاص من أعضاء الجمعية وغيرهم من بينهم رجال الكنيسة وأطباء وخبراء وفرسان وغيرهم ولقد تم معارضه دخول للنساء في البداية، الا ان الامر توضح من اجل وجودهم الاساسي ووظيفتهم هو توفير جو يسوده الالفة والمتعة، والسعي من اجل تقويه الروابط والمسافات الاجتماعية وترسيخ الأخلاق الحميدة لقد كانوا بمثابة جدار قوي اجتماعي لقد حصلت الجمعية على مصدر من الموارد المالية هو عن طريق بيع التذاكر من قبل الجمعية وكان سعرها جنيه استرليني وقد حضرت ايديا بيكر عده اجتماعات تراوحت متبين ١٨٦٤-١٨٨٩ وتكللتها عده سفرات وزياده إلى بلدان مختلفة فمثلا عام ١٨٨٤ توجهوا إلى مونتريال Montreal (parker, 2001, p. 632). وقد حضرت الاجتماع الذي كان ذات فائدة كبيره و مهمه أبرزها وفر لها منفذ فكري من اجل التعبير عن ما هو موجود بداخلها من أفكار ومناقشات وانه كان مكان التقاء العديد من الهواة بنفس أفكارها وسمح لها بالمشاركة في معرفه الاكتشافات العلمية الجديدة كما أنه عد مكان لتجديد العلم وتطوير الذكاء من خلال إلغاء الفكرة التقليدية عن المراءة من خلال وضعها داخل المنزل وتقديسها للمنزل والامومة كما سعت ليديا بيكر الى تطوير ذكاءها وقدراتها المنطقية وجمع المعرفة وتنميه قوه الملاحظة وكانت نساء الطبقة الوسطى يعانون من الحياه الرتيبة والفراغ الفكري وكان لابد من ضرورة دراسة العلوم وهي حق اساسي من حقوق الانسان وان الرجال والنساء متساوون فكريا لذا كان يتوجب دراسة العلوم بنفس الشروط التي يدرسها الرجل وكان على النساء ان يتابعن نفس التدريب ويدخلون للحصول على مؤهلات معادله (parker, 2001, p. 631).لقد تميزت هذه الجمعية عن باقي الجمعيات العلمية الأخرى بأنها قد قبلت النساء وكان الغرض من ذلك هو تشجيع الهواة ونشر الأفكار العلمية وكان الغاية من ذلك هو جعلهم حلقه وصل مهمه بين العلماء وعامه الناس . وقد أوضحت في أول خطاب راسي لها بان "الشهادة العامة ذات سمعه طيبه والحماس للعلم هو جواز السفر الوحيد الذي تطلبه للدخول إلى معسكرا (جمعيتنا)"تعد الجمعية منظمه وطنيه متنقلة تعقد اجتماعات لمده اسبوع في مواقع مختلفة من كل عام وذلك بسبب السياسة الليبرالية* (مصطفى، ٢٠٢١، صفحة 2)التي تم اعتمادها في قبول النساء والمناسبات الاجتماعية الجديدة التي أقيمت والسهرات والرحلات والمحادثات والاجتماعات الهامشية المختلفة وبدأ عدد كبير من الأصدقاء والأقارب لحضور المحاضرات (parker, 2001, p. 631)* كانت ايديا قد أصدرت كتابها عام ١٨٦٤ومن خلال اجتماع كان قد عقد لجمعية العلوم الاجتماعية في تشرين الأول 1866 في مانشستر تعرفت ليديا على هذه القضية والتي أيدتها وارتبطت بها بقوة وقدم جون ستيوارت ميل العريضة التي قدمت له في 7 حزيران 1866 وتبلور التنظيم من جراء الضجة التي اثارتها هذه القضية، حتى انه ظهر رد الفعل الايجابي من خلال تشكيل خمس جمعيات مهمة في وقت واحد تقريباً هي كل من لندن ومانشستر وادنبره وبريستول وبرمنغهام. وتم تعيين ليديا بيكر

استمر هذا المجلس بالتطور حتى صار مجلس العموم البريطاني العظمى بحدوث اتحاد سياسي مع اسكتلندا عام ١٦٠٢،وقد تم تسميته بالصيغة الحالية بعد استقلال ايرلندا عام ١٩٢٢.

* الليبرالية :هي فلسفه سياسيه او راي يعتمد على الحرية والمساواة وتطبق حسب أخلاق وظروف المجتمع والبلد التي يتم تطبيقها فيه وهي تعتمد أساسا على حريه الفرد بالعمل الذي يقوم به طالما هو لا يضر بأحد ولا يحق لأي أحد بالتدخل في شؤونه.

* لقد أجرت صحيفه English Womens Reviewإحصاءات لعدد الزائرات وكان ١١٠٠ زائره حضروا عام ١٨٣٨ في نيوكاسل.

في 13/شباط/1867 وأحدث هذا الأمر ميزة كبيرة وضجة وذلك لأنه سوف يحدث نوع من تشكيل الاتحاد الفدرالي ولذا ووفقاً للقرار الذي أقرته مانشستر في تشرين الثاني 1867 اتحدت الجمعيات الخمس وشكلت نواة الاتحاد الوطني الكبير والمؤثر الحالي لجمعيات حق المرأة في التصويت وقد جعلت الاتجاهات الرئاسية للسيد فوسيت وهي احد الأعضاء المهمين في لجنة جمعية لند ن (Holmes, 2012, p. 11)

هذا وقد تم تقديم التماسين للسيد ميل والذي بدوره قد قدمها الى مجلس النواب قبل أن ينقل تعديله الشهير الى مشروع قانون الاصلاح لعام 1867 لقد كان الالتماس الأول موقعاً من قبل 1605 امرأة من ربات البيوت، وأما الاخر فقد كان من عامة الناس ويحتوي على اكثر من 3000 توقيع، إن التعديل المطلوب كان استبعاد كلمة رجل وادراج كلمة شخص بدلاً عنها وفي 20/ايار تم الاعتراف به عالمياً على انه خطاب قوي وبليغ لكن هُزم من قبل الأغلبية 123.أن الدراسات العلمية أعادت احياء انجازات العديد من النساء الآتي لم يتم تكريمهن وأشارت إلى استبعاد الفتيات من قوائم الجوائز الأكاديمية لذا فقد عملت هذه الجمعية على رفع احترامهم لذاته وتشجيعهن على التنافس على التميز الأكاديمي وجزاء مهما من عمليه التغيير . (Holmes, 2012, p. 123)

الاجتماع العام الأول:

عقد أول اجتماع عام من أجل حق المرأة في التصويت وذلك في 14/نيسان 1868 في الاجتماعات بقاعة التجارة الحرة بمانشستر وكان أول اجتماع في هذا البلد تخاطبه النساء وتولى الرئاسة السيد بوشين Pusheen ، عُمد سالفورد وتم اقتراح القرار الذي يُطالب بأصوات النساء بنفس الشروط التي تُمنح للرجال من قبل الآنسة بيكير ودعمها رئيس الشمامسة ساتل فورد وبدعمه من يحمل اسماً اصبح الآن مشهوراً عالمياً وتم إحراز تقدم كبير في كسب الدعم في البلاد(Holmes, 2012, p. 14)

لقد اقر قانون الاصلاح مجموعة من الأمور وقد اضرت بالنساء إذ استبعدها وخاصة ربات البيوت 1867 (الوائلي ص.، 2020، الصفحات ٢٥٧-٢٥٨)

قررت لجنة مانشستر اختبار صحة مطالبة النساء بأن يُصبحن قاضيات على الأسس المذكورة اعلاه، وتم اتخاذ خطوات لإدراج النساء دافعات الضرائب في السجل، وقد قادت ليديا بيكر الحملة بأقصى قدر من الحماس وتم اعداد لوحة من منزل الى منزل لنساء ربات البيوت في مانشستر، وارسلت 50346 امرأة مطالبتهن الى المحامين المراجعين وحذت حذوها 1341 في سالفورد Salford ، 857 في بروتون وبندلتون، و239 في ادنبرة، وعدد قليل آخر في اجزاء اخرى من البلاد وكان رد فعل المحامين المراجعين هو الرفض وعدم السماح لهذه المطالب وفي العديد من الحالات، (Holmes, 2012, p. 14) ومن اجل الحصول على قرار قانون، تم اختيار اربع قضايا للاستئناف وتم مناقشتها امام محكمة الاستئناف العام في 7 تشرين الثاني 1868 أمام اللورد رئيس القضاة بوفيل ومجموعة من القضاة والمحامين المستأنفين، وذكرت التقارير السنوية وهو التقرير الثاني لجمعية مانشستر الوطنية حق المرأة في التصويت "تحدث السير جورج كوليروج George Colerog ، في جدال طويل ومُفصل، لصالح لحق الدستوري القديم للمرأة في المشاركة في الانتخابات البرلمانية. انتج نسخاً من مكتب التسجيل من العديد من العقود التي تعيد الأعضاء الى البرلمان، وكانت التوقيعات عليها بخط يد النساء وأكد ان الحق الذي يمارس على هذا النحو لم يُنتزع قط بموجب القانون. كما أكد أيضاً ان المصطلح العام (الرجل) في قانون الإصلاح الجديد يشمل النساء، ليس بشكل عام فحسب بل على وجه التحديد، بموجب أحكام قانون اللورد بروغام Lord Brougham لعام 1850، ومع ذلك فقد صدر الحكم ضد النساء، حيث حكم القضاة بأنهن لم يكن لديهن أي حق قانوني في الاعتراف بهن كمواطنات حتى هذا الحق تم منحه لهن صراحة بموجب قانون صادر عن البرلمان " (Holmes, 2012, p. 15)

لقد كانت هناك انتخابات عامة وتمت أيضاً محاكمة هذه الدعوى وفي اليوم التالي للقرار، تم ارسال خطابات الى كل مُرشح في البرلمان من قبل ليديا بيكر ومُذيل بتوقيعها تساءل عما اذا كان بأنه سيتم دعم مشروع قانون يمنح الأصوات للنساء في البرلمان بنفس ظروف الرجال الذين عادوا للبرلمان وبذلك حدثت أصوات اضطرابات في جميع أنحاء البلاد مع هذا الاعلان لقد أوضح هذا الحكم بأن كلمة رجل في قانون برلماني يشمل المرأة عندما يتعلق الأمر بدفع الضرائب اما الرسوم الأخرى لكن لا يتعلق هذا الأمر بالامتياز، وهو الأمر الذي لم يؤثر على المحامين الذين كانوا يراجون قضايا ادعاءات النساء وبسرعة قامت ليديا بيكر بإرسال تعميم الى جميع الذين كانت اسمائهم مُسجلة، تحثهم على التصويت وقد فعل العديد منهم ذلك، وقد ظلت ليديا بيكر تعمل بجد اثناء ايام الاقتراع في

مانشستر وسالفورد وتوجه النساء الى الأماكن الخاصة بالاقتراع وتوضح بقولها المشهد الحماسي للناخبين "لقد تنافس المرشحون المنافسون بفارغ الصبر على أصواتهم". (Holmes, 2012, p. 15)

وبعد هذا الجهد المبذول حدثت اجتماعات كبيرة ومُنظمة في كل المناطق الصناعية الكبرى ومن هنا بدأت ليديا بيكر بمواصلة جهودها المكثفة توجهت عام 1869، من أجل القاء محاضرات لها في ليدز ونيوكاسل والمدن الشمالية الأخرى وهي من ضمن سلسلة طويلة من المحاضرات التي كانت تعمل بها ولم تكن هناك منطقة في البلاد لم تتعرف عليها وعلى محاضراتها، حتى وصفتها هيلين بلاكبيرن بقولها: "لقد كانت المتحدثة الأكثر ذكاءً وهدوءً وأفضل توازناً التي انتجتها الحركة على الإطلاق".

"الشخص الذي استولى دائماً على النقاط البارزة التي انت دائماً تصل الى جوهر المسألة"، "لم تتميز خطاباتها العامة بالوضوح الشديد في الكلام فحسب" (Holmes, 2012, p. 15). وكذلك قدراتها الخطابية العالية، وايضاحها وابرازها للحقائق وفهمها وايصالها للموضوع بصورة واضحة ومؤثرة.

وبعد عام 1869 عام البطولة بالنسبة للنساء لأنهن بذلك جهداً كبيراً في الخطابة الأمر الذي تطلب شجاعة مفرطة من قبلهن للنهوض والتحدث أمام الجمهور خاصة في تلك المدة من الزمن تختلف عما هو عليه الآن وقد ألقت السيد فوسيت خطابها الأول حول هذا الموضوع وهو أول اجتماع بشأن حق المرأة في التصويت عقد في لندن في 17 تموز 1869 وتقدم الباقون من النساء الخطباء بمرور الوقت. (Holmes, 2012, p. 16)

وقد شاركت في اجتماعات الجمعية الوطنية مع مجموعة من النساء* ، وقد حصلت من خلال مشاركتها بهذه الجمعية على فتره راحه من عملها التحريري والسكرتارية وذلك عندما ذهبت مع الجمعية إلى كندا وذلك في خريف عام ١٨٨٤ . وقد قرأت الاوراق المعروضة على الجمعية في عده مناسبات وشاركت بشكل عام في المناقشات وقد أثارت الكثير من الاهتمام والجدل حول الخطاب الذي ألقته في نورويتش عام ١٨٦٨ والذي كان حول الاختلافات المفترضة في عقول الرجال والنساء فيما يتعلق بالضرورات التعليمية والصورة عامه فإنه مجرد العنوان يثير الجدل والآراء المختلفة ويدعوا إلى المناقشة .

2- جمعية مانشستر الادبية للسيدات

حفزت الاوضاع والأجواء التي عاشتها ايديا بيكر في الجمعية العلمية البريطانية إلى إنشاء جمعيه في مانشستر عام ١٨٦٥ ومن أجل توفير فرصه وطموحاتها المرجوة وقامت بإنشاء هذه الجمعية مع مجموعه من النساء اللاتي كن معها في الجمعية العلمية وأنشأتها شبيها لها من حيث الهيكل والهدف، وكانت هي رئيستها واسكنه سرها وكان الأعضاء يدفعون اشتراكات سنوية قدرها نصف جنيه، وكانت المحاضرات تنتهي بالنقاش في أغلب الأحيان وتم طلب من النساء بتقديم اوراق بحثيه حول اي موضوع يجدونه مناسبا باستثناء الدين، وتم وعدهن بان يحصلن على الكتب العلمية ويعد هذا نجاحا الجمعية في حد ذاته لصعوبة الحصول على الكتب العلمية من قبل النساء (Holmes, 2012, p. 632)

المجلة النسائية أصدرت العديد من الكتب واول كتاب نشرته عام ١٨٦٤ وتوالت المقالات ونشر الكتب بمواضيع مختلفة والتي تتحدث عن النباتات والاعاقات والحرية وغيرها وبعد هذا كله كان لابد بعد الجهود المبذولة **من** قبل ليديا بيكر ان تكرس جهدها وعملها **بإصدار** مجلة تُعنى بحق المرأة في التصويت، وتم تعيين ليديا كمحررة واستمرت بهذه الصفة حتى نهايه حياتها وقد بذلت جهداً كبيراً من أجل ارفاد هذه الصحيفة وجعلها سجلاً دقيقاً ورائعاً لكل خطوة من الخطوات التي يقومن بها اضافة الى ان القادة السياسيين قد عملوا على نشر آرائهم والاجراءات البرلمانية النادرة بين البرلمانيين القدامى. (Holmes, 2012, p. 17) لقد بدأ العمل السياسي يختلط تدريجيا مع حركه الدفاع عن حقوق النساء وتأثير الصحافة البريطانية على هذا الأمر حتى أدى بالنهايه إلى ضهور مجلات وصحف تهتم بكل الامور والأخبار التي تخص المراءة حتى عملت على تغطيه كل تفاصيله في مجالات الحياه وقد نجحت هذه الخطوة من خلال إنشاء مجله الاقتراع النسائية Journal Womens Suffrage والتي أصدرتها ليديا في بداية عام ١٨٧١والتي حققت صدى واسع ونجاح منقطع النظير واستمر صدورها لمده عشرين عام .لقد شجعت هذه الخطوة على المزيد من الأعمال الجريئة بان تقوم بها المراءة واقتداء باللجان المذكورة وتم إصدار صحيفه تتناول الحراك النسوي، وتحريرها والمفاجأة بأنها

* أبرزهن: السيدة اشووث هاليت، الآنسة اصج تايلور، الآنسة اغنيس مالارين، الآنسة روداجاريت الآنسة سي ايه بيجز، الليدي انا جولاتجتون، والآنسة جيسي كريجن

تعمل على طباعتها المراءة وتم ذلك في عام ١٨٨٨ وكان اسم الصحيفة بنس المراءة وكانت الطباعة والمطبعة كانت كلها تحت إشراف وعمل كادر نسائي وبذلك فقد حققت المراءة معجزه فذه واخترقت الجدار الذي يتحصن به الرجل وجعل هذه الأمور حكرا عليه بعد أن كانوا يمنعون النساء من العمل بهذا (Kevin, 2010, p. 150) المجال وظهر اثر هذه والمطبعة واضحا وجليا وذلك من خلال المطالبة بحق المراءة في التصويت من خلال الجهود المبذولة للطباعة بصوره كبيره وزياده عدد المنشورات التي كانت توزع من اجل دعم قضيه المراءة وتجسيد الرأي العام من اجل الوقوف بجانبها ونبذ أسلوب التعصب والطائفية وحتى الاستهزاء الذي تعامل به من قبل أفراد المجتمع الذكوري .

وكان لها عامل تأثير وصدى كبير في ارجاء مختلفة من البلاد إذ أبقت العمال على اتصال مباشر بعضهم مع البعض الآخر وأعطتهم اشارة سياسية مشتركة.

لقد وجد العدد الأول من هذه المجلة صدى واسع وكبير إذ تم ارسال 20166 توقيع الى البرلمان وزاد هذا العدد ليصل الى 1340561 قبل نهاية دورة عام 1870 وزاد هذا المجموع سنة بعد أخرى حتى وصل المجموع الكلي البالغ 415,622 في عام 1875، ومما لاشك فيه أن مجلة حق المرأة في التصويت ساعدت الى حد كبير في تحقيق هذه النتيجة من خلال التحضير المستمر للجهد، وسجل العمل الصادق المنجز (Holmes, 2012, p. 16)

تم تقديم أول مشروع قانون بشأن حق المرأة في التصويت من قبل السيد جاكوب برايت Jacob Bright [*] مكتبه المراءه , (1869 وتم تمريره في قراءته الثانية في 4 مايس 1870 بأغلبية 124 صوتاً مقابل 91 صوتاً. ومع ذلك، فقد تم رفض اقتراح ارسال مشروع القانون الى اللجنة بأغلبية 220 صوتاً مقابل 94 صوتاً، في السلطة في تلك المدة، وبدلاً من السماح لأتباعه بحرية العمل، منعهم من التصويت مع السيد برايت عندما كان لابد من دعم المبدأ الى أفعال وليس اقوال مثل اعضاء البرلمان، وقد كان اوستن تشامبرلين Austin Chamberlain نموذج في البرلمان عام 1870 هذا وقد كانت ليديا بيكر هي مركز القوة والشخص الذي لا يعرف الكلل والملل والذي تدور حوله غالبية الأنشطة من خلال التنظيم والتحدث وكتابة عدد لا يُحصى من الرسائل والمقالات. (Baker, 1904, p. 637) لقد كانت خطاباتها الانتخابية تؤمن بالتعليم العلماني[*] (احمد و صادق ، 2018، صفحة 10) الشامل والتفاني في خدمه صالح فتيات الطبقة العاملة ونمو التعليم الوطني واوضحت بأنه يتوجب على جميع الشعب بأن يتعلم.

3- انشاء اللجنة المركزية

ظهرت ثمار الجهد الذي كانت تقوم به ليديا بيكر والتقدم في العمل وذلك عام 1872 إذ تشكلت اللجنة المركزية في لندن، والتي عمل على تأليفها ممثلو اللجان المختلفة في المقاطعات، والذي أوضح بضرورة بقاء الجمعيات على اتصال بعضها مع البعض الآخر ومع الأنشطة البرلمانية. وبعد مضي ستة أشهر من عام 1873 عقد مئة اجتماع عام كبير، وكان نصيب السيدة ليديا بيكر هو عشرون اجتماع، وبلغ متوسط التوقيعات السنوية على الالتماسات 200 الف توقيع، كما عقد في لندن اجتماعان اسبوعيان في المتوسط خلال كل عام من اعوام السبعينات. وقد عقدت مؤتمرات مهمة في برمنغهام ومراكز أخلى وبُذلت جهود حثيثة من أجل إعادة اصدقاء القضية إلى البرلمان . (Holmes, 2012, p. 19)

4- مظاهرات النساء

بدأت فكرة تنظيم مظاهرات للنساء من قبل ليدي بيكر وتكون بقيادتها وكانت هذه الفكرة برأس ليديا منذ البدايه حتى عملت على طرحها لأول مرة عام 1879 في رسالة كانت قد بعثتها الى السيدة مالارين إذ كتبت: "أنا متأكدة انه عندما يأتي الوقت المناسب لمثل هذه المظاهرة فأننا يمكن أن ننظم في قاعة التجارة الحرة مثل هذه المظاهرة الكبرى للمواطنات للمطالبة بالتصويت البرلماني، وهو أمر

---

[*] جاكوب برايت: ١٨٢١-١٨٩٩)هو جاكوب بريجيت ولد في ٢٦/مايس/١٨٢١ في روتشيديل وهو عضو في الحزب الليبرالي وعمل في لندن وتولى عده مناصب في المجلس الخاص المملكة المتحدة وعضو برلماني للدورة ١٩-٢٥ توفي في ٧ تشرين الثاني ١٨٩٩

[*] العلمانية وتعني فصل الدين عن السياسة والدولة وهو مصطلح مشتق من كلمه العالم بمعنى الدنيا، ورسميا تعنى محايدة تجاه القضايا المتعلقة بالدين وان الدولة العثمانية تعامل جميع مواطنيها بشكل متساوي بغض النظر عن انتماءاتهم أو تفسيراتهم أو أفكارهم الدينية وهذا التساوي لا يشترط بالدولة العلمانية.

لا يستحق أن يُصنف مع المظاهرة الليبرالية التي تقام في المدينة اليوم. وذلك بدون مُساعدة اسماء الرجال العظماء". وجدت الفكرة ترحيباً من بعض النساء حتى ان الآنسة بلاكبيرن كانت قد كتبت: "ان محاولة من هذا المبنى العالي يجذب نصف السكان، إن النصف الذي يبقى في المنزل، كانت أقل من اللازم". (Holmes, 2012, pp. 19–20)

لقد تجاوزت هذه المظاهرات النسائية بكثير اي مظاهرات نظمها العمال للزراعيين لصالحهم، واستجابة لمطالبهم العاجلة المفترضة وهذا يوضح نجاح المظاهرة النسائية وبعد أن عادت الحكومة الليبرالية مرة اخرى الى السلطة 1880 ظهر توسيع حق الاقتراع بشكل بارز في برنامجها.

إلا أن آمال النساء قد تبددت آمالهن في النجاح السريع الذي تحقق، ومع اقتراب موعد تقديم مشروع القانون رزت جمعيات الاقتراع كل طاقاتها لتأمين الدعم لتعديل من شأنه أن يمثل النساء في التمديد المقترح، تم اقتراح قرارات مؤيدة لحق المرأة في التصويت في جميع التجمعات الكبيرة لكلا الحزبين السياسيين. لقد حملها مؤتمر الاصلاح البرلماني، والاتحاد الوطني الليبرالي، والاتحاد الوطني المحافظة، واتحاد الاصلاح الوطني والهيئات التمثيل الاخرى بأغلبية كبيرة. وقد رُفعت رسالة موقعة من العديد من النساء الممثلات في ذلك الوقت ونصت على أن أي اجراء لتوسيع الامتياز لن يكون منصفاً ما لم يشمل النساء ووقعه 110 عضواً في البرلمان، وتم تقديمه الى السيد جلادستون الا ان الأمر لم يُفلح وانه كان قد أعطى موافقة مشروطة على المبدأ عندما تم تقديم مشروع قانون الإصلاح في عام 1884 وقد اقترح السيد وودال تعديلاً تشير الكلمات اليه يجب أن يشمل الجنس المذكور النساء، وقد عارضهُ السيد جلادستون بشدة. (Holmes, 2012, p. 22)

كان مشروع القانون يحمل كل ما يمكن أن يحمله حق المرأة في التصويت من شأنه أن يزيد من وزن السفينة.

"إنني أعترض عليه أقوى معارضة في سلطتي، ويجب عليّ أن أتنصل من المسؤولية عن مشروع القانون في حالة اجراء التعديل". ونتيجة لهذا التقدم القوي من جانب رئيس الوزراء، نكث 104 عضو تعهداتهم، والقوها في وجوه النساء دون أي شعور بالخجل أو تأنيب للضمير هذه هي الوعود التافهة لوعود النائب عندما تُعطى للعاجزين سياسياً. (Holmes, 2012, p. 22) و شعروا بالحسرة والخذلان وهو أمر طبيعي من قبل سياسي العصر سواء بالسابق او الحاضر.

لقد كان هناك انتخابات عام 1886، وأيضاً عام 1887 تم تشكيل لجنة برلمانية وذلك بسبب الجهود الحثيثة التي بذلتها ليديا بيكر وقد كان السيد والتر بي أس أم لارين سكريت للجانب الليبرالي. عملت ليديا بيكر كوكيل برلماني للجمعيات الوطنية، واصبحت شخصية مألوفة جداً في جماعات اللوبيز (الضغط) لم يتم قبولها مطلقاً في مداولات اللجنة، لكن كان عبء الانتظار حتى انتهاء الاجتماعات، ثم قام الأمناء بتسليم محاضرهم اليها. لقد تم تحطيم هذه الطليعة الضيقة في السنوات اللاحقة واصبحت المندوبات مدعوات بحرية للمشاركة في اللجان البرلمانية.

كان على المدافعين عن حق المرأة في التصويت خلال هذا البرلمان أن يكتفين بعمل الأشياء بأسمائها الحقيقية ولم تعد النساء منبوذات في الأماكن التعليمية، كان لديهن ثقافة اكثر وأوسع للنضال من اجل الحرية السياسية التي حصلن عليها وكانت الصفات تم استخدامها في السياسة الحزبية.

لم يكن السياسيون على استعداد لتقاسم السلطة التصويت مع النساء، لكنهم كانوا على استعداد تام للترحيب بهن كزميلات في العمل السياسي.

وقد أصبحت السياسة تحط من شأن المرأة، جميع الأصوات العمل الكتابي، الدعاية الحزبية كل هذه الأنشطة كانت انثوية وقد ذكر السيد جلادستون بأنه "طالما تم القيام بها لمصلحة الرجال وليس لمصلحة المرأة"، وقد نشأت منظمات عظيمة للحزب والجمعيات النسائية الليبرالية ورابطة زهرة الربيع والجمعيات الوحدوية الليبرالية النسائية (Holmes, 2012, p. 22023).

تم إقرار اول قانون تعليمي عظيم عام ١٨٧٠ وأصبحت النساء مؤهلات للعمل في مجالس المدارس المؤسسة حديثا .وقفت ايديا بيكر كمرشحه مستقله أولى لمدرسة مانشستر عام ١٨٧٠وتم انتخاب مجلس اداره المدرسة لها وحصلت على أكثر من ١٥٠٠٠صوت وهذا الأمر يدل على الاحترام والتقدير الذي حظيت به السيدة بيكر من قبل مدينتها وبمثابه شهاده تقدير واحترام وقد كرر انتخابها في كل مره واستمرت عضوا في المدرسة حتى نهاية حياتها ورغم انشغالها بانشطة المراءة في التصويت الا ان دورها كان مؤثر وكبير ومهم في مجلس المدارس إذ شغلت نفسها بتوفير المرافق التعليمية للفتيات وتحسين وضع المعلمات إذ أوضحت السيدة اشوورث

هاليت عن ايديا تقديرا لعملها في مجله حق المراءة ""لا يمكن لأحد أن يتخيل مدى رغبتها الصادقة في أن ترى على حد تعبيرها ازاله حق الاقتراع من الطريق "حتى تتمكن من توجيه طاقاتها للعمل من أجل قضايا وطنيه كبرى وكان تأثيرها على الطبقات العاملة لا شك فيه (Baker, 1904, p. 637).لقد تحدثت دائما بطريقة عمليه سهلة مما جعل الجماهير تصدقها على أنها صادقه وغير مهتمه تماما وعندما اعلن القائمون على جمع الأصوات في المعركة الصعبة من اجل انتخابات مجلس اداره مدرسه مانشستر عن نتائجهم أبلغ كلا الجانبين أن العمال يقولون دائما انهم يجب أن يحافظوا على بعض أصواتهم لصالح ايديا. وهكذا حصلت على الكثير من الأصوات لدرجه انها قالت ذات مره وهي تضحك انها ""ممثله لمانشستر "اكثر بكثير من اي عضو في البرلمان لان عددا اكبر بكثير من الناخبين صوتوا لها أكثر من اي منهم .وفي عام ١٨٨٧بناءا على طلب المجلس وتقديرا لتفانيها بالعمل ومجلس الادارة قامت بوضع حجر الأساس لمدرسه شارع بورغيس للبنات وكان منهج المدرسة محليا بالكامل .وقد اهتمت بشده بموضوع المدارس الليليه، وتعليم الطبخ والتمريض للفتيات وكان من آخر الامور التي ساعدت فيها المجلس تعين سيده مشرفه للاشراف على التعليم في مدرسه ليليه للبنات في التمريض و خياطه الملابس والطبخ واعمال الغسيل (Baker, 1904, pp. 637-638)ونظرا للتكوين التقليدي للمجلس وهياته وعدم الاهتمام بمساله تعليم الفتيات فقد استغلت هذه النقطة وعملت على استغلال هذه المسألة إذ أوضحت توصياتها بشأن تنظيم المدارس ومناهجها وتوفيرها المنظور التقدمي للمدارس الكبيرة والمختلطة العليا والتي يبلغ عدد أفرادها خمسمائة فما فوق .كما اقترحت أن تقوم المدارس المختلطة والثانوية بتدريس التاريخ والجغرافيا والجبر والهندسة والفصول العليا مثل هذه المواد الفيزيائية والعلمية الاولية كما وقفت بقوه ضد تعليم الفتيات التطريز والاقتصاد المنزلي والتعليم الديني لأنها تعتبرها مواد غير اكاديمية وان التطريز هو فرع من فروع الصناعة وليس التعلم وطالبت يرفعه ووضع علم وظائف الاعضاء وقوانين الصحة، كما سعت إلى تعزيز واجبات الفتيات المستقبلية كربات بيوت وأمهات من خلال خطابات العديد من رجال الدين في المجلس وقد عارضت ليديا بيكر وجهه نظرهم التقليدية . (parker, 2001, p. 640)

ثالثاً : وفاتها

حدثت أعراض بدأت تؤثر على صحة ليديا بيكر منها فقدان النشاط وحالة الاكتئاب التي تمر بها وفقدان الأمل اضافة الى محاولات اعدائها استغلال الأمر والتشهير بأنها بدأت تفقد شهيتها، لقد كان أمراً طبيعياً بأن مشروع القانون أمام مجلس النواب لم يعد مضموماً أو مهيئاً الأمر الذي يؤدي الى عدم وجود حافز للعمل السياسي وتقل الحركة وتتراجع الأموال والذي بدوره يؤدي الى انشقاقات وخلافات ومشاورات منقسمة بين الأعضاء الأمر الذي شكل مصدر قلق بالنسبة لليديا بيكر مع زملائها بالعمل. (Holmes, 2012, p. 24) لقد ذهبت الى الخارج لتأخذ دور من الحمامات العلاجية (الحريري، 1991، صفحة 61) في اكس ليه يا وقد أفرادها هذا الأمر إلا أن صحتها قد تدهورت لأنها كانت تعاني من الشعب الهوائية وتوفيت بمرض الخناق [*] في ١٨ تموز ١٨٩٠ عن عمر ٦٣ عاما

ان صحيفة التايمز [*] The times (كيلاني، 2015، صفحة 190) قالت وقت وفاتها: "ان مانشستر اصبحت اكثر فقراً بفقدان مواطنة محترمة كرست نفسها للخدمة العامة بأمانة وقدرة".

وكانت معها مرافقة تساعدها بسبب الوهن الذي أصاب جسدها وعدم قدرتها على الكلام بسبب المرض، وعند وصولها لجنيف نقلت الى عيادة جويلارد، وعند الاطلاع على الحالة كان لابد من اجراء عملية سريعة من اجل تحسن حالتها، ولم يكن الطبيب المختص موجوداً وبعد وصوله بدقائق كانت قد توفيت ليديا بيكر. بعد وفاه ايديا بيكركانت ثمار تعبها قد ظهرت وهي التي ساهمت في بذر البذرة الأولى بصوت المراءة والمطالبة بحق التصويت وقد تم تكريم ذكراها من خلال اختيار راشيل سكوت Rachel Scott

[*] الخناق من الامراض التي تصيب الجهاز التنفسي العلوي ويؤدي الى صعوبة التنفس ويسبب سعالا وبصوت مبحوح يشبه النباح ويؤدي عند استنشاق الهواء إلى صدور صوت صفير عالي ويطلق عليه اسم الدفتريا .

[*] صحيفه بريطانية يوميه رائده تأسست في لندن عام ١٨٨٥ تحت عنوان صحيفه ديلي يونيفرسال ثم في ١ يناير ١٧٨٨ أصبحت تسمى التايمز .وترجع إلى شركه لأخبار المملكة المتحدة منذ عام ١٩٨١وهي مملوكه لمجموعه نيوز كروب والتي يرأسها روبرت مردوك .

زوجه سي بي سكوت* C.P.Scott (frew, 1946, p. 200) رئيس تحرير صحيفه مانشستر غارديان (محمود و مروى ، 2015، صفحة 240)* Manshester Guardian حتى تصبح بدلا عنها وتم وضعها في اللجنة الفرعية لدليل الفتيات وهي اللجنة التي ركزت على المناهج المحلية للفتيات. ولا نبالغ بالقول إذا ذكرنا بأن صحيفه غارديان كانت داعمة المراءة ومواضيعها فقد كانت تصف مناقشات ليديا بأنه مشهد ترقب شديد ورغم الدعم الذي قدمته للنساء فقد عرف عن الصحيفة بأن توجهها سياسي ويهدف إلى إضعاف الفرضية التي تصف المراءة بالعقل المتدني والضعف وبذلك أزالت العقبة الرئيسية امام الحصول على حق الاقتراع. (parker, 2001, pp. 633-634) لقد شاركت في اجتماعات الجمعية البريطانية، وقد حصلت من خلال مشاركتها بهذه الجمعية على فتره راحه من عملها التحريري والسكرتارية وذلك عندما ذهبت مع الجمعية إلى كندا وذلك في خريف عام ١٨٨٤ ولقد ساهمت مع الرابطة البريطانية في كندا بسلسلة من الرسائل الوصفية الصحيفة مانشستر غارديان، وكما هو متعارف فان كل مقالاتها تتناول حق المراءه في التصويت إذ أوضحت:"جذر شر الترفيه المحبط يكمن في ازدراء واحتقار المراءة والانوثه، ولن يعالج هذا الشر مادام القانون يحرم المراءة من حقوق الانسان الكاملة، وقوه المواطنة وحمايتها .يجب البحث عن تطهير المجتمع، ليس من خلال التشريعات القمعيه، ولكن من خلال التغير الذي سيطر على عقول الرجال عندما يتعلمون النظر إلى النساء على أنهن متساويات سياسيا واجتماعيا ". (Holmes, 2012, p. 27)

الخاتمة

تعد المرأة مهمة وهي نصف المجتمع, وإن في ابعادها أو تجاهلها بمثابة الغاء لنصف المجتمع الذي يعمل على التربية والاعداد للنصف الثاني, وفي السابق كان الحديث عن المرأة ومشاركتها في الحياة العامة بمثابة ترف وثقافة الا أنه بمرور الوقت اصبحت حاجة مهمة من أجل رفع مستوى المجتمع على جميع الأصعدة المختلفة, وإن مشاركة المرأة في الحياة العامة هو السبيل الأفضل لتقدم المجتمع ومشاركتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والنقابية حيوية المجتمع لأنها بذلك تعرف حقوقها وقضاياها ابرز نموذج للمرأة المتمردة هي ليديا بيكر التي سعت من أجل تعليم نفسها وبنات جيلها وهذا ما أظهره البحث من خلال النتائج التالية:

1. ناشطة سياسية في مانشستر وقد اكتسب شهرة باعتبارها متمردة ضد القيم التقليدية، قدمت مساهمة نسوية في النقاش حول فكر المراءة والاتجاه الذي يجب ان يتخذهُ تعليمها.
2. استطاعت من الوقوف الى جانب نساء الطبقة المتوسطة ذوات الإمكانيات المحددة وتوفير فرصة للتحرر ولنشاء رغبة في المعرفة العلمية.
3. رغبتها بترسيخ اسمها في العلوم والرغبة في مشاركة المعرفة العلمية.
4. كانت متحمسة جداً للعلوم والمعرفة وقد جنت من حبها هذا ان عملت على تأسيس عدد كبير من الجمعيات العلمية والصحف.
5. طالبت بحث المراءة بالتصويت وكذلك بحقهم في التعليم العالي.
6. تحسين مستوى الفتيات الدراسي من خلال إضافة مواد جديدة أخرى كالرياضيات والعلوم وغيرها .
7. اجراء مسابقات تحفز فيها الفتيات على العلم والتعلم .

* سي بي سكوت صحفي وسياسي ولد في ٢٦ تشرين الأول ١٨٤٦ في باث في المملكة المتحدة .درس في لندن، اصبح عضوا في البرلمان للدورة ٢٦و٢٧ طور من الصحيفة من حيث المواضيع والشكل .تزوج وأنجب طفلين.

* مانشستر غارديان :صحيفه بريطانيا صدرت في مدينه مانشستر البريطانية وكانت تسميتها الأولى، تأسست عام ١٨٢١،ولكن بعد عام ١٩٥٩ تخلصت من اسم مانشستر وأصبح فقط غارديان، تطبع في لندن ومانشستر على شكل مقاس وسطي وانتقل مركزها الرئيس إلى لندن عام ١٩٦٤.

قائمة المصادر والمراجع

مراجع

دونر وندي، و غمر تون ريتشارد . (2011).

جون ستيوارت مل ،ترجمه لبيب الحضادي. القاهره: أفاق للنشر والتوزيع.

سعدي احمد، و كاظم السعدي صادق . (2018). العلمانيه مفهومها ونشاءتها. مجله آفاق الحضاره الاسلاميه، اكاديمية العلوم الانسانيه والدراسات الثقافيه، 20(2).(1869). مكتبه المراءه. 16.

تشارلز فرنسيس داروين. (٢٠٢٠). اصل الانواع حياته وخطاباته (المجلد ج1). (ترجمه الزهراء سامي، مراجعه مصطفى محمد فؤاد، المحرر) القاهره: مؤسسه هنداوي.

حميد العتابي عبد الله، و عبد الجبار ابراهيم تماضر. (2016). سياسه العمله البريطانيه المجيده وأثرها على الدول الاوربية في عهد الملكه فكتوريا (١٨٣٧-١٩٠١). مجله التراث العربي(4).

زيدان جرجي ، و واخرون. (١٩٨٢). الصحافه العربيه. القاهره: دار الهلال.

صباح جليد جاسم الوائلي. (2020). الإصلاحات البرلمانية والديقراطيه في العصر الفكتوري (١٨٣٢-١٨٨٥). مجله خلدون للدراسات والابحاث، 3(8).

طالب محيبس حسن الوائلي. (بلا تاريخ). الإصلاحات البرلمانية في بريطانيا ١٨٣٢-١٩٤٩ . مجله لارك للفلسفه واللسانيات والعلوم الاجتماعيه، 1.

طالب محيبس الوائلي. (بلا تاريخ). الإصلاحات الاجتماعيه في بريطانيا (١٨٠٢-١٩٤٦). مجله كليه التربيه،

طالب محيبس الوائلي. (بدون سنة). الإصلاحات البرلمانية في بريطانيا ١٨٣٢-١٩٤٩ . مجله لارك للفلسفه واللسانيات والعلوم الاجتماعيه، 1.

عبد الوهاب الكيالي. (بلا تاريخ). الموسوعه العربيه الميسره (المجلد ج6). لبنان.

عزت اللحام محمود ، و عصام صلاح مروى . (2015). الاتجاهات الاعلاميه الحديثه في الصحافه الدوليه. (ط1، المحرر) الاردن: الإعصار للنشر والتوزيع.

علي جبر حسن. (2021). الحركه الجارتيه في بريطانيا. رساله ماجستير كليه الاداب، جامعه بغداد.

محمد خيرت يوسف كيلاني. (2015). الاعلام والصحافه والسياسه. لبنان : دار المناهل للنشر.

محمد مرسي الحريري. (1991). جغرافية السياحه. القاهره : دار المعرفه الجامعه.

مروه خليل محمد مصطفى. (٢٠٢١). القدره التفسيرية للنظريه الليبر اليه في عالم متغير (دراسه تقويمية). القاهره

مفيد الزيدي. (٢٠٠٤). موسوعه تاريخ اوربا الحديث والمعاصر (المجلدات ج2-3). عمان: دار اسامه.

نرجس كريم الخفاجي. (2016). لويس فيليب ١٧٧٣-١٨٥٠ سياسته الداخليه والخارجية. اطروحه دكتوراه غير منشوره، جامعه ذي قار، كليه الاداب.

وندي دونر و ريتشارد غمر تون ،جون ستيوارت مل ،ترجمه لبيب الحضادي ،أفاق للنشر والتوزيع ،القاهره ٢٠١١ . (بلا تاريخ).

مراجع

Baker, M. L. (1904). leders woeds excerpts from the lates writings. central woman suffrage association secondition.

frew, J. (1946). newspapers British history and guid for collectors. London : shepherd press c.p scott of the Manchester guardian 132-1760. Barbar Hammond published by Methen, London, .

Holmes, M. (2012). Lydia Becker Acameo life -sketch. London: published by the women's freedom league.

Kevin, W. (2010). Read all about it. London and New York.

parker, J. (2001). Womens history Review. 10(4).

List of sources and references

Donner wendy, and immersion ton richard. (2011).

John Stuart Mill, translated by Labib Al-Haddadi. Cairo: Afaq for Publishing and Distribution.

Saadi Ahmed, and Kazem Al-Saadi Sadiq. (2018). Secularism, its concept and origins. Journal of Horizons of Islamic Civilization, Academy of Humanities and Cultural Studies, 20(2). (1869). Women's office. 16.

Charles Francis Darwin. (2020). The Origin of Species: His Life and Discourses (Vol. 1). (Translated by Al-Zahraa Sami, reviewed by Mustafa Muhammad Fouad, editor) Cairo: Hindawi Foundation.

Hamid Al-Atabi Abdullah, and Abdul-Jabbar Ibrahim Tamader. (2016). The glorious British currency policy and its impact on European countries during the reign of Queen Victoria (1837-1901). Arab Heritage Magazine (4).

Zidane Jarji, and others. (1982). Arab press. Cairo: Dar Al-Hilal.

Good morning, Jassim Al-Waeli. (2020). Parliamentary reforms and democracy in the Victorian era (1832-1885). Khaldoun Journal of Studies and Research, 3(8).

Talib Muhaibis Hassan Al-Waeli. (no date). Parliamentary reforms in Britain 1832-1949. Lark Journal of Philosophy, Linguistics and Social Sciences, 1.

Talib Muhaibis Al-Waeli. (no date). Social reforms in Britain (1802-1946). College of Education Journal, 10.

Talib Muhaibis Al-Waeli. (No year). Parliamentary reforms in Britain 1832-1949. Lark Journal of Philosophy, Linguistics and Social Sciences, 1.

Abdul Wahab Al-Kayyali. (no date). The Facilitated Arabic Encyclopedia (Volume C6). Lebanon.

Izzat Al-Lahham Mahmoud, and Issam Salah Marwa. (2015). Modern media trends in international journalism. (1st edition, editor) Jordan: Hurricane Publishing and Distribution.

Ali Jabr Hassan. (2021). The Chartist movement in Britain. Master's thesis, College of Arts, University of Baghdad.

Muhammad Khairat Yousef Kilani. (2015). Media, journalism and politics. Lebanon: Al-Manahil Publishing House.

Muhammad Morsi Al-Hariri. (1991). Tourism geography. Cairo: Dar Al-Ma'rifa University.

Marwa Khalil Muhammad Mustafa. (2021). The explanatory ability of Liber's theory in a changing world (evaluative study). Cairo .

Mufid Al-Zaidi. (2004). Encyclopedia of Modern and Contemporary European History (Volumes 2-3). Amman: Dar Osama.

Narges Karim Al Khafaji. (2016). Louis Philippe 1773-1850 His domestic and foreign policy. Unpublished doctoral thesis, Dhi Qar University, College of Arts.

Wendy Donner and Richard Ghamrton, John Stuart Mill, translated by Labib Al-Haddadi, Afaq Publishing and Distribution, Cairo 2011. (no date).

الدكتور صبري فالح الحمدي سيرته الذاتية وتعليمة الأولي والثانوي حتى عام 1968

يوسف حسن راضي الموسوي أ.د. نزار علوان عبد الله

Yousefalmoosawi1992@gmail.com nazar12933@gmail.com

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم التاريخ

الملخص

كان صبري فالح الحمدي من اسرة عريقة لها نسب عشائري، وكانت تقطن في لواء العمارة حتى انتقلت الى لواء بغداد وهي من الأُسر الميسورة الحال، فقد أمضى طفولته وشبابه في أجواء بغدادية عمقت لديه روح الانتماء للمدينة واكتساب المعرفة والثقافة العامة، ونشأ نشأة أساسها الالتزام بالتقاليد والأعراف العشائرية وبالتعاليم الإسلامية بجعله شخصاً جدياً مثابراً يسعى للحفاظ على مكانة الاسرة، وكان لوالده الأثر الكبير في دعمة ومساندته في الارتقاء الى اعلى المستويات الدراسية واختار الفرع الادبي ليبدأ نبوغه العلمي يتبلور من خلال حبه للتاريخ ثم اخذ يسعى الى بناء نفسه بنفسه من خلال توسيع البناء الذاتي والفكري والثقافي منذ اوائل شبابه وذلك من خلال قضاء اوقات الفراغ بقراءة كل ما يقع بيده من كتب تاريخية وروايات عربية وعالمية، ثم تزوج صبري فالح الحمدي من السيدة ثريا محمد وهي من اسرة علمية نجفيه معروفة الأصل والنسب من بيت البلاغي، وعلى الرغم من انشغاله بالبحوث والتدريس فأن ذلك لم يكن عائقاً امامه عن تخصيص الوقت الكافي لأفراد أسرته من حيث رعايتهم ومتابعة شؤونهم اليومية.

الكلمات المفتاحية : صبري فالح الحمدي ، ثانوية قتيبة ، سيرة ذاتية ، لواء العمارة

Dr. Sabri Faleh Al-Hamdi, his biography and his primary and secondary education until 1968

Youssef Hassan Radi Al-Musawi Prof. Nizar Alwan Abdullah

Yousefalmoosawi1992@gmail.com nazar12933@gmail.com

Al-Mustansiriya University, College of Education, Department of History

Abstract

Sabri Faleh Al-Hamdi was from an ancient family with tribal lineage, which lived in the Al-Amarah district until it moved to the Baghdad district. It was one of the well-off families. He spent his childhood and youth in a Baghdad atmosphere that deepened in him the spirit of belonging to the city and the acquisition of general knowledge and culture. He had an upbringing based on commitment to traditions and customs. Tribalism and Islamic teachings made him a serious and diligent person who sought to preserve the family's status. His father had a great influence in supporting him and assisting him in rising to the highest levels of education. He chose the literary branch so that his scientific genius began to crystallize through his love for history. Then he began seeking to build himself on his own by expanding self- and intellectual construction. And cultural since his early youth, by spending his free time reading all the historical books and Arab and international novels he could find, then Sabri Faleh Al-Hamdi married Mrs. Thuraya Muhammad from a Najafi scholarly family known for its origin and lineage from the house of Al-Balaghi, and despite his preoccupation with research and teaching, this There was no obstacle to him devoting sufficient time to his family members in terms of caring for them and following up on their daily affairs.

Keywords: Sabri Faleh Al-Hamdi, Qutaiba High School, biography, Architecture Brigade

المقدمة

أن دراسة التراجم والسير هي من فروع الدراسات التاريخية الهامة، ودراسة شخصية صبري فالح الحمدي لموضوعات شتى تتعلق بالبيئة التي عاشها المترجم له، فكان للبيئة التي نشأ وتربى فيها أثر كبير في توجهاته الثقافية والفكرية انتجت شخصيته العلمية، مما لا شك فيه إن معرفة البيئة التي ترعرع بها الحمدي تقدم لنا معالجات الدراسات سابقة، سواء كانت اجتماعية أم سياسية أم اقتصادية.. وقد كان لاختيارنا للكتابة عن هذه الشخصية، هو إدراكنا أن من يعرف تفاصيل سيرة الحمدي يمكنه الاقتداء به في جميع شؤون الحياة، حيث كانت سيرته تطبيقاً عملياً، أما الشيء الآخر الذي يكمن خلف اختيارنا هذا الموضوع فهي الرغبة في توجيه رسالة الى كل القامات العلمية والمبدعين، بأن الملأ مدرك وواع لمواقعهم ومكانتهم العلمية في حياتهم قبل وفاتهم، وهو جزء يسير من الوفاء لهم، ومما يلاحظ ان الدراسات التي تناولها هيكلية النظام التعليمي كانت متجاهلة دور النخبة العلمية في بلورة الأسس العلمية وتطور التعليم في العراق سواء التعليم في المراحل الأولية (الابتدائي، الثانوي) او في التعليم العالي، ولم تلق الضوء على دور هذه النخبة في هذا المجال، انطلاقا من هذا وذاك تم اختيار الموضوع.

استندت الدراسة على عدد من الوثائق غير المنشورة التي لها علاقة بالشخصية والمقابلات الشخصية التي اجرها الباحث مع افراد اسرة الحمدي كانت العمود الفقري الذي استند الية البحث.

قسم البحث الى مقدمة وأربع مطالب وخاتمة:

المبحث الاول: سيرته الذاتية.

المبحث الثاني: دراسته لمرحلة الابتدائية.

المبحث الثالث: دراسته لمرحلة المتوسطة.

المبحث الرابع: دراسته لمرحلة الثانوية.

المبحث الاول: سيرته الذاتية.

عند الكتابة عن صبري فالح الحمدي، الذي يعد أحد أعلام الدراسات التاريخية العراقية والعربية، لاسيما في ميدان تاريخ الخليج والجزيرة العربية، لابد من تتبع مراحل حياته منذ نشأتها وما رافقها من تأثير كبير على اتجاهاته الفكرية والثقافية، وفي مقدمة ذلك أسرته، التي كان لها دور كبير في تنمية وتطوير شخصيته.

ولد صبري فالح الحمدي في اليوم الأول من تموز عام 1950 (هـ . ح . م . ع ، صبري فالح مزبان، 1981)، في محلة نجيب باشا، التي امضى فيها طفولته وبواكير حياته الاولى في بيت وسط بيوت فخمة كبيرة المساحة في احدى المناطق التي يقطنها الوزراء والشخصيات الاجتماعية الرفيعة (الفرضي و عبد، 2021، صفحة 437).

نشأ صبري فالح الحمدي في بيت تسوده المحبة والاحترام يحث على اكتساب المعرفة والثقافة العامة، فقد أمضى طفولته وشبابه في أجواء بغدادية عمقت لديه روح الانتماء للمدينة، وعاش طفولة بسيطة وممتعة تذوق فيها بساطة الحياة وجمالها في ذلك الوقت مثلما نشأ نشأة أساسها الالتزام بالتقاليد والأعراف العشائرية وبالتعاليم الإسلامية. وهذا بفعل الحياة التي عاشها والده الحاج فالح مزبان في لواء العمارة، الا ان تلك المعطيات لم تمنعهُ من التأقلم مع الحياة المدنية البغدادية التي اكتسب منها الكثير (مقابلة شخصية مع صبيحة فالح مزبان، 2023).

وعندما انتقل والده الحاج فالح مزبان من محلة نجيب باشا الى دور السكك حي النيل حالياً عام 1958، بدأت حياة جديدة لصبري مع اسرته كونه قد بلغ السن القانوني لدخول المدرسة الابتدائية (مقابلة شخصية مع صبيحة فالح مزبان، 2023).

وكان الحاج فالح حريصاً جداً على متابعة دراسة أبنائه، وحثهم على مواصلة التعليم وتشجيعهم على الدخول في المدارس، وحثه ايضاً أبناء الأقارب والجيران على التعلم، حيث كان يرى ان الدراسة مستقبل للأجيال وضمان للفرد ومكانة في المجتمع ولهذا أجتهد في تذليل كل المصاعب التي واجهت صبري في دراسته الابتدائية (مقابلة شخصية مع صبيحة فالح مزبان، 2023).

وبهذا الصدد يمكن القول ان الحاج فالح ساهم مساهمة فعالة في تأسيس (مدرسة الحضارة)[*] والسبب يعود الى المعاناة التي كانت تلقاها ابنته صبيحة في بعد مدرستها التي تقع في الشيخ عمر البعيدة عن محل سكناها في دور السكك (مقابلة شخصية مع صبيحة فالح مزبان، 2023)، الامر الذي اجبر الوالد على اجراء عدة مقابلات مع مختار المنطقة ووزارة المعارف لفتح مدرسة للبنات فيها بعد ان شعر بأن هذه المعاناة تواجه كل أهالي المنطقة الامر الذي دعى وزارة المعارف الى الاستجابة لجهوده وايجار منزل مناسب ليكون مدرسة مؤقته ريثما يتم تشيد مدرسة دائميه. (مقابلة شخصية مع سناء كاظم فالح مزبان، 2023) (مقابلة شخصية مع صبيحة فالح مزبان، 2023)

تزوج صبري فالح الحمدي من السيدة ثريا محمد علي حسن البلاغي[*] ، في السابع والعشرين من كانون الثاني عام1981 (جمهورية العراق، وزارة العدل، 1981) وكانت السيدة ثريا سيدة فاضلة ومن اسرة علمية نجفية معروفة الأصل والنسب من بيت البلاغي (آل محبوبه، 1986).

فضلاً عن كونها سيدة فاضلة فأنها متعلمة ومثقفة وعملت في مجال التعليم، انجبت من صبري فالح كلاً من (بسام، نور، بشار) (مقابلة شخصية مع بسام صبري فالح الحمدي، 2023) (بشار صبري فالح الحمدي، 2023)..

وعلى الرغم من انشغال صبري فالح الحمدي بالبحوث والتدريس فأن ذلك لم يكن عائقاً امامه عن تخصيص الوقت الكافي لأفراد أسرته من حيث رعايتهم ومتابعة شؤونهم اليومية (بشار صبري فالح الحمدي، 2023).

ومثل ما كان صبري فالح الحمدي زوجاً صالحاً وأباً حنوناً كان ابناً باراً بوالدية، فقد كانت علاقته بهم علاقة بر واحسان، توطدت وأصبحت أكثر قوة بعدما انتقل باقي افراد الاسرة من (بيت الحاج فالح) الى العيش في مناطق اخرى، ليبقى حينها صبري فالح الحمدي قريباً من ابويه هو يرعاهم حتى مماتهم، ويتضح ذلك جلياً من اهتمامه بتلبية جميع متطلباتهم بقلب واسع ورحب، ليظهر التزامهُ بالخلق الرفيع تجاههم (مقابلة شخصية مع عباس محمد مزبان الحمدي، 2023).

واضب صبري فالح الحمدي على تكريس جهوده للعناية بهم وتقديم الخدمات اليومية لهم من مأكل ومشرب بيده ومتابعة علاجهم، ويذكر عباس محمد ابن عم صبري "**كان أبو بسام يقصر على أولاده حتى يطعم والديه**"، كما يذكر ان الحمدي يشير دائماً أينما حل الى انهُ غير متفضل في ذلك وانما هو الواجب المقدس تجاه والديه وهو جزء من الوفاء لهم (مقابلة شخصية مع عباس محمد مزبان الحمدي، 2023).

وأكثر موقف إثر في حياة صبري فالح الحمدي هو الثاني عشر من أب عام2000 عندما توفيت والدتهُ بهذا التاريخ الحاجة فاطمة نمر اذ حزن عليها حزناً بليغاً لأنهُ كان شديد التعلق بها، وقد شعر بهذا الألم كل من كان حوله فكان الحزن يفيض دمعاً، ويذكر بسام نجل الحمدي" **ما زلت اذكر كيف بكى والدي عليها بحرقة ولوعة بكاء الطفل ... ولا تمر مدة الا ونجده زائراً قبرها في النجف الاشرف**" والشي الاخر الذي زاد من حزنه هو وفاة والده الحاج فالح مزبان في السابع والعشرين من أيار عام 2001، ثم اخوته بعد ذلك (مقابلة شخصية مع بسام صبري فالح الحمدي، 2023).

يتضح مما تقدم ان صبري فالح الحمدي كان شديد الحزن على فراق والدية واخوته وكان ذلك واضح عليه في حياته. سيما ان هذه الاحداث جعلتهُ رجل كتوم لا يفصح عن حزنهُ وعن مشاكله الشخصية حتى لا يؤذي من احبه بما يحملهُ من حزن.

اهتم الحمدي والسيدة ثريا البلاغي بمتابعة كل تفاصيل حياة أبنائهم، وكانت متابعة شديدة ودعم مستمر لهم، على الرغم من انشغالاتهم الكثيرة بالتدريس والقراءة وكتابة البحوث، شجع صبري فالح الحمدي أبنائه وحثهم على الدراسة وعدم التقصير في واجباتهم، لكنه لم يفرض آرائه ووجهات نظره على توجهاتهم بل كان يترك لهم حرية الاختيار، كما انه لم يهمل أي جانب من جوانب حياتهم بما فيها الجانب الترفيهي، ويذكر بسام نجل صبري فالح الحمدي " **كان الوالد موجهاً ودليلاً لنا لنسعي للأفضل دائماً، بحكم خبرته**

([*])تأسست هذا المدرسة عام 1972 تقع في شارع فلسطين (حي 14 تموز) والاسم الحالي لها ثانوية 14 تموز للبنات.

([*])ثريا محمد علي البلاغي: وهي من مواليد 1954 النجف الاشرف _ حي المشراق (قرب مرقد الامام علي علية السلام)، درست الابتدائية والثانوية في مدينتها ثم قبلت بجامعة بغداد _ كلية الآداب _ قسم اللغة الإنكليزية عام 1974 وبعد ان أكملت دراسة البكالوريوس عام 1978، عينت على ملاك وزارة التربية _ المديرية العامة للتربية في محافظة ديالى بتاريخ 1978/12/31، في مدرسة ثانوية الازدهار ثم انتقلت الى بغداد بعد ذلك لتعمل في متوسطة الحكمة بمدينة الصدر بالقرب من نادي الجولان. مقابلة شخصية مع ثريا البلاغي، بغداد، بتاريخ 2022/12/30.

بالحياة ولم يبخل علينا باي شيء يستطيع ان يقدمه لنا، كان يذكرنا دوماً بأن الاجتهاد والجد في الدراسة هو سبيلنا للنجاح في هذه الحياة " (مقابلة شخصية مع بسام صبري فالح الحمدي، 2023).

لقد سلك صبري نهجاً ناجحاً في اسداء النصح لأبنائه والتعليم الحسن لهم معتمداً على اللين من القول والفعل، مركزاً على الاحترام لعقولهم منذ نعومة أظفارهم، وان المتابعة الحثيثة والجهد المبذول في بناء أسرة سليمة تربوياً وعلمياً، لم يأتي من فراغ بل ان التنظيم المدروس لصبري فالح الحمدي مع التحصيل الأكاديمي والعلمي له مكنته تلك العوامل من إدارة أمور اسرتهِ بطريقة موفقة، فعبر بها الى بر الأمان.

وهكذا يمكن القول ان صبري فالح الحمدي قدم مع زوجته السيدة ثريا صورة مشرقة للأسرة السليمة تربوياً وعلمياً، من حيث الادب والخلق والمستوى العلمي الراقي حتى صنع منها اشخاصاً يعتمد عليهم في خدمة المجتمع، وفاز في محبتهم اللامتناهية له حتى أفلح في تربيتهم، وكان موفقاً في كل شيء في حياته العلمية والاسرية، ويرجع سبب هذا النجاح الى بره ومحبته لوالديه.

المبحث الثاني: دراسته لمرحلة الابتدائية (1957_ 1963)

دخل صبري فالح المدرسة الابتدائية عندما بلغ السابعة من عمره، ليبدأ مسيرته الدراسية في مدرسة الشيبانية الابتدائية للبنين[*]، في العام الدراسي (1957-1958) (وثيقة مدرسية معنونه الى مديرية تربية محافظة بابل، 2022)، في محلة الوزيرية[*] (رؤوف، 2004، صفحة 79) (الفرضي و عبد، 2021، صفحة 453) شارع الزهاوي (الفرضي و عبد، 2021، صفحة 460) ، وتميزت هذه المدرسة بالنظام والانضباط العالي الذي جعلها الأولى بامتياز (مقابلة شخصية مع الاستاذ كاظم شمخي، 2023)، ولكن بعد انتقال والده الحاج فالح مزبان من محلة نجيب باشا للسكن في دور السكك عام (1958) كما ذكر سابقاً، التحق صبري فالح بمدرسة ابن سينا الابتدائية للبنين[*]، بعد ان اجتاز الصف الأول في المدرسة الشيبانية بنجاح، ليواصل تعليمه في مدرسته الجديدة وادى الامتحانات النهائي واجتاز الصف الثاني والثالث بنجاح، وكذلك استطاع ان يجتاز الصف الرابع وتكللت جهوده بنجاح وكان الأول على صفه[*]، وحصل على الدرجات الموضحة في الجدول الاتي:

جدول رقم(1)

ت	الدروس	درجات الامتحان النهائي
1	الديانة	10
2	اللغة العربية	8
3	الحساب و القياسات	5
4	الجغرافية	10
5	التاريخ	10
6	الأشياء والصحة	9

(*)المدرسة الشيبانية الابتدائية للبنين: تأسست عام 1937 في بغداد _ الوزيرية خلف ملعب الكشافة، أغلقت المدرسة بقرار حكومي عام 1982. سجلات المدرسة في وزارة التربية _ مديرية تربية الرصافة الأولى، وحدة الإحصاء والتخطيط، بتاريخ 2023/1/8.

(*)محلة الوزيرية: هي احدى محلات بغداد القديمة يحدها من الشمال والغرب محلة نجيب باشا، ومن الجنوب منطقة الكرنتينة ومقبرة الإنكليز، ومن الشرق سدة ناظم باشا، وضعت السلطات العثمانية يدها عليها في عهد والي بغداد رشيد باشا الكوزلكلي (١٨٥١- ١٨٥٦) وسميت بالوزيرية نسبة إلى اللقب الرسمي الذي كان يعرف به (الوزير)، كما كانت تسمى ببزايز الصرافية، وكانت تحوي عدة ربايا عسكرية للدفاع عن بغداد، وهي ارض من أوقاف عادلة خاتون وكان المتولون عليها من آل المميز يتصرفون بها خلفا عن سلف منذ زمن غير محدد.

(*)مدرسة ابن سينا الابتدائية للبنين: لا توجد اوليات للمدرسة بسبب احداث 2003، لكن بعد مراجعة الباحث لسجلات المدرسة في وزارة التربية _ مديرية تربية الرصافة الأولى، وحدة الإحصاء والتخطيط، بتاريخ 2023/1/8، تبين لهُ اندماج المدرسة مع مدرسة الاقبال والأخيرة لا يوجد اوليات لها كذلك.

(*) م . ش. د . ص ، النتيجة الاختبارات المدرسية، للطالب صبري فالح، للعام الدراسي (1960-1961).

7	الاخلاق والمدنية	10
8	الرياضة	10
9	النشيد	10
11	المجموع	90

*** الجدول من اعداد الباحث وبالاعتماد على م . ش . د. ص ، نتيجة الاختبارات المدرسية، للطالب صبري فالح، للصف الرابع الابتدائي، للعام الدراسي (1960-1961).**

وبعد العطلة الصيفية التحق بالصف الخامس وكانت مرحلة دراسته سهلة بالنسبة له بعد ان تطور مستواه العلمي ليكون أكثر جدية في متابعة دراسته، وأدى الامتحان النهائي واجتازه بنجاح(*).

وفي العام الدراسي (1962-1963) أكمل المرحلة الابتدائية وأجتاز الصف السادس، بعد اختبارات تكللت بنجاح وبدرجات عالية ومن الدور الأول، والجدول ادناه يوضح درجاته في الامتحان النهائي.

جدول رقم(2)

التربية الدينية	اللغة العربية والخط	اللغة الانكليزية	الحساب والهندسة العلمية	التاريخ	الجغرافية	الواجبات الوطنية	العلوم والتربية الصحية
83	80	73	67	83	78	80	72

***الجدول من اعداد الباحث بالاعتماد على م.ش. د.ص ، نتيجة الاختبارات المدرسية، للطالب صبري فالح مزبان، للصف السادس الابتدائي، للعام الدراسي (1962-1963)، رقم النتيجة 17.**

وخلال مرحلة الابتدائية عرف عن صبري فالح الحمدي بأنه كان حسن السلوك نبهاً أكثر جدية وحرصاً على متابعة دراسته، وعرف عنه أيضاً انهُ ميالاً للاندماج مع اقرأنه من التلاميذ من هم في عمره ومع أبناء محلته، ومشاركتهم في العابهم وهواياتهم (مقابلة شخصية مع بسام صبري فالح الحمدي، 2023).

المبحث الثالث: دراسته لمرحلة المتوسطة (1963_1966)

بعد ان تخرج صبري فالح الحمدي من المرحلة الابتدائية انتقل الى متوسطة القناة للبنين(*)، وعندما دخلها كانت السنة الثانية من تأسيسها في عام 1962، وتعد هذه المرحلة مرحلة دراسية جديدة في حياة الطالب صبري بسبب تغير المواد الدراسية عليه مقارنة مع مواد المرحلة الابتدائية ومن هذه المواد الجبر والهندسة في الصف الثاني المتوسط والفيزياء والكيمياء في الصف الثالث المتوسط، ومع كل هذا فقد اجتاز الامتحانات لمرحلة المتوسطة ومن ضمنها امتحان البكالوريا(الوزاري) للصف الثالث المتوسط، بنجاح وبدرجات جيدة وكما موضح في الجدول الاتي:

(*) م . ش . د. ص ، نتائج الاختبارات المدرسية (النتيجة)، للطالب صبري فالح، للصف الخامس الابتدائي، للعام الدراسي (1961-1962).

(*)متوسطة القناة للبنين: وهي أقدم متوسطة في شارع فلسطين تأسست في عام 1962، وموقها الحالي مازال نفس مكان تشييدها الأول وتكون قرب نادي التركمان.

جدول رقم(3)

ت	العلوم (الدروس)	الصف الأول (1965-1964)	الصف الثاني (1965-1964)	الصف الثالث (1966-1965)
1	الدين	78	87	-
2	اللغة العربية	73	72	53
3	اللغة الإنكليزية	80	79	66
4	الحساب	72	81	-
5	الهندسة	94	80	55
6	الجبر	-	81	
7	الفيزياء والكمياء	-	-	57
8	العلوم العامة	74	-	-
9	نبات حيوان	-	65	-
10	الصحة والاحياء	-	-	52
11	التاريخ	71	67	57
12	الجغرافية	73	74	
13	التربية الوطنية	95	75	
14	التربية الرياضية	77	80	-
15	التربية الفنية	73	82	-
16	المجموع	780	769	340

***الجدول من اعداد الباحث بالاعتماد على سجل القيد العام للطالب صبري فالح مزبان، في متوسطة القناة للبنين لسنة (1963-1964)، رقم السجل 2، رقم تسجيله 340.**

المبحث الرابع: دراسته لمرحلة الثانوية (1966_ 1968)

بعد اجتياز الامتحان الوزاري للصف الثالث المتوسط تخرج الطالب صبري فالح الحمدي من متوسطة القناة للبنين في العام الدراسي (1966-1967)، ليلتحق بثانوية قتيبة [*] (حمدان، 2023، صفحة 46)، لعدم وجود مدرسة اعدادية للبنين في منطقة دور السكك، فضلاً عن ان ثانوية قتيبة تميزت بانتظام دوامها وعرفت بجديتها وعلميتها واوائها المميز من خلال ادارتها الجيدة وكادرها التدريسي والمستوى العلمي العالي لأساتذتها ومديرها الأستاذ نعمة جابر الدوري وهو ثاني مدير بعد تأسيسها، فتخرج الكثير من طلبتها ليصبحوا القدوة في المجتمع العراقي، ولهذا كان يقصدها الطلبة من داخل مدينة الثورة وخارجها (حمدان، 2023، صفحة 46).

اختار صبري فالح الحمدي الفرع الادبي ليبدأ مرحلة جديدة أكثر نضجاً وجدية وأكثر صعوبة وانضباط من مرحلة المتوسطة، ومع ذلك تخطى الصف الرابع الادبي بدرجات جيدة وكما موضح بجدول ادناه:

(*)ثانوية قتيبة: تأسست في عام 1964 في بغداد _ الرصافة، وهي اول مدرسة ثانوية في مدينة الثورة وتقع حالياً في قطاع (10) شارع الداخل، وسميت في بداية تأسيسها بمدرسة (الرائد)، لكن بعد ذلك تغير اسمها الى ثانوية قتيبة، وكانت في الأصل مدرسة متوسطة لكن لعدم وجود مدرسة ثانوية في مدينة الثورة حتى يذهب اليها خريجو الصف الثالث تم إضافة الصف الرابع والخامس لها لتصبح ثانوية.

جدول رقم(4)

ت	العلوم (الدروس)	درجات الرابع الادبي
1	التربية الدينية	93
2	اللغة العربية	64
3	اللغة الإنكليزية	59
4	التاريخ	59
5	الجغرافية	56
6	الرياضيات العامة	61
7	العلوم العامة	64
8	أحوال العراق	70
9	الاقتصاد	69
10	التربية الرياضية	80
11	التربية الفنية	75
12	المجموع	750

***الجدول من اعداد الباحث بالاعتماد على سجل القيد العام للطالب صبري فالح الحمدي في ثانوية قتيبة للبنين، للعام الدراسي (1966-1967)، رقم السجل 9، رقم تسجيله 1666.**

اما الصف الخامس الادبي وهو اخر مرحلة في الدراسة الثانوي آنذاك، فقد اجتازه بفضل جهود الكادر التدريسي آنذاك وبفضل جهوده التي تكللت بالنجاح وتخطى الامتحان الوزاري بتفوق وبمعدل70% وهو معدل عالي في ذلك الوقت الذي كان يتبع فيه نظاماً دراسياً رصيناً(*)، وكانت درجاته في الصف الخامس الثانوي على النحو الموضح في الجدول الاتي:

جدول رقم(5)

ت	العلوم (الدروس)	درجات الخامس الادبي
1	اللغة العربية	57
2	اللغة الإنكليزية	50
3	التاريخ	75
4	الجغرافية	81
5	العلوم العامة	61
6	الرياضيات العامة	81
7	الاقتصاد	85
8	المجموع	490

***الجدول من اعداد الباحث بالاعتماد على سجل نتائج الامتحانات الوزارية العامة للدراسة الإعدادية لسنة (1967-1968)، في ثانوية قتيبة للبنين، رقم السجل 9، رقم التسلسل 76042.**

(*)لاحظ الباحث بعد الاطلاع على سجل درجات الامتحان الوزاري للصف الخامس الادبي للعام الدراسي (1967-1968) كان عدد الطلبة الناجحين قليل جداً، ولربما يعود السبب للمناهج الصعبة في ذلك الوقت.

من الجدير بالذكر ان عائلة صبري فالح الحمدي كانت من الأُسر الميسورة الحال، الأمر الذي كان له انعكاساً ايجابياً على الحياة الدراسية له، فكان لوالده الأثر الكبير في دعمة ومساندته في الارتقاء الى اعلى المستويات الدراسية.

الخاتمة

1. إن الإطار العام للاستنتاجات والأحكام حول ما ورد في متن البحث، يجب أن ينحصر في الوثائق والمقابلات التي شكلت المادة الرئيسة للمعلومات التي أوضحت إن للبيئة التي خرج منها صبري فالح الحمدي الأثر الأكبر والأبرز في توجهاته الفكرية والعلمية ولاسيما أسرته والمحيطين به، فضلاً عن انحداره الاجتماعي من مدينة العمارة وولادته في العاصمة بغداد بامتزاج الاصالة بالحضارة فألقت بظلالها على تكوين شخصيته.
2. كان لنشأة صبري فالح الحمدي في مدينة بغداد وسط أسرته المحبة للعلم والمعرفة المتمسكة بالتعاليم والقيم الاسلامية والعادات والتقاليد العشائرية العربية الاصيلة أثرًا كبيرًا في بناء وتكوين شخصيته، ولدت لديه حب العلم والمعرفة والتفوق في دراسته.
3. حصل الحمدي على دعم والدة الحاج فالح في التعلم حيث كان يرى الحاج الدراسة مستقبل كل فرد وضمان لهُ حيث قام في تذليل المصاعب التي تواجه أبنائه، وكان يشجعهم حتى انه كان يحتفظ بكل النتائج المدرسية(الشهادة) التي كان يحصل فيها الحمدي على درجات عالية والتي كان يحصل فيها الأول على صفه.
4. كان الحمدي حتى بعد زواجه يقدس والدية وكان يحبهم حباً عظيم حتى واضب في تكريس كل جهوده للعناية بهم حتى كانت العناية بهم مثل عناية الاب لأطفاله.

المصادر

جمهورية العراق، وزارة العدل. (27 , 10, 1981). *محكمة الأحوال الشخصية في الثورة، عقد زواج*، رقم التسلسل 85/1991، رقم السجل 85.

حمدان، فريسال جاسم. (2023). *ثانوية قتيبة للبنين (1964-1979)*. رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربيةن الجامعة المستنصرية.

رؤوف، عماد عبد السلام. (2004). *الاصول التاريخية لمحلات بغداد*. بغداد.

الفرضي، قصي اسماعيل ، و عبد، نادية ياسين. (2021). *محلات بغداد في مئة عام 1858-1958م*. بغداد: وزارة الثقافة والسياحة والاثار دار الشؤون الثقافية العامة.

محبوبه، جعفر الشيخ باقر آل. (1986). *النجف حاضرها وماضيها* (المجلد ط2). د.م: دار الأضواء.

مقابلة شخصية ، *عباس محمد مزبان الحمدي*. (11 1, 2023). بغداد.

مقابلة شخصية، *الاستاذ كاظم شمخي*. (22 , 1 , 2023). بغداد.

مقابلة شخصية، *بسام صبري فالح الحمدي*. (4 , 1, 2023). بغداد.

مقابلة شخصية، *بشار صبري فالح الحمدي*. (11, 1, 2023).

مقابلة شخصية، *سناء كاظم فالح مزبان*. (10 , 1 , 2023).

مقابلة شخصية، *صبيحة فالح مزبان*. (11 , 1, 2023). بغداد.

هـ . ح . م . ع ، صبري فالح مزبان. (23 , 3, 1981). *صادرة من دائرة أحوال الاعظمية*، المرقمة بالرقم 771019 سجل 401 صحيفة 80189 التابعة لوزارة الداخلية .

وثيقة مدرسية معنونه الى مديرية تربية محافظة بابل. (9 , 1 , 2022). *هـ . ت . و . وزارة التعليم العالي والبحث العلمي*.

Arabic Translated References:

A school wathiqatan addressed to the Babil Governorate Education Directorate. (9, 1, 2022). H . T . And . *Ministry of Higher Education and Scientific Research*.

Al-Fardi, Qusay Ismail, and Abd, Nadia Yassin. (2021). *Baghdad stores in one hundred years 1858-1958 AD.* Baghdad: Ministry of Culture, Tourism and Antiquities, House of General Cultural Affairs.

H . H. M . A, Sabri Falih Mazban. (March 23, 1981). *Issued by the Adhamiya Public Affairs Department,* No. 771019, Register 401, Newspaper 80189 of the Ministry of Interior.

Hamdan, Farisal Jassim. (2023). *Qutayba Secondary School for Boys* (1964-1979). Master's thesis (unpublished), College of Education, Al-Mustansiriya University.

His beloved, Jaafar Sheikh Baqir Al. (1986). *Najaf, Its Present and Past* (Volume 2nd Edition). DM: Dar Al Adwaa.

Jumhuria of Iraq, Ministry of Justice. (27, 10, 1981). *Personal Status Court in Al-Thawra, Marriage Contract*, Serial No. 1991/85, Registry No. 85.

Personal interview, *Abbas Muhammad Mazban Al-Hamdi*. (11 January 2023). Baghdad.

Personal interview, *Bashar Sabri Faleh Al-Hamdi*.(2023 ,1 ,11) .

Personal interview, *Bassam Sabry Faleh Al-Hamdi*. (4, 1, 2023). Baghdad.

Personal interview, *Mr. Kazem Shamkhi.* (January 22, 2023). Baghdad.

Personal interview, *Sabiha Falih Mezban*. (11, 1, 2023). Baghdad.

Personal interview, *Sanaa Kazem Falih Mazban*.(2023 ,1 ,10) .

Raouf, *Imad Abdel Salam*. (2004). The historical origins of Baghdad stores. Baghdad.